

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00100436 5

مصحف

وهاييل

٤٩٢ فصل في بيان حكم الآية (أى قوله تعالى

والسارق والسارقة الخ) وفيه مسائل

٤٩٣ فصل وهذه التوبة مقبولة الخ (أى توبة

السارق)

٤٩٤ ذكر القصة في ذلك) أى

المتعلقة بقوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الخ

٤٩٧ فصل اختلف علماء التفسير في حكم الآية

(أى قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم الخ)

٥١٨ ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول قوله

تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا

(اليهود الخ)

٥٢٢ فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى فاستخارته

اطعام عشرة مساكين الخ) وفيه مسائل

﴿تمت﴾

صحيفة	صحيفة
٣٨٨ فصل وأركان التيمم خمسة	١٨٥ ذكر الإشارة الى قصة الملا من بني اسرائيل
٤٠٨ فصل في فضل السلام والحث عليه	مع نبهم
٤٠٩ فصل في أحكام تتعلق بالسلام	١٩٥ فصل في فضل آية الكرسي
٤١٤ فصل في أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى	٢١٥ فصل في حكم الرابو فيه مسائل
وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ الخ)	٢١٨ فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه
٤١٦ فصل وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه	وتشديد أمر الدين والامر بقضائه
الآية (أى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا	٢٣٨ تفسير سورة آل عمران
متعمدا الخ)	٢٥٣ ذكر سب القصة المتعلقة بقوله تعالى فاما
٤١٩ فصل اعلم أن الجهاد ينقسم الى فرض عين	أحسن عيسى الخ
وفرض كفاية الخ	٢٧٧ فصل في فضل البيت والحج والعمرة
٤٢٢ فصل في أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى	٢٧٧ فصل في أحكام تتعلق بالحج
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن	٣٠٣ فصل في فضل الاستغفار
تقتلوا من الصلاة الخ)	٣١٧ فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد
٤٢٣ فصل قيل قوله تعالى ان خفتم أن يفتنكم	الغزال
الذين كفروا كلام متصل بما بعده الخ)	٣٢٣ فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله
٤٢٤ فصل في أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى	تعالى
واذا كنت فيهم الخ) وصفة صلاة لشوف	٣٤٠ تفسير سورة النساء
وفيه مسائل	٣٤٥ فصل في أحكام تتعلق بالجزر وفيه مسائل
٤٢٧ فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز	٣٥٥ فصل في الحث على تعليم الفرائض
صدور الذنب من الانبياء (أى قوله تعالى	٣٥٥ فصل في بيان أحكام الفرائض
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيم)	٣٥٥ فصل وأسباب الارث ثلاثة الخ
٤٣٥ فصل وقد اتخذ الله محمد أصلي الله عليه وسلم	٣٥١ فصل والسهام المحدودة في الفرائض الخ
خليل كما اتخذ إبراهيم خليل	٣٥١ فصل روى عن زيد بن ثابت قال ولد الانباء
٤٣٨ فصل فيما يتعلق بانقسام بين الزوجات	بنزلة الانباء الخ
٤٥٨ تفسير سورة المائدة	٣٥٨ فصل اتفق العلماء على أن هذه الآية (أى
٤٦٠ فصل اختلف علماء النسخ والمسخ في هذه	قوله تعالى واللاق بأئين الفاحشة من نسائك
الآية (أى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتحلوا	الخ) منبوخة
شئائنا الخ)	٣٦٧ فصل في قدر الصدق وما يستحب منه
٤٧١ فصل في فرائض الوضوء	٣٨٣ فصل في أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى
٤٧٢ فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
الوضوء وفضله	سكارى الخ)
٤٨٢ ذكر قصة وفاة موسى وهرون عليهم السلام	٣٨٤ فصل في أحكام تتعلق بالآية (أى قوله تعالى
٤٨٥ ذكر قصة القربان وسببه وذكر قصة قتل قابيل	وان كنتم مرضى أو على سفر الخ)

فهرست الجزء الاول من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن

صفحة	صفحة
٢	مقدمة الكتاب وهي تتضمن ثلاثة فصول
٣	الفصل الاول في فضل القرآن ولأولته وتعليمه
٥	الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن برأيه
	من غير علم ووعيد من أوتى القرآن ففسده ولم يتعهد
٦	الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة أحرف
٩	فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك
١٠	فصل في معنى التفسير والتأويل
١١	القول في الاستعاذة
١٢	تفسير سورة الفاتحة
١٢	فصل في ذكر فضلها
١٤	فصل في حكم البسملة وفيه مسئلتان
١٤	المسئلة الاولى في كون البسملة من الفاتحة
	وغيرها من السور سوى سورة براءة
١٦	المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار
١٩	فصل في أمين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان
١٩	المسئلة الاولى السنة للقارئ الخ
١٩	المسئلة الثانية في حكم الفاتحة
١٩	تفسير سورة البقرة
٢٠	فصل في فضلها
٤٣	فصل في ماهية الملائكة وقصة خاق آدم عليه السلام
٥٢	ذكر سياق قصة فرق البحر بين اسرائيل
٥٣	ذكر القصة في مياد موسى عليه السلام وذهابه للمناجاة
٥٩	ذكر الاشارة الى قصة ذبح البقرة
٦٣	فصل في حكم القتل اذا وجد في موضع ولم يعرف قاتله
٧٥	فصل في القول بعصمة الملائكة
٧٧	فصل في حكم النسخ
١٠٥	فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين
١٠٦	فصل اختلاف العلماء في حكم السبي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة
١٠٧	فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم (أى قوله تعالى ان الذين كفروا وما كانوا كفارا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة الخ)
١١٢	فصل في حكم هذه الآية (أى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ وفيه مسائل
١٢٢	فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى ومن كان مريضاً الخ) وفيه مسائل
١٢٣	فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه
١٢٤	فصل في فضل الدعاء وآدابه
١٢٧	فصل في حكم الاعتكاف
١٢٨	فصل في حكم كل المال بالباطل
١٣٣	فصل وانفقت الامة على وجوب الحج الخ
١٥٦	فصل في تحريم الخمر ووعيد من شربها
١٥٧	فصل في أحكام تتعلق بالخمر
١٥٨	فصل وأما الميسر الخ
١٦٢	فصل في حكم الآية (أى قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الخ) وفيه مسائل
١٦٥	فصل في بيان حكم الآية (أى قوله تعالى لا يؤخذكم بالغوфи أيمانكم الخ) وفيه مسائل
١٦٧	فصل في أحكام العدة وفيه مسائل
١٧٠	فصل في حكم الخلع وفيه مسائل
١٧٥	فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل
١٧٨	فصل في بيان حكم هذه الآية (أى قوله تعالى ومتعوهن على الوسع قدره الخ) وفيه فروع
١٨٠	فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى

فهرست الجزء الاول من تفسير الخازن

في ذلك أوعز بزقوى قادر

على الثواب حكيم لا يعاقب
 الاعن حكمة وصواب
 (قال الله هذا يوم ينفع
 الصادقين صدقهم) برفع
 اليوم والاضافة على انه
 خبر هذا فيقول الله تعالى
 هذا يوم ينفع الصادقين
 فيه صدقهم المستمر في
 دينهم وآخرتهم والجله من
 المبتدأ والخبر في محل نصب
 على المفعولية كما تقول
 قال زيد عمرو مطلق
 وبالنصب نافع على الظرف
 أي قال الله هذا لعيسى
 عليه السلام يوم ينفع
 الصادقين صدقهم وهو
 يوم القيامة (لهم جنات
 تجري من تحتها الانهار
 خالدين فيها أبدأ رضي الله
 عنهم) بالاسم المشكور
 (ورضوا عنه) بالخزاء
 الموفور (ذلك الفوز العظيم)
 لانه باق بخلاف الفوز في
 الدنيا فهو غير باق (لله ملك
 السموات والارض وما
 فيهن) عظم نفسه عما قالت
 النصارى ان معه الها آخر
 (وهو على كل شيء قدير)
 من المنع والاعطاء والايحاء
 والافناء نسأله أن يوفقنا
 لرضائه ويجعلنا من الفائزين
 بجنته وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله وسلم
 (تم الجزء الاول من تفسير
 الامام النسفي ويلي الجزء
 الثاني واوله تفسير سورة
 الانعام)

ان بعدهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي ﴿١﴾ قوله عز وجل (قال
 الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى
 ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الاتابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يدين نفعه يوم
 القيامة والمراد بالصادقين التائبون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكامان
 لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية
 فكان صادقاً في الدنيا والآخرة فينفعه صدقه وأما المتكامل الآخر فابليس فانه يقوم فيقول وقال الشيطان
 لما أفضى الأمر الآية فصديق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء هو يوم من أيام الدنيا لان
 الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الآية من ان الصديق النافع إنما يكون في
 الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه الخاطبة سحرت مع عيسى عليه السلام حين
 رفع الى السماء الوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى (لهم
 جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدأ) فهذا الاشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي
 لا انقطاع له ولا انتهاء (رضي الله عنهم) يعني بطاعتهم له (ورضوا عنه) يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل
 كرامته (ذلك) اشارة الى ما ذكره من ثوابهم (الفوز العظيم) يعني انهم فازوا بالجنة ورضوا به
 عنهم ونجوا من النار (لله ملك السموات والارض وما فيهن) عظم الله عز وجل نفسه
 عما قال فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي
 يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وأمه لانهما من جلة
 من في السموات والارض فهم اعبيده وفي ملكه وقيل هو
 جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه ما وعد الصادقين
 بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال
 الذي له ملك السموات والارض ومن
 فيهن (وهو على كل شيء قدير)
 والله سبحانه وتعالى اعلم
 بمrade وأسرار
 كتابه

(تم الجزء الاول من تفسير الخازن ويلي الجزء الثاني واوله تفسير سورة الانعام)

أفعله ولو قلته علمته لانك

(تعلم ما في نفسي) ذاتي

(ولا أعلم في نفسي) (انك)

ذلك ففهم الشيء ذاته

وهو به والمعنى تعلم معلومي

ولا أعلم معلومي (انك)

أنت علام الغيوب) تقرير

للجملتين معلومان بانطوت

عليه النفوس من جملة

الغيوب ولان ما علم ٧

علام الغيوب لا ينسب اليه

علم أحد (قلت لهم الا

ما أمرتني به أي ما أمرتهم

الاباء أمرتني به ثم فسر ما

أمر به فقال (أن اعبدا

الله وربي وركبكم) فان مفسرة

بمعنى أي (وكنتم عليهم

شهيذا) رقبيا (مادمت

فيهم) مدة كوني فيهم

(فما توفايتني كنت أنت

الرقب عليهم) الحفيظ

(وأنت على كل شيء شهيد)

من قولي وفعلتي وقولهم

وفعلهم (ان تعبدكم فانهم

عبادك وان تغفركم

فانك أنت العزيز الحكيم)

قال الزجاج علم عيسى عليه

السلام ان منهم من آمن

ومنها من أقام على الكفر

فقل في جملتهم ان تعذبهم

أي ان تعذب من كفر منهم

فانهم عبادك الذين علمتهم

جاحدين بآياتك مكذبين

لأنبيائك وأنت العادل في

ذلك فانهم قد كفروا بعد

وجوب الحجة عليهم وان تغفركم

أي لمن أفلح منهم وآمن

فذلك فضل منك وأنت عزيز لا تمتنع عليك ما تر

بالحكم

(ان كنت قلته فقد علمته) أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واطهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي) يعني تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما أختي ولا أعلم ما أختي وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرى وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم معلومي وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكسة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال (انك أنت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا كما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي ﴿فوقله تعالى اخبارا عن عيسى﴾ (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) يعني ما قلت لهم الا ما أمرتهم (أن اعبدا الله) يعني قلت لهم اعبدا الله (وربي وركبكم) يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا (وكنتم عليهم شهداء مادمت فيهم) يعني وكنتم أشهد ما يفعلون وأحصره مادمت مقبلا فيهم (فما توفايتني) يعني فلما توفايتني الى السماء قال ربه وفاة الرفع لا الموت (كنت أنت الرقيب عليهم) يعني الحفيظ عليهم المراقب لأعمالهم وأحوالهم والرقب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء (وأنت على كل شيء شهيد) يعني أنت شهيد مقالي التي قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد هنا بمعنى العلم يعني أنت العالم بكل شيء فلا عجز عن علمك شيء قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام (ان تعذبهم) يعني ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة فان عذبهم على كفرهم (فانهم عبادك) لا يقدر ان يدفع ضررهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت العادل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا (وان تغفركم) يعني لمن تاب من كفرهم منهم بان تهبه الى الايمان فان ذلك فضلا ورحمتك (فانك أنت العزيز) يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا تمتنع عليك ما تر يده (الحكيم) في أفعالك كما وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أم أعل قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان تغفركم فانك أنت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طاب الغفره طمع علمه بأن الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها أنه ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر أنه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني بإقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفركم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قل ان الانباري لما قال لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكمت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأله المغفرة والله أعلم برأيه وأسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضلل كثير من الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفركم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم آمين آمين وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وركبك أعلم فأسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فأسأله فآخروه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له اناس تريدك في أمك ولا نسوءك عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية وآية

يؤكل منها حتى يفيء اليه فاذا افاء اليه طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غيا يومئذ
 وبومالاتنزل فأوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدة في ورزقي للفقراء دون الغنياء ففعل
 ذلك على الغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا انزل من المائدة حقاً تنزل من السماء فأوحى الله عز
 وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت أن من كفر بعد نزولها ذنبه عندنا بالاعذار به أحد من العالمين
 فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فسخ الله
 منهم ثلثمائة وثلاثين رجلاً بانوا اليهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرق يأكلون
 العذرة من الكتاسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام ويكوا ولما بصرت
 الخنازير عيسى عليه السلام بككت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعهم باسمائهم فيشربون
 برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وقال كعب أنزلت المائدة منسكوة تطير بها الملائكة
 بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس أنزل على المائدة كل شيء الا الخنزير واللحم وقال
 السكبي كان عليها خنزير وبقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أفرصة من شعير وحية تانا فكان القود يأكلون
 ويخرجون ثم يحيى آخرون فيأكلون حتى أكلوا جميعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكر وعشيا
 حيث كانوا كلن والسواوي لبنى اسرائيل وقال السكبي ومقاتل أنزل الله سمكا وخسفاً ورغفة فأكلوا منها ما شاء
 الله والناس ألفون فيبصرهم فجمعوا الى قراهم ونشروا الحديث فضعك من لم يشهد منهم وقالوا بحكم انما سحر
 أعينكم فمن أراد الله به خيراً انتهت من أراد فتته رجع الى كفره ففسخوا خنازير وريوس فيهم صبي ولا امرأة
 فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل عوسخ ففعله عز وجل (واذا قال الله
 يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) الآية اختلف المفسرون في وقت هذا
 القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال
 سائر المفسرين انما يقول الله هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة
 وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف اذ بانها قد نجي بمعنى
 اذا كقولهم ولوترى اذ فزعوا يعني اذا فزعوا وقال الرازي

ثم جزأك الله عني اجزى * جنات عدن في السموات الى

ولفظ الآية في قوله أنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه
 السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها
 فما وجه هذا السؤال لمع علم الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحق على قومه وكذب كذبهم في
 ادعائهم ذلك عليه وانه امرهم به فوكايت قول القائل لا تخرفك كذا هو يعلم انه لم يفعله وانما أراد تعظيم ذلك
 الفعل فتنى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله في ور بكم فاعترف
 بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف
 قال اتخذوني وأمي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى أنه الهور وان مريم ولدته
 لهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبار عن عيسى عليه السلام (قال سبحانه) يعني
 تنزهها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال بوروق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب
 وهو قوله أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل
 شعرة من جسده عين من دم وقال مجيباً لله تعالى سبحانه (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي كيف
 أقول بهذا الكلام ولست باهل ولست أستحق العبادة حتى أَدعو الناس اليها والمباين أنه ليس له أن يقول
 هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لهظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال

(واذا قال الله يا عيسى ابن
 مريم أنت قلت للناس
 اتخذوني وأمي الهين من
 دون الله) الجهورى على أن
 هذا السؤال يكون يوم
 في القيامة دليله سياق الآية
 وسياقها وقيل غاطبه به
 حين رفعه الى السماء
 دليله لفظ (قل سبحانه)
 من أن يكون لك شريك
 (ما يكون لي) ما يدعى لي
 (أن أقول ما ليس لي
 بحق) أن أقول قولا
 لا يحق لي أن أقوله

(واذ كففت بني اسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتله (اذجتهم) ظرف لكففت (باليينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين) ساحر حزة وعلي (واذا وحيت) ألهمت (الى الحواريين) الخواص أو الاصفياء (ان) (٥٣٩) آمنوا) أي آمنوا (في ورسولي

قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون) أي اشهد باننا مخلصون من أسلم وجهه (اذقال الحواريون) أي اذ كروا (يا عيسى ابن مريم) عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يازيد بن عمرو (هل يستطيع بك) هل يفعل أو هل يطيعك بك ان سالتهم فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب هل تستطيع بك على أي هل تستطيع سؤال بك خذف المضاف والمعنى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله (أن ينزل علينا) ينزل مكي وبصري (سائدة من السماء) هي الخوان اذا كان عليه الطعام من ماله اذا عطاها كأنها تعبد من تقدم اليها (قال انقوا الله) في اقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ان كنتم مؤمنين) اذا الايمان بوجوب التقوى (قالوا نريد أن نأكل منها) تبركا (ونطمئن قلوبنا) وزدادة يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمنن قلبي (ونعلم أن قد صدقنا) أي نعلم صدقك عيانا كما علمناه

وقدرته وقوله تعالى (واذ كففت بني اسرائيل عنك) هي واذ كرمعني عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك (اذجتهم بالينات) يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام لما في هذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله خلاصه الله منهم ورفعهم الى السماء (فقال الذين كفروا منهم) يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات (ان هذا الاسحر مبين) يعني مجاهم به عيسى عليه السلام من المعجزات ﴿ قوله عز وجل (واذا وحيت الى الحواريين) يعني ألهمتهم وقد في قلوبهم فهو وحى الهام كما وحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم أمحباب عيسى وخواصه (ان آمنوا في ورسولي) يعني عيسى عليه السلام (قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون) لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنوا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمخبر انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم ﴿ قوله تعالى (اذقال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع بك) قال المفسرون هذا الى المجاز ولا يجوز لاحد ان يشوهه على الحواريين انهم شكوا في قدرة الله تعالى لكنه يقول الرجل صاحبه هل تستطيع ان تقوم مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل يستطيع هل سهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم من يد الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمنن قلبي ولاشك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث من يد الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا ونطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا يشرفوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلظهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان تشكروا في قدرة الله عز وجل والقول الاول أصح وقيل في معنى الآية هل يقبل بك دعاءك ويعطيك بجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد في الآثار من اطاع الله اطاعه كل شيء (أن ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان الذي عليه الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يعيد اذ انحر كنهات يعيد بما عليها من الطعام (قال) يعني عيسى محبيا للحواريين (اتقوا الله ان كنتم مؤمنين) يعني اتقوا الله في هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال اتعنت وقيل أمرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معنا اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله أحد من الامم قبلكم فها هم عن اقتراح الآية بعد الايمان (قالوا نريد أن نأكل منها) يعني قال الحواريون مجيدين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لاننا كل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها لتبرك بها لئلا كل حاجة (ونطمئن قلوبنا) يعني ونسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لاننا وان علمنا قدرة الله بالليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة (ونعلم أن قد صدقنا) يعني وزداد ايمانا وبقينا بانك رسول الله (ونكون عليهم من الشاهدين) يعني لله بالوحداية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليهما من الشاهدين عند بني اسرائيل اذ رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يهضمو اثنا عشر يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك واظمتم فلا تسألون الله شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فصدق ذلك (قال عيسى ابن مريم اللهم) قيل انه اغسل لبس السج ووصلي ركعتين وطاقطار أسه ويك ثم دعا فقال اللهم (ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لعايدي الاولنا وآخرنا) يعني عاتمة من الله علينا وحجة وبرهاننا

استدلالا (ونكون عليهم من الشاهدين) بما عيانا لن بعدنا ولما كان السؤال زيادة العلم لا لتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم) أصله بالله خذف ياء عوص منه اليهم (ربنا) نداء ثان (انزل علينا مائدة من السماء تكون لعايديا) أي يكون يوم نزولها عيد اقبل هو يوم الاحد من ثم اتخذه النصارى عيد او العيد السرور والمائدة اول اقبال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرور وفرح (اولنا وآخرنا) بدل من لنا

ساقط مع علمك ومغمور به فكأنه (٥٣٨) لاعلم لنا (اذ قال الله) بدل من يوم بجمع (يا عيسى ابن مريم) اذ كر نعمتي عليك وعلى

والدنك) حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين والعامل في (اذ بدتك) أي قوبتك نعمتي (روح القدس) يجبر يل عليه السلام أي بدبه لتبث الحجة عليهم أو بالكلام الذي يحياه الدين وأضافه الى القدس لانه سبب الطهر من أوصاف الآلام دليله (تكلم الناس في المهد) حال أي تكلمهم طفلا وانجازا (وكهلا) تبليغا (واذ علمتك) معطوف على اذ أبدتك ونحوه واذ تخلق واذ تخرج واذ كفت واذا أوحيت (الكتاب) الخ (والحكمة) الكلام المحكم الصواب (والتوراة والانجيل واذا تخلق) تفرد (من الطين كهية الطير) هبة مثل هبة الطير (باذني) بتسهلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليه لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في (فتكون طيرا باذني) وعطفت (وتبرئ الاكهم والابرص باذني) على تخليق (واذا تخرج الموتى من القبور أحياء باذني) قبل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية

من بواطن الامور ونحن نعلم ما شاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا تخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس بخاف عليك لانك أنت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية و بناء فعال ببناء التكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلم على الله تعالى كما يجوز اطلاق الاخلاق عليه قوله عز وجل (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذ كر نعمتي عليك) قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلما اذا أجبتم ولما كان المراد بقوله للرسول ماذا أجبتم توبيخ الامم المكذبة ومن عر دم نعمتي على الله وكان أشد الامم احتياجا واقتارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في أنبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ زوجة والولد ذكر الله في هذه الآية أنواع نعمته على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس بالوالد الفاعلة في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالاتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسباع الامم يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة ٢ وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على الفطع ومعناه اذ كراذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذ كر نعمتي عليك افظه واحدا والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمته عليه في هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها (وعلى والدنك) يعني بنعمته على مريم عليها السلام انه تعالى أنبئنا نانا حسنا وطهرها واصطفاه على نساء العالمين ثم ذكر نعمته على عيسى عليه السلام فقال تعالى (اذ بدتك روح القدس) يعني يجبر يل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى وأضاف اليه على سبيل التثنية والتعظيم كإضافة بيت الله وناقته الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرفة (تكلم الناس في المهد) يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر (وكهلا) يعني وفي حالة الكهولة ومن غير أن يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة بشر بقية ليست لاحد قبله قال ابن عباس أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فكثرت رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه (واذ علمتك الكتاب والحكمة) يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم (والتوراة والانجيل) أي وعلمتك التوراة التي أنزلتها على موسى والانجيل الذي أنزلته عليك (واذا تخلق من الطين كهية الطير باذني) يعني واذا تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني (فتنفخ فيها) ذكرها تنفخا وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة بجعلها مصدرا كما يقع اسم الخالق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيأ في الطير ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها ممتلئة قال الله تعالى ولم يروا الى الطير فوقهم صافات وأما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه فيعود الى الكفاف يعني في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فتكون طيرا باذني) وانما كرر قوله باذني تأكيد الكون ذلك الخلق واقعا بقدره الله تعالى وتخليقه لا بقدره عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لخالق لها سواء وانما كان الخالق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى (وتبرئ الاكهم والابرص باذني) يعني وتشفى الاكهم وهو الاعمي المملوس البصر والابرص معروف ظاهر (واذا تخرج الموتى) يعني من قبورهم أحياء (باذني) تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها هي الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكهم والابرص وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى

(فيقسم بالله لشهادتنا حق من شهدتهما) أي ليميننا حق بالقبول من بين هذين (٥٣٧) الوصيين الخائنين (وما اعتدنا)

وما تجاوزنا الحق في عينا
(انما اذلل الظالمين) أي
ان حلفنا كاذبين (ذلك)
الذي مر ذكره من بيان
الحكم (أدنى) (أقرب) (أن)
ياتوا) أي الشهداء على نحو
تلك الحادثة بالشهادة على
وجها (كما جالوها بالحيانة
فيها) (أو يخافوا) أن ترد
أيمان بعد أيمانهم) أن تكرر
أيمان شهود آخرين بعد
أيمانهم فيقتضو اظهروا
كذبهم (واقفوا الله) في
الحيانة واليمين الكاذبة
(واسمعوا) سمع قبول
واجابة (والله لا يهدي القوم
الفاسقين) الخارجين عن
الطاعة فان قلت ما معنى أو
هنا قلت معناه ذلك أقرب
من أن يؤدوا الشهادة
بالحق والصدق امانة أو
خوف العار والافتضاح
برد الايمان وقد احتج به
من يرى رد اليمين على المدعي
أو الجواب ان الورثة قد
ادعوا الى النصرانيين انهما
قد اختانا خلفا فلما اظهر
كذبهما ادعى الشراء فيما
كنما فكرت الورثة فكفكت
اليمين على الورثة لانكارهما
الشراء (يوم) منصوب
بذكر أو أخرهوا (بجمع)
الله الرسل فيقول ماذا أجبتكم
مالذي أجابكم أمكم حين
دعوتهم الى الايمان وهذا

الليت وهم أهل وعشيرته (فيقسم بالله) يعني فيحلفان بالله (لشهادتنا حق من شهدتهما) يعني
أيماننا حق وأصدق من أيمانهما (وما اعتدنا) يعني في أيماننا قولنا ان شهدتنا حق من شهدتهما
(انما اذلل الظالمين) ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وهما من
أهل الميت وحلفا به بعد العصر ودفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على أولياء الميت لان الوصيين ادعيان
الميت باعها الاناء وأنكرورثة الميت ذلك ومثل هذا أن الوصي اذا أخذ شيئا من مال الميت وقال انه
أوصى له بدأ أنكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما سلمت اليمين الدار بعد هذه القصة كان يقول صدق الله
وصدق رسوله أنا أخنت الاناء فانا أتوب الى الله وأستغفره ﴿ وقوله تعالى (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
على وجها) يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على أولياء الميت بعد أيمانهم أدنى أي أجدر وأحرى أن
يأتوا بالشهادة على وجهها يعني أن يأتوا الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها (أو يخافوا
أن ترد أيمان بعد أيمانهم) أي وأقرب أن يخاف الوصيان أن ترد الأيمان على أولياء الميت فيحلفوا على
خبايتهم وكذبهم فيقتضو او يغرموا فعلا لحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم (واقفوا الله) يعني
خافوا الله أن تحلفوا أيماناً كاذبة أو تخونوا أمانة (واسمعوا) يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا
سمع اجابة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا يهدى وتخوف
ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى وانما أمانته وحلف أيماناً كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما في
القرآن من الآيات نظما وادعاء وحكما والله أعلم بأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (يوم يجمع الله الرسل) قال
الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديرها واقفوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم
الفاسقين يوم يجمع الله الرسل الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما
قبلها وتقديره ذكرنا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة (فيقول ماذا أجبتكم) يعني فيقول الله تبارك
وتعالى للرسل ماذا أجابكم أمكم والى رد عليكم فومكم حين دعوتهم في دار الدنيا الى توحيدى وطاعنى
وقائمة هذا السؤال توبيح أئمة الانبياء الذين كذبوهم (قالوا) يعني الرسل (لأننا) قال ابن عباس معناه
لأننا كملكم فيهم لانك تعلم ما أضمرنا وما أظهروا ونحن لانعلم الا ما أظهروا فاعلمك فيهم أنفد من علمنا
وأبلغ فعلى هذا القول انما خافوا العلم عن أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كالأعلم عند علم الله وقال
في رواية أخرى معناه لأننا الاعلم أنت أعلم بهنا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لأننا بوجه
الحكمة عن سؤالك اياهم أنت أعلم بهنا وقيل معناه لاحقيقة لعلمنا بعاقبة أمرهم لانا كنا نعلم
ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولأنهم لما كان منهم بعد وقتنا ولا نعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه
ما أخبر الله عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيد ما مدت فيهم فلعنا تو فينتي كنت أنت الرقيب
عليهم ومنه ما روى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابردن على الخوض رجال من صاحبنى
حتى اذ رفعا الى اخلع لجودنى فلا قولن أى رب أصحابى فيقال لى انك لا تدري ما أحدثوا بعدك زادنى
رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدى أخرجاه فى الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا لا تزل
تزل فيها القلوب عن مواضعها فغزعون من هول ذلك وبذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم
يشهدون على أنفسهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال حتى الانبياء لا يجزئهم الفزع الا كبر
وذكر الامام غفر الدين الرازى وجه آخر وهو ان الرسل عليهم السلام لماعلموا أن الله تعالى عالم
لا يجهل وحليم لا يسهو وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يقدخرا ولا يدفع شرافرا أن الادب فى السكوت
وفى تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا (انك أنت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما غاب عنا

(٦٨ - (خازن) - اول)

(قالوا لا علم لنا) باخلاص قومة ادليله (انك أنت علام الغيوب) أو بما أحدثوا بعد ادليله كنت أنت الرقيب عليهم أو قالوا ذلك نادباى علمنا

(ان اثم ضربتم في الارض) سافرتم فيها واثمتم فاعل فعل بفسره الظاهر (فاصابكم مصيبة الموت) او منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل منسوخ اذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما بالحلف هو استثناف كلام اوصافه لقوله واخران من غيركم أي واخران من غيركم محبوسان وان اثم ضربتم في الارض فاصابكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحمه الله بعد العصر والظاهر لان اهل الحجاز كانوا يقدون للحكومة بعد هوانى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر (٥٣٦)

فشهداهتم غير مقبولة في حال من الاحوال وقوله تعالى (ان اثم ضربتم في الارض) يعني ان اثم سافرتم في الارض (فاصابكم مصيبة الموت) يعني نزل بكم اسباب الموت فاصابكم اليهم ما ودفعتم ما لم يكن اليهم (تحبسونهما) يعني انتم هم ما يعض الورثة وادعوا عليهم ما يخافون الحاكم كونه ان يقفوهما (من بعد الصلاة) يعني من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الديان يعظمون ذلك الوقت ويحتجبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحتزمان صلاة العصر (فيقسمان بالله) يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ ما تني درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف المساجد واعظمها (ان ارتبتم) يعني ان شككتم اهل الورثة في قول الشاهدين وصدقهما بالحلف هو وهذا اذا كانا كافرين اما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهم لان تخليف الشاهد المسلم غير مشروع (لا تشتري به تمنا) يعني لا تبني عهد الله بتمني من الدنيا ولا تخلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه اوحى نجحده (ولو كان ذا قربي) يعني ولو كان المشهود له ذافرا بمناء او خاص القرابي بالذ كر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم (ولا نكنتم شهادة الله) انما اضاف الشهادة اليه لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها (انما الذين الآثمين) يعني ان كنتمنا الشهاده أو خنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بما وعد يارحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا بما دفع اليهم ما خلفا على ذلك خلفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشترينا منه من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهره فبلغ ذلك بنى سهم فاقومهم في ذلك فقالوا اننا كنا اشترينا منه فقالوا لهما انتم زعمان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قال لا يمكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكنتمناه لذلك فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم (فان عثر) يعني فان اطلع وظهور العثور لهما على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عايه قيل له قد عثر عليه (على انهما استحقا انما) يعني الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا لاثم بسبب خيانتهم وايضا انهما الكاذبة (فاخران) يعني من اولياء الميت واقر بائه (يقومان مقامهما) يعني مقام الوصيين في العين (من الذين استحق عليهم) يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الخافين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته (الاوليان) يعني باصر

فيحلفان به (ان ارتبتم) شككتم في امانتهما هو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو (لا تشتري) وجواب الشرط محذوف اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شأنهما خلفوهما (به) بالله أو بالقسم (تمنا) عوضا من الدنيا (ولو كان) أى المقسم له (ذا قربي) أى لا تخلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من تقسم له فربما ناء (ولا نكنتم شهادة الله) أى الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها (انما الذين الآثمين) وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تخليف الشاهدين وان اريد الوصيان فلم ينسخ تخليفهما (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا انما) فعلا ما اوجب انما

واستوجب ان يقال انهما لمن الآثمين (فاخران) فشهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) الميت أى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته اناء صاحبهما وان شهدتهما حق من شهدتهما (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفة قوما رتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان أو هما بديل من الضمير في يقومان أو من آخران استحق عليهم الاوليان حفص أى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهر داهما كذب الكاذبين الاولين جزء أو بركر على انه وصف للذين استحق عليهم مجرورا ومنصوبا على المدح وسموا أوليان لانهم كانوا أوليين في الذ كر في قوله شهادة ينسك

فقد واجابا من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجاهل بمكة فقبل
 اشترى بنهما من تميم وعدى فقام رجلان من أولياء السهمي خلفا بآلة لشهادتهما أحق من شهادتهما ما وان الجاهل
 لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت أخرجه التزدي
 وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الأخيرة البخاري في صحيحه فاما التفسير فقوله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا شهادة بينكم يعني يشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع التنازع والتشاجر
 (اذا حضر أحدكم الموت) يعني اذا قارب وقت حضور الموت (حين الوصية اثنان) لفظه خبر ومعناه الامر
 يعني يشهد اثنان منكم عند حضور الموت وأردتم الوصية (ذوا عدل منكم) يعني من أهل دينكم
 وملتكم بكم عشر المؤمنين واختفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان الاذان يشهدان على وصية
 الموصي وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيه ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهدان لا يلزمه عين وجعل
 الوصي اثنين تأكيدا فاعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت
 (أو آخران من غيركم) يعني من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري
 وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشرحوا أكثر المفسرين وقيل معناه من غير
 عشرينكم وقيامتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجماة هي
 منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من
 رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى
 وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير
 وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا اذ لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد
 كافرين أو ذميين أو من أي دين كان لان هذا موضع ضرورة قال شرح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما
 يشهد وصيته فليشهد كافرين على أي دين كان ما من أهل الكتاب أو من عبدة الاصنام فشهداتهم جائزة في
 هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الاعلى وصيته في سفر لا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا
 من المسلمين حضرته الوفاة بدوقاهذه ولم يجد أحد من المسلمين حضر يشهد على وصيته فاشهد رجلا من
 من أهل الكتاب فقد ما الكوفة فأتاه موسى فاخبره وقد ما بتركته ووصيته فقال لأبو موسى هذا أمر
 لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفه ما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا
 بدلا ولا كتمان ولا غبرا وانها الوصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما أخرجه أبو داود وقال قوم في قوله ذوا
 عدل منكم يعني من غير عشرينكم وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشرينكم وحيكم وان الآية كاهاني
 المسلمين وهذا قول الحسن والزهرى وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب
 الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير ان أبا حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من
 قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة
 غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يا أيها الذين آمنوا فمضى هذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال
 بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعمل بذلك انهم ما من غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف
 على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على أن الشاهد المسلم لا يجب عليه عين ولان الميت اذا كان في أرض
 غربة ولم يجد مسلما يشهد على وصيته ضاع ماله وما كان عليه ديون أو عند ودية فيضيع ذلك كله
 واذا كان ذلك كذلك كذا احتج الى انه هدم من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله
 وتنفذ وصيته فهذا كالمفطر الذي أبيع له كل الميتة في حال الاضطراب والضرورات قد تبيح شيأ من
 المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال عن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا

اذا حضر أحدكم الموت
 حين الوصية اثنان (أو ترفع
 اثنان لانه خبر الميت واهو
 شهادة بتقدير شهادة
 بينكم شهادة اثنين أو لانه
 فاعل شهادة بينكم أي ذبا
 فرض عليكم ان يشهد
 اثنان واتسع بين فأضيف
 اليه المصدر واذا حضر
 ظرف للشهادة وحين
 الوصية بدل منه وفي ابداله
 منه دليل على وجوب
 الوصية لان حضور الموت
 من الامور الكائنة وحين
 الوصية بدل منه فيدل على
 وجود الوصية ولو وجدت
 بدون الاختيار لا فقط
 الابتلاء فقل الى الوجوب
 وحضور الموت مشارفته
 وظهور امارات بلوغ
 الاجل (ذوا عدل) صفة
 لاتنين (منكم) من
 أقاربكم لانهم أعلم بأحوال
 الميت (أو آخران) عطف
 على اثنان (من غيركم)
 من الاجاب

لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) قال بعض العلماء هذا أمر من الله تعالى ومعناه احفظوا أنفسكم من ملبسة
 الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا فات عليك زيدا معناه الزم زيدا وقيل معناه عليكم أنفسكم
 فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظر والها ما يقر بهما من الله عز وجل لا يضركم من ضل
 اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين وأطعتم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال
 سعيد بن جبيرة ومجاهد نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم
 من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية وانظر كونهم وقيل لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض
 الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء
 الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الصالحين ولا جهل
 الجاهلين اذا كنتم أتم مهتدين فان قلت يدل هذا ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر فالتأويل على ذلك والذي عليه أكثر الناس ان المطيع له به عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب
 أصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثبت بدليل الكتاب والسنة عن قيس
 ابن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس انكم تقرضون هذه الآية بآيها
 الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تضوموها وضومها ولا تدرون ما هي وفي سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا ظالمًا لم يأخذوا على يديه وأوشك أن يعمهم الله
 بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود ودوزاد فيهما من قوم يعمل فيهم
 بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيروا ابوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية
 عليكم أنفسكم اذا أمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر فقبل منكم قال ابن مسعود مر بالمعروف وانها
 عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه أي قد مضى تأويله قبل أن
 ينزل ومنه أي وقع تأويله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه أي وقع تأويله بعد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يسير ومنه أي يقع تأويله في آخر الزمان ومنه أي يقع تأويله يوم القيامة وهو ما ذكر
 من الحساب والجنة والنار فمادت قلوبكم وأهواؤكم وأهواؤكم ولا تستم شيعاوا ذيق بعضكم بأس
 بعض فامر بالمعروف وانها وعن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم وأهواؤكم ولا تستم شيعاوا ذيق بعضكم بأس
 بعض فامر نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الأيام فم تأمر ولم تنه فان
 الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لصاحبي لان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود وأنت الغائب ولكن هذه الآية لا قوام
 بجيوش من بعدهم ان قالوا يقبل منهم وعن أبي أمية الشعباني قال أثبت بأشعبة الخشي فقلت له كيف تصنع
 بهذه الآية قال آية قلت بآيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أما والله لقد
 سألت عنها خيرا سألت عنهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل لا اتمر بالمعروف وتناها عن المنكر حتى اذا
 رأيت شحاما طاعا وهوى متبع او دنيا مؤثرة وأعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم بخاصة نفسك ودع العوام فان
 من ورائكم الصبر فمن صبر فيهن فبض على الجار للعامل فيهن مثل أجور خسين رجال يعملون مثل عملكم وفي
 رواية قيل يا رسول الله أجور خسين رجال منا أو منهم قال لا بل أجور خسين منكم أخرجه الترمذي وقال حديث
 حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل وقال ابن
 عباس قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما أمرته من الحلال
 والحرام فلا يضره من ضل بعد اذا عمل أمر نهي به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب
 الاهواء فدكر شيئا من أمره فقلت له الا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه بآيها الذين آمنوا عليكم

(لا يضركم) رفع على
 الاستئناف أو جزم على
 جواب الامر وانما ضمت
 الزاء اتباعا لضم الصاد (من
 ضل اذا اهتديتم) كان
 المؤمنون تذهب أنفسهم
 حسرة على أهل العنادن
 الكفرة يتمنون دخولهم
 في الاسلام فقيل لهم عليكم
 أنفسكم وما كلفتم من
 اصلاحها لا يضركم الضلال
 من دينكم اذا كنتم
 مهتدين وليس المراد ترك
 الامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر فان تركهما مع
 القدرة عليهما لا يجوز

(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) كان أهل الجاهلية إذا تاحت الناقة خسة أبطن آخرها ذكر يحرموا أذنها أي شقوها
وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد (٥٣٢) عن ماء ولا مري وأسمها بالحيرة وكان يقول الرجل إذا قدم من سفري

كفروا به فلا تسألوا أتم شيئا فلعلمكم أن أعطيتكم سؤلكم ساءكم ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ما جعل الله) أي ما أنزل
الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به (من بحيرة) البحيرة من العرو هو الشق يقال بحرقته إذا شق أذنها فهي
فعيلة بمعنى مفعولة (ولاسائبة) يعني المسبية الخلاة (ولاوصيلة) الوصلة الشاة وكانت العرب في الجاهلية
إذا ولدت لهم ذكر أو أنثى قالوا وصلت أخاها (ولاحام) الحام هو الفحل من الإبل يحمي ظهره فلا يركب
ولا يتفقه به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة هي الناقة إذا ولدت خسة أبطن لم يركبها ولم
يجزوا وبرها ولم يعموها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكر أنحره وأكله الرجال والنساء
وان كانت أنثى شقوا أذنها وتركوها حرموا على النساء منافعتها وكانت منافها للرجال خاصة فإذا ماتت
حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابت ثنتي عشرة سنة أمانا سببت فليركب ظهرها ولم يجزوا
وبرها ولم يشرب لبنها الاضيء فاستجبت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سببت مع أمها أو يفعل بها كافيض
بما هو قيل السائبة البعير الذي يسبب لأهلته وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية كان إذا مرض أو غاب له
قريب نذر فقال إن شغاني الله أو شغني الله مريض أو قد غابني فافتي هذه سائبة ثم يسبها فلا تحبس عن ماء
ولامري ولا يركبها أحد فهي تنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ونظر وأمان
كان السابغ ذكر أو بحدوه أو كل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكر أو أنثى
قالوا وصلت أخاها واستحموا الذي كرفلم يذبحوه من أجل الانثى والحامي هو الفحل إذا ركب ولد له وقيل
هو الفحل إذا تاج من صلبه عشرة أبطن قالوا حي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مري
فإذا ماتت كله الرجال والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للعلو أو غيت فلا يحلبها أحد
من الناس والسائبة كانوا يسبون لها لهم لا يحمل عليها شيء قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت عمرو بن عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أخا بني كعب وهو يجر قصبة في النار (خ) عن عائشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا رأيت عمر يجر قصبة وهو أول من سبب السوابب القصب
بضم القاف وسكون الصاد المهملة لأمعاء كانت الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعني ما جبر الله من
بحيرة ولا سبب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حي من حام ولا أذن فيه ولا أمر به ولكنكم أتم فعاتم ذلك
من عند أنفسكم (خ) عن ابن مسعود أن أهل الإسلام لا يسبون وإن أهل الجاهلية كانوا يسبون ﴿وقوله﴾
تعالى (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) يعني لقولهم أن الله أمرنا بها (وأكثرهم لا يعقلون) أن الله لم يحرم
ذلك وهم عوامهم (وإذا قبل لهم تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) أي هلوا إلى الله وإلى الرسول
الذي أنزل الله وإلى الرسول يعني إذا قبل هؤلاء الذين بحروا البعائر وفعلوا هذه الأشياء وأضافوها
إلى الله كذبًا تعالى إلى ما أنزل الله يعني في كتابه وإلى الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابه
ليبين لكم كذب ما تصفونه إلى الله وبين لكم الشرائع والأحكام وأن الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما خذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رد عليهم (أولوكان
آبائهم لايهمون شيئا ولا يهتمون) يعني أنما يصح الاقتداء بالعلم المهتدي الذي يبين قوله على الحق والبرهان
والدليل وإن آباءهم ما كانوا كذلك فيصحب اقتداؤهم به ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا علمكم أنفسكم

أو برأت من مرضى فنافتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الاتفاح بها وقيل كان الرجل إذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا علق بينهما ولا ميراث وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابغ ذكر أو أكله الرجال وان كان أنثى أرسلت في الغنم وكذا إن كان ذكر أو أنثى وقالوا وصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الوصلة وإذا تبت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حجي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مري ويحرم ما جعل مامر عن ذلك ولا أمر به (ولكن الذين كفروا) يتحرعهم ما حرموا (يفترون على الله الكذب) في دينهم هذا التحريم إليه (وأكثرهم لا يعقلون) أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (وإذا قبل لهم تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) أي هلوا إلى الله وإلى الرسول الذي أنزل الله وإلى الرسول يعني إذا قبل هؤلاء الذين بحروا البعائر وفعلوا هذه الأشياء وأضافوها إلى الله كذبًا تعالى إلى ما أنزل الله يعني في كتابه وإلى الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تصفونه إلى الله وبين لكم الشرائع والأحكام وأن الذي تفعلونه ليس بشيء (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يعني قد اكتفينا بما خذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله رد عليهم (أولوكان آبائهم لايهمون شيئا ولا يهتمون) يعني أنما يصح الاقتداء بالعلم المهتدي الذي يبين قوله على الحق والبرهان والدليل وإن آباءهم ما كانوا كذلك فيصحب اقتداؤهم به ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا علمكم أنفسكم

دخلت عليها همزة الانكار وتقدمه أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئا ولا يهتمون) أي لا يصح الاقتداء بالعلم المهتدي وإنما يعرف اقتداؤه بالحق (يا أيها الذين آمنوا علمكم أنفسكم) اتصبا أنفسكم بعليكم وهو من أسماء الأفعال أي الزموا إصلاح أنفسكم والكاف والميم في موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور ولا على وحدها

في الصحيحين (خ) عن ابن عباس قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استنزاه فيقول الرجل من أبي ريق يقول الرجل فصل نافذة. أبى ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتسولوا عن أشياء ان تبدل لكم تسؤمكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتسولوا عن أشياء ان تبدل لكم تسؤمكم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أبي كل عام فسكت حتى قالنا لا ثم قال زدوني ما تر كسبكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما أهلكم من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم إذا أمرتكم بشيئ فأتوا منه ما استطعتم واذنبتكم من شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تتسولوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذاولا وكذاولا عكرمة أمهم كانوا يسألونه عن الآيات فهو راعن ذلك ثم قال قد سأله قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتسولوا عن أشياء جمع شيء ان تبدل لكم في نظرهم لكم وتبين لكم تسؤمكم يعني ان أمرتم بالعلج بها فان من سأل عن الحج لها من ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسبه لم يابن أن باحقة النبي صلى الله عليه وسلم فغير أبيه فيفتضح ويسوءه ذلك (وان تسئلوها حين ينزل القرآن تبدل لكم) معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن يحكمكم من فرض أو نهى أو حكم وليس في ظاهره شرح ما محتاجون إليه ومستم حاجتكم إليه فاداسأتم عنه فخذني بيدي لكم ومثاله هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل فسألوها فانزل الله تزوجوا بهن في قول والا لا يسنن من المحيض من نساءكم الآية (عفا الله عنها) يعني عن مسئلتكم عن الأشياء التي سألتهم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤخذكم بها ولم يعاقبكم عليها (والله غفور) يعني ان تاب منكم (حليم) فلا يبجل بمقومتكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عفا بكم منذ أتمتم وصدقتم وقال بعض العلماء الأشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد واعداد ذلك فلا يجوز السؤال عنه (ق) عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم المسامحة في المسلمين حرام من سأل عن شيء لم يحرم على الناس خرم من أجل مسئلته (ق) عن المغيرة بن شعبة أنه كتب الى معاوية بن النسي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلو طات أخرجه ابوداود الاغلو طات صعب المسائل التي تزل فيها أقدام العلماء ويؤيد بذلك قول أبي هريرة رثرزالنس الذين يسألون عن شرار المسائل كي غلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تسكفوا وواعن أبي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدود فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذا الحديثان أخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى (قد سأله قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا النافقة ثم عقرها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالأعلى هم وقوم عيسى سألوا نزول لما نزل عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان أولئك أولاف أعلوا سؤلهم

وان تسئلوها حين ينزل
الفرآن تبدل لكم
لأشياء أي وان تسألوا عن
هذه التكاليف الصعبة في
زمان الوحى وهو مادام
الرسول بين أظهرهم تبدل لكم
تلك التكاليف التي
تسؤمكم في نهكم وتشتق
عليكم وتؤمرون بتحملها
فتعرضون انفسكم لغضب
الله بالتفرط فيها (عفا
الله عنها) عفا الله عما سلف
من مسئلتكم فلا تعودوا
الى مثلها (والله غفور
حليم) لا يعاقبكم الا بحد
الانذار والضمير في (قد
سأله) لا يرجع الى أشياء
حتى يعذب بها بل يرجع
الى المسئلة التي دلت عليها
لا تسئلوها أى قد سأل هذه
المسئلة (قوم من قبلكم)
من الاولين (ثم أصبحوا
بها) صاروا بسببها (كافرين)
كما عرف في بني اسرائيل

(ذلك) اشارة الى جعل الكعبة فيما اولى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم) أى لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا ان الله شديد العقاب) لمن استخف (٥٣٠) بالحرم والاحرام (وان الله غفور) لانّام من علم المشاعر العظام (رحيم) بالجانى المتجنى الى

كانوا يامنون اذا قلوا ان انفسهم من الحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد (ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض) يعنى انه تعالى علم الازل فصالح اعباد وما يحتاجون اليه بجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والحرم والهدى والقتل ليدانوا بها لانه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى علم جميع المعلومات والكليات والجزئيات وهو قوله تعالى (وان الله بكل شئ عليم) يعنى انه تعالى لا يخفى عليه خافية (اعلموا ان الله شديد العقاب) يعنى ان اتهمك بحماره واسقطها (وان الله غفور رحيم) يعنى ان تاب وآمن ولما ذكركم ان الله انوار رحته بعباده ذكر بعده انه شديد العقاب لان الإيمان لا يثبت الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سرعة رحته وانه غفور رحيم ﴿قوله تعالى﴾ (ما على الرسول الا البلاغ) يعنى ليس على رسول الله الذى ارسلناه اليكم ان التبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج في الآبة تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتمكم الطاعة فلا عنى في انتم ربط (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفائكم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) يعنى الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يستدل الردى والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) يعنى ولوسرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان أهل الدنيا يجهلون كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وبقى لان زينة الدنيا نوعها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزى روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل يعنى ذلك المال ان عمات فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن مبيد البكري ورجح ابن بكر وقد تقدمت القصة في أول السورة (فائقوا لله) يعنى فيما أمركم به او نهواكم عنه ولا تتسددوا (يا أولى الاباب) يعنى يا ذوى العقول السليمة (المسلمون) ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤلن) اختفوا في سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة مائة مائة ما لها فقالوا لتعلموا ما أعلم اصحكنم قايلا ولا يكتنم كثير اقال فعلى امحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه لهم خنين فقال رجل من أبى فقال فلان فزنت هذه الآية لانه تسئلوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤلن كما روى رواية أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاعت الشمس فضلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمور اعظام ثم قال من أحب أن يسأني عن شئ فليسأل فلا تسألنى عن شئ الا أخبرتكم به مادمت في مقامى فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقولوا سلاما فقال عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبى فقال انوك حذافة ثم اكثرا يقولون فبرك عمر على ركبته فقال رضىنا بالله ربنا و الاسلام ديننا و محمد نبيا فبكتم قال عرضت على الجنتي والذراقة انى عرض هذا الخاطف فلم اركب يوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما صنعت بآبى فطأعتك منك امنت ان تكون أمك قارفت بعض ما تقرأف أهل الجاهلية فنفض وجهها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لوالأختى بعد أسود لاجل حقه زاد في رواية أخرى قال فتأد بذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤلن كما أخرجاه

البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتمكم الطاعة فلا عنى لكم في التفريط (والله يعلم ما تبدون وما كنتمون) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفائكم (قل لا يستوى الخبيث والطيب) لما أخبر انه يعلم ما تبدون وما يكتنمون ذكره لانه لا يستوى خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيه اقب الخبيث أى الكافر ويثيب الطيب أى المسلم (ولو أعجبك كثرة الخبيث فائقوا الله) رآثروا الطيب وان قل دلى الخبيث وان كثروا قل هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورديهم (يا أولى الاباب) أى العقول الخالصة (المسلمون) كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء امحبا فانزل (يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤلن) (ان تبدلكن تسؤلن)

قال الخليل وسيلوه وجهه والبصر بين أصله شيئا مهمزتين بينهما ألف وهى فملاء من لفظ شئ وهمزتها الثانية لثابت ولذا لم تنصرف حكماء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استقلت الهمزان المجتمعتان قدمت الاولى على الثانية لى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها الجاء الشرطية والمعطوفة عليها أى قوله (ان تبدلكن تسؤلن) فى

والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرم كل ذلك لنا كيدهم قتل الصيد على الحرم واختلف العلماء هل يجوز للحرم أن يأكل من لحم صيده صاده غيره فذهب قوم إلى أنه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثمة الليثي أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جارا وحشياً وهو بالابواء أو يودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال أنا لم زده عليك إلا أنا حرم أخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز للحرم أن يأكل لحم الصيد إذا لم يصد بنفسه ولا صيده ولا بإشارته ولا غان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبيرة وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن أبي قتادة الأنصاري قال كنت جالساً مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم عام الخديبية فأبصرنا جارا وحشياً وأمامه رجل يقول يا أيها النبي لا تأكلوا مما كان عليه من لحم صيده فابصرته فقلت فابصرته فقلت إلى الفرس فادرجته ثم ركب ونسيت السوط والريح فقلت لهم ناولوني السوط والريح قالوا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فأخذتهم ما هم ركبت فشددت على الحمار ففقره ثم جئت به وقد مات فوقوعا فيه يا كونه ثم انهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم فحنوا خبأت العصف فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأته عن ذلك فقال هل معكم من شيء؟ فقلت نعم فناولته العصف فأكل منها وهو محرم وزادني رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم تأمهي طعمة أطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فأكله وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها وأشار بها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها أخرجاه في الصحيحين وأجاب أصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثمة بأنه إنما رده النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ظن أنه إنما صيد لاجله والحرم لا يأكل ما صيد لاجله (واقفوا الله) يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله (الذي يتحشرون) يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (جعل الله الكعبة البيت الحرام) جعل بمعنى صبر وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سعى البيت كعبة لترى به وقيل لارتفاعه عن الأرض وسمى البيت الحرام لأن الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وهو حرم أن يصاد عنده وأن يختل خلاه وأن يضده شجرة وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لمصاح من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فقع مكة فقال إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمته إلى يوم القيامة لا يضده شجرة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختل خلاه ﴿ وقوله تعالى ﴾ (قياماً للناس) أصله قولاً لأنه سبب لقوام مصالح الناس في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم أما في أمر الدين فإنه به يقوم الحج ويتم المناسك وأما في أمر الدنيا فإنه يحيي إليه غرات كل شيء ويامنون فيه من النهب والغارة فالوقوف الرجل قاتل أبيه وأبنته في الحرم لم يجهه وأما في أمر الآخرة فإن البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعل تلك المناسك التي تقام عنده أسباباً للعلو والدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سبباً للحصول هذه الأشياء كانت سبباً لقيام الناس (والشهر الحرام) يعني وجعل الشهر الحرام قياماً للناس وأراد بالشهر الحرام الأشهر الحرم الاربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وربيع الفرد يعني وكذلك جعل الأشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضاً وغير بعضهم على بعض وكانوا إذا دخلت الأشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الأشهر الحرم فكانت سبباً لقيام مصالح الناس (وأهدى والقلائد) يعني وكذلك جعل الهدى والقلائد سبباً لقيام مصالح الناس وذلك أنهم كانوا يامنون بسوق الهدى إلى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك

(واقفوا الله) في الاصطيد
في الحرم أرفى الاحرام
(الذي اليه تحشرون)
تبعثون فيجزىكم على
أعمالكم (جعل الله
الكعبة) أي عبر البيت
الحرام بدل أو عطف بيان
(قياماً) مفعول ثان وأجعل
بمعنى خلق وقياماً حال
(لناس) أي اتعاشا لهم
في أمر دينهم ونهوا إلى
أغراضهم في معاشهم
ومعادهم بالتم لهم من أمر
محرم وعمرتهم وأنواع
منافعهم قيل لوتركه عما
لم ينظروا ولم يؤخروا
(والشهر الحرام) والشهر
الذي يؤدي فيه الحج وهو
ذو الحجة لأن في اختصاصه
من بين الأشهر بإقامة موسم
الحج فيه شأن قد علمه الله
أوأريد به جنس الأشهر
الحرم وهو رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم (وأهدى)
ما يهدي إلى مكة (والقلائد)
والقلاد منه خصوصاً وهو
البدن فالنواب فيه أكثر
وبهاء الحج معه أظهر

فوجب أن يكون هو المخبر بين أيها شاه وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة التخيير إلى حكيم لان الله تعالى قال يحكم به ذو اعدل منكم ومن قال ان كاهة وللترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وصدق به فان كان معصر اصام وقال مالك ان لم يخرج المثل من الذم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من الذم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة إلى ثمن من النعم وان شاء إلى الطعام فيصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة لانه يصرف بها وقوله تعالى (ليدوق وبال أمره) يعني جزاء ذنبه والو بال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره يقال رمى وبيل اذا كان فيه وخامة ونامى الله ذلك وبالا ان اخراج الجزاء قبل على النفس لان فيه تنقيصا للعالم وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس لان فيه إمساك البدن (عفا الله عما سلف) يعني قبل العزم (ومن عاد) يعني إلى قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) يعني في الآخرة والانتقام المبالغ في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع إيجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فاذا تكرروا الحرمان قتل الصيد تكرره الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس والشعبي وداود الظاهري أنه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل الحرمان صيد امتنع من اسئل هل قتل قبله شيئا من الصيد قال نعم لم يحكم عليه وبقاله اذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن علا ظهره وصدره ضرر باوكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد باطالقت (والله عز يزواتنقام) يعني ممن عصاه واذا أئلف الحرمان شيئا من الصيد الذي لا يمثل له من الذم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما وصدق به على محايج الحرمان ويصوم عن كل مد يوما وقوله تعالى (أحل لكم صيد البحر وطعامه) المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه للعبة والمأخضة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما ذفد البحر ورمى به إلى الساحل يروى ذلك عن أبي بكر وعمر وابن عمر وأبي بوب وقادة وقيل صيد البحر طر به وطعامه ما حبر يروى ذلك عن سعيد بن جبيرة وسعيد بن السبب والسدي وروى عن ابن عباس ومجاهد كاتفوا بين وجلة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف أجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بفريق سبب فيحل أو كاه وقال ابو حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب وماعدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالفدع والسرطان فلا يحل أكلهما وقال سفيان أرجو أن لا يكون السرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل أكله لا الحرمان وذهب جمهور العلماء إلى أنه من صيد البر وأنه لا يحل للمحرمان أكله في حال الاحرام فان أصاب جراد فعليه صدقة قال عمر في الجراد مرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا قال أحد يؤكل كل مافي البحر الا الضفدع والنماسة قال لان النماسة يفرس ويبأ كل الناس وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل مافي البحر وذهب جماعة إلى أن ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل مالا يؤكل نظيره في البر مثل كب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله وقوله تعالى (مناعا لكم ولا سيارة) يعني ينتفع به المتعممون والمسافرون فيتزودون منه وقوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادهم حرما) ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على الحرمان في ثلاثة مواضع من هذه السورة أحدها في أول السورة وهو قوله غدير محلي الصيد وأتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأتم حرم

والو بال المأكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء ثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه أخذنا وبلا أي قبلا شديدا والطعام الوبل الذي ينقل على المعدة فلا يسقر أعفا الله عما سلف لكم من الصيد قبل التحريم (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك لأجزاء (فينتقم الله منه) الجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه (والله عز يز) بإزام الاحكام (ذواتنقام) لمن جاوز حدود الاسلام (أحل لكم صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل ما كوله منه وهو السمك وحده (مناعا لكم) للسيارة) وللسافرين والمعنى أحل لكم طعامه فتمتعوا بها لتتناكم يا كاون طر يا لسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الخوت في مسيره إلى الخضر (وحرم عليكم صيد البر) ما صيد فيه وهو ما يفرخ

أوصفه لجزءه (يحكم به) بمثل ما قتل (ذو اعدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى بالصوره وأو بالصورة بلا معنى لان القيمة أريدت فيها المثل للصورة اجاعا فلم يبق غيرهما اذ لا عموم للمشترك فان قلت قوله من النعم ينافي تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خير بين أن يشتري مهاديا وطعاما (٥٢٧) أو يصوم كاختياره تعالى في الآية فكان من النعم صياما

للهدى المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاداه فقد جزي بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدى أو يكفر بالطعام أو الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة بخلافه اذا عدل الى النظر وجهه الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لانظيره نوم حينئذ ثم تخيير بين الطعام والصيام ففيه نبوة مما في الآية لا ترى الى قوله وكفارة طعام مسا كين أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سيلا الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الهاء في به أي يحكم به في حال الهدى (بالغ) الكعبة) صفة لها لان اضافته غير حقيقة ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فاما التصديق به فثبت وعند الشافعي رحمه الله في الحرم (أو

بالخلفاء بالقيمة والذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أن المائثة في الخلفة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك ومالا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد القتل اذ لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا النزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب أن يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حله الاعلى معنى واحدا وجب عنهما حقيقة المائثة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يمكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بها للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المائثة بالخلفة أن الصحابة حكموا في بلدان شتى وأثران مختلفة بالمثل من النعم حكموا في النعامة يبدنوه في لاساوى بدنة وحكموا في حمار الوحش بقره وهو لا يساوى بقره كذ في الضبع كبش فدل ذلك على أنهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبهاهم حيث الخلفة حكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الطبي شاة وفي الارنب سخل وفي الضب سخله وفي اليربوع جفرو ويحب في الجاء وكل ما عوبه وهدر كالغواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما واه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس انها حكموا في حمام الحرم بشاة وروى عن عمر انه قضى في الضبع كبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع ببقرة ﴿ وقوله تعالى (يحكم به ذو اعدل منكم) يعني يحكم الجزء في قتل الصيد رجلا من عادلان من أهل مائتهم ودينهم وينبغي أن يكونا فقيهيين فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال يمين بن مهران جاء أعرابي الى أبي بكر الصديق فقال اني أصبت من الصيد كذا وكذا فاسأل أبو بكر أي من النعم كب فقال الاعرابي اني أنيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذو اعدل منكم فتناورت صاحبي فاذا اتفقا على شيء أمرناك به ﴿ وقوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) يعني ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وتسميت الكعبة كعبة لان نفاها والعراب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أراد بالهدى كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعند هاملها لا يقع في الحرم وهو اراد بالبلوغ في ذبح الهدى بمكة يتصدق به على مسا كين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة انه أن يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة (أو كفارة طعام مسا كين أو عدل ذلك صياما) ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة الى أن مكة وفي هذه الآية للتخيير وقال أحمد وزفر من أصحاب أبي حنيفة انه الترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيد اله مثل فخير بين ثلاثة أشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مسا كين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدرهم طعاما ثم يتصدق به على مسا كين الحرم وان شاء صام عن كل مدم من الطعام يوما وقال أبو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن أحمد روايتان كقولين وأصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند أبي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا يقع فيه لاسا كين وذهب جمهور الفقهاء الى أن الخيار في تعيين أحد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه أحد هذه الثلاثة على التخيير

كفارة) معطوف على جزء (طعام) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام أو كفارة طعام على الاضافة مدني وشامي وهذه الاضافة لتبيين المضاف كأنه قيل أو كفارة من طعام (مسا كين) كما تقول خاتم فضة أي خاتم من فضة (أو عدل) وقرئ بكسر العين قال الفراء العدل ما عدل الشيء من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثل من جنسه ومنه عدل الحبل يقال عدس غلام عد غلامك بالسكس اذا كان من جنسه فان أر بدان قيمته كقيمة موله يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح (ذلك) اشارة الى الطعام (صياما) تمييز نحو الى مثله رجلا والخيار في ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين

ناله أيدىكم ورماحكم) وفيه يلو يتجره وهو من الله لاظهار ما علم من العبد على ما علم ما علم ومن الله يفيض اذ لا يحرم كل صيد وألبان الجنس (لعل الله من يخافه غيب) لعل الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان قبل وجوده أنه يوجد له شيء على عمله لا على علمه فيه (من اتى) فساد (بعد ذلك) الابتلاء (فله عذاب أليم) قال في قوله شيء من الصيد لعل الله

ليس من الفتنة العظام وتناه صفة لئى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) أى الصيد اذ القتل إنما يكون فيه (وأنتم حرم) أى محرمة - ون جمع حرام كروح في جمع راح في محل النصب على الحال من ضمير فاعل في تقتلوا (ومن قتلهم منكم متعمدا) حال من ضمير الفاعل أى ذاكر الاحرامه وأعلم أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فان قتله ناسيا للاحرامه أوردى صيد وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخفي وإنما شرط التعدد في الآية مع أن محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعدد فقد روى أنه عن طهم في عمره الحد البيه جرح وحش فحل عليه أبو اليسر قتله فقيل له أنك قتلت الصيد وأنت محرم فمنزلت لان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به لتغايل وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد وردت السنة بالخطأ (بخزء مثل ما قتل) كوفي أى فليجزه بما نزل

ما قتل من الصيد وهو قبة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهرى من النعم ما قفبه قيمة الصيد وبين أن يشتري بغيره ما فطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيرهما من شاء صام عن طعام كل مسكين يوم أو عنده تجدد لشافى رجه ما ناله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظيره من النعم فكما خر جزءا مثل على الاضافة غيرهم وأصله خزاء مثل ما قتل أى فعله أن يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول لعجب من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير في قتل اذ القتل يكون من النعم

فوله فاجتنبوه عائدا الى الرجس لانه اسم جامع لكل كانه قال ان هذه الاربع الاشياء كلها رجس فاجتنبوه
 (لعلمكم فلهون) يعني لكي تذكروا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى (انما
 يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) اختلقوا في سبب نزول هذه الآية فروى
 أبو يسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين انا في الخمر والميسر بيانا شافيا فزلت الآية التي في سورة البقرة
 يستلوك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية فدعى عمر فقُرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر
 بيانا شافيا فزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقدى عمر
 قُرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فزلت الآية التي في المائدة غابريد الشيطان أن
 يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم متنبهون فدعى عمر فقُرئت عليه فقال اتقوا
 اتقوا ما أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي يسرة هذه أصح وأخرجها أبو داود والنسائي وروى
 مصعب بن سعد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فداشعر بن اذولك قبل أن يحرم زاد حتى
 انشيدنا فتفاخرت الانصار وقرئ بش فقلت الانصار نحن أفضل منك فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير
 منكم فاخذ رجل من الانصار حلي جل فضرب به اذن سعد ففزع فأتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاخبره فزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الخمر والميسر يعني الخمر والميسر يعني الخمر والميسر
 الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شر بواحتي ثلوا وعبت بعضهم ببعض فلما صحو جعل الرجل يرى الاثر
 بوجهه ولحيته فيقول فل في هذا فلان اخي وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في
 هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم متنبهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى غابريد
 الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني الخمر والميسر يعني الخمر والميسر
 بالقداح وهو الميسر ويحس ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانهم زيل
 عقل شرابهم فابتكروا بالفحش ور بما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب إيقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها
 وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر فيده حتى ينال سلبا ينظر الى ماله
 في بدغيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر
 بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذه افيقيا يتعلق بأمر الدنيا وفيهما
 مفساد تتعلق بأمر الدين وهي قوله تعالى (وبعدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) لان شرب الخمر يشغل عن
 ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك لقمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم يجمع الخمر
 والميسر مع الاصاب والازلام في الآية الاولى ثم أفرد الخمر والميسر في هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين
 بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا المقصود تنهيه عن شرب الخمر والعب بالقمار وانما ضم الاصاب والازلام
 الى الخمر والميسر لئلا يكتنر الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهي عن شرب الخمر والميسر
 لا يجرم أفردهما بالذكري آخر الآية والله أعلم بقوله تعالى (فهل أنتم متنبهون) لفظة استفهام ومعناه الامر
 أي اتنبهوا وهذا من أبلغ ما ينهي به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر قبحهما بالمخاطبة كأنه قيل قد تلى
 عليكم ما فيه من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم متنبهون مع هذه الامور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم
 لم توعظوا ولم تنجزوا وفي هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام
 وعدد أنواع المفساد الحاصلة بهما وعب بالافلاح عند اجتماعهما وقال فهل أنتم متنبهون ومعناه الامر وقد
 صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجاه في الصحيحين
 وزاد الترمذي وأبو داود أسكر الفرق منه فله الكف منه حرام الفرق بالتحريك انا وسبع ستة عشر
 رطلان ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان

الحديث شارب الخمر كما بد
 الوثن وجعلها رجسا
 من عمل الشيطان ولا يأتي
 منه الا الشر البتة وأمر
 بالاجتناب وجعل الاجتناب
 من الفلاح واذا كان
 الاجتناب فلاحا كان
 الارتكاب خسارا (انما يريد
 الشيطان أن يوقع بينكم
 العداوة والبغضاء في الخمر
 والميسر) يصدقكم عن
 ذكر الله وعن الصلاة
 ذكر ما يتولد منها
 من الوبال وهو وقوع
 التعادى والتباض بين
 أصحاب الخمر والقمر وما
 يؤديان اليه من الصدق
 ذكر الله وعن مراعاة
 أوقات الصلاة وخص الصلاة
 من بين الذكريات زيادة رجتها
 كانه قال وعن الصلاة
 خصوصا وانما جاع الخمر
 والميسر مع الاصاب والازلام
 أولانم أفردهما آخر الان
 الخطاب مع المؤمنين وانما
 نهاهم عما كانوا يتعاطونه
 من شرب الخمر واللعب بالميسر
 وذكر الاصاب والازلام
 لئلا يكتنر الخمر والميسر
 واطهرا ان ذلك جميعا من
 أعمال أهل الشرك فكانه
 لا يباينة بين عابد الصنم
 وشارب الخمر والمقامر ثم
 أفردهما بالذكري ليعلم انهما
 المنصود بالذكري (فهل
 أنتم متنبهون) من أبلغ
 ما ينهي به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيه من أنواع الصوارف والازلام فهل أنتم مع هذه الصوارف متنبهون أم أنتم على ما كنتم

أيام يعني فعلية صيام ثلاثة أيام قال الشافعي إذا كان عند قوته وقوت عياله يومه وليته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالأطعام وإن لم يكن عند هذه القدر جازله الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام إذا لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فجعل من لازكاة عليه عادمًا وقال الحسن إذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلافوني وجوب اتباع في الصيام عن كفارة العيمن على قوانين أحدهما أنه يجب اتباع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وأحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب اتباع في كفارة العيمن فإن شاء تابع وإن شاء فرق والاتباع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي **المسئلة الثانية** **﴿** كلمة أول التخيير بين الأطعام والكسوة **﴾** المتفق فإن شاء أطعم وإن شاء كسا وإن شاء أعتق فبأيها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن العهدة **﴿** المسئلة الثالثة **﴾** لا يجوز صرف شيء من الكفارات إلا إلى مسلم حر محتاج فالوصف إلى الذمي أو عبد أو غني لا يجزى به وجوز أبو حنيفة صرفها إلى أهل الذمة واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز **﴿** المسئلة الرابعة **﴾** اختلفوا في تقديم الكفارة على الخنث فذهب قوم إلى جوازه لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكن كفر عن يمينه وليقلع الذي هو خيرا أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن إن أتتكم عن مسألة وكنت البهاوان أتتكم من غير مسألة أغنت عابها وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والأوزاعي والشافعي إلا أن الشافعي قال إن كفر بالصوم قبل الخنث لا يجوز لأنه بدني لا بما يجوز بالطعام والكسوة وأعتق وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الخنث **﴿** وقوله **﴾** (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره من الأطعام والكسوة أو التعتق أو الصوم عند العجز (كفارة أيمانكم إذا حلفتكم) يعني وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بمجرد العيمن إنما تجب بالخنث بعد العيمن وفيه إشارة إلى أن تقديم الكفارة على العيمن لا يجوز بل بعد العيمن وقبل الخنث كما تقدم (واحفظوا أيمانكم) يعني قللوا أيمانكم ففقه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر

(ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم إذا حلفتكم) وحنثتم فترك ذلك كراحت لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف وإنما يجزى التكفير قبل الخنث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تخشوا إذا لم يكن الخنث خيرا أو لا تحلفوا أصلا (كذلك) مثل ذلك البيان (بين الله أيمانكم وآياته) اعلام شريعته وأحكامه (علمكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه بإيمانكم بالدين آمنوا إنما الجر والميسر أي القمار (والانصاب) الاصنام لاها انصب فتعبد (والازلام) وهي القداح التي مررت (رجس) نجس أو خيث مستقذر (من عمل الشيطان) لأنه يعمل عليه فكان عمله والنجس في (فاجتنبوه) يرجع إلى الرجس أولى عمل الشيطان أولى المذكور أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال رجس

قليل الأيا حافظ ليمينه وصفه بأنه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الخنث إذا حلفتكم للتحاشي إلى التكفير وهذا إذا لم يحلف على ترك مذنب أو فعل مكروه فإن حلف على ذلك فلا فضل بل الأولى أن يحث نفسه ويكفر لما روي عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الله أن شاء الله لا حلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خيرا أخرجه في الصحيحين **﴿** قوله تعالى **﴾** (كذلك بين الله لكم آياته) يعني كما بين الله لكم كفارة أيمانكم إذا حلفتكم كذلك بين لكم جميع ما محتاجون إليه في أمر دينكم (علمكم تشكرون) يعني نعمه التي أنعم بها عليكم من بين الله وآياته ومعامل شريعته **﴿** قوله عز وجل **﴾** (يا أيها الذين آمنوا إنما الجر والميسر والانصاب والازلام رجس) لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا بطيبات ما أحل الله لكم وقوله وكأما رزقكم الله فلا طيبا وكانت الجر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله في هذه الآية أن الجر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات المحللات بل هي ممنوعة من جملة المحرمات والجر كل ما خمر العقل وغطاه الميسر والقمار وقد تقدم تفصيلهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا يصوبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وقد تقدم تفسير ذلك والرجس في اللغة الشيء الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) يعني من تزينه واغوائه ودعائه إياكم إليهم وليس المراد أنهما من عمل يديه (فاجتنبوه) يعني كونوا جانبا منه والضمير في

يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنتم (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تملكه من أهليكم) يعني من أقصد ذلك لان من الناس من يسرف في طعام أهله ومنهم من يقتري عليهم فأمر الله بالعدل في أداء الكفارة وقيل أراد بالوسط في القيمة فلا يكون غالياً من أعلى الوجود ولا خسيساً من أسفل الموجود بل الوسط في القيمة وقيل أراد بالوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله أوسط فهو أفضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطلعون أهليكم وأفضله (أو كسوتهم) هو معطوف على محل أوسط أي كما تطلعون المساكين من أوسط ما تطلعون أهليكم فكذا كفاهم من أوسط الكسوة (أو نحو برقة) يعني عتق رقبة والمراد جلة الشخص

فصل في حكم الآية وفيه مسائل **المسئلة الاولى** في بيان الكفارة وهي أربعة أنواع النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى أنه يطعم لكل مسكين مدين الطعام عبد النبي صلى الله عليه وسلم لم وهو رطل وثلاث باليغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والاعمام بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وروى عن عمرو بن عاصم أنه يطعم لكل مسكين مدين من رده ونصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة إن أطعم من الحنطة فنصف صاع وإن أطعم من غيرهما فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدين البر أو نصف صاع من غيره أمثل الخمر والشعير ومن شرط الاطعام غايك الطعام ليسا كين فلو عشاهاهم وغداهاهم لم يجز وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدرهم والدينار وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولاخراج الديني والخبر في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزة أبو حنيفة ولا يجوز صرف السكك الى مسكين واحد في عشرة أيام النوع الثاني من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم الى أنه يكسو كل مسكين ثوباً واحداً بما يقع عليه اسم الكسوة زار أو رداء أو قميص أو عمامة أو سراويل أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسو كل مسكين ما يجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوباً والامأة ثوبين درعاً وخماراً وقال أحد للرجل ثوباً وللأمة ثوبين درعاً وخماراً وهذا في ما يجزى في الصلاة وقال ابن عمر يجب قص زار ودرعاً وقال أبو موسى الأشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال إبراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالحنفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالاعمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة والاجماع يشترط أن تكون الرقبة سالمة الرقبة حتى لو اعتق في الكفارة مكاتباً أو أم ولد أو عبداً اشتراه بشرط العتق أو اشتريه فريه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى في اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة إذ لم يؤد من نجوم الكتابة شيئاً وجوزوا عتق القرية في الكفارة بشرط أن تكون الرقبة سالمة من كل عيب يضر بالعمه فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمي ولا الزمن ولا المجنون للطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذن والالفة لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمه وعند أبي حنيفة كل عيب يفوت جنساً من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع إحدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذن في الكفارة النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى (فمن لم يجد) يعني الكفارة (فصيام ثلاثة أيام) يعني فاذا لم يجد من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة

(اطعام عشرة مساكين) هو أن يعطيهم ويعشيم ويجوز أن يعطيهم بطريق التملك وهو لكل أحد نصف صاع من أرصاع من شعير أو صاع من تمر وعند الشافعي رحمه الله مدين لكل مسكين (من) أوسط ما تطلعون أهليكم أي غداً وعشاءً من براد الاوسع ثلاث مرات مع الايام والادنى مرة من تمر أو شعير (أو كسوتهم) عطف على اطعام أو على محل من أوسط ووجهه ان من أوسط بدل من اطعام والبدل هو النقص في الكلام وهي ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر رضي الله عنه ازار وقص ورداء (أو نحو برقة) مؤمنة أو كافرة لا طلاق النص وشرط الشافعي رحمه الله الايمان حلاً للطلاق على المقيد في كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب احدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة أيام) متتابعة لقراءة أبي وابن مسعود كذلك

أو ولا تسرفوا في تناول
الطيبات (إن الله لا يحب
المعتدين) حدوده (وكلا
مارزقكم الله - حلالا طيبا)
حلالا حلالا عارزقكم الله
(واتقوا الله) توكيد
للتوصية بما أمر به وزاده
توكيداً بقوله (الذي أنتم
بهمؤمنون) لأن الإيمان
به يوجب التقوى فما
أمر به وهى (لاؤاخذكم
الله بالغوفى أيانكم) الغوف
في الخمين الساقط الذي
لا يتعاق به حكم وهو أن
يحلف على شئ يرى أنه
كذلك وليس كاطن وكانوا
حلفوا على تحريم الطيبات
على ظن أنه قربة فلما
نزل تلك الآية قالوا
فكيف أياننا ففترت
وعند الشافعى رحمه الله
مايجرى على اللسان بلا
قصد (ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الإيمان) أى
بتعهدكم الإيمان وهو
توثيقها وبالتخفيف كوفى
غير حفص والعقد العزم
على الوطء وذالايه صورى
الماضى فلا كفارة فى
العموس وعند الشافعى
رحمه الله القصد بالقلب
وبين العموس مقصودة
فكانت معقودة فكانت
الكفارة فيها مشروعة
والعنى ولكن يؤاخذكم بما

أما أردنا إلا الخير فالرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لا تفسم عليكم حفافه ومواوأفطروا وقوموا وناموا فافى أقوم وناموا وأصوموا وأفطروا وكل اللحم والدم
وأتى النساء في رغب عن سنى فلس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام
والطيب وشهوات الدنيا فافى استأمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء
ولا تحمض الصوامع وإن سياحة أمتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد عباد الله ولا تتركوا به شيوا حرموا وعفروا
وأقيموا الصلاة وتوازوا كافة صوموا ورمضنا واستقيموا واستقم الله لكم فانه ما حكم كان قبلكم بالشد بد
شدوا على أنفسهم فشد الله عليهم فقلل بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا التحرموا طيبات ما حل الله لكم يعنى الطيبات الذبذبات التي تشتهى بالانفس وتغلب بها القلوب
من المطاعم الطيبة والمشارب الذبذبة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية أن شريعة به صلى الله عليه وسلم غير
ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا يذنب أن يحتجب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتدوا ولا تحريم
الطيبات المباحات فإن من اعتد سحرهم حتى أحله الله فقد كفر أترك لذات الدنيا وشهواتها لا انتطاع
الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضار بانفس ولا نفوت حق الغير ففضيلة لا منع منها لمأمورها
وقوله تعالى (ولا تعتدوا) يعنى ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تتجسسوا أنفسكم فسمى جب
الذا كبراعتداه وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات (إن الله لا يحب المعتدين) يعنى المجاوزين
الحلال الى الحرام وقوله تعالى (وكلا عارزقكم الله - حلالا طيبا) يعنى وكلا أيها المؤمنون من رزق الله
الذي رزقكم وأحله لكم المطاعم والمشارب قال عبد الله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب
ما غنى وأتمى فاما الجاهل كالطين والتراب وما لا يغذى فكرهه والاعلى وجهه تداوى وعن ابن عباس أن
رجلا فى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بارسل الله انى اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوى
فخرمت على اللحم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا التحرموا طيبات ما حل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين وكلا عارزقكم الله - حلالا طيبا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وله عن أنى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت نجس ففش منها فالت عاتمة ما كان الذراع أحب الى الرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن كان لا يحب اللحم الاغباء وكان يجهل اليه الذراع لانه لا يحلها اضحا أخرجه الترمذى وقوله
تعالى (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) هاتذا كيد للوصية بما أمر الله تعالى به وزاد التأكيده بقوله
الذي أنتم به مؤمنون لان الإيمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفى الآية
دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباداته تعالى لولم يتكفل بذلك لما قال وكلا
رزقكم الله واذن تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده
الله وتكفل به فانه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد وقوله تعالى (لاؤاخذكم الله بالغوفى أيانكم)
قال ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا التحرموا طيبات ما حل الله لكم قالوا بارسل الله كيف نصنع
بأيامنا انى حافظنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لاؤاخذكم الله
بالغوفى أيانكم وقد تقدم تفسير الغوفى الإيمان فى سورة البقرة وقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الإيمان) يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعهدتم وقصدتم به الخمين ومنه قول الفرزدق
ولست بماؤخذ بالغوفى قوله * اذالم تعمد عاقدا العزائم
وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذ احنتم حذفه لانه معلوم عند السامع (فكفارته)

وان فيهم تواضع واستكانة واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل على أن العلم أنفع من أهداءه الى الخبر وان كان علم القسيسين وكذا علم الآخرة وان كان في راهب والبلاء فمن الكبر وان كانت في نصراني (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وصفهم برقة القلوب واسمهم يكون عند استماع القرآن كما روى عن (٥١٩) النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقراها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة طه الى قوله له أناك حديث موسى فبكي النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مريم فقراها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرا سورة طه الى قوله له أناك حديث موسى فبكي النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع ثملى من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الا اناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء لحلفت أعينهم كما تنسب قفيض بانفسها الى تسيل من أجل البكاء ومن في معارفوا لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتداء وأنشأ من معرفة الحق ركان من أجله ومن في من الحق

رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها فسرته بذلك وأعطت الجارية بأرضاها كانت لها وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق بهلقة أو بعمانه دينار وكان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فاسل اليها بجميع الصداق على يد جارية بهلقة فلما جاءته بالدينارين وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقال ان الملك أمرني ان لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صفت محمد صلى الله عليه وسلم وأمنت به وحاجتي اليك ان تقر به مني السلام قالت نعم فقالت قد أمر الملك نساء أن يبعنن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا يتكره قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خيبر الى المدينة فدخلت في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية بالملك فدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني اباسفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ولما بلغ اباسفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدر أن نفو بعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه الى الذي صلى الله عليه وسلم ابنه أزهي في ستين رجلا من أصحابه وكتب اليه يارسول الله اني أشهد انك رسول الله صادق صادق وقد يبعثك وأبعت ان علك جعفر وأسمعت الله باب الماين وقد بعث اليك ابني أزهي وان شئت ان أتيت بنفسي فقلت والسلام عليك يارسول الله فبكوا في سفينتي أن تر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر خرجوا ووافي جعفر وأصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر ووافي مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكي القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله وان تجدن أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى وقد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل زلت في ثمانين رجلا ر بعين من نصارى نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية وربعين من أهل الشام وقال قتادة زلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق عاجاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقه فآمن الله عليهم بقوله وان تجدن أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورجالا وأهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الاعيان والاذعان للحق وقوله عز وجل (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) يعني واذا سمعوا القرآن الذي أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ترى أعينهم تفيض من الدمع) يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس يري يد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم قال فاز الواك يكون حتى فرغ جعفر من القراءة (مما عرفوا من الحق) يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق (يقولون) يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي (ر بنا آمننا) يعني بالقرآن وشهدنا أنه حق وصدق (فا كتبنا مع الشاهدين) يعني مع أمة محمد صلى

لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وأولئك بعضهم على أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالنبوة (يقولون) حال من ضمير المفاعل في عرفوا (ر بنا آمننا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول فيه (فا كتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم الشهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك

على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان
 امت رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وتبعوه فان قلت كفر النصارى أشد واغلب من كفر اليهود
 وأصح فان النصارى ينادون في الاطليات فيدعون ان الله ولدوا له وادعوا بما ينادون في التواتر فيقرون
 ببعض النبيين ويشكرون بعضه، والاول اقيح فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم
 وليس مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود والذين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح
 النصارى الذين آمنوا منهم واختاف العلماء فيمن نزلت فيه هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة
 واسمه أسحمة وأصحابه الذين أسلموا معه

﴿ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية﴾
 قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله واتجدد أقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ان
 قر بشا انقرت ان يفتوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم فافتن
 من افتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعنه أبي طالب فلما رأى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه ولم يقدر أن يغمهم من المشركين ولم يؤمر به بالجهاد أمر أصحابه
 بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان هاهنا كمال الايذاء ولا يظلم عنده أحد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله
 لاسمائين فرجا فرج اليها أحد عشر رجلاً وأربع نسوة سراً وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو جندب بن عتبة
 وأما أنه سهل بن سهل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وزوجته أم سلمة بنت أمية
 وعثمان بن مظعون وعاصم بن ربيعة وأما أنه ليلى بنت أبي خزيمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا
 الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار الى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي
 صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتابع المسلمون فكان جمع من
 هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وعشرين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قر يش بذلك
 وجهو عمرو بن العاص وجعاه بهدايا الى النجاشي ر بطارقه ليردهم اليهم فدخل اليه عمر وقال له أيها
 الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قر يش واحداً لما وزعم انه نبي وأنه قد بعث اليك برهط من أصحابه
 ليفسدوا عليك قومك فاحبنا ان تأتكم ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى
 نسألهم فامرهم فاحضروا فلما أنوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذوا لهم فرحبا بأولياء الله
 فلما دخلوا عابيه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى انا قد صدقناك انهم لم يحويوك بتحتيتي التي
 تحياهم فقال لهم الملك ما منكم ان تحيوني فقالوا له انا حينئذ بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال
 لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله
 وروح منه أنفاها الى مريم العذراء و يقول في مريم انها العذراء البتول قال فأخذ النجاشي عوداً من الارض
 وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكبره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل
 تعرفون شيئاً أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قيسون ورفبان
 وسائر النصارى ففرغوا فقرأ فاتحدت دموعهم بماء فوامن الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قيسين
 ورفبان وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجمعهم وأصحابه اذهبوا فاتم سيوم براضى يعني
 أنكم آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخيبر دار وخبر جوار الى ان هاجر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان
 وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل النجاشي جارية يقال لها برهة الى أم حبيبة يخبرها أن

مالملككم ضرر ولا نفعاً) هو عيسى عليه السلام أى شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى النفس والأموال
ولأن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان وسعة الخلق لأن كل ما يستطیع البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى فسكانه لملك
منه شيئاً وهذا دليل قاطع على أن مره مناف لا ربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرراً ولا نفعاً ووصفه الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج
مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعاقباً بعدون أى أنشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه ويعلم ما تفتقدونه
(قل يا أهل الكتاب لا تغالوا فى دينكم) (٥١٦) الغلو مجاوزة الحد فغلو النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية وغلو

اليهود وضعه عن استحقاق النبوة (غير الحق) صفة المصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا (ولاتبغوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) أى أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا الحدى حتى جعلوه الهة) وكلاهما لوين مذموم (ولاتبغوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) (الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى فى القرآن إلا ذممه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الذم لأنه لا يقال فلان بهوى الخير إنما يقال فلان يحب الخير ويرى به وبالخطاب فى قوله ولاتبغوا أهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو نوعان اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة بأهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى أنهم كانوا على ضلالة (وأضلوا كثيراً) يعنى من اتبعهم على ضلالهم وأهوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) يعنى وأخطوا عن قصد طريق الحق ﴿قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود﴾ قال أكثر المفسرين هم أصحاب السبت لما اعتدوا فى السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم اغنهم واجعلهم قردة فسحقوا فردة وستأتى قصته فى سورة الاعراف (وعيسى ابن مريم) يعنى وعلى لسان عيسى ابن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لمأأ كما وهماوا وخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم اغنهم واجعلهم خنازير فسحقوا خنازير وستأتى قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بأبائهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بانهم ملعونون على ألسنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشر بأحمد صلى الله عليه وسلم ولعنانه بكفره (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يعنى ذلك اللعن بسبب عصيتهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) أى لا نهى بعضهم بعضاً عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن لاصرار عليه (لبش ما كانوا يفعلون) اللام فى لبش أى القسم أى اقسام لبش ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا انت الذى وعدت ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنع ذلك أن يكون أكيه وشر بيعة وقعيد ففعلوا ذلك ضرب الله

(ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ذلك اللعن بعصيتهم واعتدائهم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهون) لا ينهى بعضهم بعضاً (عن منكر فعلوه) من قبح فعلوه حتى وصف المنكر بفعله ولا يكون النهى بعد الفعل انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه وأعن منكر أرادوا فعله والمراد بالنبهون عن منكر فعلوه لانه لا يصرون عليه بمقال تناهى عن الامر واتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤ كذا ذلك بالقسم بقوله (لبش ما كانوا يفعلون) وفيه دليل على أن ترك النهى عن المنكر من العظام فاحسره على المسلمين فى اعراضهم عنه

(وَمَنْ الْإِلَهِ الْوَاحِدُ) لِلْإِسْتِفْرَاقِ أَيْ وَمَا هَلْ قُطِيَ الْوُجُودُ إِلَّا بِالْمَوْصُوفِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَفِي قَوْلِهِ (وَأَنْ لَمْ يَتَّبِعُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) الْبَيَانُ كَالَّذِي فِي فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَلَمْ يَقْلُ لَيْسَ مِنْهُمْ لِأَنَّ قَائِمَةَ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْخَصَرِ تَكْرِيرُ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمُ بِالْكَفَرِ وَالتَّبَعِيضُ أَيْ لَيْسَ الَّذِينَ يَقُولُوا عَلَى

(٥١٥)

(عَذَابِ أَلِيمٍ) نَوْعٌ شَدِيدٌ
الْأَلَمِ الْعَذَابِ (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ) وَيَسْتَغْفِرُونَ (وَأَلَا يَتُوبُونَ) بَعْدَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ الْمَكْرُورَةِ عَلَيْهِمُ بِالْكَفَرِ وَهَذَا الْوَعْدُ الشَّدِيدُ مَعَهُمْ عَلَيْهِ وَفِيهِ تَعْجِيبٌ مِنْ أَسْرَارِهِمْ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يَغْفِرُ لِهَوَاهُ
أَنْ تَابُوا وَافْتَرَاهُمْ (مَا لَمْ يَسْجُ) ابْنُ مَرْيَمَ (الْأَرْسُولُ) فِيهِ نَقِيَّةُ الْإِلَهِيَّةِ عَنْهُ (فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) صَفَرُ رَسُولٍ أَيْ مَا هُوَ الْإَرْسُولُ مِنْ جِنْسِ الرُّسُلِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَابْرَؤُهُ الْأَكْهَ وَالْإِبْرَصَ وَاحْيَاؤُهُ الْمَوْتِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْهَابِلُ إِلَهُ أَبْرَأُ الْأَكْهَ وَالْإِبْرَصَ وَأَحْيَا الْمَوْتِ عَلَى يَدِهِ كَمَا أَحْيَا الْعَصَا وَجَعَلَهَا حَيَّةً نَسَى عَلَى يَدِهِ مَوْتِي وَحَاقَهُ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ آدَمَ (وَأَمَهُ صَدِيقَةٌ) أَيْ وَمَوَاهُ أَيْضًا إِلَّا كَبَعْضِ النِّسَاءِ الْمَصْدَقَاتِ لِلْأَنْدَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ بِهِمْ وَوَقَعَ اسْمُ الصَّدِيقَةِ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَتْهُمُ أَعْدَهُمَا عَمَّا نَسَبَ إِلَيْهَا

الواحدى ولا يكفر من يقول ان لله ثلاث ثلاثة ولم يرد به انه ثاث ثلاثة آله لانه ما من اثنين الا والله ثلاثهما بالعموم يدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة لما يكون من نجوى ثلاثة لاهور ابراهيم ولهم ولا خمسة لاهور ادمهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يكر ما نكثت باثنين الله تعالى ما واو اطربى الثانى ان المتكلمين حكاو عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة اقانيم أب وابن وروح اقدس وهذه الثلاثة الواحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشمع والحرار فوعوا بالآب الذات والابن السكينة والروح الحياة واثبتوا الذات والسكينة والحياة وقالوا ان السكينة التي هي كلام الله اختلطت بمجسد عيسى احتلاط الماء بالابن وزعموا ان الاب والابن والروح والهوا السكل الواحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا عقلة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا أخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى منذهبهم وان لم يصحروا به واحد من ثلاثة آله فذلك لازم لهم وانما يعتنقون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم له فقد جعلوه ثلث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو الواحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فذهبوا بفساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى (وَمَنْ إِلَهِ إِلَّا هُوَ) يعنى انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك له ولا ولد له ولا ولادة له ولا صاحبة له الا الله تعالى (وَأَنْ لَمْ يَتَّبِعُوا عَمَّا يَقُولُونَ) يعنى وان لم يمتنعوا نصارى عن هذه المقالة الخبيثة (لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ) يعنى لايصيب الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الدين الذي ليس يرضى عذاب وجيع في الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيؤم من ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ) يعنى من قولهم بالتثنية (وَيَسْتَغْفِرُونَ) وهذا استفهام بمعنى الامر اى توبوا الى الله واستغفروا من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب (وَأَن تَغْفِرُوا) يعنى لمن استغفروا وتاب اليه (رَحِيمٌ) به وبسائر خلقه ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا لَمْ يَسْجُ) ابْنُ مَرْيَمَ الْإَرْسُولُ قَدْ دَخَلَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يعنى المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما كان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آله وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما أن الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم (وَأَمَهُ صَدِيقَةٌ) يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات ربها وكتبه ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى (كَانَ يَكْلَانِ الطَّعَامَ)﴾ فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وأمه مريم كانا بشرين باكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون الهان يحتاج الى الطعام ولا يعيش الابن وقيل معناه انه لو كان الهما كما يزعمون ادفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الهما وقيل هذا كناية عن الحديث وذلك ان كل من أكل كل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الهما بالجملة فان فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج الى إقامة دلائل عليه ثم قال تعالى (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى انظر يا محمد (كيف نبين لهم الآيات) يعنى الدالة على بطلان قولهم (ثم انظر انى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اى قل

بقوله (كَانَا يَكْلَانِ الطَّعَامَ) لان من احتاج الى الاعتناء بالطعام وما يتبعه من الحصى والنقص لم يكن الاجسام كما من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام (انظر كيف نبين لهم الآيات) اى الاعلام من الدالة الظاهرة على بطلان قولهم (ثم انظر انى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق ونامه بعد هذا البيان وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وقال يقتلون بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظا عاقلقتل وتذبحوا على ان القتل من شأنهم واتصبر بقاقر يقاقل انه مفعول كذبوا يقتلون وقيل التذكيب مسترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى (وحسبوا ان لا تكون) حزة وعلى وأبو عمرو على أن تخففة من النقلة أصله لا تكون تخففت ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسب انهم اقوته في صدورهم منزلة العلم فلقد دخر فعل الحبان على ان لتي هي للتحقيق (فتنة) بلاء وعذاب أي وحسب بنو اسرائيل اسم لا يصيبهم من الله عذاب فقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد ما يشتمل (٥١٤) عليه صلة ان ون من المسند والمسد اليه مسد فمفعول حسب (فعموا وصدوا)

وكان فمبن قتلوا زكريا ويحيى عليهم السلام وانما فعلوا ذلك تقضا لليثاق وسجاءة على الله عز وجل وتخفاة لاسره (فقط) قوله تعالى (وحسبوا) يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء (أن لا تكون فتنة) يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وانما حمله على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعه يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يتلون بها وقيل انما قد، وعلى ذلك الاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة (فعموا وصدوا) يعني أنهم هم وعوام الخلق فلم يصروا وصدوا عنه فلم يسعوه وهذا المعنى هو كناية عن عني البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا المعنى والصمم عبادتهم الجبل في زمن موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) يعني انهم تابوا من عبادتهم الجبل تاب الله عليهم (ثم عموا وصدوا) يعني في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان المعنى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني بعتة عيسى عليه السلام ثم عموا وصدوا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (كثير منهم) بن اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه (والله بصير بما يعملون) يعني من قتل الانبياء وتكذيب الرسل (فقط) قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) لما حكى الله عن اليهود ما حكمه من تقصيرهم في اتيان وقتل الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول يعقوبية والمساكنية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولا نهم يقولون ان الاله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله في ذكركم) يعني وقد كان المسيح قال هذا النبي اسرائيل عديبه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحق القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرب اليه بالروية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه (وماواه النار) يعني انه يصير الى النار في الآخرة (وما للظالمين) يعني والمالشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك (من انصار) يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويعيرونهم من العذاب يوم القيامة (فقط) قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وهذا قول المرقسية والنسطورية من النصارى وتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول كثير المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله وبين ذلك قوله تعالى للسبح أنت قلت للناس اتخذوني وأعي الهين من دون الله قفوله ثالث ثلاثة فيه اضمار قد برة ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال

فلم يعملوا بآراء أو لا بما سمعوا أو فمعا من الرشد وصدوا عن الوعظ (ثم تاب الله عليهم) رزقهم التوبة (ثم عموا وصدوا) كثير منهم (هو يدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أي وأنتك كثير منهم) (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم بحسب أعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقاد المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله في ذكركم بفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب ليكون حجة على النصارى (انه من يشرك بالله في عبادته غير الله) فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه (وماواه النار) أي مرجعه (وما للظالمين) أي الكافرين (من انصار) وهو من كلام الله تعالى

أومن كلام عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) أي ثالث ثلاثة آلهة والاشكال الواحد ان الله تعالى قال في الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه هو الله لان الله بما يتجلى في بعض الامران في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا تقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله ٣ قوله ما يشتمل عليه صلة أن أي وما تشتمل عليه صلتها ١٥

(حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) يعني القرآن (وليزبدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) إضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسييب (فلأناس على القوم الكافرين) فلا تأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك (إن الذين آمنوا) بالسنتهم وهم المذققون ودل عليه قوله لا يحجزك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا فوافواهم ولم يؤمن بقلوبهم (والذين هادوا والصابئون والنصارى) قال سيبويه وجيع البصريين ارتفع الصابئون بالابتداء وخبره محذوف والنيبة التأخير عما في حيزان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى (٥١٣) (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل

صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله

فمن بك أمسى بلدي بئر رحله

فانى وقياربها افرىب

أى فانى افرىب وقيارب

كذلك ودل اللام على انه

خبران ولا يرتفع بالعلف

على محل ان واسمه الا ذالا

يصح قبل الفراغ من الخبر

لا نقول ان زيدا وعمرو

منطلقان وانما يجوز ان زيدا

منطلق وعمرو والصابئون

مع خبره المحذوف جملة

معطوفة على جملة قوله ان

الذين آمنوا الى آخره ولا

محل لها كلالا لمثل للتي عطف

عليها وفائدة التقديم

التذية على أن الصابئين

وهم أئيين هؤلاء المعدودين

ضللا وأشد هم غيا يتاب

عليهم ان صح منهم الايمان

فالظن بغيره ومحل من

آمن الرفع على الابتداء

والهدى ولا تؤمن لك ولا تنبئك فأنزل الله قل بأهل الكتاب اسم على شئ (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) الآية وقد تقدم معنى إقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها وما هو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم (وليزبدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) وقوله تعالى (فلأناس على القوم الكافرين) يعني فلا تحجزكم الذين يسارعون في الكفر من هؤلاء الذين سجدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل أهل المال وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا رضاه الله ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين وكذا قراءة أنى بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع ومنه ذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كما نه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك حذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا أتوا بالعمل الصالح قبل الله بتهمت حتى الصابئون فانهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وانما سمو صابئين لانهم صبوا عن الاديان كما يعنى خروج الانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولهم يتبعوا ما جاء به الرسل من عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في أول الآية ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فافائدة هذا التكرار قلت فائدة ان المذققين كانوا يظهرون الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون في هذا التكرار اخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أى بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من آمن يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهي ان الايمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التذية على أن اشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله (من آمن بالله) حذف تقديره من آمن بالله (واليوم الآخر) منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل صالحا) يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى راد به وجه الله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى في الآخرة قوله عز وجل (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) يعنى أخذنا العهد وعليهم في التوراة ان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بمأمرناهم وبالاتقاء عما نهيناهم عنه (وأرسلنا اليهم رسلا) يعنى لبيان الشرائع والاحكام (كلما جاءهم رسول بما لا يؤهى أنفسهم) يعنى بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع (فريقا كذبوا) يعنى من الرسل الذين جاءتهم (وفر يقايتلون) يعنى من الرسل فكانا فمعين كذبوا بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم

(٦٥ - خازن - اول) وخبره فلا خوف عليهم والقائه تضمن من المبتداء معنى الشرط ثم الجملة كآهى خبران والراجع

الى اسم ان محذوف تقديره من آمن منهم (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) بالتوحيد (وأرسلنا اليهم رسلا) ليقفوه على ما يانون وما يشرون

في دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أى رسول منهم (بما لا يؤهى أنفسهم) بما يخالف أهواءهم

ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع وجواب الشرط محذوف دل عليه (فريقا كذبوا) كانه قيل كلما

جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل بقه اولاهم سلمه

اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك بجهره ولا تراقب أحد ولا تترك شيئاً مما أنزل إليك من ربك وان أخفيت شيئاً من ذلك في وقت من الأوقات فما بلغت رسالته وهو قوله تعالى (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وقرأ في رسالته قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبليغ رسالتي يعني أنه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئاً مما أنزل الله إليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم شيئاً مما أوحى إليه ربه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أنزل إليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى (والله يصمكم من الناس) يعني يحفظك يا محمد ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت ليس قد شج رأسه وكسرت رعايته يوم أحد وقد أذى بضروب من الأذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يصمكم من الناس قلت المراد ما أنه يصمهم من القتل فلا يقدر عليه أحد أراد به القتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه زاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجر فلعن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل معه فادركتهم القاتلة في واد كبير الأعضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمناعه نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا نعدها عرابي فقال ان هذا اخترط على سببي وأنا تأمنا فاستيقظ وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثاً ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنعما رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرفاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخرطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في روايته ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال لبيت رجله صاحباً من أصحابي بحرسني الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنت أحرسه فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزل والله يصمكم من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزالت به ما شج رأسه في يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً لقوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشدين حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل ويحمد ما جئت به من عند الله ولم يثبت على أمر الله وطاعته فبإفرض عليه وأوجب الله قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب اسمعوا لعلكم تحذرون) يعني قل يا محمد طوبى لليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام بامعشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى عليه السلام بالنصارى فانكم أحدتكم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصنف رافع بن حرملة وقالوا يا محمد أنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ونؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدتكم وحدثتم وحدثتم ما فيها مما أخذناكم من الميثاق وكهنتهم منها ما أمرتم ان تبينوه للناس فابروى من أحدناكم قالوا فاننا نأخذ بما في أيدينا فأنعنا على الحق

مدني وشامى وأبو بكر رأى فلم تبليغ اذا ما كانت من أداء الرسالة ولم تؤد منه شيئاً قط وذلك ان بعضاً ليس بأولى بالأداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلمها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن قالت المصححة لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لعلامك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما كنته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل إليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبليغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبليغ الرسالة أصلاً وبلغ ما أنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة واهمة بان لم تنبع كنت كن لم يبلغ أصلاً وبلغ ذلك غير خائف أحد فان لم تبليغ على هذا الوصف فكأنك لم تبليغ الرسالة أصلاً قال مشجها له في التبليغ (والله يصمكم من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شج

في وجهه يوم أحد وكسرت رعايته وأزالت بعد ما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يكتمهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك (قل يا أهل الكتاب اسمعوا لعلكم تحذرون) على دين يعتد به حتى يسمي شيئاً لبطالانه

(و يسعون في الارض فسادا) ويجهدون في دفع الاسلام ومحذ كرا النبي عليه السلام من كتبهم (والله لا يحب المفسدين ولولأن أهل الكتاب آمنوا) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عدنا من سياستهم (٥١١) (واتقوا) أى وقروا إيمانهم

بالتقوى (لكفرنا عنهم سياستهم) ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنت النعيم) مع المسلمين (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) أى أقاموا أحكامها وحدودها وما فيها من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنزل اليهم من ربه) من سائر كتب الله لانهم مكافون الايمان بجميعها فكانها أنزل اليهم وقيل هو القرآن (لا كانوا من فوقهم) يعنى الثمار من فوق رؤسهم (ومن تحت أرجلهم) يعنى الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقه الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب السعة الرزق وخروجهم من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا بكم انه كان غفارا والآيات وأن لو استقاموا على الطريقة لاستبقناهم ما غدا (منهم أمة تقصدة) طائفة حالها أنهم في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة النؤمنة

عليهم الجوس وهم الفرس ثم أفسدوا وقالوا بالله مغالوة فيثبت الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كلما كروا مكرافى حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفاها الله تعالى وقال السدي كما أجعوا أمرهم على شئ ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما أوقدوا نارافى حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفاها الله تعالى بخدا نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه (ويسعون في الارض فسادا) يعنى ويجهدون في دفع الاسلام ومحذ كرا محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والخيال وليس يقدر على غير ذلك (والله لا يحب المفسدين) يعنى ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لانا في اليهود ببلدة الواجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه ﴿قوله تعالى (ولأن أهل الكتاب آمنوا) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقه فيما جاء به (واتقوا) يعنى اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سياستهم) يعنى لمؤاخذتهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله (ولادخلناهم جنت النعيم) يعنى مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) يعنى أقاموا أحكامها وحدودها وعملوا بما فيها من الوفاء بالله ودوا التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجودان فيها ما قلنا كيف أمر أهل الكتاب بأقامة التوراة والإنجيل مع انها مستحارة لا قلت انما أمرهم الله تعالى بأقامة ما فيها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن ﴿قوله تعالى (وما أنزل اليهم من ربه) فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب أنبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارمياوز بورداود وفي هذا الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد بأقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما أنزل اليهم من ربه هو القرآن لانهم ما مورو الايمان به فكانه نزل اليهم من ربه (لا كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعنى أن اليهود لما أصرواعلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالعطو والسدة حتى بلغوا الى حيث قالوا بيدة مغالوة فأكبر الله أنهم لو كروا اليهودية والكفر الذي هم عليه لا تقلبت تلك السدة بالخشب والسعة وهو قوله تعالى لا تكونوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه أنزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم (منهم أمة مقصدة) أى عادلة والاقتصاف في العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا (وكثير منهم) يعنى من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود (ساعة ما يعاون) يعنى يسس ما يعاون من أقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عمالوا بالبيع مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية روى عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذب به فأنزل هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد أن تتخذك حنانا كما اتخذت النصرارى وعيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره بان يقول لهم يا أهل الكتاب اسمعوا على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية في أمر الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الخت على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه

وهم عبد الله بن سلام وأصحابه وعائنه وأربعون من النصرارى (وكثير منهم ساعة ما يعاون) فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما أسوأ أعلمهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) جيع ما أنزل اليك وأي شئ أنزل اليك غير مرأى

مأولة كناية عن البخل أجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يدها مبسوطان أي ليس الأمر على ما وصفتموه
 من البخل بل هو جواد كريم على سبيل المثال فان من أعطى يديه فقد أعطى على أكل الوجوه والاشكال
 اثنان ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتذنية السيد نعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله
 تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واوجب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت
 كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لانهاية طامش لنعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن
 ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة ايجاب اصحاب القول الاول عن هذا
 بان قالوا ان الله تعالى أخبر عن آدم انه خائف يدي به ولو كان معنى خلقه لآدم بقدرته أو بنعمته أو بملكه لم يكن
 خصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه ومقتبلون في نعمه
 فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلت يدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه ونشر به على
 غيره ونقل الامام غفر الدين الرازي عن أبي الحسن الاشعري قولان ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى
 القدرة من شأنها التكوير على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خاني آدم بيديه
 على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له ولو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون آدم معطى بذلك لان
 ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوير على سبيل
 الاصطفاء هذا آخر كلامه واوجب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين
 أنواع كثيرة بان الاسم اذا نفي لا يؤدي في كلام العرب الا عن اثنين باعنيهما مدون الجمع ولا يؤدي عن
 الجنس أيضا قالوا وخاط في كلام العرب أن يقال ما كثر الدرهمين في أيدي الناس بمعنى ما كثر الدرهم
 في أيديهم لان الدرهم اذا نفي لا يؤدي في كلام العرب الا عن اثنين باعنيهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه
 كما تقول العرب ما كثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى ما كثر الدرهم في أيديهم لان الواحد يؤدي عن
 الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بحاله وانها ليست بجراحة كما تقول المجسمة
 تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (ينفق كيف يشاء) يعني انه تعالى برزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء
 ويقتر على من يشاء لاعتراض عليه في ملكه ولا فيما يقوله (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال يدا الله ملائ انفعيها نفقة سبحانه الليل والنهار أرايتم
 ما أنفق من خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء ويده الميزان يرفع ويخفض
 هذا الحديث أيضا أحد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كجاء من غير تشبيه ولا تكيف وقوله
 تعالى (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) يعني كما نازات عليك آية من القرآن
 كفرها وما فازدادوا شدة في كفرهم وطمعوا بغير طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل انما نهم على
 كفرهم زيادة منهم فيه (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) يعني القينا العداوة والبغضاء بين
 اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متبغضين الى يوم
 القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كاللكن كناية
 والتمطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك
 عيبا على اليهود والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي
 صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصل بينهم فحسن
 جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (كلما أوقدوا نار الحرب أطفاها الله) يعني كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله بيعت الله عليهم من هلكهم
 أفسدوا فبعت الله عليهم يختصر البابلي ثم أفسدوا فبعت الله عليهم طيطوس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله

(ينفق كيف يشاء) تأكيد
 لا وصف بالسخاء ودلالة
 على أنه لا ينفق الا على
 مقتضى الحكمة (وليزيدن
 كثيرا منهم) من اليهود
 (ما أنزل اليك من ربك
 طغيانا وكفرا) أي يزيدون
 عند نزول القرآن
 لحسدكم تماديا في الجور
 وكفرا بايات الله وهذا
 من اضافة الفعل الى السبب
 كما قال فرادتهم رجسا الى
 رجسهم وألقينا بينهم العداوة
 والبغضاء الى يوم القيامة
 فكلامهم أبدا مختلفة
 وقولهم شتى لا يقع بينهم
 اتفاق ولا تعاضد (كلما
 أوقدوا نار الحرب
 أطفاها الله) كلما أرادوا
 محاربة أحد غلبوا وقهروا
 لم يهزمهم نصر من الله على
 أحد قط وقد أناهم الاسلام
 وهم في ذلك الجور وقيل
 كلما حاربوا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم نصر
 عليهم عن قتادة لاتاقى يهوديا
 في بلد الاوقد وجدته من
 أذل الناس

عن قولهم الامموا كلهم السحت لبس ما كانوا يصنعون) هذا من العلماء والاول (٥٠٩) للامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي أشد

آية في القرآن حيث أنزل
تارك النهي عن المنكر منزلة
من تكب المنكر في الوعيد
(وقالت اليهود بد الله
مغلولة غلت أيديهم ولعنوا
عاقوا بل بداهه مبسوطان)
روى ان اليهود لعنهم الله
لما كذبوا محمد عليه
السلام كف الله مابسط
عليه من السعة وكانوا من
كثير الناس ما لا يفند ذلك
قال فخص بد الله مغلولة
ورضى بقوله الآخر ون
فاشركوا فيه وغل اليه
وبسطه مجاز عن البخل
والجود ومنه قوله تعالى ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط ولا
يقصد المتكلم به اثبات يد
ولا غل ولا بسط حتى انه
يستعمل في مك يعطى ومنع
بالاشارة من غير استعمال
اليه دلوا على الاقطع الى
المنك عطاء جز لا لقوا ما
أبسط يده بالتوا وقد استعمل

(عن قولهم الامم) يعني السكتب (وأكلهم السحت) والمعنى هلاهمى الاحبار والرهبان اليهود وعن
قولهم الامم وأكلهم السحت (لبس ما كانوا يصنعون) يعني الاحبار والرهبان اذ لم يزلوا غيرهم عن المعاصي
وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة من تركه لان الله تعالى ذم القر يمين في هذه الآية قال ابن
عباس ما في القرآن أشد تو بيخامن هذه الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها ﴿ قوله
عز وجل (وقالت اليهود بد الله مغلولة) نزلت هذه الآية في فخصاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان
قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالاً وأصابعهم ناحية فله اعصوا الله ومحمد ادعى الله عليه وسلم
وكنوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فخصاص بد الله مغلولة يعني محبوسه مقبوضة
عن الرزق والبدل والعطاء ففسدوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وما قال
هذه المقالة الخبيثة فخصاص ولم يهنه بقية اليهود ورضوا بقوله لاجرم ان الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة
فقال تعالى اخبار عنهم وقالت اليهود بد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وفي معنى بد الله مكفوفة عن
عذابنا فلا يس بعدنا بالقدرة ما يربيه قسمه وذلك قدر ما بدنا بالبخل والجل والاول اصح افعوله تعالى
ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليدو بسطه مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى انبيى صلى الله عليه
وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسببان اليدالة لكل الاعمال لاسيما دفع
المال وانفاقه وامسا كفا طلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقبل
للجود الكرم فيض اليد وبسط اليد وقيل للبخل مقبوض اليد ﴿ وقوله تعالى (غلت أيديهم واعنوا
بما قالوا) يعني أمسكت أيديهم عن كل خير وطر دواعي رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد
الكرم وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة المسكوة وقيل هذا دعاء على اليهود لعن الله كيف ندعو عليهم
فقال غلت أيديهم أى في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أى شددت أيديهم الى أعناقهم وطر حوافي
النار جازأهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عن بسبب ما قالوا في لعنتهم أنهم مسخوفا في الدنيا فردة
وخنازير ورضيت عليهم الفلذة والمسكنة والحزب في الآية لهم عذاب النار ﴿ وقوله تعالى (بل بداه
مبسوطان) يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ودور عليهم ما افتروه واختلقوه
على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما أجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد
اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما هو مذهب جمهور السلف وعلماء أهل السنة وبعض المتكلمين
ان بد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونحوها كما جاءت
في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه
وسلم عن بين الرحمن وكتابه يدين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فانهم قالوا اليد
تذكر في اللغة على وجه أحدھا الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال فلان عندي بد شكره عليها
وثالثها القدرة قال الله تعالى أولى الايدي والاصا فسرده بذوى القوى والمعقول ويقال لا بد لك بهذا الامر
والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيقة يد فلان أى في ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده
عقدة السمك أى يملك ذلك أما الجارحة فتنتفية في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يتمتع أن تكون
بد الله عبارة عن جسم مخصوص وعوض مركب من الاجزاء والابعض تعالى الله عن الجسمية والكمية
والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك أن تكون بد الله بمعنى الجارحة وامامنا المعاني التي فسرمت اليدها
خاصة لأن أكثر العلماء من المتكلمين زعموا أن اليد حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة
وهذا اشكالان أحدهما أن اليد اذا فسرمت بمعنى القدرة فقدر الله واحدة ونص القرآن ناطق بآيات
اليدين في قوله تعالى بل بداهه مبسوطان وأجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعوا قلوبهم بد الله

مفردة في بد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على اثبات غاية السخا له وفي البخل عنده فاية ما بد الله السخي أن يعطيه يديه

(من اعنائه) شرعوبة في الحق. فمن أهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى التقديس أي الايمان أي بشرمائه من ايماننا واثابنا
جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله وأقبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من اعنائه (وغضب عليه وجعل منهم القردة) يعني أصحاب
السبت (والخنازير) أي كفار (٥٠٨) أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كالأسمخين من أصحاب السبت فشبناهم مسخوفاً وقد مشاينهم

* تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل
ذلك الدين منوبة فإن قلت هذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشرك لانه تعالى قال بشر
من ذلك ومنه لم ان الامر ليس كذلك فاجابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم
فان اليهود حذكو. واثاب ان اعتقاد ذلك الدين شرك قال لهم هب ان لا شرك كذلك لكن من اعنائه الله وغضب عليه
ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى (من لعنائه الله) معناه هل أنبئكم بمن لعن الله وهو من لعنائه الله
ومعنى لعنائه الله بعده وطرده عن رحمة (وغضب عليه) يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة
(وجعل منهم القردة والخنازير) يعني من اليهود من اعنائه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير
قال ابن عباس ان المسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبناهم مسخوفاً وقد مشاينهم مسخوفاً وخنازير
وقيل ان مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول
المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا خوان القردة
والخنازير وارفضوا بذلك (وعبد الطاغوت) يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان
فيما سول له الطاغوت والشيطان وقيل هو الجمل وقيل هو الكهان والاحبار وجاهة ان كل من أطاع
أحد في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أو تلك) يعني الملعونين والمغضوب عليهم والمسوخين
(شركنا) يعني من غيرهم ونسب الشر الى المسكان والمراد به أهله فهم من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم
سقر ولا مكان أشد شرا منه (وأضل عن سواء السبيل) يعني وأخطأ عن صمد طريق الحق وقوله تعالى
(واذا جاؤكم قالوا آمنا) قال قتادة نزلت في ناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بصلاتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرون الايمان وهم
في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به) يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كمكذبين كافرين لم يتعاقبوا بقولهم شيء من الايمان فهم كافرون
في حالي الدخول والخروج (والله أعلم بما كانوا يكتمون) يعني من الكفر الذي في قلوبهم وقوله
عز وجل (وترى كثير منهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يمتد كثير من اليهود وكما
يحتمل أن تكون للتبعيض وأما ان هذه الافعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلذلك قال
تعالى وترى كثير منهم (يسارعون) المسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة إنما تستعمل
في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات رخصها المحلة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة
المسارعة في قوله يسارعون في الآثم والعدوان وأكلهم السحت) لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه
المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان وأكل السحت
فلهذا ذكر الله العدوان وأكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان
ما زادوا فيها والسحت هو الرشا وما كانوا ياكلونه من غير وجهه (لبئس ما كانوا يعملون) يعني لبئس
العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعونهم الى الآثم والعدوان وأكلهم السحت وقوله تعالى (لولا)
يعني هلا هي ههنا بمعنى التحضيض والتوبيخ (ينهاهم الربانيون والاحبار) قال الحسن الربانيون
علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم

مسخوفاً وخنازير (وعبد
الطاغوت) أي الجمل أو
الشيطان لان عبادتهم الجمل
يتزين الشيطان وهو غافل
في صلة من كانه قول من عبد
الطاغوت وعبد الطاغوت
حزاة جهلها موضوعا
للباغية كقولهم رجل حذر
وفطن للباغ في الحذر
والفطنة وهو معطوف على
القردة والخنازير رأى جعل
الله منهم عبد الطاغوت
(أو تلك) المسوخون
الملعونون (شركنا)
جعات الشرارة للكان وهي
لاله لا مبالغة (وأضل عن
سواء السبيل) عن قصد
الطريق الموصل الى الجنة
ونزل في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على النبي
صلى الله عليه وسلم
ويظهرون له الايمان نفقا
(واذا جاؤكم قالوا آمنا)
وقد دخلوا بالكفر وهم
قد خرجوا به الباء للحال
أي دخلوا كافرين وخرجوا
كافرين وتقديره ملتصقين
بالكفر وكذلك قد دخلوا
وهم قد خرجوا ولما دخلت
قد تقريرا لماضي من
الحال وهو متعاقب قالوا
آمنائى قالوا ذلك وهذه

حالم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من النفاق (وترى كثير منهم) من اليهود (يسارعون في الآثم)
الكذب (والعدوان) الظلم والاثم ما يخص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء عجزه بسرعة (وأكلهم
السحت) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئا عملوه (لولا) هلا وهو تحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار

وقال كفار بصري وعلى
عطف على الذين المجرورة
أى من الذين أتوا الكتاب
من قبلكم ومن الكفار
(أولياء) واقفوا الله في
والة الكفار (ان
كنتم مؤمنين) حقالان
الابمان حقاياي موالاة
أعداء الدين (واذا ناديت
الى الصلوة اتخذوها) أى
الصلوة أو المناداة (هزوا
واعبا ذلك بأنهم قوم
لا يعقلون) لان اعمهم
وهزوه من أفعال السفاهة
والجهالة فكانهم لا عقل لهم
وفيه دليل على ثبوت
الاذان بنص الكتاب
لا بالنام وحده (قل بأهل
الكتاب هل تنقمون منا
الآن آمنا بالله وما أنزل
اليانوا. أنزل من قبل)
يعنى هل تنعيون منا
وتنكرون الا الايمان بالله
وبالكتب المنزلة كلها
(وان أكثركم فاسقون)
وهو عطف على المجرورى
وماتنقمون منا الا الايمان
بالله وما أنزل وبأن أكثركم
فاسقون والمعنى أعادتمونا
لانا اعتقدنا توحيده الله
وصدق أنبيائه وفقكم
لخالفكم لنافى ذلك
ويجوز أن يكون الواو
بمعنى مع أى ماتنقمون
منا الا الايمان بالله مع انكم

قولاهم مع ذلك يظنون الكفر ويسرونه (من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود (والكفار)
يعنى عبدة الاصنام وانما فاصل بين أهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر
المشركين من عبدة الاصنام أعظم وأخشن من كفر أهل الكتاب (أولياء) يعنى لاتتخذوهم أولياء
والمعنى أن أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم بآء عشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أئتم أولياء
وأصارا (واقفوا الله ان كنتم مؤمنين) يعنى مؤمنين حقالان المؤمنين بأبى موالاة أعداء الله عز وجل
﴿ قوله تعالى (واذا ناديتهم الى الصلوة اتخذوها هزا وادعاء) قال السكيتي كان منادى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها فالت اليهود وقد قاموا الاقاموا صلوا ا صلوا يصحكون على
طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الآية وقال السدى نزات هذه الآية في رجل من النصارى كان بلمدينة فكان
اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول سرق الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة يناروه وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل ان الكفار
والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد اقدأ بدعت شيئا لم يسمع عنه فبما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعى النبوة فقد خانت الانبياء
قبلك ولو كان فيه خبر لكان أولى الناس بالانبياء من أين لك صياح كصياح العير فأتبع هذا الصوت
وما أسمع هذا الامر فانزل الله عز وجل ومن أحسن قولاهم من دعالى الله الآية وما أنزل واذا ناديتهم الى الصلوة
اتخذوها هزا وادعاء (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) يعنى ان هزوه وامهم من أفعال السفاهة والجهال الذين
لا عقل لهم ﴿ قوله تعالى (قل بأهل الكتاب) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد طؤلاء
اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزا وادعاء (هل تنقمون منا) يعنى هل تنكرونا منا وتعيبون
علينا (الآن آمنا بالله وما أنزل اليانوا ما أنزل من قبل) وهذا على سبيل التمجيد من فعل أهل الكتاب
والمعنى هل تنكرونا على الدين الا الايمان بالله وما أنزل اليانوا بما أنزل على جميع الانبياء من قبل وهذا
ليس بما تنكروا بغيره منه وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فولد من قراع الكتاب

يعنى أنه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن أبي رافع وعازر وازر بن أبي
ازار وأشيع فسالوا عن يؤمن به من الرسل فقال أومئى بالله وما أنزل اليانوا ما أنزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مساهون الآية فلما ذكر عيسى سجدوا ونوبوه وقالوا والله لانؤمن
بمن آمن به فانزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حطافا في الدنيا الا آخرتنا منكم ولا
ديننا شر من دينكم فانزل الله هذه الآية قل بأهل الكتاب هل تنقمون منا الآن آمنا بالله وما أنزل اليانوا
وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقموه علينا (وان أكثركم فاسقون) يعنى
انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم باننا على الحق بسبب فسقكم واقامتمكم على الدين الباطل لخب
الى ياسر وأخذ الاموال بالباطل وانما قال أكثركم لان الله علم ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله
﴿ قوله عز وجل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف ديننا شر من دينكم
والمعنى قل يا محمد طؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذى ذكرتم وتقمتم علينا من
ايماننا بالله وما أنزل علينا (مثنو به عند الله) يعنى جزاء فان قلت المثنو به مختصة بالاحسان لانها فى معنى
الثواب فكيف جاءت فى الاساءة قلت وضعت المثنو به موضع العقوبة على طريق العقوبة

فاسقون (قل هل أنبئكم بشر من ذلك منو به عند الله) أى نوابا وهو نصب على التخيير والمثنو به وان كانت مختصة بالاحسان ولكنها وضعت
موضع العقوبة كقولهم بشرهم بعذاب ألم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقبل لهم

(ذلك) اشارة الى ما وصف به النور من المحبة والثقة والعزة والمجاهدة واتفاء خوف اللومة (فضل الله يوتيهم من يشاء والله واسع) كثير القواضل (علم) بن هومن أهلها عقب النبي عن وال الا من تجب معاد انهم ذ كرم تجب موالاتهم بقوله (انما وايكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يد اخصاصهم بالوالة (٥٠٦) ولم يجمع الولي وان كان المذ كور جماعة تنبها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع

الكفار ويخافون لوهم فينبئ الله تعالى في هذه الآيات أن من كان قويا في الدين فإنه لا يخاف في نصره لدين الله يده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين إيمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر واليسر والمنشط والمكرود على أن لا تنازع الأمر أهله وعلى أن تقول بالحق أي أنها كئنا لا نخاف من الله لومة لائم ثم قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصفهم بحجة الله وإيمانهم بالمؤمنين وشدهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن أحسانه إليهم (والله واسع عليم) يعني أنه تعالى واسع الفضل عليم عن يستحقه ﴿قوله تعالى﴾ (أنا وليكم الله وسلوه والذين آمنوا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أولى الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن قومنا رقطة والنضير قد هجرنا وناوينا قريظا وأقسموا أن لا يحالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربنا ورسوله نبينا وأوليائهم وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذلك هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأن المنافقين كانوا يدعون أنهم مؤمنون لأنهم لم يكنوا يدومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم وإذا وجبت عليهم أمأقوله تعالى وهم راكعون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها أن المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى أن المؤمنين يصلون ويذكرون وهم منقادون خاضعون لأوامر الله ونواهيهم الوجه الثاني أن يكون المراد منه أن من شأنهم إقامة الصلاة وآتياء الزكاة وأما خض الركوع بالذكر كترس بفاله الوجه الثالث قيل أن هذه الآية نزلت وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب قال السدي مر بعلى سائس وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل التقليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم أولى وإن كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن أبي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون قفلت أناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا ﴿قوله تعالى﴾ (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) يعني ومن يتول القيام بطاعة الله ورسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم (فأخرب الله) يعني أنصار دين الله (هم الغالبون) لأن الله ناصرهم على عدوهم والخراب في اللغة أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمس سببه يعني أمهم ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزا ولعابا) قال ابن عباس كان رفاع بن زيد بن النابتوسو يد من الحارث قد أظهر الاسلام ثم تافا وكان رجال من المسلمين ينادونهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزا ولعابا هو اظهارهم الاسلام بالسنتهم

ولوقيل إنما أولياؤكم الله
ورسوله والذين آمنوا، ما يمكن
في الكلام أصل وتبع
وعلى (الذين يقيمون
الصلاة) الرفع على البدل
من الذين آمنوا وعلى هم
الذين أو انصب على المدح
(ويؤتون الزكاة) والواو
في (وهم راكعون)
للحال أي يؤتونها في حال
ركوعهم في الصلاة قيل
انها نزلت في علي رضي الله
عنه حين سأله سائل وهو
راكع في صلاته فطرح له
خاتمه كانه كان مراحا
خضره فلم يتكاف لخلعه
كثير عمل يفسد صلاته
وورد بلفظ الجمع وان كان
السبب فيه واحدا ترغيبا
للناس في مثل فعله ايمنا
لوا مثل ثوابه والآية تدل على
جواز الصدقة في الصلاة
وعلى أن الفعل القليل
لا يفسد الصلاة (ومن يقول
الله ورسوله والذين
آمنوا) يتخذها وليا أو يكن
وليا (فان حزب الله هم
الغالبون) من اقامة الظاهر
مقام الضمير رأى فانهم هم
الغالبون والمراد بحزب
الله الرسول والمؤمنون أي

ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب وأصل الحزب القوم مجتمعون
لا مخرز بهم أى أصحابهم وروى أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهم ما فئزل
(يألفها الذين آمنوا واتخذوا الذين اتخذوا دياركم ديارا) أى اتخذاهم دياركم هو وأولعوا به أى حان يقال باتخاذكم ديارهم وأولعوا به
يقال بذلك بالبغيضاء والمنابذة

أذلة قال الجوهرى الذل ضد الزور رجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر البين وهو ضد الصعوبة يقال ذابة ذلول ودواب ذال (على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الخنوع والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع (أعزة على الكافرين) أشداء عليهم والعزاز الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيد ومع الكافرين كالسبع على فرسيه (يجاهدون في سبيل الله) يتأولون الكفار وهو صفة لقوم كبرهم وأعزة وأذلة (ولا يخافون لومة لائم) الواو يحتمل أن تكون للجدال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا والين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا وأباهم اليهود ولا يعملون شيئا مما يعملون أنه بلحقهم فيه لوم من جهة أم المؤمنين فجاهدوهم لله لا يخافون لومة لائم وأن تكون للعطف أى من صفته المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في أمر من أمور الدين لا تزعمهم

ومنعوا الزكاة هم أبو بكر بقتلهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاثل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاثل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله في قاطبها فقد عصم من ماله ودمه والحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاثلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لومعنى عقاقا وقال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتل ما نى الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فقتلوا أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجد وابدا من الخروج على اثر فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم جدنا عليه في الانتهاء وقال أبو بكر ابن عباس سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وارثت اهرب وانشأ رب الفراق ونزل بأبى بكر المولى نزل الجبال الراسيات هاضه وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بنى حنيقة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فهاك الله مسيلمة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذى قتل حزة فكان وحشى يقول قتل خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام أراد بذلك وحشى أنه في حال الجاهلية قتل حزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبههم ويحبونه الاشعرى بن قيس بن موسى الاشعرى روى عن عياض بن غنم الاشعرى قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتى الله بقوم يحبههم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا يعنى أبا موسى الاشعرى أخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم أهل اليمن (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كم أهل اليمن هم أرق أفئدة وأمين قلوبا بالايمن بيان والحكمة يمانية وقال السدى نزلت في الاضرار لانهم هم الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على اظهار الدين وقيل هم أحباء من أهل اليمن ألفان من الذخ وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخطا الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد رفع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال أحببت فلا يعنى جعلت قلبى معرضا بان يحببه والمحبة عارادة تراه وتظانه خبرا ومحبة الله تعالى العبد انعاما عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يذميه أحسن الثواب على طاعته وأن ينقضى عليه ورضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل أن يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن يتحجب اليه بما يوجب له الزانى لديه جعلنا الله من يحبه ويحبونه بمنه وكرمه ﴿وقوله تعالى (أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين) هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبههم ويحبونه يعنى انهم أرقاء رضاء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد ان جانبيهم لاخوانهم المؤمنين وهم معرفتهم ورحمتهم وابن جانبيهم أشداء أقوياء غاظاء على أعدائهم الكافرين قال على بن أبى طالب أدلة على المؤمنين يعنى أهل رضى على أهل دينهم أعززة على الكافرين أهل غاظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده كالعبد لسيدهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فرسيه وقال ابن الانبارى أثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا القوهم ويعنفون الكافرين اذا القوهم وقيل ان الذل هنا يعنى الشفقة والرحمة كانه قال راجح للمؤمنين مشقة بن عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما أتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرافهم لا لاجل كونهم ذليلا في أنفسهم بل ذلك التذلل لاجل أنهم ضمه والى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا السياق الآية وهو قوله أعززة على الكافرين يعنى أنهم أشداء أقوياء على أنفسهم وعلى أعدائهم (يجاهدون في سبيل الله) يعنى أنهم ينصرون دين الله (ولا يخافون لومة لائم) يعنى لا يخافون عدل عادل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون

(فصبحوا) أى المنافقون (على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق (نادمين) خفيين صبحوا (ويقول الذين آمنوا) أى يقول بعضهم لبعض
هنا ذلك ويقول بصري عطاء على (٥٠٤) أن يأتي يقول بغير واسمى وحجازى على أنه جواب قائل يقول لماذا يقول المؤمنون

من بلادهم أو من عند عيسى أنه تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة
وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما أتى في قلوبهم الرعب فأخذوا يديهم وخربوها بأيديهم ورحلوا إلى
الشام وقوله تعالى (فصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) يعنى فصبح المنافقون الذين كانوا يوالون
اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم أن أسرى محمد لا يملقونهم وقيل دعوا على دس الأخبار إلى اليهود (ويقول
الذين آمنوا) يعنى ويقول الذين آمنوا في وقت أظهر الله تعالى النفاق المنافيين (أهلؤا الذين أقدموا باله
جهداً يمانهم انهم لمعكم) وذلك أن المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عند أظهر المبل إلى موالاة
اليهود والنصارى ويقولون أن المنافقين حلفوا بالله جهداً يمانهم انهم لعنادون أنصاروا والآن كيف صاروا
موالين لأعدائهم اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في إيمانهم الباطلة (حبطت أعمالهم)
أى بطل كل خير عملوا لأجل ما أظهر من النفاق وموالاة اليهود (فاصبحوا خاسرين) يعنى انهم خسروا في
الدنيا بفنصاحهم وخسروا في آخر فاحباط نواب أعمالهم وحصول العذاب الدائم المقيم ﴿قوله عز وجل
(يا أيها الذين آمنوا) من يرتد منكم عن دينه) يعنى من يرجع منكم عن دينه الحق الذى هو عليه وهو دين
الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية أو النصرانية وغير ذلك من
أصناف الكفر فلن يضر الله شيئاً وانما يضر نفسه يرجوعه عن الدين الصحيح الذى هو دين الاسلام قال الحسن
علم الله تعالى ان قوم اسيرجعوه عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فأخبره نبياً فى يقوم بحجهم
ويحجونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدج ورئيسهم ذو النجار وهو الاسود اعنسى وكان كاهناً قتباً باليمن واستولى
على بلاده وأخرج منها اعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن
جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المساهون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغدوى في خبر قتله في آخر
ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة
رسول الله إلى محمد رسول الله أبعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أبعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وستأتى قصة قتله فيما بعد وبأسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة
أبي بكر الصديق وهم فرقة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو ساسم قوم
النفجاء بن عبد باليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة البربرى وبعض تميم قوم مساج بنت المنذر المتنبئة
التي زوجت نفسها من مسيلة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطيم
ابن زيد فكتب إلى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن
الخطاب وهم غسان قوم جلة ابن الامم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى (فوف يأتى الله بقوم يحجبهم
ويحبونهم) فقال على بن أبى طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانى الزكاة
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب (٣) كما تقدم تفصيله الا أهل المدينة وأهل مكة
وأهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما رتد من العرب

حينئذ قليل يقول الذين آمنوا (أهلؤا الذين أقدموا بالله جهداً يمانهم انهم لمعكم) أى افسموا لكم باغلاظ الايمان انهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار وجهداً يمانهم مع رضى تقدير الحال أى مجتهدين في تو كيد يمانهم (حبطت أعمالهم) ضاعت أعمالهم التي عملوها وياهم سمعة لا يمانوا وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتجبوا من سوء حالهم (فاصبحوا خاسرين) في الدنيا والعقبى لقوات المعونة ودوام العقوبة (يا أيها الذين آمنوا) من يرتد منكم عن دينه من يرجع منكم عن دين الاسلام إلى ما كان عليه من الكفر يرتد مدنى وشامى (فوف يأتى الله بقوم يحجبهم ويحبونهم) يرضى أعمالهم ويشئى عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما يمكن فكانوا ثابتين خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته

خلافة عمر رضى الله عنه أو شل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرى على عاتق سامان وقال هـ وأذوه ولو كان الايمان معلماً بالترى بالاله رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فوف يأتى الله بقوم مكانهم (٣) قوله ارتد عامة العرب أى الذى تقدم ارتداهم في زمن أبي بكر سبع فرق لا غير اهـ مصححه

(فيا آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد لكل بما اقتضته الحكمة (فاسبقوا الخبرات) فابتدرواها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة والمراد بالخبرات كل ما أمر الله تعالى به (إلى الله مرجعكم) استثناف في معنى التعلل لاستباق الخبرات (اجمعها) حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لانه في تقدير اليه ترجعون (فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) فيخبركم بما لا تسكون معكم من الجزاء الفاصل بين محبةكم ومطاعكم وعاملكم ومفرطكم (٥٠٢) فبالعمل (وان احكم) معطوف على الحق أي نزلنا اليك الكتاب بالحق

يعتبركم (فيا آتاكم) يعني من الشرائع المختلفة هل تعلمون بها أم لا فيبين بذلك المطيع من العاصي والمؤلفي من المخالف (فاسبقوا الخبرات) هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا بامة محمد بالاعمال الصالحة التي تقر بكم إلى الله تعالى (إلى الله مرجعكم جميعا) يعني المطيع والعاصي والمؤلفي والمخالف (فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تسكون معه فيفصل بين الحق والمطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب ﴿ قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) قال ابن عباس ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم ليهض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نقتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أننا أخبار اليهود وأشرافهم وساداتهم واننا ان تبعناك اتبعتنا اليهود ولم يخافونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فتناحكم اليك فاقض لنا عليهم تؤمن بك ونصدقك فأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) يعني احكم بينهم بما محمد بالخكم لنذي أنزل الله في كتابه (ولا تتبع أهواءهم) يعني فيما أروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما أنزلت في حكمين مختلفين أم الآية الأولى فنزلت في شأن رجم المحسن وان اليهود دخلوا وامنوا أن يجاهدوه وهذه الآية نزلت في شأن الدعاة والديارات حين تحاكوا اليه في أمر قاتل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴿ وقوله تعالى (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض) أنزل الله اليك) يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جازوا اليك أن يصرفوك وصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله اليك في كتابه واتباع أهواءهم (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الإيمان بك والرضا بالخكم بما أنزل الله عليك (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني فاعلم يا محمد أن الله يريد أن يجعل لهم الذنوب في الدين ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخرج جازاتهم على باقي ذنوبهم إلى الآخرة (وان كثير من الناس لفاسقون) يعني اليهود لا هم ردوا وحكم الله تعالى (أخكم الجاهلية) يعني أخكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام ونحو يفهم اياه عما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بني النضير ورقيقة دماء وهم احيا من اليهود وذلك قبل أن يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعثت وهما جرى إلى المدينة تحاكوا اليه فقلت بنو قريظة بنو النضير اخواننا بنوا واحد وديننا واحد وكنا بنوا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا أعطوا ناسبه من وسقامين تمر وان قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا أو أرض جرحنا على النصف من جراحهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا غسل ولا جراحة ففضت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما تألوفي وضعنا وتصغيرنا فانزل الله أخكم الجاهلية يبقون وقرى بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أخكم الجاهلية تبغون (ومن أحسن من الله حكما قوم يوقنون) يعني أي حكم أحسن من حكم الله ان كنتم

وبان احكم (ينهم بما أنزل الله) ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك (أي يصرفوك أو هو مفعول له أي مخافة أن يفتنوك وانما حذرهم وهو رسول ما هو قطع أطماع التوهم (عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره (فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) أن يذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وهذه الالهام لتعظيم التولي وفيه تعظيم الذنوب فان الذنوب بعضها مهلك فكيف بكها (وان كثير من الناس لفاسقون) خارجون عن أمر الله (أخكم الجاهلية تبغون) يطلبون والتاء شامي بخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك

فنزلات وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الآية ناصب أخكم تبغون (ومن أحسن) مبهمة أو خبر وهو استفهام في معنى التي أي لأحد أحسن (من الله حكما) هو عز اللام في (اقو برة ون) للبيان كلام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستنها لقوة برة ون فهمهم الذين بنيوا وان لأعدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو يعنى اقوم عند قوم لان اللام وعند بقار بان في المعنى ونزل نهيا عن موالاة أعداء الدين وموقنين

وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدومه وبين يديه (من الكتاب) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا ننوحى اليه انه لاله الا انا فاعبدون (ومهمنا عليه) وشاهدنا لانه يشهد له بالصحة والنبات (فاحكم بينهم بما أنزل الله) ولا تتبع في القرآن (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) همى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا على قولهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تتعرف فلذا عدى بن فكانه قيل ولا تتعرف عما جاءك من الحق، تبعنا أهواءهم وألقتهم برعادنا عما جاءك (لكل جعلنا منكم أشباه الناس) (شريعة) شريعة (ومنها) وطريقة واضحا باستدله بن قال ان شريعة من قبلنا لا نؤمننا ذكرا الله انزال التوراة على موسى عليه السلام ثم انزال الانجيل على عيسى عليه السلام ثم انزال القرآن على محمد صلى

الذي لاشك فيه انهم من عند الله (مصدق لما بين يديه من الكتاب) يعني انه يصدق جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه (ومهمنا عليه) قال ابن عباس يعني شاهدنا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان ان الكتاب مهمن لنبينا * والحق يعرفه ذو الالباب يريدانه شاهد ومصدق لما بين يديه من الكتاب وانما كان القرآن أهمنا على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا يسخ ولا يغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا ومصدق لقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا ولا فلا (فاحكم بينهم بما أنزل الله) يعني اذا ترفع أهل الكتب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزل الله اليك (ولا تتبع أهواءهم) يعني ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جاد المحسن (عما جاءك من الحق) يعني ولا تتصرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعين أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان كان خطا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة أمته، موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وعالمهم اجمعين بدليل ان الله تزوج ل قبل هذه انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وفتينا على آثارهم يعني ابن مريم ثم قال وأنزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شرعة فالشريعة والانجيل والقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والظاهر في شرع بين واضع وقيل هو من الشرع في النبي والشرعية في كلام العرب المشريعة التي بشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك لاطريقة الالهيّة المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرار للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهم افرق لطيف وهو ان الشريعة التي أمر الله بها عباد الله والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيل وقال قتادة سنة الاوسنة فالسنة مختلفة في التوراة شريعة والانجيل شريعة والقرآن شريعة يحصل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء يعلم من طبعه من نصيبه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي بن أبي طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله والافراد بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العاصم وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء والرسل منها قوله شريع لكم من الدين ما رضى به نوحا لى قوله أن أقبلوا الدين ولا تتفرق قوافيه ومنها قوله وأتشك الذين هدى الله فهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دالة على عدم التباين فهي دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بفروع العبادات بخلاف أن يتعبد الله عبادا في كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يمتزج لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم أن يرسل الاقدياء بشرية رسول آخر ثم قال تعالى (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه (ولكن ابي لكم) يعني ولكن أراد ان

الله عليه وسلم وبين انه ليس السماع بحسب بل بالحكم به فقال في الاول يحكم بها النبي وفي الثاني يحكم أهل الانجيل وفي الثالث فاحكم بينهم بما أنزل الله (ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة (ولكن) أراد (ليلوكم) ليعالكم معاملة المختبر

(فمن صدق) من أصحاب الحق (به) بالقصاص وحقاعنه (فهو كفارة له) فالصدق به كفارة للصدق بإحسانه قال عليه السلام من صدق بدم فنادوه كان كفارة له من يوم ولدته أمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) بالامتناع عن ذلك (وقفينا) معنى قضيت الشئ بالشئ جملة في أثره كأنه جعل في (٥٠٠) قفاه قلة قفاه يقفوه اذا تبعه (على آثارهم) على آثار النبيين الذين أسلموا (بعبسى

ان مريم مصداقا) هو حال من عبسى (لمابين يديه من التوراة وآتيانه الانجيل فيه هدى ونور ومصداقا لما بين يديه من التوراة) أى وآتيانه الانجيل نابت فيه هدى ونور ومصداقا فنصب مصداقا بالعطف على نابتا الذى تعاق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بنابتا الذى قام مقامه فيه (وهدى وموعظة) اتصبا على الحال أى هدى وادوا وعظا (للتقين) لانهم يتفقون به (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقلنا لهم احكموا بموجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استقلا لفتح وكرة وفتح ولىحكم بكسرا للام وفتح البيم حزة لى انها لام كي أى وقفينا لئلا نؤسوا وليحكم (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) اخرجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجود في الثلاث فيكون كفا غلطا فاسقة لان

الأولى تكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعدد بعد البينة بما أوصى اليه أو كان من شريعته من قبل أم لا وذهبت الاشاعة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الآدمى من المتأخرين وأصح الأولون لصحة مذهبهم بان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالانفس الآية مع انه من شريعته من تقدم لانه ذكر في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا أنما تبدون بشريعة من قبلنا لاصح هذا الاستدلال وقوله تعالى (فمن صدق به) يعنى بالقصاص فلم يقصص من الجاني (فهو كفارة له) في هاهنا قولان أحدهما ان الهاء في له كناية عن الجرح ودلى المقتول وذلك أن الجرح أو دلى المقتول اذا صدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمر وابن العاص والحسن ويدل عليه ما روى عن أنى الرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل أصاب بشئ من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذى وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شئ فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو وأخرجه أبو داود والنسائي ويقولون الثانى ان الضمير في قوله له يعود الى الجراح والقاتل يعنى أن الجاني عليه اذا عفاه عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ فيه في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كان القصاص كفارة له فاما أجز العافى فعلى الله تعالى وقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) يعنى لانفسهم حيث لم يحكموا بما أنزل الله عز وجل وقوله عز وجل (وقفينا على آثارهم) يعنى وعقبنا على آثار النبيين الذين أسلموا (بعبسى ابن مريم مصداقا لما بين يديه من التوراة) يعنى ابن عبسى عليه السلام كان مصداقا بان التوراة انتمت له من عند الله عز وجل وكان العمل هو اجابا قبل ورود النسخ عليها فان عبسى عليه السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها (وآتيانه الانجيل فيه هدى ونور) يعنى فيه هدى من الجاهل والضياء من عمى البصيرة (ومصداقا لما بين يديه من التوراة) هذا ليس بتكرار الاول لان فى الاول الاخبار بان عبسى مصداقا لما بين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بان الانجيل مصداق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار (وهدى وموعظة للتقين) انه قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلفظ من المواظ بالبلغة والزواج والامثال وانما يخص المتقين بالذكر لانهم هم الذين يتفقون بالمواظ وقوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف اول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثيرا والوجه الثانى أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن قلت ان المراهبة الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) يعنى فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل وقوله عز وجل (وأنزلنا اليك الكتاب) الخطاب لى صلى الله عليه وسلم يعنى وأنزلنا اليك بالحمد القرآن (بالحق) يعنى بالصدق

الفاق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل

ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله طالم فى حكمه فاسق فى فعله (وأنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن خرف التعريف فيه لاهل (الحق) بسبب الحق وآتيانه ونبيين الصواب من الخطا

الذى

الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان
 المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال انه كفر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول
 ما روى عن البراء بن عازب قال انزل الله نياك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن
 لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفة زكاهما
 أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه
 الآيات الثلاث في اليهود خاصة فريضة والنضير أخرجه ابوداود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك
 الحكم بما انزل الله فرداً لا كتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحداً به فقد
 كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضاً واختيار الزجاج لانه قال من زعم أن
 حكماً من أحكام الله تعالى التي أنت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس أ كافر من لم يحكم
 بما انزل الله فقال به كفر وليس يكفر بنقل عن الملة ممن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
 ونحو هذا روى عن عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث
 عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم حكم غيره حكم الله فقد كفر وظلم وفدى واليه ذهب
 السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذه فيمن علم نص حكم الله ثم رده عياناً عداً وحكم بغيره أو ما من خفى عليه
 النص أو خطأ في التأويل فلا يدخر في هذا الوعيد والله أعلم بمراده ﷺ قوله تعالى (وكتبنا عليهم) فيها أن النفس
 بالنفس) يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به وذلك ان
 الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحسن الرجم وأخبر ان اليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضاً ان في التوراة
 ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود وغيرهم هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بدو
 النضير اذا قتلوا من قريظة أو ذوالهم نصف الدية واذا قتل بدو قريظة من بني النضير أو ذوالهم الدية كاملة فغيروا
 حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس والعين
 بالعين والانف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص قال فاطمة بن مخلوق فيقتلون النفسين
 بالنفس وبفقون العينين بالعين ومعنى الآية ان قاتل النفس يقتل بها اذا كافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه
 لا يقتل مسلم بكافر لم يصح من حديث علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر
 الحديث أخرجه في الصحيحين ﷺ وقوله تعالى (والذين يبايعون) يعني تفتقارها (والانف بالانف) يعني يجمع
 به (والأذن بالأذن) يعني تقطع بها (والسن بالسن) يعني تقلعها أو ماسأراً الاطراف والاعضاء فيجزي
 فيها القصاص كذلك وقوله تعالى (والجروح قصاص) يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا اتميم بعد
 التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والأذن خص هذه الاربع بالذكركرم قال تعالى
 والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن أن يقتص منه كاليد والرجل والذراع والاثنتين وغيره أو أماً لا
 يمكن اقتصاص فيه كرض في لحم أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه
 الارش والحكومة واعلم أن هذه الآية الدالة على أن هذا الحكم كان شرعاً في التوراة فمن قال شرع من قبلنا
 يلزمنا لا مانع منه بالتفصيل قال هذه الآية بحجة في شرعنا ومن أنكره قال انه ليست بحجة علينا وأصل هذه
 المسئلة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة بعده البعثة هل هم يتعبدون بشرع من تقدمهم من الانبياء عليهم
 السلام فنقل عن أصحاب آنية وحقيقة بعض أصحاب الشافعي وعن أحد في إحدى الروايتين عنه انه كان
 متعبداً بأصاح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبجلة ونقل أربابها واختار ابن
 الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبداً بشرع من قبله فيما
 لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق واللام يبق للنازع معنى

عام في اليهود وغيرهم
 (وكتبنا عليهم فيها)
 وفرضنا على اليهود في
 التوراة (أن النفس)
 مأخوذة (بالنفس) مقتولة
 بها اذا قتلها بغير حق
 (والعين) مقفوءة (بالعين)
 والانف) بجروح (بالانف)
 ولأذن) مقطوعة (بالأذن)
 والسن) مقطوعة (بالسن)
 والجروح قصاص) أى
 ذات قصاص وهو الناقصة
 ومعناه ما يمكن فيه القصاص
 والاختكومة عدل وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما
 كانوا لا يقتلون الرجل
 بالمرأة فنزل وقوله أن
 النفس بالنفس يدل على
 أن المسلم يقتل بالذي
 والرجل بالمرأة والحر بالعبد
 نصب نافع وعاصم وحذرة
 رفع المعطوفات ككاهما
 للعطف على ما عملت فيه
 أن للعطف على محل أن
 النفس لان المعنى وكتبنا
 عليهم النفس بالنفس اجراء
 استتباعاً مجرى فتاواصب
 الباقون السكول ورفعوا
 الجروح والأذن بسكون
 الذال حيث كان نافع
 والباقيون بضمها وهما
 لغتان كالسحت والسحت

والتوراة هو الكتاب المشتهر للموضع لأمم سككيات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنوران الهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والنبوت والاداء بحكمها النبيون الذين أسلموا والذين هادوا) أريد النبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل الوفا من الأنبياء وليس معهم كتاب إنما بعثوا بأمانة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أي انقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح له وفيه تعرض باليهود لأنهم بعدوا عن الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام وقال الحسن وزهري وسكره وقتادة والسدي محفل أن يكون المراد بالبين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وأما ذكره بلفظ الجمع تعظيما لشره يقال صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجوع وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن لا تباري هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والصبرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى متقادين لأمره ونهيه للذين هادوا يعني لليهود يعني بحكم التوراة لهم وفيها بينهم وبينهم على أحكامها كما فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلالهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجاز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى أما نزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا بحكمها النبيون الذين أسلموا (والربابيون والاحبار) أمثال ربابيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحد جبر يفتح الحاء وكسرها اثنان وقال الفرأعا ما هو جبر بكسر الحاء وانما سمي به لما كان الخبر الذي يكتب به وذلك لأنه صاحب كتاب وقال أبو عبيد الله ما هو جبر يفتح الحاء والخبر العالم لما في من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى بها وجميعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الخبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب جبره وسبره أي جاله وبهاؤه وانما سمي العالم جبر لما عليه من أثر جلال العلم وهل فرق بين الربابيين والاحبار أم لا فيه خلاف فقيل لا فرق والربابيون والاحبار بمعنى واحد وهم العلماء والفقهاء وقيل الربابيون أعلى درجة من الاحبار لأن الله تعالى قد مهّم في الذكر على الاحبار وقيل الربابيون هم الولاة والحكام والاحبار هم العلماء وقيل الربابيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية بحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك بحكمها الربابيون والاحبار ﴿وقوله تعالى﴾ (عما استحفظوا من كتاب الله) يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوه وأحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بأستقامته مثلاً ينسوه وان لا يضيعوه وأحكامهم ولا يشرعوا فإذ افعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه (وكانوا على شهادة) يعني ان هؤلاء النبيين والربابيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون أنه حق وصدق وأنهم عند الله (فلا تخشوا الناس واخشون) هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخفوا أحد من الناس في اظهار صفته محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجوع واخشون يعني في كتمان ذلك (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) يعني ولا تسبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما هيتم بحكم عن تفسير الاحكام لاجل خوف الناس كذلك أنها كمن عن التغيير والتبدل لاجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا أنه غير واجب عليهم فهم كافرون على الإطلاق بموسى والتوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلاف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

باجرائها التعريض باليهود لانهم بعدوا من ملة لاسلام التي هي دين الانبياء كما هم (الذين هادوا) تابوا من الكفر واللام يتعاق بحكم (والربابيون والاحبار) معلوفان على النبيون أي الزهاد والعلماء (عما استحفظوا) استودعوا قيل ويجوز أن يكون بدلا من بما في بحكمها (من كتاب الله) من للتبيين والاضمير في استحفظوا للانبياء والربابيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كاتفهم الله حفظه أولئك ربابيون والاحبار ويكون الاستحفاظ من الانبياء (وكانوا عليه شهداء) رقيةا لئلا يبدل (فلا تخشوا الناس) نهى للحكام عن خشيتهم غير الله في حكماتهم وامضأها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أروخية أدبة أحد (واخشون) في مخالفة أمرى وبآياه فيهماسهل وافقه أبو عمر وفي الوصل (ولا تشتروا بآياتي) ولا تسبدلوا بآيات الله وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس (ومن لم يحكم بما أنزل الله) مستهيناته (فأولئك هم الكافرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما من لم يحكم بأحد افهوكافرون لم يكن جاحدا فافهوقاسق ظالم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو

(فان جاؤك) يعنى اليهود (فاحكم بينهم) أو عرض عنهم وان تعرض عنهم فان بضرك شياً خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم. فان شاء حكم وان شأترك قال الحسن وبجاهد والسدى نزلات في اليهوديين الذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والعنبر قتل أحدهما أحراراً من زيد كان حي بن أخطب قد جعل للضبريين ولقريظة دية واحدة لانه كان من بني النضير فقات قريظة لارصى بحكم حبي وتشحاً الى محمد فآزال الله هذه الآية بخير نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

والمختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنهم أخذوا من سورة ذلك أن أهل الكتاب كانوا ذاترافوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان بخير فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فنزله الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافوا اليهم فان شأوا حكموا بينهم وان شأوا أعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبي والبخاري وزهري وبه قال أحمد لانه لا منافاة بين الآيتين أو قوله فاحكم بينهم وأعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم ولا عرض وأما قوله وان احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام غير الدين الرازى ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب ان تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صفارهم فالما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير انذ كوري في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يخالف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم وقوله تعالى (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) يعنى بالعدل والاحتياط (ان الله يحب المقسطين) يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن بين الرحمن وكذا يديه بين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي أمثاله مؤمن بها ولا تسكهم في تأويلها ولا تعرف معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لماعنى يلقى بالله هذا. ان ذهب جواهر السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يلقى بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكومهم عن الجمين الحالة الحسنة والمتزلة لقيمة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى الجمين وضد ذلك اليسار قالوا الجمين مأخوذة من الجمن وقوله وكذا يديه بين معنى على انه ليس المراد بالجيمين الجارية تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة في حق تعالى وقوله ولوا ولا يفتح الواو وضمة الالام المحققة هكذا ذكره الشيخ يحيى الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية بهذا الفضل لمن عدل فيما تملكه من الاحكام والله أعلم وقوله تعالى (وكيف يحكمونكم وعندهم التوراة) هذا تعجب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة تركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم بحتمه وعدولهم الى حكم من يحدد نوبته طلباً للرخصة لا جرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقر يع لليهود والامنى وكيف يجعلونك حكماً بينهم ورضون بحكمك وعندهم التوراة (فيها حكم الله) يعنى الرجم الذي تحاكموا اليك من أجله (ثم يتولون من بعد ذلك) يعنى ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم (وما أولئك) يعنى اليهود (المؤمنين) يعنى بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالصدقين لك وقوله عز وجل (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد سبق بيانه ولهدى هو البيان لان التوراة مبنية بحجة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبينة ما تحاكموا فيه

بحرفون السكام من بعد مواضعه) أي يزولونه ويبلونه من مواضعه التي وضعه الله فيها فبها لونه بغيره واضح بعد أن كان ذاهباً وضع بحرفون صفة لقوم كفولهم بأنوك أو خبر لم يتدأ (٤٩٦) مخدوف أي هم بحرفون والضمير مر دود على لفظ السكام) يقولون إن أوتيتهم

(هذا) المحرف المزالعين مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجازأن يكون حالاً من الضمير في يحرفون (نخذه) واعدوا أنه الحق واعملوا به (وان لم تؤنوه) وإفانكم بمحمد بخلافه (فاحسروا) فأيكم وإياه فهو الباطل روى ابن شريفا زني بشرقة بخبريه وهدما عمنان وحدهما الرجم في التوراة ففكر هو أوجهما لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا أمركم بالجلد والتعقيم فاقبـسوا واون أمركم بالرجم فلا تقبلوا فأمرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به (ومن برد الله فتنه) فذلته وهو حجة على من يقول بربد الله الإعيان ولا يربد الكفر (فلن تلك له من الله شياً) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن إيمان هؤلاء (أو تلك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضاً (لهم في الدنيا خزي) للنافقين فضيحة واليهود جزية (ولهم في الآخرة

للقائدهم ولا مرفة الحكم منهم وأما هؤلاء الزاهم عما يعتقدونه في كتابهم وأعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى اليه ان الرحمة في التوراة والوجودية في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها وأخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كافي حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه ﴿ قوله تعالى (يحرفون السكام) يعني يغيرون حذر دلة التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتعقيم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم السكام كخذف ذكر الحكم لمرفة السامعين به (من بعد مواضعه) يعني من بعد ان وضع الله مواضعه وفرضه وأحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون السكام من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون السكام عن مواضع فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك اننا قد افسرنا يحرفون السكام عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون السكام عن مواضعهم بذلك كرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون السكام من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الأمرين يعني انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب في قوله يحرفون السكام عن مواضعه إشارة إلى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه إشارة إلى اخراجه من الكتاب بالكيفية ﴿ وقوله تعالى (يقولون) يعني اليهود (ان أوتيتهم هذا نخذه) يعني ان أفنكم محمد بالجلد والتعقيم فاقبلوا منه (وان لم تؤنوه فاحسروا) يعني وان لم يفتكم بذلك أفنكم بالرجم فاحسروا ان تقبلوه (ومن برد الله فتنه) يعني كفره وضلالته (فلن تلك له من الله شياً) يعني فلن تقدر على دفع أمر الله فيه (أو تلك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم) قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد سلام الكافر وان لم يظهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرة (لهم في الدنيا خزي) يعني للمنافقين واليهود أما خزي المناقين فيا لفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فباخذ الجزية وقتل النبي والسيب والابلاء من أرض الحجاز إلى غيرها (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود ﴿ قوله عز وجل (سماعون للكذب) كالون للسحت) نزلت في حكم اليهود مثل كذب بن الأشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحماكم منهم اذا أناه أحدهم رشوة جعلها في كفه ثم يربها إياه يسكبها حجة فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيسمع الكذب وبأكل الرشوة وهي السحت وأصل السحت الاستئصال يقال سحتته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم كسحتا لانها تستأصل دين المرتضى والسحت كسحت تحمل عليه شدة الشر وهو يرجع إلى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا أخذه صرود ويكون في حصوله عار بحيث تحجب له محله ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرم الرشوة على الحاكم ﴿ عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتضى في الحكم أخرجه الترمذي وأخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحماكم اذا رشوته ليحك لك باطلاً وبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعته ليرد بها حقا أو يدفع بها ظاهراً فهدى بها إليه فقيل فهو سحت فقيل لا يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا لاخذ على الحكم فقل لاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ﴿ قوله عز وجل

عذاب عظيم) أي التغلبد في النار (سماعون للكذب) كرر لنا كيد أي هم

سماعون ومثله (كالون للسحت) وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحتته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم

وكانوا ياخذون الرشاة في الاحكام وتحليل الحرام والتثقبيل مكى وبصرى وعلى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صور يا شدة لك بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وقلن لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وبالنبي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحسن فقال ابن صور يا اللهم نعم والنبي ذكرته بي لولا خشيت أن ينزل علينا العذاب إن كذبت أو غيرت ما عترفت لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال إذا شهد أربعة بقرهط عدول أنه أدخله فيها كما يدخل المبل في المكحلة وجب عليهم الرجم فقال ابن صور يا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صور يا كئنا إذا أخذ الشر بف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أفتنا عليه الحد فكثير الزاني أشرفنا حتى في ابن عم ملك لنا فلم نرجه ثم زني رجل آخر في امرأة من قومه فأراد الملك رجه فقام قوم مدونه وقالوا والله لا نرجه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيأ دون الرجم يكون على الشر بف والوضع فوضنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلى بفار ثم تسود وجوههم ما ثم يحملان على حمارين ووجوههم ما قبل دبر الحمار يطاف بهما جفء لولا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صور يا ما أسرع ما أخبرته وما كنت لما أنفينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا ففكرهنا أن نقتاك فقال لهم ابن صور يا أنه قد ناشدني بالتوراة ولولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ما أخبرته فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فارجعوا عند باب المسجد وقال اللهم اني أول من أحيا أمرك إذا ما توه فأنزل الله هذه الآية (ق) عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأته منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم متجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا انفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة ففسروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعده فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا قال فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقبها الحجر في رواية أخرى لهما قال أني النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأته من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما فقالوا نضع وجوههم ما ونخزهم ما قال فاتوا بالتوراة فقلنا هاهنا كنتم صادقين جاؤا بها فقال الرجل من يرضون أعورا فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكنك تسكته فينتا فأمرهم فارجعوا فقرأت يده حتى زاد في رواية أخرى فرجعوا قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي يحجم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أشهدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا أنك نشدتني بهذا الخبر لك بعد الرجم ولكنه كثير في أشرفنا فكنا إذا أخذنا الشر بف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أفتنا عليه الحد فقلنا تعالوا فنجتمع على شيء نقيم على الشر بف والوضع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أول من أحيا أمرك إذا ما توه فأمر به فرجم فأنزل الله يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان أتيتهم هذا فخذوه وقولوا انما وجدناكم أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وان أمركم بالرجم فخذوه فأنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالجم وهو الفحيم وقوله ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس

التوبة (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) أي لانهم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للسلام ومن موالاته المشركين في ناصرك عليهم وكافيك شرهم بقل أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا فكذلك مسارعهم في الكفر وقوعه فيه أسرع عني اذا وجدوا فرصة لمخطوئها (من الذين قالوا) تبين لقوله الذين يسارعون في الكفر (أمتنا) مفعول قالوا (بافواههم) متعاقبة الوأى قالوا بافواههم أمتنا (ولم تؤمن قلوبهم) في محل النسب على الحال (ومن الذين هادوا) معطوف على من الذين قالوا أي من المنافقين واليهود ويرتفع (سماعون للكذب) على أنه خبر مبتدأ مضرأى هم سماعون والضمر للفر يقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يسخروا ماسمعا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير (سماعون لقوم آخر بن ليمأوك) أي سماعون منك لاجل قوم آخر بن من اليهود وجوههم عيا ناليلفهم ماسمعوا منك

على المغفرة لانه في مقابلة فطاع السركة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدر بة والمعتزلة في قولهم لو جوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر هو انه تعالى أخبرنا انه لك السموات والارض والممالك انه ان يتصرف في ملكه كيف يشاء وازاد الاعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله (والله على كل شيء قدير) هي آية على قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كاهم عبيده وفي ملكه ﴿ قوله تعالى (يا أيها الرسول) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب شريف وتكريم وتعظيم وقد عظم الله عز وجل بياها النبي في مواضع من كتابه وياها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يعني لانهم بمواليتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم (من الذين قالوا أمتنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) يعني المنافقين لانهم أظهروا الايمان بالقول وكنتموا الكفر وهذه صفة المنافقين (ومن الذين هادوا) أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا محتمل وجهين أحدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكوتهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى أنهم قائلون الكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلونه منهم واسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يقدوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه ﴿ وقوله تعالى (سماعون) يعني بني قريظة يعني أنهم جواسيس وعيون (لقوم آخر بن) وهم أهل خيبر (ليمأوك) يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك بالجمدة (ذكر القصص في ذلك) قال علماء التفسير ان رجلا وامراة من أشرف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرهما فقالوا ان هذا الرجل يثبت بعنون محمد صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جبرانه وصلح معه فليأوه عن ذلك فبعثوا راسطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوهم ائمتنا عن الزانية اذا أحصنا ما حدهما فان أمركم بالحد فاقبلوا منه وان أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جبران هذا الرجل ومعه في بلد وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قذرتا وقدا أحصنا فنجب ان نسأله عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يا سر كما تكبرون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكانه بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانية اذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فاخبرهم بذلك فابوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم (بن صوريا) ووصفه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لم هل تعرفون شابا أمردا بيضا أعور يسكن فذلك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فلما ساء قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهودي قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي تجمعوا به بيني وبينكم قالوا نعم

سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بألحاء المجمة وبعد هابوا معه واحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله لانسان في حنضه وقيل هو ما يأخذنه في خبنة ثوبه وهو ذو له وأسفه والجري موضع التمر الذي يخفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المسكن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر علق ولا في حريسة الجبل فإذا آواه المراح أو الجريين فالقطع فيما بلغ عن الجن هكذا رواه مالك منقطع وهو رواية من حديث عبد الله بن عمر المتقدم فإن هذه الرواية عن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجوده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس بحرس حرسا إذا سرق ومنهم من يجعلها المحرسة ومعنى الحديث أنه ليس فيما يحرس في الجبل إذا سرق قطع لأنه ليس يحجز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل مأواها والمراح يضم الميم هو الموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل عن جابر بن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائف ولا منتهب ولا محلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي **المسئلة الخامسة** الرابعة إذا سرق مالا له في شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الولد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو النحر يكسر من مال شركه فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه **المسئلة الخامسة** إذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى فإن سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك بهزرو ويحس حتى تظهر ثوبته يروى هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق أن سرق فاقطعوا يده ثم أن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم إلى أنه أن سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروى عن علي أنه قال إنني أستمحي أن لأدع له يدا يستنجي بهما ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي **فوله تعالى** (فمن تاب من بعد ظلمه) يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة (وأصلح) يعني وأصلح العمل في المستقبل (فان الله يتوب عليه) يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه (ان الله غفور) يعني لمن تاب (رحيم) به

فصل وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لان الحد جزاء على الجنابة ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية الخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالك سرت فقال لي فأعاده عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به ففقط ثم سجد به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب إليه فقال الرجل استغفر الله وتب إليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه وأمره أن يداود والنسائي بمعناه وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو نكل المروق باقيا عنده يجب عليه أن يرد له إلى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يتمتع أحدهما بالآخر والله أعلم **فوله عز وجل** (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أن الله لا انسان فيكون الخطاب لسلك فرد من الناس ان الله له ملك السموات والأرض يعني ان الله مدبر أمر ما في السموات والأرض ومصرفه وخالق من فيه ما وملكه لا يتمتع عليه شيء مما أراد فيه ما لان ذلك كما في ملكه واليه أمره (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب

(فمن تاب) من السرقة
(من بعد ظلمه) سرقته
(وأصلح) برد المروق
(فان الله يتوب عليه)
يقبل توبته (ان الله غفور
رحيم) يغفر ذنبه ويرحمه
(ألم تعلم) يا محمد وأما طيب
(ان الله ملك السموات
والارض يعذب من يشاء)
من مات على الكفر
(ويغفر لمن يشاء) ان تاب
عن الكفر

والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جهورها أهل اللغة من رؤس الأصابع إلى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله نه لى (جزاء بما كسب) يعنى ذلك القطع جزءا على فعلهم (نكالا من الله) يعنى تقوية من الله (والله عز وى) فى التقامه عن عصاه (حكيم) يعنى فى أوجهه من قطع يد السارق فصل فى بيان حكم الآية وفيه مسائل **المسئلة الأولى** اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السرقة (ق) عن عائشة أن قرىنا منهم شأن الخزمية التى سرق فقالوا من يكلم فيهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يحترى عليه الأسامة بن زيد بدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حد ود الله ثم قام فاختم على يده ثم قال انما هالك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تباع به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعناها أخرجه النسائى (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق ليبيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعشى يروى انه يبض الحد يدوان من الحبال ما يساوى دراهم أخرجه البخارى ومسلم أما السارق الذى يجب عليه النزع فهو البالغ لعقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالاسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا تقطع عليه **المسئلة الثانية** اختلف العلماء فى قدر النصاب الذى يقطع به فذهب أكثر العلماء إلى أنه ربع دينار فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا أخرجه فى الصحيحين وذهب مالك وأحمد واسحق إلى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا فى محج قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس وروى عن أبى هريرة أن قدر النصاب الذى يقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبى ليلي لما روى عن أنس قال قطع أبو بكر فى محج قيمته خمسة دراهم وفى رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائى وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا يقطع فى أقل من دينار وعشرة دراهم روى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثورى وأبو حنيفة لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع فى محج قيمته دينار وعشرة دراهم أخرجه أبو داود فاذا سرق نصابا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة مادون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع فى القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبرا ضاعدهم واليه ذهب داود الظاهرى واحتجوا بعموم الآية فان قوله تعالى ولسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز **المسئلة الثالثة** الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التى يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنه دراهم سرق من ذلك وهو مفتوح لباب أو مغلق فاما ما كان فى غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرزالأن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعى وأحمد وقال ابن أبى ليلي والثورى والاوزاعى وأبو حنيفة لا يقطع عليه فان سرق شيئا من غير حرز كخمر من بستان لا حارس له أو حيوان فى برية ولا راعي له أو متاع فى بيت منقطع عن البيوت فلا يقطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر الملقى فقال من أصاب فيه منه من ذى حاجة غير متخذ خيمة فلائى عليه أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وزاد فيه ومن خرج بشئ منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد ان يؤويه الجربى فبلغ عن المجن فعليه القطع ومن

(جزاء بما كسب) . فعول
له (نكالا من الله) أى
عقوبة منه وهو بدل من
جزاء (والله عز وى) غالب
لا يعارض فى حكمه
(حكيم) فيما حكم من قطع
يد السارق والسارقة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) فَلَا تُوْذُوا عِبَادَ اللَّهِ (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) هِيَ كُل (٤٩١) مَا يُوْسَلُ بِهِ أَيْ يَتَقَرَّبُ مِنْ قَرَابَةٍ وَأَوْصِيَةٌ

أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَاسْتَعِرتُ مَا
يُوْسَلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ السَّيِّئَاتِ
(وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ أَلَيْسَ
تَقْلَحُونَ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ
جَمِيعًا) مِنْ صُنُوفِ الْأَمْوَالِ
(وَمِثْلَهُ مَعَهُ) وَأَنْفَقُوهَا
(لِيَتَسَدَّوْا بِهِ) لِيَجْعَلُوهُ
فِدْيَةً لَانْفُسِهِمْ وَلَوْعَ مَا فِي
حِيزِهِ خَيْرٌ مِنْ وَحْدِ الرَّاجِعِ
فِي لِيَتَسَدَّوْا بِهِ وَقَدْ ذَكَرَ
شَيْئًا لِأَنَّهُ أَجْرِي الضَّمِيرِ
مَجْرًى اسْمِ الْإِشَارَةِ كَأَنَّهُ
قِيلَ لِيَقْتَدُوا بِذَلِكَ (مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ
مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)
فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى النِّجَاةِ
بُوجُهُ (يُرِيدُونَ) يَطْلُبُونَ
أَوْ يَتَمَنُّونَ (أَنْ يُخْرِجُوا
مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ
مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ)
دَائِمٌ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)
ارْتَفَعَا بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ
مُحْذَوْفٌ تَقْدِيرُهُ وَفِي آيَتِي
عَلَيْكُمْ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ
أَوِ الْخَبَرِ (فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا)
أَيُّ يَدَيْهِمَا أَلِإِذَا ارْتَفَعَا
بَدِيلٌ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ وَدُخُولُ الْفَاءِ
لِتَضْمِنَ مَعْنَى الشَّرْطِ لَأَنَّ
الْمَعْنَى وَالَّذِي سَرَقَ وَالتَّي
سَرَقَتْ فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا
وَالِإِصْبَاحُ الْمَوْصُولُ يَضْمَنُ

إِذَا تَابَ وَاسْتَأْمَنَ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَذَلِكَ السَّدَى هُوَ الْكَافِرُ إِذَا آمَنَ لَمْ يَطْلُبْ بِشَيْءٍ إِلَّا إِذَا صَبَّ
عِنْدَهُ مَالٌ بَعِيْنُهُ فَأَنَّهُ يَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ إِلَّا زَيْدَ بْنَ حَبِشٍ مَالِكًا قَالَ يُوْخَذُ بِالْمَالِ إِذَا طَلَبَ بِهِ
إِلَيْهِ فَأَمَّا مَا صَابَ مِنَ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَلَمْ يَطْلُبْهُ أَوْ لِيَاؤُهُمَا فَلْيَتَّبِعْهُ الْإِمَامُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهَذَا حُكْمُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ فِي حَارِثَةَ بْنِ زَيْدٍ وَكَدُونٍ قَدْ خَرَجَ بِحَارٍ بِأَنْتَابٍ قَبْلَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَأَنَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ
مِنْ مَرَادِي أَيْ مُوسَى الْأَشْمَرِيُّ وَهُوَ عَلَى الْكُفُوفَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ بِعَدَا صِلَى الْمَكْتُوبَةِ فَقَالَ يَا مُوسَى
هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ كَأَنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ مِنْهُ فَلَنْ تَبْرَأَ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَسِعَتْ فِي الْأَرْضِ الْفُصَادُ وَأَنْ
قَدِ تَبْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَى فِقَامِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ هَذَا فَلَنْ تَبْرَأَ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَسِعَتْ فِي الْأَرْضِ الْفُصَادُ وَأَنْ
الْأَرْضُ فَسَادًا وَكَتَابَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا يَخْبِرُ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ يَسْقُطُ عَنْهُ بَتُّهُ
قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ حَدَالَةً وَلَا يَسْقُطُ عَنْهُمَا مَا كَانَ مِنْ حَقِّ نَبِيِّ آدَمَ مِنْ قِصَاصٍ أَوْ مُظْلَمَةٍ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ
وَأَمَّا إِذَا تَابَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَيُظَاهَرُ الْآيَةُ أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَنْتَفِعُهُ وَتَقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَحْفَلٌ أَنْ
يَسْقُطَ كُلُّ حَدَالَةٍ عَنْ رَجُلٍ بِالتَّوْبَةِ ۖ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) أَيُّ خَافُوا اللَّهَ تَبْرَأَ مِنْهُ
(وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) يَعْنِي وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ الْقَرَبَ بِطَاعَتِهِ وَالْعَمَلَ بِمِائِرِضِي وَنَمَاقِنَا ذَلِكَ لِأَنَّ جَمَاعَ
التَّكَاثُفِ مَحْصُورَةٌ فِي نَوْعَيْنِ لَا تَالِثَ لَهُمَا أَحَدُ النَّوَاعِي تَرْكُ الْمُنْهِيَاتِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ اتَّقُوا اللَّهَ
وَالثَّانِي التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالطَّاعَاتِ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَالْوَسِيلَةُ فِعْلِيَّةٌ مِنْ وَسِيلٍ
إِلَيْهِ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ ۖ إِنَّ الرِّجَالَ لَمْ يَكُ الْوَسِيلَةُ ۖ أَيُّ قُرْبَةٍ وَقِيلَ مَعْنَى الْوَسِيلَةِ
الْحُبَّةُ أَيُّ تَحْبِيْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ) أَيُّ وَجَاهِدُوا الْعَدُوَّ فِي طَاعَتِهِ وَابْتَغُوا مَرْضَاهُ (أَلَيْسَ
تَقْلَحُونَ) يَعْنِي لَسِيكَ تَسْعُدُوا بِالْخُلُودِ فِي جَنَّتِهِ لِأَنَّ الْفَلَاحَ اسْمُ جَامِعٍ لِلْخُلَاصِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَالْفَوْزُ بِكُلِّ
مُحِبِّوبٍ ۖ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مِثْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدِيَنَّهُمْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ) يَعْنِي أَنَّ الْكَافِرَ لَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا وَدُنْيَا أُخْرَى مِثْلَهُمَا مَعَهُ أَتَمَّ فِدَى نَفْسِهِ مِنْ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِدَاءَ (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْعَذَابَ لَا زَمَ لَلْكَفَارَةِ وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ
لَهُمْ إِلَى الْخُلَاصِ مِنْهُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ (ق) عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَاهُونَ أَهْلُ النَّارِ عَذَابًا لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا كَالْهَامِ كُنْتَ بِمَقْتَدِيَاهُمَا يَقُولُ نَعَمْ يَقُولُ قِيَادُ رَدْتُ مِنْكَ
أَيُّسَرُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صَلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تَشْرَكَ بِي وَلَا أَدْخُلُكَ النَّارَ وَأَدْخُلُكَ الْجَنَّةَ فَأَيُّتَ الْإِلَهِ الشَّرْكَ هَذَا لَفْظُ
مُسْلِمٍ وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْلُ لَهِ لَأَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا كُنْتَ
تَقْتَدِي بِهِ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقَالُ لَهُ لَقَدْ كُنْتَ سَلَّتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا تَشْرَكَ بِي (يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ
النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا) فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْخُرُوجَ مِنَ الدَّارِ وَيَطْلُبُونَ لَهَا وَلَكِنْ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ قَبْلَ إِحْدَالِهِمْ لِبَلِّ النَّارِ أَوْ فَوْقَ طَلْبِهِ الْخُرُوجَ مِنْهَا فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَالْوَجْهُ الثَّانِي
أَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ بِقَوْلِهِمْ (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) يَعْنِي وَلَهُمْ عَذَابٌ دَائِمٌ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ عَنْهُمْ
وَلَا يَنْتَقِلُ أَبَدًا ۖ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا) قَالَ ابْنُ السَّائِبِ نَزَلَتْ فِي طُعْمَةٍ
أُتِيَتْ وَقَدْ مَنَاقَصَتْ فِي سُورَةِ النَّبَاِ وَغُلَامُ السَّارِقِ سَارِقًا لَأَنَّهُ يَأْخُذُ الشَّيْءَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَخْذُهُ فِي خِفَاءٍ
وَمِنْهُ اسْتَرْقَ السَّمْعَ مَسْتَحْفِيًا وَالسَّارِقُ هُنَا مَرْفُوعٌ بِالْإِنْتِدَاءِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ وَاحِدَ بَعِيْنِهِ أَعَانَهُ وَكَفُّهُ لَكَ مِنْ سَرَقِ
فَاقْطِعْ يَدَيْهِمَا وَرَادِي الْإِيمَانِ قَوْلُهُ الْحَسَنِ وَالشَّيْءُ وَالسَّدَى وَكَذَلِكَ هُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا وَمَا نَمَاقِلُ أَيْدِيَهُمَا وَلَمْ يَقْلُ بِدِيَهُمَا لِأَنَّهُ أَرَادَ يَمِينًا مِنْ هَذَا وَمِمَّا مِنْ هَذَا جَمْعُ قَوْلِهِ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْإِيمَانُ وَاحِدَةً وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ وَحْدَةٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ إِذَا ذَكَرَ مَضَافًا إِلَى اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا جَمْعُ

مَعْنَى الشَّرْطِ وَبَدَأَ بِالرَّجُلِ لِأَنَّ السَّرْقَةَ مِنَ الْجَبْرَةِ وَهِيَ فِي الرِّجَالِ كَثْرَتُ خَرَا زِيَانِ لَأَنَّ الزَّانِبِينَ تَنْبَغُ مِنَ الشَّهْوَةِ وَهِيَ فِي النِّسَاءِ أَوْفَرُ وَقُطِعَتْ
إِلَيْهِ لَأَنَّهُمَا السَّرْقَةُ وَلَمْ تَقْطَعْ أَلَةُ الزَّانِفَادِيَا عَنْ قَطْعِ النَّسْلِ

للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره بالخروج عن طاعته لان كل من خالف أمر
 انسان فهو حربه فيكون المعنى مخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهم والقول الثاني معناه يحاربون
 أولياء الله وأولياء رسوله فهم من باب حذف المضاف (ويعصون في الارض فسادا) يعني يحمل السلاح
 والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلافوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين
 يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا
 قول الاوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين
 في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى (ان يقتلوا
 أو يصلوا أو يقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) وللعلماء في لفظة المذكورة في هذه
 الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وهو قال الحسن وسعيد بن المسيب
 والسحبي ومجاهد وهو ان الامام يختير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفي
 من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظة البيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن
 عباس وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روى
 عن ابن عباس في قطاع الطريق قال اذا قتلوا أو أخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا
 واذا أخذوا المال ولم يقطعوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا
 مالا نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل
 يصلب حياتهم بطن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلب عليه ثم يصلب وانما يجمع بين القتل
 والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في عمر الناس ليكون ذلك زاجرا للغيره عن الاقدام على
 مثل هذه المنعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكورة في الآية فقيل ان الامام يظلمهم في كل بلد
 وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبيرة وعمر بن عبد العزيز وقيل يظلمون حتى تقام عليهم الحدود وهو
 قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض
 لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبائه ولا ينتفع ببلدات الدنيا وطبقاتها فهو منفي من الارض في الحقيقة
 الامن تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجن يعني من
 هذه الامة وقال احبسه حتى أعلم منه التوبة ولا تنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى (ذلك) يعني الذي
 ذكر في هذه الآية من الحدود (لهم) يعني للمحاربين (خزى في الدنيا) أي عذاب وهو ان وفضيحة
 (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فاما من أجرى حكم الآية
 على المحاربين من المسلمين فينبغي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجنابة في الدنيا كانت
 عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشبهة ان شاء الله بجنابته ثم يدخل الجنة وان شاء
 عفاه عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة ﷺ وقوله تعالى (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم)
 يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحرمهم الله ورسوله ومن السبي في الارض بالفساد من قبل أن تقدروا
 عليهم يعني فلا سبيل لحكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة (فاعلموا ان الله غفور)
 يعني ان تاب من الشرك (رحم) يعني به اذا رجع عما يستخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل التفسير ان
 المراد بهذا الاستثناء للمشرك المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها
 الله تعالى في هذه الآية وانه لا يطلب بشئ مما أصاب من مال أو دم قال أبو اسحق جعل الله التوبة للكفار
 نذرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم
 المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطلب بشئ بالاجماع وأما المسلم المحارب

(ويعصون في الارض
 فسادا) مفسدين ويجوز
 أن يكون مفعولا لأي
 للفساد وخبر جزاء (ان
 يقتلوا) وما عطف عليه
 وأفاد الشد بد الواحد بعد
 الواحد ومعناه ان يقتلوا
 من غير صلب ان أفردوا
 القتل (أو يصلوا) مع
 القتل ان جمعوا بين القتل
 وأخذ المال (أو يقطع
 أيديهم وأرجلهم) ان
 أخذوا المال (من
 خلاف) حال من الايدي
 والارجل أي مختلفة (أو
 ينفوا من الارض) بالحبس
 اذا لم يز يدوا على الاخافة
 (ذلك) المذكور (لهم
 خزى في الدنيا) ذل
 وفضيحة (ولهم في الآخرة
 عذاب عظيم) الا الذين تابوا
 من قبل أن تقدروا عليهم
 فسقط عنهم هذه الحدود
 لاما هو حق العباد (فاعلموا
 أن الله غفور رحيم) يغفر
 لهم بالتوبة ويرحمهم فلا
 يعذبهم

قوله عز وجل (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل الكتاب كان
 بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق: نقضوا العهد وأفسدوا في الأرض خيبر الله رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك
 أيضا وقال الكشي نزلت في قوم هلال بن عويم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويم وهو
 أبو بردة الاسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر به لال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوأن لا يهاجفر
 قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فندوا عليهم فقتلهم وأخذوا أموالهم فنزل
 جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل أتوا
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخوا المدينة فبعثهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى ابل الصدقة فار تدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل
 وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا أهل ضرع ولم نكن
 أهل ريف واستوخوا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بدوراء وأمرهم أن يخرجوا فيه فشرى بوا
 من ألبانها وبأولها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الاسلام وقتلوا الراعي النبي صلى الله
 عليه وسلم واستاقوا الدود فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في أثرهم فامرهم فمسموا أعينهم
 وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوافي ناحية الحرة حتى ماتوا على حاطم قال قتادة بلغنا ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كان بعد ذلك يبحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك
 قبل أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عرينة اجتروا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يأتوا ابل الصدقة فيشرى بوا من ألبانها وبأولها فقتلوا الراعي واستاقوا الدود فارسل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ومسموا أعينهم وتركهم في الحرة بعضون المحاربة زاد في رواية
 قال أبو قتادة وماي شيء أشد مما صنع هؤلاء اريدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا في رواية أبي داود ان قومامن
 عكل أوقفال من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتروا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه
 وسلم بالقح وأمرهم ان يشرى بوا من أولها وبألبانها فانطلقوا فلما سمحوا اقتلوا الراعي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فارسل في آثارهم فارتفع النهار
 حتى جى بهم فامرهم ففقطعت أيديهم وأرجلهم ومسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال
 أبو قتادة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية وأنزل الله عز
 وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية * شرح غريب
 هذا الحديث * وحكمه قوله انا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية تعيش بالابل والناس من أهل المدن
 والريف هو الأرض التي فيها زرع وخصب والجمع أو ياف قوله استوخوا المدينة يعني انهم اتوا في مزارعهم
 وكذا قوله فاجتروا المدينة وهو معناه والنود من الابل ما بين الثلاثة إلى العشرة والحرة هي أرض ذات
 شجيرة سود وهي هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة وقوله فمسمرا أعينهم معناه انه حتى مسامير الحديد
 وكل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتثو خلقته
 ومثله القتل أن يقطع أذنيه ومذا كبره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو
 منسوخ النسخ النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة
 لما قبله النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الأخذ بها
 والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معانبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى إياه عقوبتهم
 وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير مكنته وفي معناها

لا يبالون بعظمتهم
 (انما جزاء الذين يحاربون
 الله ورسوله) أي أولياء
 الله في الحديث يقول الله
 تعالى من أهان لي وليا فقد
 بارزني بالمحاربة

خضعهم بالذكروا واشترك
الكل في ذلك لان التوراة
أول كتاب فيه الاحكام
(أنهم قتل نفساً) الضمير
للشأن ومن شرطية (بغير
نفس) بغير قتل نفس (أو
فساد في الارض) عطف
على نفس أي بغير فساد في
الارض وهو الشرك أو قطع
الطريق وكل فساد يوجب
القتل (فكأنما قتل الناس
جميعاً) أي في الذنب عن
الحسن لان قاتل النفس
بجوارحه - ثم وغضب الله
عاليه والعتاب العظيم ولو
قتل الناس جميعاً لم يزد على
ذلك (ومن أحياءها) ومن
استنقذها من أسباب
المهلكة من قتل أو غرق
أو حرق أو هدم أو غير ذلك
(فكأنما أحيانا الناس جميعاً)
جعل قتل الواحد كقتل
الجميع وكذلك الأحياء
ترغبوا وترهبوا لان المتعرض
لقتل النفس اذا تصور أن
قتلها كقتل الناس جميعاً
عظم ذلك عليه فيطيه وكذا
الذي أراد أحياءها اذا
تصور ان حكمه حكم أحياء
جميع الناس رغب في أحيائها
(ولقد جاءتهم) أي بني
اسرائيل (رسلاً) ورسلاً
أبو عمرو (بالينات) بالآيات
الواضحات (ثم ان كثيراً
منهم بعد ذلك) بعد

عليهم شراً أي جنى عليهم شرنا (كتبنا) أي فرضنا وأوجبنا (على بني اسرائيل) فان قلت من أجل ذلك
معناه من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل وهذا شكك لانه لا مناسبة بين واقعة
قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال بعضهم هومن تمام الكلام الذي قبله
واللهي فاصح من النادمين من أجل ذلك أي من أجل أنه قتل هابيل ولم يورده يروى عن نافع أنه كان يقف
على قوله من أجل ذلك ويحمله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب
المعاني على أن قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس بوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم أي قوله من أجل ذلك
ليس هو إشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو إشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من أنواع المفساد الحاصلة
بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه إشارة الى أنه حصلت له خسارة في الدين
والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه إشارة الى أنه حطرت في أنواع الندم والخسرة والخزن مع
انه لا داعي لذلك البتة فقله من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أي من أجل ذلك الذي ذكرنا في أثناء
القصة من أنواع المفساد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على اقاتل فان قلت فعلى هذا تكون
شريعة القصاص حكماً ثابتاً في جميع الامم الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان
كان عاماً في جميع الأديان والملة إلا أن التشديد المند كورهننا في حق بني اسرائيل غير ثابت في جميع الأديان
والملة لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ولا يشك أن المقصود منه المبالغة
في عقاب قاتل النفس عدواناً وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والرسل
وذلك يدل على صداقة قلوبهم وبهم بعد عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي
صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود بالقتل بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فخصيص بني اسرائيل
في هذه القصة بهذه المبالغة مناسبة للكلام وتوكيد المقصود والله أعلم براده ﴿قوله عز وجل﴾ (أنهم قتل
نفساً) يعني قتل نفساً ظاهراً (بغير نفس) يعني بغير قتل نفس لاعلى وجه الاقتصاص فيقادم قاتل النفس
على وجه العدوان المحرم (أو فساد في الارض) هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق
به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المارد من قوله قتل نفساً بغير نفس ومنها الشرك
والكفر بعد الإيمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المارد من قوله أو فساد في الارض (فكأنما قتل
الناس جميعاً) أي أحياءها فكأنما أحيانا الناس جميعاً قال مجاهد من قتل نفساً محرمة بصلى النار بقتلها كما
يصلها بقتل الناس جميعاً ومن سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعاً وقال ابن عباس من قتل نبياً أو
امام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً ومن شدد عضدي أو امام عدل فكأنما أحيانا الناس جميعاً وقيل معناه أن
من قتل نفساً محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعاً ومن أحياءها يعني من
غرق أو حرق أو وقع في هلكة فكأنما أحيانا الناس جميعاً يعني ان لمن الثواب مثل ثواب من أحيانا الناس
جميعاً وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما استحل قتل الناس جميعاً لانهم لا يسمون منه ومن
تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميع الناس فقد ساءوا منه قال أهل المعاني قوله ومن أحياءها على
المجاز لان المحي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجها من الهلاك فكأنما نجي جميع الناس منه
سئل الحسن عن هذه الآية أي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال أي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني
اسرائيل أكرم على الله من دماؤهم وقوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) يعني ولقد جاءت بني اسرائيل
رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات (ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك) يعني بعد مجيئ الرسل
وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل (في الارض لسرفون) يعني بالقتل لانتهاون عنه وقيل معناه لمجاوزون
حد الحق وإنما قال تعالى وان كثيراً منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير

سواء أختي) يعني فاسترجفته وعورته عن الاعين (فأصبح من النادمين) يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل إنه ندم على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه وأخوته فندم لاجل ذلك لاجل أنه جنى جنايته واقترب ذنباً عظيماً بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينتفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هاويل فقال ما أدري ما كنت عليه فربما فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادي من الأرض فلم تقتل أخاك قال فإن دم من كنت قتله غرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دمه بعده أبداً يروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هاويل كان آدم بمكة فاشتد الشجر وتغيرت الأطعمة وحضت الفواكه واغبرت الأرض فقال آدم - حدث في الأرض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هاويل وقيل لما رجع آدم سأله قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكذا فقال بل قتله ولذلك اسود جلده وقيل إن آدم مكث بعد قتل هاويل مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير لكل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الملبح

ويروى عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر افتقد كذب وإن محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هاويل رثاه آدم وهو سرى فلم قال آدم مرثيته قال لثبت يا بني أنت وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث به نبي الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى العرب بن فحطان وكان يتكلم بالعبسية والسر بانية وهو أول من خط العرب بمكة وكان يقول الشعر فنظر في المراثية فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعر أوزاد فيه أبياناً منها

ومالي لأجود بسكب دمع * وهاويل تضمه الضريح

أرى طول الحياة على نغما * فهل أأمن حيائي مستريح

قال الزنخشيروى يروى أنه رثاه بشعر وهو كذب بحث وما الشعر المأخوذ ملحون وقد صرح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الإمام غفر الدين الرازى ولقد صدق صاحب الكشف فيما قال فإن ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق إلا بالجن من المعلمين فكيف ينسب إلى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الأخبار فلم يأت من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بمقتل هاويل بخمسين سنة ولدت له حواء شيثاً وتغيره هبة الله يعني أنه خلف من هاويل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وأنزل عليه خمسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريداً شراباً فزعموا أنه لم يأت من تراه فأخذ يبدأ اخته أقملي وأهرج بها إلى عدن من أرض اليمن فأناها بليس وقال له انمأ كنت النار قربان هاويل لأنه كان بعده ما فاقب أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يبره أحد إلا ما بد بالحجارة فاقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لايه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لايه قتلت أباك قابيل فرفع الأعمى يده واطمأنته فمات فقال الأعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلت أبى باطمى فلم مات قابيل علفت إحدى رجليه فخذته وعلقت بها فهو معنى بها إلى يوم القيامة ووجهه إلى الشمس حيث دارت وعليه خظيرة من نار في الصبغ وحظيره من تلج في الشتاء فهو يعذب بذلك إلى يوم القيامة قالوا واتخذوا لآلئ الله من الطبول والزمر والعيان والطناوير وأنهم كوا في الله وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغر فهم الله تعالى جميعاً بما وافان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد أبى الله ذرية شيث ونسله إلى يوم القيامة ﴿قوله تعالى (من أجل ذلك)﴾ يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل لأجل في الآفة الجناية يقال أجل

أخى فأصبح من النادمين

على قتله لما توب فيه من

جمله وتحرره في أمره ولم يندم

ندم التائبين أو كان الندم

توبة لنا خاصة أو على حمله

لأعلى قتله وروى أنه لما

قتله اسود جسده وكان

أبيض فسأله آدم عن أخيه

فقال ما كنت عليه وكذا

فقال بل قتله ولذا اسود

جسدك قال سود ان من

ولده وباروى إن آدم رثاه

بشعر فلا يصح لأن الأنبياء

عليهم السلام معصومون

من الشعر (من أجل

ذلك) بسبب ذلك وبعلة

وذلك إشارة إلى القتل

الذكور قيل هو متصل

بالآية الأولى فيوقف على

ذلك أى فأصبح من

النادمين لأجل حمله ولأجل

قتله وقيل هو مستأنف

والوقف على النادمين

ومن يتعاقب بكتبة

لألنادمين

اننى اخاف الله رب العالمين) قيل كما
لم يكن مباحا فى ذلك الوقت وقيل بل

(٤٨٦)

تركة ولا يتبع منه وقيل ان المقتول كان أقوى من القاتل وأبش منه واسكنه تخرج عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله (إني أخاف الله قرب العالين) والمعنى إني أخاف الله في بسط يدي إليك ان بسطتها أقتلك أن يعاقبني على ذلك ﷺ قوله عز وجل اخبار عن هابيل (إني أو يدأن تبوء بائني وأهلك) يعني ترجع بأم قتلي إلى أم معاصيك التي علمتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل إني أو يدأ رادة القتل والمعصية من الغير لا يجوز قلت أجاب ابن الأنباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لأخيه هابيل لا تقتلك وعظه هابيل وذكره الله واستغفله وقال ابن بسطت إلى يديك لأفبرج فلعاراه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرمي بها قاله هابيل عند ذلك إني أو يدأن تبوء بائني وأهلك أي اذا قتلتني ولم يندفع قتلك إياي الا بقتلي إياك خبيثا بل مأك أم قتلي اذا قتلتني فكان هذا عدا لهما من هابيل واليه ما أشار الزجاج فقال معناه ان قتلتني فما أنامر بذكلك فهذه الإرادة منه بشرط أن يكون قاتله والانسان اذا تمنى أن يكون أم دم على قاتله لم يلزم على ذلك وعلى هذا التأويل قال بعضهم معناه إني أو يدأن تبوء بعقاب أمي وأهلك غنظ المضاف وما به بأم بعقاب ذكلك الأم ذكركه الواحدى وقال الزمخشري ايس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لم يعلم أنه يقتله لا المحال فوطن نفسه على الاستسلام للقتل طالبا للواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة (فكنون من أصحاب النار) يعني الملازمين لها (وذلك جزءا للظالمين) يعني جهنم جزءا من قتل أخاه ظلما ﷺ قوله تعالى (فلو علمت له نفسه قتل أخيه) يعني زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذه هو المراد من قوله تعالى فلو علمت له نفسه قتل أخيه (فقتله) قال ابن جرير ما قصد قابيل قتل هابيل لم يدرك كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضعه بمحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابرو وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجد الجاهل وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة ﷺ وقوله تعالى (فأصبح من الخاسرين) قال ابن عباس خسرو نياه وآخرته أما نياه فاسقاطا للديه وبقي بلاؤه وأما آخرته فاستخار به وصار إلى النار (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان بين ابن آدم الاول وكفل من دمه لانه أول من سن القتل ﷺ قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواء أخيه) قال أصحاب الاخبار لما قيل قابيل هابيل تركه بالعراء لم يدرك ما يصنع به لانه أول ميت من بني آدم على وجه الارض فقصده السباع لتأكله فخلعه قابيل على ظهره في جواب ارباب بعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أرواح وأنث فاراد الله أن يرى قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن فبعث الله غرابا فافتتلا فقتل أحدهما الآخر فخره بمنقاره ورجليه فحفره ثم ألغاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعني ينحفرها وينثر ترابها ليريه كيف يواري سواء أخيه يعني ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يواري ويسترجف أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب (قال يا ويلتا) أي لزيه الويل وحضره وهي كفة تحسرت وتلطف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكرمه علمانه وعلم انه انما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تاهف وتحسرت على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر (فاورى

مأثراً بساط يدي اليك
 مبتدئاً كعصاك ذلك
 مني وكان هاتيل عازماً على
 مدافعته اذا قصد قتله وانما
 قتله فتسكا على غفلة منه
 اني أخاف حجازي وأبو عمرو
 (اني أريد) مدني (ان
 تبوء) ان تتحمل أو ترجع
 (بأنجي) بأنم قتلي اذا قتلني
 (وانك) الذي لاجله لم يقتل
 قر بانك وهو عقوق الاب
 والحسد والحد وانما أراد
 ذلك لسكره برده فضية
 الله تعالى أو كان ظالماً وجزاء
 الظالم جائز أن يراد
 (فتكون من أصحاب
 النار) وذلك جزاء الظالمين
 فطوعت له نفسه قتل أخيه
 فوسعته وبسرته من طاع
 له المرع اذا اتسع (فقتله)
 عند عقبة حراء وألأ بالصرة
 والمقتول ابن عشرين سنة
 (فاصبح من الخاسرين
 فبعت الله عزرا بابي بحث في
 ارض ابريه) أي الله أو
 الغراب (كيف يورى
 سواة أخيه) عوردة أخيه
 وما لا يجوز أن ينكشف
 من جسده روى أنه أول
 قاتل قتل على وجه الارض
 من بني آدم ولمقاتله تركه
 بالر لا يدري ما يصنع به
 تخاف عليه السباع فخله
 في حراب على ظهره سنة

حتى أروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل أحدهما الآخر فخر له بمنه أروجه
ثم لقاه في الحفرة فخيند (قال يا ليتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى) عطف على أكون (سواة

سورة٤٠

تقدير حذف المضاف
(قربا) ما يتقرب به الى
الله من نسبة أو صدقة
يقال قرب صدقة وتقرب
بها لان تقرب مطاوع قرب
والمعنى اذقرب كل واحد

منهما قرب بانه دليه (فتقبل
من أحدهما) قربا وهو
هايل (ولم يتقبل من
الآخر) قربا وهو قاييل
روى أنه أوحى الله تعالى
الى آدم أن يزوج كل واحد
منهما توأمة الآخر وكانت
توأمة قاييل أجل واسمها

اقليا خسرده عليها أخوه
وسخط فقال لهما آدم
قربا قربا فنيقاييل
تزوجها فقبل قربا هابيل
بان نزلت نارفا كلمته فازداد
قاييل حسدا وسخطا
وتوعده باقتل وهو قوله
(قال لاقتلك) أى قال
هابيل (قال انما يتقبل
الله من المتقين) وتقديره

قال لم تقبلنى قال لان الله
من المتقين وأنت غير متقى
فانما أوتيت من قبل نفسك
لان سلاخها من لباس
التقوى لامن قبلى وعن
عاصم بن عبد الله انه بكى
حين حضرته الوفاة فقيل له
ما بك بكى وكنت وكنت
قال انى أسمع الله يقول
انما يتقبل الله من المتقين
(الى بكك لقتلتنى ما انابيا بسط) (الى بكك لقتلك

الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان انة تعالى قال فى آخر الآية بعث الله غرا بابيحت فى
الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق أى أخبرهم خبرا متبسا بالحق
والصدق لانه من عند الله وموافق لما فى الكتب المتقدمة وهم يعلمون محبة ومتصوفا هذا الخبر هو تنقيح
الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذقربا) القربان
اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك وغير ذلك مما يتقرب به

بذ كرفصة القربان وسببه وقصة قتل قاييل هابيل

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما وباربعة فكان جميع ما ولدته
أربعين ولدا فى عشرين بطناً وأولهم قاييل وتوأمة اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمة أم المغيث ثم بارك الله
فى نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد له أربعين ألفاً واختلوا فى مولد قاييل وهابيل
فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد هبطها الى الارض بمائة سنة فولدت له قاييل وتوأمة اقليما فى بطن ثم
هابيل وتوأمة لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى
حواء فى الجنة قبل أن يصب الخطينة فحملت بقاييل وأخته فى نجد عليهما وحاملا وصابوا لطلقا ولم تردما
وقت الولادة فلما هبط الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمة فوجدت عليهما الوحمة والوصب والطاق
والدم وكان اذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخوانه
شاء غير توأمة التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا أخوانهم فكبر قاييل وأخوه هابيل وكان بينهما ستان
فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قاييل لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل اقليما أخت قاييل وصككت اقليما
أحسن من لبودا فدعا آدم ذلك له ما رضى هابيل وسخط قاييل وقال هى أختى وأنا أحق بها ونحن من
أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال أبوه آدم انها لخل لك فى أنى يقبل ذلك وقال ان الله لم يبارك بهذا
وعامهم من رأبك فقال لهما آدم قرب باقة قربا فنيقاييل قربا فهو أحق بها وكانت القرايين اذا كانت
مقبولة نزلت من السماء مريضاء فاكتاهوا أن لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكاه الطير والسباع فخرجوا
من عند آدم ليقربا فاقربا بان وكان قاييل صاحب زرع وقرب صبره من طعام ردى وأضر به نفسه لا بألى
أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أحد غيبرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقربه
وأضمر فى نفسه رضا الله فوضاقر باهم على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فاكتت قربا هابيل
ولم تأكل قربا هابيل فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما) يعنى هابيل (ولم يتقبل من الآخر) يعنى
قاييل فغضب قاييل اذ لم يتقبل قربا هابيل فغضب لانه لم يكن له ياراة ألبتت وغاب عنهم فأتى
قاييل هابيل وهو فى غنمه (قال لاقتلك قال) قال هابيل ولم تقتلنى قال قاييل لان الله تقبل قربا بك ورد
قربا بى وترى بانى تنكح أختى الحسناء وتنكح أختك الدميمة فتحدث الناس بانك خبرمى ويفخر ولدك
على ولدى فقال هابيل وما ذنبى (انما يتقبل الله من المتقين) يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال
فانك كان أحد القربانيين مقبولا دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضر فى قلبه
الحسد لآخيه على تقبل قربا هابيل وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لان سلاخها من لباس
التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بحجاب مختصر وقيل بمحمل أن يكون خطا للنبى صلى الله عليه وسلم
فكانه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انما أعماله يتقبل قربا هابيل لم يكن له ياراة ألبتت وغاب عنهم فأتى
ثم قال تعالى اخبراعن هابيل (لئن بسطت الى يدك) يعنى لئن مددت الى يدك (لقتلتنى ما انابيا بسط يدى
اليك لاقتلك) يعنى ما انابيا مختصر لنفسى بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمجدتك بالقتل وذلك ان الله
كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظله اوقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل أن يقتل رجلا

(لئن بسطت) مددت (الى يدك لقتلتنى ما انابيا بسط) بما (يدى) مدنى وأبو عمر وروى (الى بكك لقتلك

فيكم غلوة فلبا يعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فاصقت يد رجل به فقال فيكم غلوة فلبا برأس نور من
 ذهب مكال باياقوت والجلوه قد غلوه رجل منهم فجعله في لقر بان وجعل الرجل معه خبز النارف كانت
 الرجل واقرب بان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم غزاني من الانبياء فقال لقومه لا ينبغي لرجل ملك بضع امرأة وهو ير يدان يعني ما ولم
 بينه ما ولا أحد بيني بيوت لم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غبا وخلفات وهو ينتظر اولادها فغز افدنا من
 اقرية صلاة العصر وافر بيا من ذلك فقال للشمس انك مامورة واماموراهم احبها عليا فنجست حتى
 فتح الله عليه فجمع الغنائم في ثياب بني النارلنا كلها فلم نطعمها فقال ان فيكم غلوة فلبا يعني من كل قبيلة
 رجل فلو تيد رجل يده فقال فيكم الغلوة فلبا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضه في اجزاء النار
 فاكلها زادني رواية فلم تحمل الغنائم لاحد قبلنا ثم احل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا ونجز فاحلها لنا اخرجته
 البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله لا ينبغي لرجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كتابة
 عن فرج المراءين ههنا لم يدخل عليها والخلفات النوق الخوامل وقوله للشمس انك مامورة وامامور
 الهم احبها عليا قال الشيخ محي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا
 فقيل ردت الى ورائها وقيل دقت ولم ترد وقيل طهرت كتهواكل ذلك من معجزات النبوة قالو يقال ان
 الذي حبست عليه الشمس بوشع بن نون قال القاضي وقد روي أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له
 الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى
 صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواه ثقة والثانية صبيحة ليلة الاسراء حين انتظر العبر لم اخبر
 بوصوله مع شروق الشمس ذكره بوشع بن بكير في زبادته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات بوشع بن
 نون ودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تديره امر بني اسرائيل بعد موسى
 سبعة وعشرين سنة وقيل ان الذي فتح ارضه هو موسى عليه السلام وكان بوشع بن نون على مقدمته فصار
 اليهم بين بني بني اسرائيل فدخلها بوشع وقاتل الجبارية ثم دخلها موسى واقام بها ماشاء الله تعالى ثم قبضه
 الله اليه ولا يعلم احد قبره وهذا اصح الاقاويل لاتفق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج ابن
 عنتق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني
 لا املك الانفسى وأخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أو بعين سنة بينهم في الارض فلما صرب
 عليهم النبي ندم موسى وانه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنيا يا موسى فكثروا في التبع فلما خرجوا
 منه رفع المن والسولي والبقول والتقى موسى وعوج فزما موسى في السماء عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة
 اذرع وكان طوله عشرة فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى ايام قبل مصيريه في التبع لم
 يجزع بنوا اسرائيل لانه كان من اعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سر عوج مائة اذرع وقال وان
 اهل العلم باخبار الاولين يجمعون على أن بلعم بن باعوراء كان من أعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان
 يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وسرد قصته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (فلاناس
 على القوم الفاسقين) يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على مادعا
 على قومه اوحى الله اليه فلاناس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجاز ان يكون خط بالمحمد صلى الله عليه
 وسلم أى لا تحزن بالمحمد على قوم لم يزل شأهم المعاصي ومخالفة الرسل وقوله عز وجل (وانزل عليهم نيا ابنى آدم
 بالحق) يعني اذكر قومك واخبرهم خبرا بنى آدم وهما هابيل وقايل في قول جهورا نفسرين ونقل عن
 الحسن والضحاك ان ابني آدم اللذين قربا بالقر بان ما كانا بنى آدم اصلبه وانما كانا رجاين من بنى اسرائيل
 و يدل عليه قوله تعالى في آخر القصص من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس

(فلا نأثم على القوم
 الفاسقين) فلا تحزن
 عليهم لانهم فاسقون قيل
 لم يكن موسى وهرون
 معهم في التبع لانه كان عقابا
 وقد سأل موسى ربه انه
 يفرق بينهم وبينه وقيل
 كان معهم الا انه كان ذلك
 روحا لماسلا لا عقوبة
 ومات هرون في التبع
 وموسى فيه بعده بسنة
 ومات النبا في التبع الا
 كالب وبوشع ثم امر الله
 تعالى بمحمد صلى الله عليه
 وسلم ان يقص على
 حاسديه ما جرى بسبب
 الحسد ليرتكوه ويؤمنوا
 بقوله (وانزل عليهم) على
 اهل الكتاب (نبأ ابني
 آدم) من صلب هابيل
 وقايل او همارجلان من
 بنى اسرائيل (بالحق) نبأ
 متايبا بالصدق موافقا لما
 في كتب الاولين او تلاوة
 متلوة بالصدق والصحة
 او وائل عليهم وانت محق
 صادق

الرخم جفله الله أصم أبكم * وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحب إليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغزو وروح اليه ويقول له يا بني الله ما حدث الله اليك فيقول له يوشع يا بني الله ألم أصبح بك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تتبدى به وتذكر ملي ولا يدكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسل ملك الموت إلى موسى فله اجاء صكه ففقا عينه فرجع إلى به فقال ارسلني إلى عبد لا ير يد الموت فرد الله اليه عينه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن نور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أرى ب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدينه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لا ترك قبره إلى جانب الطريق عند الكذب الاجر وفي رواية سلم قال جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك قال فاطم موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النووي قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصويره قالوا كيف يجوز على موسى في عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بوجه آخر أنه لا يمنع أن يكون الله قد أذن أوصى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للباطون والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد والثاني أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدفعه عنها فادت المدافعة إلى في عينه لأنه قصد هالقي وتؤيد به رواية صكه وهذا جواب الامام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصد في عينه قال قيل فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت فاجواب انه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الاذنان من الارض المقدسة فأنكر فيها وفضلها وفضل من بهامن المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والتقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وأما سؤال موسى الاذنان ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهوراً عنده فيفتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر بهط من الملائكة يحفرون قبراً لمرشياً أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله ان تحفرون هذا القبر فقالوا العبد كرم على ربه فقال ان هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كالايوم ففقات الملائكة يا صفي الله نحب أن يكون لك قال وددت قالوا فنزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ففزل واضطجع وتوجه إلى به عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل ان ملك الموت أتاه بفتاح من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمره موسى عليه السلام مائة سنة وستة عشر من سنة فلهامات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله يوشع إلى بني اسرائيل فآخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارين في صدقوه وتابعوه فتوجه بني اسرائيل إلى أريحا وهي مدينة الجبارين ومعه نايوت الميثاق فأحاط بمد ينة أريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضجوا في الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقالوا الجبارين وهزمهم وهجوا عليهم يقتلهم فكانت العصابة من بني اسرائيل بحجة عون على عنق الرجل من الجبابرة يضر نوبها حتى يقطعونها وكان القتال والفتح يوم الجمعة فقبض منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليل السبت فقال اللهم اردد على الشمس وقال الشمس انك في طاعة الله وأني في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين ونقم ملوك الشام فاستباح منهم احدى ثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني اسرائيل وفرق عباله نواحيها وجمع الغنائم غنائم التارلثاً كلها فلم تطعمها فقال ان

قوله والثاني الخ هذا هو
الجواب الثالث في شرح
النووي على مسلم ونص
الجواب الثاني فيه والثاني
أن هذا على المجاز والمراد
ان موسى ناظره وحاجه
فقلبه بالحنة وقال فقاً
فلان عين فلان اذا غلبه
بالحنه وقال عورت الشيء
اذا دخلت فيه نقصا قال
وفي هذا ضعف لقوله صلى
الله عليه وسلم فرد الله عينه
فان قيل أراد محبته كان
بعبداً والثالث الخ اه
مصححه

تحرى من منع فأوحى الله تعالى إلى موسى في حلفت لأحر من عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع
وكالب ولا يهنيهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي كانوا يتجسسون فيها أسنة ولا يقين
جيتهم في هذه التفار وأما بذؤهم الذين لم يعموا الشريد خلوناهم فذلك قوله تعالى فانها يعنى الأرض
المقدسة محرمه عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحرى من منع لا تحرى من تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحرى من تعبد
فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يكتفوا في تلك المفاضة في الشدة والبالغة عقابهم على سوء صنعهم
(أربعين سنة) فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمه عليهم قال أربعين سنة يهنيون في الأرض فاما
الحرمة فانها واردة حتى يموتوا ويدخلها بناؤهم وقيل معناه ان الأرض المقدسة محرمه عليهم أربعين سنة
ثم بدخلوها وانفتح لهم ﴿١٠﴾ وقوله تعالى (يهنيون في الأرض) يعنى يتحرون فيها يقال تاه بيه اذا تحرر
واختلفوا في مقدار الأرض التي ناهوا فيها فقل مقدار ستة فراسخ وقيل ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا
وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستة آلاف مقاتل وكانوا يرحدون ويسرون بومهم أجمع
فاذا أمسوا اذاهم في الوضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لئلا يسيروا على ما لا يحل ولا يمشوا
ويوشع وكالب فان الله تعالى سهل عليهم وأعانهم عليه كما سهل على إبراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت
كيف يعقل بقاء هذا الجوع العظيم في هذا المقدار الصغير من الأرض أربعين سنة بحيث لا يخرج منه أحد
قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في أزمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شيء
قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتحرى من التعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم الخروج
من تلك الأرض بل أمر بالمكث أربعين سنة في المشقة والحنة جزاء لهم على سوء صنعهم ومخالفتهم أمر الله
وبما حصل بنو اسرائيل في التيه شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فأزل الله عنهم المن والسوى واعطوا
من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقداره وهيته وسأل موسى ربه أن يسقيهم
فأني يحجرا أيضا من جبل الطور فكان اذا نزل ضر به به صاه فيخرج منه اثنا عشرة عين لكل سبط
منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلم في التيه ومات في التيه كل من دخله من جاوز عشرين سنة غير
يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أربعين سنة من قال اننا لم ندخلها بدأوا واختلفوا في أن موسى عليه
السلام مات في التيه أم خرج منه فقل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

قصه وفاة موسى وهرون عليهما السلام

الجهاد فقل فانها محرمه
عليهم والمراد فانها محرمه
عليهم (أربعين سنة) فاذا
مضى الأربعون كان ما
كتب فقد سار موسى عليه
السلام بمن بقي من بني
اسرائيل وكان يوشع على
مقدمته ففتحها وأقام فيها
ما شاء الله ثم قبض وأربعين
ظرف التحريم والوقف
على سنة وظرف (يهنيون
في الأرض) أى يسرون
فيها متحريين لا يمشون
طريقا أربعين سنة
والوقف على عليهم وأما
عوقبوا بالجس لاختبارهم
المكث فكانوا مع شدة
سيرهم يصبحون حيث
أمسوا ويمسون حيث
أصبحوا في ستة فراسخ
ولما ندب على الدعاء
عليهم قيل له

فاما هرون فانه كان أكبر من موسى بسنة قال السدي أوحى الله عز وجل إلى موسى اني متوفى هرون فأت به
جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبنى وفيه سرير
عليه فراش وفيه رائحة طيبة فاما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى اني أحب أن أنام على هذا
السرير قال ثم قال اني أخاف أن يأتي رب هذا البيت في غضب على قال لا تخف اني اكفيك رب هذا البيت فثم
قال يا موسى فثم أنت متى فان جاء رب هذا البيت غضب على عليك جيع فله اناما أخذ هرون الموت فلما وجد
مسه قال يا موسى خذ عني فلما قبض هرون رفع البيت والسرير إلى السماء وهرون على ذببت الشجرة
فرجع موسى إلى بني اسرائيل وأبس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحنا إياه قال
موسى ويحكم ان هرون كان أخي أقتلوني أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فلي ركبتين ثم دعا الله عز وجل
فنزّل السرير وعليه هرون فظفروا إليه وهو بين السماء والأرض فصدقه ثم رفع وقال على بن أبي طالب
رضي الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون إلى الجبل فمات هرون وبقي موسى فقال بنو اسرائيل نيل موسى
أنت قتلته وأدّوه فأمر الله الملائكة بحملوه حتى مرّوا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بؤته فصدقت
بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى عما قالوه ثم ان الملائكة حمله ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا

قال الرجلان) كالب و يوشع (من الذين يخافون) الله و يخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صف لرجلان وكذا (أنتم الله عليهم) ياخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علم ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين) اذا اذعان به يقضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك الالتئق بالخلق (قالوا يا موسى انال ندخلها) هذان في لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد (٤٨١) (أبدأ) تعليق بالنفي المؤكد بالدهر

المتناول (مادامو فيها) بيان للابد (فاذهب أنت و ربك) من العلماء من جعله على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذلو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لخبرهم موسى ولم تكن مقالة الجبارين أولى من مقالة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب أنت و ربك عينك على قتالك أو و ربك أي وسيدك وهو أخوك الا كبرهرون أولم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلفته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أنريدقتلهم (فقتلانا هنا قاعدون) ما كانوا لا نقالتهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه (قال رب اني لأملك) انصردنك (الانفسى وأخى) وهو منصوب بالاعطف على نفسى أو على اسم ان أي لا أملك الانفسى وان أخى لأملك الانفسى وأمر فوع بالاعطف على محل ان واسمها وأعلى الضمير في لأملك وجاز للوصل أي

قال بنو اسرائيل ذلك وهو بالانصراف الى مصر فرح موسى وهرورن ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهم ما يقول (قال رجلان من الذين يخافون) يعني يخافون الله و يوقرونه (أنتم الله عليهم) يعني بالهداية والوفاء بالعهد (ادخلوا عليهم الباب) يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا بنى اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجز لكم وعده (وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين) يعني يقول الرجلان لقوم موسى فتوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا هو لكم عظم أجسامهم فانافد رأيهم فكانت أجسامهم عظيمة وقالوا بهم ضعيفة فلما قالوا ذلك أراد بنو اسرائيل ان يرجعوا هما بالجبارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (قالوا يا موسى انال ندخلها) يعني قال قوم موسى انال ندخل مدينة الجبارين أبدا يعني مدة حياتنا (مادامو فيها) يعني مقيمين فيها (فاذهب أنت و ربك فقتلانا هنا قاعدون) انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والجحى على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو وفق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت و ربك عين لك لكن قوله فقتلانا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما أرادوا يقولهم و ربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره (خ) عن ابن مسعود قال شهدت من المناديين الاسود مشهد الان أن كون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أنى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على الشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انال نقول كما قالت بنو اسرائيل اوسى اذهب أنت و ربك فقتلانا هنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية اكنتا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فأرث رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسر (قوله تعالى) (قال) يعني موسى عليه السلام (رب) أي يارب (اني لأملك الانفسى وأخى) يعني اني لأملك الانفسى وأخى لأملك الانفسى وقيل معناه لأملك الانفسى ونفس أخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لأملك الانفسى وأخى وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقا لاختصاص هرون به ولزيدا لاعتنا بماخيه ويحتمل أن يكون معناه وأخى في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال بدخل الرجلان في قوله وأخى ثم قال (فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أي افضل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانهم رأوا بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهم به يوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام (قال) الله عز وجل (فانهما محرمة عليهم) يعني فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم أبدا ولم يردحرجيم تعبدوا وانما أراد

(٦١ - خازن - اول) ولا يملك أخى الانفسى أو هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخى كذلك وهذا من البت والشكوى الى الله ورقة القلب التي يثملها استتجلب الرحمة وتستتزل النصره وكأنه لم يبق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبي المصوم وأراد ومن يؤاخيني على ديني (فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فافضل بيننا وبينهم بان تحمك لنا بما وعدتنا وتواضعك عليهم ما هم أهل له وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعيد بيننا وبينهم وخصا من مجتهد كقوله ونجني من القوم الظالمين (قال فانها) أي الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا بدخولها وهو نحرهم يمنع لا نحرهم تعبد كقوله وسر منا عليه المراضع ولا

واصرأة ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بنيسندوسأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الأغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها امياه جار ومغن كان مسكنه واسعه وفيه ماء جار فهو ملك (وأنا كم تالم يؤت أخدامن العالمين) يعني من عالمي زمانكم يذكركمهم ما أنعم الله به عليهم من فاني البحر لهم وإهلاك عدوهم وإزال المن والسوى عليهم وإخراج الماء من الخجر لهم وتزليل الغمام فوقهم في الغيرة ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليهم ﴿قوله تعالى﴾ (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) لماذا كره موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أم سرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة يعني المظهره سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكننا للأنبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صدر ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذكرتك والأرض هي الطور وما حوله وقيل هي أرض بني إسرائيل و بعض الأردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كما قال كعب الاحبار ووجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكنها واو قيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم ترددهم وعصيانهم الوجه الثاني أن اللفظ وإن كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوسع بن نون وكالب بن قوناد خلاه وكابمان خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث أن هذا الوعد كان مشروط بالطاعة فالملأ لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط والوجه الرابع أنه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى وقوله تعالى (ولا تردنوا على أدباركم) يعني ولا ترجعوا القهقري مرتدين على أعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا الامر الله الذي أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به (فتنقلبوا خاسرين) يعني وترجعوا خائبين لانكم رددتم أمر الله ﴿قوله عز وجل﴾ (قائلا) يعني قوم موسى (يا موسى ان فيها) يعني في الأرض المقدسة (قوما جبارين) يعني قوما عاينين لاطاقتهم ولا قوة لنا بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهم العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار في لغة الانسان فعل من جبره على الامر يعني أجبره عليه وهو العاق الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل له مأخوذ من قولهم تحلة جبار إذا كانت طويلة من ريفته لتصل الياقوت يقال رجل جبار إذا كان طويلا عظيما وقوا يشبهوا الجبار من النخل (وانا لن ندخلها) يعني أرض الجبارين التي أمرهم الله بدخولها (حتى يخرجوا منها) حتى يخرج الجبارون من الأرض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم (فان يخرجوا منها فانا داخلون) يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وباعا بنوهم من قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني اسرائيل بما رأيت فلما رجعوا أخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني اسرائيل بذلك خالفوا أمره ونقضوا الهدى وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فانهما كتبا ورفيا بالهدى فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشا ذلك فهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليقنمنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا ونصرف الى مصر فلما

النقباء فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا (وأنا كم تالم يؤت أخدامن العالمين) من فاني البحر واغراق العدو وإزال المن والسوى وتزليل الغمام ونحو ذلك من الامور العظام أو أو أراد على زمانهم يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أي المطهرة أو المباركة وهي أرض بيت المقدس أو الشام (التي كتب الله لكم) قسمها لكم وسمهاها أو كتب في اللوح المحفوظ انها مساكن لكم (ولا تردنوا على أدباركم) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبابرة جبناء ولا تردنوا على أدباركم في دينكم (فتنقلبوا خاسرين) فترجعوا خاسرين نواب الدنيا والآخرة (قالوا) يا موسى ان فيها قوما جبارين الجبار فعال من جبره على الامر يعني أجبره عليه وهو العاق الذي يجبر الناس على ما يريد (وانا لن ندخلها) بالقتال (حتى يخرجوا منها) (فان يخرجوا منها) بلا قتال (فانا داخلون) بلادهم حينئذ

عليه السلام (بين لكم) أي الشرائع وحذف الظهوره أو ما كنتم تخشون وحذف لتقدم ذكره أولا بقدر المبين ويكون المعنى ينزل لكم البيان وهو حال أي ميفالكم (على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين قفروا من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة وخمسة

(واليه المصير) يعني والى الله مرجع العباد في الآخرة فيجاز بهم باعمالهم ﴿قوله تعالى﴾ (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل) قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبد الله وعقبة بن وهب لليهود يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله أنكم تعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعضه وانصفونه لنا بصفته فقال رافع بن خديج وهو بن يهود اقلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا رسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمد صلى الله عليه وسلم بين لكم معني أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العاماء في قدر مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه أنها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربع مائة وخمسة وستون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل فذلك قوله إذا رسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزنا بثالث قال والرابع لأدري من هو فكانت تلك السنون مائة وأربعين سنة نبوة وسائر أحواله قال أبو سليمان الدمشقي والرابع والله أعلم خالدين سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قال الامام غفر الدين الرازي والفائدة في بعثته محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير كان قد تنطرق الى الشرائع المتقدمة لتفادهم عهدا وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لانهم لم يقولوا المنعرفنا أنه لا بد من عبادتك ولكنا ماعرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العثر فذلك قوله عز وجل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) معني لثلاثا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت (فقد جاءكم بشير ونذير) يعني فقد أرسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العثر (والله على كل شيء قدير) يعني أنه تعالى قادر على بعث الرسل في وقت الحاجة إليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعم الله عليكم) قال ابن عباس اذكروا عاقبة الله وقيل معناه اذكروا أباي الله عندهم وأيامه التي أنعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف من الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم بتأدي هؤلاء اليهود في التي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانيابهم مع كثرة نعم الله عليهم وتذاتع أبياديه ولا لانه إليهم سبي بذلك نبية محمد صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ودهالجتهم في ذات الله عز وجل (اذ جعل فيكم أنبياء) يعني ان موسى عليه السلام اذكروا قومه بني اسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذكركم بان جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وأيضا كان أنبياء بني اسرائيل من أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من أكبر الانبياء وأولاد يعقوب وهم الاسباط أنبياء على قول الاكثر بن وموسى وهرون عليهم السلام وأيضا فان الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده في بني اسرائيل أنبياء فانه لم يبعث في أمة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرا فاعظبا لهم ونعمة ظاهرة عليهم (وجعلكم ملوكا) يعني وجعلكم أحرارا فليكون أنفكم بعد أن كنتم عبيدا في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم محبابا خدم وحشم قال قتادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم

ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملككم بعد فرعون ملكه وبعث الجبارة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثروا الانبياء وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وكان منزله واسعة فيها مياه جارية وقيل من له بيت وخدم ولائهم كانوا عبيدا في أيدي

من يملك من الله شيئاً) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً) أى ان أراد أن يهلك
من يدعوها من المسيح ومعه بنى (٤٧٨) المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض جميعاً على المسيح

فأول هذه المقالة وهو مذهب العقويين والمالكيين من النصارى لانهم يقولون في المسيح انه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وانما قالوا هذه المقالة لخبيثة لانهم يقولون بالحوال وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان استقذارهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذاهبهم فقال تعالى (قل) يعنى ياخذملوا الصارى الذين يقولون هذه المقالة (فمن يملك) يعنى يقدرون يدفع (من الله شيئاً) يعنى من أمر الله شيئاً (ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه) يعنى يعلم المسيح وأمه (ومن في الارض جميعاً) ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسح لو كان الها كما يقولون لقد عرى دفع أمر الله اذا أراد اهلاكه واهلاك أمه وغيره (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) انما قال وما بينهما لم يقل وما بينهما لانه أراد ما بين هذين الدوتين والصنفين من الاشياء فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده (يخاف ما يشاء) يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخاف لانه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأمه (والله على كل شيء قدير) يعنى ان الله تعالى لا يجزئ شيئاً أراد فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه (قوله تعالى) وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قال ابن عباس أى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن اصرارو بحري بن عمرو وشاس بن عدى فكلموكمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم فقاموا مخوفين بما يخافون نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وسبب هذه المقالة ما حكاه السدى قال أما اليهود فانهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل اني أدخل من ولدك النار فيكونون فيها ربعين يوماً حتى تظلمهم وتأت كل خطاياهم ثم نادى مناد أن أخرجوا كل نخعون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا أياماً معدودات وأما النصارى فانهم قالوا نحن قومهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فلما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كلاب الشفيق على الولد وأما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمضغى نحن أبناء رسول الله وأما النصارى فانهم تناولوا قول المسيح اذهب الى أبى وأبيك وقوله اذ صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء لنقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ان أراد المسيح عليه السلام ان يمحق هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى برورجته وعطفه على عباد الصالحين كلاب الرحيم لولده ووجه الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلاً على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى اتوا في تعظيم انفسهم الى أن قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فباطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأنتم قد أقرتم على انفسكم انه يعذبكم أو يمين وما هو لرايم والد العذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب حبيبه في النار (بل أنتم بشر من خاق) يعنى بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بنى آدم مجزون بالاساءة والاحسان (قوله تعالى) يغفر لمن يشاء) يعنى لمن تاب من اليهودية والنصرانية (ويعذب من يشاء) يعنى من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه مهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) يعنى الله تعالى يملك ذلك لاشر يك له فى ذلك فيعازضه وهو الذى يملك المغفرة لمن يشاء والاعتذاب لمن يشاء وفيه دليل على أنه تعالى لا ولده لان من يملك السموات والارض يستحيل أن يكون له شبيه من خلقه أو شر يك فى ملكه

وأما باب انهم آمنوا من جنسه لان اوت بنهم ما وبنهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحظ عليه شواهد الحديث انى يلقى به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما وجد لم يعد نقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) يخاف ما يشاء أى يخاف من ذكر وأبى ويخاف من أبى بلا ذكر كما خاف عيسى ويخاف من ذكر من غير أبى كما خاف آدم من آدم ويخاف من غرذ ذكر وأبى كما خاف آدم ويخاف ما يشاء تخفى الطير على يد عيسى مجبرة له فلا اعتراض عليه لانه الفعل لما يريد (والله على كل شيء قدير) وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أى أغرة عليه كالابن على الأب وأشباع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لاشباع أبى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول أقرباء الملك وحشمه نحن أبناء الملوك وأنحن أبناء رسول الله (قل فلم يعذبكم

بذنوبكم) أى فان صح انكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسح والنار أياماً معدودة عنى زعمكم وهل يمسح الاب ولده وهل يعذب الولد بالنا ثم قال رداعليهم (بل أنتم بشر من خاق) أى أنتم خاق من خلقه لابنوه (يفغر لمن يشاء) لمن تاب عن الكفر فضلاً (ويعذب من يشاء) من مات عليه عدلاً (ولله ملك السموات والارض وما بينهما)

ان الله يحب المحسنين) ومن في قوله (ومن الذين قالوا اننا نصارى اخذنا ميثاقهم) وهو الايمان بالله والرسول وأفعال الخير تتعلق باخذنا ميثاقهم
 واخذنا من الذين قالوا اننا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو الجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم
 انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم (٤٧٧) اختلفوا بعد نسطورية وعقوبة

ولم كانية انصارا للشيطان
 (ففسوا حظا مما ذكرناه
 فاجر بنا) فالصفا والزمنا
 من غري البائى اذا زسه
 واصق به ومنه القراء الذى
 ياصق به (بينهم) بين فرق
 النصارى المتخلفين (العداوة
 والبغضاء الى يوم القيامة)
 بالاهواء المتخلفة (وسوف
 ينبتهم الله بما كانوا
 يصنعون) أى فى القيامة
 بالجزاء والعقاب (يا أهل
 الكتاب) خطاب لليهود
 والنصارى والكتاب للجنس
 (قد جاءكم رسولنا) محمد
 عليه السلام (بينكم لكم
 كثيرا مما كنتم تحفون
 من الكتاب) من نحو
 صفة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ومن نحو الرجم
 (ويغفر عن كثير) مما
 تحفونه لابينه أو يعفون
 كثير منهم لايؤاخذ به (قد
 جاءكم من الله نور وكتاب
 مبين) يريد القرآن لكشفه
 ظلمات الشرك والشك
 ولا بابتها ما كان خافيا على
 الناس من الحق أولانه
 ظاهرا الاعجاز أول النور محمد
 عليه السلام لانه مهتدى

والصفا عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت
 فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبی صلى الله عليه وسلم عهد
 ففدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذا الآية ولم تنسخ ذلك
 أنه يجوز أن يعفون عن غيرة ففعلوا ما لم ينصبوا حر باليمنتهما من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول
 بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه
 فاعف عن ما غارت زلاتهم ماداموا باقين على العهد (ان الله يحب المحسنين) يعنى اذ اعفوت عنهم فالك تحسن
 والله يحب المحسنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومن الذين قالوا اننا نصارى اخذنا ميثاقهم) لماذا ذكر نقض اليهود
 للميثاق اتبعه به ذكر نقض النصارى للميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهودى نقض العهد والميثاق
 وانما قال تعالى ومن الذين قالوا اننا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدوا هذا الاسم وسموا به
 أنفسهم لأن الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه
 وسلم (ففسوا حظا مما ذكرناه) يعنى فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (فاجر بنا) يعنى
 فافتنناوا وفعنا (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسوله
 وضيعوا فرأضه وعطوا لحدوده أتى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء
 المتخلفة وفى الهاء والهم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى ذن العداوة
 والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثانى ان المراد بهم فرق النصارى ذن كل فرقة منهم تكفر
 الاخرى (وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون) يعنى ان الله تعالى يجزيهم فى الآخرة بما عملهم الذى عملوه فى
 الدنيا فقيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (يا أهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) يعنى
 محمد صلى الله عليه وسلم (بينكم لكم كثيرا مما كنتم تحفون من الكتاب) يعنى ان محمد صلى الله عليه وسلم يظهر
 كثيرا مما أخفوا وكتمه وامن أحكام التوراة والانجيل وذلك انهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه
 وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره وهذا مجزئة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
 لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهار ذلك مجزئ له (يعفون عن كثير) يعنى عما يكتمونه فلا يتعرض له
 ولا يؤاخذ به لانه لا حاجة الى اظهاره والقاعدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما
 يخفونه وهو مجزئ له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان به (قد جاءكم من الله نور) يعنى محمد صلى الله
 عليه وسلم انما سماه الله نورا لانه مهتدى به كما مهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام (وكتاب
 مبين) يعنى القرآن (يهدى به الله) يعنى يهتدى الله بالكتاب المبين (من اتباع رضوانه) أى اتبع مرضيه
 الله وهودى الاسلام لانه مدحه وأتى عليه (سبل السلام) قال ابن عباس يريد دين الله وهو الاسلام فسبله
 دينه الذى شرع لعباده بعث به رسوله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل
 السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من ظلمات
 الكفر الى نور الايمان (بأذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يعنى دين الاسلام
 ﴿ قوله عز وجل ﴾ (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فاتهم

به كإسمى سراجا (يهدى به الله) أى بالقرآن (من اتبع رضوانه) من آمن منهم (سبل السلام) طرق السلامة وانجاة من عذاب الله وأسبل
 الله فالسلام السلامة وأالة (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (بأذنه) بارادته وتوفيقه (ويهديهم الى
 صراط مستقيم) لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) معناه بت القول على أن الله هو المسيح لا غير قيل كان فى النصارى قوم يقولون
 ذلك أولان مدتهم يؤدى اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحي ويميت (قل

(وقال الله اني معكم) أي ناصركم ومعينكم وتقف هنا لا تبدأ بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو (لئن أقمتم الصلوة وآتيت الزكاة) وكما تفرقتين عليهم (وآمنتهم رسل) من غير تفرق بين أحد منهم (وعزرتهم) وعظمتهم ومعهم أو نصرتهم وهم بان تردوا عن أعداءهم والعز في اللغة الرد ويقال عزرت فذا أي أدبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضاً حسناً بلا من وقيل هو كل خير واللام في (لا كفرن ١٧٦) عنكم سيأتكم) جواب القسم وهذا الجواب سادس سد جواب القسم

والشرط جيه (ولاد حاتم) فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعناهم اني عشرتقريباً (وقال الله في معكم) فيه حذف تقديره وقال للبقاء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول أولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عودته الى التبعة أولى ثم ابتدأ الكلام بفعل خطب النبي اسرائيل (لئن أقمتم الصلوة) هذه جملة شرط والشرط مركب من خسة أمور وهي قوله ان أقمتم الصلوة (وآتيتهم الزكاة وآمنتهم رسل) وعزرتهم (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) وجزاء الشرط قوله تعالى (لا كفرن عنكم سيأتكم) وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) اشارة الى اصال الثواب وعني الآية لئن أقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتهم الزكاة المرفوعة وآمنتهم رسل يعني جميع رسلهم وانما أخذ كرا لايمان بالرسول لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وابتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتهم يعني نصرتهم وهم وأصل التعزير في اللغة الردع فبني وعزرتهم نصرتهم وهم بان تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وفرقتهم وعظمتهم وهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضاً حسناً يعني به الصدقات المتدبوة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فن قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضاً حسناً ولم يقل اقرضوا حسناً لان مصدر أقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضاً أخرج مصدر من معناه لامن افطه وذلك ان اقرض بمعنى فرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله القرضتم قرضاً حسناً ونظير ذلك قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتاً اذ كان معناه فنبتم نباتاً وقوله لا كفرن عنكم سيأتكم يعني اذ فعلتم سائراً أمرتكم به لا تحون عنكم سيأتكم وأعفركم هلكم ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار (فمن كفر بعد ذلك منكم) يعني بعد أخذ العهد والميثاق (فقد ضل سواء السبيل) يعني فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه واهدى الذي أمر باتباعه وقوله تعالى (فما نقضهم ميثاقهم) أي بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعدهم موسى وقتلوا أنبياء الله ونبؤوا كتابه وضيعوه وأقرضته (لعناهم) يعني جازيهم على ذلك بان أبعدناهم وطردهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة (وجعنا قلوبهم قاسية) يعني غايظة باسنة لتأنيب لان القسوة خلاف اللين والرقوة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خاصة بالايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والتناق (يحرفون السكام عن مواضعه) يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقبل هو تبدلهاهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني الانفاظ بسوء التأويل (ونسوا حظاً مما ذكروا به) يعني وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمته وصفته (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظالمهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمعه ونحوهما من خيانتهم التي ظهرت (الا قليلاً منهم) يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب (فأعف عنهم وأصفح) أي فاعف عن زلاتهم بالمحمد وأصفح عن جرهم ومواخذتهم وهذا الامر بأعفو التوراة يعني ان تركهم

وأعزاهم عن التوراة اغفال حظ عظيم وأوقت قلوبهم وفسدت خرفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم عن ابن والصفح مسعودرضي الله عنه وقد ينسب المرء بعض العلم بالمعصية ولا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعمته (ولا تزال) بالمحمد (تطلع على خائنة منهم) أي هذه أفعالهم وكان عليهم أن يخونوا الرسل وهو لا يخونونك وهم مؤمنون بالفتك بك وقوله على خائنة أي على خيانة أو على فلاة ذاب خيانة وعلى نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل على خائنة كقولهم رجل راو على الشعر للبالغة (الا قليلاً منهم) هو الذين آمنه منهم (فأعف عنهم) يعني عفا عنهم وأصفح عن معصيتهم لا لأنه اغفلهم عن عفا عنهم

(فكف أيديهم عنكم)
 فنعها أن تداء اليكم (واقوا
 الله وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) فانه السكافي
 والدافع والمانع (ولقد
 أخذ الله ميثاق بني اسرائيل
 وبعثنا منهم اثني عشر
 نقيبا) هو الذي ينقب عن
 أحوال القوم وينقب
 عنها ولما استقر بنو
 اسرائيل بمصر بعدهلاك
 فرعون أمرهم الله
 بالمسير إلى أريحا أرض
 الشام وكان يسكنها
 الكنعانيون الجبارة وقال
 لهم اني كتبته لكم دارا
 وقرارا فاخرجوا إليها
 وجاهدوا من فيها واني
 ناصركم وأمر الله موسى
 عليه السلام أن يأخذ من
 كل سبط نقيبا يكون
 كفيلا على قومه بالوفاء بما
 أمروا به وتوفية عليهم
 فاخترنا النقباء وأخذ الميثاق
 على بني اسرائيل وتكفل
 لهم النقباء وسار بهم فلما
 دنا من أرض كنعان بعث
 النقباء يتجسسون فرأوا
 أجراما عظيمة وقوة
 وشوكا فيها وبوارجعوا
 خذنا نواقمهم وقد نهاهم
 أن يحذوهم فنكثوا
 الميثاق الا كالب بن يوفنا
 وبوشع بن نون وكانا
 من النقباء

وخرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم املي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك أصحابي
 فمن خرج اليك منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليهم ثم تبعوا الى المدينة وانزل
 الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذ كروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان يسقطوا اليكم
 أيديهم يقال بسط يده إذا بطل به وهو اذ مهدا الى البطول به ليتلته (فكف أيديهم عنكم) يعني
 أنه تعالى منعهم مما أرادوه بكم (واقوا الله) يعني فيا أيها مكرهونها كم عنه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
 أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لأنه هو السكافي عبادهم جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه
 حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا أن يقتلوا بهم وهذه القصة أولى
 بالصواب لأنه عقب الآية بذيهم اليهود وذو كرفسب أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق
 بني اسرائيل) لماذا ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه أتبعه بذلك أسلافهم وما تنقضوه من المواثيق والهوى ودعوى الآية أن الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه
 ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اختلف
 العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين
 الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم وذكر القصة في ذلك قال أصحاب الاخبار
 والسيران الله عز وجل وعدم موسى عليه السلام ان يورثه قومه الارض المقدسة وكان يسكن الكنعانيون
 الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال اني كتبته لكم دارا وقرارا
 فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط
 نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمرت به فاخترنا موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى
 قربوا من أريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها
 فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عتي وعنتي أمه وهي إحدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله
 ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلاث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لأن آدم عليه السلام
 كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعا قال وكان عوج يحجز بالسحاب ويشرب من
 مائه يتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروي ان الماء لما طبق على الارض من جبل
 وغيره ما بلغ ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام اجلسي معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني
 يا عدو الله فاني لم أؤمر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام
 وذلك أنه قد اقتلع صخرة من الجبل على قعر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وجعلها على رأسه ليطلبها
 عليهم فبعث الله الهدى فنتب الصخرة فوق رؤسهم فبقوا في عنته فصرعه وأقبل موسى عليه السلام
 وهو مصروع فقتله قال فلما اتى عوج النقباء أخذهم وجعلهم في حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق
 بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتلنا واطرحهم بين يديها وقال الأطعهمهم برجلي
 فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يجروا قلوبهم بما رأيتك وقل انه جعلهم في كه وفيهم الى الملك فترهم
 بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان مما رأوا ان العنقود الغلب لا يحمله
 الا خمسة أنفس منهم بينهم في خشية ويدخل في شطر الرمانة اذا نزاع منها جها خمسة أنفس فرجع النقباء
 وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا أخبرتم ببني اسرائيل خبر القوم رجوعا عن بني الله موسى ولا يقاتلونهم
 معكم اكنتموا عن بني اسرائيل خبر القوم وأخبروا موسى وهرون بما رأيتم فغير يان رأيهم ما أخذ بعض
 النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق وأخبر كل رجل
 سبطه بما رأى الا رجلا من منهم وهو بوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما ويا باليهود ولم ينكثا الميثاق

هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب الى التقوى نهاهم وألوان تحباهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيذا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجهه (٤٧٤) الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى وإذا كان وجوب العدل مع

الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أو أياؤه (واتقوا الله) فيها أمر نهى (ان الله خير بما تعلمون) وعدو وعدى ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعدى تعدى الى المغويين فالاول الذين آمنوا والثنى محدوف استغنى عنه بالجملة التى هى قوله (لمم مغفرة وأجر عظيم) والوعد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا ما أتانا أولئك أصحاب الجحيم) أى لا يفارقونها (بأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ذهم قوم) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى بنى قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر واختنان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطيبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونفرضك فاجلسوه فى صفة وهو بالفتك به وعمد عمرو ابن بجاش الرضى عظمه يطره عليه فامسك الله الله يده ونزل جبريل فاخبره

والصدق والعدو (هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى (واتقوا الله) الله خير بما تعلمون) يعنى ان الله تعالى خير بجميع أعمالكم مطاعا على ما أوجب من عدل ومن لم يعدل لله قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعنى عملوا بما أوتوا من الله وأوفوا بما عهدوا له عليها (لمم مغفرة وأجر عظيم) هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد بقيل أى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم وإذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخاف الدعا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) يعنى والذين يحدوا وحدانية الله ونقضوا عهدهم ومواثيقه وكذبوا بما جاء به الرسل من عنده (أولئك) يعنى من هذه صفته (أصحاب الجحيم) هذه الآية نص قاطع فى أن الخلود فى النار ليس الا لكفار لان المصاحبة تقضى الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعنى الملازمة لله قوله عز وجل (بأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) يعنى اذكروا نعمة الله عليكم بالرفع عنكم مع سائر نعمه التى أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التى ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى (اذمهم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم) يعنى بالقتل والبطش بكم فصرههم عنكم وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم اختاف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية وفى صفة هذه النعمة التى أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بطن نخلة حين أراد نبوته ليعتق بنو محارب أن يقتكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة اخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر اغطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لك أن أقتل محمد اقلوا وكيف تقتله قال أؤكد به قالوا ودنا أنك فعات ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه فقال يا محمد أرى سيفك فاطعاه اياه فجعل يهز السيف وينظر اليه مرة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من معك منى يا محمد قال الله فهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانغمد السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والسكبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر الساعدي وهو أحد القباء ليلية العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر ابن صعصعة فخرجوا فلقوا وعامر بن الطفيل على برعمونة وهى من مياها بنى عامر فاقتتلوا وقتل المنذر وأصحابه الثلاثة نفر كانوا فى طاب صالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمرى فبرعهم الاطير بنحوم فى السماء يسقط من بين مناقيرها على الدم فقال أحد نفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خاطله الضرب برفع رأسه الى السماء وفتح عينيه فقال الله كبريا جعورب العالمين ورجع أصحابه فلقيا رجلا من بنى سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما وادعة فانقبا الى بنى عامر فقتلها وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبنى الضير يستعينهم فى عقابهم كانوا قاعداه والنبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينه فى الديات وقيل أراد ان يستقرض منهم دية رجلا منكم فقالوا نعم يا أبا القاسم قد أن لك ان تأتينا ونسأ لنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونفرضك الذى سألت جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلابعض اليهود بعض وقالوا انكم ان تجدوا محمدا أقرب منه الآن فن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيرميها منه فقال عمرو بن بجاش أنافعه الى رضى عظمه ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال

بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزل الآية اذ ظرف للنعمة (أن يسطوا) بأن يسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل وخرج يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه وسط اليه اذا بطش به ويسطوا اليكم أيديهم وألصقهم بالسوء ومعنى بسط اليد بها الى المبطوش به

(وان كنتم جنباً فاطهروا) فاغسلوا أبدانكم (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من فضاء الحاجة) (وَأَلا تَسْمَعُونَ) (٤٧٣) فضاء الحاجة (وَأَلا تَسْمَعُونَ النساء)

اليه البعينة مع الماء ومع آخر قطر الماء فاغسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها بادهاء مع الماء ومع آخر قطر الماء فاغسل رجله خرجت كل خطيئة ثم سهر رجلاه مع الماء ومع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب (ق) عن نعم بن عبد الله المحمري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضة ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضة ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمتي الغر المحجلون يوم القيامة من أسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطيل غرته ونحو جيله وفي رواية لسم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه وقوله تعالى (وان كنتم جنباً فاطهروا) أي اغسلوا أمر الله بالغتسل من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين إما بخروج المني على أي صفة كان من احتلام أو غيره أو بالقاء الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة أفغسل يديه ثم يفرغ يمينه على شأله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ لأصالة ثم يدخل أصابعه في الماء بمخل همأ أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرات يديه ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله تعالى (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى (ما ير بدانته ليجعل عليكم من حرج) يعني من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم الماء (ولكن يريد ليطهركم) يعني من الاحداث والذنوب والخطايا ان الوضوء وتكفير الذنوب (وليتيم نعمته عليكم) يعني ببيان الشرائع والاحكام ومما يحتاجون اليه من أمر دينكم (لعلكم تشكرون) يعني تشكرون نعمة الله عليكم بأن طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها ان كثرة النعم وذكروا بها بوجوب من يذكر الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والالتزام بالامر وهو الله تعالى (وميثاقه الذي واظمكم به) يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) وذلك حين يبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيها أحبوا وكروا هو أوفيل الميثاق هو الذي أخذهم عليهم في يوم الأستبر بكم قالوا بلى (وانقوا الله) يعني فيما أخذهم عليكم من الميثاق فلا تنتقضوه (ان الله علم ذات الصدور) يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله) قال ابن عباس يريد بانهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه (شهداء بالقسط) يعني وتشهدون بالعدل يقول لا تحب في شهادةك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادةك أهل بغضك وأعداءك أقم شهادةك لهم وعليهم بالصدق والعدل (ولا يجرمكم شتان قوم) ولا يحملنكم بغض قوم (على ألا تعدلوا) على ترك العدل فيهم لعداوتهم (اعدلوا) أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد

شتان قوم على ألا تعدلوا) عدى بجر منكم بحرف الاستعلاء معنما معنى

النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضع الأمت بأكاذ كرو بيان الكتاب أنما يؤخذ من السنة

بفضل في ذلك كرا الأحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله **(ق)** عن جرمان مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا بأبناء فافرغ على كفيه ثلاث مررات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الماء فغسل وضوء واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً وبديه إلى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مررات إلى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع وضوءي هذا ثم قال من هذا ثم وضوءي هذا ثم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بأبناء فافرغ منه على يده ثلاثاً ثم أدخل يديه فاستخرجهما فغسل وضوء واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل برأسه فاقبل بديه وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زادني رواية بعد قوله فاقبل بديه وأدبر بدأ بقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى فقاها ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أنا عائلي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا الهه المنفاني بأاء فيه ماء وطست فأفرغ من الماء على يمينه فغسل يديه ثلاثاً ثم غضمض واستنشق ثلاثاً فغضمض وثر من كف بأخذه منه ثم غسل وجهه ثلاثاً وغسل يده اليمنى ثلاثاً وغسل الشمال ثلاثاً ثم جعل يديه في الماء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجليه اليمنى ثلاثاً ورجله الشمال ثلاثاً ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود ***** عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في أناء فغسل كفيه ثلاثاً ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ثم مسح برأسه فدخل أصبعيه السبابتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهرهما ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا الوضوء فزادني هذا أو نقص فقد أساء وظلم وأقال ظلم وأسأه أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما ما أخرجه الترمذي وصححه **(ق)** عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً لم يغسل عقبه فقال ويل للعقاب من النار **(م)** عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلاً توضع فترك موضع طفر على قدميه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرجع وأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم ***** عن خالد بن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً صلى وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبا الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود **(ق)** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافراها فادركا وقد ارتقتا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نسمع على أرجلنا فنادانا بأعلى صوته ويل للعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة أخرجه البخاري عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال قدرى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً **(م)** عن عتبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الأبل فجاءت نوبتي فرحنا به شيء فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة فقالت ما أجد هذا فإذا قل بين يدي يقول النبي قبله أجد فظننت فإذا عمر قال اني قد أبليت جئت آتفاً قال ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يفسخ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله الافتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء **(م)** عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر

اختلفوا في معناها والجواب عنها يقال أبو حاتم وابن الانباري وأبو علي الكسري عطف على الممسوح غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل وقال أبو يزيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لهاوهات ماتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك أن المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحهم الغسل فسمى الغسل مسحاً بهذا الاعتبار في هذا الرأس والرجل ومسوحان الآن مسح الرأس أخف والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى إلى الكعبين لأن التحديد أنما جاء في الغسل ولم يجيء في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء إن الأرجل معطوفة على الرأس في الظاهر والمراد فيها الغسل لأنه قد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

بليت بهلك قد غدا * متقلداً سيقارحاً

والعنى وحاملان محلان الزج لا يتقارب به وكذلك قول الآخر * علفتها نبتاً وماء بارداً * يعني وسقيتها ماء بارداً وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الأرجل على الرأس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على أن الأرجل مغسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقوله ثم يخرج ضرباً وقال الخرب نعت للجحر لا للضرب وإنما أخذ أعراب الضرب للمجاورة فلا يسجد لان الكسر على المجاورة إنما يحمل لاجل الضرورة في الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتاً للضرب بل للجحر ولأن الكسر بالجوارح إنما يكون بدون حرف العطف امام حرف العطف فلم تكسب به العرب وقوله تعالى إلى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في المرافقي والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله إلى المرافقي والكعبان هما العظامان التائين عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول أن الكعب لو كان على ما ذكره لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم إلى الكعبين كما في قوله تعالى وأيديكم إلى المرافقي فلما قال إلى الكعبين علم أن لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه ثبت قول الجمهور

فصل في تقديم أن الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصار فرضاً خامساً وذهب الشافعي ومالك وأحمد إلى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الأعضاء في الوضوء على الولاة كذا كره الله في هذه الآية فيغسل أولاً وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضاً سادساً وذهب أبو حنيفة إلى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك أن الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم يمسح الرأس ثم يغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتباً كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع أبدأ بما بدأ الله به وهذا الحديث وإن ورد في قصة الهدي بين الصفا والمروة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولأن أعمال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الأمر بته كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة أنه توضأ منكساً وغير مرتب فثبت أن ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو حنيفة لهذه الآية أيضاً وذلك أن الواو لا توجب الترتيب فإذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن

(وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس ومسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب والشافي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذنا بيدان النبي عليه السلام وهو ماروي أنه مسح على ناصيته وقدرت الناصية برع الرأس (وأرجلكم) (٤٧٠) الى الكعبين) بالنصب شامئاً ونافعاً وعلى وحقق والمعنى فأغسلوا

الى المرافق والمرق بالسكر وهو من الانسان أعلى الذراع وأفضل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبي بكر بن داود الظاهري أنه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذي أمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وجة أصحاب هذا القول أن كلمة الى انتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه كافي قوله تعالى ثم أمموا الصيام الى الليل ولأن الحد لا يدخل في الحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وجة الجمهور أن كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولأنما كانوا أمواهم الى أموالكم أي مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبي هريرة أنه تروا ففعل وجهه فاصبغ الوضوء ثم غسل الخبي حتى أشرف في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرف في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن التحمل المتقدمة أن الحد إذا كان من جنس الحد ودخل فيه كافي هذه الآية لأن المرفق من جنس اليد وإذا لم يكن من جنس الحد ولم يدخل فيه كافي قوله تعالى ثم أمموا الصيام الى الليل لأن النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى (وامسحوا برؤسكم) اختلف العلماء في قدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو إحدى الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى عنه أنه يجب مسح أكثره وقال أبو حنيفة يجب مسح ربه وفي رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس ومسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذنا مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة بيدان السنة وهو ماروي عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصرته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية برع الرأس (وأرجلكم الى الكعبين) اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروى عن ابن عباس أنه قال الوضوء غسلة واحدة ومسحتان ويروي ذلك عن قتادة أيضاً يروي عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيها مسح وعن الشعبي أنه قال إنما هو المسح على الرجلين لأن أن ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الأربعة وأصحابهم أن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرا أنافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفاً على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال أصحاب هذه القراءة إنما أمر الله عباده بغسل الأرجل دون مسحها وبذل عليه أيضاً فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمر ووجهة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفاً على المسح أم قراءة بالنصب فالمعنى فيها ظاهر لأنه عطفاً على الغسل ولوجب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة السكر فقد

وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم بالجبر بالعلم على الرأس لأن الأرجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بسبب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف انتهى عنه فعتقت على المسوح لالتسح ولكن لينبذ على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين خفي بالغاية اماطة لظن طان بحسبها مسوحة لأن المسح لم يضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم أنها مجرورة للجمهور وقد صح أن النبي عليه السلام رأى قوماً يمسحون على أرجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الاعضاء ليظهرها من الاوساخ التي تتصل بها الانهايت وكثيراً والصلاة خدمة الله تعالى

والقيام بين يديه متطهر من الاوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكل في الخلسة كافي الشاهد إذا زاد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الأولى أن يصلي الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمماً أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم

الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن أي إذا أردت أن
تقرأ القرآن فعبر عن إرادة الفعل بالفاعل لأن الفعل مسبب عن الإرادة فاقيم المسبب (٤٦٩) مقام السبب بالإسبة ينو ما طلبا

للإيجاز ونحوه كما تدبر
نذان عبر عن الفعل
الابتدائي الذي هو سبب
الجزء بلفظ الجزء الذي
هو مسبب عنه وتقديره
وأنتم محدثون عن ابن
عباس رضي الله عنهما
أومن النوم لأنه دليل
الحدث وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
والصحابا يتوضؤون لكل
صلاة وقيل كان الوضوء
لكل صلاة واجبا أول
ما فرض ثم نسخ (وأبديكم
إلى المرافق) إلى تفيد معنى
الغاية مطلقا فاما دخوله
في الحكم وخروجها
فامر بدور مع الدليل فما
فيه دليل على الخرج وج
فقطرة إلى مبصرة لأن
الاعسار عسلة الانظار
وبوجود المبصرة تزول
العلة ولودخات المبصرة فيه
إسكان منظر في الحالتين
معمرا وموسرا وكذلك
أتوا الصيام إلى الليل لو
دخل الليل لوجب الوصال
ومعاقبه دليل على الدخول
قولا حفظ القرآن من
أوله إلى آخره لأن الكلام
مستوفى لحفظ القرآن كله
ومنه قوله تعالى من

الخاسرين) إذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لأنه إذا تاب وأمن قبل الموت قبلت تو به وصح إيمانه
قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ومثله قوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله ومنه من الكلام إذا انجرت فاجتر
في الزبأ أي إذا أردت التجارة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومنه ذهب داود
الظاهرى وذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأوجب
عن ظاهر الآية بأن المعنى إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد
اختصاصات القرآن وهو كثير جدا ولأن النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء
واحد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ
أخرجه في الصحيحين وقيل في معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم وقيل هو أمر نذير من قام إلى
الصلاة أن يجد لها طهارة وأن كان على طهر و بدل عليه ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من توضأ على طهر كتب الله عشر حسنات أخرجه الترمذي وقيل هذا إعلام من الله إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال و بدل عليه ما روى عن ابن
عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلافة فقدم إليه طعام فقالوا ألا تأتيناك بوضوء فقال
إنما أمرت بالوضوء إذا قمتم إلى الصلاة أخرجه مسلم و القول الأول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء
المذكورة في هذه الآية أربعة بعة الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى (فاغسلوا وجوهكم) واستدل الشافعي على
وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية ويختصه أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون متو ياولا
روى في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما
لكل امرئ ما نوى والوضوء من الأعمال فيجب أن يكون متو ياولا وإنما قلنا إن الوضوء مأمور به وأنه من
أعمال الدين لقوله تعالى وما أمر إلا بالعبادة والله خالص له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخاصة ومتى
كانت النية الخاصة معتبرة كان أصل النية في جميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى معتبرا واستدل أبو
حنيفة بعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الآية قال إن النية ليست شرطاً لصحة الوضوء لأن الله تعالى أوجب
غسل الأعضاء الأربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية زيادة على النص والزائدة على النص
نسخ ونسخ القرآن بغير الواحد وبالقريب غير جائز وأوجب عنه ما نأتمنا وأجبنا النية في الوضوء بدلالة
القرآن وهو قوله تعالى وما أمر إلا بالعبادة والله خالص له الدين وأما أحد الوجهين فنابت شعر الرأس إلى
منتهى الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً لأنه ما خوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء
ويجب إصباح الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والفتار بن والشارب والعنفة وإن كانت كثرة
وأما اللحية فإن كانت كثرة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة
وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما أنه لا يجب غسله لأن
لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد
الوجه لا يجب غسله والآخر قول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لأن الوجه ما خوذ من المواجهة فتدخل
جميع اللحية في حكم لوجه الفرض الثاني قوله تعالى (وأبديكم إلى المرافق) يعني واغسلوا أيديكم

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه عليه السلام لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق لا دليل فيه
على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط فحكموا بدخوله في الغسل وأخذ زفرودا بالتيقن فلم يدخلوها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يدير الماء على المرفقين

أن يطعمهم من ذبايحنا وقيل إن الفائدة في ذلك أن إباحة المناسكة غير حاصلة من الجانبين وإباحة الذبايح كانت حاصلة من الجانبين لا جرم ذلك كرامة تعالى ذلك تنبيه على التمييز بين النوعين ﴿ثم قال تعالى (والمحصنات من المؤمنات) قال مجاهد بن الحر أئرو في هذا القول لا تدخل الأمة المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازهن بشرطين خوف العنت وعدم طول الحر وقال ابن عباس المحصنات العفاف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانه لم يدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها إذا تاب وحسنت تو بهاروى طارق بن شهاب إن رجلاً أراد أن يزوج أخته فقالت أنى أحشى أن أفصحك أنى قد بعت فأنى عرفد ك ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل إنما خص المحصنات بالذكور وهن الحرائر أو العفاف ليحث المؤمنين على خير النساء ليكون الولد كريم الأصل من الطرفين ﴿وقوله تعالى (والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يروى بالعفاف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز الزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعدم هذه الآية واختلاف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الزوج بالذميات من اليهود والنصارى روى أن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وإن طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن وكان يقول لأعلم شركاً أعظم من قولهم إن ربه عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن بأنه علم خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحريرات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم وأجاب جمهور العلماء بأن ذلك مخصوص بالذميات دون الحريرات من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من نحل لنا مؤمنين من لا نحل لنا وقرأنا قولاً للذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون والمراد بهم أهل الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب ﴿وقوله تعالى (إذا آتيتهم من أجورهم) يعني مهوورهم وهو العوض الذي يبذله الزوج للمرأة (محصنين غير مسافحين) يعني متعففين بالتزويج غير زانين (ولا متخذين أخذان) يعني ولا منفردين ببني واحدة قد خادها وخادنته واتخذها لنفسه صدقة يفجر بها وحدهم الله الجامع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخلدن وأحل على جهة الإحصان وهو التزويج بعقد صحيح (ومن يكفر بالإيمان) يعني ومن يجحد ما أمر الله به من توحيد ونسب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله (فقد حبط عمله) يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الإيمان ونكاحه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا أن ناساً من المسلمين قالوا كيف تتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا فنزل الله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما ينهن لولأن الله قد رضى أسماء النابيج للمؤمنين تزويجنا فنزل الله هذه الآية والمعنى إن تزويج المسلمين إياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل إن أهل الكتاب وان حصل لهم في الدنيا فضيلة بإباحة ذبايحهم ونكاح نسايتهم الآن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لأن كل من كفر بالله وبمحمد بنو محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل إن من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو يجحد بشئ مما أمر الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم (وهو في الآخرة من

(والمحصنات من المؤمنات) هي الحرائر أو العفاف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفاف وتخصيصهن بعث على تحريم المؤمنين لنطفهم وهو موقوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم) هي الحرائر الكتابيات أو العفاف الكتابيات (إذا آتيتهم من أجورهم) أعطيتهم من أجورهم (محصنين غير مسافحين) منزوجين غير زانين (ولا متخذين أخذان) صداق واخذن يقع على الذكر والاثنى (ومن يكفر بالإيمان) بشرائع الاسلام وما أحل الله وحرم (فقد حبط عمله) وهو في الآخرة من

للتبعيض لانه انما أحل كل بهض الصيد وهو الماحم دون الفرت والدهم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى
كلوا من ثمره اذا نحر (واذ كروا اسم الله عليه) قال ابن عباس يعني اذا أرسلت جارك فقل بسم الله وان
نسيت فلا تخرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اهدى اذا أرسلت كلبك وذكرك اسم الله عليه فكل فعلى هذا
يكون الضم معربى عليه عائدا الى ماعلهم من الجوارح أى سموا الله عليه عند إرساله وقيل الضم يرعا عائدا الى
ما مسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ذكرتم ذكروه وقيل يحتمل أن يكون الضم يرعا عائدا الى الأكل يعنى
واذ كروا اسم الله عليه عند الأكل فعلى هذا تكون التسمية شرطاً عند إرسال الجوارح وعند الذبيحة
وعند الأكل ٤ وسياق بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
(واتقوا الله) يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فى أحل لكم وحرم عليكم (ان الله سر يع الحساب) يعنى اذا
حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويفان خالف أمرهم وفعل ما نهاه عنه ﴿قوله عز وجل (اليوم أحل لكم
الطيبات) انما كرر أحلال الطيبات لئلا يكيد كانه قال اليوم أحل لكم الطيبات انى سأنتم عنها ويحتمل ان
يراد باليوم اليوم الذى أنزل فيه هذه الآية أو اليوم الذى تقدم ذكره فى قوله اليوم ينس الذين كفروا من
دينكم اليوم أكلت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكلت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى فبين انه كما أكل الدين وأتم النعمة فكذلك أتم النعمة بأحلال الطيبات وقيل ليس
المراد باليوم يوم ما معني وقد تقدم الكلام فى ذلك اليوم وفى معنى الطيبات فى الآية المتقدمة ﴿وقوله تعالى
(وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم) يعنى ذبايح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل
فى دينهم من سائر الامم قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل فى دينهم بعد بعث النبي صلى الله
عليه وسلم وهو متصور والعرب من بني قناب فلا تخل ذبيحته روى عن علي بن أبي طالب قال لا تأكل من ذبايح
نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يمتكوا بنى من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب
الشافعى ان من دخل فى دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تخل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبايح
نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن رباح
والشعبي وعكرمة ومقاتدة والزهري والحكم وهو مذهب أبى حنيفة ومالك واحمدى والروانيين عن أحمد
والرواية الأخرى مثل مذهب الشافعى وأجمعوا على تحريم ذبايح الجوس وسائر أهل الشرك من مشركى
العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أتوا الكتاب ذبايحهم خاصة لان
ما سوى الذبايح فهمى محالة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب
فائدة ولان ما قبل هذه الآية فى بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام
لا يختلف بين نولا ومن كنى أو غيره وأما اختلاف الذكاة فلما خص أهل الكتاب بالذكاة على أن المراد
بطعامهم ذبايحهم واختلف العلماء فى الذبيحة اليهودى أو نصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو
قول ربعة ومذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصارى ذبيحة باسم المسيح فقال يحل
فان الله قد أحل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى أو النصرانى وذكركم باسم الله
وأنت تسمع فلان كل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت الإباحة ذبايح
أهل الكتاب مطلقاً وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ما سخطا لقوله تعالى ولانما كلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الأصل انهم لم يذكر الله عند الذبح فحمل أمرهم على هذا فان
تبقناهم ذبحوا على غير اسم الله لم تأكل ولا وجه للنسخ ﴿وقوله تعالى (وطعامكم حل لهم) يعنى ان ذبايحنا
لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشرى يعتنا وقال الزجاج معناه يحل لكم أن تطعموهم وهم من طعامكم
فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمنع أن يحرم الله تعالى

(واذ كروا اسم الله عليه)
يرجى الى ما مسكن على
معنى وسموا عليه اذا
أذركم ذكائه أو الى
ما علمت من الجوارح أى
سموا عليه عند إرساله
(واتقوا الله) واحذروا
مخالفة أمره فى هذا كله
(ان الله سر يع الحساب)
انه يحاسبكم على أفعالكم
ولا يلحقه فيسه لبت
(اليوم) الآن (أحل لكم
الطيبات) كررتها كيدها
للمنة (وطعام الذين أتوا
الكتاب حل لكم) أى
ذبايحهم لان سائر الأطعمة
لا يختص حلها بالمللة
(وطعامكم حل لهم) فلا
جناح عليكم أن تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم
طعام المؤمنين لما ساء لهم
اطعامهم

٤ وقوله وسياق بيان هذه
المسئلة الخ لم يتعرض لما
ذكره هنا عند الآية الآتية
فى سورة الانعام اه

(من الجوارح) أى الكواكب لصيده من سباع البهائم والطير كالكلاب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة فيشترط للعجل الجرح (مكابين) حال من علمته وفانده هذه الحال مع أنه استغنى عنها بعلمته أن يكون من يعلم الجوارح موصوفاً بالتكليب والمكلب مؤنث الجوارح ومعها مشتق من الكلب لان التاديبى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرة فى جنسه أولان السبع يسمى كلباً ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد (تعلمون) حال أو استئناف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل أخذ علمه أن لا يأخذ من الأمن أخرهم ذرية فكلم من اخذ من غير تيقن قد ضيع أيامه وعرض عند لقاء التحارب أن أماله (عالمكم الله) من التكليب (فساكوا) أى أسكن عليكم الامساك على صاحبه ان لا ياكل منه فان أكل منه لم يؤكل اذا كان صيد كلب ونحوه فاما صيد البازى ونحوه فأكله لا يحرمه وقد عرف فى موضعه والضرب فى

الطيبات بمعنى ماذن على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيع العرب وتستلذه من غير أن ورد بحريمه نص من كتاب أو سنة وعلم أن العبرة فى الاستطابة والاستلذذ باهل المروءة والاخلاق الجملة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلاعبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة تصافياً بحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى (وماعلمت من الجوارح مكابين) يعنى وأحل صيدها معلمي من الجوارح خذف ذكر الصيد وهو مراد فى الكلام لدلالة الباقي عليه ولا نهى سألوا عن الصيد وقيل ان قوله ومعلمت من الجوارح ابتداء كلام خبره فساكوا ما مسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضمار الجوارح جمع جارية وهى الكواكب من السباع والطير كالغندم والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما قبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تخرج الصيد عند ما كاهه وقيل سميت جوارح لانها تنكسب والجوارح الكواكب من جرح واجترح اذا اكتسبت مكابين يعنى معلمي والمكاب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤنث الجوارح ومعها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجاً الى التعليم من غيره من الجوارح (تعلمون) يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد (عالمكم الله) يعنى من العلم الذى علمكم الله فى الآية دلائل على انه لا يجوز صيد جارية ما لم تكن معلقة وصفة التعلم هو ان الرجل يعلم جارية الصيد وذلك بان يوجد فيها أمر منها انه اذا أشابت على الصيد استملت واذا زجرت انزجرت واذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيئاً ومنها ان لا يفرغه اذا أراد ان يبيعه اذا دعاه فيها هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها امر ارا كانت معلقة واقامها ثلاث مرات فانها يحل قتالها اذا جرحت بارسال صاحبها (ق) عن عدى بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اناقوم نصيدهم الكلاب فقال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الآن ياكل الكلب فلا تأكل فانى أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالط كلاباً لم يذ كرام الله عليها فامسكن وقتان فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدري أىها قتل وسألت عن صيد المراض فقال اذا أصبت بمجده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيد فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الاثر سمى لك فكل فان وقع فى الماء فلا تأكل واختلف العلماء فيها اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئاً فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويرى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأى وهو أصح قولى الشافعى وبطل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم فى أكله يرى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وبه قال مالك لما روى عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صيد الكلاب اذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدها أو المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقيل فانه لا يحل الا أن يدركه حياً فيذبحه فيحل (ق) عن أبى ثعلبة الخشنى قال قلت لارسول الله انابارض قوم أهل كتاب أفنا كل فى أنيتهم وبارض صيد أصيد بقوسى وبكى الذى ليس علمه وبكى العلم فما يصلح لى قال اما ما ذكر من أن أكلة الكتاب فان وجدتم غير هلالا كواقيها وان لم تجدوا شيرها فافاسوها وكواقيها وما صدت بقوسك فذكر اسم الله عليه فكل وما صدت بكيك المعلم فذكر اسم الله عليه فكل وما صدت بكيك غير المعلم فذكر كانه وكل وقوله تعالى (فساكوا) أى أسكن عليكم) دخلت من فى قوله ما

٣ قوله اذا أشليت قال فى الصحيح وقول الناس أشليت الكلب على الصيد خطأ وقال أبو زيد أشليت

للتبعض

الكلب دعونه وقال ابن السكيت يقال أوسدت الكلب بالصيد وأسده إذا غر به به ولا يقال أشليه إنما الاشلاء الدعاء

(فن اضطر) متصل بذكر

ورضيت لكم الاسلام ديناً يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضياً بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام ديناً يعني بالصفة التي هو اليوم به وهي نهاية الكمال وأنتم الآن عليه فالزوه وان لا تافقوه وروى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا استخاء وحسن الخلق فأكرموه بما يحبونهم وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فاما الاعمى فيبشر أصحابه وأهلوه ويهدمهم في الخبر حتى يجيء الاسلام فيلة يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول اياك اليوم أقبل وبك اليوم أجرى ۞ وقوله تعالى (فن اضطر في منحة غير متجانف لاثم) هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن الحرامات وان كانت محرمة الاثم فقد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلك فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذي هو الرضى عند الله ومعنى الآية فن اضطر أى أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكن معه الامتناع من كل الميتة وهو قوله تعالى في منحة يعني في مجاعة والخمصة خلوا البطن من الغداء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فن اضطر الى كل الميتة أو الى غيرها في المجاعة فأبى كل غير متجانف لاثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز (فان الله غفور رحيم) يعني لنأكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار ۞ قوله عز وجل (يسئلونك ماذا أحل لهم) روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد أذنالك يا رسول الله قال أجل ولكنك لا تدخل بيتاً فيه كلب قال أورا فامرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهت الى امرأه عندها كلب ينسج عليها فتركه رجة فلم تمسج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله ففرجعت الى الكلب فقتلته فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وماعلمت من الجوارح مكيبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبارافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعمر بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وماعلمت من الجوارح مكيبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي يتفجعها وهن عن امساك ما لانفع فيه منها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلباً فإنه ينقص في كل يوم من عمله قيراط الاكل حراً أو ماشية ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلباً ليس بكب صيد ولا ماشية ولا أراض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدى بن حاتم وزيد بن المهمل الطائفتين وهوز بداخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بز بداخيل قال اباراد رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبراة فذا بداخل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى يسئلونك يعني يسألك أصحابك يا محمد الذي أحل لهم أكله من الطيبات والمأكلة كل كلهم ما نالا عليهم من خبائث المأكلة ما نالوا سواها ۞ (قل أحل لكم الطيبات) يعني قل لهم يا محمد أحل لكم

الحرمات وقوله ذاكم فسق اعتراض أ كدبه معنى التعريم وكذا ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المتعوت بالراضدون غيره من الملل ومعناه فن اضطر الى الميتة أو الى غيرها (في منحة) مجاعة (غير) حال (متجانف لاثم) مائل الى اثم أى غير متجاوز سد الرمي (فان الله غفور) لا يؤاخذ بذلك (رحيم) يباحة المحذور للعذر (يسئلونك) في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا أحل لهم) كانه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما يقبل ماذا أحل لنا حكاية بالاقوالان يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد بلفعل ولوقيل لافعلن وأحل انما كان صواباً وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أى شئ أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كانتهم حينئذ على ما حرم عليهم من خبائث المأكلة سألوا عما أحل لهم منها فقال (قل أحل لكم الطيبات) أى ما ليس بخبث منها أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس

وأخلصوا الخشب إلى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (اليوم أ مكمل لكم دينكم) نزلت هذه الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العذباء فكانت عضدا لناقة تندق وبركت لثقل الوحى وذلك في خمسة اوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرونها علينا نزلت معشر اليهود لا نخذلنا ذلك اليوم عيد اقال فأى آية قال اليوم أ مكمل لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فقال عمر اى لاعلم اليوم الذى نزل فيه والمكان الذى نزل فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أ مكمل لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً وعنه يهودى فقال لو نزلت هذه الآية علينا لا نخذلناها عيد ا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيد من في يوم جعته يوم عرفة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم جعته يوم عرفة وعيد لليهود وعيد للصارى وعيد للرجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده ووروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أ بكأى انا كئافى زاد من ديننا فاما ذكلك فانه لم يكمل شئ الا نقص قال صدق فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعده ا واحد وأثمان يوم ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لا تنتق عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أ مكمل لكم دينكم يعنى بالقراض والسنة والحد ودوا الاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شئ من القراض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أ مكمل لكم دينكم أى حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اى أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم اى كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة لأنه لا يزول ولا يفسخ وأن شر بعثهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة أنهم آمنوا بكل نبى وكل كتاب ولم يكن هذا الفير هذه الامة وقال ابن الانبارى اليوم أ مكمل شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك أن الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشئ في وقت ثم يز يد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثانى تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندى عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أ كل منها والشرائع التى تعبد الله عز وجل بها عباده فى الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها فكملة الله عز وجل الشرائع فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات ونقل الامام غفر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا للبتة بل كان أبدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت لأنه تعالى كان عالما فى أول وقت البعثة بان ما هو كمل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا صلح فيه لاجرم كان يفسخ بعد الثبوت وكان يزىل بعد التحتم وأما فى آخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبدا كان كاملا الآن الاول كمال الى يوم مخصوص والثانى كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم أ مكمل لكم دينكم ثم قال تعالى (وأتمت عليكم نعمتي) يعنى باكمال الدين والشرعية لانه لا نعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه أنه تعالى أنجز لهم ما وعدهم فى قوله ولا تم نعمتي عليكم فكان من نعام النعمة أن دخلوا مكة آمنين ومحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين (ورضيت لكم الاسلام ديناً) يعنى واخترت لكم الاسلام ديناً من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لاسرى والاقياد لاطاعنى فباشرعت لكم من القراض والاحكام والحد ودو معالم الدين الذى أ مكملته لكم وانما قال تعالى

(اليوم) ظرف لقوله (أ مكمل لكم دينكم) بان كفيتكم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك اليوم كل لنا ملك أى كفيتمنا من كناخافه أو أ مكمل لكم ما تحتاجون اليه من تسكيفكم من تعلم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الاسلام وقوانين القياس (وأتمت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين طاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم (ورضيت لكم الاسلام ديناً) حال اختارته لكم من بين الاديان وأذنتكم بانه هو الدين المرضى وحده ومن يتنغم غير الاسلام دينافان يقبل منه

(وماذج على النصب) كانت لهم شجرة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك وبقربها يسمى الانصاب واحداها نصب أو هو جمع أو واحد نصب (وأن تستقسموا بالازلام) في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا الاستقسام بالازلام وهي القداح المعادة واحداها زلم وزلم كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزا (٤٦٣) أو تجارة أو نكاحا أو غير ذلك

يعمد الى قراح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرني ربي وعلى الآخر نهائي والثالث غفل فان خرج الأمر مضى لحاجته وان خرج الناهي أمسك وان خرج الغفل أعاده فغنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له عالم يقسم له بالازلام قال الزجاج لافرق بين هذا وبين قول المنجمين لانخرج من أجل نجم كذا أو خرج طلوع نجم كذا وفي شرح التاوي لا ترد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني وأعلاما يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الاشياء ولائمة في ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقبل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلك فسق) الاستقسام

من حديث وغيره الحسن والظاهر لما تقدم من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ﴿وقوله تعالى (وما ذبح على النصب)﴾ يعني وحرم ما ذبح على النصب والنصب محتمل أن يكون جمعاً واحداً نصباً وأن يكون واحداً وجمعه انصاب وهو الشيء المنصب وقيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون شجرة منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها يذبحون لها وليست هذه الشجرة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب ولأجل النصب فهو حرام (وأن تستقسموا بالازلام) يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى واحد نهائي وعلى واحد نسك وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أي ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلاف في نسب أو أمر قتل أو تحمل عقل أو غفر ذلك من الأمور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم اقر يش بمكة وجاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يحيله لهم فان خرج أمر في ربي ففعلوا ذلك الامر وان خرج نهائي ربي لم يقبلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا نايحتي يخرج المكتوب عليه فيهما هم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للبحر وهي التردوكها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها ﴿عن قطن بن قيس﴾ عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العياقة والطيرة والطرق من الجبث أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعياقة الخط وقيل العياقة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبث كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبث السكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن أبي البرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة زده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة ﴿وقوله تعالى (ذلك فسق)﴾ يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقبل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول أصح (اليوم يمس الذين كفروا من دينكم) يعني يشؤون أن ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطعمون في أن يعودوا للناسون الى دينهم فلما قوى الاسلام أسسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يمس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفه فزلت هذه الآية والتي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوم بعينه وانما المعنى الآن يمس الذين كفروا من دينكم فهو كما نقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يحفونا ولم ترد يوم بعينه يعني وهو الآن يحفونا ولم تقصده اليوم قال الشاعر

أراد فرما علينا و زمان لنا ولم يقصد ليوم واحد ميم (فلا تخشوهم) فلا تخافوا الكفار أي المؤمنين الذين آمنوا أن يظهر واعى دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم (واخشون) أي وخافوا مخالفتكم أمرى

بالازلام خرج عن الطاعة ويحتمل أن يعودوا الى كل محرم في الآية (اليوم) ظرف ليمس ولم يرد به يوم بعينه وانما معناه الآن وهذا كما نقول أقال اليوم قد كبرت تريد الآن وقيل أر بد يوم زولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفه بعد العصر في حجة الوداع (يمس الذين كفروا من دينكم) يشؤون أن يبطلوا ويشؤون دينكم أن يغلبوه لان الله تعالى وفي بوعده من اظهار على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين (واخشون) بغرباء في الوصل والوقف أي اخلصوا الى الخشية

الشاة حتى اذا ماتت كأوها خرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لماتت لم يسئل دمه والفرق بينهما ان الميتة تموت بالسبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق (والموقوذة) يعني المقتولة بالخنق وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها خرم الله ذلك (والمتردية) يعني التي تنردي من مكان عال فتموت أو في برفتموت والتردى هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيد اقدر ذي ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فانه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم (والنطيحة) يعني التي تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فخرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة فالما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فاعلم ان دخلت عليها لانهما صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية ونخت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغاب ثم يلحق به غيره فان قلت لم أثبت الهاء في النطيحة

مع انها في الاصل منطوحة فقد دلوا على النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما تحذف الهاء من الفعلية اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وضعتهما وضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لانك ان لم تدخل الهاء لم يعرف الرجل هو أم امرأة فعلى هذا انما دخلت الهاء في النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مقول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والديبة والفريسة وأكلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان ﴿ وقوله تعالى ﴿ وما أكل منه ﴾ ﴾ وقال تعالى ﴿ والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيقترب من نابه كالاسد والذئب والنمر والفهد ونحوه في الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لان ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه (الاما ذكيت) يعني الاداء ذكرتموه وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشياء المذكورة والظاهر ان هذا الاستثناء يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما أكل السبع وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدر كنتم من هذا كله وفيه روح فاذا نجوه فهو حلال وقال السكبي هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الاول وأما كيفية ادراكها فقالوا كثيرا هل العلم من المفسرين ان أدر كنتم كانه بان توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس اذا طرقت بعينها أو ركعت برجلها أو تحركت فاذن فهو حلال وذهب بعض أهل العلم الى أن السبع اذا خرج الحشوة أو قطع الجوف قطعاً تأس معه الحياة فلا ذكاة لان ذلك وان كان به حر كذروق الا انه قد صدق الى حالة لا يؤثري حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى الذكاة أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الادراج وتضطرب اضطراب الذبح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والافهرو كالبيتة وأصل الذكاة كفي اللغة تمام الشيء فالمراد من الذكاة تمام قطع الادراج وانهار الدم وبدل عليه ماروي عن رافع ابن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نهر الدم وذكاهم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك ما ألسن فعظم وأما الظفر فدى الحبة أخرجه في الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحقنوم وأكله قطع الودجين مع ذلك والحقنوم بعد القوم وهو موضع النفس والمريء مجرى الطعام والودجان عرفان بقطعان عند الذبح وما آله لذبح فكل ما نهر الدم وفري الادراج

(والموقوذة) التي أئخذوها ضرباً بعضاً أو سحر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل أو في بئر غائت (والنطيحة) المنطوحة وهي التي تنطحها أخرى غائت بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (الاما ذكيت) الاما أدر كنتم ذكاه وهو يضطرب اضطراب المذبذب والاستثناء يرجع الى المنخنقة وما بعدها فانه اذا أدر كها وبها حياة فذبحها وسعى عليها حلت

(واذاحلتهم) خرجتم من الاحرام (فاصطادوا) اباحة لاصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلى الصيد واتم حرم (ولا يجزى منكم شئ ان قوم ان صدركم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) جزم مثل كسب في تعدية الى مفهول واحد وان اثنين يقول جزم ذنبا نحو كسبه وجزمته ذنبا نحو كسبه اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا (٤٦١) وان صدركم متعلق بالشأن

بمعنى العلة وهو شدة البغض وبسكون النون شامى وأبو بكر والمعنى ولا يكسبكم بغض قوم لان صدوركم الاعتداء ولا يحملككم عليه ان صدركم على الشرط مكى وأبو عمرو ويدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجزى منكم ومعنى صدركم اياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحق مكره بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشنى أو البر فعل المأمور والتقوى العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعومه العفو والاتصار (واقفوا الله ان الله شديد العقاب) لمن عصاه وما اتقاه ثم بين ما كان أهل الجاهلية

أو يتعضوا له من مؤمن أو كافراً ثم انزل الله بهذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلان الى كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدى وذهب جماعة الى ان لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى أن نخيف من يقصد بيئته من أهل شر يعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيماً وتقديراً وحرم علينا أخذ الهدى من المدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلان الى كانوا يقفونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجتماع العلماء على أن الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها وكذلك أجعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أماناً من القتل اذ لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمره من المشركين لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية أعلم وقوله تعالى (واذاحلتهم) يعني من احرامكم (فاصطادوا) هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على الحرم حاله احرامه بقوله تعالى غير محلى الصيد واتم حرم وأباحه له اذ حل من احرامه بقوله واذاحلتهم فاصطادوا وانما قلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على الحرم اذ حل من احرامه أن يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه أنه قد أباح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة (ولا يجزى منكم) قال ابن عباس لا يحملككم وقين معناه لا يكسبكم ولا بدعكم (شأن قوم) يعني بغض قوم وعداوتهم (ان صدركم) يعني لان صدركم (عن المسجد الحرام) والمعنى لا يحملككم عداوة قوم على الاعتداء لان صدركم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصدق قد تقدم (ان تعتدوا) عليهم يعني بالقتل وأخذ المال (وتعاونوا على البر والتقوى) يعني ليعن بعضكم بعضاً على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) يعني ولا يعن بعضكم بعضاً على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سميان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكره أن يطلع عليه الناس (واقفوا الله) أى واحذروا الله أن تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه (ان الله شديد العقاب) يعني لمن خالف أمره ففیه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل (حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) بين الله تعالى في أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذ ك ذلك المستثنى بقوله حرم عليكم الميتة فكل ما فارقه الروح مما يذبح بفرد كاذة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حثت أنه احس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجارى وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين ونشوبه وتناكه غرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع اجزائه وأعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكيبد والطحال وذكركنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك وقوله تعالى (وما أهل لغير الله به) يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذبحون أسماء أصنامهم عند الذبح فغرم الله ذلك بهذه الآية وقوله ولانأكلوا مما يذبح كراسم الله عليه (والمنخنقة) قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون

ياكونه فقال (حرم عليكم الميتة) أى البهيمة التي تموت حثف أنفها (والدم) أى المسفوح وهو السائل (ولحم الخنزير) وكلمته نجس وانما خص اللحم لانه معظم المقصود (وما أهل لغير الله به) أى رفع الصوت بغير الله وهو قولهم باسم الآلات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت وانخنقت بالشبكة وغيرها

الله تعالى من النساءك
وهو جمع هدية (ولا القلائد)
جمع قلادة وهي ما قلده
الهدى من نعل أو عروة
مزادة أو لحاء شجر أو
غيره (ولا آمين البيت
الحرام) ولا تحلوا قوما
قاصدين المسجد الحرام
وهم الحجاج والعمار وأحلال
هذه الأشياء أن يتهاون
بحرمة الشعائر وأن يحل
بينها وبين المنسكين بها
وأن يحدوا في أشهر الحج
ما يصدون به الناس عن
الحج وأن يتعرضوا للهدى
بالغصب أو بالمتع من بلوغ
محله أو ما للقائد جازان
برادها ذوات القلائد وهي
البدن وتعطف على الهدى
للاختصاص لانهما أشرف
الهدى كقوله وجبريل
وميكال كانه قبل والقائد
منها خصوصا جازان ينهى
عن التعرض لقلائد الهدى
مباينة في النهي عن
التعرض للهدى أي ولا
تحلوا قلائد لها فضلا
تحلوا كما قال ولا يبدن
ز ينهن فنهى عن ابداء
الزينة مباينة في النهي عن
ابداء واقعها (يتنغون)
حال من الضمير في آمين
(فضلا من بهم) أي نواب
(ورضوانا) وان يرضى
عنهم أي لا يتعرضوا لاقوم
هذه صفتهم تعظيما لهم

٢ قوله وقال ابن عباس الخ كان هذا قول ثمان لرضي الله عنه اذ تقدم له غير هذا ١

ويهدون فاراد المسامون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة وأشعارها ان
يطعن في صفحة سنم البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة في الأبل والبقر
دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت قلت فلان يبدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعراها وقلدها
ثم بعث بها إلى البيت فأحرم عليه شيء كان له حلالا أخرجا في الصحيحين (م) ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دلى الظاهر بندي الخليفة ثم دعابنا فته فاشعرا في صفحة سنمها لا يمين وملت الدم عنها
وقلدها ناعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البداء أهل بالحج وعند أبي حنيفة لا يجوز أشعرا الهدى بل
قال يكره ذلك ٢ وقال ابن عباس في معنى الآية لا تحلوا شعائر الله أي أن تصيدوا أو تحرم وقبل شعائر
الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم واجتنبوا نواهيه التي نهى عنها
(ولا الشهر الحرام) أي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه
وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الإسلام لم ينقض هذا الحكم بل كده والاراد بالشهر الحرام هنا ذو
القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسيء فقال مقاتل كان جنادة
ابن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني قد أحللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك
وسبأني تفسير النسيء في سورة براءة (ولا الهدى ولا القلائد) الهدى ما يهدي إلى بيت الله من بعير
أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير
وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمحلى * وأعناق هدى من مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مباينة في التوصية بها لانها من أشرف البدن للهداة والمعنى
ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا
إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم بالهمن من لحاء شجر الحرم فكانوا ياءون بذلك فلا تعرض
لهم أحد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استعمال نزع شيء من شجر الحرم (ولا آمين البيت
الحرام) يعني ولا تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها (يتنغون) يعني
يطلبون (فضلا من بهم) يعني الرزق والارباح في التجارة (ورضوانا) يعني يطلبون رضا الله عنهم
يزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على
ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا يبالون فلا يبعد ان يحصل لهم
بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يبتغون في حجهم ما يصلح
لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة
وذلك انهم كانوا يحبون جميعا

فصل ١٠ اختلاف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة إلى ههنا لان
قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمه القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ
بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمه منع
المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج
مشرك ولا يأم من الهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين
قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها
آية براءة اقولوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس
كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا أن يحج البيت

(أحلت لكم بهيمة الانعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر وأضافته الى الانعام للبيان وهي بمعنى من تكافؤ فصة ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الطياء وبقر الوحش ونحوهما (الامايلى عليكم) آية تحريره وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير بحرعي الصيد) حال من الضمير في لكم أى أحلت لكم هذه الاشياء لاغلين الصيد (وأنتم حرم) حال من على الصيد كأنه قيل أحلت لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون للتأنيق عليكم والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام أو من التحليل والتحرير ونزل نهيًا عن تحليل ما حرم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا مما أكلوا) شعار الله جمع شعيرة وهي اسم ما شعراى جعل شعارا وأعمالا للنسك به من موافق الحج ومرامى الجار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بهامان الاحرام والطواف والسعى والحق

حدوده وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى (أحلت لكم بهيمة الانعام) وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بما عدا السباع والفقاري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها أهتمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقرة والغنم ولا يدخل فيها ذوات الخافرة في قول جميع أهل اللغة واختلفوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقرة والغنم والمعز وعلى هذا القول انما أضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال السكاكي بهيمة الانعام وحشها كاطباء وبقرة الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما أضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه ما محل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها اذا ذبحت أو نحرزت ذهب أكثر الغمام الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاته أخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجذ في بطنها الجنين أن تلقيه أم نأكله قال كأوه نشتم فان ذكاته ذكاته وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا أكله قال نعم هو بمنزلة رتمها وكبدها وعاء ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحررت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار ونعم الخلق قال ابن عمر ذكاته ما في بطنها ذكاته اذ مات خلقه ونبت شعره ومنه عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لا يحل كل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاته الام وقوله تعالى (الامايلى عليكم) يعني في القرآن تحريره وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية فهذه من المتولين وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام (غير بحرعي الصيد وأنتم حرم) يعني أحلت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الطياء والبقرة والجرير بحرعي صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم أن يقتل صيدا في حال احرامه (ان الله يحكم ما يريد) يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد لتحليله وتحريم ما أراد تحريمه وفرض ما يشاء أن يفرض عليهم من أحكامهم وفرائضهم مصلحة لعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا مما أكلوا) نزلت في الحطم واسمه شريح من هذين بضعة البكرى أتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الام تدعو الناس فقال الى شهادة أن لا اله الا الله وأقام الصلاة وإيتا الزكاة فقال حسن الآن في امرأ لا أقطع أمرا دونهم ولعل أسلم وأتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل له يدخل عليكم رجل من ربيعة يتسكلم بلسان شيطان فلهذا خرج شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر ومال الرجل بمسلم فربسرح من سرح المدينة فاستأنفوا وطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفظا بالليل سواق حطم * ليس براعى ابل ولا غنم ولا يجوز ارضي على ظهر وض * باتوا انياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كازم * خدج الساقين مسوح القدم فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام التقابل خرج شريح حجاج بكر بن وائل من البجاء ومعه تجارة عظيمة وقد قاد الهدى فقال السامعون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حجاجا خلف يثناؤا منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قاد الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شئ كنا نعلمه في الجاهلية فآبى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا مما أكلوا قال ابن عباس هي المناسك كان المشركون يحجون

نصر الله وافتتح وروى عنه أن آية نزلت وانقوا يومئذ رجوع فيه إلى الله وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة هي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها سنة أشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لأنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الإباح بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فامرهم أن يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معاني أهل منى براءة الإباح بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيك في الكلفة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكلت لكم دينكم فعاش بعدها أحد وعشرين يوماً ثم نزلت وانقوا يومئذ رجوع فيه إلى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحد وعشرين يوماً وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بما رآه وأمر أركناه

﴿تفسير سورة المائدة﴾

نزلت بالمدينة الاقوله تعالى اليوم أكلت لكم دينكم فأنها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزلت فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فإن قلتم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو وكذلك وإنما خص هذه السورة بإدائه الاعتناء بها فهو وكقوله تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيها أنفسكم فأكده اجتناب الظلم في هذه الأربعة أشهر وإن كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع أشهر السنة وإنما فرد هذه الأربعة أشهر بالذکر لإدائه الاعتناء بها وقيل إنما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لأن فيها ثمانية عشر حكماً تنزل في غيرهما من سور القرآن قال البغوي روى عن عيسرة قال إن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكماً ينزل في غيرها وهي قوله والمنخفة والوقود والمترتبة والطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكيين وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أتوا الكتاب وما بيان الطهر في قوله إذا قمتم إلى الصلاة والأرق والسايرة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيره ولا سائمة ولا ذليلة ولا حام وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ يعني اليهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جرير هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التي عهدتها إليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الإيمان وما أخذ على عباده في القرآن فيما أحل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقب بعضهم بعضاً على النصرة والمؤازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوءه وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقبون به بينهم قال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحذروا عقد في الإسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقبها الناس بينهم وما يعقد الإنسان على نفسه والعقود خمس عقد الجمين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الحلف قال الطبري وأولى الأقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس إن معناه أوفوا يا أيها المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقد ما أحل وحرم عليكم وأزكم فرضه وبين لكم

﴿سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) يقال وفي العهد وأوفى به والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وأزكمها إياهم من مواجب التكليف أو ما عقده الله عليكم وما عاقبتم بينكم والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدّم مجمل ثم عقب بالتفصيل وهو قوله

ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت (وله أخت) أى لآب وأم أو لآب (فلها نصف مارك) أى الميت (وهو يرثها) أى الاخ يرث الاخت جميع ما لها من قدر الامر على العكس من موتها وقبائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فلا ب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد وكل حكم انتفاء الولد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب أولى من الاخ (فان كانتا اثنتين) أى فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت (فلهما الثلثان مما ترك) وان كانوا اخوة) أى وان كان من يرث بالاخوة وللرأب بالاخوة الاخوة والاخوات تغليباً للحكم الذكوري (رجالاً ونساء) ذكروراً وانثاءً (فلذلك منهن) مثل حظ الانثيين (يبين الله لكم) الحق فهو مفعول بيبين (ان تضلوا) كراهة أن تضلوا (والله

الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله قال مر ض فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يهوداني ماشيين فأعجني على فتوة النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فافقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أفضي في مالي فلم رد على شياحي نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله أعابني كلاله فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة قال هكذا نزلت وفي رواية للترمذي وكان لي تسع أخوات حين نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة ولا في داود قال اشتكت وعندي سبع أخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفض في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله ألا وصي لأخواني بالثلثين قال أحسن قلت بالشر قال أحسن ثم خرج وتر كني فقال يا جابر لأرأك ميتاً من وجعك هذا وان الله قد أنزل فيهن التي لأخوانك فجلس لمن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أجمعهم شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فيبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله أنك عاجز أن ظننت أن أمارتك تحملي أن أحدئك فيها ما لم أحدئك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحك الله وأما التفسير فقول تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيك في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم في أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهم من مات ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد (قوله تعالى (ان امرؤ هلك) يعني مات سمي الموت هلاكاً لانه اعدام في الحقيقة (ليس له ولد) يعني ولا ولد) كقبيذ كذا أحدهما عن الآخر يدل على المحذوف ان السؤال في الفتيا إنما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا ولد (وله أخت) يعني ولذلك الهالك أخت وأرأب بالاخت من أبيه وأمّه أو من أبيه (فلها نصف مارك) يعني فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقي المال لبنت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة وأهل العراق يرأب الباقي عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة (قوله تعالى (وهو يرثها) ان لم يكن لها ولد) يعني ان الاخت اذا ماتت وتركها من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل في جميع العصباء واستغرقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه (فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) أراد بنتين فصاعداً وهما من مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت (وان كانوا اخوة رجالاً ونساء) فذلك كمثل حظ الانثيين يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالاً ونساء فلذلك كمثلهم نصيب اثنتين من اخواته الاناث (يبين الله لكم ان تضلوا) يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لتضلوا وقيل معناه كراهة أن تضلوا وقيل يبين الله الصلابة لتحفظوها (والله بكل شيء عليم) يعني من مصالح عباده التي حكم بهام قسمه المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء (ق) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة بان آخر آية نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الرأب وآخر سورة نزلت اذا جاء

(ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يترفع وبطلب الكبرياء (فسيحشرهم اليه جميعا) فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم
ثم فصل فقال (فاما الذين آمنوا وعملوا

(٤٥٦)

التي وقت النصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته ان يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة
المقربون فانهم مع كرامتهم وعملهم من ان يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من
يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدال ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من
الادنى الى الاعلى ولا يحل لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله
رداعلى من يقول ان الملائكة بنات الله وانهم آلهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله أيضا
رداعلى النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كان المسيح عبدا لله فكذلك الملائكة عبيدا لله
وقوله تعالى (ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر) يعني ومن يتعظم عن عبادة الله وبأنف من التذلل
لله والخضوع والطاعات من جميع خلقه (فسيحشرهم اليه جميعا) يعني فسيبئهم يوم القيامة لموعدهم الذي
وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم) يعني يوفهم
جزاء أعمالهم الصالحة (ويزيدهم من فضله) يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة
من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا
واستكبروا) يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى (فيعذبهم عذابا أليما ولا يجمعون لهم من دون
الله) يعني من سوى الله لانفسهم (أليما) يعني ينجحهم من عذابه (ولا نصيرا) يعني ولا نصرا ينصرهم منه
ويدفع عنهم عقوبته في الآخرة سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر
فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم وأما الذين استنكفوا واستكبروا
والفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال
فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فن يخرج عليه كساه وحله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك
لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغفهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم - ففكانه قال ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم اذ أروا أجور المطيعين العاملين لله تعالى في قوله عز وجل
(يا أيها الناس) خطاب للساكنة (فجاءكم بهرآن من ربكم) يعني محمد صلى الله عليه وسلم وجاء به
من البينات من ربه عز وجل وانما سابه بهرآن الماعية من المعجزات الباهرة التي تشهد بصدقه ولان البرهان
دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والتي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع
به عن جميع الخلاف (وأرسلنا اليكم نورا مبينا) يعني القرآن وانما سابه نور الان به تبيين الاحكام كالتبيين
الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نور الهدى المعنى (فاما الذين آمنوا
بالله) يعني صدقوا بوحدة الله وبما أرسل من رسول وأرسل من كتاب (واعتصموا به) يعني بالله في أن
ينتهوا على الايمان ويصومهم عن زيف الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به أي وتمسكوا بالنور وهو القرآن
الذي أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فسيدخلهم في رحمة منه) يعني فسيدخلهم في رحمة التي ينجم
بها من أليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة (وفضل) يعني ما يفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ويهدمهم اليه صراطا مستقيما) يعني ويوفهم لاصابة فضله
الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسبيلك منهج من أنم عليهم من أهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه
لعباده وهو دين الاسلام في قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله) نزلت في جابر بن عبد الله

واستكبروا فيعذبهم عذابا
أليما ولا يجمعون لهم من دون
الله أليما ولا نصيرا) فان
قلت التفصيل غير مطابق
للفصل لان التفصيل اشتمل
على الفريقين والمفصل
على فريق واحد قلت
هو مثل قولك جمع الامام
الخوارج فن يخرج عليه
كساه وحله ومن خرج عليه
نكل به وصحة ذلك لوجهين
أحدهما انه حذف ذكر
أحد الفريقين لدلالة
التفصيل عليه ولان ذكر
أحدهما يدل على ذكر
الثاني كما حذف أحدهما
في التفصيل في قوله تعالى بعد
هذا فاما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به والثاني أن
الاحسان الى غيرهم مما
يغفهم فكان داخلا في
جملة التنكيل بهم فكانه
قيل ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر فيعذب
بالحسرة اذا رأى أجور
العاملين وبما يصيبه من
عذاب الله (يا أيها الناس
فجاءكم بهرآن من ربكم)
أي رسوله يهر المنكر
بالاعجاز (وأرسلنا اليكم
نورا مبينا) قرأنا يستضاء
به في ظلمات الخيرة (فاما

الذين آمنوا بالله واعتصموا به) بالله أو بالقرآن (فسيدخلهم في رحمة منه) أي جنة (وفضل) زيادة
النعمة (ويهدمهم) ويرشدهم (اليه) الى الله والى الفضل والى صراطه (صراطا مستقيما) فصرطا طاهرا من المضاف المحذوف (يستفتونك
قل الله يفتيك في الكلاله) كان جابر بن عبد الله مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلاله فكيف أصنع في مالي فنزلت

(اتنوا) عن التثليث (خير السم) والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح وصرم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من صرم. ألا ترى الى قوله أنت قلت للناس اتخذوني وأمي اهلين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (انما الله) مبتدأ (اله) خبره (واحد) توكيد (سبحانه أن يكون له ولد) أصبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) بيان تميزه عما نسب اليه بمعنى ان كل ما فيهما خلقه ومملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه اذا بالية وانا لا لا يحتمل ان على أن الجزء انما يصبح في الاجسام وهو تعالى عن أن يكون جسماً (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً ومداً برهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج الى ولده بعينه ولما قال وقد نجرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعيب صاحبنا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بأمر أن يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى (لن يستنكف المسيح) أي ان يأنف (أن يكون عبد الله) هو رد على النصارى (ولا الملائكة) رد على من يعبدهم من العرب وهو عطف على المسيح (المقربون) أي الكروبيوت والذين حول (٤٥٥) العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة

على تلك الذات الحائل في عيسى وفي صرم فابتدوا وذواتاً متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة (اتنوا خير السم) يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيراً لكم من القول بالتثليث ثم نزله الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى (انما الله واحد) ثم نزله نفسه عن الولد فقال (سبحانه أن يكون له ولد) يعني لا ينبغي أن يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدود (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما مع عبده ومملكه وعيسى وصرم من جملة من فهمها مع عبده ومملكه فاذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولد اوزوجة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا بيان لتزيمه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع مافي السموات والارض خلقه ومملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه لان التجزئة انما تصح في الاجسام والله تعالى منزوع عن صفات الاعراض والاجسام (وكفى بالله وكيلاً) يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم ﴿ وقوله تعالى (ان يستنكف المسيح أن يكون عبد الله) وذلك ان وفد نجرنا قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعارض على عيسى أن يكون عبد الله فنزل لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن تعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أي انفت منه وأصله من نكفت الشيء نخيته ونكفت الدمع اذا نخيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقيض ولن يمتنع وان يأنف المسيح ان يكون عبد الله (ولا الملائكة المقربون) يعني وان يستنكف الملائكة المقربون وهم جملة العرش والكروبيوت وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيداً لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى في عيسى أنه ابن الله وذلك لما رواه من خوارق العادات من احياء الموتى وإبراء الكه والابصر وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات

الملائكة المقربون اجمعهم أفضل من عيسى ونحن نعلم بان جميع الملائكة المقربون أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة والان الماردان الملائكة مع ما لهم من القدرة لغاية قدر البشر والعلوم اللوحية ونجدهم عن التولد الازدواجي رأساً لا يستنكفون عن عبادته فكيف بمن يتولد من آخر ولا يقدر على ما يقدرون ولا يعلم ما يعلمون وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هي التي تورث الحقايق أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولهم غير أب وهو يرى الكه والابصر ويحيى الموتى وينبئ بما بآياهم ويدخرون في بيوتهم فبرؤهم العبودية فقبل لهم هذه الاوصاف في الملائكة أنهم مناهي في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهر وانوار عظمى في ذات الله تعالى مع أنهم جبالا على افاضها تالين الانبياء عليهم السلام الملائكة عليهم السلام في العصمة وتفضوا عليهم في قهر البواعث النفسانية والبدن الدواعي الجسدية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبالا على افاضها فكانت أريذلتها على الباطل حديث

لا يسوى بينهما في الجزاء
 (يا أهل الكتاب لا تغالوا في
 دينكم) لا تجاوزوا الحد
 فئات اليهود في حط الملح
 عن منزلة حتى قالوا انه
 ابن الزنا وغلت النصارى في
 رفعه عن مقداره حيث
 جعلوه ابن الله (ولا تقولوا
 على الله الا الحق) وهو
 تزييه عن الشريك والولد
 (انما المسيح عيسى ابن
 مريم) لابن الله (رسول
 الله) خبر المبتدأ وهو المسيح
 وعيسى عطف بيان أو بدل
 (وكنه) عطف على رسول
 الله وقيل له كنه لانه يهتدى
 به كما يهتدى بالكلام
 (ألقاها الى مريم) حال وفرد
 معه مرادة أى أوصلاها
 اليها واصلها فيها (روح)
 معطوف على الخير أيضا
 وقيل له روح لانه كان يحيى
 الموتى كما سمي القرآن روحا
 بقوله وكذلك أوحينا اليك
 روحا من أمرنا لما نبهى
 القلوب (منه) أى بتخليقه
 وتكوينه كقوله تعالى
 وسخر لكم مافى السموات
 ومافى الارض جميعا منه
 وبه أجاب على بن الحسين
 ابن واقد غلام نصرانيا
 كان للرشيد في مجلسه حيث
 زعم ان في كتابكم حجة على
 أن عيسى من الله (فآمنوا
 بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف أى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة

ار بكم (فان لله مافى السموات والارض) يعنى فان الله هو الغنى عن إيمانكم لان له مافى السموات والارض
 ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا لشيء وابه قادر على ما يشاء (وكان الله عليا) يعنى بما يكون
 منكم لا يثنى عليه شيء من أعمال عبادته فيجزى كل عامل به عمله (حكيا) يعنى في تكليفكم مع علمه بما
 يكون منكم ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لم أجاب
 عن شبه اليهود في اتهم من الآية أتبع ذلك باطل ما تقدمه النصارى وأصناف النصارى أر بة الى عقوبة
 والملائكة والنسطورة ية والمرقوسية فاما العقوبة والملائكة فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورة
 انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الاب
 وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات و باقنوم الابن عيسى و باقنوم روح
 القدس الحياة الحالة فيه فتقدير عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتية
 من قبل الام وألوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا قال ان الذى أظهر هذا للنصارى
 رجل من اليهودية يقال له بواص تصردس هذا في دين النصارى ليضاهم بذلك وستأتى قصته في سورة
 التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في
 أمر عيسى عليه السلام فاما اليهود فاتهم بالوعاى التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا
 لغير ردة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الماهفقال الله تعالى رداعليه
 جميعا يا أهل الكتاب (لا تغالوا في دينكم) وأصل الغلو المجاوزة والحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في
 أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته (ولا تقولوا على الله الا الحق) يعنى لا تقولوا
 ان له شريك يكاو له وقيل معناه لا تصفوه بالخلول والاتحاد في بدن الانسان وزهوا الله تعالى عن ذلك
 ولما منعهم الله من الغلو في دينهم أرشدكم الى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى (انما
 المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول
 الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك (وكلتمه) هى قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة
 (ألقاها الى مريم) يعنى أوصلاها الى مريم (وروح منه) يعنى انه كسائر الارواح التى خلقها الله تعالى وانما
 أضافه الى نفسه تلى سبيل التشريع والتسليم كما يقال يات الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعنى انه تفضل
 بها وقيل الروح هو الذى نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما أضافه الى نفسه بقوله
 منه لانه وجد بأمر الله قال بهض المفسر بن ان الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها في صلب آدم عليه
 السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلم أر اداله أن يخلقها أرسل روحه مع جبريل الى مريم
 فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح
 عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان بأمره واذنه وقيل أدخل النكرة
 في قوله وروح على سبيل التعظيم والمسمى روح وأى روح من الارواح القدسية العالية المطهرة وقوله منه
 اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريع والتسليم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله
 وكلتمه ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حتى أدخله الله الجنة على ما كان له من العمل ﴿قوله﴾
 تعالى (فآمنوا بالله ورسله) يعنى فصدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسوله فيما
 جاءكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وقوله تعالى
 (ولا تقولوا ثلاثة) يعنى ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل
 انهم يقولون ان الله الجواهر ثلاثة أقانيم وذلك انهم أنبتوا ذاما و صفة ثلاثة بدليل انهم يجوزون

(وكان الله عزير) في العقاب على الانكار (حكما) في بعث الرسل للانذار ولما نزل اناء وحينا اليك قالوا ما نشهدك بهذا فنزل (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) ومعنى شهادة الله بما أنزل اليه (٤٥٣)

الداوى بالبنات اذا الحكم لا يؤيد الكاذب بالمجزة (أنزله بعلمه) أى أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله اليك وانك مبلغه أو أنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم (وللائكة يشهدون) لك بالنبوة (وكفى بالله شهيدا) شاهدان لم يشهد غيره (ان الذين كفروا) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم للعرب انالانجده في كتابنا (قدضوا ضللا بعيدا) عن الرش (ان الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمد عليه السلام بتغيير لغته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ماداموا على الكفر (ولا يهديهم) طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها بدأ وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير يعاقبهم خالدين فهو حال مقدرة والآيتان في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر (يا أيها الناس) فداءكم الرسول بالحق من

التجارى وفي لفظ مسلم ولاشخص أحب اليه العذرون الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى (وكان الله عزير) يعنى في انتقامه من خالف أمره وعصى رسله (حكما) يعنى في إرساله الرسل ﷺ قوله تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك) قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله أعلم انكم تعلمون انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفي رواية عن ابن عباس ان رؤساء مكة أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اناسا لنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعنى ان سجدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أنزلنا اليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فافيا ادعوا فان الله يشهد بذلك بالنبوة وشهد بما أنزل اليك من كتابه وحيه والمعنى أن اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بأنه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والايان مثله فكان ذلك معجزا واطهار المجزة شهادة بكون المدعى صادقا لاجرم قال الله تعالى لكن الله يشهدك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذى أنزله عليك (أنزله بعلمه) يعنى الله تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو أنه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عبادته وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عبادته فانزاله عليك (وللائكة يشهدون) يعنى يشهدون بان الله أنزله عليك ويشهدون بتصدقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهد الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بأنه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك (وكفى بالله شهيدا) يعنى وحسبك يا محمد أن الله يشهدك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له ولا نكته كذلك ﷺ قوله عز وجل (ان الذين كفروا) يعنى يحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (وصدوا عن سبيل الله) يعنى منعوا غيرهم عن الايمان بكتاب صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لاني بكتاب من السماء جلة واحدة كما تآوى موسى بالتوراة (قدضوا ضللا بعيدا) يعنى عن طريق الهدى (ان الذين كفروا وظلموا) يعنى كفروا بالله وظلموا محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا يعاقبهم عليها بالقتل والسب والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى (ولا يهديهم طريقا) يعنى ينجون فيه من النار وقيل ولا يهديهم طريقا الى الجنة ولا يهديهم طريقا الى جهنم (يعنى لكانه تعالى يهديهم الى طريق يؤدى الى جهنم وهى اليهودية لما سبق في علمه انهم أهل لذلك (خالدين فيها) يعنى في جهنم (أبدأوا كان ذلك على الله يسيرا) يعنى هينا ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الناس) هذا الخطب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبداء الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لشركى العرب (قد جاءكم الرسول) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (الحق) يعنى دين الاسلام الذى ارضاء الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذى هو الحق (من ربكم) يعنى من عند ربكم (فأمتوا خير اليكم) يعنى فأمتوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعنى من الكفر الذى أنتم عليه (وان تكفروا) يعنى وان تجحدوا وارسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من

ر بكم) أى بالاسلام وهو حالى محققا (فأمتوا خير اليكم) وكذلك اتهاوا خير اليكم انتصابه بمضمر وذلك انما مضمر على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليل علم أنهم ملهم على أمر فقال خير اليكم أى اقصدا وواتوا أمر اخبر اليكم بما أنتم فيه من الكفر والتثليل وهو الايمان به

المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذ كر لهم بقوله تعالى (وكان الله موسى تكليماً) يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تا كيدكم بالصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلاشك لان افعال الجاز لا تؤثر كد بالصدر فلا يقال أراد الخاطب بسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خالق كلامي محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال افراء العرب تسمى كل ما يوضع الى الانسان كلاماً بطريق وصل لكن لا تحقيقه بالصدر واذا حقق بالصدر لم يكن الاحقية الكلام فدل قوله تعالى تكليمي على ان موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنه كلها قبل كلمه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لا أفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنه فقال يارب هكذا كلامك قال لوسمعت كلامي يعني على وجهه ثم تكلم شيئاً قال موسى يارب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شيئاً بكلامي أشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلماء كان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحاً في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جلة واحدة لم يكن قادحاً في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقاً من الانبياء ^١ قوله عز وجل (رسلاً مبشرين ومنذرين) يعني اباً وحسيناً اليك كأوحينا الى نوح والنبين من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلاً الى خاني مبشرين من من أطاعني واتبع أمري وصدق رسل بالثواب الجزيل في الجنة ومنذر من من عصاني وخالف أمري وكذب رسل بالعباب الاليم في النار وويل هو جواب عن سؤال البه و انزال الكتاب جلة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جلة واحدة وانزاله متفرقاً بل انزاله متفرقاً أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئاً من العبادات ولم تألفها فانزال الكتاب جلة واحدة وفيه جميع التكليف بما حصل في بعض نفوس العباد فنور من تلك التكليف وتنقل عليهم كأخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الابد شدة فلهاذا السبب كان انزال القرآن بنجوم متفرقة أولى وقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت بنا رسلاً وما أنزل علينا كتاباً وفيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

قلت الرسل مبهنون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ويمينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقهم وبينهم أحكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لورأيت رجلاً مع امرأتي لضرته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنهبون من غيرة سعد والله لا تأخذ غير منه والله أغرب منه ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش مظهر منها ما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذر بن والمبشر بن ولا أحد أحب اليه الملاحمة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ

(وكان الله موسى تكليماً)
أى بلا واسطة (رسلاً
مبشرين ومنذرين)
الوجه ان ينصب على
المدح أى أعنى رسلاً يجوز
ان يكون بدلاً من الاول
وان يكون مفعولاً أى
وأرسلنا رسلاً واللام في
(لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل) يتعلق
بمبشرين ومنذرين والمعنى
ان ارسالهم اراحة للامة
وتتم لزام الحجة لئلا
يقولوا لولا أرسلت بنا
رسلاً فوقعنا من سنة
الغفلة ونهنا بما وجب
الانقباه له ويعلمنا ما سبيل
معرفة السمع كالعبادات
والشرائع أعنى في حق
مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها
دون أصولها فماها بما يعرف
بالعقل

(والمؤمنون الزكاة) مبتدأ (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) عطف عليه والخبر (أولئك) (٤٥١) سنوئهم أجزا عظيمة (والباء حزة

(أنا وأوحينا اليك) جواب
لاهل الكتاب عن سؤالهم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم
بأن شأنه في الوحي اليه
كشأن سائر الانبياء الذين
سلفوا (كما أوحينا الى
نوح والنبيين من بعده)
كهو دوصالح وشعيب
وغيرهم (وأوحينا الى
ابراهيم واسماعيل واسحق
وعقوب والاسباط) أي
أولاد يعقوب (وعيسى
وأيوب ويونس وهرون
وسليمان وأئتنا داود
زبور) زبور ارحم مصدر
بمعنى مفعول سمي به
الكتاب المنزل على داود
عليه السلام (ورسلا)
نصب بضمير معنى أوحينا
اليك وهو أرسلنا ونزلنا
(قد قصصناهم عليك من
قبل) من قبل هذه السورة
(ورسلاهم قصصهم عليك)
سأل أبو ذر رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الانبياء
قال مائة ألف وأربعمائة
وعشرون ألفا قال كم
الرسول منهم قال ثلثمائة
وثلاثة عشر أول الرسل آدم
وآخرهم نبيكم محمد عليه
السلام وأربعمائة من العرب
هو دوصالح وشعيب ومحمد
عليه السلام والآية تدل
على أن معرفة الرسل

والقول الثاني ان المقامين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله
تعالى بما أنزل اليك ففي هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
والمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانهم نزل شرع أحدهم عن إقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره
وقوله تعالى (والمؤمنون الزكاة) عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) معنى
والمصدقون بوحدة الله تعالى والبعث بعد الموت والثواب والعقاب (أولئك) يعني من هذه الاوصاف
صفته (سنوئهم أجزا عظيمة) يعني سنعتهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ثوابا عظيما وهو
الجنة قوله عز وجل (أنا وأوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) قال ابن عباس قال سكن
وعدي بن زيد يا محمد ما نزل الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأُنزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب
لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جلة واحدة فاجاب
الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال أنا وأوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى
انكم يا معشر اليهود تقررون بنبوته نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى
ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وانهم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحدهم من هؤلاء
المذكورين كتابا جلة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جلة واحدة على أحد
هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد
أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذلك نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث
بشريعة وأول نذر على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم
دعوتهم وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أول بالشرك آدم عليه السلام وكان أطول الانبياء عمرا عاش ألف
سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له من وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جلة
بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرقتهم وفضلهم فقال (وأوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحق وعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر (وعيسى وأيوب ويونس
وهرون وسليمان وأئتنا داود زبور) يعني وأئتنا داود كتابا من زبور يعني مكتوب قبل الزبور بالفتح اسم
للكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تنبيح
وتقديس وتمجيد وتثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم وقرأ
الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين
خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقيم بين يديه وترف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون
أقراء داود ويتجيبون منها فما عاقر الذئب زال عنه ذاك وقيل كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل العصية
(ق) عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورأيتي البارحة وأنا أستعجب لآراءك
لقد أعطيت من مرام من اميرال داود قال الجدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع
أقراء في طيرتها لك تحير التحير تحدين الصوت بأقراء قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى في هذه الآية
لان الله أنزل عليه التوراة جلة واحدة وكان المقصود بذلك كرم من الانبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد
منهم كتابا جلة واحدة فلما لم يذكر موسى عليه السلام في الآية قوله تعالى (ورسلاهم قصصناهم عليك من قبل)
لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما موسى لم يذكر كرمنا في هذه الآية وفيها كرم موسى عليه السلام
والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سبقتهم في القرآن وعرفناك أخبارهم والى من
بعثوا واوراد عليهم من قومهم (ورسلاهم قصصهم عليك) أي لم ندمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل

بإيمانهم ليست بشرط صحة الإيمان بل من شرطه ان يؤمن به "ذلك ان معرفة كل واحد منهم شرط لقصصنا كل ذلك

ما ترجمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية على لا يقبلها من يذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحدا الا الاسلام والقتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابى اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب أن هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وأما عيسى عليه السلام يحكم بشرية محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول به يدعى قول من قال ان إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال العموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قالوا الذين يبقون يومئذ يدعى عند نزوله شرمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول بمعنى الذين يقولون ان إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبرى هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابى فلا يوت يهودى ولا نصارى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه إيمانه **❦** وقوله تعالى (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه ربا أو شركا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وآمن به قال قتادة معناه أنه يكون شهيدا يوم القيامة أنه قد بلغ رسالته به وأقر على نفسه بالعبودية **❦** قوله عز وجل (فبظلم من الذين هادوا) يعنى فبسبب ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) يعنى ما حرمنا عليهم الطيبات التى كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبهوه وذلك الظلم هو ما ذكره من تقصيرهم المشاق وماعد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وكذبوا آلهة الله جبهة وكذبواهم البهائم فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى في معنى الآية خر مناعلى اليهود الذين تقصروا ميثاقهم الذى واثقوا بهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعالوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من الماء كل وغيرها التى كانت لهم حلالا لعقوبة ظلم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظاهروهم بنى بغوهم حرمت عليهم أشياء بيغفهم وظلمهم وتقول الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الرابوا نههم أن يأكلوا أموال الناس ظلمافا كلوا الرابوا كلوا أموال الناس ظلمافا بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم حرم الله عليهم عقوبة ظلم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فلما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى اليه فتركته ولقد أنصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلاهما ذنوب في المستقبل فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا لعقوبة ظلم على ما سبق منهم قلت جوابه ما تقدم وهو أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرها اجاليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فاليه

(ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بأنه دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وهى ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا بظلم عظيم ارتكبهوه وهو ما عدا قبل هذا

(وماقتلوه قتيلا) أي قتلا
 يقيته أو ماقتلوه متيقين
 أو ماقتلوه حقا فيجعل
 يقيته ناكيدا لقوله
 وماقتلوه أي حتى انتقامه
 قتله حقا (بل رفعه الله
 اليه) إلى حيث لا حكم
 فيه غير الله وإلى السماء
 (وكان الله عز وجل) في
 انتقامه من اليهود (حكيا)
 فيما ذكر من رفعه إليه (وان
 من أهل الكتاب الاليؤمنين
 به قبل موته) أيؤمنين به
 جلة قسمية واقعة صفة
 لوصوف مخنوف تقديره
 وان من أهل الكتاب أحد
 الاليؤمنين به ونحوه وما هنا
 الالامام معلوم والمعنى وما
 من اليهود والنصارى أحد
 الاليؤمنين قبل موته بعيسى
 عليه السلام وبأنه عبد الله
 ورسوله يعني إذا عان قبل
 ان تزحق روحه حين
 لا ينفعه إيمانه لا تقطاع
 وقت التكليف أو الضمير ان
 لعيسى يعني وان منهم
 أحد الاليؤمنين بعيسى
 قبل موت بعيسى وهم أهل
 الكتاب الذين يكونون
 في زمان نزوله روى انه ينزل
 من السماء في آخر الزمان
 فلا يبق أحد من أهل
 الكتاب الا يؤمن به حتى
 تكون الملة واحدة وهي
 ملة الاسلام أو الضمير في به
 يرجع إلى الله وإلى محمد صلى

الله عليه وسلم والثاني إلى الكتابي

عيسى لاعت علم وحقيقة (وماقتلوه يقينا) قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقيناً فعلى هذا القول تكون
 الهاء في قتله عائدة على الظن والمعنى يقتلوا ذلك الظن يقيناً ولم يزل ظنهم ولم يرتفع موقوع لهم من الشبهة في
 قتله فهو كقول العرب قتله علماً قتله يقيناً يعني علمه علماً تاماً أصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قور
 واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا يمكن علمهم بقتل عيسى علماً تاماً كاملاً انما كان ظنهم انهم قتله ولم
 يكن لذلك حقيقة وقيل أن الهاء في قتله عائدة على عيسى والمعنى وماقتلوا المسيح يقيناً كما ادعوا انهم قتله
 وقيل ان قوله يقيناً يرجع إلى ما بعده تقديره وماقتلوه (بل رفعه الله إليه) يقيناً والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى
 ولم يصلوه ولكن الله عز وجل رفعه إليه وطهره من الذنن كقروا وخلعه عن أراد به بسوء وقد تقدم كيف
 كان رفعه في سورة آل عمران بمافيه كذابة ﴿وقوله تعالى (وكان الله عز وجل) يعني في اقتداره على من
 يشاء من عباده (حكيا) يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عز وجل يعني منيعاً منتقماً
 من اليهود فسلط عليهم نطيطوس بن اسبسيانوس الرومي قتل منهم مقتلة عظيمة حكيا بحكم بالاعنة والغضب
 على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة ﴿وقوله تعالى (وان من أهل الكتاب) يعني وامن أحد من
 أهل الكتاب (اليؤمنين به) يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكملة هذا قول ابن
 عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله الاليؤمنين به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له
 لانه لم يجز للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير إليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم
 ذكر بعيسى عليه السلام فكان عود الضمير إليه أولى (قبل موته) اختاف المفسرون في هذا الضمير إلى من
 يرجع فقال ابن عباس وأكثر المفسرين ان الضمير يرجع إلى الكتابي والمعنى وامن أحد من أهل
 الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرة حين لا ينفعه
 إيمانه قال ابن عباس معناه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو تردى من شاطئ أو سقط
 عليه جداراً أو كاه سبع أومات خافة قبل له أو أبت ان خرم فوق بيت قال يسلم به في الهواء فقيس له
 أرباب ان ضربت عنقه قال يتلجلج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت
 الملائكة باجفئته وجهه وودبره وقالوا يا عبد الله أياك عيسى نديا فكذب به فيقول آمنت انه عبد الله ورسوله
 وتقول للنصارى اياك عيسى نبياً فرمعت انه الله وابن الله فيقول آمنت انه عبد الله فاهل الكتابين يؤمنون
 به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير إلى ان الضمير يرجع إلى عيسى عليه
 السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضاً والمعنى وامن أحد من أهل الكتاب الاليؤمنين بعيسى قبل موت
 عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبق أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون
 الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى إلى الأرض لا يبق يهودي ولا نصراني ولا أحد بعد غير
 الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكنتم وبدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً قسطاً فیدرأ الصليب ويقتل الخنزير
 ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا
 وما فيها ثم يقول أبو هريرة أقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الاليؤمنين به قبل موته الآية وفي رواية قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ليؤمنن فيكم ابن مريم حكماً عادلاً فلا يكسر الصليب وليقتل الخنزير
 وليضع الجزية وليترك كن القلاص فلا يسي عليها وليذهب الشحنا والتباعض والتحاسد وليدعون إلى
 المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه
 الامه ويحكم بشرعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبياً برسالته المستقلة وشرعة ناسخة بل يكون حاكماً
 من حكام هذه الامه واماماً ممن أئمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسره حقيقة وبطل

ربى وبكملت خلقى
 اللهم العن من سبني وسب
 والدتي فسخ الله من سبهما
 قرده وخزاف رفا جتمع
 اليهود على قتله فاخبره الله
 بأنه رفعه الى السماء وظهره
 من مصحبة اليه ودق
 لاصحابه أيكم برضى أن يلقى
 عليه شهى فيقتل ويصلب
 ويدخل الجنة فقال رجل
 منهم أنا فاقى الله عليه شهى
 فقتل وصلب وقيل كان
 رجل ينافى عيسى فلما
 أرادوا قتله قال أنا ذلكم
 عليه فدخل بيت عيسى
 ورفع عيسى وأتى الله شهى
 على المنافق فدخا عليه
 فقتله وبه وهم يظنون أنه
 عيسى وجاز هذا على قوم
 متعنتين حكم الله بأنهم
 لا يؤمنون وشبهه مسند الى
 الجار والمجرور وهو لهم
 كشوك خيل اليه كأنه
 قيل ولكن وقع لهم التشبيه
 أو مسند الى ضمير المقتول
 لدلالة انما قتله عليه كأنه
 قيل ولكن شبه لهم من قتله
 (وان الذين اختلفوا فيه)
 فى عيسى يعنى اليهود قالوا
 ان الوجه وجهه عيسى
 والبدن بدن صاحبنا
 اختلف النصارى قالوا اله
 وابن الهولاء ثلاثة (لنى)
 شك منه ماظهره من علم
 الاتباع الظن استثناء

جاءوا رده عليهم بقوله (وماقتلوه وماصلبوه) وفى قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون
 المعنى انه رسول الله على زعمه والآخر قول الله تعالى (وماقتلوه وماصلبوه) وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله تعالى أبدل
 ذكرهم فى عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول
 القبيح وقوله تعالى (ولكن شبه لهم) يعنى أتى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختاب العامة فى
 صفة التشبيه الذى شبه على اليهود فى أمر عيسى عليه السلام فرزى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه انه قال
 أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الخوارج بين بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليه هم صورهم الله تعالى
 كلامه على صورة عيسى فقالوا لهم سحرنا ونالنا بوزن لنا عيسى أولئك ثلثكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من
 يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة
 عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه فممن شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله
 عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفى رواية أخرى عن وهب بن منبه انه قال لاصحابه
 ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصبح الديك ثلاث مرات وليدعنى بدرهم يسيرة أيا كان ثمنى فخرجوا ونفروا
 وكانت اليهود تطلبه فاخذوا سبعون أحد الخوارج بين فقالوا لاهلنا أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه
 فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الخوارج بين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تبعه
 لى أن أتادلكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدخل عليه فاقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذى دل
 عليه فاخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة أن أعداء الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى
 وصلبوه وذكرنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يذبح عليه شهى وله الجنة فانه
 مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فاخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل
 ان اليهود حبسوا عيسى فى بيت وجعلوا عليه رقبيا يحفظه فاقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذوا
 وصلبوا ورفع الله عز وجل عيسى فى ذلك الوقت قال الطبرى وأولى الأقوال بالاصواب ما ذكرنا عن وهب
 ابن منبه من أن شبه عيسى أتى على جميع من كان مع عيسى فى البيت حين أحيط به وبهم من غير مسئلة
 عيسى إياهم ذلك ولكن ليخبر الله بذلك اليهود وينقذه بنبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه وأدوبه
 من قتل وغيره وليبتلى الله من أراد ابتلاء من عباده ويحتمل أن يكون أتى شبهه على بعض أصحابه بعدما
 تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وفى ذلك فاخذوا وقتل وصلبوا وظن أصحابه واليهود ان الذى
 قتلاه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبه به وخفى أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عندهم فلذلك
 قال تعالى (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) (وان الذين اختلفوا فيه) يعنى فى قتل عيسى وهم اليهود (انى
 شك منه) يعنى من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد أتى التشبه على وجه ذلك
 الشخص دون جسده فاما قتله ونظروا الى جسده فوجدوه غير جسده عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد
 جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه فى ألبيت دخل عليه رجل منهم
 اخرجهم اليهم فاقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذوا وقتل وصلبوا ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقتلوا
 صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فإين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فإين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم
 فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته
 وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول رأينا قتلوا بعضهم يقول رأينا رفعه الى السماء فهذا
 هو اختلافهم فيه قال الله تعالى (ما لهم به من علم) يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا
 حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره (الاتباع الظن) يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله انهم لم يروا

منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعنى ولكن يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو أن لا يرجح أحد الجانبين ثم وصفوا بالظن
 وهو أن يرجح أحدهما لان المراد انهم شاكون ما لهم به من علم ولكن ان لا حث لهم أماره فقلوا فذلك وقيل وان الذين اختلفوا فيه أى

(فَعَفُوْا عَلَى ذَلِكَ) تَفَضَّلُوا لِمَا اسْتَطَاعُوا (وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مِّنْ بَيْنِنَا) حُجَّةً ظَاهِرَةً عَلَى مَنْ خَالَفَهُ (وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الطَّوْرَ مِثْقَالَهُمْ) بِسَبَبِ مِثْقَالِهِمْ لِيَخَافُوا فَلَا يَنْقُضُوهُ (وَقُلْنَا لَهُمْ) وَالطَّوْرُ مِثْقَالُ عَلَيْهِمْ (ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا) ادْخُلُوا بَابَ إِبْلِيعَ مَطَاطِينٍ عِنْدَ الدَّخُولِ رُؤْسَكُمْ (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) لِتَجَاوِزُوا الْحَدَّ تَعْدُوا وَارْشُ تَعْدُوا بِاسْكَنْ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدُ الدَّلَالَةِ مَدَنِي غَيْرُ وَرْشٍ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ تَدَوَّدَتْ وَهِيَ قِرَاءَةُ أُنَى لِأَنَّهُ أَذْغَمَ التَّاءَ فِي الدَّلَالِ وَأُنَى الْعَيْنِ سَاكِنَةٌ فِي رَوَايَةٍ وَفِي رَوَايَةٍ تَقْلُ فَتُحْ التَّاءُ إِلَى الْعَيْنِ (فِي السَّبْتِ) بِاخْتِارِ السَّمَكِ (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَالَ غُلْظَةٍ) عَهْدًا مَوْكِدًا (فَبَانَقَضَهُمْ) أَيُ فَبَنَقَضَهُمْ (٤٤٦) وَمَا مِنْ يَدَةٍ لِّلْتَّوَكُّيدِ وَالْبَاءُ تَعَاتِقُ بِقَوْلِهِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ تَقْدِيرُهُ

الْعَصَا وَالْيَدِ وَفُلُقِي الْبَحْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَجْزَاتِ الْبَاهِرَةِ (فَعَفُوْا عَنْ ذَلِكَ) يَعْنِي عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ثُمَّ نَسْتَأْصِلُ عِدَّةَ الْجُلُودِ وَالْقَصُودِ مِنْ هَذِهِ تَأْسِيفِيَّةٍ أَخْبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَنَى إِنْ هُوَ لَا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْكَ بِإِحْدَانٍ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ لِيُطَاعُوا بِعُنَادٍ وَاجْتِرَافٍ فِي قَدَرِ نَزَاتِ التَّوْرَةِ جَلَّةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مُوسَى وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْمَجْزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ ثُمَّ أَتَاهُمْ طَلِبُوا الرُّؤْيَا عَلَى سَبِيلِ الْعُنَادِ وَعَبَدُوا الْجُلُودَ وَكُلَّ ذَلِكَ بَدَلَ عَلَى جِهَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ مَجْبُورُونَ عَلَى اللِّحَاجِ وَالْعُنَادِ فِي قَوْلِهِ فَعَفُوْا عَنْ ذَلِكَ اسْتِعْدَاءُ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْعَنَى إِنْ وَأَنَّكَ الَّذِينَ أَجْرُوا وَالْمُتَابِعُونَ وَاعْفُوْنَا عَنْهُمْ فَتَوَبُوا أَنْتُمْ نَعَفَ عَنْكُمْ (وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مِّنْ بَيْنِنَا) يَعْنِي حُجَّةً وَاضِحَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ مِنَ الْمَجْزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَرَفَعْنَا قَوْمَهُمُ الطَّوْرَ مِثْقَالَهُمْ) يَعْنِي وَرَفَعْنَا قَوْمَهُ الْجَبَلِ الْمُسَمَّى بِالطَّوْرِ بِسَبَبِ أَخْذِ مِثْقَالِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْمُونَ بِقَبُولِ التَّوْرَةِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا فَرَفَعَ اللَّهُ قَوْمَهُمُ الطَّوْرَ حَتَّى أَظْهَرَ لِيَخَافُوا فَلَا يَنْقُضُوا الْعَهْدَ وَالْمِثْقَالَ (وَقُلْنَا لَهُمْ) يَعْنِي وَالطَّوْرُ يَظَالُهُمْ (ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا) خَافُوا وَدَخَلُوا وَهُمْ يَزْحَقُونَ عَلَى اسْتِغْنَائِهِمْ (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ) يَعْنِي وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَجَاوِزُوا فِي يَوْمِ السَّبْتِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكُمْ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَهَوْا أَنْ يَصْطَادُوا السَّمَكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ فَاعْتَدُوا وَاصْطَادُوا فِيهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَالَ غُلْظَةٍ) يَعْنِي وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ عَهْدًا مَوْكِدًا شَدِيدًا بِأَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ بِهِمُ اللَّهُ وَأَنْ يَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى عَنْهُمُ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ نَقْضُ وَذَلِكَ الْمِثْقَالَ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى (فَبَانَقَضَهُمْ مِثْقَالَهُمْ) يَعْنِي فَبَنَقَضَهُمْ وَمَا مِنْ يَدَةٍ لِّلْتَّوَكُّيدِ وَالْعَنَى فَبَسَبَبِ نَقْضِهِمْ مِثْقَالَهُمْ لِعُنَادِهِمْ وَسَخَطُنَا عَلَيْهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ مَا فَعَلْنَا (وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) يَعْنِي وَبِجُحُودِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ أَنْبِيَائِهِ (وَقُلْنَا لَهُمُ الْإِنْبِيَاءُ) يَعْنِي بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِمْ (بَغِيرِ حَقٍّ) يَعْنِي بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ الْقَتْلِ (وَقَوْلُهُمْ قُلُوا بِنَاغُلْفٍ) يَعْنِي وَبِقَوْلِهِمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِنَاغُلْفَةٍ وَغَشَاوَةٍ فَهِيَ لَا تَنْفَقُ مَا قَوْلُ جَعِ أَغْلَفَ وَقِيلَ جَعِ أَغْلَفَ يَعْنِي قُلُوبُهُمْ غُلْفٌ فَلَا حَاجَةَ لَهَا إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا) يَعْنِي بَلْ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ (فَلَا يُؤْمِنُونَ الْاِقْلِيلَا) يَعْنِي إِيمَانَهُمْ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ وَكُفْرَهُمْ بِمَا سَوَاهُ مِنَ الْإِنْبِيَاءِ وَالْكِتَابِ وَقِيلَ لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْقَلِيلِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْيَهُودِ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى (وَكَفَرُوا) وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا) يَعْنِي حِينَ رَدَّوْهَا بِالْإِزْوَادِ لِكَرَاهَتِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا وَقَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَمُنْكَرَ قُدْرَةِ اللَّهِ كَافِرًا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَكَفَرُوا هُوَ أَنْكَارُهُمْ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا هُوَ مَرِيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا وَأَنَسَاهَا بِهَتَانَا عَظِيمًا لِأَنَّهُ قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَوَلَدَهُ مَرِيَمَ مِنَ الْمَجْزَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَتِهَا مِنْ ذَلِكَ فَلِهَذَا السَّبَبِ وَصَفَ اللَّهُ قَوْلَ الْيَهُودِ عَلَى مَرِيَمَ بِالْهَتَانِ الْعَظِيمِ ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَقَوْلُهُمْ) نَاقَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) ادْعَتْ الْيَهُودُ دَانَهُمْ قَوْلُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَدَقْتُهُمُ النَّصَارَى عَلَى ذَلِكَ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ يَنْقُضُهُمْ مِثْقَالَهُمْ وَقَوْلُهُ بِنَاغُلْفٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ فَبَانَقَضَهُمْ (مِثْقَالَهُمْ) وَمَعْنَى التَّوَكُّيدِ تَحْقِيقُ أَنْ تَحْرِمَ الطَّيِّبَاتُ لَمْ يَكُنِ الْإِبْنُضُ الْعَهْدَ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) أَيُ مَجْزَاتٍ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَقَتْلَهُمُ الْإِنْبِيَاءَ) كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَغَيْرِهِمَا (بَغِيرِ حَقٍّ) بِغَيْرِ سَبَبٍ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْقَتْلَ (وَقَوْلُهُمْ قُلُوا بِنَاغُلْفٍ) جَمْعُ أَغْلَفَ أَيُ مَحْجُوبَةٍ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ الذِّكْرِ وَالْوَعْدِ (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا) هُوَ رَدُّهَا وَأَنْكَارُ لِقَوْلِهِمْ قُلُوا بِنَاغُلْفٍ (فَلَا يُؤْمِنُونَ الْاِقْلِيلَا) كَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ (وَكَفَرُوا) مَطْوُوفٌ عَلَى فَبَانَقَضَهُمْ أَوْ عَلَى مَا يَلِيهِ مِنْ قَوْلِهِ وَكَفَرُوا وَلَمَّا تَكَرَّرَ مِنْهُمْ الْكُفْرُ لَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمُوسَى ثُمَّ بِعِيسَى ثُمَّ بِعُصَاةٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظَفَ بَعْضُ كُفْرِهِمْ عَلَى بَعْضٍ (وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيَمَ بِهَتَانَا عَظِيمًا) هُوَ النَّسْبَةُ إِلَى الزَّنَا (وَقَوْلُهُمْ نَاقَلْنَا الْمَسِيحَ) سَمَّى مَسِيحًا لِأَنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَحَهُ بِالْبَرَكَةِ فَهُوَ مَسُوحٌ أَوْلَانَهُ كَانَ يَمْسَحُ الْمَرِيضَ وَالْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ فَيَسِيرُ أَقْسَمِي مَسِيحًا يَعْنِي الْمَسِيحَ (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) هُمْ لَمْ يَتَعَقَّدُوهُ رَسُولَ اللَّهِ لَكُنْهُمْ قَالُوا اسْتَهْزَأَ بِقَوْلِ الْكُفَرَارِ لِرَسُولِنَا أَيُ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ أَنَّكَ لَنْجُونُ وَتَحْتَمِلُ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ بِالرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ

(و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما (أولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقاً) نأ كيد لضمون الجلالة كقولك هذا عبد الله حقاً أي حتى ذلك حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو وصفة لمصدر الكافر من أي هم الذين كفروا ككفر حقاً ثابتاً يقيناً لا شك فيه (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) في الآخرة (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحدهم) وانما جاز دخول بين على أحد لانه عام في الواحد المذكور والمؤثرتين بينهما وجههما (أولئك سوف نؤتيهم) وبألباه حفص (أجورهم) أي الثواب الموعود لهم (وكان الله غفوراً) (٤٤٥) يستر السيات (رحماً) يقبل الحسنات والآية تدل على

البيان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسوله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسوله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من الغفرة والرحمة لانه قال وكان الله غفوراً رحيماً وهم يقولون ما كان الله غفوراً رحيماً في الازل ثم صار غفوراً رحيماً ولما قال فخاص وأصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبياً صادقا فأتنا بكاب من السماء جملة كأتني به موسى عليه السلام نزل من السماء جملة كأتني به موسى عليه السلام نزل من السماء أهل الكتاب أن تنزل عليهم) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (كتاب من السماء) أي جملة كآزات التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن لو سألوه مستردين لاعطاهم لان

بالله مع التكذيب ببعض رسوله (و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) يعني بين الإيمان والبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليهود يدينون به (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الكافرون حقاً) يعني بقيناً وانما قال ذلك تؤكد الكفرهم لثلاثتهم متوهم ان الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم أن الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلام لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المجزة لزم منه انه حيث وجدت المجزة حصلت النبوة وقد وجدت المجزة لجميع الانبياء فلم الإيمان بجمعيهم (وأعتدنا) يعني وهبنا (للكافرين عذاباً مهيناً) يعني يهانون فيه (والذين آمنوا بالله ورسوله) يعني والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاز به من عند الله حتى وصدق (ولم يفرقوا بين أحد منهم) يعني من الرسل بل آمنوا بجمعيهم وهم المؤمنون (أولئك) يعني من هذه صفتهم (سوف نؤتيهم أجورهم) يعني جزاء إيمانهم بالله وجميع كتبهم ورسوله (وكان الله غفوراً رحيماً) يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيئاتهم ويعفو عنهم ورحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر ﴿يستألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كتب بن الاشرف وقصاص ابن عازر من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً يخصنا بهم وقيل سألو أن ينزل عليهم كتاباً إلى فلان وكتاباً إلى فلان ليثبت هذا لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقترح لاسؤال استرشاد واثبات الله تعالى لا ينزل الآيات على اقترح العباد لان مجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التمتع ﴿وقوله تعالى (فقد سألو موسى أكبر من ذلك)﴾ يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد ففقه تسالية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظم عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم واجترأهم على الله لولا أنهم يكتبون من السماء لما آمنوا بك وانما أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكين لهم في التعنت (فقالوا) يعني أسلاف هؤلاء اليهود (أرأنا الله جهرة) يعني عياناً والمعنى أرأنا نره جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة (فاخذتهم الساعة بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤبة (ثم اتخذوا الجبل) يعني الهاء وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هرون حين خرج الى ميقات ربه (من بعد ما جاءتهم البينات) يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى

انزال القرآن جملة يمكن (فقد سألو موسى أكبر من ذلك) هذا جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت بأسألوهم منك فقد سألو موسى أكبر من ذلك وانما أسند السؤال اليهم وقد وجد من آبائهم في أيام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم (فقالوا أرأنا الله جهرة) عياناً أي أرأنا نره جهرة (فاخذتهم الساعة) العذاب الهائل والنار المحرقة (بظلمهم) على أنفسهم بسؤال شئ في غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم في الآيات وتعنتهم في سؤال الرؤبة لاسؤال الرؤبة لانها يمكنه كآزال القرآن جملة ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤبة لكان موسى بذلك أحق فانه قال رب أرني أنظر اليك وما أخذته الساعة بل أطمعه وقيدته بالممكن ولا يتعلق بالممكن الا وهو يمكن الثبوت ثم أحياهم (ثم اتخذوا الجبل) الهاء (من بعد ما جاءتهم البينات) التوراة والمجرات التسع

ذلك شكرا عظيما بهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المهم مقدما على الإيمان فذلك قدّم الشكر على الإيمان في الذكر (وكان الله شاكرًا) يعني شتياب عباد المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا القليل من أعمال عباد عباد واضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباد بالشكر سمى الجزاء شكرًا على سبيل الاستعارة فلما رمدن الشاكر في صفة الله تعالى كونه متباعيا على الشكر (علما) يعني يحق شكركم وإيمانكم فيجاز بكم على ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) قال أهل المعاني يعني أنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أيضا من القول يعني من القول القبيح الآمن ظلم قيل هو استثناء متصل والممنى الاجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومقتضى لكن المظالم يجوز أن يحجز الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق بني أو غصب ونحو ذلك وان شئت جاز له ان يشتمه ولا يزد بشيا على ذلك وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان باقلا فلي الاول وفي رواية فعلى البادئ منهما حتى يمتدئ المظالم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعوا أحد على أحد الا أن يكون مظلوما فانه قد أُرخص له ان يدعوا على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقال اللهم اغنى عليه اللهم استخرج لي حتى اللهم حل بيني وبين ما بر يد ونحوه من الدعاء وقيل نزل الآية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقره ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في أبي بكر الصديق وذلك ان رجلا لانا منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مرارته ردد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم نقل له شيا حتى اذا رددت عليه قلت قال ان ما كان يحجب عنك فلعار ددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقامت ونزلت هذه الآية (وكان الله سميعا) يعني لدعاء المظالم (علما) بما في قلبه فلينق الله ولا يقل الا الحق ﴿قوله تعالى﴾ (ان تبدوا خيرا) قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة واصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء (أو تخفوه) يعني تخفوا الخير فلما ظهره وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتمعلوا بها اكتسبكم عشر اوان هم بها ولم يعملوا كتب له واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخليق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا هما افعال نفع الهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو رفع ضرعتهم واليه الاشارة بقوله تعالى (أو تعفوا عن سوء) فيدخل في هاتين الكائنتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخبر المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرًا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظالمه (فان الله كان عفوا قديرا) يعني لم يزل ذا عفوم قدرته على الانتقام فاعفوا أتم عن ظلمكم واقتدوا به الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على افعال التواب اليه ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين يكفرون بالله ورسوله) نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بعيسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بعيسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلمهم أجعين (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) يعني ويريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسوله ولا يصح الإيمان

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ يَدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا آلَهُ عَلَى سُلْطَانٍ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ (ان) المنافقين فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) أَيْ فِي الطَّبَقِ الَّذِي فِي فِرْجَتِهِمُ وَالنَّارِ (٤٤٣) سَبْعَ دَرَكَاتٍ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا

مَتَدَارِكَةٌ مُتَابِعَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَأَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَ الْكَافِرِ لِأَنَّهُ أَمِنَ السَّيْفَ فِي الدُّنْيَا فَاسْتَحَقَّ الدَّرَكَ الْأَسْفَلَ فِي الْعَقَبِ لِعَدِيلِهِ وَلَا نَهْمَ لَهُ فِي الْكَفْرِ وَضُمَّ إِلَى كُفْرِهِ الْأَسْتِزَاءُ بِالْإِسْلَامِ وَأَوَّلُهُ وَالدَّرَكُ بِسُكُونِ الرَّاءِ كَوَيْ غَيْرِ الْأَعْيَشِ وَبَفَتْحِ الرَّاءِ غَيْرُهُمَا اقْتِنَانٌ وَذَكَرَ الزَّجَاجُ أَنَّ الْاِخْتِيَارَ فَتَحَ الرَّاءِ (وَلَنْ يُجَدِّدَهُمْ نَصِيرًا) يَعْنِي مِنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ (الَّذِينَ تَبَوَّأُوا) مِنَ الْفِتَنِ وَهُوَ اسْتِئْذَانٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُوفِ وَلَنْ يُجَدِّدَهُمْ نَصِيرًا (وَأَصْلَحُوا) مَا أَفْسَدُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ فِي حَالِ الْفِتَنِ (وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ) وَوَقَفُوا بِهِ كَأَيْشِ الْمُؤْمِنِينَ الْخُلَصَاءِ (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) لَا يَتَّبِعُونَ بَطْشَهُمْ الْأَوْجِهَةَ (فَأَوَّلَتْكُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فَهَمَّ أَصْحَابُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَفَاقَهُمْ فِي الدَّارَيْنِ (وَسَوْفَ يَسْؤَتُ اللَّهُ) الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) فَيُشَارِكُونَهُمْ فِيهِ وَحَذَفَ الْيَاءَ فِي الْخَطِّ هُنَا اتِّبَاعًا لِقِطْعَةٍ اسْتَفْهَمُوا مَقْرَأَتَهُ

عَمْرُ بْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِثْلُ الْمُنَافِقِ كَمِثْلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً قَوْلُهُ كَمِثْلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَمَعْنَاهُ التَّحِيرَةُ الْمَتَرَدِّدَةُ لَا تَدْرِي لَأَيِّ الْغَنَمَيْنِ تَقْبَعُ وَمَعْنَى تَعْبُرُ تَتَرَدَّدُ وَتَذْهَبُ بِمِثْلِهَا إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ لَتَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ وَهَذَا مِثْلُ الْمُنَافِقِ مَرَّةً مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَرَّةً مَعَ الْكَافِرِينَ وَأُظْهَرَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَاطَنُهُ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)﴾ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا بِذَيْنِ ذَلِكَ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَخَلَّقُوا بِالْإِخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ لَا تَوَلَّوْا الْكَافِرِينَ دُونَ أَهْلِ مَاتَكُمْ وَدِينَكُمْ فَتَسْكُنُوا مَكَّنًا أَوْجِبَتْ لَهُ النَّارُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالسَّبَبُ فِي هَذَا النَّهْيِ أَنَّ الْأَنْصَارَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ كُلُّهُمْ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ وَكَانَ يَزَعُ حَلْفَ وَمُودَةَ وَرَضَاعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ) (أَنْتُمْ يَدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا آلَهُ عَلَى سُلْطَانٍ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ) يَعْنِي أَنْتُمْ يَدُونَ أَيُّهَا اتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ أَنْ تَجْعَلُوا آلَهُ عَلَى سُلْطَانٍ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ كَمِثْلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ النَّارَ ثُمَّ بَيَّنَّ مَقَرَّ الدَّارَيْنِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ تَعَالَى (ان) الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) يَعْنِي فِي الطَّبَقِ الَّذِي فِي فِرْجَتِهِمُ وَالنَّارِ سَبْعَ دَرَكَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ سَمِيَتْ بِطَبَقَاتٍ جِهَتُهُمْ دَرَكَاتٌ لِأَنَّهَا مَتَدَارِكَةٌ مُتَابِعَةٌ وَقِيلَ الدَّرَكُ بَيْتٌ مَقْفَلٌ عَلَيْهِمْ تَتَوَقَّفُ فِيهِ النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ وَقِيلَ هِيَ نَوَابِيتٌ مِنْ حديدٍ مَقْفَلَةٌ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ فَإِنْ قُلْتَ لِمَ كَانَ الْمُنَافِقُ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَ الْكَافِرِ قُلْتَ أَنَّ الْمُنَافِقَ مِثْلَ الْكَافِرِ فِي الْكَفْرِ وَزِيَادَةُ وَهَوَانِهِ ضَمُّهُ إِلَى كُفْرِهِ نَوْعًا آخَرَ مِنَ الْكَفْرِ أَخْبَثَ مِنْهُ وَهُوَ اسْتِزَاءُ بِالْإِسْلَامِ وَالْمَسْلَمِينَ وَأَفْشَاءُ أَسْرَارِ الْمَسْلَمِينَ وَتَقْلِيلُهُ إِلَى الْكَافِرِ فَلِذَا السَّبَبُ جَعَلَ اللَّهُ عَذَابَ الْمُنَافِقِينَ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ وَأَبْطَنَ الْكُفْرَ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَصِفُ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِشَرِّهِ لِقَعْدِهِ وَلَا يَتَّقِيهِ بِقِيوده وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ أَحْكَامِهِ وَأَمَّا تَسْمِيَةُ مَنْ ارْتَكَبَ مَا يَنْفِقُ بِهِ مَعَ الْفِتَنِ بِالْعِلَاطِ وَمَنْ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَأَنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَمِلَ خَانًا فَإِنَّ هَذِهِ الْخُصَالَصَاتِ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ فَمَنْ فَعَلَهَا أَفْقَدَتْهُ شَبَهَ بِالْمُنَافِقِينَ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَنْ يُجَدِّدَهُمْ نَصِيرًا)﴾ يَعْنِي وَلَنْ يُجَدِّدَ بِمَجْدُودِهِ لَوْلَا الْعَذَابُ فِي نَصَرِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تَابِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ تَعَالَى (الَّذِينَ تَبَوَّأُوا) يَعْنِي مِنَ الْفِتَنِ (وَأَصْلَحُوا) يَعْنِي أَصْلَحُوا الْأَعْمَالَ فَعَمِلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَدْرَأَوْا فِرَاقَهُمْ وَأَتَوَّاهُ وَعَمِلُوا بِهَا مِنْهُمْ عَنْهُ (وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ) يَعْنِي وَتَمَسَّكُوا بِهِدَانِهِ وَوَقَفُوا بِهِ (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) يَعْنِي وَأَخْلَصُوا طَاعَتَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ إِلَى عَمَلِ اللَّهِ وَأَرَادُوا بِهِمْ لِمَ يَدْرَأُ بِهِ وَلَا سَمْعَةً فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا رِبَةً إِذَا حَصَلَ فَقَدْ كَمَلَ الْإِيمَانُ فَلِذَا قَالَ تَعَالَى (فَأَوَّلَتْكُمْ) يَعْنِي التَّابِيتِينَ مِنَ الْفِتَنِ (مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ وَقِيلَ مَعَ عَمِّي مِنْ أَيْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (وَسَوْفَ يُوَفِّي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى (مَا يَقُولُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ أَنْ تَشْكُرْتُمْ وَأَنْتُمْ)﴾ هَذَا اسْتَفْهَامٌ يَقْرَأُ بِرَمْعٍ عَادَانَهُ تَعَالَى لَا يَعْذِبُ الشَّاكِرَ الْمُؤْمِنَ فَإِنَّ تَعْدِيْلَهُ لَا يَزِيدُ فِي مَلَكِهِ وَتَرْكُهُ عَقْرَ بَيْتِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ سُلْطَانِهِ لِأَنَّهُ الْغَنَى الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ عَاقِبَ أَهْلِ الْإِيمَانِ يَعْاقِبُهُ لَأَمْرٍ أَوْجِبَهُ الْعَدْلُ وَالْحِكْمَةُ فَإِنَّ قِيمَ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ وَأَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَنْقَضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ قَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرُهُ أَنْ أَنْتُمْ وَشُكْرَتُمْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَقْدَمٌ عَلَى سَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالنَّشُكْرَ لَا يَنْقُصُ عَنْهُ تَعَدُّ الْإِيمَانِ وَالنَّشُكْرَ لَا يَنْجِبُ التَّرْتِيبَ وَقِيلَ هُوَ عَلَى أَصْلِهِ وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِ أَوَّلًا إِلَى سَاعِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فِي إِجْبَادِهِ وَخَلْقِهِ فَيُشْكِرُ عَلَى

لَا يَعْذِبُ الْمُؤْمِنَ الشَّاكِرَ فَقَالَ (مَا يَقُولُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ أَنْ تَشْكُرْتُمْ) اللَّهُ (وَأَنْتُمْ) بِهِ فَمَا مَتَّصُوبَةٌ بِفَعْلٍ أَيْ شَيْءٌ يَفْعَلُ بِعَذَابِكُمْ فَلَا إِيْمَانَ مَعْرِفَةِ النِّعْمِ وَالشُّكْرَ الْإِعْتِرَافَ بِالنِّعْمَةِ وَالشُّكْرَ بِالنِّعْمَةِ وَالنِّعْمَةُ عِنْدَ فَلَذَا اسْتَحَقَّ الْكَافِرَ الْعَذَابَ وَقَدْ مَرَّ الشُّكْرُ عَلَى الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ إِلَى مَا عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فِي خَلْقِهِ وَتَعْرِيفِهِ لِنَفْسِهِ فَيُشْكِرُ شُكْرًا مِمَّا فَادَا أَنْتَهَى بِهِ النَّظَرُ إِلَى مَعْرِفَةِ النِّعْمِ مِنْهُ بِشُكْرِ شُكْرًا مُفَصَّلًا

(وَنَعْمَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) بَانَ تَبَنَاهُمْ عَنْكُمْ وَخَلَنَاهُمْ مَا ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ بِهِمْ يَوْمَ صَوَاعِنِ الْكُفْرِ وَتَوَانِيَتْ فِي مَظَاهِرِهِمْ عَلَيْكُمْ فَهَاتُوا نَصِيحَتَنَا
عَمَّا أَصْبَحَ (قَالَتْ يَحْكُمْ بَيْنَكُمْ) أُمُّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُتَأَفِّفُونَ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَيَدْخُلُ الْمُنَافِقِينَ النَّارَ وَالْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) أَيِ فِي الْقِيَامَةِ بِدَلِيلٍ أَوَّلِ آيَةِ كَذَعَانِ عَلَى رِضَى ابْنَةِ عَنْتَةَ وَحُجَّةً كَذَعَانِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (أَنَّ الْمُنَافِقِينَ
يُخَادِعُونَ اللَّهَ) أَيِ يَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُ الْخَدَاعُ (٤٤٢) مِنْ أَظْهَارِ الْإِيمَانِ وَابْطَانِ الْكُفْرِ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَظْهَارِ الْإِيمَانِ وَابْطَانِ الْكُفْرِ

أَوَّلُ أَوْبَاءِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُؤْمِنُونَ
فَاضَافَ خَدَاعَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ
تَشْرِيْفًا لَهُمْ (وَهُوَ خَدَاعُهُمْ)
وَهُوَ فَاعِلٌ بِهِمْ مَا يَفْعَلُ
الْمُغَالِبُ فِي الْخَدَاعِ حَيْثُ
تَرَكَهُمْ مَعْصُومِي الدِّمَاءِ
وَالْأَمْوَالِ فِي الدِّيَاوِلِ أَعْدَلُهُمْ
الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ
فِي الْعَقَبِيِّ وَالْخَدَاعِ
اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ خَدَاعَتِهِ
نَفْعَتِهِ إِذَا غَلَبَتْهُ وَكَانَتْ
أَخْذُ عَنْهُمْ مِنْهُ وَقِيلَ يَجْزِيهِمْ
جِزَاءَ خَدَاعِهِمْ (وَإِذَا قَامُوا
إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا)
مُتَتَافِقِينَ كِرَاهَةً أَمَّا الْفَعْلَةُ
فَقَدْ يَبْتَدِئُ بِهَا الْمُؤْمِنُ وَهُوَ
جَمْعُ كَسَالٍ كَسَاكَارِي فِي
سُكْرَانٍ (بِرَأْوْنِ النَّاسِ)
حَالُ أَيِ يَقْصِدُونَ بِصَلَاتِهِمْ
الرِّيَاءَ وَالسَّمْعَةَ وَالْمُرَاةَ
مُفَاعَلَةً مِنَ الرُّؤْيَةِ لِأَنَّ
الرَّائِي يُرِيهِمْ عَمَلَهُ وَهُمْ
يُرُونَهُ اسْتَحْسَانًا (وَلَا
يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)
وَلَا يَصِلُونَ إِلَّا قَلِيلًا لَانَّهُمْ
لَا يَصِلُونَ قَطْعًا غَائِبِينَ عَنْ عِيُونِ
النَّاسِ أَوْلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
بِالتَّسْمِيحِ وَالتَّهْلِيلِ الْأَذْكُرُ
قَلِيلًا نَادِرًا قَالَ الْحَسَنُ لَوْ كَانَ
ذَلِكَ الْقَلِيلُ لِلَّهِ تَعَالَى لَكَانَ

وَأَيْكُمْ (وَنَعْمَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) يَعْنِي مِنْ صَلَاتِهِمْ الدُّخُولَ فِي دِينِهِمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْ تَدْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ بِقُدْرَتِهِمْ
عَنْكُمْ وَمَرَّاسَلَتُنَا إِلَيْكُمْ بِأَخْبَارِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ فَهَاتُوا نَصِيحَتَنَا أَمَّا صَبْرُهُمْ وَمَرَادُ الْمُنَافِقِينَ أَظْهَارُ الْمُنَةِ عَلَى
الْكَفَرِ فَإِنَّ قُلْتَ سَمَى ظَفَرُ الْمُؤْمِنِينَ فَتَحَا وَسَمَى ظَفَرُ الْكَافِرِينَ نَصِيحَةً لِّتَعْلِيْقِ الشَّانِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحْسِبَا
لِحُظِّ الْكَافِرِينَ لِأَنَّ ظَفَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ عَظِيمٌ تَقْتَضِيهِ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَنْزِلَ النَّصْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا ظَفَرُ
الْكَافِرِينَ فَهُوَ الْإِظْهَارُ دَفْعُ وَنَصْبُ خَسِيسٍ لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا مَا نَالُوهُ فِي الدِّيَاوِلِ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ الْعُقُوبَةُ الشَّدِيدَةُ
عَلَى ذَلِكَ النَّصِيبِ الَّذِي نَالُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (قَالَتْ يَحْكُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يَعْنِي الْفَرِيقَيْنِ فَرِيقَ الْمُؤْمِنِينَ
وَفَرِيقَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمَعْنَى انْمَا وَضَعَ السَّيْفُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدِّيَالِ لِأَجْلِ كَرَامَتِهِمْ بَلْ أَخْرَجَهُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا وَهُوَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبْنِ
عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ قَالَتْ يَحْكُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَوَى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَلَى
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا وَهُوَ يَقُولُ لَا تَنَاقُضُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ
لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا وَقَوْلُ الْثَانِي أَنَّ هَذَا فِي الدِّيَاوِلِ وَالْمَعْنَى أَنَّ حُجَّةَ الْمُؤْمِنِينَ غَائِبَةٌ فِي
الدِّيَاوِلِ عَلَى الْكَافِرِينَ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْلِبَهُمْ بِالْحُجَّةِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا بَانَ عَجْوُ دَوْلَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَلْبَةِ حَتَّى يَسْتَبِيحُوا نِصْفَهُمْ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ
لَمْ يَجْعَلْ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا بِالْمَرْعِ فَإِنَّ شَرِيْعَةَ الْإِسْلَامِ ظَاهِرَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَشْفَعُ عَنْ ذَلِكَ
مَسَائِلُ مِنْ أَحْكَامِ الْفَقْهِ مِنْهَا أَنَّ الْكَافَرَ لَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ وَمِنْهَا أَنَّ الْكَافَرَ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى مَالِ الْمُسْلِمِ لَمْ يَمْلِكْهُ
بِدَلِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَمِنْهَا أَنَّ الْكَافَرَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَشْتَرِيَ عَبْدًا مَسْلُومًا مِنْهُ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَقْتُلُ بِالذِّمَّةِ بِدَلِيلِ هَذِهِ
الْآيَةِ ﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى (أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) يَعْنِي يَعْمَلُونَ اللَّهُ وَهُوَ يَجَازِيهِمْ عَلَى
خَدَاعِهِمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ يُخَادِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ يَفْهَرُونَ لَهُ الْإِسْلَامَ وَيَبْطِنُونَ لَهُ الْكُفْرَ
وَهُوَ خَدَاعُهُمْ يَعْنِي وَاللَّهُ يَجَازِيهِمْ بِالْعِقَابِ وَقِيلَ أَنَّهُمْ يَعْطُونَ نَوْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَعْطِي الْمُؤْمِنُونَ فَيَمْضِي
الْمُؤْمِنُونَ بِنُورِهِمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَبَطْفًا نَوْرًا لِلْمُنَافِقِينَ (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ) يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ (قَامُوا كَسَالًا)
يَعْنِي مُتَتَافِقِينَ وَسَبَبُ هَذَا الْكَسَلِ أَنَّهُمْ يَتَعَبُونَ بِهَا لَانَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ بِفَعْلِهِمْ أَنْ يُولَوْا بِرِيبُونَ بِهَوَايَا اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَلَا يَتَأَفَّفُونَ عَلَى تَرْكِهَا عَقَابًا لِلْإِدْعَاءِ إِلَى فَعْلِهَا خَوْفَ النَّاسِ فَذَلِكَ وَقَعَ فَعْلُهَا عَلَى وَجْهِ الْكَسَلِ
وَالْفَتُورِ (بِرَأْوْنِ النَّاسِ) يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَقْرَأُونَ إِلَى الصَّلَاةِ إِلَّا لِأَجْلِ الرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ لِأَجْلِ الدِّينِ وَلَا يَرُونَ
أَنَّهُمْ أَوْجِبَةُ عَلَيْهِمْ قَالَ قَتَادَةُ وَآلَةُ لَوْلَا النَّاسُ مَاصِلِي مَنَافِقِي (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ انْمَا قَلَّ
ذَلِكَ لَانَّهُمْ يَفْعَلُونَهُ رِيَاءً وَسَمْعَةً وَلَوْ أَرَادُوا بِذَلِكَ أَقْلِيلَ وَجْهِ اللَّهِ لَكَانَ كَثِيرًا وَقِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبَلْهُ وَلَوْ قَبِلَهُ
لَكَانَ كَثِيرًا وَقِيلَ الْمُرَادُ بِذِكْرِهِ الصَّلَاةَ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يَصِلُونَ إِلَّا قَلِيلًا لَانَّهُمْ مَتَى لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَصِلُونَ وَإِذَا كَانُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَتَشَكَّفُونَ فَعَمَلًا (مُتَذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ) يَعْنِي مُتَحَبِّبِينَ مِنْ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ
الْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ لَانَّهُمْ يَسْوَاعُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخَاصِينَ وَلَا مَعَ الْمُشْرِكِينَ الْمَصْرَحِينَ بِالشِّرْكِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى
(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) يَعْنِي إِسْوَاءَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَجِبَ لَهُمْ مَا يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَسْوَاءُ مِنَ الْكَفَرِ
فَيُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَا يُؤْخَذُ مِنَ الْكَفَرِ (وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَانْ تَجِدْهُ سَبِيلًا) يَعْنِي طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى (ق) عَنْ ابْنِ

كَثِيرًا (مُتَذَبِّبِينَ) نَصَبَ عَلَى النِّمْرِ أَوْ مَرْدِينَ يَعْنِي ذَبَبَهُمُ الشَّيْطَانُ وَالْهُدَى بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ فَهُمْ مُتَرَدِّدُونَ
بَيْنَهُمَا مَتَعَبُونَ وَحَقِيقَةُ الذَّبِّ الَّذِي يَذْبَعُ كُلَّ الْجَانِبَيْنِ أَيِ يَدْفَعُ فَلَا يَقِرُّ فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنْ يَذْبُذِبَهُ تَكْرِيرَ لَيْسَ فِي الذَّبِّ (بَيْنَ
ذَلِكَ) بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لَا نَسْوَ بَيْنَ الْهُوَ لَا يَكُونُ أَوْ مُؤْمِنِينَ (وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وَلَا مَنَسْوَ بَيْنَ الْهُوَ لَا يَكُونُ أَوْ مُشْرِكِينَ
(وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَانْ تَجِدْهُ سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَى الْهُدَى

(بشر المنافقين) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تمكياهم (بان لهم عذابا لئلا) مؤلا (الذين) نصب على الذم وأرفع معنى أر بد الذين وأهم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يتبعون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنفعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام (فان العزة لله جميعا) ولن أعزه كالتي عليه السلام والمؤمنين كإقال وبه العزة لرسوله والمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (في الكتاب) القرآن (أن اذا ٤٤١) سمعتم آيات الله تكفروا ويستنزل بها فلا تقعدوا

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يشروعوا في كلام غير الكفر والاستنزاه بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أى أنه اذا سمعتم أى نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما فادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزه في موضع الرفع ينزل أوفى موضع النصب بزل والمزل عليهم في الكتاب هو منازل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستزجون به فنهى المسامين عن القعود معهم ماداموا حاضرين فيه وكان المنافقون بالبدنية يفعلون خوفا من المشركين بمكة فنوا ان بقعدوا معهم كانهوا عن مجالسة المشركين بمكة (انكم اذا مثلتم) أى في الوزر اذا مثلتم معهم ولم يرد به التحليل من كل وجه

بكفرهم مهتدين ﴿ قوله تعالى (بشر المنافقين بان لهم عذابا لئلا) يعنى أخبرهم بما يحدوا وما وضع بشر مكان أخبر تمكياهم وقيل البشارة كل خبر تغيب به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبرا وغير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تخيتك الضرب أى هذا بدل من تخيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تخيمة ينهم ضرب وجيع
ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) يعنى يتخذون اليهود أولياء وأصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمد لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى رداعلى المنافقين (أيتبعون عندهم العزة) يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فان العزة لله جميعا) يعنى فان القوة والقدرة والعلة لله جميعا وهو الذى يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى وبه العزة لرسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) يامعشر المسامين (في الكتاب) يعنى القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفروا ويستنزل بها) قال المفسرون الذى أنزل عليهم في النبى عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا أنزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستزجون به في مجالسهم ثم ان أخبار اليهود يدل بدنية كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستنزاه بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) يعنى ياخذوا في حديث آخر غير الاستنزاه بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة (انكم اذا مثلتم) يعنى انكم يا أيها الجالسون مع المستنزلين بآيات الله اذ رضيت بذلك فاتم بهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافر ومن رضى بمشرك أو خاطأ أهله كان في الاثم بمنزلة من اذ رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضوان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخص في بدعته أو منكره فبيحوز الجالوس معهم الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) أى انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستنزاه بآيات الله وكذلك يجتمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (الذين يترصون بكم) نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خبر أو شر (فان كان لكم فتح من الله) أى ظفر على عدوك وغنيمة تالوئها منهم (قالوا) يعنى المنافقين لكم (ألم نكن معكم) يعنى في الوقعة والفتح فأعطوا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فأجعلوا الناصيبا من الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) أى دولة وظهور على المسامين (قالوا) يعنى المنافقين للكفار (ألم نسحو ذليكم) الاسحو اذ هو الاستيلاء والغلبة يقال اسحوذ فلان - على فلان أى غاب عليه والمعنى ألم نغلبكم وتمكن منكم ومن قتالكم وأسركم ثم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على

(٥٦ - خازن - اول) فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) لاجتماعهم في الكفر والاستنزاه (الذين) بدل من الذين يتخذون وأوصفة للمنافقين وأوصب على الذم منهم (يترصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو خفاق (فان كان لكم فتح من الله) نصره وغنيمة (قالوا ألم نكن معكم) مظاهر من فاشركون في الغنيمة (وان كان للكافرين نصيب) سمى ظفر المسامين فنحنا تعظما لشأنهم لانه أمر عظيم تفعل له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تحسبنا لحظهم لانه لحظه من الدنيا يصيبونها (قالوا) للكافرين (ألم نسحو ذليكم) ألم نغلبكم ونمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواد الاستيلاء والغلبة

(أَنْعَزُوا) أَيِ وَإِنْ وَلَيْتُمْ أَقَامَةُ الشَّهَادَةِ وَأَوْ رَضِمْ عَنْ أَقَامَتِهَا غَيْرِهَا تَلَوُّوا بِأَوْرِي وَتَسْكُونُ اللَّامُ مِنَ الْيَاءِ وَإِنْ تَلَوُّوا أَلَسْتُمْ مِنْ شَهَادَةِ الْحَقِّ أَوْ حُكْمَةِ الْعَدْلِ أَنْعَزُوا عَنْ (٤٤٠) الشَّهَادَةِ بِمَا عِنْدَكُمْ تَرْتَعْوَاهَا (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ

قرئ بواوين ومعناه ان يابى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يابى لسانه غير الحق ولا يقبل
 الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) يعنى أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتبها ولا يقبلها يقال لو بته
 حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان نلوا عن القيام باداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتركوها
 وقيل معناه التحريف والتبدل في الشهادة من قولهم لويت النتي اذا قبلته وهو خطاب مع الحكماء يقول
 وان نلوا يعنى نيلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكيفية وقرئ نلوا أو واحدة من الولاية
 فهو خطاب للحكماء أيضا ومعناه فلانلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم (فان الله كان بما تعملون
 خبيراً) يعنى انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيجازيكم بما عملكم ﴿ قوله عز وجل (يا أيها
 الذين آمنوا آتوا بالله ورسوله) قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد بنى كعب وثعلبة بن
 قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين هؤلاء مؤمنو أهل الكتاب أنوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اننا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزرونكفر بما سوى ذلك من
 الكتب والرسول فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله ومحمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله
 فانزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس
 يعنى آمنوا بجميع رسوله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة
 وبعبسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسننهم ولم
 تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل
 هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على
 الايمان (والكتاب الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) يعنى وآسنوا بالقرآن
 وبجميع الكتب التي أنزلها على أنبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب (ومن
 يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضللا بعيدا) ﴿ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا
 ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا) قال ابن عباس نزلت في اليهود آثموا بموسى ثم كفروا
 بعد آثمهم المجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعبسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
 فالقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بآدم ثم كفروا بعبسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد
 صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعنى بالسننهم
 وهو اظهارهم الايمان تجرى عليهم أحكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم على الكفر وقيل بذنوب
 أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعنى بموتهم
 عليه وذلك لان من نكر ربه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع
 للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله انا محبي حدادوا زيداهم الكفر هو استنواؤهم وتلاعهم
 بالايمان ومثل هذا الملاعب بالدين هل تقبل نوبته أم لا حكمه على بن أبي طالب انه قال لا تقبل نوبته بل
 يقتل وذهب أكثر اهل العلم ان نوبته مقبولة ﴿ وقوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم) يعنى ما أقاموا على
 الكفر وما اتوا عليه وذلك لان الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينهوا
 عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعنى من كفرهم (ولا يلهيهم سبيلا) يعنى طريق يهدى وقيل لا يجهلهم

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) خطاب
للمسلمين (آمَنُوا) ائْتَمَرُوا
على الإيمان: دوموا عليه
أولاهل الكتاب لانهم
آمَنُوا ببعض الكتب والرسول
وكررنا ببعض أولئك اثنين
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا نفقا
آمَنُوا خلاصاً (بأنه ورسوله)
أَيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(والكتاب الذي نزل
على رسوله) أَيُّ الْفُرْقَانِ
(والكتاب الذي أنزل
من قبل) أَيُّ جِنْسٍ مَا أُتِيزَ
على الانبياء قبله من
الكتب وبدل عليه قوله
وكتبه نزل وأُتِيزَ بالبناء
للفعل مَكَيَّ وشَاحِي وأَبُو
هُمُ رَوَى عَلَى الْبِنَاءِ الْفَاعِلُ
فَهْمَا غَيْرُهُمَا وَأَعْقِلُ نَزَلَ
عَلَى رَسُولِهِ وَأُتِيزَ مِنْ قَبْلِ
لَا الْفُرْقَانُ نَزَلَ مَفْرُقًا
مَنْجَعًا فِي عَشْرِينَ سَنَةً
بِخِلَافِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ (وَمِنْ
يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرَسُولِهِ أَلْيَوْمِ الْآخِرِ) أَيُّ
وَمِنْ يَكْفُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ
(فَيُفَضِّلُ ضَلَالًا لِبُعْدِهَا)
لَا الْكَفْرَ بِبَعْضِ كُفْرٍ
بِكُلِّ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا)
بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (ثُمَّ
كَفَرُوا) حِينَ عَبْدُوا
الْجُلُجُلَ (ثُمَّ آمَنُوا) بِمُوسَى

بعد عوده (ثم كفروا) يعيسى عليه السلام (ثم
ازدادوا كفرا) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفرهم ولا يهديهم سبيلا) الى النجاة والى الجنة أو هم المنافقون
آخوفا الظاهر وكفروا في السرمة بعد أخرى وازداد الكفر منهم بناتهم عليه الى الموت يؤيده قوله

(ان يشأ بذهبكم) بعدكم (أي الناس ويات آخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك قديرا) بليغ القدرة (من كان يريد ثواب الدنيا) كالجهادير بد بجهاده الغنيمة (٤٣٩) (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فإله

يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أخيهما (وكان الله سميعا) للاقوال (بصرا) بالأفعال وهو وعد وعيد (يأبى الذين آمنوا) كونوا قوامين بالقسط (مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا) (شهداء) خبر بعد خبر (لله) أي تقيمون شهادتكم لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق انفسه على الغير والاقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير (أو والدين والاقر بين) أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم (ان يكن) المشهود عليه (غنيا) فلا يمنع الشهادة عليه أعناء طلبا لرضاه (أو فقيرا) فلا يمنعها ترجاعه (فأله أولى بهما)

يعطيك لان له مافي السموات ومافي الارض وأما الثالثة فقال تعالى ولله مافي السموات ومافي الارض وكفى بالله ذكرا أي قتيلا عليه ولاتوكلوا على غيره فانه المالك لمافي السموات والارض وقيل تكبر رهاته بد لهامو موجب تقواه وامتنتقوه وتطيعوه ولاتعصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير ﴿ قوله عز وجل (ان يشأ بذهبكم أي الناس) قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين (ويات آخرين) بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففسيه تهدد بالكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما هلك من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله (وكان الله على ذلك قديرا) يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغ في القدرة لا يمنع عليه شيء أراد له بزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء ﴿ قوله تعالى (من كان يريد ثواب الدنيا) يعني من كان يريد به له عراضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقررون بان الله تعالى خالقهم ولا يقررون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله يعطيه من خير الدنيا وبصرف عنهم شره او قيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا الاصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وما ينالونه من الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) يعني الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطؤون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الآخرة فلو كانوا عقالا لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من أراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما أراد وصرف عنه من شرها ما أراد وأيسر له ثواب في الآخرة فيجزى به ومن أراد بعمله وجه الله وثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خيرا الجزاء (وكان الله سميعا) يعني لا قوا لهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا (بصرا) يعني بزيارتهم ومافي نفوسهم وقيل بصرا بمن يطلب الدنيا به له ومن يطلب الآخرة بعمله ﴿ قوله عز وجل (يأبى الذين آمنوا) كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صفو مع الفقير يرى ان الفقير لا ينظم الغني فانزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أريق فهى خطاب لثومة الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فقال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في جميع الشهادات على من كانت شهادة لله يعني أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمركم فيها فيقول الحق في شهادته (ولو على أنفسكم) يعني ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله العبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه وجبالحق عليه (أو والدين والاقر بين) يعني ولو كانت الشهادة على والدين والاقر بين من ذوى رحمه وأقاربهم والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم وعلى والدين أو الاقارب فاقموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غيا غناه ولا تحروا فقير الفقير فذلك قوله تعالى (ان يكن) يعني المشهود عليه (غنيا أو فقيرا فأله أولى بهما) يعني منكم والمعنى كما أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وأما قال بهما على التنبيه لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فأله أولى بالغنى والفقير (فلاتتبعوا الهوى أن تعدلوا) يعني فلاتتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق في أداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى (وان تلووا)

بالغنى والفقير أي بالنظر لهما والرجوع وانما غنى الضمير فيهما وكان حقه أن يوجد لان المعنى ان يكن أحد هذين لانه يرجع الى مادل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغنى والفقير كانه قيل فأله أولى بجنس الغنى والفقير أي بالاغنياء والفقراء (فلاتتبعوا الهوى) ارادة (ان تعدلوا) عن الحق من العدل أو كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل (وان تلووا) بواو واحدة وضم اللام شامى وحزرة من الولاية

يتفرقا) أي ان لم يطلع الزوجان على شيء ونفرا فالخلع أو بتطليقه إياها وإيقاعه مهرها ونفقة عدها (يعني الله كلا) كل واحد منهما (من سعة) من غنائى برزقه وزوجا خبر من زوجه (٤٣٨) وعيشا أهنأ من عيشه (وكان الله واسعا) بتحليل النكاح (حكيا) بالاذن

يتفرقا) يعني ان لم يطلعوا وأرادا الفراق (يعني الله كلا من سعة) يعني من فضله وزقه والمعنى يعني الزوج امرأه أخرى والمرأة زوج آخر وقيل معناه عوض الزوج بمحبب والمرأة بمحب وبوسع عليه ما وفى هذا نسبية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق (وكان الله واسعا) يعني واسع الفضل والرحمة وقيل واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذى وسع جميع مخلوقاته غنا (حكيا) يعني فيما أمر به ونهى عنه **فصل** في بيان معنى الحكم الآتي ووجله ان الرجل اذا كان تحت امرأه أو أكثر يجب عليه التسوية بينهم في القسم فان ترك التسوية بينهم في فعل القسم عصي الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء بالمطالبة والتسوية بشرط في البيوتة أن فى الجباغ فلا ان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة أو مقيمة للحره بلتين والامه ليله واحدة واذن الزوج جديدة على قديمت كن عنده فانه يخص الجديدة فان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكر او ان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستألف القسم ويسوى بينهم ولا يجب عليه قضاء عوض هذه اليال للقديمت وبدل على ذلك ما روى أبو قلابه عن أنس قال من السنة اذ تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبع أعوام وقسم واذن تزوج الثيب أقام عندها ثلاث أعوام قال أبو قلابه ولو شئت لقلت ان أئدأه الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه في الصحيحين وإذا سافر الرجل الى سفر حاجه جازله أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهم ولا يجب عليه أن يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طال اذ لم يزد مقامه في البلد على مدة السفر من ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أفرع بين نسائه فابتعن خرج سهمه خرج بهامعه أخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا أراد الرجل سفره نقله وجب عليه أخذ نسائه معه **فصل** قوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الارض) يعني عبيداؤه لكل أهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يقضى من سعة وفضله وأشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طاب الخبر منه لان من ملك السموات والارض لا تنفى خزائنه (ولقد وصينا الذين أتونا الكتاب من قبلكم) يعني من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة (واياكم) يعني وصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم (أن اتقوا الله) أي بان تقوا الله وهو ان توحده وتطيعوه وتحذروه ولا تتخلفوا أمره والمعنى ان الامر يتقوى الله شره بقديته أوصى الله جميع الامم السالفة في كتبهم (وان تكفروا) يعني وان تمجدوا ما أوصاكم به (فان الله ما فى السموات وما فى الارض) يعني فان الله ملائكة فى السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيها وما لهن والمنع عليهم بالنعمة ومن كان كذلك لحق لكل أحد ان يقبض ويرجوه (وكان الله غنيا) يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم (حيدا) يعني بمجودا على نعمه عليهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل) قال ابن عباس يعني شعيدها على ان له فيها عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجبرا فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به أم الآية الاولى لغناها فان لله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يعني الله كلا من سعة بين أن له ما فى السموات وما فى الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض والمراد انه تعالى ممتز عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بلامه امره وقيل لما بين ان له ما فى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا جدا فالمراد منه أنه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو

فى السراح قال سعة الغنى والقدرة والواسع الغنى ثم المقدر بين غناه وقدرته بقوله (ولله ما فى السموات وما فى الارض) خلقا والمتملكون عبيده رقا (ولقد وصينا الذين أتونا الكتاب) هو اسم للجنس فيتناول الكتب السماوية (من قبلكم) من الامم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا (واياكم) عطف على الذين أتوا (أن اتقوا الله) بان اتقوا أدتكون ان المفسرة لان التوصية فى معنى القول والمعنى ان هذه وصية قديمة ما زال يوصى الله عنها عباده ولسم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده (وان تكفروا) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فان الله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم (حيدا) مستحقا لان محمد لكثرة نعمه وان لم يحمدوه أحد وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله وهو خالقهم ومالكهم فحق ان

يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى أصل الخبر كما وقوله وان تكفروا وعقوب التقوى دليل على ان يعطىكم المراد الاتقاء عن الشرك (ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيل) فالتحذوه وكيلوا ولا تسلكوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله

خبرهم أى يتصالحوا هو أصله فابتدأ الشاء صادوا دغمت (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصالح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها وأنتهب له بعض المهر أو كملها أو النفقة (والصلح خبر) من الفرقة أو من الشوز أو من الخصومة فى كل شئ أو والصلح خبر من الخبور وكان الخصومة ثمر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله (وأحضرت الانفس الشح) أى جعل الشح حاضرا لها ليقرب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمه والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت تعدى الى مفعولين والاول (٤٣٧) الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة

الشرع بقوله (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصعبة (وتتقوا) الشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خيرا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجى من آدم بنى آدم وامرأته من أجلهم فظفرت اليه وقالت الحمد لله على انى وياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت منى فشكرت ورزقت منك فصبرت والجنة موعودة للشاكرين والصابرين (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء والعدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فهما العدل أن يسوى بينهما بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والمجاملة والمفاكهة وغيرها وقيل معناه ان

صلحا) يعنى فى القسمة والنفقة وهو ان يقول لزوج امرأتك قد كبرت ودخلت فى السن وأنا رأيت بدأن أزواج امرأة جيلة شابة وأثرها عليك فى القسمة ليلونها رافان رضيت فاقبى وان كرهت ذلك فارقك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هى المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفىها حقها من القسم والنفقة أو يسرحها باحسان وان أمسكها ووفىها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحه على بعض حقها من القسم والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها وطهاحقها (والصلح خبر) يعنى اقامتها بعد تخييرها اياه والمصلحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خبر من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقنى وأمسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل فلما جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خبر فافا اصطالحا عليه من شئ فهو جاز أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غير يثبته كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها يوم سودة (وأحضرت الانفس الشح) الشح أقيع البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وأقال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللزوم للنفس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها (وان تحسنوا وتقوا) هذا خطاب للزوج يعنى وان تحسنوا أيها الأزواج الصعبة والعشرة وتتقوا الله فى حق المرأة فأنتم أمانة عندهم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظاهرا والجور عليها (فان الله كان بما تعملون خيرا) يعنى فيجاز بكم بأعمالكم قوله عز وجل (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) يعنى ولن تقدرُوا أن تسووا بين النساء فى الحب وويل القلب لان ذلك عملا لا تقدرُونَ عليه وليس من كسبكم (ولو حستم) يعنى على العدل والتسوية بينهما وقيل معناه ولو حستم على ذلك (فلا تلبوا كل الميل) يعنى الى التى تحبونها فى القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منهيين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لان ذلك خارج عن قسوتكم ووسعكم وإسكم منهيون عن اظهار ذلك الميل فى القول والفعل عن أى هرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فزبدل بينهما جاء يوم القيامة وشقة ساق أخرجه الترمذى وعندنا فى او دم من كانت له امرأتان قال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقة من ائله عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيقول فىقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك يعنى القلب أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقوله تعالى (فتنزهوها كالمعلقة) يعنى فتدعوا الاخرى التى لا تملكون اليها كالمعلقة لأعمالها ذات بعل كالنئى المعانى لاهو فى السماء ولا على الارض وقيل معناه فتدعوا كالمسجونة لاهى مخلصه فتزوج ولاهى ذات بعل فيحسن اليها (وان تصلحوا) يعنى بالعدل فى القسم (وتتقوا) يعنى الجور فى القسم (فان الله كان غفورا) يعنى لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض (رحما) يعنى بكم حيث لم يكلفكم الا ما تقدرُونَ عليه (وان

تعدلوا فى الحية وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما تملك ولا تملك يعنى المحبة لان عائشة رضى الله عنها كانت أحب اليه (ولو حستم) بالعتق فى تحرى ذلك (فلا تلبوا كل الميل) فلا تجبوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير ضامنها يعنى ان اجتنب كل الميل فى حد السر فلا تفرطوا فيه وان وقع منكم التفريط فى العدل كما وفيه ضرب من التوبيخ وكل نصب على المصدر لان له حكما مضافا اليه (فتنزهوها كالمعلقة) وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة (وان تصلحوا) يتنهن (وتتقوا) الجور (فان الله كان غفورا رحما) يغفر لكم ميل قلوبكم ورحمكم فلا يعاقبكم (وان

في يتامى النساء) أي الله يفتيكم والمتلوفى الكتاب أي القرآن في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك
أعجني زيد وكرمه وما يتلى في محل الرفع (٤٣٦) بالاعطف على الضمير في فتكم ثم على لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى أي

وأن العدل والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تحب مراعاتها وان المحل بها ظالم (في يتامى النساء) قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى ولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى أم حنكة (الثلاثي لا تؤنوهن ما كتب لهن) يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث اليتامى والصلة روي القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصدقات (وترغبون أن تنكحوهن) يعني وترغبون في نكاحهن لما لهن وجها لهن باق من صدقاتهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبهجن ودمامتهن ونكحوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة قالت هذه القيمة تكون في حجرها وفي رغب في جهالها والاطوار يدان بقصص صدقاتها فنهوا عن نكاحهن الآن بقسطها والهن في كمال الصدقات وأمر بالنكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتي الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فآلز الله عز وجل يستفتونك في النساء إلى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان القيمة اذا كانت ذاجلا ومال رغبو في نكاحها لم يلحقوها باستنفا في كمال الصدقات واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما تركونها حين رغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذ رغبوا فيها الآن بقسطها ويعطوها حقها الا وفي من الصدقات ﴿ وقوله تعالى (والمستضعفين من الاولاد) يعني ويفتيكم في المستضعفين من الاولاد وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا فانهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث (وأن تقوموا اليتامى بالقسط) يعني بالعدل في مهورهن وموارثهن (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) يعني فيجازيكم عليه ﴿ قوله تعالى (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا) (ق) عن عائشة في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فريد لا يقها ويتزوج غيرها فنفق قوله لم يسكني لا تطلقني ثم تزوج غيرة وأنت في حبل من النقة على والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما مصلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وأثرها عليها وجفا الاولى قالت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة أمة كبرت وله منها أولاد فارد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على أولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فآلز الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك ما جعته أو أصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى أو أعراضا يعني بوجهه عنها أو بعث في وجهها ويترك ما جعته أو أبى عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهرا الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والنشر والابذاء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها (فلا جناح عليهما) يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة (ان يصلحا) من المصلحة وقرئ أن يصلحا بضم الياء وكسر اللام من اصلاح (بينهما

يتلى عليكم في معناه
و يجوز أن يكون في يتامى
النساء بدلا من فيهن
والاضافة بمعنى من (الثلاثي
لا تؤنوهن ما كتب لهن)
ما فرض لهن من الميراث
وكان الرجل مهم يضم
القيمة الى نفسه وما لها
فان كانت جميلة تزوجها
وأكل المال وان كانت
ديمة عضلها عن الزوج
حتى يموت فبئسها (وترغبون
أن تنكحوهن) أي في
ان تنكحوهن لجهالهن
أوعن ان تنكحوهن
لدمامتهن (المستضعفين
من الاولاد) أي اليتامى
وهو مجرور مطوف على
يتامى النساء وكانوا في
الجاهلية (لا يورثون
الرجال اقوام بالاوردون
الاطفال والنساء) (وأن
تقوموا اليتامى) مجرور
كالمستضعفين بمعنى يفتيككم
في يتامى النساء وفي
المستضعفين وفي أن تقوموا
أو منصوب بمعنى وبأمركم
ان تقوموا وهو خطاب
للأمة في أن ينظر والهم
ويستوفوا لهم حقوقهم
(بالقسط) بالعدل في
ميراثهم وما لهم (وما تفعلوا
من خير) شرط وجوابه

(فان الله كان به عليما) أي فيجازيكم عليه (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله (صلحا)
وأما رانه والنشوز أن يتجاف عنها بان يمتع نفسه ونفقه وان يؤذيها بسب أو ضرب (أو أعراضا) عنها بان يقل محادثتها وموانستها بسبب
كبر سن او دمامة أو سوء خلق أو خلق أو طمع عين إلى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما) كوفي صالحا

بصر فقال خليله انما ان ابراهيم لو كان ابراهيم يريد انما الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل عليه امثل ما دخل على الناس من الشدة فوجع غلمان ابراهيم نغمير طعام فروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا والوجلنا من هذه البطحاء ابراهيم الناس انا قد جئنا بالبرية فانا نسعى ان نغريهم وابلنا فارغة فلو ان ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأعلموه وسارئة فأتاهم لذلك ولما كان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واسنقظت ساروقه ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا اي قالت جازاؤني قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتهم فاذا هي ملائكة باجود فتي يكون حوارى فامرت الخبز ان يخبز واواطعموا الناس فاستنقظ ابراهيم فوجر الطعام فقال يا سار من أين لك هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله خليله لا و قيل لما رآه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيدهم ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاورثان وبذل نفسه للقاء في النيران وبذل ولده للقرابان وماله للضيقة ان اتخذ الله خليله لا رجعه اما للناس بقدرته وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذ الله خليله لا و قيل لما دخل عليه الملائكة فظهم ضيفا فغرب اليهم بسلام وياقوال كوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمده وفي آخره فقال جبريل انك خليل الله في يومئذ يسمى ابراهيم خليل الله (م) عن انس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

فصل وقد اتخذ الله محمد صلى الله عليه وسلم خايلا كما اتخذ ابراهيم خليله لا فقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذنا خيلا غيري لا اتخذت ابا بكر خليلي لا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذنا خيلا لا اتخذت ابا بكر خليلي لا وكانه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليله لا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالحجة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولاد ابي ابي الله لا خير اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى (وبتة ما في السموات وما في الارض) قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليروغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر وار يده الجنس ذكر بلفظ ما (وكان الله بكل شئ محيط) يعني علما علم احاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشد عنه نوع الاعماله وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدر عليه قوله عز وجل (و يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) الآية قال ابن عباس نزلت في بنات أم حنة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عائشة هي البتة تنكون في حجر الرجل وهو وابها فغرب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة صدقها واذا كانت غير مرغوب فيها اقله الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي البتة تنكون في حجر الرجل وقد سركت في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها دامتها ويكره أن يزوجه غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فتهام الله عن ذلك وأزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة والصغير فاجابهم بهذه الآية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وحالهن (وما ينال عليكم في الكتاب) يعني يفتيكم فيما ينال عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تنال عليكم وانها في اللوح المحفوظ

معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفي الحديث اتخذ الله ابراهيم خليله لا لطعامه الطعام واقتشاه السلام وصلاه بالليل والناس نيام وقيل وأوحى اليه انما اتخذتك خليله لانك تحب أن تعطى ولا تعطى وفي رواية لانك تعطى الناس ولا نسألهم وفي قوله (وبتة ما في السموات وما في الارض) دليل على أن اتخاذ خليله لا احتياج الخليل اليه لا احتياجه تعالى لانه نزه عن ذلك (وكان الله بكل شئ محيطا) علما (وبستفتونك في النساء) ويسألونك الفتاة في النساء والافتاء في النساء والافتاء تبين المبرم (قل الله يفتيكم فيهن وما ينال عليكم في الكتاب)

النسوة والراجع في ولا
 يظلمون أعمال السوء
 وعمال الصالحات جميعا
 وجزاء يكون ذكره عند
 أحد الفريقين دليلا على
 ذكره عند الآخر وقوله
 من يعمل سوءا يجز به وقوله
 ومن يعمل من الصالحات
 بهد ذكرني أهل الكتاب
 كقوله بل من كسب سيئة
 وأحاطت به خطيئته وقوله
 والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات عقيب قوله
 وقالوا لنسمنا النار الأيتاما
 معدودة (ومن أحسن
 دينامن أسلم وجهه لله)
 أخلص نفسه لله وجعلها
 سائمة له لا يعرف طاربا
 ولا معبودا سواه (وهو
 محسن) عامل للبهنات
 (واتبع ملة إبراهيم خنيفا)
 مانا لسن الاديان الباطلة
 وهو حال من المتبع أو من
 إبراهيم) واتخذ الله إبراهيم
 خليلا هو في الأصل الخال
 وهو الذي يتخالك أي
 يوافقك في خلافك أو
 يداخلك خلال منزلك أو
 يسد خللك كما يسد خلله
 فالخلة صفاء مودة توجب
 الاختصاص بتخلل
 الاسرار والمحبة أسمى لانها
 من حبة القلب وهي جلية
 اعتراضا لمحل طامن
 الاعراب كقوله والحوادث
 جنة وفاندها نأكيد
 وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الرائي عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها

على أن الخلود لا يفيد التأييد والدوام لأنه لو فاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الأصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فماتبع الخلود بالابدع أنه براد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله عز وجل (وعند الله حقا) يعني وعند الله ذلك الذي ذكر وعدا حقا (ومن أصدق من الله قيلا) يعني إيس أحد أصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعند الله حقا ﴿١﴾ قوله تعالى (ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) (الآمنية أفعول من التمنية والتخني تقة - برب شئ في النفس وتصوره فيها والآمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تخني الشئ أو ذوق في نفسه) وما أراد في الخطاب بقوله ليس بآمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب البيرود والنصارى وذلك أنهم افتخروا وقال أهل الكتاب نبينا قبل نبينا عليكم وكتبنا قبلك كتبنا قبلكم فأنحى أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتبنا بنينا يقضى على الكتب وقد آمننا بكتبكم ولم نؤمنوا بكتبنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثاني أنه خطاب للمركبة في مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب في قولهم ان تمسنا النار الا أياما معدودة والمعنى ليس الامر بالآمانى انما الامر بالعمل الصالح (من يعمل سوءا يجز به) قال الضحاك يقول ليس ايسكم ما نعتهم وليس لاهل الكتاب ما نعتوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا فأت عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يحازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسوء عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله (ولا يجزله من دون الله ولا يصير) وهذا هو الكافر فالما للمؤمن فله ولي ونصير وقال آخر من هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصراني وكافر قال ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوءا يجز به الا أن يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله وأيماننا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسبئية نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آثامه أعشاره وأمان كان جزاؤه في الآخرة فيقال يا ابن حسنة وسيدائة فيأتي مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فوفى كل ذي فضل فظله ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به باغت من المسلمين بلغا فاشهدوا بقول الله صلى الله عليه وسلم فار بواوسدوا في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجزله من دون الله ولا يصير نصير اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر الا قرئت آية أنزلت على قلبك يا رسول الله قال قارئها فإنا علم الاتي وجدت اهتماما في ظهري فقطط لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قلت يا رسول الله باني أنت وأمي وأني لم يعمل سوءا وانما يجزىون بآبائهم لانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخر فيجب جمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي استزاده مقال وقد روى هذا الحديث من غيره عن أبي بكر وإسناد صحيح وقوله ولا يجزله من دون الله ولا يصير نصير قال ابن عباس يريد بآبائهم ولا يصير نصيرهم فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوءا من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا نصير فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعا الشافعين تكونون باذن الله فليس يمنع أحدا أحدا عن الله وقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وأُنثى وهو مؤمن) قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأمتنا سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من

يَحْتَمِلُ أَنْ يَحْمِلَ هَذَا التَّغْيِيرَ عَلَى تَغْيِيرِ أحوال اتِّعَاقِ بَظَاهِرِ الْخَلْقِ مِثْلَ الْوُثْمِ وَوَصْلِ الشَّعْرِ وَبَدْلِ عَلَيْهِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعْنُ اللَّهِ الْوَائِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحَسَنِ الْمَغِيرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ أَنْخِرَاءَ مِنْ رَوَابِةِ ابْنِ سَعْدٍ وَطَمَاعِنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ لَعْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْدَةِ وَتَوْقِيلِ تَغْيِيرِ خَلْقِ اللَّهِ هُوَ الْإِخْصَاءُ وَقَطَعَ الْأَذْنَ حَتَّى أَنْ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ حَرَمَهُ وَكَرَاهُوا أَنْ يَخْصَاءَ الْفَتَمُ وَجُوزَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّهُ فِيهِ غَرَضًا هَرَارًا (ق) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَتَى وَقَاصٍ قَالَ لَوْلَا نِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ عَلَى عَثَانَ بْنِ مَرْثَدٍ تَغْيِيرَ الْبَيْتِ لِأَخْتِصَانِ الْبَيْتِ لَهَوْتُكَ النَّكَاحَ وَالْإِقْطَاعَ الْعَبَادَةَ عَنْ نَافِعٍ قَالَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ الْإِخْصَاءَ وَيَقُولُ أَنْ فِيهِ نَمَاءٌ خَلَقَ أَنْخِرَاءَ مَالِكٍ فِي الْمَوْطَأِ وَمَعْنَاهُ فِي تَرْكِ الْإِخْصَاءِ نَمَاءٌ خَلَقَ بَعْثِي زِيَادَتَهُمْ وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ هُوَ التَّخْنُتُ وَهُوَ أَنْ يَنْشِبَهُ الرَّجُلُ بِالْفَسَاءِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقِيلَ تَغْيِيرُ خَلْقِ اللَّهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْبَهَائِمَ وَالْأَنْعَامَ لِلرَّكُوبِ وَالْأَكْلِ فَغَرَمَهَا عَلَى أَنْتَفُسِهِمْ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمَ وَالنَّارَ وَالْأَحْجَارَ لِلْمَنْفَعَةِ النَّاسِ فَمَعِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ (وَمِنْ تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ وَلِيَامِنْ دُونِ اللَّهِ) يَعْنِي تَغْيِيرُهُ بِطَبِيعِهِ فَبِإِيْمَارِهِ بِهِ وَقِيلَ الْوَلِيُّ مِنَ الْمَوَالِقِ هُوَ النَّاصِرُ (فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانَا مِينًا) لِأَنَّ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ تَوْصِلُهُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ وَهِيَ غَايَةُ الْخُسْرَانِ نَبِي فِي الْآيَةِ سَوَالَانِ ۞ الْأَوَّلُ قَالَ لَتَخْذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَالنَّصِيبُ الْمَفْرُوضُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَقْدُورُ الْقَلِيلُ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَتَحْتَنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ الْآيَةَ قَلِيلًا وَغَايَةً مِنْهُمْ أَجْعِلْ الْأَعْبَادَ مِنْهُمْ أَهْلِيًا مِنْهُمْ هَذَا اسْتَفْنَاءُ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ فَكَيْفَ وَجِهَ الْجَمْعُ فَالْجَوَابُ ابْنُ الْكَفَّارِ الَّذِينَ هُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَدَدِ لَكِنَّهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ وَبِالْوَدَّجَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانُوا أَقَلُّ مِنَ الْكَفَّارِ لَكِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ لِأَنَّ لَهُمُ الْفَضْلَ وَالشَّرَفَ وَالسُّودَّ وَالْغَلْبَةَ فِي الدُّنْيَا وَبِالْوَدَّجَةِ فِي الْآخِرَةِ وَأُنْشِدَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ

وَهُمُ الْأَقَلُّ إِذَا تَعَدَّدَتْ ۞ وَالْأَكْثَرُونَ إِذَا بَدَعَ السُّودُ

وَقِيلَ إِنَّ ابْلِسَ لَمَّا بَدَلَ مِنْ آدَمَ مَا زَادَ رُوحَ أَيْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ ذَهَابًا وَلَهُ ذَهَابًا هَلَاكًا قَالَ لَتَخْذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا يَعْنِي الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ ۞ السُّؤَالُ الثَّانِي مِنْ أَيْنَ لَا بَلِيسَ الْعِلْمُ بِالْعَوَاقِبِ حَتَّى يَقُولَ وَلَا ضَلَمَ وَلَا غَوِيَنَّهُمْ وَلَا مَنِيَنَّهُمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ وَقَالَ فِي الْأَعْرَافِ وَلَا تَجِدُوا كَثَرَهُمْ شَاكِرِينَ وَقَالَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَتَحْتَنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ الْقَلِيلَ فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ أَحَدُهَا أَنَّ ابْلِسَ ظَنَّ أَنَّ تَقَعُ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي يَرِيدُهَا مِنْهُمْ فَخَصَلَ لَهُ مَا ظَنَّهُ وَبَدَلَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى وَاقْدِرْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَانْبَعَثَ مِنْهُ الْوَجْهَ الثَّانِي قَالَ ابْنُ الْإِنْبَارِيِّ الْمَعْنَى لِأَجْنَتِهِمْ وَلِأَحْرَصٍ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ الْعِيبَ الْوَجْهَ الثَّلَاثُ قَالَ الْمَوَارِدِيُّ مِنَ الْجَائِزَاتِ أَنْ يَدُونَ قَدِ عَدَلَ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحُجْرَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ أَكْثَرَ الْخَلَائِقِ لَا يُؤْمِنُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (بَعْدَهُمْ وَبِمَنِيَنَّهُمْ) يَعْنِي الشَّيْطَانَ بِعَدُوِّهِ وَأَوْلِيَاءِهِ وَبِمَنِيَنَّهُمْ فَوَعْدُهُ وَتَعْبِئَتُهُ إِيَّاهُمْ مَا يَوْقَعُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ مِنْ طُولِ الْعُمُرِ وَنَبِيلِ مَا أَرَادَ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ نَعِيهِ وَلِذَلِكَ هُوَ كُلُّ ذَلِكَ غُرُورٌ فَجَبَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَإِنَّ بَطْلَ عَمْرٍو لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْهَا وَلِئِنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَصَلَ مَقْصُودُهُ فَلَمَّا وَرَاهُ يَنْصَغِفُ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ وَقِيلَ بَعْدَهُمْ وَبِمَنِيَنَّهُمْ بِأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا يَبْعَثُ فَاجْتَنَدُوا فِي تَحْصِيلِ الْفَائِزَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ (وَمَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) يَعْنِي بِاطْلَا وَضَلَالًا (أَوَّلُكَ) يَعْنِي الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ وَايَا (مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ) يَعْنِي مَرَجِعَهُمْ وَمَسْتَقَرَّهُمْ جَهَنَّمَ (وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا) يَعْنِي عَنْ جَهَنَّمَ (مَحِيضًا) يَعْنِي مَفْرَا وَمَعْدَلًا يَعْنِي لَا يَبْعُدُونَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَا يَدْلُهُمْ مِنْ وَرُودِهَا وَخَلَدَ فِيهَا الْمَآذِ كَرُوعِ الْعِيدِ الْكَفَّارِ أَتْبَعَهُ بَعْدَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يَعْنِي مِنْ تَحْتِ الْمَسَاكِينِ وَالْغُرَفِ (خَالِدِينَ فِيهَا) يَعْنِي فِي الْجَنَّتِ (أَبْدًا) بِإِلْتِهَامِهِ وَلَا غَايَةَ وَلَا بَدْعًا عَنْ مَدَّةِ الزَّمَانِ الْمُتَمَدِّدِ الَّتِي لَا يَقْطَعُ لَهُ وَلَا يَتَجَزَأُ كَمَا يَتَجَزَأُ أَشْيَاءُ مِنَ الْأَزْمَنَةِ لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى أَبَدًا كَمَا يَقَالُ زَمَنٌ كَذَا فِي قَوْلِهِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لِيلِ

(وَمِنْ تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ وَلِيَامِنْ دُونِ اللَّهِ) وَأَجَابَ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ (فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانَا مِينًا) فِي الدَّارَيْنِ (بَعْدَهُمْ) يَوْسُوسُ الْيَهُمُ أَنْ الْجَنَّةَ وَلَا نَارَ وَلَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ (وَبِمَنِيَنَّهُمْ) مَا لَا يَنْوَلُونَ (وَمَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) هُوَ أَنْ يَرَى شَيْئًا يَظْهَرُ خِلَافَهُ (أَوَّلُكَ) مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيضًا) مَعْدَلًا وَمَفْرَا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وَلَمْ يَنْبَعُوا الشَّيْطَانُ فِي الْأَمْرِ بِالْكَفْرِ (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (وَقَرَأَ التَّحْقِي سِيدَ خَلَمَ

و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) مر تفسيره في هذه السورة (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) عن الصواب (ان يدعون من دونه) ما بعدون من دون الله (الانانا) جمع أني وهي اللات والعزى ومناة ولم يكن حي من العرب الا وهن صمنهم يدعونهم باسمونهن انني بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله (وان يدعون) يعبدون (الاشيطانا) لانه هو الذي أغراههم على عبادة الاصنام فاطاعوا وجعلت طاعتهم له عبادة (مريدا) خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الامر د (٤٣١) (اعنه الله وقال لا تخزن) صفتان

يعني شيطانا مر يداجعها بين ائمة الله وهذا القول الشنيع (من عبادة نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا لي من كل ألف تسعة وثمانون وتسعة وتسعون وواحد لله (ولا ضامنهم) بالدعاء الى الضلالة والتزيين والسوسة ولو كان انقاذ الضلالة ليه لاضل السلك (ولا منينهم) ولا تقين في قلوبهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال (ولا مرنهم) فليتكن آذان الانعام البتة القطع والتبتيك للتكثير والتكرير يرى لاجلهم على ان يقطعوا آذان الانعام وكانوا يشقون آذان الباقاة اولاد خمسة أبطن وجاء الخامس ذكر اكرموا على أنفسهم الانتفاع بها (ولا مرنهم) فايغيرن خافي الله) بقاء عين الحامي واعفائه عن الركون أو الخساء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم أو بالوشم أو بنى الانساب واستباحها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم

المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت نو بته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك (و يغفر ما دون ذلك) يعني ما دون الشرك (لمن يشاء) يعني لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله أنه يغفر الشرك بالايمن والتوبة بعلمه ناله يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد اذا مات صاحب الكبيرة والصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضل رحمة وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت لم كرت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التاكيد ولان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر ٣ وهوان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة من أبيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل (ان يدعون من دون الله الانانا) نزلت في أهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الانانا لان كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجة وفي قوله انانا أقوال أحد هانهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الاناث فيقولون لات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون انتم كل قبيلة أني بني فلان والقول الثاني انما يعني أمواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالخمر والخشب هواناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الخمر تجبني وهذا الدراهم تنفعني ولان لاني أنزل درجة من الذر كراميت أنزل درجة من الخي كان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجادات والنول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون من بنات الله (وان يدعون) أي وما يعبدون (الاشيطانا مريدا) قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في وفوه ويترأى للسنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه اغواهم وأغراههم على عبادتها وأطاعوه وجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمراد هو المتمرد العاني الخارج عن الطاعة (اعنه الله) أي أبعد الله وطرده عن رحمة (وقال) يعني ابليس (لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا) يعني حطام قدر معلوما فكل ما أطع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته وبقبول وسواسه (ولا ضامنهم) عن طريق الحق والمراد به التزيين والسوسة والافليس اليه من الاضلال شيع قال بعضهم لو كانت الضلالة الى ابليس لاضل جميع الخلق (ولا منينهم) قال ابن عباس يريد تسويق التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أنهم انه لاجنة ولا نار ولا بهت وقيل أنهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أنزل لهم ركوب الاهواء والاهوال الداعية الى العصيان وقيل أنهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها يؤثرونها على الآخرة (ولا مرنهم) فليتكن آذان الانعام يعني يقطعونها ويشقونها وهي البهيرة وذلك انهم كانوا يشقون آذان الناقة ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكر اكرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم ابليس ان هذا قبري (ولا مرنهم) فايغيرن خافي الله) قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خافي الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها وبذل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواهيهودانه أو ينصرانه أو مجسانه وقيل

وا تحليل أو بالتخت أو بتبديل فطرة الله التي هي دين الاسلام لقوله لا تبديل لخلق الله

(٣) قوله وهوان الآية المتقدمة الح الذي ذكره عند الآية المتقدمة انها نزلت في أهل الكتاب المتقدم ذكرهم قبل الآية أو في قاتل حزة وأصحابه أو في جواب رجل سأل عن الشرك لما نزل قوله تعالى قل يا عبادي الآلة ولم يقدم لسرقة طعمة ذكر اعلى انه لا يظهر أن تكون سبب نزول الآية كما هو ظاهر اه مصححه

(الامن امر صدقة) الانحوى من امر وهو محروم بدل من كثير ومن نجوا هم أو منصوب على الانقطاع عنى ولكن من امر بصدقة ففى
 نجواه الخير (نوع عرف) أى فرض أو أمانة (٤٣٠) مأهوف أو كل جيل أو المارد بالصدقة الزكاة والمعروف التطوع

(أو اصلاح بين الناس) يخافون نحوه من الارض وقيل أصله من النجى والمعنى لاخبر فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه (الامن
 امر بصدقة) يعنى الا فى نحوى من امر بصدقة وقيل معناه لاخبر فيما يتناجى فيه الناس ويتخوضون فيه من
 الحديث الا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها
 (أو معروف) يعنى أو امر بطاعة الله وما يحبه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها (أو
 اصلاح بين الناس) يعنى اصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليرتاجع الى ما كان فيه من الافقة والاجتماع
 على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة
 الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الحالقة
 أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هى الحالقة
 لا أقول تخافى الشر ولكن تخافى الدين (خ) عن سهل بن سعد ان أهل قباء اقتتلوا حتى ترموا بالحجارة فآخبر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا ناصح بينهم (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة عن أبى معيط قالت
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فى قول خيرا
 أو ينمى خيرا زاد مسلم فى روايته له قالت ولم أسمع به رخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب
 والاصلاح بين الناس وحديث الرجل وزوجته وحديث المرأة وزوجها (ومن يفعل ذلك) يعنى هذه الاشياء
 التى ذكرت (ابتغاء مرضات الله) يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فقه
 رياء وسمعه لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات الحديث (فسوف تؤتبه) يعنى فى
 الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله (أجر عظيما) لاحد له لان الله سبحانه عظيم اذا كان كذلك فلا يعلم قدره
 الا الله ﷻ قوله عز وجل (ومن يشاقق الرسول) نزلت فى طعمة أيضا وذلك انما سارق وظهرت عليه المرفة
 خاف على نفسه القطع ولفضيحة فهرب الى مكة كافر امر تداعى الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق
 الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد واليمان وأصله من المشاققة وهى كون كل واحد منهما فى شئ غير شئ الآخر
 (من بعد ما تبين له الهدى) أى وضع له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين
 له بما أنزل فيه وأظهر من سرفته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر
 الشقاق ورجع عن الاسلام (و يتبع غير سبيل المؤمنين) يعنى ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من
 اليمان و يتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) أى نكاح فى الآخرة الى ما تولى فى الدنيا وتركه وما اختار لنفسه
 (ونضله جهنم) يعنى ونالزمه جهنم وأصله من الصلى وهولزوم النار وقت الاستدفاء (وساء مصيرا) يعنى
 وبئس المرجع الى النار وروى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن
 ثلاث مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى و يتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل
 المؤمنين وهو فارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين لزوم جماعتهم واجابوا بذلك لان الله
 تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق الرسول و يتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة ﷻ قوله
 عز وجل (ان الله لا يفرأ بشرك به) نزلت فى طعمة بن أريق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس
 نزلت هذه الآية فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله انى شيخ منهمك فى
 الذنوب غير انى لم أشرك بالله منذ عرفتة وأنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جراءة على الله
 عز وجل وما توهمت طرفة عين انى أعجز الله به وانى لنادم تائب مستغفر فاحالى عند الله فانزل الله هذه الآية
 ان الله لا يفرأ أن يشرك به فلهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت أن

(أو اصلاح بين الناس) أى اصلاح ذات البين (ومن يفعل ذلك) المذكور (ابتغاء مرضات الله) لمحب رضا الله وخرج عنه
 من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعوله والاشكال انه قول الامن امر ثم قال
 ومن يفعل ذلك الجواب انه ذكر الامر بالخبر ليدل
 به على فاعله لانه اذا دخل الامر به فى زمرة الخير
 كان الفاعل فهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك قد كرر
 الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم والمردود من
 يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل (فسوف تؤتبه
 أجر عظيما) يؤتبه أى
 عمره ووجزة (ومن يشاقق
 الرسول من بعد ما تبين له
 الهدى) ومن يخالف
 الرسول من بعد وضوح
 الدلائل وظهور الرشده و يتبع
 غير سبيل المؤمنين) أى
 السبيل الذى هم عليه من
 الدين الحنبلى وهو دليل على
 ان الاجماع حجة لانجوز مخالفتها
 كما لانجوز مخالفة الكتاب والسنة
 لان الله تعالى جمع بين اتباع
 غير سبيل المؤمنين وبين مشاققة
 الرسول فى الشرط وجعل
 جزاءه الوعيد الشديد
 فكان اتباعهم واجبا

المشرك

كموا الاله الرسول (نوله ما تولى) يجعله واليا ما تولى من الفضل وندعه وما اختاره
 فى الدنيا (ونضله جهنم) فى العقبى (وساء مصيرا) قيل هى فى طعمة وارتداده (ان الله لا يفرأ أن يشرك به

الإنسان والعالم هو الشرك فإدونه (ثم يستغفر الله) يعني من ذنوبه (بجد الله غفورا رحيمًا) ففي هذه الآية دليل على حكمين أحدهما أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لأن قوله ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه عم السك والحقم الثاني أن ظاهر الآية يقتضي أن مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم أنه مقيد بالتوبة لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار على الذنوب (ومن يكسب أئمة) يعني ومن يعمل ذنبًا بأئمة (فأئمة يكسبه على نفسه) يعني أئمة يهود وبالكسب عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكانه تعالى يقول يأثمها الإنسان أن الذنب الذي ارتكبه أئمة أعادت مضرتك عليك فإني منزعة عن الضرر والبقع فأكثر من الاستغفار ولا تأثم من قبول التوبة فإني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة أيضًا (وكان الله عالمًا) يعني يسارق الدرع (حكميًا) يعني إذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه علمًا بما في قلب عبده عند أقدمه على التوبة حكميًا يقتضي حكمته أن يتجاوز عن الثائب ويغفر له ويقبل توبته (ومن يكسب خطيئة أو أئمة) قيل أن الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والأئمة هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفعله والأئمة الذنب المنعدي إلى الغير وقيل أن الخطيئة هي سرقة الدرع والأئمة هو يمينه الكاذبة (ثم يرم به برأ) يعني ثم يقذف بما جناه برأ من نفسه وهو نسبة السرقة إلى اليهودي ولم يسرق فإن قلت الخطيئة والأئمة أنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم بأحد هذين المذكورين برأ وقيل معناه ثم يرم بهما فكيف أكتفى بأحد هذين الآخر وقيل أنه هو الضمير إلى الأئمة وحده لأنه أقرب مذكور وقيل أن الضمير يعود إلى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب برأ (فقد احتمل بهتانًا) البهتان من البهت وهو الكذب الذي يشجر في عظمه (وأئمة بينا) يعني ذنبًا بينا لأنه يكسب الأئمة ثم يرم به البرى بهأت فقد جمع بين الأمرين قوله عز وجل (ولولا فضل الله عليك ورحمته) هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أريق وقومته حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما أوحى إليك من الإطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لمت طائفة منهم) يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة (أن يضلوك) يعني عن القضاء بالحق وتوحي طريق العدل وقيل معناه يخطؤك في الحكم ويلبسوا عليك الأمر حتى تدفع عن طعمة وذلك لأن قوم طعمة عرفوا أنه سارق ثم سألو النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه ويترحمه عن السرقة ويرمي بها اليهودي (وما يضلون إلا أنفسهم) يعني أن وبال ذلك رجوع عليهم بسبب تعاونهم على الأئمة وبشهادتهم أنه يرى وفهم لما قدموا على ذلك رجوع وبالله عليهم (وما يضرونك من شيء) يعني أنهم وإن سعوا في القاتك في الباطل فانت ما وقعت فيه لأنك ثبت الأمر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الأمر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله إدامه العصمة وأنه لا يضره أحد (وأنزله عليك الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني القضاء بهما يعني وأوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقاتك في الشهات (وعلمك ما لم تكن تعلم) يعني من أحكام الشرع وأمر الدين وقبل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الأمور وأعلمك على ضامر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم (وكان فضل الله عليك عظيمًا) يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيمًا فاشكره على ما أؤلك من إحسانه ومن عليك بذنوبه وعلمك ما أنزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك من حاول أضلالك فإن الله هو الذي تولاك بفضلته وشملك بإحسانه وكفك غائلة من أرادك بسوءه ففي هذه الآية نبيه من الله عز وجل لذبيته محمد صلى الله عليه وسلم على ما جاهد من ألقافه وما شمله من فضله وإحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى (لا خبري كثير من نجواهم) يعني من تجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما ينسجى الناس به والنجوى هي الأسرار في السد ويروقيل التجوى ما فرقه بدته يرمه قوم سرا كان ذلك أوجهاً وأناجيتهم ساررتهم وصلاتهم

مطلع عليهم لا يتخفى عليه
خاف من سرهم وكفى بهذه
الآية ناعية على الناس ما هم
فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم أنهم في
حضرته لاسترة ولا غيبة
(اذ يبيتون) يبدرون
وأصله أن يكون إيلا (مالا)
يرضى من القول (وهو تدير
طعمة أن يرمى بالدرع في
دارز يدالسرق دونه ويحلف
أنه لم يسرقها وهو دليل
على أن الكلام هو المعنى
القائم بالنفس حيث سمى
التدوير قولاً (وكان الله بما
يعملون محيطاً) عالماً على الحاط
(هأنتم هؤلاء) هالتنبيه
في أتم وأولاهم هابتدأ
وخبر (جادام) خاصمت
وهي جملة مبدئة لوقوع أولاء
خبراً كقولك لبعض
الاستخياء أنت حاتم نخود
بمالك أو أولاء اسم موصول
بمعنى الذين وجادلتم صلتهم
والمعنى هبوا أنكم خاصمت
(عنهم) عن طعمة قومه
(في الحياة الدنيا) في مجادل
الله عنهم يوم القيامة) فمن

ولا تجادل عنه (ان الله لا يحب من كان خواناً أثمياً) يعني خواناً بسرقة الدرع أثير برمييه اليهودى وهو
يرى وانما قال تعالى خواناً أثمياً على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم
ويدل على ذلك أنه لما نزل فيه القرآن لحق مكة مرتداعاً عن دينه ثم دعا على الحاج بن علاط فقب عليه بيته
فقط عليه حجر من الحائط فلما أصبحوا أخرجه من مكة فاقى وركبوا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به
خدموه حتى اذاجن عليه الليل دعا عليهم فسرهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فروموا بالبحارة حتى مات
ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا
عثر من رجل على سيرة فاعلم ان طأأخوات ويروى عن عمر أنه أمر بقطع يد سارق خذات أمه تبيكي وتقول
هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه يا أم المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤخذ عبده في أول مرة ﴿قوله عز
وجل﴾ (يستخفون من الناس) بنى يستترون حياءهم من الناس يريد بذلك بنى ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة
ابن أريق (ولا يستخفون من الله) يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه وأصل الاستخفاء الاستتار
والتامس الاستخفاء بالاستعياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم (وهوهم) يعني
والله معهم بالعمل والقدرة ولا يتخفى عليهم شيء من حاطم لانه تعالى لا يتخفى عليه خافية وكفى بذلك زجر الانسان
عن ارتكاب الذنوب (اذ يبيتون مالا يرضى من القول) يعني بضمر ون و يقدر ون و يزورون في أذهانهم
وأصل التبيت تدوير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فبايئتهم نزع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانه يسمع قول طعمة ويقبل بيئته لانه مسلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم
فأطاع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم واهموا به (وكان الله بما يعملون محيطاً) يعني انه تعالى لا يتخفى
عليه شيء من أمارا عبادهم وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يتخفى عليه خافية (هأنتم هؤلاء) هالتنبيه
يا هؤلاء الذين هو خطاب اقوم من المؤمنين كانوا يذنون عن طعمة وعن قومه (جاداتهم) يعني خاصمت
عنهم بسبب أنهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين وأصل الجدل شدة القتل لان كل واحد من الخصمين يريد
أن يقتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هبوا أنكم خاصمت وجادلتم عن طعمة وقومه (في الحياة الدنيا)
وقيل هو خطاب اقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا أنكم خاصمت عن طعمة في
الحياة الدنيا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) يعني اذا أخذهم بعدا به فهو استفهام بمعنى التوبيخ وانتقرب
(أم من يكون عليهم وكيلاً) يعني محافظاً وحمايئهم عنهم بأمر الله انزل بهم ﴿قوله تعالى﴾ (ومن يعمل
سوا أو يظلم نفسه) نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين
جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسمى ومن ذنب لان خصوص السب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية
ومن يعمل سوا يسى به غيره كما فعل طعمة بالدرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء
لان ذلك يكون في الاكتر ارباباً للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يخص به من الخلف الكاذب
ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوا أى فيبجحوا و يظلم نفسه برميه البرى وقيل السوء كل ما ياتى به

يخصم عنهم في الآخرة اذا أخذهم الله بعدا به وقرئ عنه أى عن طعمة (أم من يكون عليهم وكيلاً)
حافظاً وحمايئهم بأمر الله وعذابه (ومن يعمل سواً) ذنبا دون الشرك (أو يظلم نفسه) بالشرك أو سواً فيجحد يتعدى ضرره الى
الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى أو يظلم نفسه بما يخص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (بجد الله غفورا رحيماً)
له وهذا بحث اطعمة على الاستغفار والتوبة (ومن يكسب انما فاعما يكسبه على نفسه) لان وبالله عليها (وكان الله عليها حكماً) فلا يعاقب
بالذنب غير فاعله

(وكان الله عليهما حكيمًا) يعني انه تعالى لا يامركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم ﴿قوله عز وجل﴾ (انا نزلنا اليك الكتاب بالحق) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جارية له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة خلف بابه ما أخذها وما له بهام من علم فقال لمحباب الدرع لقد رأيتنا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الى طعمة ابن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهودي قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجده طعمة فانزل الله هذه الآية انا نزلنا اليك يعني يا محمد الكتاب يعني اقرآن بالحق يعني باصدق وبالامر والنهي والفصل (لتحكي بين الناس بما أراك الله) يعني بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمى العلم اليقيني رؤية لانه جري مجرى الرؤية في قوة الظهور وروى عن عمر انه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبهه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيك لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيباً لان الله تعالى كان ير به ياه وان رأى أحدنا يكون ظناً ولا يكون علماً قال المحققون ذلت هذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يحكم لا بالوحي الاطلي والنص المنزل عليه (ولا تكن) يعني يا محمد (لالخائنين خصماً) يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة يتخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعاً عنه ومعيناًه (واستغفر الله) يعني عما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة (ان الله كان غفوراً) يعني لذنوب عبادهم يستغفروا عنهم ويغفر هاهم (رحماً) يعني بعباده المؤمنين **فصل** وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصماً ولم يتخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذنب عنه وأن يلحق السرقه اليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الاطلي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي يرى من السرقه وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقه ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدر من شهادتهم هم بان يقضى على اليهودي بالسرقه فلما أطلعهم الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر كان خطأي نفس الامر فامر الله بالاستغفار منه وان كان. ههنا الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنب أتمته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم على الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلهذا جرت مشيئة من نصبه وكما لم يعرفه بالله عز وجل فابقع منه على وجه التأويل أو السهولة أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كاقيل حسنات الارباب سيئات المقر بين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (ولا تجادل عن الذين يخاتون أنفسهم) يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونوه وذنب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أقدم على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقع في العذاب وجرهم من التواب ولهذا قيل لمن يظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا يتخاصم الخائن

(انا نزلنا اليك الكتاب بالحق) أي محققاً (لتحكي بين الناس بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما أهلكك بالنظر في أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه (ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين (خصماً) متخاصماً أي ولا يتخاصم اليهود لاجل بني ظفر (واستغفر الله) عما هممت به (ان الله كان غفوراً رحيماً) الذين يخاتون أنفسهم) بخونونهم بالعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونوه من قومه وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانتته (ان الله لا يحب من كان خواناً أثمياً)

(256)

والركوع والسجود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) مكتوبا محددودا بأوقات معلومة (ولا تموا) ولا تضغوا ولا تنأوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله (ان نكنوا نألمون فاهم يألون كما نألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أى ليس ما تجدون من الالم بالجرح والقتل محتصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم لصبرهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فالكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب الاعظم فى الآخرة (وكان الله عالما) بما يجد المؤمنون من الالم (سكبا) في تدبره ورهم روى ان طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جارية اسمها قتادة بن النعمان في جراب دقيق

فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند ريد بن السمين رجل من اليهود فالتفت الدرع عند طعمة وكان فلم توجد وحلف ما أخذها أو ما علمها على فتركوه وانبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى المزل اليهودي فأخذوها فأتال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود دفعها اليه ونظر أطفاله وبنو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا من يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك صاحبنا وافضح و برى اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فقول
ف قوله من زلخه وجمع يأخذ في الظاهر فسلم وبلفظ حتى لا يتحرك معه اهـ رحمه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واوقفوا على العدو وفصصوا مكائهم وجاءت الطائفة الاخرى فصصوا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين وأربع سجديات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجه السائي قال أبو بكر بن السني سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي أخرجه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بأحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدو وجاء وأتلك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية أخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض أيامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو وفصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة وركعة وهذه الرواية المخرجة في الصحيحين أخذنا الاوزاعي وأشباه المالكي وهو جازع عند الشافعي أضام قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معه او قبل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروایتين ان الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك أول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمفرد في حكم صلاته ﴿المسئلة الثالثة﴾ فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روى عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصصنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم بالسجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم بالمقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخر في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم بالسجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم سلمنا جميعا قال جابر كبرنا جميعا ثم ركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم بالسجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم قام الصف الذي يليه صلى الله عليه وسلم بالحدوث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة ﴿المسئلة الرابعة﴾ اذا اشتد الحرب والتحم القتال صالوا رجالا وركبنا يومون بالركوع والسجود الى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة أنهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا آمنوا وقضوا ما فاتهم من الصلاة وصلاة الخوف عورأخذ كورة في كتب الفقه وليس هذا موضعه والله أعلم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولا جناح عليكم) أي ولا تم ولا حرج عليكم (ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح ينقل حمله في هاتين الحالتين (وخذوا حذركم) يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبنى أعارفتزولوا لايرون من العدو أحد افوض الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والجماء ترش بالمطر فقال الوادي خال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غوث بن الحارث المخزومي فقال قتلى الله ان لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سبل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غوث بن الحارث بما شئت فاهوى غوث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله

عليكم شدة واحدة (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا) في أن تضعوا (أسلحتكم وخذوا حذركم) رخص لهم في وضع الاسلحة ان تقل عليهم حملها بسبب ما يلبهم من مطر أو بضعتهم من مرض وأمرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهم عليهم العدو

أصلحتكم وأمتعتكم فقصد من منكم غرة فية تلوسكم

فصل في أحكام تتعلق بالآلة وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل **المسئلة الأولى** قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا بالصحة هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وإذا كنت فيهم فأقتلهم الصلاة وظاهر هذا يدل على أن إقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بهم ولأن كفة الاحتياط في الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى أن هذا الحكم ثابت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية ويجب أن يثبت في حق غيره من أمته قوله تعالى فاتبعوه وقلوه صلى الله عليه وسلم صلوا كبراً يتخوفون أصلي ولأن ذلك إجماع الصحابة على فعلها وقرروا عن علي بن أبي طالب أنه صلى صلاة الخوف بأصحابه ليلة لهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاة بأصحابه بطرسن وأيس طولاء مخلف بن الصحابة وأجيب عن قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقتلهم الصلاة بأن هذا وإن كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فإن سائر أمته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبي إذا طقمتم النساء الآن برئص شخصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالص لك من دون المؤمنين ونظير قوله وإذا كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فإذا كان هو الخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة بعده من الأئمة كان كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة إذا بان مقتضاها الثبوت عند الثبوت وأما لعدم عند عدم فغير مسلم **المسئلة الثانية** قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاحها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة وأشكال متباينة تخرج في ذلك كلها هو الاحوط للصلاة وأبغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف إذا كان العدو في شريحة القبلة ففرق الإمام أصحابه فرتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام إلى الثانية أتوا الأنصف بهم وذهب إلى وجاه العدو فيحرسون وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالساً في اقتصد حتى يتموا أنفسهم الصلاة ثم يسلمهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم ثبت قائماً ثم أتوا الأنصفهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة الثانية بقيت من صلاتهم ثم ثبت جالساً فأتوا الأنصفهم ثم سلمهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حنيفة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة بلغ في حراسة العدو وأما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فإن قوله ولأن طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على أن الطائفة الأولى فصلت وقوله فليصلوا معك ظاهر يدل على أن جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الإمام وكونهم أحوط لأمر الصلاة من حيث أنه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونهم أحوط لأمر الحرب والحراسة من حيث أنها لا يمكن للحراسة والكر والفر والهرب أن احتاجوا إليه وذهب قوم لما أن الطائفة الأولى تصلي مع الإمام ركعة ثم تذهب إلى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلي مع الإمام الركعة الثانية ويسلم الإمام ولا يسلمون هم بل يذهبون إلى وجه العدو وترجع الطائفة الأولى إلى موضع الإمام فتقتضي بقية صلاتهم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية إلى موضع الإمام فتقتضي بقية صلاتهم يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم

(واذا كنت) يا محمد (فيهم) في أصعابك (فاقت لهم الصلاة) فأردت أن تقيم الصلاة (٤٢٣) بهم وبظاهرة تعلق أبو يوسف رحمه الله

فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقال الأئمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر فكان الخطاب لهم متناولا لكل امام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضي الله عنهم بعده عليه السلام (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو (ولياخذوا أسلحتهم) أي الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضي الله عنهما وان كان المرداه المصلين فكانوا يأخذون من السلاح مالا شغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما (فاذا سجدوا) أي قديواركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة (فليكونوا من وراءكم) أي اذا صلت هذه الطائفة التي معك ركعة فليرجعوا ويقفوا بازاء العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصالوا) في موضع رفع صفة طائفة (فليصلاوا معك) أي واتحضر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلاوا معك الركعة الثانية (ولياخذوا حذرهم) ما يتحذرون به من العدو كالدرع ونحوه

ذهب لك واحدوا سحق وقول الحسن والزهرى قرىب من ذلك فانهم ما قالوا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليأتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فكأن ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعون أصبعاً معترضه معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام **فصل** قيل قوله تعالى ان خفتهم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده من فصل عما قبله وتقديره وان خفتهم روى عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تنصروا من الصلاة هذا اقرب من بعد حلول سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتهم ان يفتنكم الذين كفروا وان الكافرين كانوا السكك عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء والخبر بتمامه ثم ينفذ في عليه خبر آخر هو في الظاهر كالتصل به وهو منفصل عنه **فصل** قوله عز وجل (واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة) الآية روى عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظاهر يصالون جميعاً واندوا أن لا يكونوا كيواعليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعد الصلاة هي أحب اليهم من أبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فاذا قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد اها صلوا صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول (واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة) فقامه صلاة الخوف وروى عن ابن عباس المرتضى في سبب نزول هذه الآية قل كنام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصفان وعلى المشركين خالدين الوليد فضيلنا الظاهر فقال المشركون قد أضربنا غر وفي رواية غفلة لوجه ما عليهم وهم في الصلاة فتزات الآية بين الظاهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب لتبني صلى الله عليه وسلم يعني واذا كنت يا محمد في أصعابك وشهدت معهم القتال فاقت لهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) يعني اذا كان وقت الصلاة أو اقتل اصعابك فاجعلهم فرقتين فتقف فرقة منهم معك فصلي بهم (ولياخذوا أسلحتهم) اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله ياخذوا السلاح فقيل أراد بهم الذين قاموا مع الصلاة فاهم يأخذون أسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول إنما يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى بهم من الى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لانه أقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وقتله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذى من الى جنبه كالرجح فلا يأخذوه وقيل أراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمر الفريقين يحمل السلاح لان ذلك أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا فليكونوا من وراءكم) يعني اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من وراءكم يعني فليتنصروا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصالوا) يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو (فليصلاوا معك) الركعة الثانية التي بقيت عليك وبتموا بقية صلاتهم (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم) يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز واليقظة آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر في أول الآية الاسلحة فقط وذكر هذا الحذر والأسلحة قلت لان العدو قد ما يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائماً بين في الحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة خائفين فتنهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلاجزم ان الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة (ود الذين كفروا) يعني بني الكفار (لو تفتنوا) يعني لو وجدوك غافلين (عن أسلحتكم وميقاتكم) يعني حواشيكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتنبهون عنها (فيميلون عليكم ميلاً واحدة) يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حيلة واحدة أو اتهم مشقة فلو ان صلاتكم عن

(وأسلحتهم) جمع سلاح وهو ما قاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعي رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة (ود الذين كفروا لو تفتنوا عن أسلحتكم وميقاتكم) أي تم وأن بنا لوانكم غرة في صلاتكم (فيميلون عليكم ميلاً واحدة) فيشدون

أن مرمان أصلي ركعتين في السفر أخرجه النسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف الأرب العالمين فلي ركعتين أخرجه الترمذي والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى أن خفتن أن كن أن تفقد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشرط فقوله تعالى أن خفتن لا يقتضي أن عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر وإذا كان كذلك كانت الآية ساكنة عن حال الأمان فائتات الرخصة حال الأمان بخبر الواحد يكون إثباتها لحكم سكوت عنه القرآن وذلك غير متنع إنما المتنع إثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فإن قلت إذا كان هذا الحكم ثابتاً في حال الأمان والخوف ففائدة تقييده بحال الخوف قاتلها نزول الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وكثيره لم يخل عن خوف العدو وقد كرر الله عز وجل هذا الشرط من حيث أنه الأغلب في الوقوع وقوله تعالى (إن الكافرين كانوا السكندر عدو أميناً) أي ظاهر العدو فاعلم أي هذا رخصتكم في قصر الصلاة لا يجزئ والى قتلكم واغتيالكم سبيلاً وإنما قال عدواً ليقول أعداء لأنه يستوى فيه الواحد والجمع **فصل في أحكام تمنع بالآية** وفيه مسائل **المسألة الأولى** في حكم قصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجتماع الأمة وإنما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب أكثر العلماء إلى أن القصر واجب في السفر وهو قول عمرو بن وهب وابن عمر وجابر بن عبد الله والحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة وبلد عليه ما روى عن عائشة قالت فرض الله صلاة حين فرضها ركعتين ثم أتتها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى وفي رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجه في الصحيحين وذهب قوم إلى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر أفضل بروي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص واليه ذهب الشافعي وأحمد ورواية عن مالك أيضاً يدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعنه عائشة أنها اعتمدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قالت يا رسول الله باني أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب على أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة لظقة الجناح إنما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتماً واجباً عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أولاً زيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاتتمام عليها وثبت جواز الاتتمام بدليل آخر فوجب التصريح به ليتمكن الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع **المسألة الثانية** اختلف في صلاة المسافر إذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة وإنما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر بروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد **المسألة الثالثة** ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور إلى أنه يجوز أن يقصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز النقص في سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك **المسألة الرابعة** اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز أن يقصر في قصر السفر وطوله وروى ذلك عن أنس أيضاً قال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد أقصر بعرفة وأعلم أهل العلم فأنهم لا يجوزون القصر في القصر واختلّفوا في حد الطول الذي يجوز فيه أقصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويطهران في مسيرة أربعين يوماً عشرة فرس أو ثمانية عشر فرساً

والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (إن الكافرين كانوا السكندر عدو أميناً) فتحرزوا عنهم

(ومن يخرج من بيته مهاجرا) حال من الضمير في يخرج (الى الله ورسوله) الى حيث أمر الله ورسوله (ثم يدركه الموت) قبل بلوغه مهاجرة وهو عطل على غير جرح (فقد وقع أجرة على الله) أي حصل له الاجر بعد الله وهو أن لا يولد له ولد ولا شيء يجب على الله لاحد من خلقه (وكان الله غفوراً رحيماً) قالوا كل هجرة اطلب علم أو حج أو جهاد أو فرار الى بلد يزيد ادفيه طاعة أو قاعة أو زهد أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان أدركه الموت طريفة فقد وقع أجرة على الله (وإذا)

(٤٢١)

فالمضرب في الارض هو

السفر (فليس عليكم

جناح) حرج (أن

تقصروا) فإن تقصروا

(من الصلاة) من أعداد

ركعات الصلاة فنصوا

الرابعة ركعتين وظاهر

الآية يقتضي ان القصر

رخصة في السفر والا كمال

عزيمة كما قال الشافعي

رحم الله لان الجناح

يسستعمل في موضع

التخفيف والرخصة لافي

موضع العزيمة وقلنا

القصر عن عزيمة غير رخصة

ولا يجوز الا كمال لقول عمر

رضي الله عنه صلاة السفر

ركعتان تمام غير قصر

على لسان نبيكم صلى الله

عليه وسلم وأما الآية

فكانهم ألفوا الاعمال

فكانوا مظنة لان

يخطر ببالهم أن عليهم

نقصان في القصر ففي عنهم

الجناح لطيب أنفسهم

بالقصر ويطمئنون اليه

(ان خفتم أن يفتنكم

الذين كفروا) ان خفيتم

أن يصدكم الكفار بقتل

وابعد منكم واللايت الالة بمكة أخر جوفى غزوة بيمحملونه على سرير حتى أتوا به التمتع فادركه الموت فضحك يمينه على شماله ثم قال اللهم هذا لك وهذا رسولك أبا بك على رايك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو في المدينة لكان أتم وأوفى أجرة وأضحك المشركون وقالوا ما أدرك ما طلب فائز الله عز وجل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) يعني قبل بلوغه لم مهاجرة (فقد وقع أجره على الله) يعني فقد وجب أجر هجرته على الله بما يجابه على نفسه بحكم الوعد والفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحت قال بعض العلماء يدخل في حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن إتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملاً ولا يلزم بعضهم إنما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل رأتى به ما تمام الاجر فلا القول الاول أصح لان الآية تماثلت في عرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يباها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملاً لا يكف ذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على إتمامها كتب الله له ثوابها كاملاً (وكان الله غفوراً رحيماً) يعني ويغفر الله له ما كان منه من التقصير قبل الهجرة الى ان يخرج مهاجراً قوله عز وجل (وإذا ضربتم في الارض) يعني إذا سافرتم فيها (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (ان تقصروا من الصلاة) يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالتقصير ولم أره لاحد من أهل التفسير والامة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعضها تركها تاريخها لهذا السبب ذكرنا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين أحدهما أنه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتب في الأعماء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول أصح ويدل عليه اللفظ من في قوله أن تقصروا من الصلاة واللفظ من هنا التبعيض وذلك بوجوب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر بإسقاط بعض ركعات الصلاة أولى (ان خفتم أن يفتنكم) يعني يغتالكم ويقتلكم في صلاة (الذين كفروا) ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بانه تعالى ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روى عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عبيد بن عمير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة صدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة انما قال الله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا قال ابن عمر يا ابن أخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن في ضلال فمادنا فكان فيما علمنا

أوجرح أو أخذ خوف شرط جواز قصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما باننا قصر ورواها فقال عبيد بن عمير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة صدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الا كمال في السفر لان التصديق بما لا يحتمل التخليك اسقاط محض لا يحتمل الردوان كان المتصدق عن الانتم طاعته كوني اتقوا اذا غافنا نلزم طاعتنا أولى ولان ما لم يحل حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كونه ان أردن تحصن دليله قراءة عبدالله من الصلاة ان يفتنكم أي لان لا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يوحى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة

(قَالُوا) أَيِ الْمَلَأَةِ الْمُتَوَفِينَ (فِيمَ كُنْتُمْ) أَيِ فِي شَيْءٍ كُنْتُمْ فِي أَسْرَدِنَكُمْ وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ بِهَلْ يَكُونُ نَافِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ (قَالُوا) كُنَّا مُسْتَضْفِينَ) عَاجِزِينَ عَنِ الْمَجْرَةِ (فِي الْأَرْضِ) أَرْضَ مَكَّةَ فَخَرَجُوا كَارِهِينَ (قَالُوا) أَيِ الْمَلَأَةِ مَوْخِينَ لَهُمْ (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُجَاجِرُوا فِيهَا) أَرَادُوا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى حَضْرَةِ الْإِلَادَةِ الَّتِي تَعْنِي فِيهَا مِنْ أَظْهَارِ دِينِكُمْ مِنَ الْمَجْرَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْصَبَ (٢٢٥) فَهَاجَرُوا عَلَى جَوَابِ الْاسْتِغْفَامِ (فَارْتَكَبُوا هَاجَرَهُمْ وَجَنَّهُمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) خَبَرَانِ فَاوْثَاكَ

وَدُخُولِ الْغُلَامَةِ عَلَى لَدِينٍ
مِنَ الْإِبْرَاهِيمِ الشَّابِّ بِالشَّرْطِ
أَوْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ وَالْعَالَمُ
مُحْذَرٌ أَيِ قَوْلِهِمُ وَالْآيَةُ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ
مِنْ أَقَامَةِ دِينِهِ فِي بِلَادِكَا
يَجِبُ وَعَلِمَ أَنَّهُ يَكُنْ مِنْ
أَقَامَتِهِ فِي غَيْرِهِ حَقَّتْ عَلَيْهِ
الْمُهَاجَرَةُ وَفِي الْحَدِيثِ مَنْ
فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى
أَرْضٍ وَإِنْ كَانَ شَرًّا مِنْ
الْأَرْضِ اسْتَوْجِبَتْ لَهُ
الْجَنَّةُ وَكَانَ رَفِيقَ أَبِيهِ
إِبْرَاهِيمَ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَلَا
الْمُسْتَضْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ)
اسْتَنْتَى مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ
الْمُسْتَضْفِينَ الَّذِينَ
(لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) فِي
الْخُرُوجِ مِنْهُمْ أَفْقَرَهُمْ
وَعَجْزَهُمْ (وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا) وَلَا مَعْرِفَةَ لَهُمْ
بِالْمَالِكِ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ
صِفَةً لِمُسْتَضْفِينَ أَوْ
لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
وَأَمَّا جَازُ ذَلِكَ وَالْجُلُ
نَكَرَاتُ لَانِ الْمَوْصُوفِ
وَأَنْ كَانَ فِيهِ حَرْفٌ
التَّعْرِيفِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ يَعْنِيهِ

ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَةٌ دُونِيَّةٌ أُخْرِجَاهُمْ فِي الصَّحِيحِينَ
وَقِيلَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الْمَشْرِكِينَ يَوْمَ يَدْرُوكُنَّ يَسْرُوا دَهُمَ حَتَّى قَتَلُوا هَمَّهُمْ فَضَرَبَتْ الْمَلَأَةُ
وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ (قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ) سَوْأَلٌ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ يَحْتَضِرُ بِعَيْنِهِ قَالَتِ الْمَلَأَةُ طُؤُلَاءَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي شَيْءٍ
الْفَرِيقَيْنِ كُنْتُمْ فِي فَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ فِي فَرِيقِ الْمَشْرِكِينَ فَاعْتَدَرُوا بِالضَّعْفِ عَنْ مَقَاوِدِ الْمَشْرِكِينَ وَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَى اخْرُجْ عَنْهُمْ (قَالُوا) كُنَّا مُسْتَضْفِينَ) هُنَا عَاجِزِينَ (فِي الْأَرْضِ) هُنَا فِي أَرْضِ مَكَّةَ (قَالُوا) يَعْنِي
قَالَ طَلَمُ الْمَلَأَةُ (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُجَاجِرُوا فِيهَا) يَعْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَخْرُجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَارِ الْمَشْرِكِينَ
فَاكْتَنَبَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ كَمَا سَمِعْتُمْ ضَعْفَيْنِ وَأَعْلَانًا بِكُذِّبَهُمْ (قَالُوا لَكُمْ) يَعْنِي مِنْ هَذِهِ صَفَتِهِمْ (مَأْوَاهُمْ) يَعْنِي
مَنْزِلَهُمْ (جَنَّهُمْ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) يَعْنِي بِئْسَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ اسْتَنْتَى أَهْلَ الْحَدِيثِ وَمَنْ عَلِمَ ضَعْفَهُ مِنْهُمْ
فَقَالَ تَعَالَى (إِذَا الْمُسْتَضْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) يَعْنِي لَا يَقْدِرُونَ عَلَى حِيلَةٍ
وَلَا نَفَقَةٍ وَلَا قُوَّةٍ لَهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) يَعْنِي وَلَا يَهْتَدُونَ طَرِيقًا يَسِيلُ كَوْنُهُ مِنْ مَكَّةَ
إِلَى الْمَدِينَةِ (فَارْتَكَبُوا) هُنَا الْمُسْتَضْفِينَ أَهْلَ الْأَعْدَادِ (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ) يَعْنِي يَسْتَجِازُ عَنْهُمْ فَضْلُهُ
وَإِحْسَانُهُ وَعَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ لِأَنَّهُ أَطْمَعُ أَنْ تَرْجُوَ وَابَّةُ تَعَالَى إِذَا طَمِعَ عَبْدٌ أَوْ صِلَهُ (وَكَانَ اللَّهُ غَوَاغُورًا)
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كُنْتُ أَسْأَلُ أَبَايَ عَنْ عَدْوَانِي بِعَيْنِي مِنَ الْمُسْتَضْفِينَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو
طُؤُلَاءَ الْمُسْتَضْفِينَ فِي الصَّلَاةِ (ق) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ
الثَّانِيَةِ قَالَتِ الْمَلَأَةُ نَحْنُ الْوَالِدِينَ الْوَلِيدُ وَسَامِعُ بْنُ هَاشِمٍ وَعِيَاشُ بْنُ أَبِي بَرِيعَةَ وَالْمُسْتَضْفِينَ بِمَكَّةَ اللَّهُمَّ اشْدُدْ
وِطَانَكَ عَلَى مَضْرَأَتِهِمْ أَجْمَعِينَ كُنْتُ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي
الْأَرْضِ مَرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً) قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَى مَرَاغِمًا هَاجَرًا يَعْنِي يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مَهَاجِرًا يَعْنِي أَنْ
الْمُهَاجِرَ قُوَّةً وَالْمَرَاغِمَ لَهُمْ بِمَزَلَّةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ وَهُوَ مَا خُوذَ مِنَ الرِّغَامِ وَهُوَ التَّرَابُ يَقَالُ رِغْمٌ أَنْفَهُ
إِذَا اتَّصَقَ بِالتَّرَابِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْفَ عَضُوشُ رِيفٍ وَالتَّرَابُ ذَائِلُ حَقِّهِ لَوْ قُوَّ لَهُمْ رِغْمٌ أَنْفَهُ كَتَابَةً عَنْ
حُصُولِ التَّلَلِّهِ وَبِقَالَ رَاغِمًا فَلَا يَبْغِي هَاجَرَةً رَعَادِيَّتَهُ وَلَمْ يَأَلْ بِرِغْمٍ أَنْفَهُ وَبِقَوْلِهِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ أَهْلِ
اللُّغَةِ هُوَ الْخُرُوجُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَرِغْمٌ أَنْفَهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْ الرِّجْلَ إِذَا خَرَجَ عَنْ قُوَّةِ خُرُوجٍ مَرَاغِمًا لَهُمْ أَيْ
مَغْضَابًا لَهُمْ وَمَقَاتِلًا وَقَالَ الْفَرَّاءُ الْمَرَاغِمُ الْمُضْطَرَبُّ وَالْمَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ وَأَنْشَدَ الزَّجَّاجُ فِي الْمَعْنَى

إِلَى بِلَادِهِ يَدْرَانِي الْمَحَلُّ * بَعِيدَ الْمَرَاغِمِ وَالْمُضْطَرَبِّ
فَعَلِي هَذَا يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ يَجِدُ مَذْهَبًا يَذْهَبُ إِلَيْهِ إِذَا رَأَى نَاكِرَهُ هَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللَّغَةِ فِي مَعْنَى الْمَرَاغِمَةِ وَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ يَجِدُ يَحْتَوِلُ يَحْتَوِلُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَجِدُ مَتَزَحًّا عَمَّا يَكْرَهُ وَقِيلَ يَجِدُ مَتَزَلًّا
يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ وَقِيلَ الْمَرَاغِمَةُ وَالْمُهَاجِرَةُ وَاحِدَةٌ وَقَالَ رَاغِمًا قَوْمٌ أَيْ هَاجَرَتْهُمْ وَسَمِيَتْ الْمُهَاجَرَةُ مَرَاغِمًا لِأَنَّهُ
يَهَاجِرُ قَوْمُهُ رِغْمَهُمْ وَقَوْلُهُ وَسَعَةٌ يَعْنِي فِي الرِّزْقِ وَقِيلَ بِجَدِّ سَعَةٍ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهَرِيِّ وَقِيلَ بِجَدِّ سَعَةٍ فِي الْأَرْضِ
الَّتِي يَهَاجِرُ إِلَيْهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ سَمِعَهُ هَاجِرًا مِنْ نَبِيِّ لَيْثٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ مَرِيضٍ قَالَ لَهُ
جَنَدٌ عَنْ ضَمْرَةٍ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَنَا عَنْ اسْتَنْتَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنِّي لَا جِدَّةَ حِيلَةٍ لِي مِنَ الْمَالِ مَا بَادَاغِي إِلَى الْمَدِينَةِ

كَقَوْلِهِ وَاقْدَأْسِرْ عَلَى النَّيْمِ سَبِيحًا * (فَارْتَكَبُوا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ) وَعَسَى وَإِنْ كَانَ لَا طَمَعُ
فَهُوَ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ لِأَنَّ السَّكْرِيمَ إِذَا طَمِعَ أُخْجِرَ (وَكَانَ اللَّهُ غَوَاغُورًا) لَعِبَانُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ (وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مَرَاغِمًا) مَهَاجِرًا وَطَرِيقًا يَرَاغِمُ سَبِيلَهُ قَوْمُهُ أَيْ يَفَارِقُهُمْ عَلَى رِغْمِ أَنْفِهِمْ وَالرِّغْمُ الذَّلَالُ وَالْوَانُ وَاصْلُهُ لِحُصُولِ الْأَنْفِ بِالرِّغَامِ وَهُوَ التَّرَابُ يَقَالُ
رَاغِمًا الرَّجُلَ إِذَا فَارَقْتَهُ وَهُوَ يَكْرِهُ مَفَارِقَتَكَ لِمُدَّةٍ نَحْنُ حَقُّهُ بِذَلِكَ (كَثِيرًا وَسَعَةً) فِي الرِّزْقِ وَفِي أَظْهَارِ الدِّينِ وَفِي الصَّدْرِ لِتَبْدِيلِ الْخَوْفِ لِأَمْنٍ

ورجة) قبل ان تصبأجرا

بفضل لان في معنى أجروهم
أجرا ودرجات ومغفرة
ورجة بدل من أجرا أو
انصب درجات نصب
درجة كانه قيل فضلهم
تفضيلا كقولك ضربه
أسواط أي ضربات وأجرا
عظما على انه حال من
الشكره التي هي درجات
مقدمة عليها مغفرة ورجة
باضار فلهما أي وغفر
لهم ورجهم مغفرة ورجة
وحاصل ان الله تعالى فضل
المجاهدين على القاعدين
بعذر درجة وعلى القاعدين
بغير عذر باسم النبي عليه
السلاما كقضاء بغيرهم
درجات لان الجهاد فرض
كفاية (وكان الله غفورا)
بتكفير العذر (رحما)
بتوفيرا الاجر ونزل فيمن أسلم
ولم يهاجر حين كانت الهجرة
فريضة وخرج مع المشركين
الى بدر مرمدا فقتل كافرا
(ان الذين توفاهم
الملائكة) يجوز أن يكون
ماضيا لقراءة من قرأ توفاهم
ومضارعا بمعنى توفاهم
وحذفت التاء الثانية
لاجتماع التاءين والتوفي
قبض الروح والملائكة
ملك الموت وأعوانه
(ظالمى أنفسهم) حال من
ضمير المفعول في توفاهم
أي في حال ظلمهم أنفسهم
بالكفر وترك الهجرة

للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد درجة وقال ابن زيد
الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة قال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في
سبيل الله التي قوله ولا يقطعون وأدب الا لا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرج سبعون درجة ما بين كل درجتين
حضر القرس الجواد المضر سبعين سنة (م) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من رضى بالله ربا وبلاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب طه أبو سعيد فقال أعد هذا على
يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال وأخرى رفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء
والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله
الجنة جاهدا في سبيل الله وأجاس في أرضه أو ولد فيها فاقوالا أو لا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة
درجة أعد الله الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا أسأتم الله فأسألوه
الفر دوس الاعلى فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة فان قلت قد ذكر
الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الآية درجات فواجه الحكمة في ذلك قلت أما
الدرجة الاولى فتفضل المجاهد على القاعدين بوجود الضرر والعنوا ما لا نانية فالتفضل المجاهد على
القاعدين من غير ضرر ولا عناء فاولاهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة
المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنها هذا كمن في الحديث والله أعلم (و) قوله تعالى (ومغفرة) يعني
لذنوبهم يستروها ويصفح عنها (ورجة) يعني راقعة بهم (وكان الله غفورا) يعني لذنوب عباد الله المؤمنين
(رحما) يعني بهم فيفضل عليهم رحمة ويغفر لهم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحدثنه عن ربه
عز وجل قال قال أيماء عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمننت له أن أرجعته
أرجعته بما أصاب من أجرا وغنيمة وان قبضته غفرت له رحمة أخرجه الفسائي
فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية يفرض العين أن يدخل العدو دار قوم من
المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكاف من الرجال من لا عذر له ولا ضرر به من أهل تلك البلدة الخروج
الى عدوهم دفاعا عن أنفسهم وعن أهلهم وجيرانهم وسواهم في ذلك الحار والعبود والغنى والفقر فيجب على
الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فتجب
مساعدتهم على من قرب منهم من المساهدين أو بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمزول عنهم فلا فرض على
الابدين الاعلى طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض أعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان
الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام أن لا يخل كل سنة من غزاة يغزوهم فيها ما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل
الجهاد والاختيار والاطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى
وعد المجاهدين والقاعدين الثواب له ولو كاد وعد الله الحسن ولو كان فرضا على الكافة لاستحق
القاعدون عن الجهاد العقاب لا لاثواب والله أعلم (و) قوله تعالى (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم)
الآية نزلت في أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
وأشباهم فاما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين
توفاهم الملائكة يعني ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم بلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة بلون قبض
أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يحاطب الواحد
بلفظ الجمع وفي التوفى هنا قولان أحدهما انه قبض أرواحهم الثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني
يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين بلون تعذيب الكفار ظالمى أنفسهم يعني بالشر وكقيل بالمقام في دار
الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعده هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجروا اليه ثم نسخ

(كذلك كنتم من قبل) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فغضت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على موافقة قلوبكم بالاستسكان والكاف في ذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها (فن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالامان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما

عن قتل من ينهوا الاسلام ويذهبوه وقيل معناه فعد الله ثواب كثير من اتقى قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) يعني كما كان هذا الذي اتى اليكم السلام فقام له استموافقتهم وكنتم أنتم من قبل يعني من قبل أن يعز الله دينه كنتم تتخفون أنتم بدينكم كما تستخفي هذا الذي قتله ومبدينه من قومه حذر على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمرون في قومه بهذه الكلمة فلا تحقر وامن فاهلوا لآلته وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين (فن الله عليكم) يعني بالاسلام والهداية فلا تفلتوا من قال لاله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة (فبينوا) أي ولا تجعلوا بقتل مؤمن وهونا كبذل الامر بالتبين (ان الله كان بما تعملون خبيراً) يعني فلتاقتوا في القتل وكونوا تعززون من ذلك محظطين فيه ^١ فله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باهمالهم وانفسهم) الآية (خ) عن زيد بن ثابت قال قال علي النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باهمالهم وانفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو بماله على قتل والله يارسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ونذره على نخذي فنقلت على حتى خفت ان ترض نخذي ثم سرى عنه فأنزل الله عز وجل غير أولي الضرر (ق) عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فجاءه بكف فكتبته وشكا ابن أم مكتوم ضراره فنزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفي رواية أخرى لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا غلاتنا معه الدواة والروح والكف فقال كتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يارسول الله أنا ضرير فقزت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية أخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول وأضاف الى البخاري ومسلم ولم أجده في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الآية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين المجاهدين لان العذر أقدمه عن الجهاد (م) عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالدين بقر جالاس مرتهم مسيراً ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم جسدكم المرض (خ) عن أنس قال رجعتان من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أفواجا خافنا بالدينة ما سلكنا شعبة ولا واديا الا وهما معنا جسداهم العذر (خ) عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها ^٢ وقوله تعالى (فضل الله المجاهدين باهمالهم وانفسهم على القاعدین درجة) يعني فضيلة في الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدین هنا أولي الضرر رفضل الله المجاهدين على أولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجاد بنفسه وبالجملة مع النية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة (وكلا) يعني كلا من المجاهدين والقاعدین (وعدا الله الحسنی) يعني الجنة بايمانهم (وفضل الله المجاهدين) يعني في سبيل الله على القاعدین (يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر أجرا عظيماً) يعني ثواباً جزيراً لأنهم قد بذلوا الاجر العظيم فقال تعالى (درجاتهم) قال قتادة كان يقال

الله كان بما تعملون خبيراً) يعني فلتاقتوا في القتل وكونوا تعززون من ذلك محظطين فيه (لا يستوى القاعدون) من المؤمنين غير أولي الضرر (المؤمنين غير أولي الضرر) بالنسبة مدني وشامي وعلى لابه استثناء من القاعدین أحوال منهم والجسر عن حزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدین والضرر المرض أو إعاقة من عجمي أو عرج أو زمانة أو نحوها (والمجاهدون في سبيل الله باهمالهم وانفسهم) عطف على القاعدین وفي التداوي بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوماتو يبغوا للقاعدین الجهاد ونحو يكاله عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل (فضل الله المجاهدين باهمالهم وانفسهم على القاعدین) ذكر هذه الجملة بياناً للجملة الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدین والمجاهدين كما قيل ما لهم لا يستويون فأجاب بذلك

(درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المدة من التفضل كما أنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضرب بسوطاً ونصب (وكلا) أي وكل فريق من القاعدین والمجاهدين لانه مفعول أول أقوله (وعدا الله) والثاني (الحسنی) أي المتوب بها الحسنی وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدین درجة (وفضل الله المجاهدين على القاعدین) بغير عذر (أجراً عظيماً درجات) منه ومغفرة

(يا أيها الذين آمنوا إذا ضلّ في سبيل الله) سرت في طريق الغزو (فتبينوا) (٤١٧) فتبينوا حجة وعلى وهما من التفتل بمعنى

الاستفعل أي اطلبوا بيان الامر وثبانه ولا تنهوا فيه (ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام) السلام مدني وشامي وحجة وهذا الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الاسلام (أست مؤمنا) في موضع نصب بالقول وروى أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقي مرداس لنقته باسلامه فامرأى الخليل ألقاعه الى المنعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لاله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واسعة غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة مامعه ثم قرأ الآية على اسامة (يتبعون عرض الحياة الدنيا) يطلبون الغنيمة التي هي حطام سرير النفاق فهو الذي يدعوكم الى ترك التبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سعى به لسرعة فناءه ويتبعون حال من ضمير الفاعل في تقولوا (فعند الله مغام كثيرة) يغتمكموها

كقوله خالدين فيها ابدأوا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المرام منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أن الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عند في النار الى حيث يشاء الله ثم خرج منها بقدر رحمة مكرماته قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة إخراج جميع المؤمنين من النار وقيل إن قاتل المؤمن عمدا وماذا اناب قبلت تو به بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولأن الكفر أعظم من هذا القتل وتوبه الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله فقل للذين كفروا إن يتوبوا يغفر لهم ما دس سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل أو لى والله أعلم قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا ضلّ في سبيل الله فتبينوا) الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فديك لم يسلم من قومه غيره فمعه أسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد بهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الملقب فهر بواصمنا فقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخليل خاف أن لا يكونوا مسلمين فاجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما لاحقت الخليل سمعهم يكبرون فعرف انهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكروا ونزل وهو يقول لاله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بدبيفة فقتلته واسعة غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه اراد ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كبر أنت بلاله الا الله بقلها ثلاث مرات قال اسامة فزال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر راحتي وددت أني لم أكن أسلمت اذ يومئذ كنت استغفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة وروى أبو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله أعاقلها ما خواف من السلاح فقال أولا شئت عن قلبه حتى أسلم فأطاعها خوافا ثم لافى وراية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه غنم فلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم لتعوز منكم فقاموا اليه فقتلوا وخدوا غنمه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضلّ في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتبينوا من التبت وهو خلاف الجملة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمنين من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدمون عليه (ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام) يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قاطع تعوزا فتعوزوا عليه بالسياف أخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما أظهره لكم وقرئ السلام بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم يعني واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم (أست مؤمنا) يعني لست من أهل الايمان فقتلوه بذلك قال العلماء اذ رأى الغزاة في بلاد أقر به أوسى من العرب شعار الاسلام يجب ان ينفوا عنهم ولا يغربوا عليهم لما روى عن عصام الزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ثبت جيشا وأسرى يقول لهم اذارأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فالتفتوا واحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكبر الفقهاء لوقال اليهودي أو النصراني أنؤمن لا يحكم بآيمانه لأنه يدعى أن الذي هو عليه إيمان ولو قال لاله الا الله محمد رسول الله فعذب بعض العلماء لا يحكم بآيمانه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه اعترف أنه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم أن محمد رسول الى العرب خاصة لأن رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف أن رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من التهود والنصر باطل صح اسلامه وحكم بصدقه وقوله تعالى (يتبعون عرض الخوة الدنيا) يعني يطلبون الغنيمة التي هي حطام الدينار سريرة النفاق والذهاب و عرض الدنيا ما نفعها وموتاعها (فعند الله مغام كثيرة) أي غنائم كثيرة من رزقه يغتمكموها يغتمكم بها

مكية نسخها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا الجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء وفي رواية أخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدنية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ما نال فقال المشركون وما بغى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فانزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجه في الصحيحين وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال من أين لك انها محمدة فقال ابن عباس تكاف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما زاد الا شدة وعن خارجة ابن زيد قال سمعت زيدا بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا الجزاؤه جهنم خالدافيه بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بسنة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية ثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من اينها فليست بسبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد الآية فنسخت الآية وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء والباينة آية الفرقان وذهب الاكثر من علماء السلف واختلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء المتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار واثن سلمنا انه دخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون الله - عز وجل - جزاؤه جهنم الامن تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كإكرام القتل فلو كان لم يقتل له لالتوبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تأنيبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول أهل السنة يدل عليه الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفران لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فخاروى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عباد بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تنزوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا ولا دكم ولا تاتوا بهتان فتقربوا بهن وأبدىكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فن وفي منكم فاجروا على الله ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامر الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبإيعناه على ذلك

فصل وقد تعلققت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية اصحها مذهبهم على أن الفاسق مخلد في النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقبس بن صباية فتكون الآية على هذا خصوصية وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلما كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجاز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التأبد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب لا لا يام خو البدو ذلك اطول مكثا للدوام بقائها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبد

بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري
وربيعة وابنه ذهب مالك وأجدوا أصحاب الرأي وأما دية الخطأ بخففة وهي أخس بالانفاق غير أنهم اختلفوا
في تقسيمها فذهب قوم إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وساجان بن يسار والزهري وربيعة وقال مالك
والشافعي وأبدل قوم أبناء الليث بنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وقال أجدوا أصحاب الرأي
والدية في قتل الخطأ وشبهه العمد على العاقلة وهم العصبان من الذكور ولا يجب على الجاني منه شيء لأن النبي
صلى الله عليه وسلم أوجبه على العاقلة ودية الأعضاء والأطراف حكمها مابين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة
على النصف من دية أعضاء الرجل والله أعلم **المسئلة الثالثة في حكم الكفارة** الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة
وتجيب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلماً أو معاهداً رجلاً كان أو امرأة حراً كان أو عبداً فمن لم يجد الرقبة
فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجداً للرقبة أو قادراً على تحصيلها بوجود الثمن فاضل عن
نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل إلى الصوم فان عجز عن الرقبة
أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان أفطر يوماً متعمداً في خلال الشهرين أو نسي النية أو
نوى صوماً آخر وجب عليه استئناف الشهرين وإن أفطر يوماً بعد زمرض أو سفر هل ينقطع التتابع
اختلاف العاماء فيه فذهب من قال لا ينقطع التتابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قولي
الشافعي لأنه أفطر مختاراً ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن
والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت أيام الحيض ولا ينقطع التتابع فاذا ظهرت بنت لأنه أمر
كتبته على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينقل عنه إلى الطعام فيقطع ستين
مسكيناً فيه قولان أحدهما أنه ينتقل إلى الطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لأن الله تعالى لم يذكره
بدلاً لقتل فسيام شهرين متتابعين تو بقى من الله فقص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطأ والله أعلم
بقوله عز وجل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم) نزلت في مقيس بن صابية السكناني وكان قد أسلم
هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاماً مقيلاً في بني الجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني فهر إلى بني النجار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان
علمتم قاتل هشام بن صابية ان تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتص منه وإن لم تعلموه ادفعوا إليه دية فبلغهم
الفهرى ذلك فوالوا سمعوا وطاعة لله ورسوله ما نعلم له قاتلاً ولا مكاناً أدى إليه دية فاعطوا مائة من الابل فأنصرفا
راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال له تقبل دية أخيك لتكون عليك سبة أقتل
الفهرى الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيراً
من الابل وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافر وأقال في ذلك

قلت به فهر وأجلت عقوبته * سرقة بني النجار بأب قارح

وأدركت ناري واضطجعت موسدا * وكنت إلى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمناً متعمداً يعني قاصد القتل جزاؤه جهنم (خالد فيها) يعني بكفره وارتياده وهو
الذي استناده النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بمن آمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بإستار الكعبة
(وغضب الله عليه) يعني لأجل كفره وقتله المؤمن متعمداً (واعنه) يعني وطرد من رحمة (وأعدله عذاباً
عظيماً) اختلاف العلماء في حكم هذه الآية هل هي منسوخة أم لا وهل ابن قتل مؤمناً متعمداً يؤبى أم لا فروى
عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس ألمن قتل مؤمناً متعمداً من تو به قال لا فتوبت عليه الآية التي في
الفرقان والذين لا يدعون مع الله الهاً آخرون لا يقتلون النفس التي حرم الله الإلحاق إلى سخر الآية قال هذه آية

(ومن يقتل مؤمناً متعمداً)
حاله من ضمير القاتل أي
قاصد اقتله لا يمانه وهو
كفر أو قتله مستحلاً لقتله
وهو كفر أيضاً (جزاؤه
جهنم خالد فيها) أي ان
جازاه قال عليه السلام هي
جزاؤه ان جازاه والخلود
قد يراد به طول المقام وقول
المستزلة بالخروج من
الاعيان يخالف قوله تعالى
يأيها الذين آمنوا كتب
عليكم لقصاص في القتلى
(وغضب الله عليه واعنه)
أي اتقم منه وطرده من
رحمته (واعده عذاباً
عظيماً) لا ارتكابه أمراً
عظيماً وخطباً جسيماً في
الحديث لزوال الدنيا
أهون على الله من قتل
امرئ مسلم

صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة (توبة من الله) يعني جعل الله ذلك توبة تقابل الخطأ (وكان الله عليما)
يعني عن قتل خطأ (حكيا) يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

وفصل في أحكام متعاقب الآلة وفيه مسائل **المسئلة الاولى** في بيان صفة القتل **قال الشافعي** القتل على ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ **أما العمد** المحض فهو أن يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فتدل به ففيه القصاص عند وجود التاكافؤ أو دية حالة مغفلة في مال القاتل وأما شبه العمد فهو أن يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالبا مثل أن يضربه بعصا خفيفة أو رماء بحجر صغير فات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغفلة على عاقبته. **ووجهه** إلى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو أن لا يقصد قتل به قصد شيئا آخر فإصابته فوات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقبته. **ووجهه** إلى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ أيضا أن يقصد رمي مشترك أو كافر فيصيب مسلما أو يقصد قتل انسان ينظره مشركا بان كان عليه لباس المشركين أو شهادتهم فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد **المسئلة الثانية** في حكم الديات **فدية الحر** المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول وفي قول بدل

مقدر وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم و بدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب بمئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة ألبي شاة وعلى أهل الخيل مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فزبرهم فاجارفع من الدية اخرجه أبو داود وذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحرة ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا الخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك ابن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد والاصل في ذلك ما روى عن حمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب الى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فثبت على أصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغفلة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة في بطونها ولأدها هذا قول عمرو بن زيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى أولياء القتول فان شاؤوا فقتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة وما صولحو عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الاوان قتل العمد بالسوط والعصا والحر مائة من الابل أربعون خلفة إلى بازل علمها كاهن خلفة وفي رواية أخرى أن كل قتل خطأ العمد أو شبه العمد قتل السوط والعصا مائة من الابل فيها أربعون خلفة ولأدها أخرجه النسائي وذهب قوم الى أن الدية لمخاطبة أربع وخمسون وعشرون

توبة من الله) قبولان
الله ورحمة منه من تاب الله
عليه اذا قبل توبته يعني شرع
ذلك توبة منه أو فليتب
توبة فهي نصب على المصدر
(وكان الله عليما) بما أمر
(حكيا) فيما قدر

من غير قصد بان يرى كافر اقصي مسلم أو يرى شخصاً على انه كافر فاذا هو مسلم (ومن قتل مؤمناً خطأ) صفة مصدر محذوف أى قتلاً خطأ (فتحرر برقبة) مبتدأ والخبر محذوف أى فعلية تحرر برقبة والتحرر بالاعتاق والخروا العتيق الكرم لان الكرم فى الاحرار كان اللوم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامته والرقبة النسمة وبعبر عنها بالراس فى قولهم فلان بك كذا راساً من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفسم مؤمنة من جلة الاحياء لزمه أن يدخل نفساً مثلها فى جلة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاجائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق اثر من آثار الكفر والكفر موت حكماً (٤١٣) أو من كان ميتاً فاحييناه ولفظ مانع من تصرف الاحرار وهذا

مشكل اذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضاً لکن يحتمل أن يقال انما وجب عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفساً مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فوجب عليه مثلاً رقبة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) ودية الى ورثته يقتسموها كيف قسمون الميراث لافرق بينها وبين سائر التركة فى كل شئ فيقتضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث ففي بيت المال وقد وردت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم لکن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الان يصدقوا) الان يصدقوا عليه بالدية والتقدير ف عليه دية فى كل حال الا فى حال التصديق عليه (فان كان من قوم عدو لکم) فان كان القاتل خطان

نزلت فى عياش بن أبى ربيعة الخزرجي وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم مات فان يظهر اسلامه لاهله فخرج هار بالى المدينة ويخصن فى أطعم من أطامها والاطم الحصن فخرجت أمه لذلك بجوعاش يد اوقات لابنها الحرب وأبى جهل ابني هشام وهما أخو عياش بن أبى ربيعة لاهله لا يظننى سقوف ولا أذوق طعاماً ولا شراحتي تأتيني به فخرجاني طلبه وخرج معهم الحرب بن زيد بن أبى أنيسة حتى أتوا المدينة فأتوا عياشاً وهو فى الاطم فقالوا لازل فان أمك لم يأتوها سقوف بعدك وقد حلفت لاتأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأثقروا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة وأوثقوه بفسحة وجماده كل واحد منهم مائة جيلة ثم قدموا به على أمه فلما أهاقها فلأحلب من وثاقك حتى تكفر بالذى أكنت به ثم تركوه موثقاً الشمس مشاء الله فاعطاهم الذى أرادوا فافاء الحرب بن زيد فقال يا عياش أهدنا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد ترك الهدى وأئن كان ضلالة فقد كنت عليها فغضب عياش من مقال وقال والله لألذأك خابلاً الا قتلتك ثم ان عياشاً اسلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرب بن زيد من بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابس عياش حاضر ابومثولم يشعر باسلامه فينادى عياش يسير بظهر قباء اذ انى الحرب فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أى شئ صنعت انه قد أسلم فخرج عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه كان من أمرى وأمر الحرب ما قد علمت وأنى لم أشعر باسلامه حتى قتله فقول وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة وما كان له بسبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فى آثامه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لکن ان وقع خطأ فتححرر برقبة وقيل معناه ما كان مؤمناً أن يقتل مؤمناً البتة الا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشئ من غير قصد وتعمد (ومن قتل مؤمناً خطأ فتححرر برقبة مؤمنة) يعنى فعلية اعتاق رقبة مؤمنة كفارة (ودية مسلمة الى أهله) أى وعليه دية كاملة مسلمة الى أهل القاتل الذين يرثونه (الأن يصدقوا) يعنى الآن يصدق أهل القاتل على الدية ويعفوا عنه (فان كان) يعنى المقتول (من قوم عدو لکم وهو مؤمن فتححرر برقبة مؤمنة) أراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منقرض قوم كفار فقتله لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسالماً فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار وأهل الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرب بن زيد من قوم كفار سرح للمسلمين فكان فيه الكفارة وتححرر برقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد (وان كان من قوم ينسکم و بينهم ميثاق) أى عهد (فدية مسلمة الى أهله وتححرر برقبة مؤمنة) يعنى انه اذا كان المقتول كفراً معاهداً أو ذمياً فتجب فيه الدية والكفارة (فن ليحبد) يعنى الرقبة (فصيام شهرين متتابعين) أى فعلية

قوم اعداء لکم أى كفره فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) أى المقتول (ومن فتححرر برقبة مؤمنة) يعنى اذا اسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر اليها فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤتمنهوى الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة القومية بالدار ولم توجد (وان كان) أى المقتول (من قوم ينسکم) بين المسلمين (و بينهم ميثاق) عهد (فدية مسلمة الى أهله وتححرر برقبة مؤمنة) أى وان كان المقتول ذمياً فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على ان دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا (فن ليحبد) رقبة أى لم يكسها ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين) فعلية صيام شهرين متتابعين

(أرجاؤكم) عطف على صفة قوم أي الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم يحكمين عن القتال لاسم ولا عليكم أو على صلة الذين أو الذين يصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم (حصرت صدورهم) حال باضمار وقد أحصر الضيق والاقتراب (أن يقاتلواكم) أي عر أن يقاتلواكم عن قتالكم (أو يقاتلواكم) (١٢) قومهم) معكم أو إساءة الله لسلطهم عليكم) شقوية قلوبهم وازالة الحصر عنهم (فقاتلواكم) عطف

وقيل هم خزاعة والمعنى أن من دخل في عهد من كان داخلًا في عهدكم فهم أيضا داخلون في عهدكم (أرجاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل أن يكون عطفًا على الذين وتقديره الذين يصلون بالمعاهدين أو يصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقاتلوهم وقيل يحتمل أن يكون عطفًا على صفة قوم وتقديره الذين يصلون إلى قوم ينشكروهم عهدها ويصلون إلى قوم حصرت صدورهم فلا تقاتلوهم ومعنى حصرت أي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لأنهم أقرابهم وهم بنو مدج وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قرى بشأن لا يقاتلوهم (أن يقاتلواكم) يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم لله الذي ينشكروهم بينهم (أو يقاتلوا قومهم) يعني من آمن منهم وقيل معناه أنهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم وقاتل معكم قوم هلال الاساميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين إذا اتصلوا بأهل عهد المسلمين لأن من انضم إلى قوم ذوى عهد فله حكمهم في حق الدم وذلك أن الله تعالى أوجب قتال الكفار الأمن كان معاهداً أو لجالاً معاهداً وترك القتال لأنه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فاقول بالسنخ لازم لأن الكفار وان ترك القتال فقتل جاز وقيل جماعة من المفسرين معاهدة المشركين ومواعتهم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لأن الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله أمر أن لا يقبل من مشرك العرب إلا الاسلام وألقت (ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلواكم) بذكر الله تعالى منته على المسلمين بكسب المعاهدين وذلك لما أتى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط هنا شقوية قلوبهم عن قتال المسلمين ولكن قذف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين (فان اعزواكم) يعني فأن اعزواكم عن قتالكم (فلم يقاتلواكم) ويقال فلم يقاتلواكم يوم فتح مكة مع قومهم (والقوا اليكم السلم) يعني الاتياد والصلح فأتوا واستسلموا (فاجعل الله لكم عليهم سبيلاً) يعني بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا منسوخ بآية القتال وهي قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لأنها داخلناها في المعاهدين فكيف يمكن أن يقال إنهم منسوخة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ستجدون آخرين) قال ابن عباس هم أسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكاملوا بكلمة الاسلام رباهم وغير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أمنت يقول أمنت بالقرى والعرب واخففوا وأذلقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم اتنا على دينكم يريدون بذلك الأمن من الفريين وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة (يريدون أن يامنواكم) يعني يريدون بظاهر الإيمان أن يامنواكم فلا تعرضوا لهم (و يامنوا قومهم) يعني بظاهر الكفر فلم ياتعروضوا لهم (كلما ردوا إلى الفتنة) يعني كل دعوا إلى الشرك (أركسوا فيها) أرجعوا إلى الشرك وقادوا إليه منكوسين على رؤسهم فيه (فان لم يعزواكم) يعني فأن لم يكفوا عن قتالكم حتى سيروا إلى مكة (وبلقوا اليكم السلم) أي ولم يلقوا السلم ولم يكفوا عن قتالكم (خذوهم) يعني أسرى (واقبلوهم حيث تقفتموهم) يعني حيث أدركتموهم (وأولئك) يعني أهل هذه الصفة (جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هي ظهور عدائهم وانكشف حالهم بالكفر والعداوة ﴿ قوله تعالى ﴾ (وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ) الآية

على لسلطهم ودخول الام للأكيد (فان اعزواكم) فأن لم يعرضوا لكم (فلم يقاتلواكم) والقوا اليكم السلم) أي الاتياد والاستسلام (فاجعل الله لكم عليهم سبيلاً) طريقاً إلى القتال (ستجدون آخرين) يريدون أن يامنواكم (بالنفاق) (و يامنوا قومهم) بالوفاء هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أساموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكذوا عهودهم (كلما ردوا إلى الفتنة) كل دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين (أركسوا فيها) فلبوا فيها أقبض قلبوا واشعنه وكانوا شرابها من كل عدو (فان لم يعزواكم) فأن لم يعزواكم قتالكم (وبلقوا اليكم السلم) عطف على لم يعزواكم أي وان لم يتقادوا لكم بطلب الصلح (وكيفوا أيديهم) عطف على أيضاً أي ولم يكفوا عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث تقفتموهم) حيث تمكنتهم منهم وظفرتمهم (وأولئك

جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) حجة واضحة لظهور عدائهم وانكشف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو لسلطان ظاهر أراحت أنالكم في قتلهم (وما كان المؤمن) وما صح له ولا استقام ولا يباح له (ان يقتل مؤمناً) ابتداء من غير قصاص أي ليس المؤمن كالكافر الذي تقدم اباحته (الا خطأ) الاعلى وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أي لكن ان وقع خطأ ويحتمل أن يكون صفة لصدراى الاقل خطأ والمعنى من شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ

(والله أركسهم) ردهم الى حكم الكفار (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحقوهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا في كفرهم أتريدون أن تهمدوا أن تجعلوا من جلة المهتدين (من أضل الله) من جهله ضالوا (٤١١) أتريدون أن نسموهم مهتدين وقد

أظهر الله ضلالهم فيكون تعبيراً لمن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنافي اثبات الكسب للعبادة والخلق للسرب جلت قدرته (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) طريقاً الى الهداية (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الكاف نف مصدر محذوف وما مصدرية أي ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (فتكونون) عطف على تكفرون (سواء) أي مستويين أنتم وهم في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام (فان تولوا) عن الإيمان (نخذوهم) واقتلوهم حيث وجدتموهم كما كان حكم سائر المشركين (ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون الى قوم) أي يتهون بهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله نخذوهم واقتلوهم دون الموالة (ينسبكم) (و بينهم ميثاق) القوم هم المسلمون كان بينهم

اتهامية تنفي الرجال كما ينفي الكبر خبت الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة وأسألوهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة لياً توبيعاً لهم فيها خرجوا وأقاموا بمكة فاختلاف المسلمون فهم فقال يقولهم منافقون وقال يقولهم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة وأسألوهم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتزهدين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اناعلى الذي فارقتك عليه من الايمان ولكنك اجتو بنا المدينة واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم وياخذنا معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقال طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهي أحد الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن ساهل المنافق لما نكحهم في حديث الافك ومعنى الآية فالكماء عشرين في المنافقين فثنين أي صرتم في أمرهم فرقتين فرقة تدب عنهم وفرقة تباينهم وتعادهم فهى الله الفرقة الذين يذنبون عنهم وأمر المؤمنين جميعاً أن يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبرؤ منهم ثم أخبر عن كفرهم بقوله (والله أركسهم) يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى أحكام الكفار (بما كسبوا) أي بسبب ما كسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما أظهره من الارتداد بعدما كانوا على النفاق (أتريدون أن تهمدوا من أضل الله) هذا خطاب للغة التي دافعت عن المنافقين والمعنى أتبغون أي المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى (ومن يضل الله) يعني عن الهدى (فان تجد له سبيلاً) يعني فلن تجد له طريقاً يهتدي فيها الى الحق والهدى ﴿ قوله تعالى (ودوا) يعني تخفى أولئك الذين رجعوا عن الإيمان الى الارتداد والكفر (لو تكفرون) يعني تكفرون أنتم بامعشر المؤمنين (كما كفروا فتكونون سواء) في الكفر (فلا تتخذوا منهم أولياء) يعني من الكفار منع المؤمنين من موالائهم (حتى يهاجروا) يعني يسلموا أو يهاجروا (في سبيل الله) معكم وهي هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه الاولى هجرة المؤمنين في أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تخلصين صابرين محسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ماني الله عنه بقوله (فان تولوا) يعني فان أعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الإقامة على الكفر (نخذوهم) الخطاب للمؤمنين أي نخذوهم أي المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) يعني أين وجدتموهم في الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم ولياً) يعني في هذه الحالة (ولا نصيراً) يعني ينصركم على أعدائكم لانهم أعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى (الا الذين يصلون الى قوم ينسبكم وبينهم ميثاق) هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينسبون اليهم أو ينتمون اليهم أو يدخلون معهم بالحق والجوار وقال ابن عباس يريد بيلجئون الى قوم ينسبكم وبينهم ميثاق أي عهدوهم المسلمون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم الجوار مثل ما هلال روى رواية عن ابن عباس قال أراد باقوام الذي ينسبكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مذاة كانوا في الصلح والهدنة

وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع قبل خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى أهلال وانتجأ اليه فله من الجوار مثل الذي هلال أي فاقتلوهم الامن اصل يقوم ينسبكم وبينهم ميثاق

جالت في مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذ لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن أمية بنت زيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفي رواية الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوم أو عصبة من النساء فوقفوا في يده بالسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فإن كانت جيلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترددها عليه لأنه لم يستحق الردوان كانت عجوز لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها أو ترددها عليه وحكم النساء مع النساء حكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعض **المسئلة الرابعة** في الأحوال التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول أو يتغوط أو يجامع أو نحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر أن رجلا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذي إنما يكره إذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل إن كانوا متزينا بالماء زرسلم عليهم والأفلا ويكره التسليم على النائم والباس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة والأذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام في حال الخطبة لأن الجالس من أمور رونا بالانصات للخطبة ويكره أن يبدأ ألبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء **المسئلة الخامسة** في حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى **اختلاف العلماء** فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا يجوز ابتداءهم بالسلام وقال بعضهم أنه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام واذا القيم أحدكم في طريق فاضطروه إلى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودي أو نصراني على مسلم فبرده عليه ويقول عليك بغير وأرأعطف لما روى عن أنس أن يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصعبه فقال السلام عليك فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا والله ورسوله أعلم سلم يا بني الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا رده على فردوه فقال قلت السلام عليك قال نعم يا بني الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت أخرجه الترمذي فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لا تاجب عليهم في الدعاء ولا يجابون عليه ما يدل على ذلك ما روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السلام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وأنا تاجب عليهم ولا يجابون عليه أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم يسمعون ويرونهم ويصدقونهم بسلامة المسلمين لما روى عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جناس فيه أسلخا من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذي **قوله عز وجل (الله لا اله الا هو ليجمعنكم)** هذا لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القيور **(الى يوم القيامة)** يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامه لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزات هذه الآية في منكرى البعث **(لارب فيه)** يعني لاشك في ذلك اليوم أنه كائن (ومن أصدق من الله حديثا) يعني لا أحد أصدق من الله فإنه لا يخلف الميعاد ولا يجوز زعاليه الكذب والمعنى ان القيامة كاذبة لاشك فيه ولا ريب **قوله عز وجل (فالكم في المناققين فثنين)** اختلغا في سبب نزول هذه الآية فبيل نزات في الذين تخلفوا ويوم أحد من المناققين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم يا رسول الله فأنهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فأنهم قد تكلموا بكلمة الاسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجوع ناس عن خرج معه فكان أعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فثنين قالت فرقة نقتلهم وقات فرقة لا تقتلهم فنزات في السالك في المناققين فثنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمون وفثنين حال

الطعام وصلوا الارحام وصلوا الناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن أبى
أمامة قال أمرنا نينا صلى الله عليه وسلم أن نقضى السلام أخرجه ابن ماجه
﴿فصل فى أحكام تتعلق بالسلام﴾ وفيه مسائل ﴿المسئلة الأولى فى كيفية السلام﴾ (ق) عن أبى
هريرة عن النبی صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر
من الملائكة جلوس فاستمع ما يحبونك به فأنها تحيتك وتحية ذرتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام
ورحمة الله فرأوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يتدعى بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فيأتى بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحد أو يقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى
بواو العطف فى قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبی صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله
فرد عليه جلس فقال عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه جلس فقال ثلاثون
أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل إذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب
وعليكم السلام ورحمة الله فيرده ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته فيرده وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه السلام بمثله ولا يرد عليه ويرد
أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس إن السلام
انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام لسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون
الرد على الفور فإن أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد ﴿المسئلة الثانية فى حكم السلام﴾ الابتداء
بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم
ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا
وفيه نظر لأن شتمت العاطس سنة على الكفاية أيضا كالسلام ولو دخل على جماعة فى بيت أو مجلس أو
مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضر من أقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب أو
يكون ذلك سنة متما كدفعه لأن السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهارها وبنّا كداستحبابها أما الرد
على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه وبدل عليه قوله تعالى وإذا حيتهم بتحية فحيوا باحسن منها وأوردوها
والامر للوجوب لأن فى ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فإن كان المسلم عليه واحد وجب عليه
الرد وإذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفاية فلور دواحد منهم سقط فرض الرد عن الباقيين
وان تركوه كلهم أمروا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبی صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة
إذا أمر وأن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود ﴿المسئلة الثالثة فى آداب
السلام﴾ السنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والليل على الكثير والصغير على
الكبير (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على
القاعد والليل على الكثير وفى رواية للبخارى قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والليل على
الكثير وإذا تلاقى رجلان قالبتدعى بالسلام هو الأفضل لما روى عن أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذى ولفظه قال قيل
يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال ولاهما بالله قال الترمذى حديث حسن ويستحب
أن يبدأ بالسلام قبل السلام والحاجة والسنة إذا أمر بجماعة صغار أن يسلم عليهم لما روى عن أنس
أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلها أخرجه فى الصحيحين وفى رواية
لابن داود أن النبی صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فإن كن جمعا

(والله أشد بأساً)، من قرئ (وأشد تكليلاً) تعذيباً وهو غير كياساً (من يشفع شفاعة حسنة) هي الشفاعة في دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعاً (يكن نصيب منها) من ثواب الشفاعة (ومن يشفع شفاعة سيئة) هي خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما ما لها مفسر غيري معناه من أمر بالتوحيد وقال أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المني بالصلح وضده النميمه (يكن له كفل منها) نصيب (وكان الله - تعالى - في كل شيء مقبلاً) مقتدران. أفاضت على الشيء اقتدر عاياً وحفظاً من القوت لأنه بمسك النفس ويحفظها (وإذا احتيم) أي سلم عليكم فإن التحية في دينا (٤٠٨) بالسلام في الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه

فعل وذلك أن بأساً فيان بداله عن القتال فلم يخرج إلى الموعد (والله أشد بأساً) أي أعظم صولة (وأشد تكليلاً) يعني وأشد عذاباً وعبوبة من غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ (من يشفع شفاعة حسنة يكن نصيب منها) الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير الإنسان بنفسه شفيعاً لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة إلى المشفوع إليه فعلى هذا قيل إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعة الإنسان أخيه ليجلب له بشفاعته نفعاً ويخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الإصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يهرش شفعا لوزير صاحبك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن نصيب منها أي حظا ومن أجز شفاعته وهو ثواب الله وكرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) قيل هي النميمه ونقل الحديث لابقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين (يكن له كفل) أي نصف وقيل نصيب (منها) أي من وزرها (وكان الله على كل شيء مقبلاً) قال ابن عباس يعني مقتدر أو مجاز يا وأفاضت على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كفت الشر عنه * وكنت على إساءته مقبلاً

يعني قادر على الإساءة إليه وقيل معناه شاهد أو حفيظاً على الأشياء (ق) عن أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على رجل يسأل فأقبل عليهما بوجهه وقال اشفعوا تؤجر أو يقضى الله على لسان رسوله ما شاع وفي رواية كان إذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجر واودى كره ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وإذا احتيمت بتحية غيوا باحسن منها) التحية نقلة من حيوا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجاً عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا وفي الآخرة والصحة أن يقال حياك الله أي جعل لك حياة وذلك إخبار فخيم جعل دعاء وهذه المأفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الإسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني إذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وأما الاختير لفظ السلام على لفظه حياك الله لأنه أتم وأحسن وأكمل لأن معنى السلام السلامة من الآفات فإذا دعا الإنسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة متقصصة وإذا كان في حياته سليماً كان أتم وأكمل فلذا السبب اختير لفظ السلام (أوردوها) يعني أوردوا عليه كإسلام عليكم (إن الله كان على كل شيء حسيباً) يعني محاسباً ومجازياً والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام عنه أو باحسن منه مجاز

﴿ فصل في فضل السلام والحث عليه ﴾ (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير قال طعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله أي الإسلام خير معناه أي خصال الإسلام خير (م) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولئك على عني إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا

سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أي أطال الله حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام (بتحية) هي نقلة من حياحي تحية (خيوا با) حسن منها) أي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وزيدوا بركانه إذا قال ورحمة الله يقول لسان

شيء منتهى ومنتهى السلام وبركانه (أوردوها) أي أجيوبها بمثلها ورد السلام جوابه بمثلها لأن المحيب رد قول المسلم وفيه حذف مضاف أي ردوا مثلها والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهراً أو رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والأقامة عند أبي يوسف

رحمه الله لا سلم على لاعب الشطرنج والزند والمغني والقاعد حاجته ومطير الحمام والعاري من غير عتري في حمام أو غيره وسلم الرجل إذا دخل على امرأته والمأشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على ركب الجمار والصغير على الكبير والافق على الأكثر وإذا التقى ابتدرا وقيل باحسن منها الاله المأشورة وردوها لاهل الذمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السلام عليكم وقوله عليه السلام لا غراني تسليم أي لا يغال عليكم بل عليكم لان كانيه معه (إن الله كان على كل شيء حسيباً) أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها

(لعلمه) لهم تدبيراً أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدبيره بفتحهم وتجارهم ومعرفتهم بالو الحرب ومكايدها وقيل كانوا يفتقون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشاره فينبغيه فيفسر فينبغ الأعداء فتموا إذا دعاهم فمفسدة ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه (٤٠٧) اللهم وكانوا كأن لم يسمعوا العلم

الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يتون ويذرون فيه والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراج فاعته بياض جره الرجل بفضل ذلك كائنه وسفاه ذهنه وفتنته من المعاني والتدبر فبعضهم يقول استنبط الفقيه المسئلة إذا استخراجها بجاهده رفهم وفي الآية دليل على جواز القياس وإن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهم ما ومعنى الآية ولأن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الأمر من الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم المعلوم حقيقة ذلك منهم وأنهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم ﷺ قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم بعبه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحته بالتوفيق والهداية (لأنتم الشيطان) يعني لبقيتهم على الكفر والضلالة (الأقايلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء إلى ما ذكره فقيهل هو راجع إلى الإذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به الأقايلا فخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الإذاعة لأنهم لم يدعوا ما علموا من أمر السر أبوا هذا القول اختياراً والقرآن وابن جرير الطبري وقيل هو راجع إلى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الأقايلا في هذين القولين في الآية تقدم وتأخير وقيل أنه راجع إلى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعهم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه يتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد وتقديره ولو لا فضل الله عليكم ورحته لأنتم الشيطان الأقايلا لم تنكسكم وهم قوم آمنوا واحتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل الذين عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الأيادي ﷺ قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكافل نفسك) نزلت في مواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد موسم بدر الصغرى بعد حروب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج فذكره بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاك للدعوى ولا تتصالح للمستضعفين من المؤمنين لا تكافل نفسك يعني لا تكافل فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحده فان الله ناصر لك الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يتخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه في الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده ولولم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج إلى قتلهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد وروغهم في الثواب وليس عليك في شأنهم إلا التعريض بحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أي هل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني هل الله أن يمنع بأس الكفار وشدهم وقد

حسب الظاهر ولأن المنافقين كانوا يظنون الإيمان فأنادوا إلى أولى الأمر منهم (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي يستخرجون تدبيره بكائهم وفتنتهم وتجارهم ومعرفتهم بأمور الحرب وما ينبغي لها وما مكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الأمور وما ينبغي أن يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراج فاعته بياض جره الرجل بفضل ذلك كائنه وسفاه ذهنه وفتنته من المعاني والتدبر فبعضهم يقول استنبط الفقيه المسئلة إذا استخراجها بجاهده رفهم وفي الآية دليل على جواز القياس وإن من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهم ما ومعنى الآية ولأن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الأمر من الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم المعلوم حقيقة ذلك منهم وأنهم أولى بالبحث عنه فانهم أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم ﷺ قوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحته) يعني ولو لا فضل الله عليكم بعبه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحته بالتوفيق والهداية (لأنتم الشيطان) يعني لبقيتهم على الكفر والضلالة (الأقايلا) اختلف العلماء في هذا الاستثناء إلى ما ذكره فقيهل هو راجع إلى الإذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به الأقايلا فخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الإذاعة لأنهم لم يدعوا ما علموا من أمر السر أبوا هذا القول اختياراً والقرآن وابن جرير الطبري وقيل هو راجع إلى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الأقايلا في هذين القولين في الآية تقدم وتأخير وقيل أنه راجع إلى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعهم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه يتصل به أولى من صرفه إلى الشيء البعيد وتقديره ولو لا فضل الله عليكم ورحته لأنتم الشيطان الأقايلا لم تنكسكم وهم قوم آمنوا واحتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل الذين عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الأيادي ﷺ قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكافل نفسك) نزلت في مواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد موسم بدر الصغرى بعد حروب أحد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج فذكره بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاك للدعوى ولا تتصالح للمستضعفين من المؤمنين لا تكافل نفسك يعني لا تكافل فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحده فان الله ناصر لك الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يتخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه في الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لأن الله تعالى أمره بالقتال وحده ولولم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج إلى قتلهم ولو وحده (وحرض المؤمنين) يعني حضهم على الجهاد وروغهم في الثواب وليس عليك في شأنهم إلا التعريض بحسب لا التعنيف بهم (عسى الله) أي هل الله (أن يكف بأس الذين كفروا) يعني هل الله أن يمنع بأس الكفار وشدهم وقد

خرج ومعهما الاسبيعون ولولم يبقعه أحد فخرج وحده (وحرض المؤمنين) وما عليك في شأنهم إلا التعريض على القتال بحسب لا التعنيف بهم (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي عطشهم وشدهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كناية عن غير ان اطاع الكفرهم أعود من إنجاز اللشم

(والله يكتب ما يبيتون) يشتهى بهما أعمالهم ويجازيهم عليه (فاعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالاتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينقم لك منهم اذ قورى أمر الاسلام (وكنى بالله وكلا) كفيما لم توكل عليه (أولاً يتدبرون القرآن) أولاً يتأملون في معانيه ومعانيه والتدبر التأمل والنظر في ادبار الامر وما يؤل الىه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا يراد

وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل ويتوذكرون ذلك القول لخصهم بالذكر (والله يكتب) أى يشهد ويحفظ عليهم (ما يبيتون) يعنى ما يزورون ويفكرون ويتدبرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق (فاعرض عنهم) أى لاتعاقبهم بالمجد ولا تحدث نفسك بالاتقام منهم وخالفهم في ضلالتهم فامتنع منهم وقيل لاتعترضهم بالاسلامهم (وتوكل على الله) أى فوض أمرك الى الله في شأنهم فإن الله يكفيك أمرهم وينقم لك منهم (وكنى بالله وكلا) يعنى ناصر لك عليهم قوله عز وجل (أولاً يتدبرون القرآن) أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكير في ادبارها ثم استعمل في كل تفكير وتأمل يقال تدبر الشئ أى نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكير في حكمه وتبصره فيه من الآيات قال ابن عباس أولاً يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواظم والذكر والامر والنهي وان أحدا من الخلق لا يدبر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي عجز الخلق عن الاتيان بمثله في أسأله الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطالع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين واخبارهم وما يأتى في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) قال ابن عباس يعنى تفاوتوا وتناقضوا في رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كتب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافاً كثيراً لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وإذا كان كذلك ثبت انه من عند الله والله ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أولاً يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وانما يكون من عند غير الله لخالجوع تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بالاعلام سواء في قوله تعالى (واذ اجاءهم أمر من الامن وأخوف أذعوا به) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاغلبوا وأغلبوا وبادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم يعنى المنافقين أمر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنجه وأخوف يعنى القتل والهزيمة أذعوا به أى أفضوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر أذاع به في الناس حتى كأنه * بعلياء ناراً وقد بتقوب (ولورده) يعنى الامر الذي تحدثوا به (الى الرسول) يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره (والى أولى الامر منهم) يعنى ذوى العقول والرأى والبصرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأتى بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على

وسلم والامام المصوم ويدل على صحة القياس وتلى بطلان التقليد (ولو كان من عند غير الله) كما زعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) أى تناقضاً من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحریم أو تفاوتاً من حيث البلاغة فكان بعضه بالغاً في الإعجاز وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته أو من حيث المعاني فكان بعضه اخباراً بغيب قد روافق الخبر عنه وبعضه اخباراً تخالفاً للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دال على معنى فاسد غير ملتزم وأما تعاق الملهدة بآيات يدعون فيها الاختلاف كثيراً من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كنهها جان فور بك لسانهم أجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فقد نقصى عنها أهل الحق وستجد لها مشروفاً في كتابنا هذا في مظهرها ان شاء الله تعالى

(واذا جاءهم أمر من الامن وأخوف) هم ناس من ضفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال (أذاعوا به) أشاعوا به (ولورده) أى ذلك الخبر (الرسول) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولى الامر منهم) يعنى كبار الصحابة البصرة بالبلاء ورأى الذين كانوا يأمرونهم حسب

الحسنة قالوا لانهذه وان تصهم سبعة يطربوا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب وسماها بقدر
عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلهما فبطل
بهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآلة على ما يقول أهل القدر لقال ما أصبت من حسنة وما أصبت من
سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة تجرت بقول الانسان أصابني خيرا ومكروا وأصبت حسنة أو سيئة وقيل
في معنى الآية ما أصابك من حسنة أى النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله ما أصابك من سيئة
أى من قتل وهزيمة يوم أحد فمن نفسك أى فبذنبك وهو مخالفتهم بإيك فان قلت كيف وجه
الجمع بين قوله تعالى كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل
العبد في هذه الآية قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله
تعالى هو خالقها ووجدناها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله
بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مضت
فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان المرض هو الله تعالى وقيل هذه
متصلة بما قبلها وفيه اضرار وتقدير وتأخير تقديره فلو شاء القوم لا يكادون يفقهون حديد بنو يقولون
ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانبارى في معنى
الآية ما أصابك الله به من حسنة وما أصابك به من سيئة فانفصلان واجعا ان الى الله تعالى ﴿ قوله تعالى
(وأرسلناك للناس رسولا) ﴾ يعنى وأرسلناك بالحمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتى وأرسلناك به
ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهودي ا أنت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم (وكفى
بالله شهيدا) يعنى على ارسالك للناس كافة فما يذنبى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى
بالله شهيدا على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله
قوله عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أعصى فقد أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى من يربهم باقائل هذه الآية من يطع الرسول يعنى أى أمر به ونهى عنه فقد
أطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو أمر بها وقال الحسن جعل الله
طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة الله وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعى ان كل فرضية فرضها
الله في كتابه كالخروج للصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كنا نعرف كيف
نأتيها ولا كان يمكن اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت
طاعته على الحقيقة طاعة الله (ومن تولى) أى أعرض عن طاعته (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعنى حافظا
تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية
القتال ﴿ قوله تعالى (و يقولون طاعة) ﴾ نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقتك فرائنا فمرك طاعة أى أمرنا رشا تناطاعة (فاذا برزوا من عندك)
أى خرجوا من عندك (بيت طائفة منهم غير الذى تقول) التبيين كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر مبيت
اذا در بليس وقضى بليل فقد مبيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمر بالليل غير الذى أعطواك بالناهار من
الطاعة وقيل معنى بيت غيرو بدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فبلى هذا يكون
التبيين بمعنى التبدل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبيين في قوله منهم وكامة من التبعيض لانه تعالى
علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصبر على النفاق والذي كر

وايس اليك الحسنة والسيئة
(وكفى بالله شهيدا) بانك
رسوله وقيل هنا متصل بالاول
أى لا يكادون يفقهون
حديثا يقولون ما أصابك
وجعل المعترلة الحسنة
والسيئة في الآية الثانية
على الطاعة والمعصية
تصف بين وقد نادى عليه
ما أصابك اذ يقال في الافعال
ما أصبت ولا نهم لا يقولون
الحسنات من الله خلقا
وايجادا فاني يكون لهم حجة
في ذلك وشهيدا تمييز (من
يطع الرسول فقد أطاع الله)
لانه لا امر ولا ينهى الا بما
أمر الله به ونهى عنه فكانت
طاعته فى وأمره ونواهيه
طاعة لله (ومن تولى) عن
الطاعة فأعرض عنه (فما
أرسلناك عليهم حفيظا)
تحفظ عليهم أعمالهم
وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
(ويقولون) ويقول
المنافقون اذا أمرتهم بشئ
(طاعة) خبر مبيتا محذوف
أى أمرنا رشا تناطاعة
(فاذا برزوا) خرجوا (من
عندك) بيت طائفة منهم
زور وسوى فيه ومن
البيتوته لانه قضاء الامر
وتدبيره بالليل أو من أيات
الشعر لان الشاعر يدبرها
ويسويها بالادغام حزة
وأوبعرو (غير الذى تقول)

خلاف ما قلت وما أمرت به وأخلاف ما قلت وماضمت من الطاعة لانهم أبطلوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون
و يظهر

القائِل الزائِل (ولا تظلمون فتيلا)

ولا،

مضى وحجزه وعلى ما خبر
أن الحذر لا ينجي من
القدر بقوله (يُنْهَضُونَ)
يدرككم الموت) مازائدة
لتوكيده معنى الشرط في أين
(ولو كنتم في روج)
حصون أو قصور (مشبدة)
مرفعة (وان نصهم حسنة)
نعمة من خصب ورخاء
(يقولوا هذه من عند الله)
نسبوا إلى الله (وان نصهم
سبئة) بلية من قطع وشدة
(يقولوا هذه من عندك)
أضافوها اليك وقالوا هذه
من عندك وما كانت
الابشؤمك وذلك ان
المنافقين واليهود كانوا اذا
أصابهم خير حمدوا الله تعالى
واذا أصابهم مكروه نسبوه
إلى محمد صلى الله عليه وسلم
فكذبهم الله تعالى بقوله
(قل كل من عند الله)
والضاف إليه مخوف أى
كل ذلك فهو ببسط
الارزاق ويقبضها (فما
لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون) يفهمون
(حديثا) فيعلمون ان الله
هو الباسط لقابض وكل
ذلك صادر عن حكمته ثم
قال (ما أصابك) يا انسان
خطابا عاما وقال الزجاج
المخاطب به النبي عليه السلام
والمراد غيره (٢٠٠ حسنة)

من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما اصابك من سيئة) من يلية

ومصيبة (من نفسك) فمن عندك أى فيما كسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبكم أيديكم

النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية لأنه مسدى إلى أهلها فاعطى
 اعراب القرية لأنه صفتها وذكر لسانده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية اتى ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستقنا
 من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرون فينصر الله له ضمهم الخروج إلى المدينة بقي
 بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خيرا وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد
 صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فداؤا منه الولاء والنصرة كما أرادوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما كان ينصر الضعيف من
 القوي حتى كانوا أكثرهم من الظالمه ثم رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون (٤٠٣) في سبيل الله وقولهم وانصرهم وأعداؤهم

يقاتلون في سبيل الشيطان
 فلاولى لهم إلا الشيطان
 بقوله (الذين آمنوا يقاتلون
 في سبيل الله والذين كفروا
 يقاتلون في سبيل
 الطاغوت) أى الشيطان
 (فقاتلوا أولياء الشيطان)
 أى الكفار (ان كيد
 الشيطان) أى وسوسه
 وقيل الكيد السعى في فساد
 الحال على جهة الاحتيال
 (كان ضعيفا) لأنه غرور
 لا يؤل إلى حصول أوكيده
 في مقابلة نصر الله ضعيف
 كان المهاجون مكفوفين
 عن القتال مع الكفار
 ماداموا بمكة وكانوا يفتنون
 أن يؤذن لهم فيه فنزل
 (ألم ترائى الذين قيل لهم
 كفوا أيديكم) أى عن
 القتال (وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) فلما كتب
 عليهم القتال أى فرض
 بالمدينة (أذا فرىق منهم
 بخشون الناس تخشية الله)

الصبي الصغير (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعني مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية لأنه مسدى إلى أهلها فاعطى
 بالشرك لقوله تعالى ان لشركك ظلم عظيم وذلك ان المسدتين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة
 إلى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك (واجعل لنا
 من لدنك وليا) يعني ليأبى أمرنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يعني ينصرنا ويؤيدنا من العدو فاستجاب
 الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خيرا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى النصر
 واستقدمهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشرة سنة
 فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويخلص الضعيف من القوى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذين آمنوا يقاتلون في
 سبيل الله) يعني في طاعة الله وإعلاء كلمته وبثغاء مرضاته (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت)
 يعني في طاعة الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم
 الكفار (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الكيد السعى في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيد ما كاد
 المؤمنين به من تخويفه وأليائه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لأنه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة
 قد نزات يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وخز به على أولياء الشيطان وخز به وادخل كان في قوله ضعيفا
 لتأكيد ضعف كيد الشيطان ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ألم ترائى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة
 وآتوا الزكاة) قال السكبي نزات في عبد الرحمن بن عوف الزهرى والنفاد بن الأسود الكندى وقدامة بن
 مظعون الجهمي وسعد بن أبي وقاص وجاءت من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون من
 المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله اننن في قتلهم فانهم قتلونا
 فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فأتى لم أمر بقتلهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى
 قيل لهم كفوا أيديكم عن قتلهم وأدوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة
 والزكاة كان قبل فرض الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أى فرض عليهم جهاد المشركين أمرهم بالخروج
 إلى بدر (أذا فرىق منهم) يعنى اذا اجتمع من الذين سألوا ان يفرض عليهم الجهاد (بخشون الناس)
 يعنى يخافون مشركي مكة (تخشية الله وأشد خشية) أو بمعنى الواو يعنى وأشد خشية (وقالوا ربنا
 لم كتب علينا القتال) يعنى لم فرضت علينا الجهاد (لولا أخرتنا إلى أجل قريب) يعنى هلا تركنا
 ولم نفرض علينا القتال حتى نموت باجلائنا وانه ثلثون لهذا أقول لهم المنافقون لان هذا القول لا يلقى
 بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين ونما قولوا ذلك خوفا رجسنا لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول (ق) أى

يخافون أن يغاثهم الكفار كما يخافون أن يزل الله عليهم باسمه لا شكافي الدين ولا رغبة عنه ولكن نفور عن اخطار الارواح وخوف من
 الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لأن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمر باعتقاد فالمر محبوب على كراهة ما فيه خوف
 هلا كه غالب أو خشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول ومحلها الصب على الحال من الضمير في بخشون أى بخشون الناس مثل خشية الله أى
 مشبهين لاهل خشية الله (وأشد خشية) هو عطف على الحال أى وأشد خشية من أهل خشية الله وأشد خشية أى ان قلت خشية الله الناس
 تخشية الله فانت مصاب وان قلت انهم أشد فانت مصاب لأنه حصل لهم مثاها وزيادة (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل
 قريب) هلا علمنا لانتنا إلى الموت فموت على القرى وهو سؤال عن وجه الحكمة في فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل انهم
 لم يوجبوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله (قل)

(فان أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) المبطي (قد أنعم الله على أذلماً كن معهم شهيداً) حاضر أفريقيته مثل ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) ففتح أو غنيمه (ليقولن) هذا المبطي مثله على ما فاته من الغنيمه لأطلبا لأتوبه (كان) مخففة من الثقيله واسمه أعذوف أى كانه (لم يكن) وبالثناء مكى وحقق (يذكرو وينسوه موده) وهى اعتراض بين الفعل وهوليقولن وبين منفعوله وهو (باليكى كت معهم) والمعنى كان لم يتقدم له مذكوره وادع لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر وان كانوا يغيثون لهم الغوائل فى الباطن (فافوز) بالنصب لانه جواب التثنيه (فوزاً عظيماً) فأخذ (٤٠٢) من الغنيمه حظاً وافراً (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة

(الحياة الدنيا بالآخرة)
والمراد المؤمنون الذين
يستحبون الحياة الآجلة
على العاجلة ويستبدلون بها
الآخرة أى ان صد الذين مرست
قلوبهم وضعفت نياتهم عن
القتال فليقاتل الثابتون
المخلصون ويشترطون والمراد
المنافقون الذين يشترطون
الحياة الدنيا بالآخرة وعظما
بان يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الايمان بالله ورسوله
وبجاهدوا فى سبيل الله
حق جهاده (ومن يقاتل
فى سبيل الله فيقتل أو يغب
فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)
وعبد الله المقاتل فى سبيل
الله ظافراً أو مظفوراً به
ابتاء الاجر العظيم على
اجتهاده فى اعزاز دين الله
(ومالك) مبتدأ وخبره
وهذا الاستفهام فى التثنيه
للتنبية على الاستبطاء وفى
الاثبات للانكار (لا تقاتلون
فى سبيل الله) حال والعامل
فيها الاستقرار كما تقول

عن الجهاد وهو عبد الله بن أبى بن سألوا المنافق وكان رأس المنافقين (فان أصابتكم مصيبة) أى قتل
وهزيمة (قال) يعنى هذا المنافق (قد أنعم الله على) يعنى باقعود (أذلماً كن معهم) يعنى مع المؤمنين (شهيداً)
يعنى حاضر الواقعة فيصيرنى ما أصابهم (ولئن أصابكم فضل من الله) أى ففتح أو غنيمه (ليقولن) يعنى هذا
المنافق (كان لم تكن ينسوه موده) أى معرفة ومودة فى الدين والمعنى كانه ليس من أهد يشكم
وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر (باليكى كنت معهم) فى تلك الغزوة التى غنم فيها
أؤمنون (فافوز فوزاً عظيماً) أى فأخذ نصيباً وافراً من الغنيمه (فله عز وجل) قوله عز وجل (فليقاتل فى سبيل الله)
هذا خطاب للمنافق أى فليخلص الايمان وليقاتل فى سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أى
فليقاتل المؤمنون فى سبيل الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعون يقال شريت بمعنى بعث
لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم فى الدنيا بثواب
الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون
الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل) أى فيستشهد
(أو يغب) يعنى يظفر بعدوه من الكفار (فسوف نؤتيه) يعنى فى كلا الحالتين الشهادة والظفر بنؤتيه
فيهما (أجر عظيم) يعنى ثواباً وافراً (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج له الاجهاد فى سبيله وأمن نبي وتصدق برسلى فهو على ضامن ان أدخله
الجنة أو أراجعه الى مسكنه الذى خرج منه نال ما مال من أجر أو غنيمه لفظ مسلك (فله عز وجل) (ومالك)
لا تقاتلون فى سبيل الله قال المفسرون هذا حاض من الله على الجهاد فى سبيله لا يستعذ المؤمنون المستضعفين
من أيدي الكفار وفيه دلائل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم فى ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين
ما بلغ من الضعف والاذى (والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) قال ابن عباس يريد أن قوما
من المؤمنين استضعفوا خوفاً وعدوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديداً وكان
أهل مكة قد اجهدوا ان يفتوا قوماً من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى أيديهم ولم
يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالك لا تقاتلون فى سبيل الله وفى
خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن
عباس فى قوله ومالك لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأبى من المستضعفين وفى
رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأبى من عذر
الله أنا من الولدان وأبى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين
الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليدهو

مالك قائماً والمعنى وأبى أى الكفار كين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور بالطف على سبيل
أبى
انه أى فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أى واخص من سبيل الله خلاص المستضعفين من
المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المساكين من أيدي الكفار من أعظم الخبر أو أخضع والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستندين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان
تسجيلاً بآثار ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المساكين ارغاباً بالآباءهم ومهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبياتهم فى دعائهم
استة الإلحاح الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأبى من المستضعفين من

من النبيين والهادين) كفاضل صحابة الانبياء والصدق المبالغ في صدق ظاهره بالمعالمه وباطنه بالراقبة والذى يصدق قوله بفعاله (والشهداء) والذين استشهدوا في سبيل الله (والصالحين) ومن صلت أحوالهم وحسنت أعمالهم (وحسن أولئك رفيقا) أى وبأحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه (ذلك) مبتدأ (٤٠١) خبره (الفضل من الله) أو الفضل صفته

وعنه الله خبره والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة النعم عليهم من الله لانه تفضل بهم عليهم أو أراد أن فضل النعم عليهم ومزيتهم من الله (وكفى بالله عليا) بعباده ومن هو أهل الفضل ودلت الآية على ان ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالاثر والاثريقال أخذ حذره اذا تيقظوا وحترز من الخوف كانه جعل الحذر آتاهم الى بقاء نفسه وبصمها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو (فانظروا ثبات) فانظروا الى العدو جاعات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحد هائبه (أو انظروا جيها) أى مجتمعين أو مع النبي عليه السلام لان الجمع بدون السمع لاتباع العقد بدون الوسطة لا ينظم أو انظروا ثبات اذا لم تغير أو انظروا جيها اذا لم تغير

عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعنى في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أى ويضع الرسول في السنين التي سنهافا أولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعنى بالهداية والتوفيق في الدنيا ويدخل الجنة في الآخرة (من النبيين) يعنى أن المطيعين مع النبيين في الجنة لانهم رؤىة الانبياء في الجنة وبجالتهم لا أنهم يكسبون في درجاتهم في الجنة لان ذلك يقتضى التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) الصديق الكثير الصدق فويل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقواهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كآبى بكر فانه هو الذى سمي بالصديق من هذه الامة وهو أفضل اتباع الرسل (والشهداء) هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريره وتوكلت في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنيبين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحين سائر الصحابة (وحسن أولئك) يعنى المشار اليهم وهم الذين والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما أحسن أولئك رفيقا) يعنى في الجنة والرفيق صاحب سمي رفيقا لارتفاقك به بصحبته وانما واحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعدت لها قال لائى الا أنى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجوان كون معهم محبي اياهم وان لم يعمل بأعمالهم ﷺ وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب (الفضل من الله) يعنى الذى أعطى الله الطيعين من الاجر العظيم (وكفى بالله عليا) يعنى بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليا بعباده فهو يوفىهم اطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته وبدل عليه ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يدخل أحدكم من عمله الجنة قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأنا لان يتغمدى الله منه بفضل ورحمة فظ البخارى ولم يحمده قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا تملكونه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقوى ويحذر وقيل معناه احذروا وعدوكم وقائل أن يقول اذا كان المقدور كذا ما يغني عن الحذر فالجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره (فانظروا ثبات) أى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية (أو انظروا جيها) يعنى أخرجوا جيها كاجمعة معكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم (وان منكم من ليبطئن) ترات في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب واطهار كلمة الاسلام لافى حقيقة الايمان والمعنى وان منكم من لا يتأخر وليتأخر

(٥١) - (خازن) - (اول)

وان الله اغفور رومن وموصولة وفي (ليبطئن) جواب قسم مخوف تقديره وان منكم من لا يقم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استمكن في ليبطئن أى ليتأخر وان وليتأخر عن الجهاد وبطو يعنى أبطأ أى تأخر ويقال ما بطو بك فيتمدى بالياء والخطاب له كرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أى في الظاهر دون المألف للمنافقين يقولون لم تقتلوا أنفسكم تأخروا حتى يظهر الامر

(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ضيقا (٤٠٠) (٤٠١) قضيت) أي لاتضيق صدورهم من حكمك أو شكالان الشاك في ضيق من أمره حتى

يلوح له اليقين (و يسلموا تسليماً) وينقاد والقضاءت
 نقياد او حقيقته سلم نفسه له
 واسلمه أي جعله اسالمه
 أي خاصة وتسليماً مصدر
 مؤ كد للفعول بمنزلة
 شكره كأنه قيل وينقادوا
 لحكمك انقياد الاشبهة
 فيه بظاهرهم وباطنهم
 والمعنى لا يكونوا مؤمنين
 حتى يرضوا بحكمك وقضائك
 (ولو أن كتبنا عليهم) على
 المنافقين أي ولو وقع كتبنا
 عليهم (أن ائقلا) ان هي
 المفسرة (أنفسكم) أي تعرضوا
 للقتل بالجهاد أو ولو أوجبنا
 عليهم مثل ما أوجبنا على
 بني اسرائيل من قتلهم
 أنفسهم (أو اخرجوا من
 دياركم) بالهجرة (ما فعلوه)
 لفافهم والهاء ضمير أحد
 مصدرى الفعلين وهو
 القتل أو بخروج أو ضمير
 المكتوب دلالة كتبنا
 عليه (الاقيل منهم) قليلا
 شأى على الاستثناء
 والرفع على البدل من
 واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا
 ما يوعظون به) من اتباع
 رسول الله عليه السلام
 والايقاد لحكمه (لكان
 خير لهم) في الدارين (وأشد
 تنبيها) ليعانهم وأبعد عن
 الاضطراب فيه (واذا)
 جواب لسؤال مقدر كأنه

قبل وماذا يكون لهم بعد الثبوت قليل واذا الوثبتوا (لأنناهم من لدنا أجر أعظم) أي نوابا كثر لا ينقطع (ولم ينههم عليه صراطا) فمفعول ثان (مستقيا) أي لئلا ينههم على الدين الحق (ومن يعط الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم

يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما أرسلنا من رسول) أي رسولاً قط (الايضااع باذن الله) بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بان يعطيه لانه ما مؤدعن الله فطاعته طاعة الله ومن بطع

(٣٩٩)

ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الماغوت (جاؤك) تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفروا الله) بالشفاعة لهم والعالم في اذلموا غسبر ان وهو جاؤك والمعنى ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (لوجدوا الله) ثواباً لعماد تواباً لثاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات فقبحاً لثأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتبنيها على ان شفاعته من اسمه الرسول من الله بكان (رحمياً) هم قيل جاء اعرابي بعدد فنه عليه السلام فرى بنفسه على قبره وحثاً من تراه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولوانهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك أستغفر الله من ذنبي فاستغفرنى من ربى فودى من قبره قد غفر لك (فلاور بك) أى فور بك كقوله فور بك

بالا لافظ حسن الما فى مشتملة على الترفع والتعظيم والاعذار والانذار والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه فى القلوب وأثر فى النفوس قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) قال الزجاج لفظتم ههنا صفة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا (الايضااع باذن الله) يعنى بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن فى ذلك وأمر به وقيل معناه يعلم الله وقضاهى طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتركه طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقرير للمعتفين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت (ولوانهم اذلموا أنفسهم) يعنى الذين تخموا كمال الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه (جاؤك) يعنى جاؤك تائبين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متصلين بمماررتك بوا من الخائفة (فاستغفروا الله) يعنى من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايدائك برحمتك والتحاكم الى غيرك (واستغفروا الله) يعنى من مخالفة والتحاكم الى غيره وما تخالف واستغفروا الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبحا له وتعظيماً لاستغفاره وانهم اذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلماذا السبب عدل الى طريقة الاتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة (لوجدوا الله تواباً رحيماً) يعنى لو انهم توابوا من ذنوبهم وتفاقهم واستغفروا لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل (فلاور بك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) نزلت هذه الآية فى اير بن العوام ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلاً من الانصار خاض الزبير فى شراج الحرة التى يسبقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء عر فابى عليه فاقتصم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم اجلس الماء حتى يرجع الى الجبر فقال الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت فى ذلك فلاور بك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأى أى اذ سعة ولا انصارى فلما حفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه فى صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى ذلك قوله فى شراج الحرة الشراج مسايل الماء التى تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شجرة بسكون الزاء والحرة الارض الجراء الملتبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغبر وقوله فلما حفظ أى اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجبر هو يفتح الجيم يعنى أصل الجدار وقوله فاستوى لى أى استوفى حقه فى صريح الحكم وهو ان كان أرضه أقرب الى فم الوادى فهو أولى بالوادى وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير السقي على وجه المساحة فلما أبى خصه بذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساحة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام ورجل خصه على مالحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لاتعاقب لما بما قبلها قال البغوى وروى انه الماخرا جمر اعى المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى شدة فظن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يهيمونه فى قضاء

لنساءهم ولا مزبدة لتأ كيد معنى القسم وجواب القسم (لا يؤمنون) أو التقدير فلاوى ليس الامر كما يقولون ثم قال ور بك لا يؤمنون (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فيها اختلاف بينهم واختلط ومنه الشعر لداخل أخصانه

ما أنزل الله والى الرسول)
 لتحاكم (رأيت المنافقين
 يصدون عنك صدودا)
 يعرضون عنك الى غيرك
 ليغرر وبالرشوة فيقضى لهم
 (فكيف) يكون حالهم
 وكيف يصنعون (إذا
 أصابهم مصيبة) من قتل
 عمر بشرا (بما قدمت
 أيديهم) من التحاكم الى
 غيرك واتهامهم لك في
 الحكم (ثم جاؤك) أي
 أصحاب القتل من المنافقين
 (يعلمون بالله) حال (أن
 أردنا) ما أردنا بتحاكمنا
 الى غيرك (الاحسانا)
 لالساءة (وتوفيقا) بين
 الخصمين ولم ترد مخالفة لك
 ولا تسخط حكمك وهذا
 وعيد لهم على فعلهم وانهم
 سيبتدون عليه حين
 لا ينفعهم التمسك ولا يغني
 عنهم الاعتذار وقيل جاء
 أولياءه المنافق يطلبون بدمه
 وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا
 بالتحاكم الى عمر الآن
 يحسن الى صاحبنا بحكومة
 العدل والتوفيق بينه وبين
 خصمه وما خطر ببالنا انه
 يحكمه بما حكم به (وأولئك
 الذين يعلم الله ما في قلوبهم)
 من النفاق (فاعرض عنهم
 ودعاهم وقل لهم في أنفسهم
 قولوا بلية) فاعرض عن قبول
 الاعذار وعظ بالسر والاذن

في الجاهلية أكثر منكم وقتلتا نفقه) ثم ناطق الى أبي ردة الكاهن الاسمي وقال المسجون من القر يقين بل نطابق الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فأتى المنافقون وانطلقوا الى أبي ردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا للقمعة يعني الخنفر فقالوا لك عشرة
 أوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم فأنزل الله عز وجل آتتني
 النقص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك لنزعم والزعم
 بعضهم الزاى وفتحها الغتان وأكثروا يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون
 مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية بازلة في المنافقين
 وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤبى أهل الكتاب وبدل عليه قوله آمنا بما أنزل اليك وما
 أنزل من قبلك يريدون أن يضلواكم الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس ساء الله طاغوتا
 لا فراط في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو ردة الكاهن في قول السدي وقد
 أمر وأأن يكفروا به يعني بالطاغوت لان الكيفر بالطاغوت إيمان بالله عز وجل (و يريد الشيطان أن يضلهم)
 يعني عن طريق الهدى والحق (خلا بعبدا) أي اذ قبل لهم) يعني للمنافقين (تعالوا الى الله والى الرسول)
 يعني هلموا الى حكم الله الذي أنزله في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به (رأيت المنافقين يصدون عنك
 صدودا) يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا أو اعراضا وأما عرض المنافقون عن حكم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا وقوله
 عز وجل (فكيف إذا أصابهم مصيبة) يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون إذا أصابهم مصيبة
 يجهزون عنها (بما قدمت أيديهم) يعني تصيهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو العالم إلى غير رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة (ثم
 جاؤك) يعني المنافقين حين تصيهم المصائب يعتذرون اليك (مخلفون بالله أن أردنا) أي ما أردنا بتحاكمنا
 الى غيرك (الاحسانا) يعني في التحاكم الى غيرك لالساءة (وتوفيقا) يعني بين الخصمين لمخالفة لك في حكمك
 وقيل جاء أولياءه المنافق الذي قتله عمر يطلبون دمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الآن يحسن الى صاحبنا
 في حكمه ويوفى بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك
 المنافق (وأولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) يعني من النفاق (فاعرض عنهم) يعني عن عقوبتهم وقيل عن
 قبول عذرهم (وعظهم) يعني باللسان والمراد من جرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب ونحو يفهم
 بعداب الآخرة (وقل لهم في أنفسهم قولوا بليغا) يعني بليغا يؤثر في قلوبهم وموقعه وهو التخويف بالله عز وجل
 وقيل هو أن يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو أن يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق
 قتلنا لان هذا القول بليغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملاوطة لهم في أنفسهم إذا خلوت
 بهم قولوا بليغا أي اغلظ لهم في القول خاليهم ليس معهم غيرهم مسار لهم بالنصيحة لانها في السر أجمع وقيل
 هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى
 الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الإيجاز مع
 الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير
 الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا إذا طابق لفظه معناه ومعناه
 لفظه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن

وبالغ في وعظهم بالتخويف والاذن وأعرض عن عقابهم وعظهم في عتابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم الانفاق
 والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما في جنبه وفي أنفسهم يتعلق بقل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقالوا بهم المطلوبة على النفاق قولوا بليغا

(فان تنازعتم في شئ) فان اختلفتم اتم وأولو الامر في شئ من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي ان الإيمان بوجوب الطاعة ودن العيصان ودات الآية على ان طاعة الامر اواجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم اقلوه عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق وحكي ان مسعدة بن عبد الملك بن مروان قال لابن حازم اسلم امرهم بطاعة بولس وأولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعنا الطاعة عنكم اذا (٣٩٧) خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في

شئ - فردوه الى الله أي القرآن والرسول في حياته وإلى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) إشارة الى الرأى الردالى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصوصه فدهاه اليهودى الى النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه بأنه لا يرتضى ودعاه المناق الى كعب بن الاشرف ليرشوه فاحتكما الى النبي عليه السلام فنقض لليهودى فلم يرض المناق وقال تعال تحاكم الى عمر فقال اليهودى اعمر رضى الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمناق أ كذالك قال نعم فقال عمر كما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المدفق فقال هكذا أفضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل (الم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما

الاقوال بالصواب قول من قال هم الامر اءاولا لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولادة بما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجدة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما يجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى (فان تنازعتم في شئ) يعنى اختلفتم في شئ من أمور دينكم وانتنازع اختلف الاراء وأصله من انتزع الخطة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الخطة انفسه (فردوه الى الله والرسول) أي ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والردالى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسيده الاجتهاد وقيل الردالى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى افعوا ذلك الذى أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالا حاديت الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر (ذلك خير) يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير (وأحسن تأويلا) يعنى وأجد عاقبة وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم لكم ولا عظم اجره (الم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمرنا وأن يكفروا به) قال ابن عباس نزات في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال اليهودى نطابق الى محمد وقال المنافق بل نطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى ساء الله الطاغوت فأتى اليهودى أن يحاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقض رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرج من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فانما عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا الى محمد فنقض لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه خصامى اليك فقال عمر للمناق أ كذالك قال نعم فقال لهما عمر مردا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المناق حتى رد وقال هكذا أفضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل بن عمر فرقى بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى كان ناس من اليهود قد أساءوا وناقى بعضهم وكانت فرقة والنضير فى الجاهلية وكانت فرقة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجل من بنى النضير قتل به وأخذت ديتهم مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من بنى النضير رجلا من بنى قريظة يقتل به وأعطى ديتهم ستين وسقا فلما جاء الاسلام وهاجو النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من بنى قريظة فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير كننا وأتم قد اصلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا ود ديتهم مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نطعكم ذلك فقال الخزرج هذا شئ كنتم فعاثتموه

أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرقى بين الحق والباطل فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير في يزعمون (أن يتحاكموا الى الطاغوت) أي كعب بن الاشرف ساء الله طاغوا لا يراهم فى السعيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشیطان أو جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد أمرنا وأن يكفروا به)

يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
 ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال على لقد اُمر الله
 عز وجل في شأنك قرأنا وفر عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم فكان
 المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبه فالف مفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره
 البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم ان رسول الله لم يمنعه المفتاح
 نظر والصحيح ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هجرة
 الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهم عمر وبن العاص مقبلا من عند النجاشي فرافقه هما وهاجر
 معهما فأسارهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم بكتبة فأفلاذ كيدها يعني انهم وجوه أهل مكة فأسلموا
 وسلم عثمان بن طلحة المنة تاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرد النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها
 يا بني طلحة خالدة مخلدة لا يترزعها منكم الا ظالم ولم يذكر واسؤل العباس السدانة والله أعلم وثبت في الصحيحين
 من حديث ابن عمر قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مرفأ سامة على القصور ومعه بلال
 وعثمان حتى أتاه عند البيت ثم قال لعثمان انك بالمفتاح فجاء بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر
 ابن الجوزي في تفسيره هذه الآية من رواية أبي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح
 مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب يعطيه اياه فقال العباس باي أنت وأمي اجعله لي مع
 السقاية فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس
 قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال
 ها كه يا رسول الله يمانية الله فخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي
 هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان
 كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي
 صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره أن يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله
 يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها لولاة أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك
 سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يامركم بالولاة الامور أن
 تؤدوا ما ائتمنتم عليه من أمور رعيتكم وأن توفوهم حقوقهم وأن تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع
 الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان
 وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك
 المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم
 وسائر أنواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أتم الله به عليه من سائر أعضائه فامانة
 اللسان حفظه من الكذب والغيبة والخيلة ونحو ذلك وأمانة العين غضه عن المحارم وأمانة السمع أن
 لا يشغله بسماع شيء من الهوى والفحش والا كاذب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو
 رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الى أربابها الذين ائتمنوه عليها
 ولا يمتنعونهم فها نحن في هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنتك ولا تخن من
 خانتك أخرجهما أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب يدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان
 فلا يطف فبهما يدخل في ذلك أيضا عدل الامراء والملوك في الرعية وتوضيح العلماء للعامة فكل هذه
 الاشياء من الامانة التي أمر الله عز وجل بأدائها الى أهلها وروى البغوي بسنده عن أنس قال قلنا خطبنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان ان لا أمانة له ولا دين له لا عهد له وقوله تعالى (واذا حكمتم بين

دخل في هذا الامر أداء
 الفرائض التي هي أمانة الله
 تعالى التي حملها الانسان
 وحفظ الحواس التي هي
 ودائع الله تعالى (واذا حكمتم
 بين

صَحَّتْهُ وَأَمِنْ الْيَهُودِيَّةِ
 آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ
 نَبُوتهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ (وَكُنِيَ
 بِحُجَّتِهِمْ سَعِيرًا) لِلْعَادِيَيْنِ (أَنْ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ
 نَعْلِيهِمْ) - نَعْلِهِمْ (نَارًا
 كَمَا نَضَعُ جُلُودَهُمْ)
 أَسْرَقَتْ (بَدَنَانَهُمْ جُلُودًا
 غَيْرَهَا) أَعْدَانُكَ الْجُلُودُ
 غَيْرُ عَمْرُوقٍ فَالتَّبْدِيلُ وَالتَّغْيِيرُ
 لَتَغْيِيرِ الْهَيْئَتَيْنِ لِلتَّغْيِيرِ
 الْأَصْلِيِّينَ عِنْدَ أَهْلِ الْخُفَى
 خِلَافًا لِلْكَرَامِيَّةِ وَعَنِ
 فَضِيلٍ بِجَعْلِ النَّضِيجِ غَيْرِ
 نَضِيجٍ (الْيَدُوقُوا الْعَذَابَ)
 لِيَدْرِمَ لَهْمُ ذَوْقِهِ وَلَا يَنْقَطِعَ
 كَقَوْلِكَ لِلْعَزِيزِ أَزْعَكَ اللَّهُ
 أَمْ أَدَامَكَ عَلَى عَرْكِ (أَنْ
 اللَّهُ كَانَ عَزِيزًا) غَالِبًا
 بِالْإِتْقَامِ لِيَجْتَنِعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
 مِمَّا يَرِيدُهُ بِالْمُجَرِّمِينَ (حَكِيمًا)
 فِيهَا يَفْعَلُ بِالْكَافِرِينَ
 (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا
 أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) (مَنْ الْأَنْجَاسِ
 وَالْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ) وَنُدْخِلُهُمْ
 ظِلًّا ظِلِيلًا (هُوَ صُفْوَةٌ مُسْتَقَّةٌ
 مِنْ لَفْظِ الظَّلِّ لَأَنْ كَبِيرَ
 مَعْنَاهُ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَيْلٌ وَهُوَ
 مَا كَانَ طَوِيلًا فَيُنَاقِ
 لِاجْتِبَاءِ ذِيهِ أَلَّا يَنْتَفِخَ
 الشَّمْسُ وَسَجَسَ جِلْدُ الْأَرْضِ
 فِيهِ وَلا يَرُدُّ لَيْسَ ذَلِكَ

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَقْصُوفُ نَبُوتهُ (فَنَهُم) يَعْنِي مِنَ الْيَهُودِ (وَمِنْ آمَنَ بِهِ) أَيْ الْبَائِنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَمَا نُزِّلَ إِلَيْهِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّقَهُ) أَيْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ (وَكُنِيَ بِحُجَّتِهِمْ
 سَعِيرًا) يَعْنِي وَكُنِيَ فِي عَذَابٍ مِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْبَائِنِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعِيرًا (أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا
 سَوْفَ نَعْلِيهِمْ نَارًا) هَذَا وَعِيدُ مَنْ اللَّهُ تَعَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَتَنَكَّبُوا عَنْهُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَزَّ وَجَلَّ
 عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْكَافِرِينَ وَالْمَعْنَى أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَآمَنُوا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِي
 مُحَمَّدٍ مِنْ آيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى تَوْحِيدِي وَصَدَّقُوا رَسُولِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْفَ نَعْلِيهِمْ نَارًا أَيْ نُدْخِلُهُمْ نَارًا
 نَسْوَحُومُ فِيهَا (كَمَا نَضَعُ جُلُودَهُمْ) يَعْنِي احْتَرَقُوا (بَدَنَانَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) يَعْنِي غَيْرَ الْجُلُودِ الْمُحْتَرَقَةِ قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ يَسْمَعُونَ جُلُودًا أَيْضًا كَمَا مَثَلُ أَتْرَاطِيسٍ وَرَوَى أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ فُرِثَتْ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَرُ
 لِلْقَارِئِ أَعْدَهَا فَاغَادَهَا وَكَانَ عِنْدَهُ مَعَادِزِينَ جَبَلٍ فَقَالَ مَعَادِزُ بَدَنِي تَفْسِيرُهَا تَبْدِيلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِائَةَ
 مَرَّةٍ فَقَالَ عُمَرُ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ بِغَيْرِ سَنَدٍ وَقَالَ الْحَسَنُ تَأْكَاهُمْ النَّارُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ (ق) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ مَا بَيْنَ مَسْجِدِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لِلْمُرَّابِكِ
 الْمُسْرَعِ (م) عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرْضَ الْكَافِرُ أَقْوَالَ نَابِ الْكَافِرِ مَثَلُ أَحَدٍ وَغُلَظْ
 جِلْدُهُ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ تَعَذِّبُ جُلُودَهُمْ تَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تَصِلْ قَلْبُهُ بِالْجِلْدِ الْأَوَّلِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
 وَأَمَّا قَالَ جُلُودًا غَيْرَهَا تَبْدِيلُ صَفَتِهَا كَمَا يَقُولُ صَفَتُ مِنْ خَاتَمِي خَاتَمًا غَيْرَهُ فَإِنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ غَيْرَ الْوَسْطَةِ
 بَدَلُ الصَّفَةِ وَقِيلَ أَنَّ الْعَذَابَ لِلْجَمْعَةِ الْحَسَّاسَةِ وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي عَصَتْ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ
 أَلَّهُ يَخْلُقَ لِلْكَافِرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الْجُلُودِ مَا لَا يَحْصِي لِيَحْتَرِقَ وَيَصِلَ إِلَيْهِ الْيَهُودِيُّ قِيلَ الْمُرَادُ بِالْجُلُودِ السَّرَائِلَ
 وَهُوَ قَوْلُهُ سَرَائِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَالْمَعْنَى كَمَا نَضَعُ سَرَائِلَهُمْ وَاحْتَرَقَ بَدَنَانَهُمْ سَرَائِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ غَيْرَهَا
 لِأَنَّ الْجُلُودَ لَوْ احْتَرَقَتْ لَفَنِيَتْ وَفِي فَنَائِهَا رَاحَتُهُمْ أَوْ فِدَاؤُهُمْ خَبَرَاتُهُمْ عَنْهُمْ أَنْهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْتَفِ عَنْهُمْ
 عَذَابُهَا وَلَئِنْ الْجِلْدُ أَحْدًا أَجْزَاءَ الْجَسْمِ فَنَبَتَ أَنْ التَّبْدِيلَ أَمَّا هُوَ السَّرَائِلُ وَقِيلَ يَسْمَعُ الْجِلْدُ مِنْ نَفْسِ الْكَافِرِ
 فَيَخْرُجُ مِنْ لَحْمِهِ جِلْدًا أَوْ قِيلَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَلْبَسُ أَهْلَ النَّارِ جُلُودَ الْإِنْسَانِ مَا تَكُونُ زِيَادَةٌ فِي عَذَابِهِمْ كَمَا احْتَرَقَ
 جِلْدُهُمْ جِلْدًا غَيْرَهُ (لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) أَيْ أَمَّا فَعَلْنَاهُمْ ذَلِكَ لِيَجِدُوا أَلَمَ الْعَذَابِ وَكَرِهَ
 وَشَرِبَتْهُ وَأَمَّا آتَى لِبَلْفِ الذُّوقِ مَعَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ مِنْ عَظَمِ الْعَذَابِ الَّذِي نَالُوهُ إِذَا خَابُوا أَنَّ أَحْسَابَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ
 كَأَحْسَابِ الذَّائِقِ فِي تَجْدِيدِ وَجْدَانِ الذُّوقِ مِنْ غَيْرِ نَقْصَانٍ فِي الْأَحْسَابِ (أَنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا) يَعْنِي فِي
 إِنْتِقَامِهِ مِنْ يَنْتَقِمُ مِنْ خَلْقِهِ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَجْتَنِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ (حَكِيمًا) يَعْنِي فِي تَدْبِيرِهِ وَقَضَائِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَقْعَلُ إِلَّا
 مَا هُوَ الصَّوَابُ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ) يَعْنِي سَوْفَ نُدْخِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (جَنَّاتٍ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) يَعْنِي بِأَقْوَيْنِ فِيهَا (أَبَدًا) يَعْنِي ذَلِكَ الْخُلُودَ بِغَيْرِ نِهَائَةٍ وَلَا انْقِطَاعٍ (لَهُمْ فِيهَا)
 فِي الْجَنَّاتِ (أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) يَعْنِي مُطَهَّرَاتٍ مِنَ الْخُبْثِ وَالنَّفَاسِ وَسَائِرِ أَقْدَارِ الدُّنْيَا (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظِلِيلًا)
 يَعْنِي كَيْفَ يَنْبَغِي ذَلِكَ الظِّلَّ لَأَنْتَفِخَ النَّمْسُ وَلَا يُؤْذِيهِمْ فِيهِ حَرٌّ وَلَا يَرُدُّ ذَلِكَ الظِّلُّ هُوَ الظِّلُّ فَإِنَّ الْجَنَّةَ قُلْتُ أَذَلُّهُمُ كُنْ فِي
 الْجَنَّةِ شَمْسٌ يُؤْذِي حَرَّهَا فَإِنَّهُ قَدْ وَصَفَهَا بِالظِّلِّ الظِّلِيلِ قُلْتُ أَمَّا خَاطِبُهُمْ بِمَا يَقُولُونَ وَيَعْرِفُونَ وَذَلِكَ لِأَنَّ
 بِلَادَ الْعَرَبِ فِي غَايَةِ الْحَرِّ فَكَانَ الظِّلُّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ الرَّاحَةِ وَالْإِذَاعَةِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
 بِكَرَّةٍ وَعُسْيًا (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ) (أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) قَالَ الْبَغَوِيُّ نَزَلَتْ فِي عَثْمَانَ بْنِ
 طَلْحَةَ الْجَلْبِيِّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَكَانَ سَادَنَ الْكُفَّةِ فَامَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَوْمَ الْفَتْحِ أَغْنَى
 عَثْمَانَ بَابَ الْبَيْتِ وَصَدَّ السُّلُوحَ فَطَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَتْحَ فَقِيلَ لَهُ لَمَّا مَعَ عَثْمَانَ فَطَلَبَ مِنْهُ
 رَسُولُ اللَّهِ الْفَتْحَ فَأَنَّى قَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَنْمَعْهُ الْفَتْحُ فَلَوْ عَلِيَ عَلَى بَنِي طَلْحَةَ يَدُهُ وَأَخَذَتْ مِنْهُ
 الْفَتْحَ وَفُتِحَ الْبَابُ وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ الْعَبَّاسُ أَنْ

(و يقولون للذين كفروا هؤلا اهدى من الذين آمنوا سبيلا) وذلك ان حبي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يخالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٩٣) فقالوا انتم اهل الكتاب اوتتم الى محراب مننا

والاصنام واختلف العلماء فيها قيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنامان كما نقر يش وهما اللذان سجد اليهود لهما رضاء قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر فيها ويحكم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العياقة والطيرة والطرق من الجبت اخرجهما وادوا وقال الطرق والزجر والعياقة لخط وقيل العياقة هي زجر الطيرة وذلك ان اهل الجاهلية كان احدثهم اذا خرج لامر زجر الطيرة فاذا اخذ ذات العين مضى في حاجته واذا اخذ ذات الشمال رجع فنوا عن ذلك والطريق هو ضرب الحجار والحاصلي طريق السكينة فهو اعانه والطيرة هو ان يتطير بالشيء فيرى الشؤم فيه والشؤم منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يظني الانسان وقيل الجبت هو حسي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكا طاغية اليهود (و يقولون) يعني كعب بن الاشرف واصحابه (للهذين كفروا) يعني لكفار قريش (هؤلا) يعني اتم باهؤلا (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) يعني طريقا (اولئك الذين امنهم الله) يعني كعب بن الاشرف واصحابه (ومن يلعن الله) يعني يطرده من رحته (فلن يجد له نصيرا) يعني ينصره (وقوله تعالى) (ام لهم نصيب من الملك) هذا استعجابهم لانكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نلحق العرب فكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم (فاذا لا يؤتون الناس نقيرا) هذا جواب وزجر امضه رتق دبره وان كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الحاصل كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم والقبير هو القطة التي تكون على ظهر النواة وتمتبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الخبير التافه الذي لا قيمة له (وقوله عز وجل) (ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) اصل الحسد تنجي زوال النعمة عمن هو مستحق لها ور بما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة واحدة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحده على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حده على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهما الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمد صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتينا لحسد ونهم المراد بالكتاب التوراة والحكمة النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني فلم يشغلهما عن النبوة فمن فضل الفضل بكرة النساء فمر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكرة النساء فانه كان لداود امة امرأ أو سليمان ألف امرأة ثلثا متحرقة فوسمها قسرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الانسح نسوة ولم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في ذنوبهم فلا يكون مستبعدا في حق

(٥٥ - خازن - اول) وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدادوا العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أي التوراة (والحكمة) الموعظة والفقه (وآتيناهم ملكا عظيما) يعني ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من آتاه الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم آلاف تحمد علمه السلام وانه ليس يبعد عن يؤتبه الله مثل ما وتي أسلافه

(ومن يشرك بالله فذنب

افترى اثماً عظيماً) كذب
كذباً عظيماً استحق به عتاباً
أليماً ونزل فيمن ترك نفسه
من اليهود والنصارى حيث
قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هوداً أو نصارى
(ألم ترالى الذين يزكون
أنفسهم) وبدخل فيها كل
من ترك نفسه ووصفها
بتركه العمل وزيادة الطاعة
والتقوى (بل الله يزكى
من يشاء) اعلام بان
تركه الله به التى يعتد
بها لتركه غيره لانه هو
العالم بمن هو أهل للتركه
ونحوه فلا تزكوا أنفسكم
هو أعلم من اتقى (ولا
يظلهون) أى الذين يزكون
أنفسهم يعاقبون على
تركه أنفسهم حق جزأهم أو
من يشاء يثابون على
تركهم ولا ينقص من
ثوابهم (فتيلاً) قدر فتيل
وهو ما يحدث بقتل الاصاب
من الوسخ (انظر كيف
يفترون على الله الكذب)
فى زعمهم انهم عند الله
ازكياء (وكفى به) يزعمهم
هذا (اثماً مبيناً) من بين
سائر آثامهم (ألم ترالى الذين
أوتوا نصيباً من الكتاب)
يعنى اليهود (يؤمنون
بالجبت) أى الاصنام وكل
ما عبده من دون الله
(والطاغوت) الشيطان

يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فاستكنا عن الشهادة قول ابن عباس امر بن الخطاب بأمر المؤمنين
الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئاً الا فعله غير انه مشرك قال عمر هو فى النار فقال ابن عباس
الرجل لم يدع شيئاً من الشر الا فعله غير أنه لم يشرك بالله شيئاً فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس اتى لارجوله كنهانه
لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن أبى طالب قال ما فى قرآن
أحب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء أخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب (م) عن جابر قال جاءه اعرابي الى النبی صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبان
قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى (ومن يشرك بالله)
يعنى يجعل معه شريكاً غيره (فقد افترى) أى اختلق (اثماً عظيماً) يعنى ذنباً عظيماً غير مغفور ان مات
عليه ﴿ قوله عز وجل (ألم ترالى الذين يزكون أنفسهم) نزلت فى رجال من اليهود أتوا باطنهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما علمناه
بالمار يكفرون عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفرون عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت فى اليهود والنصارى
حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى والتركه هنا عبارة
عن مدح الانسان نفسه بالصالح والدين ومنه تركه الشاهد حتى يصير عدلاً قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو
أعلم من اتقى وذلك لان التركه متعلقة بالتقوى وهى صفة فى الباطن فلا يلحق بقتلها الله تعالى فى فلا تزل
التركه الا ان عند الله تعالى فلا هذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ودخل فى هذا المعنى كل من ذكر
نفسه بصالح أو وصفها بركاء العمل أو بزيادة الطاعة والتقوى أو بزيادة الزنى عند الله تعالى فبهذه الاشياء
لا يعلمها الا الله تعالى فلا هذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم من اتقى ومعنى تزكون أنفسكم يزعمون أنهم
أزكياء لانهم برؤا أنفسهم من الذنوب قبل تراءى دعاء لهم (بل الله يزكى من يشاء) فيجعلها زكياً (ولا
يظلمون فتيلاً) يعنى ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التركه من غير ظلم وقيل معاذ ان الذين
زكاهم الله لا ينقصون من ثوابهم شيئاً والقتيل المقتول وسعى ما يكون فى شق النواذير فيلاكونه على
هينته وقيل اغتيل هو ما فتنه بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل فى الشيء الخبير الذى لا يقمه له
(انظر) الخطاب الذى صلى الله عليه وسلم انظر الى هؤلاء اليهود (كيف يفترون على الله الكذب) يعنى
قولهم انهم لا ذنوب لهم وتركهم أنفسهم (وكفى به) أى بذلك الكذب (اثماً مبيناً) ﴿ قوله عز وجل (ألم
ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى كعب بن الاشرف وسبعين راجعاً
من اليهود قد دوا مكة بعد وقعة أحد لجا فوافر يشاعلى النبی صلى الله عليه وسلم ولم يقضوا العهد الذى
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبى سفيان فاحسن مثواه ونزل باقى
اليهود على قریش فى دورهم فقل لهم أهل مكة أنتم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولأن من أن يكون هذا
مكرامكم فان اردتم أن تخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذالك قوله تعالى يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجمع منكم ثلاثون رجلاً ومننا ثلاثون فليزكوا كابدنا
بالكعبة فنه اهدرب هذا البيت لجهنم على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ
تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانه لم يأتنا اهدى سبيلاً نحن أم محمد فقل لكعب أعرض على دينك فقل
أبو سفيان نحن ننحرف لاجتماع السكواء ونسبهم للماء ونقرى الضيف ونفك العاني وضل الرحم ونعمر
بشرنا ونطوف به ونحن اهدل الحرم ومحمد فارق دين أبائهم فقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين
محمد الحديث فقل لكعب أنتم والله اهدى سبيلاً عما يبع محمد فانزل الله تعالى ألم تر بعنى يامحمد الى الذين أوتوا
نصيباً من الكتاب يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى سجدوهم

ونكسهم صغارهم وادبارهم (أولئك هم الكفار أصحاب السبت) أي نخزهم بالسبح كما مسخنا أصحاب السبت والضم من يرجع الى الوجوه
ان أراد الوجهاء والى الذين أوتوا الكتاب على طريفة اللغات والوعيد (٣٩١) كان معاقبان لا يؤمن كلهم وقد آمن

بعضهم فان ابن سلام قد
سمع الآية فافلا من الشام
فاتي النبي صلى الله عليه
وسلم ساعدا قبل أن يأتي
أهله وقال ما كنت أرى
ان أصل الى أهلي قبل أن
يطمس الله وجهي ولان
الله تعالى أوعدهم بأحد
الامرئين يطمس الوجه
أو يلغمهم فان كان الطمس
تبدل أحوال رؤسائهم
فقد كان أحد الامرئين
وان كان غيره فقد حصل
اللعن فانهم ما هوون بكل
لسان وقيل هو منتظر
في اليهود (وكان أمر الله)
أي الأمور به وهو العذاب
الذي أوعدهوا به (مفعولا)
كأنه لا محالة فلا بد أن يقع
أحد الامرئين لم يؤمنوا
(ان الله لا يغفر أن يشرك
به) ان مات عليه (ويغفر
مادون ذلك) أي مادون
الشرك وان كان كبيرة
مع عدم التوبة والحاصل
أن الشرك مغفور عنه
بالتوبة وان وعد غفران
مادونه لمن لم يتب أي
لا يغفر لمن يشرك وهو
مشرك ويغفر لمن يتوب
وهو ذنب قال النبي عليه

وجهي الى ففأى وكذلك روى عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال
يا رب أسألت تخاف أن يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن أحد منهم وهذا
الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات
الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة وقيل
انه تعالى جعل الوعيد بأحد شيئين اما بالطمس أو بالاعتة وهو قوله تعالى (أو ناعظمهم كما لعن أصحاب السبت)
أي نخزهم قردة كما فعلوا بهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والبعاد من الرحمة والكفاية في لعنهم تعود الى
المخاطبين في قوله تعالى أيها الذين أوتوا الكتاب وهذا على طريفة الالتفات كفي قوله تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرت بهم برح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن يطمس وجوههم فهدوا ولنعم أصحاب
الوجوه فجعل الكذبة في قوله أو ناعظمهم عن ذكر أصحاب الوجود اذا كان في الكلام دلالة عليهم وقوله
تعالى (وكان أمر الله مفعولا) يعني لا بد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد حكمه ولا ناقض الامر على
معنى انه لا يمنع عليه شيء يبدأن فعله وقبل معناه وكان مأمورا الله مفعولا والامر هنا في موضع المأمور سمي
أمر الله عن أمره كان قوله عز وجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) قال ابن
جير الطبري معناه أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك
لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على أن اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت
في وحشي وأصحابه وذلك لما قتل حزقيا رضي الله عنه ورجع الى مكة تدم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اننا قد ندمنا على ما صنعنا واننا ليس بنا من الاسلام الا أناس معنا بكفة تقول والذين
لا بدعون مع الهة أخرى الى آخر الآيات وقد دعونا مع الهة أخرى وقتلنا النفس التي حرم الله وزنا
فلولا هذه الآيات لاتبعناك ففزلت الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا لا يتبين فبعث به مارسل الله صلى الله
عليه وسلم اليهم فلما قرأوها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا بالنخاف أن لا نكون من أهل المشيئة
ففزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لو وحشي اخبرني كيف قتلت حزة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عني
فلمحك بالشام فكان به أن مات رقيق لما نزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقام رجل فقال
يا رسول الله والشرك فكنت ثم قام اليه من نين أو ثلثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك
مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام
ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة
بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لمادون الشرك فان
مات على الشرك فهو بخلاف النار ولان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وفي الآية
رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يغفر لأصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى
يقول ما يشاء لا مكره ولا حرج وعليه يدل على ذلك أيضا ما روى عن ابن عمر قال كان على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن

السلام من اتى الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتفيده بقوله (لمن يشاء) لا يخرج عن عموم كقوله الله لطيف عباداه
يرزق من يشاء قال على رضي الله عنه ما في القرآن آية أحب الى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التنب بابل لان الكفر مغفور عنه بالتوبة
لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فادونه أن يغفر بالتوبة والآية سبقت لبيان التفرقة بينهما وماذا فهاذا كذا

محب الى ما يدعو اليه ومعناه غيره سمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا واسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه تاب ويحمل المدح
أي اسمع غير مسمع منك وهما من قولك اسمع فلان فلا اذا سمعته وكذا قولك (واذا سمعنا) يحمل راعنا ان كانك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل
سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يسمعون هاهنا راعنا فكانوا سخرية بالدين وههنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكاهونه بسلام
والله نعوذ بظاهره ونهاتيقه والاكرام (الياسمعة) فقلنا ونحن نعوذ بقاى
محمدا بنون به الشريعة

محمدا بنون به الشريعة

يقتلون بالستهم الحق
الى الباطل حيث يضعون
راعنا موضع انظر ما وثر
سممع وضع لاسمعت
مكرر وهما أو يقتلون
بالستهم ما يضمر ونه من
الستهم الى ما يظهر ونه من
التوقيف نفا (وطعناني
الدين) هو قولهم لو كان
نبياحقا لآخر بما اعتقد
فيه (ولو انهم قالوا سمعنا
وأطعنا) ونم يبق-ولو
وعصينا (واسمع) ولم
يلحقوا به غير مسمع
(وانظرنا) مكان راعنا
(لكان) قولهم ذلك
(خبرنا لهم) عند الله
(وأقوم) وأعدل وأسد
(ولكن اعنهم الله بكفرهم)
طردهم وأبدهم عن
رحمته بسبب اختيارهم
الكفر (فلا يؤمنون الا
قليل) منهم قد آمنوا
كعب الله بن سلام وأصحابه
أولا ايمانا قليلا ضعيفا
لا يعاينوه وهو ايمانهم بمن
خلقهم مع كفرهم بغيره
ولم يؤمنوا نزل (بأيها
الذين آمنوا الكتاب آمنوا

كانوا يقولون اسمع منا ولا اسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون النبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في
أنفهم لاسمعت وقيل معناه غيرهم يقول منك تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما
ترضاه (واذا سمعنا) أي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبة الى الرعونة وقيل معناه راعنا سمعك أي اصرف
سمعك الى كلامنا وانصت الى قولنا أو مثل هذا لا يخاطب به إلا نبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم
والتبجيل والتفخيم (الياسمعة) وطعناني الدين أصله ولا يمان من لويت الشئ اذا فاته والمعنى انهم يقتلون
الحق فيجعلوا لمعابلا لان راعنا من المراعاة فيجعلوا منه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما سمعتموه ولا
يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فظاهر والله تعالى على خبث ضمائرهم وفاق قولهم من العداوة والبغضاء ثم
قال تعالى (ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا) يعني ولو انهم قالوا بل سمعنا وعصينا اسمعتنا وأطعنا (واسمع) يعني
بدل قولهم لاسمعت (وانظرنا) يعني بدل قولهم راعنا أي انظر الينا (لكان خبرنا لهم) يعني عند الله (وأقوم)
يعني أعدل وأصوب (ولكن اعنهم الله) من طردهم وأبدهم عن رحمته (بكفرهم) يعني بحمد صلى الله
عليه وسلم (فلا يؤمنون الا قليلا) يعني فلا يؤمن من اليهود الا لغير قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل
أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ووزعهم قوله تعالى (بأيها الذين آمنوا الكتاب) خطاب لليهود
(آمنوا بما نزلنا) يعني اقرآن (مصدق لما معكم) يعني اتورا وتوراة ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كأم أحوار
اليهود عبد الله بن صور يوكعب بن الاشرف فقال يا ههنا اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم تاملون ان
الذي جنتكم به لحنى قالوا ما نعرف ذلك وأصرروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وأمرهم بالإيمان وقرن هذا
الامر بالوعيد الشديد فقال تعالى (من قبل ان نطمس وجوها) أصل الطمس ازالة الآثار بالمحو وذكرنا في المراد
باطمس ههنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقة والنسائي أن يحمل على مجازة ما من حله على الحقيقة
نقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها تحكف البعير وقيل نعمها فيكون المراد بالوجه العين
(فتردها على أدبارها) يعني يجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاة وقيل تدبرها فيجعل الوجوه الى خلف
والاقفاة الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشو به الخلق والمالة والفضيحة وعند هذا يحصل
لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بיום القيامة وأما من حل الطمس على المجاز
فقال المراد به نطمسها عن الهدى فتردها على أدبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب
والبصيرة فتردها على أدبارها يعني بتغيير أحوالهم فلبسهم الصغار والدلة بعد الغزو وقيل المراد بالطمس
محو آثارهم من المدينة ووردهم الى أذرعات واريحاء من أرض الشام من حيث جاءوا وهو اجلاء بني النضير
فان قلت قد أوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال
انما يراد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط
بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقيين وروى ابن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي أهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول

بما نزلنا) يعني القرآن (مصدق لما معكم) يعني التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) أي نمحو تخطيط صورها من
دين وحاجب وأنهم قوم (فتردها على أدبارها) فجعلها على هيئة أدبارها وهي الاقفاة مطموسة مثلها وانما بالنسيب وان جعلها متعقب
على انهم تودعوا بعبادة ابن أحدهم ما تعقب الآخر فتردها على أدبارها بعد طمسها فالعن ان نطمس وجوهنا فنفسك الوجوه الى خلف والاقفاة
الى قدام وقيل المراد بالطمس القلب والتغيير كطمس أموال القبط فقلبها سحار ودور بالوجوه ورؤسهم ووجهاهم أي من قبل ان تغير أحوال
وجهاهم فنفسهم اقبالهم ووجهاهم

(ان الله كان عفواً) بالترخيص والتيسير (غفورا) عن الخطا والتقصير (التمز) من رتبة القلب و: الى على معنى ألم بقتله علمك اليهم
أو بمعنى ألم تنظر اليهم (الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم اهل اليهود (يشتركون الضلالة) يستبدلون اباطى
وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل
(ويريدون ان تضالوا) أنهم أي المؤمنون (السبيل) أي سبيل الحق كما ضلوا (والله أعلم) منكم (باعدانكم) وقد أخبركم بعبادة هؤلاء
فاحذروهم ولا تستصحبوهم في أموركم (وكفى بالله وليا) في الفع (وكفى بالله) (٣٨٩) نصرا) في الدفع فتقوا بولايته

و نصرة ددوهم وأولاتبوا
هم فان الله ينصركم عليهم
ويكفكم مكرهم ووايا
ونصيرا منصوبا على
التمييز وأعلى الحال (من
الذين هادوا) بيان الذين
أتوا نصيبا من الكتاب
أو بيان لاعدائكم وما
بينهما اعتراض أو يتعلق
بقوله نصرا أي: ينصركم من
الذين هادوا كقوله ونصرا
من القوم الذين كذبوا
بآياتنا أو يتعلق بحذف
نصيرهم من الذين هادوا قوم
بحرفون السكام بقوم مبتدا
وبحرفون صفة له والخبر
من الذين هادوا مقدم
عليه وحذف الموصوف
وهو قوم وأقيم صفة وهو
(بحرفون السكام عن
مواضعه) يميلونه عنها
ويزيلونه لانهم اذابوا
ووضعوا مكانه كما غيروه
فندأ ما لوه عن موضعي في
التوراة التي وضعه الله
تعالى فيها وأزالوه عنهم
مقامه وذلك نحو تحريفهم
أسمر بعة عن موضعي في

طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في صحراء ولا حائل دون نظره نظر حوايلها وان
كان دون نظره حائل فربما من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلتجدوا ماء فقيموا ولا
يقال لم يجد الا لم يطلب ولا يشترط طاب عند أي حذيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه لما منع من عدو أو وسيع
ينعمهم الذهاب اليه أو كان الماء في بنو ليس معه آلة الاستقاء فهو كما امامد فيقيمهم ويصلى ولا إعادة عليه
والله أعلم بقوله تعالى (ان الله كان عفواً) يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم (غفورا)
ستورا على عباده بغفر الذنوب ويستتره وفيه نبيه على ان الله تعالى رخص اعباده أمر العبادات يسرها
عليهم لان من كانت عادته ان يغفر الذنوب ويعفو عنها كان أولى ان يرخس الاماير من أمر العبادة وقوله
عز وجل (التمز الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب) نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاع بن
زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا إذا نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا لسنه ما وعادوا فأنزل الله
تعالى ألم تر يعني ألم يمتنع علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة
وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى عن التي هي
للتبعض وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤثروا العمل بها (يشتركون الضلالة) يعني يؤثرون نكذب محمد صلى الله
عليه وسلم يأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرابطة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه
اظهار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى (ويريدون) يعني اليهود (أن تضالوا السبيل) يعني عن السبيل والمعنى
انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين والتليس عليهم لكي يتجنبوا الاسلام (والله أعلم باعدانكم) يعني
انه سبحانه وتعالى أعلم بكنهه في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستصحبوهم
فانهم أعداؤكم (وكفى بالله وليا) يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره أحد (وكفى
بالله نصيرا) يعني فهو ينصركم عليهم فتقوا بولايته ونصرة وقوله تعالى (من الذين هادوا) قيل هو بيان
للذين أتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو
متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديرهم من الذين
هادوا قوم (بحرفون السكام) أي يزيلونه ويغيرونه يبدلونه (عن مواضعه) يعني يغيرون صفة محمد صلى الله
عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر
فيخبرهم به فيريهم أنهم يأخذون بقوله فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء
الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل (ويقولون سمعنا
وعصينا) يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في
الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا واولئك انهم كانوا يظهرون ذلك القول عندا واستخفافا (واسمع غير
مسمع) هذه كلمة تحمل المدح والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكر وهاو اما معناها في الذم فانهم

التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه في المائدة من بعد مواضعه في عن مواضعه على ما يبين ان الله عن مواضعه التي
أوجبت حكمه الله وضعه فيها فاقضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه وعني من بعد مواضعه كانت له مواضع جدير بان يكون فيها الخلق
حرفه تركه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقامه المعنيين بمقتار بان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك قيل أسروا به
(واسمع) قولنا (غير مسمع) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منامدعو اعليك بلا
سمعت لانه لو اجبت دعوتهم عليهم لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك انك لا على ان قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير

جهيم من الحث فقال أبو جهيم أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو برجل فأنه رجل فسلم عليه فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه وبديه ثم رده عليه السلام ولابني داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فانه ان قضى حاجته فمكنا من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من غانا أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على حائط ومسح بوجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح به ذراعيه ثم رده عليه السلام وقال لم يعني أن أرد عليك ولا الأتي لم أكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذا أجود ما في هذا الباب فان البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دلائل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضر بتين وإصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعاق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حدث الجدار بالصلوة لو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حتمه وذهب الزهري الى انه مسح اليدين الى المذكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا واهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد صلاة الفجر فضر بوباكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجههم ومسحوا بآذانهم عادوا فضر بوباكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بآيديهم كلها الى المناكب والآباط ثم يطون بآيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة لا لوجهه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول واليه ذهب الاوزاعي ومالك وأحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم أجده الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال إنما يكفيك أن تقول بيدك هكذا ثم ضرب بيده الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنه ما ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا وضرب بيده الأرض فقبض بيده فمسح وجهه وكفيه أخرجه في الصحيحين وجملة ان اليد اسم لهذه الجارية واحدة فذهب بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى السكوع وهذا هو المقطوع في حد السرة وقال أبو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فن ذهب الى أن المسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المنطوق في حد السرة ومن ذهب الى ان المسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى ان المسوح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم يدل عن الوضوء واليد المنغسولة في الوضوء هي المسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على انقياد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فامسحوا بوجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب من ذهب الى هذان حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

فصل في أركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص لغبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض المذهب للرجل لم يكنه ولو لم يمس غيره بآذنه مع مجزئ جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكمله أن ينوي استباحة الفرض والنقل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضر بتين والتزيت ولا يصح التيمم صلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقاتدة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلى به ماشا من غير أن يمسح باليدين وهو قول سعيد ابن المسبب والحسن والزهري والثوري وأصحاب الرأي وانفقوا على انه يجوز أن يصلى بتيمم واحد ماشا من الوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنباً ويشترط

أعطشه وأعطش حيوان محترم فإنه يجوز له أن يتيمم به ووجه أن ذلك الماء وقوله تعالى فتيمة موصوفه بالصعيد اطيبا
أصل التيمم في اللغة التقصيد يقال تيممت فلاناً قصدته وهو في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة عند عدم
الماء التأدية الصلوة واختلقوا في الصعيد الطيب فقال فتادة الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات
وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الأرض وكذلك قال الليث الصعيد الأرض المستوية التي لا شئ فيها وقال
الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم لم يأكل ما قام وادعوا للصعيدات قال
الصعيدات الطرق ما خوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الأرض البارز وهو اختيار الزجاج قال
الصعيد وجهه الأرض ولا تنال كان في الموضع تراب أو لآل من الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض
ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد قال يقع اسم الصعيد الأعلى تراب ذي غير فالما للبطحاء العظيمة
والرفيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فإن خالطه تراب أو مدر يكون له غير لكن الذي خالطه هو الصعيد قال
ولا يتيمم بنوره ولا يحل ولا زرع كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القصد وفي
الطائفة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيد في أنه التراب وجميع الأقوال في الصعيد صحيحة
في اللغة لكن المراد به التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيد هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز
به التيمم فذهب الشافعي إلى أنه يختص به وقع عليه اسم التراب مما لا غير يعاق بالوجه واليد لأن
النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الأرض مسجداً وطيراً طاهراً وخلص التراب بالطهور ولأن الله تعالى
وصف الصعيد بالطيب والطيب من الأرض هو الذي ثبت فيه بديل وقوله والبلاد الطيب يخرج ثباته فعلى
هذا ما لا يثبت ليس طيباً وأيضاً قوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمته
للتبعض هنا ولا يتأتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وأيضاً فإنه قال لا تراب صعيد لأنه ما خوذ من
الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة وما لك إلى أنه يجوز التيمم بكل
ما هو من جنس الأرض كالرمل والجص والنورة والزبرنج ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء
لا غبار عليها صح تيممه عنده واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بظاهر الآية قالوا لأن التيمم هو التقصيد والصعيد
اسم لما تصاعد من الأرض فقوله تعالى فتمه وأصعيداً أي أقصدوا أرضاً فوجب أن يكون هذا القدر كافياً
وأجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وإن لفظة من تدل على التبعض قالوا والمراد عن جابر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأجيب عنه بأن هذا يحمل بقصره ما تقدم
من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على الجملة ويجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل
بالأرض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لأن اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الأرض وأجيب عنه
بما تقدم من الأدلة وقوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) الوجه المسموح في التيمم هو المحذور في
الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسح منه اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وابن عباس والحسن وهو
مذهب أبي حنيفة والشافعي أنه مسح الوجه واليد إلى المرفقين بضم بتين وصورة ذلك أن يضرب كفه
على التراب ويمسح به أوجهه ولا يجب اتصال التراب إلى منابت الشعور ثم يضرب ضربة أخرى ويفرق
أصابعه فيمسح يديه إلى المرفقين ويدل على ذلك ما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان
ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين رواه البيهقي والبيهقي وروى الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن أبي
الحويرث عن الأعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فمسح عليه فلم
يردني حتى قام إلى الجدار فغسله بعضاً كانت معه ثم وضع يده على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم ردني هذا
حديث منقطع لأن الأعرج وهو عبد الرحمن بن هريرة لم يسمع هذا من ابن الصمة وإنما سمعه عن غيره
مولي ابن عباس عن ابن الصمة وكذلك هو يخرج في الصحيحين عن غير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي

(فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم) قبل الباء زائدة

أحمد بن حنبل وضعفه عنهم بهذا الحديث **المسئلة الخامسة** من نواقض الوضوء مس الفرج من
 نفه أو غيرة. فذهب قوم إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمرو بن عباس وسعد بن أبي وقاص
 وأبي هريرة وعائشة به قال سعيد بن مسيب وسابان بن يسار واليه ذهب الأوزاعي والشافعي وأحمد
 واسحق وغيرهم الشافعي قال يفتنض الوضوء إذا لمس بطن السك والرحل والمرأفة ذلك سواء يدل
 على ذلك ما روى عن بسرة بنت قنوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل
 حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولا يردود النسائي نحوه وعن أم حبيبة قالت سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فلا يتوضأ أخرجه ابن ماجه ومحمد وأحمد وأبو زرعة وعن
 أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده إلى ذكره أو ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء
 أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم إلى أن مس اليد كرا لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي
 الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روى عن
 طلق بن علي قال فسمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاء رجل كأنه يدوي فقال يابى المقاتري في
 مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هو الامضة أو قال بضمة منه أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي نحوه
 بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بأن قدمه على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو بيني المسجد وأبو هريرة من آخرهم أسلاما وقد روى انتقاض
 الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضاً فان حديث طلق برويه عنه
 ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند أهل الحديث وقوله له (فلم تجدوا ماء فتييموا صعيداً طيباً)
 اعلم ان التيميم من خصائص هذه الأمة خصها الله تعالى به ليسل عليهم أسباب العبادات يدل على ذلك ما روى
 عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاء على الناس ثلاث صفوة أنا كهفوف الاناث وكهفوف
 وجعلت لنا الارض كلها مسجداً وجعلت رقبتي الناطقوا إذا لم تجدوا الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء
 التيميم ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره
 حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجبش انقطع عقدى فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام
 الناس معه ولا يسوا إلى ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة
 برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا إلى ماء وليس معهم ماء فأتى أبو بكر برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأضع رأسه على نخدي فدنأ فقال حيث يست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا إلى
 ماء وليس معهم ماء فأتى عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل بطنه بيده في خاصرتي
 فلا يمتني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخدي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى أصبح على غير ما فأنزل الله عز وجل آية التيميم فتييموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء ما هي بآول
 بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فتييموا في غير ذلك الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحتها أخرجه جادى الصحيحين
 قوله بالبيداء البيداء المغازاة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجعلها بيد ذات الجبش اسم لموضع وهو على
 بريد من المدينة وقوله فاعتنا البعير أى أثر ما فوله له (فلم تجدوا ماء فتييموا معاً) على ما قبله والمعنى أن أوجاء
 أحدكم منكم من العائط أو لا ستم النساء فطلبتم الماء لظهوره فابعد فتييموا يعني فاعزوا كم فلم تجدوا بمش ولا غير
 ثم لان الحديث ما مور بالظهور بالماء فإذا أعوز ذلك عدل عنه إلى التيميم بعد طلب الماء قال الشافعي
 إذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فإن لم يجد فتييم وصل ثم إذا دخل وقت الصلاة ثانية وجب عليه الطلب مرة
 أخرى وقال أبو حنيفة لا يجب عليه الطلب الصلاة الثانية بحجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فقدم الوجدان
 مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على أنه لو وجد الماء لكنه يحتاج إليه

(فلم تجدوا ماء) فلم تجدوا
 على استعجاله لخدمه أو
 بعده أو فقد آلة الوصول
 اليه أو لما منع من حية أو
 سبع أو عدو (فتيمموا)
 أدخل في حكم الشرط أربعة
 وهم المرضى والمسافرون
 والمحدثون وأهل الجنبات
 والجزاء الذى هو الإصر
 بالتيميم متعلق بهم جميعاً
 فالمرضى إذا عدوا الماء
 لضعف حركتهم وعجزهم
 عن الوصول اليه
 والمسافرون إذا عدوا
 لبعده والمحدثون وأهل
 الجنبات إذا لم يجدوا بعض
 الأسباب فلم أن يتييموا
 لستهم جزء على (صعيداً)
 قال الزجاج هو وجه
 الأرض تراباً كان وغيره
 وان كان خضر التراب
 عليه لو ضرب التيميم به
 ومسح لكان ذلك طهوره
 ومن في سورة المائدة
 لا بداء الغاية لالتابع
 (طيباً) طاهر

الزنى وأنه المحفوظ عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الترمذي عن عائشة
وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس إلا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحل وهو قول ابن
عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة أنها قالت كنت
أمام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل في قبلي فذا سجد غمز في فقبضت رجلي فاذا قام بسطها
والبيوت يومئذ ليس فيها صايح أخرجه في الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث
بأنه يحتمل أن يكون غمزها على حامل المسئلة الثانية **في** اختلاف قول الشافعي في لمس الحرم كالام والبنت
والاخت أو أجنبية صغيرة فاصح القولين عنه أنه لا ينتقض الوضوء به والثاني أنه ينتقض الوضوء به وما أخذ
القولين عنده أصحاب الشافعي التردد بين اتماقي بمعوم الآية في قوله أولاً ستم النساء أو النظر إلى المامني في
المنقض باللمس وهو تحرك التهوؤ فان أخذنا بمعوم الآية فينتقض الوضوء باللمس المحرم وإن أخذنا بالمعني
فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا قبل منه في المباشرة رجلاً كان أو امرأة والألمس هو
الفاعل للامس وإن لم يقصد المباشرة فاحد القولين أنه ينتقض وضوء الألمس والملموس لمعوم الآية لأنه
لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما ما رواه القول الثاني أنه ينتقض وضوء الألمس دون الملموس
لماروي عن عائشة مرضى الله تعالى عنها قالت لقد ت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائش فالتصته
فوضعت يدي على أخص قدميه وهو ساجد وهو ما نصوبان وهو يقول اللهم اني أعوذ برك من سيخطك
وبما فأنك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو
انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شـهر امرأة أو سنها وظفرها فلا وضوء عليه
في المسئلة الثالثة في الحديث **في** وهو الخارج من السبيلين عينا كان كلبول والغائط أو أثار كل ريج ونحوها
فاذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ ويقيم عند عدم الماء لما روى عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من
أهل حضرموت ما الحديث يا باهر رة قال فساء وضراط أخرجه في الصحيحين ما مخرج النجاسة من غير
السبيلين كالغصه والحجارة والرافع والقي ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذه الاشياء بروى
ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحنن وابن المسيب واليه ذهب مالك والشافعي لما
روى عن أنس قال احتجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسل فسل ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجه أخرجه الدار
قطنى وذهب قوم إلى استحباب الوضوء من ذلك منهم سـفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد
واسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينتقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه
الاشياء ما روى عن معدان بن أبي طلحة عن أبي البرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قام فتوضأ قال معدان
فلقيت أبو بان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صبيت له وضوءاً أخرجه الترمذي وقال هو
أصح شيء في هذا الباب **في** المسئلة الرابعة **في** نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو غم أو نوم لما روى
عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السم فـن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعداً ففضيا بمعمل الحدث إلى الأرض ويدل على ذلك ما روى عن أنس قال
كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الأخيرة حتى تخفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضئون
أخرجه أبو داود وذهب قوم إلى أن النوم لا ينتقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة وبه قال
الحسن واسحق والزنى وذهب قوم إلى أنه لو نام قائماً أو قاعداً أو ساجداً وهو في الصلاة فلا وضوء عليه
حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي لما روى عن ابن عباس أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجداً وضوء حتى يضطجع فانه إذا اضطجع استرخت مفاصله أخرجه

فقال قتلوه قتله الله ألا سألو اذالم يعلموا فاما شفاء الى السؤال انما كان بكفيه أن يتيمم ويصبر أو قال
 به صب شك الراوى على جرحه خرقة تم مسح عليه وبغسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم يجوز
 أصحاب الرأى الجمع بين الغسل والتيمم قالوا اذا كن أكثر أعضاءه أو بدنه محجبا غسل الصحيح ولا يتيمم
 عليه وان كان الاكثر محجوبا اقتصر على التيمم والحديث بحجة لمن أوجب الجمع بين الغسل والتيمم قوله
 تعالى (أو على سفر) يعني أو كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلى
 ولا إعادة عليه لما روى عن أبي ذر قال اجتمعت غنمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها
 فبدوت الى الرذة كانت تصيبني الجنابة فامكث الخس والست فاقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو
 ذر فسكت فقال شككتك أمك يا أبا ذر لأمك الويل فمدنا بجارية سوداء فباعت بعض فيه ماء فمترني بوب
 واستترت بالراحلة فاغتسلت فكناني القيت عني جبلا فقال الصديق الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين
 فاذا وجدت الماء فامسه بجلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود والعس قدح من نخار يجعل فيه الماء للوضوء
 والاعتسال أما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في وضع لا يعدم فيه غابا فانه يتيمم ويصلى ثم
 يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه به قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا إعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة
 حتى يجده الماء وقوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط) الغائط المكان المظلم من الأرض وجعه الغيطان
 وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكذبوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء
 الحاجة طلب غائطا من الأرض يعني مكانا مخفيا من الأرض يحجبه عن أعين الناس فيسمى الحدث بهذا
 الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى (أو لامستم النساء) قرئ هنا وفي سورة المائدة
 لامستم النساء ولستم بغير ألف واختلاف العلماء في معنى اللامسة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول علي
 وابن عباس والحسن ومجاهد وقنادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان اللس يوصل
 اليه قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكنى عن الجماع باللامسة والقول الثاني ان المراد باللس هذا التقاء البشريتين
 سواء كان جماعا أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللس
 حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فجواز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من
 قرأ أو لامستم فاللامسة مفاعلة من اللس لاندل على الجماعة أضاعى الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي
 عن بيع اللامسة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول اذ لمست نوبى أو لمست نوبى بك فقد وجب البيع
 فاللامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير الجماعة لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء

أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أى المطمئن من الأرض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكسبى به عن الحدث (أو لامستم النساء) جامعته وهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس

على صريح الجماع بل حل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد
 فصل في أحكام تتعاق بالآية وفيه مسائل المسئلة الاولى إذا أفضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ
 من بدن المرأة لاحتل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وهو قال الزهري والاوزاعي
 والشافعي لما روى الشافعي بسند عن ابن عمر أنه قال قبله الرجل امرأته وجسها بيده من اللامسة فن قبل
 امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود ومثله وقال
 مالك والابن سعد وأجدوا سقى اذا كان اللامس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا يدل عليه
 ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأته نساء ثم خرج الى
 الصلاة ولم يتوضأ قال عروة بن مهي الأنت فضحك أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس
 بثابت قال الترمذي انه لا يصح اسناده بحال وسعدت محمد بن اسمعيل ضعف هذا الحديث وقال حبيب بن
 ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هوشب لائى وفيه ضعف من وجه
 آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة

وأتم جنب الآن نكسوا مسافرين ولم يجذوا الماء فتيمة وما منع الجنب من الصلاة حتى يغسل الآن يكون في سفر ولأما معه في تيمم ويصل إلى أن يجذ الماء فيغتسل وهذا أقول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فنجل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدى القول الاول ويدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب لا يصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هنا فيحتاج إلى إضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج إلى إضمار شيئين الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعده هذا فلا يحمل هذا على حكم عادي والآية ويدل عليه ما في جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله (حتى تغتسلوا) يعني إلى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنب باق على الجنب إلى غاية هي الغتسل

فدفع في أحكام تتعلق بالآية **اختلف العلماء في العبور في المسجد فاحقه قوم على الإطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنه بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فنعاه أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال الماروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجوهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لم يصنع القوم شيئا رجاء أن تنزل لهم رخصة فخرج إليهم بعد فقال وجوهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لأحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أصحاب المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن حديث عائشة بأنه في رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل إسناده واستدل أحمد لمذهبه عاروي عن عطاء بن يسار قال رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم جنبون إذا توضؤوا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روي عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحا هذا المسجد فزادى بأعلى صوته أن المسجد لا يحل للجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقرأة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك أيضا ما روي عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه ويرى وقال لا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حدث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النساء من القرآن شيئا أخرجه الدارقطني وبجواب الغسل باح شيئين بالنزول إلى وهو الماء**

الداقي أو بإللاج الحشفة في الفرج وإن لم ينزل ويدل على ذلك ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجذ البيل ولا يذ كراحتا ما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجذ بل لا قال لا يغسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعلمها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وإن لم ينزل **وقوله تعالى (وإن كنتم مرضى)** جمع مرضى وأراد به المرض الذي يضر معه أساس الماء مثل الجدري وحرق النار ونحو ذلك وإن كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمل الماء التالف أو زيادة الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وإن كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها جرحا يغسل الصحيح وتيمم للجرح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفرنا فاصاب رجلنا منجرا فمشى في رأسه ثم احتلم فقال أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قد مت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك

(حتى تغتسلوا) الآن
نكسوا مسافرين
الماء تيمم
التيتمم بالمسافر لأن غالب
حاله عدم الماء وهذا مذهب
أبي حنيفة رحمه الله وهو
مروي عن علي رضي الله
عنه وقال الشافعي رحمه
الله لا تقربوا الصلاة أي
مواضع الصلاة وهي المساجد
ولا جنباً أي ولا تقربوا
المسجد جنباً إلا عابري
سبيل الاجتياز بين فيه
فيجوز للجنب العبور في
المسجد عند الحاجة (وان
كنتم مرضى

(بأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) أى لا تقربوها فى هذه الحالة (حتى تعلموا ما تقولون) أى تقرؤن وفيه دلائل على ان ردة السكران ليست بردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح الامات كفرو لم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على اسانه مخلفا لا يحكم بكفره (ولا جنبا) عطف على وأنت سكارى لان محل الجلبه مع الواو النصب دلى الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أى ولا صلوا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جري مجرى امرئ الذى هو الاجنب (الا عابرى سبيل) صفة لقوله جنبا أى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قبل لا تقربوا الصلاة غير مفسلين

تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم وبداخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على أفواههم وتنطق ايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فند ذلك عرفوا أن الله لا يكتف حديثا وعنده بوالذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض فلا يختلف عليك ان قرآن فان كلام الله لا يحد ولا يغير الله وقال الحسن انها واطن فى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعرفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفى موطن لا يتكلمون وفى موطن يسألون الرجعة وآخرناك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتفون الله حديثا قوله عز وجل (بأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) جمع سكران (حتى تعلموا ما تقولون) سبب نزول هذه الآية ما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعا نافا كاننا وسقانا فخر اقبل نحر يمين الجر فاحذت منا وحضرت الصلاة فقد وفى فقرأت قل بأيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال غلطت فزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ووافقه ابن جرير وابن الأضمر وأبو عبد الرحمن ابن عوف فسقاها قبل ان تحرم الجر فحضرت الصلاة فقامهم على فى المغرب فقرأ قل بأيها الكافرون غلط فيها فزلت الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير والطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الجر فقل الله عز وجل بأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فعلى هذا فى المراد بالصلاة قولان أحدهما أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الأكثرين والمعنى لا تصلوا أو أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى ان المراد بالصلاة وضع الصلاة وهو المسجد والاطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة أنتم سكارى وحذف المضاف جائز ساوغ بدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلاوات مواضعها فثبت ان الاطلاق لفظ الصلاة والمراد وضعها جائز واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة السكر انما كان قبل تحريم الجر فكانوا يشربون ثم يأتون الصلاة ثم يزل تحريم الجر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال المتحذك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعت أحدكم وهو يصلى فليرق حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري أهله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجاه فى الصحيحين وقوله تعالى (ولا جنبا) يعنى ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جري مجرى امرئ الذى هو الاجنب وأصل الجنابة البعد سبيل الذى أصابه الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل بجانبه الناس حتى يغتسل (الا عابرى سبيل) العابرون نافع من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء فى معنى قوله الا عابرى سبيل على قولين أحدهما ان المراد بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك أن قوم من الانصار كانت أبوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا تعلمهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة وضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجازا ين فيه الما والخروج منه والودخول فيه مثل أن يكون قد نام فى المسجد فجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء فى المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير إقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحك وعطاء الخراساني والزهري وأبيه ذهب الشافعى وأحمد القول الثانى أن المراد من قوله الا عابرى سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة

(و يؤت من لدنه أجر عظيما) و بعد صاحبهم عند ثواب عظيم و ما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمي متاع الدنيا قليلا و فيه ابطال قول المعتزلة في تخليد من تكب الكبرية مع انه له حسنات كثيرة (فكيف) (٣٨١) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود

وغيرهم (اذا جئنا من كل امة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا و هو بينهم (و جئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أى أمك (شيدا) حال أى شاهد اعلى من آمن بالايمان و على من كفر بالكفر و على من نافى بالنفاق و عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله و جئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال حسبك (يؤمن) ظرف ا قوله (يؤد الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول) لوتسوى بهم الارض لو يدفون فدى بهم الارض كاتسوى بالمرقى أو يودون انهم لم يبعثوا و انهم كانوا الارض سواء أو تصبر اليها ثم ترابا فيودون حالها نوى بفتح التاء و تخفيف السين و الالة و حذف احدى التاءين من تتسوى حزمة و على تسوى بادغام التاء في السين مدنى و شامى (ولا ياتمون الله حديشا) مستأنف أى ولا يقدرون على كتابه لان جوارحهم تشهد عليهم و لما صنع

يقول ادخلوا الجنة فآراهم فقولكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم نعط احد من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ افضل من هذا فيقول رضى فلا أسخط عليكم بعده ابدا فاسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم و يدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين و الآخرين ثم نادى مناد من عند الله ألا من كان يطالب مظالمه فليجي الى حقه فليأخذ حقه قال فيخرج المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه و ان كان صغيرا و مصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون و يؤتى بالعبد و ينادى مناد على رؤس الاولين و الآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له أت هؤلاء حقوقيهم فيقول أى رب من أين و قد ذهب الدنيا فيقول الله تبارك و تعالى لا لا تكثره انظروا في أعماله الصالحات فاعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا و هو أعلم بذلك أعطينا كل ذى حق حقه و بقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها العبدى و أدخلوه بفضل رحمتى الجنة و مصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة و ان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجر عظيما أى الجنة و ان كان عبد اشقياء قالت الملائكة الهنا فبنت حسنة و بقى طالبون كثير فيقول الله تبارك و تعالى خذوا من سيئاتهم قاضيوها الى سيئاتهم ا كتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود و قوفا عليه و أسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فغنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل يأخذ هاله منه و لا يظلم مثقال ذرة تبق له بل يثيبه عليها و يضاعفها له فذلك قوله تعالى و ان تك حسنة يضاعفها أى يجعلها أضاعفا كثيرة (و يؤت من لدنه) يعنى من عنده (أجر عظيما) يعنى الجنة و المعنى و يعطى من عنده أجر عظيم يعنى عوضا من حسنة و ذلك العوض هو الجنة قال أبو هريرة اذا قال الله عز وجل أجر عظيم ما يقدر قدره قوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى فكيف يكون حال هؤلاء المشركين و المنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس رضى الله عنه يدين بها و المعنى انه يؤتى بنى كل امة يشهد عليها و لها (و جئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) يعنى تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن و خطبوا به بما عملوا (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك و عليك أنزل قال انى أحب ان أسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه ذرفان زاد مسلم شهيدا مادمت فهم أو قال ما كنت فيهم شك احد رواه في وقوله تعالى (يؤمن) يعنى يوم القيامة (يؤد) أى يمتنى (الذين كفروا) يعنى يتخذوا و احداية الله تعالى (وعصوا الرسول) يعنى فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل (لوتسوى بهم الارض) يعنى لو صاروا فيما وسو بت عليهم و قيل انهم و دو ان لم يبعثوا لانهم اما كانوا فى الارض و هى مستوية عليهم و قال السكبي يقول الله تعالى ليهائم و الوحوش و الطيور و السباع كوتى ترابا فتسوى بهم الارض فغند ذلك تجنى الكفار لو يكون ترابا (ولا يكتمون الله حديثا) قال ابن عباس فى رواية عطاء و د الواسوى بهم الارض و انهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به و لا نفاقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدين انما صفة محمد صلى الله عليه وسلم و نفعه و هو كلام متصل بما قبله و قيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى أجدى فى القرآن أشياء تختلف على قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكفون الله حديثا و منها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كثر و اقل قال بغفر الله

عبد الرحمن بن عوف طعا ما وشر ابو داود عافرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فا كانوا شر بوافد مواعدهم ليلى بهم المغرب فقرأ فلأبأهم الكافرون أعبد ما تمعدون و أنت عابد من ما أعبد نزل

وابتداء مرضاته (وكان الله بهم عليما) يعني لا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لأجل الرياء والسعفة وفيه وعيد وتهديد لهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) نظم الكلام وماذا عليهم لو اتوا وانفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخلس ولا ينقص أحدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس غلة جراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لادرن لها وهذا مثل ضرب به الله تعالى لأقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم أحدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس (وان تلك حسنة يضاعفها) يعني الحسنة بشرا منها هو اقل هذا عند الحساب فن بقى له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبع مائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسنتي على سبأتي بمثقال ذرة أحب الي من الدنيا وما فيها (م) عن أنس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما السكاقر فيعطى بحسنات قد عمل بها في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له نعمة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتدرك من هذاشيء أفلكم كتبني حافظون فبقول لا يارب فيقول أفلكم عندي يقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فألك لا يظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب الجبر على جهنم وتحمل الشفاععة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض منزله فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين والكالبزق كالبحر وكالطير وكالجوارح ويداخليل والركاب فجاج مسلم ومخدوش ومرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلاص المؤمنون من النار فولد التي نفس بيده ما من أحد منهم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لا خواهم الذين في النار وفي رواية فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قديين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رآوا أنهم قد نجحوا في اخواتهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمر تنابه فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لنذر فيها من أمرتنا أحد اثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لنذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها وبؤ من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيرا قط فعادوا حما فيقيمهم في نهري افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما يخرج الحب في حميل السيل ألا زوها تكون الى البحر أو الى الشجر ما يكون الشجر ما أصبح وأصبح خضر وما يكون منها الى الغار يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في قاهم اخواتهم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء اعتقا الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل وعمله ولا خير قدموه

(وكان الله بهم علما) وعيد
(ان الله لا يظلم منقال ذرة)
هي الجملة الصغيرة وعن ابن
عباس رضى الله عنهم انه
أدخل يده في التراب ورفع
ثم نفخ فيه فقال كل واحدة
من هؤلاء ذرة وقيل كل
جزء من أجزاء الحساب في
الكون ذرة (وان تك
حسنة) وان يك منقال
الذرة حسنة وانما أتت
ضمير المنقال لكونه مضافا
الى مؤنث حسنة مجازي
على كان التامة وحذفت
النون من تكن تخفيفا
لكثرة الاستعمال
(بضاعفها) بضاعف ثوابها
ضمفها كي وشامي

(الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان محتالاً فخوراً وجع على معنى من أوعى الدم أو رفع على خير مبتدأ محذوف تقديره الذين هم يبخلون (و يأمر من الناس بالبخل) بالبخل جزمه وتوعى وهما لغتان كالشده والرشداى يبخلون بذات أيديهم وبمأى أيدي غيرهم فيأمر ونههم بأن يبخلوا به مقلد للسخاء قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل (٣٧٩) غيره والشح أن لا يأكل ولا يؤكل

والسقاء أن يأكل ولا يؤكل والجود أن يؤكل ولا يأكل (ويكفون ما آتاهم الله من فضله) ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الخلق في الحديث إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبني عامل الرشيد قصر احذاء قصره فتم به فقال الرجل يأمر المؤمنين أن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فاحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه فقيل نزل في شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) أي يهانون به في الآخرة (والذين ينفقون أموالهم مغطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين رياء الناس) مغطوف له أي للفخار واليسقال ما أجودهم لا ابتغاء وجهه الله وهم المنافقون أو مشركوكمة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يكن الشيطان له قريناً فسأقرنا حيث جعلهم

هو الذي يفتخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وإنما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذكورين لأن المحتال الفخور يأنف من أقر به الفقراء ومن جبرانه الضعفاء فلا يحسن إليهم ولا يؤايي بنظره عليهم ولأن المحتال هو المتكبر ومن كان متكبراً فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جوثو به خيلاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جازأه بطار (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينار رجل على يوم القيامة (خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينار رجل من كان قبله كيم جازأه من الخيلاء خسف به فهو يتجملجمل في الأرض إلى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في القاديين من أهل البور والسكنية في أهل الغنم القداد ومنهم الفلاحون والحراثون وأصحاب الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بهما ﴿ قوله عز وجل (الذين يبخلون ويأمر من الناس بالبخل) نزلت في اليهود الذين يتخاولون ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كرد بن زيد وحج بن أعطب ورفاعة بن زيد بن النابوت وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع وبيحي بن عمرو وكانوا يأتون رجالاً من الأنصار ويخاطبونهم يقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا ندرون ما يكون فإنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل الله به وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه وإذا كان ذلك أمكن جملة على منع المال ومنع العلم (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) يعني اليهود كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما غنمهم من العلم وقيل هم الأغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر ويخولوا بالمال (وأعتدنا للكافرين) يعني الجاحدين نعمة الله عليهم (عذاباً مهيناً) يعني في الآخرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ﴿ قوله عز وجل (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) يعني للفخر والسمة وليقال ما استخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرأى ضرب من النفاق وقيل نزلت في شركي مكة المنافقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) يعني ولا يصدقون بتوحيده الله ولا بما عدا الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن (ومن يكن الشيطان له قريناً فسأقرنا) يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليفه فبفسد صاحب بسس الخليل الشيطان وإنما قل الكلام هنا بذكر الشيطان تقر يعالهم على طاعة الشيطان وإيماني من يكن عمله بما سول له الشيطان فبفسد العمل وعمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كفر شيطان في سلسله من النار ومن يخفهم الله تعالى وغيرهم على ترك الإيمان فقال تعالى (وماذا عليهم) يعني وأي شيء عليهم وأي وبالوتبة تلحقهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا عمار زعيمهم الله) أي أي وآ بالعلم في الإيمان بالله والانفاق في سبيله

على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيد لهم بأن الشيطان يقرن بهم في الدار (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا عمار زعيمهم الله) وأي تعبوا بالعلم في الإيمان والانفاق في سبيل الله والمراد بالذي يخون والافسك منفعه ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للعاق ماضك لو كنت باراً وقد علم أنه لا مضرة في البر ولو كنهه ذم وتوبيخ

فكأصائم لا يفتقر **﴿** وقوله تعالى (والجار ذي القربى والجار الجنب) أى وأحسنوا إلى الجار ذي القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره عنك وقيل الجار ذو القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصىنى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن عائشة مثله (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قالت يا رسول الله إنى جارى فإني أهدى قال أى قرى بهم ما بملككم (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بأذر إذا طبخت مرقاً فاكثر ماءها وتماجد جيرانك وفى رواية قال أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم قال إذا طبخت مرققة فاكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فاصبرهم منها بمعروف (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشورور (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنساء المؤمنين لا تحرقن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو أن تهدي البها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشئ الحقيقى (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت **﴿** وقوله تعالى (والصاحب الجنب) قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هى المرأة تكون معنى إلى جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك **﴿** عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره ما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن **﴿** وقوله تعالى (واين السبيل) يعنى المسافر المحتاج بك الذى قد انقطع به وقال الاكثر من المراد بدين السبيل الضيق برك فتسكروا وتحسن اليه (ق) عن أبي شريح خويلد بن عمرو الدؤبى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليته والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت زادنى رواية ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤتمه قال يقيم عنده ولا شئ عنده بقر به قوله جائزته يومه وليته الجائزة العظيمة أى يقرى الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل إلى منهل وقيل هو أن يكرم الضيف فإذا سافر أعطاه ما يكفيه يوماً أو ليلة حتى يصل إلى موضع آخر وقوله أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه أى يوقفه فى الأمان لأنه إذا أقام عنده ولم يقره أتم بذلك **﴿** وقوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) يعنى المالك فاحسنوا إليهم ولا حسان إليهم أن لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وإن يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه بقدر الكفاية **﴿** عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سبي المملوكه أخرجه الترمذى **﴿** عن رافع بن مكيت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن المملوكه ما عوسوا الخلق شؤم أخرجه أبو داود وله عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصلاة تقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المروزي بن سويد قال رأيت بأذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلهما فأسأله عن ذلك فذكر أنه سابع رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبهر به ما فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له الذى صلى الله عليه وسلم أنك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبار السن قال نعم أخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيدىكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه بما يلبس ولا تسكنوههم ما يغلبهم فإن كلفتموههم فاعينوههم عليه **﴿** وقوله تعالى (ان الله لا يحب من كان مختلاً) المختل المالك بالعزيزم الذى لا يقوم بحقوق الناس (خفورا) الخفور هو الذى يفتخر على الناس ويعمد مناقبه تكبراً وتواظوا على من دونه وقيل

والجار ذو القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) أى الذى جواره بعيد وأجار القريب الذئب والجار الجنب الاجنبى (والصاحب الجنب) أى الزوجة عن على رضى الله عنه وألذى محبك بأن حصل بمحبك اما رفيقاً فى سفر أو شريكاً تعلم علم غيره أو قاعداً الى جنبك فى مجلس أو مسجد (واين السبيل) الغرب أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والاماء (ان الله لا يحب من كان مختلاً) متكبراً يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت إليهم (خفورا) يعدد مناقبه كبرافان عده الاعترافاً كان شكورا

(ان الله كان عليا كبيرا) أي ان علت أيديكم عليهن فاعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتم عليهن فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله كان عليا كبيرا وانكم تصونه على (٢٧٦)

خاطب الولاة بقوله (وان خفتم شقاق بينهما) أصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الطرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر في الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لان كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل الى شق أى ناحية غير شرق صاحبه والضمير للزوجين ولم يذكر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (فابعثوا احكامهن) أهله (والاصلاح بينهما) (وحكاما من أهلها) وانما كان بعث الحكمين من أهلها لان الاقارب أعرف بباطن الاحوال واطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبر زان ماني ضائرها من الحب والبغض واردة الصحة والفرقة والضمير في (ان) يريد اصلاحا) للحكمين وفي (بوفى الله بينهما) للزوجين أى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت بينهما محبة بورك في وسطتهما وأوقع الله بحسن سمعهما بين الزوجين

عليهن سبيلا يعنى فلا تطلبوا عليهن الضرب والمهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه أزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تحنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكفوهن محبتكم فان القلب ليس يابدين (ان الله كان عليا كبيرا) العلى في صفة الله تعالى معناه الرفع الذى يعاين وصف الواصفين ومعرفة المعارف العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح والكبر وهو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذى يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال من أن يكاف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله على كبير قادر على ان ينتصهن من ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع كل واحد منهن ياتى به ما يقبل ثوبه العاصي اذا تاب ويغفر له فاذا تاب المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا وتنهوا وتركوها عما نهى الله عنكم وان قدرته عليكم أعظم من قدرتم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو عن جنى عليكم (وقوله تعالى (وان خفتم) يعنى وان علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أى ظننتم (شقاق بينهما) يعنى بين الزوجين وأصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه أو يكون أصله من شق العصا هو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما لم يفعل الزوج الصلح ولا الصلح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وتخرج الى ما لا يحل قولها وفعلها (وقوله تعالى (فابعثوا احكاما من أهلها وحكاما من أهلها) اختافوا في الخطابين بهذا من الأمور ببعثة الحكمين ففعل الخطاب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل الخطاب بذلك كل أحد من صالحى الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس جملة على البعض أولى من جملة على البقية فوجب جملة على السكل فعلى هذا يجب أن يكون أمرا لا اتحادا لامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فلا يلحق أن يبعثوا احكاما من أهلها وحكاما من أهلها وايضا هذا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثوا حكمين احكاما من أهلها وحكاما من أهلها (ان) يريد اصلاحا) يعنى الحكمين وقيل الزوجين (بوفى الله بينهما) يعنى بالصلاح والافقة روى الشافى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة تزعم كل واحد منهما افتخام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا احكاما من أهلها وحكاما من أهلها ثم قال للحكمين تدرين ما عليكم عليكما ان رأيتما ان تجمعهما جمعتا وان رأيتما ان تفرقا فراقا فقلت المرأة قرضت بكتاب الله جماعا على فيه ولى وقال الرجل ما للفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ما قررت به قال الشافى والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحد من أهل واحد من أهلها لان اقرارهما أعرف بحالهما من الاجانب واشد طلب للاصلاح فان كانا أجنبيين جازو فائدة الحكمين ان كل واحد منهما يتخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة على النكاح أو في الفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما واذنهما في ذلك ممثل ان يطلق حكم الرجل أو يفترس حكم المرأة بشئ من ما لها فالشافى في ذلك قولان أحدهما انه لا يجوز الا برضاها وليس حكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يتخلع بشئ من ما لها الا باذنه أو هو مذهب أبى حنيفة وأجدلان عليا وقف حين لم يرض الزوج بذلك حين قال ما للفرقة فلا فقال على كذبت حتى تقر بمثل ما قررت به فثبت أن تنفيذ الامر

موقوف

الافقة والوفاق وأتى في نفوسهما المودة والاتفاق أو الضميران للحكمين أى ان قصدا اصلاح ذات البين

والصحيح للزوجين بوفى الله بينهما فاستفقتان على السكامة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد والضميران للزوجين أى ان يريد اصلاح ما بينهما وطلب اخبروا بزلزل عنهما الشقاق بلقى الله بينهما الافقة وبذلها بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة

فأهجره وهن في المضاجع قال ابن عباس هو أن يولمها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يعتزل عنها إلى فراش آخر (واضر بوهن) يعني أن لم ينزعن بالهجران فأضر بوهن يعني ضر باغرمير مرح ولا شأن قيل هو أن يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي الضرب مباح وتركه أفضل عن عمرو بن الحارث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فأتاهن عوان عندهم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فأهجره وهن في المضاجع وأضر بوهن ضر باغرمير مرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً أخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالأسير والضرب المرح الشديد الشاق ^{في} وقوله (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) أي لا تطلبوا عليهن طريفة تحتجون بها عليهن إذا قن بواجب حكمكم عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال إن أطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تمجر إلا في البيت أخرجه أبو داود وقوله ولا تقبح أي لا تنقل قبحك الله (ق) عن عبد الله بن زمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجحد أحدكم امرأته جلد العبد ثم أهله بجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن إياس بن عبد الله بن أبي ذئاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال برت النساء على أزواجهن فرخص في ضرهن فاطاف بالرسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أرتلك بخياركم أخرجه أبو داود وإياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحته وقال البخاري لا يعرف له بحجة قوله برت يقال برت المرأة على زوجها إذا نشزت واجترأت عليه وأطاف بالشيء أحاط به ففي هذا الحديث دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء فإن احتاج إلى ضرها لتأديب فلا يضربها ضر با شد با وليكن ذلك مفرداً ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنهن وليتق الوجه لأنه جمع الخماسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمدليل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجللة فإنه يخفف ما يبلغ شيء أولى في هذا الباب واختلاف العلماء فقال بعضهم حكم الآلة مشرّع على الترتيب فإن ظاهر اللفظ وإن دل على الجمع إلا أن يجري الآلة بدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها بلسانه فإن انتهت فلا تسديل لها فإن أبت هجر مضجعها فإن أبت ضر بها فإن لم تعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين السكك وقيل إن له أن يعظها عند خوف النشوز وهل إن هجر مضجعها فإنه احتال ذلك وله عند ظهوره والنشوز أن يعظها وإن هجرها أو يضربها عن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه قالت أن نجي فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدع امرأته إلى فراشه فتأني عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها وفي رواية إذا بات مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي أخرى حتى ترجع عن طلب نجي على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه قالت أنه وإن كانت على النشور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قلت زوجته من الحور العين لا تؤذيها قاله الله فأتاهم ودخل عندك يوشك أن يفارقك اليسأله عن أم سابعة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها أمأت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فإن أطعنكم يعني فإن رجعن عن النشوز إلى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا

(واضر بوهن) ضر باغرمير

مرح أصم بوعظهن أو لا

ثم بهجرانهن في المضاجع

ثم بالضرب إن لم ينجع

فيهن الوعظ والهجران

(فإن أطعنكم) بترك

النشوز (فلا تبغوا عليهن

سبيلاً) فازيوا عنهن

العرض بالاذى وسبيلاً

مفعول تبغوا وهومن

بغيت الأمر أي طلبة

ذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) صمير في بعضه لارجال والنساء يعني انما كانوا صمير بن علي بن لسب تنصلي الله بعضهم وبهم الرجا
على بعض وهم النساء بالعدل اعلم

والاحزم والراى والثقة والعز وكال الصوم والصلاة والنبوة والخلاف

والامامة والاذان والخطبة
والجباغة والجمعة وتكبير
الشمس بقى عند ائى حنيفة
رحمة الله والشهادة فى
الحدود والتمسك
ونصف الميراث والتعصب
فيه ومالك النكاح والطلاق
واليهيم الانساب وهم
أصحاب الاجي والعوام
(وبما تفقوا من أمواهم)
وبان نفقته عليهم وفيه
دليل وجوب نفقته عليهم
ثم قسمهم على نوعين
النوع الاول (فالصالحات
قاتات مطيعات قاتات
بما عليهن للارزواج) حافظات
للغيب لمواجب الغيب
وهو خلاف الشهادة أى اذ
كان الارزواج غير شاهدين
لهن حفظن ما يجب عليهن
حفظه فى حال الغيبة من
الفروج والبيوت والاموال
وقيل للغيب لاسرارهم
(بما حفظ الله) بما حفظهن
الله حين أوصى بهن -
الارزواج بقوله وعاشروهن
بالمعروف أو بما حفظهن
الله وعصمن ووفقهن لحفظ
الغيب أو بحفظ الله اياهن
حيث صبرهن كذلك
والثانى (واللاقى تخافون
نشوزهن) عصيانهن
وترفعن عن طاعة الارزواج

ان الرابع وكان من التقباء فى امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير يقال امرأته بنت محمد بن مسامة وذلك
انما اشترت عليه فادلهما فافانطق أبوهم معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كرى فاطمه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقص من زوجها فاصرف مع أيها انتقص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارجعوا هذا جبريل أتاني فقال ان الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم أردنا أمراً أو أراد الله
أمراً الذى أراد الله خبر ورفع القصص فقله تعالى الرجال فوامر على النساء أى مساطون على نادب
النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمر وأعلمين فى المراء أن تطيع زوجها فى طاعة الله والقوام
هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويحفظها ولما أثبت انقياد الرجال
على النساء بين السبب فى ذلك فقال تعالى (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعنى أن الله تعالى فضل الرجال
على النساء بأمور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجمعة والجماعات والامامة لان منهم
الانبياء والخلفاء والائمة ومنها أن الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة
التعصب فى الميراث والتعصب فى الميراث وبداة الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانساب فكل هذا يدل
على فضل الرجال على النساء ثم قال تعالى (وبما تفقوا من أمواهم) يعنى وبما أعطوا من مهور النساء
والنفقة عليهن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت أمراً أحد أن يسجد لأحد
لامرت المرأة أن تسجد لزوجها أخرجه الترمذى (فالصالحات) يعنى المحسنات العاملات بالخير (قاتات)
أى مطيعات لارزواجهن وقيل مطيعات لله (حافظات للغيب) لفروجهن فى غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج
الغار بسبب زناه أو يلحق به الولد الذى هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على
المرأة من حفظ متاع البيت فى غيبة زوجها عن أبى هريرة قال قيل يا رسول الله أى النساء خير قال التى تسر
إذا نظر إليها وأطيعته إذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ولا ماله بما يكره أخرجه النسائى ورواه الغوى بسند الثعلبي
عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها
أطاعتك وإذا غبت عنها حفظت فى ماله وأمرتها نفسها ثم تلا الرجل قوامون على النساء الآية ﴿وقوله تعالى﴾ (بما
حفظ الله) يعنى بما حفظهن الله حين أوصى بهن الارزواج وأمرهم بإداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع أعوج وان
أعوج ما فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء اوقيل فى معنى
الآية بما حفظهن الله وعصمن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث
أمرهم بالعدل فيهن وأما كهن بمعروف أو تسريحنهن باحسان (واللاقى تخافون) أى تعلمون وقيل
تظنون (نشوزهن) أى شروهن وأصل النشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن
طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها
وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليه أو تسرع الى أمره اذا أمرها فاذا خالفت هذه
الاحوال بان رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها ذلك على نشوزها على
زوجها (فعظوهن) يعنى اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالنحو وبالفعل وهو أن يقول لها اتى
الله وخافيه فان لى عليك حقاً وارجى عما أتت عليه واعلم أن طاعنى فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت
على ذلك هجرها فى المضجع وهو قوله تعالى (واهجروهن فى المضجع) يعنى ان لم ينزعن عن ذلك بالقول

والنشر المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنهما هو ان تستخف بحقوق زوجها
ولا تطيع أمره (فعظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام بلين القلوب القاسية و يرغب الطابع النافرة (واهجروهن
فى المضجع) فى المراقبة أى لئلا يدخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو ان يولها ظهره فى المضجع لئلا يقلع عن المضاجع

(واسألوا الله من فضله) فإن خزانته لاتنفد ولا تنمو وأما الناس من الفضل (إن الله كان (٣٧٣) بكل شيء علما) فالتفضيل منه عن علم

بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأم بأمر بالمسئلة إلا يعطى وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه إن الله تعالى لم يسك الخير الكثير عن عبده ويقول لأعطي عبيدي حتى يسألني وسلوا مكى وعلى (ولكل) المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أول كل مال (جعلنا موالى) وراثا يولونه ويحزونهم (ما ترك الوالدان والأقربون) هو صفة مال محذوف أى من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك (والذين عاقدت أيمانكم) وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره وهو (فأتوهم نصيهم) مع الفاء عقدت كوفى أى عقدت عهدهم وإيمانكم والمراد به عقد الموالاة وهي مشروعة والورثة بها نابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم وهو قولنا ونفسه إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بهر في ولاعتق فيقول لآخر واليتك على أن تعقلى إذا جنت وترث منى إذا مات ويقول الآخر ليتك انتعقد ذلك ويرث الأعلى من الأسفل (إن الله كان على كل شيء شهيدا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد وعيد (الرجال قوموا على النساء) يقومون عليهن آسرين ناهين كما يقوم الولد على العباد سمو أقوالا

الدينا على النساء وقيل للرجال نصيب مما كتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما كتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج (واسألوا الله من فضله) قال ابن عباس يعنى من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسئلة إلا ليعلمهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخره وقيل لما تئى النساء أن يكن رجلا وأن يكون لهن مثل مال الرجال ناهى الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده (إن الله كان بكل شيء علما) يعنى إنه تعالى أعلم بما يكون صلاحا لساكنين فليقتصر السائل على الجمل في الطلب فإن الله تعالى أعلم بما يصلحه فلا يتجنى غير الذى قدر له ﴿ قوله تعالى (واكل) ﴾ يعنى من الرجال والنساء (جعلنا موالى) يعنى ورثة من بنى عم وأخوة وسائر العصابات (مما ترك) يعنى يرثون مما ترك (الوالدان والأقربون) من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والأقربون هم المورثون وقيل معناه ولكل جعلنا موالى أى ورثة مما ترك ونكون ما بمعنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر الموالى فقال الوالدان والأقربون فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الورثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة من تركهم وهم والده وأقربوه والقول لأول أصح لأنه مروي عن ابن عباس وغيره (والذين عاقدت أيمانكم) وقرئ عقدت بغير أيمان مع التخفيف والمعاودة للمعاينة والمعاودة والإيمان جمع بين يحتمل أن يراد بها القسم واليدأوها جميعا وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دى دمك وهدى هدى دمك وثارى ثارك وحى حى بك وسلمى سامك ترثى وأنتك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الاسلام فنلك قوله تعالى (فأتوهم نصيهم) يعنى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان نسختهم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم فأتوهم نصيهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهم مناسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فأتوهم نصيهم يعنى من النصر والنصيحة والمواخاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت بنتى في حجر أبى بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقر والذين عقدت أيمانكم إيماننا في أبى بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الاسلام خلف أبى بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤت نصيبه أخرجه أبوداود وعلى هذا فلا نسخ أيضا فن قال ان حكم الآية باق قال إنما كانت المعاودة في الجاهلية على النصر لا غير الاسلام لم يغير ذلك وبدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وأما حلف كان في الجاهلية لم يرد الاسلام الاشد أنه أخرجه مسلم ﴿ وقوله تعالى (إن الله كان على كل شيء شهيدا) ﴾ قال عطاء بن ريدان لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فخلق هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه عامه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى مجزئ وفيه وعد للطامنين وعيد للعصاة المخلفين ﴿ قوله عز وجل (الرجال قوموا على النساء) ﴾ نزلت في سعد

عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد وعيد (الرجال قوموا على النساء) يقومون عليهن آسرين ناهين كما يقوم الولد على العباد سمو أقوالا

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضي الله عنهما الكبار كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وعنه أيضا الكبار ثلاث الاثر الك بالة والياء من روح الله والامن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر (وذلك خلكم مدخلا) مدخلا مدني وكلاهما بمعنى الكاف والمصدر (كربما) حسنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما نجان آيات في سورة النساء هي خبر هذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت بر يد الله ليبين لكم

والله بر بدأ بنوب عليكم
يريد الله أن يخفف عنكم
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم ان الله
لا يغفر أن يشرك به ان
الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا أو يظلم نفسه
ما يقبل الله بعدايبكم وتثبت
المعزلة بالآية على ان
الصغار واجبة المغفرة
باجتناب الكبائر وعلى
ان الكبائر غير مغفورة
باطل لان الكبائر والصغار
في مشيئة تعالى سواء ان
شاء عذب عليهم ماوان شاء
عفا عنهم القوله تعالى ان
الله لا يغفر أن يشرك به
و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فقد وعد المغفرة لما دون
الشرك وقصرها بمشيئته
تعالى وقوله ان الحسنات
يذهبن السيئات فهذه
الآية تدل على ان الصغار
والكبائر يجوزان بذهبا
بالحسنات لان لفظ السيئات
ينطلق عليهم ما ولما كان
أخذ مال الغير بالباطل
وقتل النفس بغير حق بمعنى
مال الغير وجهتهاهم عن
نفي ما فضّل الله به بعض

تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه هي كل ذنب عظيم فبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود وما في
الآخرة بالعذاب عليه (نكفر عنكم سيئاتكم) يعني نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لأن أصل
التكفير السر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر ككبارها بالآية وبالاقلاع عنها كما ورد
في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات
لما بينهن زادني رواية ما لم تنقض الكبائر وزادني رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن اذا
اجتنب الكبائر أخرجه مسلم ﴿ وقوله تعالى (وذلك خلكم مدخلا كربما) يعني حسنات ربها وهو الجنة
والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر وأنتم بالطاعات تدخلكم مدخلا تكرمون فيه ﴿ قوله عز وجل (ولا تنموا
ماضى الله به بعضكم على بعض) أصل التخي ارادة الشيء وتشي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه
حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التخي تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن
تخمين وظن وقد يكون عن رؤية أو كثر التخي تصويرا لاحقيقة وقيل التخي عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن
أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغفر والرجال ولا تغفر للنساء وانما النصف الميراث
فأزواجه تعالى ولا تنموا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأزول ان المساهين والمسلمات وكانت أم
سلمة أول طعنة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر
مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الازادة من الرجال لاضعفاء وهم أقوى
وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت
الرجال اننا نخرجوا نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا اجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا
عليهن في الميراث وقالت النساء اننا نخرجوا نكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كالنصف الميراث النصف
من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمت على قسمين أحدهما أن بمعنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال
تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من
عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل ور بما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك
الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن بمعنى مثل مال غيره ولا يجب أن
يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك
النعمة بما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال الحسن لا تمن من مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل
هلا كك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فأعرض بقضائه ولو تكن أمنيته الزيادة
من عمل الآخرة وقيل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادى ﴿ وقوله تعالى (لا الرجال
الآخرة سواء لان الحسنات بعشر أمثالها السيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في

الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان
ذلك التفضيل قسم من الله صادرة عن حكمته وتوزيعه على احوال العباد وما ينبغي لكل من بسط في الرزق وأفيض فعلى كل واحد ان يرضى
بما قسم له ولا يجحد أخاه على حظه فالجسد ان يمتنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يمتنى مثل ما لغيره وهو مخصص فيه
والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجوا أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال
كالميراث نزل (لا الرجال نصف مما كتبه وللنساء نصف مما كتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث

أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى (فسوف نصليه ناراً) أى ندخله فى الآخرة ناراً يصل فيها (وكان ذلك على الله يسيراً) أى هيئنا له تعالى قادراً على ما يريد ﴿ قوله عز وجل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اجتنبوا الشئ المباحة عنه وتركها جانيا والكبر ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته * وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة فى الكبائر فمن ذلك ما روى عن أبى بكره قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا نبشركم با كبر الكبائر ثلثاً قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وفول الزور وكان متكئاً جالس فإزال بكره حتى قلنا لبيته سكت أخرجاه فى الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا نبشركم با كبر الكبائر قول الزور وأقال شهادة الزور (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (خ) عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله قال ان تجعل لله نداً وهو خلقك قلت ان ذلك اعظم ثم أى قال ان تقاتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أى قال ان ترانى حليمة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى رواية أن أعرابياً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذى يقطع مال امرئ مسلم يمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أباه يسب الرجل أمه وفى رواية من أب كبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذ كرا الحديث قال عبد الله بن مسعود أ كبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان رجلاً سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هى قال هى الى السبعمة اقرب وفى رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئاً منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا من كان راجعاً عن الاسلام أو جاحداً فرصة أو مكذباً بقدر وقال على بن أبى طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا مائة محمد ان الله قد عف عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات توأهوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك ابن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظر والمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نسيه من الزنا ومدر ك ذلك لاحالة العيان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطأ والقلب يهوى ويغنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب لفظه مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة أن من الذنوب كبائر ورصاغر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقول

(فسوف نصليه ناراً)
ندخله ناراً مخصوصة شديدة
العذاب (وكان ذلك) أى
اصلاؤه النار (على الله
يسيراً) سهلاً وهذا الوعيد
فى حق المستحل للتخليد
وفى حق غيره لبيان
استحقاقه دخول النار مع
وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه

(وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بما نبيحه
الشريعة من نحو السرقة والخيانة (٣٧٠) والغصب والقمار وعقد الرابا (الآن تكون تجارة) الآن تقع تجارة تجارة كوفي الآن

تكون التجارة تجارة (عن
تراض منكم) حصة للتجارة
أى تجارة صادرة عن تراض
بالعقد وبالتعاطي والاستثناء
منقطع معناه ولكن أقصدوا
كون تجارة عن تراض أو
ولكن كون تجارة عن
تراض غيره نهى عنه وخص
التجارة بالذ كر لأن أسباب
الرزق أكثرها متعاقبها
والآية تدل على جواز البيع
بالتعاطي وعلى جواز البيع
الموقوف إذا وجدت الاجازة
لوجود الرضا على نفي خيار
المجلس لأن فيها إباحة الاكل
بالتجارة عن تراض من
غير تقييد بالتفرق عن
مكان العقد والتقييد به
زيادة على النص (ولا تقتلوا
أنفسكم) من كان من
جنسكم من المؤمنين لأن
المؤمنين كنفس واحدة
أولا لا يقتل الرجل نفسه كما
يفعله بعض الجهلة أو معنى
القتل أكل الأموال بالباطل
فظالم غيره كمهلك نفسه أولا
تبعوا أهواءها فقتلوا
أو تركوا ما يوجب القتل
(إن الله كان بكم رحيمًا)
ولرحته بكم نعمكم على ما فيه
صيانة أموالكم وبقاء أبادنكم
وقيل معناه أنه أمر بنى
اسرائيل بقتلهم أنفسهم
ليكون توبه لهم وتحيصا خطاياهم وكان بكم يأتم بمحمد رحيمًا حيث يكافكم تلك التكليف الصعبة (ومن
يفعل ذلك) أى القتل أى ومن يقدم على قتل النفس (عد واناظلم) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو غفولهما

منه البناوت فضلا وإطفا علينا ولم ينقل التكليف علينا كما نقله على بنى اسرائيل فهو كقوله تعالى بر دالله
بكم اليسر ولا ير يد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكأروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال بعث بالخيفه السهلة السمحة ﷺ وقوله تعالى (وأتقوا الله تعالى) (وأتقوا الله تعالى) (وأتقوا الله تعالى) (وأتقوا الله تعالى)
النساء فلا صبر له عنهن وقيل أنه لضعفه يستميله هو أهو فوضيف العزم عن قهر أهوى وقيل هو ضيف فى
أصل الخلقة لأنه خلق من ماء مهين ﷺ وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)
يعنى بالجرام الذى لا يحل فى الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال
بالبين الكاذبة ونحو ذلك وأما خص الاكل بالذ كر ونهى عنه تنبيه على غيره من جميع التصرفات الواقعة
على وجه الباطل لأن معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره أما
أكل ماله بالباطل فهو اتفاقه فى المعاصي وأما أكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل فى أكل المال
الباطل جميع العقود الفاسدة ﷺ وقوله تعالى (الآن تكون تجارة عن تراض منكم) هذا الاستثناء منقطع
لأن التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان الالها بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة
عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخرى كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيزوم
والا فلهما الخيار لم يفرق للماروى عن ابن عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا تباع الرجلان
فكل واحد منهما بالخيار ما لم يفرقا وكانا جميعا أو يخيرا أحدهما الآخر فإن خير أحدهما الآخر فبها
على ذلك فقد وجب البيع وإن تفرقا بعد أن تباعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجه
فى الصحيحين ﷺ وقوله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم) أى لا يقتل بعضكم بعضا وإنما قال أنفسكم لأنهم أهل دين
واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حجة الوداع ألا لا ترجعوا بعدي كفرا
يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل إن هذا نهى للإنسان عن قتل نفسه (ق) عن أثرى هرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا فقتلها أبدا ومن تحصى
سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساد فى نار جهنم خالدا فقتلها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى
يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فقتلها أبدا وقوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال إلى
أسفل قوله يتوجأ يتوجأ وقال وجأته بالسكين إذا ضر به ما هو يتوجأ بها أى يضرب بها نفسه (ق) عن جندب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بادرى عبدى
بنفسه حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فخرع فاخذ سكينًا فخر بها يده
فأرق الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل فى معنى قتل الانسان نفسه
أن يفعل شيئا يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه ولا
تقتلوا أنفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تنهكوا أنفسكم بأن تعملوا عملا لم يأتى إلى قتلها (إن
الله كان بكم رحيمًا) يعنى أنه تعالى من رحمة بكم بها كم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل أنه
تعالى أمر بنى اسرائيل بقتل أنفسهم ليكون ذلك توبه لهم وكان بكم يأتم بمحمد رحيمًا حيث يكافكم تلك
التكليف المشقة الصعبة (ومن يفعل ذلك) يعنى ما سبق ذكره من قتل النفس الحرة لأن الضمير يعود إلى
أقرب المذكورات وقيل أنه يعود إلى قتل النفس وأكل المال بالباطل لأنهم أمة كوران فى أمة واحدة
وقيل أنه يعود إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هنا (عد واناظلم) يعنى يتجاوز الحد فيضع
الشئ فى غير موضعه فلذلك قيد بالعدوان والغلم لأنه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون

ليكون توبه لهم وتحيصا خطاياهم وكان بكم يأتم بمحمد رحيمًا حيث يكافكم تلك التكليف الصعبة (ومن
يفعل ذلك) أى القتل أى ومن يقدم على قتل النفس (عد واناظلم) لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو غفولهما

(ذلك) أى نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف اللام الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرب ولا ضرر أعظم من موافقة المأثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعفين (خير لكم) لأن فيه ارقاق الولد (٣٦٩) ولانها خراجة ولا جنة متبذلة وذلك

كله نقصان يرجع الى النكاح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث الخرائص صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) بستر المحذور (رحيم) يكشف المحذور (يريد الله) ليبين لكم (أصله) يريد الله أن يبين لكم فربدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما ربدت في لأبالك لنا كيد اضافة لالاب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم (ويهدىكم سنن الذين من قبلكم) وان يهدىكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم (وتتوب عليكم) وبوفىكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلف (والله) عليم بمصالح عباده (حكيم) فبما شرع لهم (والله) يرد أن لتأكيد والتقرير والتقابل (ويرد) الفجعة (الذين) يتبعون الشهوات أن يتوبوا (ملاعظا) وهو المليل عن

انما حده الجلد بخلاف الحر فخذ الامة ثابت بهذه الآية ويان انه الجلد بالارجع ثابت بالحديث وهو ماروى عن أنى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت أمة فاحكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليقبلها ولو يجبل من شعر أخرجاه فى الصبحين قوله ولا يثرب عليها أى لا يعيرها والتثريب التأنيب والتعير والاستقصاء فى اليوم قال الشيخ محيى الدين النووى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الخفي وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حاله للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ورفضه لآخيه المسلم فالجواب لعلها تستعفى عند المشتري بان يعفها بنفسه أو يصونها بهيئته أو بالاحسان اليها أو بزوجها وأغير ذلك والله أعلم (ذلك) اشارة الى نكاح الامة (لمن خشي العنت منكم) يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن يحمله شدة الشيق والغلبة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة (وأن تصبروا) يعنى عن نكاح الاماء متعفين (خير لكم) يعنى كيلا يكون الولد عبدا رفيقا (والله غفور رحيم) وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أثم محتاجون اليه (يريد الله) ليبين لكم (اللام) فى قوله ليس بمعناه أن يبين وقيل بمعناه يريد انزال هذه الآيات من أجل أن يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالحكم ويرمى وقيل يبين لكم ما يعترىكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم (ويهدىكم) أى ويرشدكم (سنن الذين من قبلكم) أى شرائع من قبلكم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل بمعناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما ينعمان كان قبلكم وقيل بمعناه ويهدىكم الى الملة الخفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام (وتتوب عليكم) يعنى ويتجاوز عنكم ما أسيتم قبل أن يبين لكم ويرجع بكم عن العصية التى كنتم عليها طاعته وقيل لما بين لنا أمر الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير ونقر بظما أمر به وينه فلا جرم انه تعالى قال وتتوب عليكم (والله عليم) يعنى بمصالح عباده فى أمر دينهم ودنياهم (حكيم) يعنى فيأيد بر من أمورهم (والله) يرد ان يتوب عليكم قال ابن عباس بمعناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل بمعناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبكم التى يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل بمعناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم (ويرد الذين يتبعون الشهوات) قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرّم الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فأنكحوا بنات الاخ وبنت الاخت فزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم (أن يتوبوا) يعنى عن الحق وقصد السبيل بالعصية (ملاعظا) يعنى بانبايائكم ما حرم الله عليكم (يريد الله) أن يخفف عنكم يعنى ليسهل عليكم أحكام الشرائع فوعام فى كل أحكام الشرع وجميع ما يسهلنا وسهله علينا احسانا

(٤٧ خازن) - اول

القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرّم الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فأنكحوا بنات الاخت والاخ فزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم (يريد الله) أن يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص

نفس وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمر بن دينار واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وروى عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهرى أنه يجوز للحر أن ينكح الامة وإن كان مسرورا وهو مذهب أبى حنيفة إلا أن يكون في نكاحه حرة السبب في منع الحر من نكاح الامة إلا عند خوف العنت إن الولد ينبغ الأم في الرق والحرية وإذا كانت الأم رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده وإن حق السيد أعظم من حق الزوج فرمى بما احتاج الزوج إليها فلا يجد لها سبيلا لأن السيد حبسه الخدمته وإن مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبه من زوجها وإن تبرئ منه بخلاف الحرية فلها ذلك السبب منع الله من نكاح الامة إلا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للبعد نكاح الامة وإن كان في نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له إذا كانت تحت حرة كما يقول في الحر في الآية دليل على أنه لا يجوز للمسلم حرا كان أو عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتيانكم المؤمنات فيجدن جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لأن فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة لأن فيها نقضا واحدا وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك البين ﷻ وقوله تعالى (واقعة أعلم بإيمانكم) قال الزجاج أى أعمد لواعى الطهارى الإيمان فانكم متعبدون بمآظهم والله يتولى السرأ والحقائق وقيل معناه لاتعرضوا لباطن الإيمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بإيمانكم (بعضكم من بعض) أى أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تقتصر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة المحبين فأم الله تعالى أن ذلك أمر لا يتفت إليه فلا تدخلنكم شموخ وأنفة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب إلى آدم وقيل إن معناه أن دنسكم واحد وهو الإيمان وأنتم مشتركون فيه ففى وقوع لاحدكم الضرورة جازله أن يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم كفاء بعض (فانكحوهن باذن أهلن) أى اخطبوا الاماء إلى ساداتهن واتفق العلماء على أن نكاح الامة بغير إذن سيدها باطل لأن الله تعالى جعل إذن السيد شرطاً في جواز نكاح الامة (وأوهن أجورهن) يعنى مهورهن (بالمعروف) يعنى من غير مغل ولا ضرر وقيل معناه وأوهن مهوراً مثلها وأجدها على أن المهر للسيد لأنه ملكه وإنما أضيف إتياء المهر إلى الاماء لأنه بمن بعضهن (محصات) يعنى عقافت (غير مساختات) يعنى غير زانيات (ولامتخذات أخذان) جمع خدن وهو صاحب الذى يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن وأكثرا يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدنها يعنى حبها الذى يزن بها في السر قال الحسن المساختة هى التى كل من دعاها بتهمة وذات الأخذ ان هى التى تختص بواحد ولا تزنى مع غيره وكانت العرب فى الجاهلية تحرم الاولى وتحوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم أن الله تعالى أفرده لكل واحد من هذين القسمين بالذكور ونص على تحريمهما معا (فاذا أحصن) قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسامن وقرأ أحصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن (فإن أتين بفاحشة) يعنى زنا (فعلين نصف ماعلى المحصات من العذاب) يعنى فعلى الاماء اللاتى زين نصف ماعلى الحرألا بكارأذا زين من الجلد ويجلد العبد للزنا إذا زنى خمسين جادة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فإنه يجرد خمسين ولا رجم عليه هذا قول أكثر العلماء وروى عن ابن عباس وقال طاوس أنه لا حد على من لم يتزوج من المالك إذا زنى لأن الله تعالى قال فإذا أحصن والذى لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بأن معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وإن كان المراد منه التزويج فليس المراد منه أن التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على أن المملوك وإن كان محصنا فلا رجم عليه

اللسان لأن العلم بالإيمان المسامح لا يختلف (بعضكم من بعض) أى لا تستكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو عند رعب التمييز بالانساب والتسفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن أهلن) ساداتهن وهو حجة لنا فى أن لمن أن يباشرن العقد بانفسهن لأنه اعتبر اذن المولى لا عقدهم وأنه ليس للعبد أو للامة أن يتزوج الاباذن المولى (وأوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مغل واضرار وملاك مهورهن موابهن فكان أذاؤها اليهن أداء الى المولى لأنهن وماق أبديهن مال المولى والتقدير وآتوا موابهن خذف المضاف (محصات) عقافت حال من المفعول فى وآتوهن (غير مساختات) زوان علانية (ولامتخذات أخذان) زوان سرا والاختدان الاختلاف فى السر (فاذا أحصن) بالتزويج أحصن كوفى غير حصن (فإن أتين بفاحشة) زنا (فعلين نصف ماعلى المحصات أى الحرألا المحصات من العذاب) من الحد (من العذاب) من الحد يعنى خمسين جادة وقوله

(ان الله كان عليا) بالاشياء
 قبل خاقه (حكيا) فيها
 فرض لهم من عقد النكاح
 الذي به حفظت الانساب
 وقيل ان قوله في استمتع
 نزلت في المعة التي كانت ثلاثة
 أيام حين فتح الله مكة على
 رسوله ثم نسخت (ومن لم
 يستطع منكم طولا) فضلا
 يقال فلان على طول أى
 فضل وزياؤه هو مفعول
 يستطع (أن ينكح)
 مفعول الطول فانه
 مصدر فيعمل عمل
 فعله أو بدل من طولا
 (المحصات المؤمنات)
 حرار المسلمات (فما ملكت
 أي ما نكح من فتياتكم
 ما ملوك من الاماء المسلمات
 وقوله من فتياتكم أى من
 فتيات المسلمين والمعنى ومن
 لم يستطع زيادة في المال
 وسعة بياغ بهانكاح الحرة
 فلينكح أمة ونكاح الامة
 الكتابية يجوز عندنا
 والتقييد في النص
 للاستحباب بدليل ان
 الاعيان ليس بشرط في
 الحرار اتفاق القبيد
 به وقال ابن عباس وما
 وسع الله على هذه الامة
 نكاح الامة واليهودية
 والنصرانية وان كان
 موسرا وفيه دليل لنافي
 مسئلة الطول

عليه (ان الله كان عليا) يعني بما يصلحكم بها الناس في منا حكم وغيره لمن سائر أموركم (حكيا) يعني
 فيما در بكم من التدبير وفيما بأمركم به وفيها كمنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل
 فصل في قدر الصادق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لا كثيرا لصدق لقوله تعالى وآتيتكم احداهن
 قطار افلا تأخذوا منه شيئا والمستحب ان لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا تعالوا في
 صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان ألاكم بهائي صلى الله عليه وسلم
 ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من اثني عشر
 أوقية أخرجه الترمذي ولا يداود نحوه (م) عن أبي سلمة قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم
 كان صادق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صدقه لازواجه ثنتي عشرة أوقية ونشأ قالت أئدرى
 ما للنش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصدق فذهب جماعة الى
 انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز أن يكون مبيعا وغنا جاز أن يكون صدقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري
 والشافعي وأحمد واسحق وقال قوم بتقدير الصدق بنصاب السرقه وهو قول مالك وأبي حنيفة غير ان نصاب
 السرقه عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصدق لا يتقدر ما روى عن
 سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك
 فظن اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعد النظر فيها ووصو به ثم أطار رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
 فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة
 فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى أهالك فانظر هل تجد شيئا فذهب
 ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتم من حديد فذهب ثم
 رجع فقال لا والله يا رسول الله ولو خاتم من حديد ولكن ازارني هذا قال سهل ما له رداء فلما انصفه فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع بازارك ان ابست لم يكن عليها منه شيء وان ابست لم يكن عليك منه شيء
 جلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم موليا فاباه به فدعى له فاماء قال ما ذا
 معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عدها قال تقرأهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد
 ملكتها بما معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتها تعلمها من القرآن وفي رواية فقد أنكحنا كها
 بما معك من القرآن أخرجه في الصحيحين وهذا اللفظ الجدي في هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل
 الصدق لانه قال هل تجد شيئا فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المل ثم قال ولو خاتم من حديد ولا قيمة له
 الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صدقا وهو قول الشافعي ومنعه أصحاب الرأي
 عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى في صدق امرأته أمل كصفه سو بقا أو قرأ فند
 استحل أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عامر عن أبيه ان امرأة من بني فزارة تزوجت على نملين فقال لها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْضِيَتْ مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ بَعْلَيْنِ قَالَتْ نَعَمْ فَاجَازَهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ عُمَرُ
 ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثُ قِبْضَاتٍ مِنْ زَيْبٍ مَهْرٌ ﴿١﴾ قوله عز وجل (ومن لم يستطع منكم طولا) يعني فضلا وسعة
 وانما سمى المعنى طولاً لانه ينال به من المرام لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر
 والنفقة (أن ينكح المحصات) يعني الحرائر (المؤمنات فما ملكت أي ما نكح) يعني جارية أخيك المؤمن
 فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بحرة بنفسه (من فتياتكم المؤمنات) المعنى من لم يتدبر على مهر الحرة
 المؤمنة فليزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة ولا بد فتى وفي الآية
 دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين أحدهما أن لا يجده مهر حرة لانه جرت العادة في الامة
 بتخفيف مهرهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف الغت على

بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة أجزاؤها قال قوم المراد من حكم الآية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأَةً الى مدة معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بنت منه بغير طلاق ويستبرأ رجها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فخرمها (م) عن سيرة بن عبد الجني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شئ فليدخل سياله ولا تأخذوا مما آتيتهموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أي أن نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سيرة الجني (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الجوار الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا يقول ان ناسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون والذين هم لفرجهم حافظون الاعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين والمنسوخة في المتعة ليست بوجه ولا ملك بين واختلفت الروايات عن ابن عباس في المتعة فروى عنه ان الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة أسأفها هي أم نكاح فقال لا أسأفها ولا نكاح قلت فانهي قال متعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فلهن ما وعدتكم قال نعم حصية قلت هل يتوارثن قال لا وروى ان الناس لما ذكروا الاشهار في فتية ابن عباس بالمتعة قال قائلهم الله أماناً أقبت بإباحته على الاطلاق لكن قالت انما تحل للمعطر كتحل الميتة لوروى انه رجع عنه وقال يتحرى ما وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب سعد المبرخمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا أجدر جلال نكحها الاربعه بالجملة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا أعلم في الاسلام شيئاً أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد الملسون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعاً من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها للمعطر ولا غيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم أجاز للمتعة منع منها فخرمها فكان قوله منسوخاً بقوله وأما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان يتفوبا بأموالكم محصنين غير مساكين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فأنكحوه على الشرائط التي جرت وهو قوله محصنين غير مساكين أي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري أولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فأنكحتموه من جنسهم فأنكحتموهن فأنكحتموهن أجورهن يعني مهورهن (فرضة) يعني لازمة وواجبة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) اختلفوا فيه فمن حل ما قبله على نكاح المتعة قال اثنان اذ اعتدا عقد الى أجل على مال فاذا تم الاجل فإن شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجل وإن لم يراضيا فارقوا وقد تقدم ان ذلك كان جائزاً ثم نسخ وحرم من حل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به يعني من الإبراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تنهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب

(فريضة) حال من الاجور
أي مفروضة أو وضعت
موضع ابتاء لان الابتاء
مفروض أو مصدر مؤكد
أي فرض ذلك فريضة
(ولا جناح عليكم فيما
تراضيتن به من بعد
الفريضة) فيما نخط عنه
من المهر أو تنهب له من كله
أو يزيد له على مقداره
أو فيما تراضيتن به من مقام
أو فراق

(والمصناب من النساء) أي ذات الأزواج لانهن أحسن فزوجهن بالتزويج قرأ الكسائي بفتح الصادها وفي سائر القرآن بكسر ها وغيره بفتحها في جميع القرآن (الاماملكت أيما نكحكم) بالسي وزوجها (٣٦٥) في دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح

المسكوحات أي اللاتي
 لمن أزواج الاماملكتموهن
 بسببهن وأزواجهن بدون
 أزواجهن لوقوع الفرقة بقبابن
 الدارين لا بالسي فتحل
 الغنائم تلك العيبين بعد
 الاستبراء (مكتاب الله
 عليكم) مصدر مؤ كدأى
 كتب الله ذلك عليكم كتابا
 وفرضه برضة وهو تحرير
 ما حرم وعطف (وأحل
 لكم) على الفعل المضمر
 الذي نصب كتاب الله أي
 كتب الله عليكم تحرير ذلك
 وأحل لكم (ما وراء ذلك)
 ما سوى المحرمات المذكورة
 وأحل كوفي غير أبي بكر
 عطف على حرم (ان
 يتنقوا) مفعوله أي بين
 لكم ما يحل بما يحرم لان
 يتنقوا أو بدل عما وراء
 ذلككم ومفعول يتنقوا قدر
 وهو النساء الاجودان لا
 يقدر (بما هو لكم) بمعنى
 المهور وفيه دليل على ان
 النكاح لا يكون الا بمهر
 وانه يجب وان لم يسم وان
 غير المال لا يصلح مهرا وان
 القليل لا يصلح مهرا اذا الحجة
 لا تعدل ما عاده (محسنين)
 في حال كونكم محسنين
 (غير مسافحين) لئلا تضعوا
 أموالكم وتفقروا وأنفسكم

ان الزنا يتبع به تحرير الماهرة بروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال جابر بن زيد والحسن
 وأهل العراق ولولس امرأة أجنبية بشهوة وأقبلها بشهوة هل يجعل ذلك كله خول في اثبات تحرير الماهرة
 وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يجعل لك كله طوع في تحرير إلى بنية فيه قولان أصحهما انه ثبت بحرمة
 الماهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا ثبت به كما لا ثبت بالنظر بشهوة ﴿ قوله تعالى (والمحصنات)
 يعني وحرمات المحصنات (من النساء) وأصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة ويطاق
 الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرمة والعففة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله (والمحصنات)
 ذوات الأزواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هي السابعة من النساء
 التي حرم من بالسبب قال أبو سعيد الخدري نزلت هذه الآية في نساء كن هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وكن أزواجهن فتزوج بعض المسلمين ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن
 ثم استثنى فقال تعالى (الاماملكت أيما نكحكم) يعني السبايا اللاتي سبين وكن أزواج في دار الحرب فيحل
 لما لهن وطوئن بعد الاستبراء لان السي يرتفع به النكاح ينهوا بين زوجها قال أبو سعيد الخدري بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى وطاس فاصابوا سبايا من أزواج من المشركين فذكرها غشيا منهن
 فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود أراذله الجارية المزوجة فتقع الفرقة ينهوا بين زوجها
 ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطوؤها قال عطاء أراد بقوله الاماملكت أيما نكحكم ان تكون أمته في
 نكاح عبده فيجوز له أن يتزعمه ونقول أراد بالمحصنات من النساء الحرات وعنه ان ما فوق الأربع منهن
 فانه عليكم حرام الاماملكت أيما نكحكم فانه لا يعد عليكم في الجوارى ولا حصر (كتاب الله عليكم) يعني حرم
 عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه أراذله وا كتاب الله وقيل معناه كتابان من الله عليكم يعني
 كتب الله تحرير ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حل كتابا (وأحل لكم ما وراء ذلككم) يعني وأحل الله
 لكم ما سوى ذلك الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضي حل ما سوى المذكورين من
 الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحرير أصناف أخر سوى ما ذكر في ذلك انه يحرم الجمع
 بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها من ذلك المطلقة ثلاثا لتحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن
 ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للأزواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له أن يتزوج
 بأمة والقادر على طول الحره لم يجز له أن يتزوج بالأمة ومن ذلك ان من كان عنده أمة بر نسوة حرم عليه أن
 يتزوج بخمسة ومن ذلك الملاعة فانه حرة على الملاع بالثأيد فنهذ أصناف من المحرمات سوى ما ذكر
 في الآية ففي هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلككم ورد بافظ العموم لكن العموم دخله
 التخصيص فيكون عاما مخصوصا وقوله تعالى (أن يتنقوا بما هو لكم) فيه ضمائر تقديره وأحل لكم ان
 يتنقوا أي تطلبوا بما هو لكم أي تنكحوا بصدق أو تشتروا بمن وفي الآية دليل على ان الصدق لا يتقدر
 بشئ فيجوز على القليل والكثير لا طلاق قوله تعالى أن يتنقوا بما هو لكم (محسنين) يعني متزوجين
 وقيل متعفين (غير مسافحين) يعني غير زنايين والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما
 سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) اختلغو في
 معناه فقال الحسن ومجاهد وأدما تنفتم وتلدنم بالجمع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع في
 اللغة الاتفاع وكل ما اتفعت به فهو متاع (فأتوهن أجورهن) يعني مهورهن وانما سمي المهر أجرا لانه

فيما يحل لكم فتخسر وادبكم وديناكم ولا فساد اعظم من الجمع بين الحسنات وبين الاحصان العفة وتحسين النفس من الوقوع في الحرام
 والمسافح الزاني من السفح وهو صب النوى (فما استمتعتم به منهن) فاما نكحتموه منهن (فأتوهن أجورهن) مهورهن لان المهر ثواب
 على البضع فاقى معنى النساء ومن لا تبيض وللبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فأتوهن

بها جازله ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج منها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعاق تحريم البنات
بالدخل بالام وقوله تعالى (وحلائل أبنائكم) يعني أزواج أبنائكم واحدها حليلة والرجل حليل -
بذلك لان كل واحد منهما يحل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل
لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحاء وجلة انه يحرم على الرجل أزواج أبنائه وأبنائه
أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد (الذين من أصلابكم) تنافل من أصلابكم احتراز
من التبني ليعلم ان زوجة التبني لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن ففتح الله
ذلك وقال الله تعالى ادعوههم لأبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجة زيد بن حارثة وكان
قد تبناه فقال المشركون زوجة ابنة فانزل الله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى اسكيلا يكون
على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴿١﴾ وقوله تعالى (وان تجمعوا بين الاختين) يعني لا يجوز للرجل
أن يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أو رضاع الجمع بين الاختين
يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج إحدى الاختين
ثم تزوج الأخرى بعد هاهنا يحكم بطلان نكاح الثانية فلو طلق الأولى طلاقاً بائناً جازله نكاح أخته
الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما ملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطء
فاذا وطئ احداهما حرم عليه الثانية حتى يحرم الأولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة الوجه الثالث من
صور الجمع بين الاختين هو أن يتزوج احداهما أو يشتري الأخرى فيمكها ملك اليمين فذهب بعض العلماء
الى أنه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقاً فوجب ان يحرم الجمع بينهما على
جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازها وقالوا في الاول أصح وأولى لما روي قبيصة ابن ذؤيب أن رجلاً
سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أختيهما آية وحرمتهما آية فأما
أنافلاً أحب ان أضع ذلك فخرج من عنده فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله
عنه فقال أنا فأفلكان لي من الامر شيئ لم أجد أحداً فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على بن
أبي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ ﴿٢﴾ وقوله تعالى (الاما قد
سلف) يعني لكن ماقدمضي فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى (ان الله كان غفوراً رحيماً) وقيل ان قاطبة
هذا الاستثناء ان أنسكحة الكفار صريحة فلما سلم عن أختين قيل له أخترا بينهما شئت وبدل على ذلك
ماروي عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قل قلت يا رسول الله اني أسلمت ونحيت اختان قال طلق أيتهما شئت
أخرجه أبو داود في فروع ﴿٣﴾ تنافق في حكم الآية الاول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة
وعخالها ما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة
وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو كان
ذلك بينك وبين المرأة لم يحزلك نكاحهما لم يحزلك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة أصناف
ذكرت في الآية نسفاً والمحرمات بالباب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم
ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء الآية والرابط على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع
الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة أما يحصل بنكاح صحيح فلوزي بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها
وأراد أن يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المني بها على آباء الزاني ولا أبنائه أما تتعاق المحرمات بنكاح صحيح
أو بنكاح فاسد يجب طهارة الصدق ونجب عليها العدة بلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه
قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى

(وحلائل أبنائكم) جمع
حليلة وهي الزوجة لان كل
واحد منهما يحل للآخر
يحل فراش الآخر من الحل
أمن الحلول (الذين من
أصلابكم) دون من تبنيتم
فقد تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم زينب حين
فارقتها زيد وقال الله تعالى
اسكيلا يكون على المؤمنين
حرج في أزواج ادعيائهم
وليس هذا التي الحرمة عن
حليلة الابن من الرضاع
(وان تجعوا بين الاختين)
أى في النكاح وهو في
موضع الرفع عطف على
المحرمات أى وحرم عليكم
الجمع بين الاختين (الاما
قد سلف) ولكن ماضى
معفو بدليل قوله (ان الله
كان غفوراً رحيماً) وعن
محمد بن الحسن رحمه الله ان
أهل الجاهلية كانوا يعرفون
هذه المحرمات الانكاح امرأه
الأب نكاح الاختين فلذا
قال فيهما اما قد سلف

(ولأنكم هوامانكح أبائكم من النساء) وقيل المراد بالنكاح الوطأ لا التطاؤ ما وطئ أبائكم وفيه تحریم وطء موطنه وأبائكم بنكاح
أوبلك عين أو برنا كما هو مذهبن وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان من قال (الاماد سلف) أن
لكن ما قد سلف فانكم لا تؤخذون به والاستثناء منقطع عن سبويه ثم بين صفة هذا العقد في الحال فقال (انه كان فاحشة) بالغة في القبح
(ومقتا) وبغضا عند الله وعند المؤمنين (٣٦٢) وناس منهم بمقتونه من ذوى مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولد على

يقال له الفتى (وساء سبيلا)
والله واستحلتم فروجهن بكامة الله قوله تعالى (ولأنكم هوامانكح أبائكم من النساء) قال المفسرون كان
أهل الجاهلية يتزوجون أزواج أبائهم فهام الله عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفي أبو فريس وكان من
صالحى الانصار خطب ابنه قيس امرأته بيه فقالت انى اتخذت ذلك ولدا وأنت من صالحى قومك والكنى آتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فآخبرته فانزل الله عز وجل ولأنكم هوامانكح أبائكم من النساء
(الاماد سلف) يعنى الاماضى فى الجاهلية قبل زول التحريم فانه معفو عنه (انه كان فاحشة) انما سماه فاحشة
لان زوجه الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أفج المعاصي
(ومقتا) يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الخزي والحسرة (وساء سبيلا) أى وبس ذلك
طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل من امرأته مقيتا وكان منهم الاشعث بن قيس
وأبو معيط ابن أبى عمرو بن أمية روى القوي بسنده عن البراء بن عازب قال مررت على خالى وبعه لواء فقلت أين
تذهب قال بعنى النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأته أباه فبعه لواء فقلت أين
عليكم أمهاتكم بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب أو نسب (خ) عن
ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حمت عليكم أمهاتكم الآية فجمله المحرمات
من النساء بنص الكتاب أربعة عشر صنفا فالامهات بالنسب فقول حمت عليكم أمهاتكم جمع أم وأصل
أمهات أمات وانما زيد الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امرأة أجنبية
النسب اليها من جهة الاب أو من جهة الام بدرجة أو بدرجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح
الام وجميع الجدات (وبناتكم) والبات عبارة عن كل أنثى ترجع نسبها اليك بالولادة بدرجة أو بدرجات بانات
كنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن (وأخوانكم) جمع أخت وهي عبارة عن كل امرأة شاركتك في
أصلك فتدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والام والاخوات من الام (وعمتكم) جمع عمة
وهي كل امرأة شاركت أبك في أصله وهن جميع أخوات الاب وأخوات أباه وان علون وقد تكون العمة
من جهة الام أيضا وهي أخت أبى الام (وخالاتكم) جمع خالة وهي كل امرأة شاركت الام في أصلها فيدخل
فيه جميع أخوات الام وأخوات أمهاتها وقد تكون الخالة من جهة لاب أيضا وهي أخت أم الاب (وبنات
الاخ وبنات الاخت) وهي عبارة عن كل امرأة لا خيك ولا خاتك عليها ولادة ترجع نسبها الى الأخ
الاخت فيدخل فيهن جميع بنات الاخ والاخات وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمات بسبب النسب
بنص الكتاب وجعلته الله يحرم على الرجل أصوله وفصوله وأول أصوله وأول فصوله من كل أصل بعده
أصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات
وبنات الاخوة والامهات والجدات والبنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات
كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فمرتها مؤبد لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات
بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالزنا وعن ذلك في قوله تعالى (وأما أنكم اللاتي أرضعنكم
وأخوانكم من الرضاعة) كل أنثى انشبت بالبن البها فهي أمك وبناتها أختك وأما ناص الله في ذكره
أرضعنكم وأخوانكم من

الرضاعة) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى الرضعة
أما الرضيع والرضعة أخته وكذلك زوج الرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير الرضعة قبل الرضاع وبعده فهو
اخوته وأخواته لاييه وأم الرضعة جدته وأختها عمتها وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوتها وأخواته لاييه وأمه ومن ولد لها من غير
فهم اخوتها وأخواتها لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

(فان كرهتموهن) لقبهن أوسو خلقهن (فمضى أن نكرهوا شيأ وبجعل الله فيه) في ذلك التي أوفى السكره (خبراً كثيراً) ثواباً جزئياً وأولاداً والمعنى فان كرهتموهن فلا تقار فوهن بسكره الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأدلى إلى الخير وأحب ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وانما صرح بقوله فمضى أن نكرهوا جزأ للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهم مع السكره ففعل لكم فيها نكرهونه خيراً كثيراً اليس فيما تحبونه وكان (٢٦١) الرجل اذا رأى امرأة فاعتجبته بهت التي

عتمه ورمها بها فاحشة حتى ياجئها إلى الافداء منه بما أعطاها فقيل (وان أردتم استبدل الزوج مكان زوج) أي تطلق امرأة وتزوج أخرى (وأنتم احداهن) وأعطيت إحدى الزوجات فلما رد بالزوج الجع لان الخطاب لماعة الرجال (فقطارا) ما لا عظماء كما سرى في آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنفع فولاك أم قول الله وأنتم احداهن فقطارا فقال عمر لكل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلا تأخذوا منه) من القنطار (شيأ) أنا تأخذونه بهتاناً وانما مبيداً أي ينابها بهتان أن تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه وهو برى منه لانه بهت عند ذلك أي يتحير واتصب بهتاناً على الحال أي باهتين وأمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم

لها كما تحب ان تصنع لك (فان كرهتموهن) يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن (فمضى أن نكرهوا شيأ وبجعل الله فيه خيراً كثيراً) قال ابن عباس رزق منها ولداً صالحاً فجعل الله في ولدها خيراً كثيراً فتقلب تلك السكره محبة والنفرة ورغبة وقيل في الآية ندب إلى امساك المرأة مع السكره لانه اذا كره مصيبتها وتحمل ذلك المكروه طلباً للثواب وأتقى عليها وأحسن هو مصيبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية انكم كرهتموهن ورغبت في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة طناً خيراً كثيراً وذلك بان تخلص من هذا الزوج السكره لها وتزوج غيره خيراً منه قوله عز وجل (وان أردتم استبدل الزوج مكان زوج) الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا تبين بفاشة وهي اما النشوز والزنا تبين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بخش الرجل المرأة اذا أراد بطلانها واستبدال غيرها (وأنتم احداهن فقطارا) يعني وكان ذلك الصداق مالا كثيراً وفي الآية دلائل على جواز المغالاة في المهور روى ابن عمر قال على المنبر لا تالوا في مهر نساءكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمتعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت أميراً خطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تعالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الآلاف وقيل ان خبر المهور أسرها وأسهاها (فلا تأخذوا منه شيئاً) يعني من القنطار الذي آتته وهن لوجعتهن ذلك القدر من صداقها فلا تأخذوا منه شيئاً وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل لها أن تأخذ شيئاً من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جاز له ذلك (أأخذونه) استفهام بمعنى التوبيخ (بهتاناً) يعني ظلمه او قيل بالاطلاق (وانما مبيداً) يعني أنا تأخذونه مباهتين آمين فلا تفعالوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل قال تعالى (وكيف تأخذونه) كلفه تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يأتي بالاعمال أن يسترد شيئاً بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حلاله ذكر السبب في ذلك فقال تعالى (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) أصل الافضاء في اللغة الوصول يقال أفضى إليه أي وصل إليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عندهم أن الزوج اذا طلق قبيل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلاها والقول الثاني في معنى الافضاء هو أن يخلو بها وان لم يجامعها او قال السكبي الافضاء أن يكون معها في لحاف واحد جامعاً أو لم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر للمهر (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتك كما على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك المعروف أو تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المقود على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة

(٢٦ (خازن - اول) إلى بعض) أي خلا بلا حائل ومنه القضاء والآية محجة لثاني الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) عهداً وثيقاً وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهم فهو كما أخذ من أوفى الذي عليه السلام استوصوا بالنساء خيراً فانهن عوان في أيديكم أخذتموهن بامانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولما لن لا يحل لكم أن ترهبوا النساء كما قالوا تر كنهنا لا ترهنن كرهوا لكن تخطنهن فنسكنهن برضاهن فقيل لم

وعده بالاختار (ولا الذين يموتون) في موضع جر بالعطف على الذين يعملون السيئات أي است التوبة للذين يعملون السيئات ولا الذين يموتون (وهم كفار) قال سعيد بن جبيرة الآية الأولى في المؤمنين والوسطى في المنافقين والآخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلامين وهم مبتدأ آخره (أولئك أعدنا لهم عذاباً أليماً) أي هيأنا من العذاب وهو الحاضر وأصل أعدنا فاعلنا قلبت الدلالة ٥ كان الرجل يثر أمراً مؤثراً به أن يبقى عليهما به فيبتز وجهها (٣٦٠) بلامه فترت (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تزنوا النساء كرها) أي أن تأخذوهن

على سبيل الارث كما تحاز الموارث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرها بالفتح من الكراهة وبالفهم حزة وعلى من الاكرام صدى في موضع الحال من المفعول والتقدير بالكراهة لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذکر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية أملأ وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاشية جسدتها مع سوء العشرة لتفتدي منه بما طأ وتختنع فقيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفاً على أن تزنوا ولأننا نريد في أي لا يجعل لكم أن تزنوا النساء ولا أن تعضلوهن أو يجزمن بالهني على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق (اتخذوها ببعض ما آتيتنهم من) المهر والام متعلقة تعضوا (الآن يا نين بفاحشة) هي الفسوز واذاء الزوج وأهله باليهذا الآن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتهم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مبينة) وفتح الياء مكى وأبو بكر والاستئناس من أعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة أو لا تعضلوهن لعل من العلل الا ان يأتين بفاحشة وكانوا يسبئون معاشر النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالعروف) وهو التصفة في المبيت والنفقة والاجال في القول

على قوله ولبست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبيرة نزلت الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله انما اتوبوا على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والآخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لجمعها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس في قوله تعالى ولبست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم نزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عظم الله المغفرة على من مات وهو كافراً ورأى أهل التوحيد الى مشيئة ولم يؤيهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين ٥ وقوله تعالى (ولا الذين يموتون وهم كفار) معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومع ائنة ما وعدوا به من العقاب (أولئك أعدنا لهم عذاباً أليماً) ٥ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تزنوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذ مات الرجل وخلف امرأته من غيرها أو قرىبه من ذوي عصيته فأتى نوبه على تلك المرأة وعلى خيائها فصار حق بامان نفسه وامر من غيرها فان شاء تزوجها بغير صداق الا الاصداق الاول الذي أصدقها الميث وان شاء تزوجها بغيره وأخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميث أو قوت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها اولى زوجها نوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الاسد الانصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابنه من غيرها قال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح نوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يبق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأنت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنة فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلى سبيلي فقال أقدسى في بيتك حتى يأتى أمر الله فيك فانزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تزنوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه أن تزنوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات (ولا تعضلوهن) أي ولا تمنعهن من الأزواج وأصل العضل المنع (لنذهبوا ببعض ما آتيتنهم) يعني لنضجر فتفتدي ببعض ما طأ قبل هو خطاب للزوج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأته وكارهها ولصحبته وطاعه عليه مهر فضاها لتفتدي منه وترد اليه ماساق البهائم المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يرجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فهو عاقر وذلك وقيل هو خطاب لولاء الميث فنهى الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعني حينئذ يجعل لكم أن تزنواهن ليعتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هي الفسوز وسوء الخلق واذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا اشترت أوزنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ماساق البهائم وأخرجها ففسخ الله ذلك بالحدود (وعاشروهن بالمعروف) قيل هو راجع للكلام الذي قبله والمعنى أن تزنوا النساء صدقاتهن تحلة وعاشروهن بالمعروف والمأثرة بالمعروف هو الاجال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع

لها

العشرة من جهتهن فقد عذرتهم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها

الخلع (مبينة) وفتح الياء مكى وأبو بكر والاستئناس من أعم عام الظرف والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة أو لا تعضلوهن لعل من العلل الا ان يأتين بفاحشة وكانوا يسبئون معاشر النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو التصفة في المبيت والنفقة والاجال في القول

(الامتابة) هي من تاب الله عليه اذ قبل توبته أي انما قبلها (على الله) وليس المراد به الوجوب الا يجب على الله شيء ولكنه تا كيد
لا وعد يعني أنه يكون لاحالة كالواجب الذي لا يترك (لأنه يعملون السوء) الذنب (٣٥٩) لسوء عقابه (بجهالة) في موضع الحال

أي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب
القبائح عما يدعو اليه السفه
وعن مجاهد من عصي الله
فهو جاهل حتى ينزع عن
جهالة وقيل جهالة
اختياره المذلة الفانية على
الباقية وقيل لم يجهل انه
ذنب ولكنه جهل كنهه
عقوبته (يميتو بون من
قريب) من زمان قريب
وهو ما قبل حضرة الموت
ألا ترى الى قوله حتى اذا
حضر أحدكم الموت فبين
ان وقت الاحتشار هو
الوقت الذي لا تقبل فيه
التوبة وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو
قريب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قيل أن
ينظر الى ملك الموت وعنه
صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يقبل توبة العبد ما لم
يغفر ومن التبت أي
يشوبون بعد زمان قريب
كانه سمي ما بين وجود
العصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا (فأولئك
يتوب الله عليهم) عذابه
يفي بذلك واعلام بان
الغفران كائن لاحالة (وكان
الله عليما) بعزمهم على
التوبة (حكيم) حكم
بكون التدم توبة (وليست

أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهود بين زنيا وكان قد أصحنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لان
المشرك ليس بمحصن وأوجب عن ابن المراء هذا الاحصان العفاف لاحصان الفرج **قوله** تعالى
(انما التوبة على الله) يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على معنى عند رقيب على معنى من أي من الله
وقال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتبكم على نفسه الرحمة واذا وعد
الله شيئا لم يجر معه اده وصدق فيه فغنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل
ما يريد (للذين يعملون السوء) يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءا لسوء عاقبتها اذ المذنب منها (بجهالة) قال
قادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عدا كان أو غيره
وكل من عصي الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالة عمله السوء فكل من
عصى الله سمي جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمي من عصي الله جاهلا لانه لم يستعمل ماله من العلم بالتوب
والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع
العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار المذلة الفانية على المذلة الباقية (يميتو بون
من قريب) يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب ثلاثه في زمرة المصريين وقيل القريب
ان يتوب في صحته قبل مرضه وتوفيق قبل موته وقيل قبل معاناة ملك الموت ومعاناة أهوال الموت
وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل
وان الانسان يتوقع في كل ساعة لحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفر أخرجه الترمذي الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيرده في
الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن أبي
سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك
مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارفعني في مكاني لأزال أغفر لهم
ما استغفروني وقيل في معنى الآية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحيطها
(فأولئك يتوب الله عليهم) يعني يقبل توبتهم (وكان الله عليما حكيم) قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده
المؤمنين من التصديق واليقين حكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل في معنى الآية علم انه انما
أتى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة بان تاب عنها أو تاب عن قريب **قوله** عز وجل
(وليست التوبة بالذنب يعملون السيئات) قال ابن عباس بد الشريك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم
النافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار (حتى اذا حضر
أحدكم الموت) يعني وقع في النزوع وعان ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تنشق الروح والمخروج من
جسده (قال اني تبت الآن) قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة
الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى
حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأمان المسلمين الآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فربك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فان قلت قد
تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا هموا بأمرهم الى انقضاء آجالهم
حصلوا على عذاب الآخرة فكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعتمدناهم عندنا بالآيمان أيضا انه
تعالى أخبر انه لا توبة لهم عند معاناة الموت وأسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقدر وروى عن ابن عباس

التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدكم الموت قال اني تبت الآن) أي ولا توبة للذين بذنوبهم يسوفون توبتهم الى أن يزول
حال التكليف بمحض أو سبب الموت ومعاناة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حال اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة بآثار ولا

(م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتر بدوهم
فأنزل الله عليه ذات يوم ففقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني خذوا عني فجد جعل الله لمن سبيل البكر
بالبكر جلد مائة وفي سنة والذيب بالذيب جلد مائة والرجم
فصل ١٢ اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم إلى أن ناسخها هو
حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم إلى أن الآية
منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل إن هذه الآية منسوخة بالحدوث والحديث منسوخ بآية الجلاء
وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لأن قوله تعالى فاستكوهن في
البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله من سبيل لهن سبيل لا يدل على أن الله تعالى قد جعل الله من سبيل الحديث
لهن سبيل وإن ذلك السبيل كان مجزئاً فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله من سبيل الحديث
صار هذا الحديث بياناً لتلك الآية المجملة لأناس خالها وأجمع العلماء على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن
وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الذيب واختلفوا
في جلد الذيب ورجمه فذهب طائفة إلى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والجمهور
واسحق بن راهويي وداود وأهل الظاهر وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه جلد سراح
المدانة يوم الخميس ورجها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال جاهر العلماء الواجب على المحسن الزاني الرجم وحده لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدين
ولم يجلد هما أو ماتن ريب البكر الزاني ونفي سنة ذهب الشافعي وجاهل العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة
وحاد لا يقضي بالفي أحد إلا أن يراه الحاكم نزع براد قال مالك والأوزاعي لا نفي على النساء وروى مثله عن
علي قال لأن المرأة عورة وفي نفيها تضيق لها وترى بعض الفتنة ونجاسة الشافعي وجاهل العلماء ظاهر حديث
عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وفي سنة وروى نافع عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أب بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب وإن كان الزاني
عبد أفعليه جلد خمسين وفي نفي بيه قولان فإن قلنا أنه يغرب فقيه قولان أصحهما أنه يغرب نصف سنة قياساً
على حده وإن كان الزاني مجنوناً أو غير بالغ فلا جلد عليه في قوله عز وجل (واللذان) هو نذية النذى (بأنيابها)
يعني بأنياب الفاحشة (منكم) يعني من رجالكم ونساءكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيتين
بالآية الأولى وقيل المراد بمن ذكر في الأولى النساء وهذه للرجال لأن الله تعالى حكم في الآية الأولى بالمحسن في
البيت على النساء وهو اللائق بمجالهن لأن المرأة إنما تفعل الفاحشة عند الخروج فإذا حبست في البيت
انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لأنه يحتاج إلى الخروج في إصلاح معاشه واكتساب
قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الأذية بالقول والفعل (فأذوهما) يعني غيروهما بالقول باللسان وهو
أن يقال له ما خفت الله أما استجيت من الله حين زنت وقال ابن عباس سبوهما واشقهوا وفي رواية عنه قال
هو باللسان واليد يؤذي بالتمبير ويضرب بالهال (فان نابا) يعني من الفاحشة (وأصلها) يعني العمل فيها يأتي
(فاعرضوا عنها) أي تركوها ولا تؤذوهما (إن الله كان تواباً رحيماً) يعني أنه تعالى يعود على عبده بفعله
ومغفرته ورجته إذا تاب إليه وهذا الحكم كان في ابتداء الإسلام كان حد الزاني الذي يبيع والتعير
بالقول باللسان فلما زادت الحدود ونبت الأحكام نسخ ذلك الذي بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى
الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على
البكر بنص الكتاب ونبت الرجم على الذيب المحسن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً وإن كان قد أحسن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لأنه ثبت في الصحيح

(واللذان) يريد الزاني
وزانية وبتديد الزون
مكي (بأنيابها منكم) أي
الفاحشة (فأذوهما)
بالتوبيخ والتعير وقولوا
لهما أما استجيتنا ما خفتنا
الله (فان نابا) عن الفاحشة
(وأصلها) وغيره الخال
(فاعرضوا عنها) فافطعوا
التوبيخ والندمة (إن الله
كان تواباً رحيماً) يقبل توبة
التائب ويرحمه قال
الحسن أول ما نزل من حد
الزنا الذي ثم الجس ثم
الجلد أو الرجم فكان ترتيب
النزول على خلاف ترتيب
التلاوة والحاصل أنهما إذا
كانا معصينين خدما للرجم
لا غير وإذا كانا غير
معصين خدما للجلد
لا غير وإن كان أحدهما
معصناً والآخر غير معصن
فعل المحسن منهما الرجم
وعلى الآخر الجلد وقال
ابن جرير الآية الأولى في
السياقات والثانية في
اللواطين والتي في سورة
النور في الزاني والزانية
وهو دليل ظاهر لا يبي
حنيفة رحمه الله فإنه
يعزري اللواط ولا يحد
وقال مجاهد آية الأولى في
اللواطة

ويع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقي والجدة هو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا في رد الأم إلى ثلث ما يبق والام وهما السدس مع الولد أو ولدا الابن وان سفل أو الاثنين من الأخوة والأخوات فصاعدا من أي جهة كانوا ثلث الشكل عند عدمهم وثلث ما يبق بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبو ين أو زوجة وأبو ين والجدة وهما السدس وان كثرت لأم كانت أولاب والبعدي تحجب بالقرني والسكل بالأم فالأبوبات الأب والزوج وله الـ مع الولد أو ولدا الابن وان سفل وعند عدمه النصف والزوجة وهما الثلث مع الولد أو ولدا الابن وان سفل وعند عدمه الربع والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفل ثم الأب ثم أبوه وان علا ثم الأخ لاب وأم ثم الأخ لاب ثم ابن الأخ لاب وأم ثم ابن الأخ لاب ثم العمام ثم عمات الأب ثم عمات الجد ثم المعتق ثم عصيته على الترتيب والاقاب فرفض النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لغيرهن * وذو الأرحام وهم الأقارب الذين

(٣٥٧) ليسوا من العصبات ولا من أصحاب

الفرانس وترتيبهم
كترتيب العصابات (تلك)
إشارة إلى الأحكام التي
ذكرت في باب التناهي
والوصايا والمسواريث
(حدود الله) سماها
حدودا لأن الشرائع
كالحدود الموضوعة للمكافئين
لأنجوز لهم أن يتجاوزوها
(ومن يقطع الله ورسوله
يدخله جنت تجري من
تحته الأنهار خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نار خالد
فيها) انتصب خالدين
وخالدا على الحال وجع
مرة وأفرد أخرى نظرا
إلى معنى من ولفظها تدخله
فيهما مدني وشامي (وله
عذاب مهين) طرأه عند
الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية
فإنها في حق الكفار إذ
الكافر هو الذي تهدي

الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان غير متعبد بالتوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال السكاكي ومن بعض
 الله ورسله بكفره بقسمة الموارث وتعدد حدوده استحال لا تمخاطب الأحكام فقال (واللاق) هي جمع التو، ووضهاف رفع الابتداء (بأين
 الفاحشة) أى الزنا لا يأتها في القبح على كثير من القبايع يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقه أو غشيها بمعنى (من أناسكم) من التابعين
 والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين (فان شهدوا) بالزنا (فامسكوهن في البيوت) فاحبسوهن
 (حتى يتوفاهن الموت) أى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (أو يجعل الله لهن)
 قيل أو بمعنى الآن (سبيلا) غير هذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتفرغ عام والنب الثيب الرجم عليه السلام
 خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتفرغ عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة

فان كانوا أكثر من ذلك (من واحد) فهم شركاء في الثلث) لانهم يستحقون بقرابة الام وهي لا تراث أكثر من الثلث ولهذا يفضل الله كرههم على الاتي (من بعد وصية يوصي بها

(٣٥٦)

والاولاد والثاني الزوجية
والثالث الزوج والرابع
الكلالة (غير مضار) حال
أي يوصي بها وهو غير مضار
لورثته وذلك بان يوصي
بز يادة على الثلث اولوارث
(وصية من الله) مصدر
مؤ كذا أي يوصيكم بذلك
وصية (والله اعلم) بمن جاز
أو عدل في وصيته (حليم)
على الجائر لا يعاجله بالعقوبة
وهذا وعيد فان قات فابن
ذو الحال فيه قرأ يوصي
بها قلت يضر يوصي
فيتصب عن فاعله لانها
تقبل يوصي بها علم ان ثم
موصيا كما كان رجال فاعل
ما يدل عليه يسمح لانها
قبل يسمح له علم ان ثم مسجها
فاضمر يسمح أو اعلم ان
الورثة أصناف أصحاب
الفرائض وهم الذين لهم
سهم مقدرة كالبنات ولها
النصف وللاكثر الثلثان
وبنت الابن وان سفلت
وهي عند عدم الولد كالبنات
ولها مع البنت الصلبية
السدس وتسقط بالان
وبنتي الصلب الان يكون
معها وأسفل منها غلام
فيعصبها والاخوان لآب
وأموهن عند عدم الولد
وللد الابن كالبنات

والاخوان لآب وهن كالاخوان لآب وأم عند عدمهن وبصر الفر يقان عصبة مع البنت أو بنت
الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفل والابو بالجدة عند أبي خيفة حرة الله وولد الام فلولو احد السدس وللاكثر الثلث وكرههم كاثناهم
و يسقطون بالولد وولد الابن وان سفل كآب والجد والاب وله السدس مع الابن وأب ابن الابن وان سفل

واعلم ان الواحدة من النساء لها ربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن في الربع
 أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد
 للرجل من الزوجة أو من غيرها ﴿قوله تعالى﴾ (وان كان رجل من بورث كلاله أو امرأة) تقدير الآية وان
 كان رجلاً أو امرأة بورث كلاله واختلفوا في الكلاله فذهب أكثر اصحابنا الى ان الكلاله من لا ولده ولا
 والد روى الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلاله فقال سأقول فيها قولاً برأى فان كان صواباً فمن الله
 وان كان خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخاف عمر قال لا تسخى من الله ان أردشياً
 قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحد من الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول
 هو الصحيح المختار وبدل على صحته ان اشتقاق الكلاله من كات الرحم بين فلان وفلان اذا تابعت القرابة
 بينهم فسميت القرابة البعيدة كلاله من هذا الوجه وقيل ان الكلاله في أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه
 الاكليل للاحاطة بالرأس فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سمو كلاله لانهم كالذكر المحيطة بالانسان
 اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء
 الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام
 والعمات وغيرهم فاما محصل نسبهم اتصال احاطة بالنسب اليه فثبت بذلك ان الكلاله عبارة عن عدا الوالد
 والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلاله من لا ولده وله به قال طائوس واحتج لهذا القول بقوله
 تعالى قل الله يفتيك في الكلاله ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء ما خوذ من حديث جابر بن
 عبد الله ان الآية نزلت فيه ولكن له يوم نزل وطأ أبو الاين لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلاله نزلت في آخر
 عمر الذي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيان المراتب التي نزلت في آخر السورة نزلت وطأ فيه واختلفوا
 في ان الكلاله اسم لمن فاتهم من قال هو اسم الميت وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه
 مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبهم وقيل هو اسم لاحي من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق وعليه
 جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلاله من دون الوالد والولد وبدل عليه حديث جابر انما يرنى كلاله أي يرنى
 ورثة ليسوا بولد ولا ولدان كان المراد بالكلاله الميت الموروث فالمراد برثه غير الوالد والولد وان كان المراد
 الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلاله الذي لا ولده ولا ولد والحي والميت كلهم كلاله هذا يرث
 بالكلاله وهذا يورث بالكلاله وقال أبو الخير سأل رجل عتبة عن الكلاله فقال ألا تنجبون من هذا سألني
 عن الكلاله وما أعضل بالحجاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ما أعضلت بهم الكلاله (ق) عن عمر قال ثلاث
 وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فمن عهد انتهى اليه الجد والكلاله وأبواب من
 أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخبر (ق) عن معاذ بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب
 فقال في لأدع بعدى شيئاً هم عدى من الكلاله لما رجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما رجعت
 في الكلاله وما أعظمت في شيء ما أعظمت في الكلاله حتى طعن بصبغ في صدرى وقال يا عمر ألا يكفبك آية
 الصيف التي في آخر سورة النساء وان أعش أفض فيها بقضية بقضى بهما من بقر القرآن ومن لا يقرأ
 القرآن لفظ مسلم قوله ألا يكفبك آية الصيف أراد الله عز وجل أنزل في الكلاله آيتين احدهما في
 الشفاء وهي التي في أول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيهما من البيان
 ما ليس في آية الشفاء فذلك أحال عليه ﴿قوله تعالى﴾ (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس) أراد به
 الاخ والاخت للام باتفاق العلماء وقرأه ابن عباس وابن أبي قاص وله أخ أو أخت من أم فان قلت ان الله تعالى قال
 وان كان رجل بورث كلاله أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فقد كر الرجل ولم يذكر المرأة فالف السبب فيه قلت
 هذا على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهم وكان في الحكم سواء بما ضافوا أحدهما

الاشبين (وان كان رجل)

يعني الميت وهو اسم كان

(بورث) من ورث أي

بورث منه وهو صفة لرجل

(كلاله) خبر كان أي وان

كان رجلاً أو ورث منه

كلاله أو بورث خبر كان

وكلاله حال من الضمير في

بورث والكلاله تنطلق

على من لم يخلف ولد أو ولد له

وعلى من ليس بولد ولا ولد

من الخلفين وهو في الأصل

مصدر بمعنى الكلال وهو

ذهاب القدر ومن الاعياء

(أو امرأة) عطف على

رجل (وله أخ أو أخت)

أي لم فان قلت فقد تقدم

ذكر الرجل والمرأة فم أفرد

الضمير وذكركه قلت أما

افراد فلان أو لاحد

الشبين وأما ذكره فلانه

يرجع الى رجل لانه مذكر

مبدؤه أو يرجع الى

أحدهما وهو مذكر (فلكل

واحد منهما السدس

(وان كانت واحدة فلها النصف) أي وان كانت المولودة منفردة واحدة بدني على كان التامة والنصب أوفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكر حكم البنين في حال اجتماعهم مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراق اولم يذكر حكم البنين في الانفراق احكامهما حال الانفراق قلت حكمهما مختلف فيه فان عباس رضي الله عنهما ازلهما منزلة الواحدة لان منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اعطوهما حكم الجماعة بقصتي قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وبنا فالثالث للبنات والثالث للابن فاذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلث للبنتين ولانه قال في آخر السورة ان امرؤ هالك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الاختين فوجب لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو أبعد منهما ولان البنت لما رجب لها مع أخيها الثلث كان (٣٥٣) أخرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفي الآية دلالة على أن المال كله للذكر اذا لم يكن معه أنثى لانه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف اذا كانت منفردة فلم ان للذكر في حال الانفراق ضعف النصف وهو السكك والضمة في (ولا يورثه) للميت والمراد الاب والام الا انه غلب الذكور (لكل واحد منهما السدس) بدل من لا يورثه بشكر بر العامل وفائدة هذا البديل انه لو قيل ولا يورثه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولا يورثه السدسان لاهوم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها

بالثلثين لا بنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى (وان كانت واحدة) يعني البنت واحدة (فلها النصف) يعني فرضها (ولا يورثه) يعني أبوي الميت كناية عن غيرهم كورثهما والداه (لكل واحد منهما السدس) مما ترك ان كان له ولد) يعني أن للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع في الذكرو الانثى فاذا مات الميت وترك أبو بن وولدا ذكرًا وواحدة كان أو أكثر أو ترك بنت فان للام السدس وبالفرض وللأب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب (فان لم يكن له ولد) يعني للميت (ورثته أبوه أفلامه الثلث) يعني ان الميت اذا مات عن أبوين وليس له وارث سواه فان الام تأخذ الثلث بالفرض وتأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما ثلثا للذكر ومثل حظ الانثيين فان كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة (فان كان له) يعني للميت (أخوة) يعني ذكرًا أو أنثى (فلامه السدس) يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها أب وأجعم العلماء على أن الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والأخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلغو في الاخوين فلا كثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس لأن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له أخوة والاخوان في اسان فوكلمه إسماعيل فقال عثمان يا بني ان قومك يحجبوها باخوين ولا أستطيع قضاء أمر قد كان قبلي وانما أنا هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان أحدهما ان أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني وخجة هذا القول انك اذا جمعت واحد الى واحد فما جماعة لان أصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الأباري التنبيه عند العرب أول الجمع مشهور وفي كلامهم إجماع على التنبيه في ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهم داود وسليمان عليهما السلام ومنه قوله تعالى فقد صفت قلوبكم بكم يرد قلبا كما والقول الثاني ان أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الأصح وانما يحجب العلماء الام باخوين لدليل اتفاقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق

(٤٥ - خازن - اول) ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهب فائدة التاكيد وهو الاتصال بعد الاجال والسدس مبتدأ خبره لا يورثه والبديل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربيع والنحن والثلث بالتخفيف (مما ترك ان كان له ولد) هو يقع على الذكرو الانثى (فان لم يكن له ولد وورثته أبوه أفلامه الثلث) أي مما ترك والمعنى وورثته أبوه أخسب لانه اذا ورثه أبوه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لانه لا يورثه من الام في الارث بديل ان له ضعف حظها اذا خلاصا فلو ضرب لها الثلث كسلا لادى الى حظ نصيبه عن نصيبها فان امرؤ هالك ترك زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهمًا واحدًا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهزة جزء وعلى مجاورة كسر اللام (فان كان له) أي للميت (أخوة أفلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعد أفلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والعالات والاعيان في حجب الام سواء

قول عمرو وعثمان وعلى وابن مسعود و به قال مالك والاوزاعي والسافعي وأحد أولاد اب يسقطون بهؤلاء
الثلاثة وبالأخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي
بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وفي الدرر اء وعائنة و به قال الحسن وعطاء وطارس وأبو حنيفة والأقرب من
العصبات يسقط الابعدهنم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الابن ثم الجد وان علا فان كان مع الجد أحد
من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتر كان في الميراث فان لم يكن جد فبالاخ للاب والام ثم الاخ
للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقرهم سواء كان لاب أو أم ولأب فان استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى
ثم العم لاب وأم ثم لم ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن أحد من
عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للعتق فان لم يكن حيا فله عصبات المعتق وأربعه من الذكور
يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن و بنت أو عن أخ وأخت
لاب وأم أو لأب يكون المال بينهما للذ كرمثل حظ الاندين ولا يفرض للبنت والاخ وكذلك ابن الابن

يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذ لم يأخذ من الثلث شيئا حتى لو مات عن بنتين و بنت ابن
فالبنتين الثلثان ولاثنين للبنت الابن فان كان في درجته ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما
للذ كرمثل حظ الاندين والاخ للاب والام ولأب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت وأخت كان
للبنات النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين وأخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت
ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال لا لبنة
النصف ولا لأخت النصف وأت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن مسعود لقد
ضلت وما أنا من المهتدين ثم قال أفضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن
السدس نكدة للثلثين وما بقي فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني مادام هذا الخبر
فيكم أخرجه البخاري وأما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله أي بعهد اليكم ويفرض عليكم في أولادكم يعني في
أمر أولادكم اذ ماتم والوصية من الله سبحانه وتعالى بلذ كرميراث الاولاد لان تعاقب قلب الانسان
بولده أشد من تعاقبه بغيره فلهذا أقدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث

(فان كن نساء) أي فان
كانت الاولاد نساء خلاصا
يعني بنات ليس معهن ابن
(فوق اثنتين) خبرنا
لكان أوصفة لنساء أي
نساء زائدات على اثنتين
(فلهن ثلثا مترك) أي
الميت لان الآية لما كانت
في الميراث علم أن التارك
هو الميت

ضعف اسهام الانثى فلذ كرسهمان ولا نثي سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض
كالأبوين أخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذ كرمثل حظ الاندين (فان كن) يعني المتروكات
من الاولاد (نساء فوق اثنتين) يعني بنتين فصاعدا (فلهن ثلثا مترك) وأجعت الامه على أن البنتين الثلثين
الاماروى عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلث من البنات لان الله تعالى قال
فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا مترك فجعل الثلث للنساء اذ اذن على الثنتين وعندنا فرض الثنتين
النصف كفرض الواحدة وأوجب عنه بوجوه فيها حجة المذهب الجمهور أيضا الوجه الاول ان الله تعالى قال
وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك يبنى حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني
ان في الآية تقديم وتأخير والتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقها فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق
ههنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما
سمى اثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تعاقى على اثنتين جماعة بدليل قوله تعالى فقد صفت قلوبكم بما لوجه
الرابع قال علماء الجمهور وانما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة
النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس
له ولولده أخت فلها نصف مترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلها من الثلثان فلما جعل
للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى

الزهرى والاوزاعى وأحمد واسحق لما روى عن جابر بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تورث بين أهل
 ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا تورث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود ووجه الآخرون على الإسلام والكفر لأن الكفر عندهم
 له واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التورث بين ملتين شتى والرق يمنع الإرث لأن
 الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الإرث عمداً كان القتل أو خطأ لما روى عن أبي هريرة
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند
 أهل العلم أن القاتل لا يرث سواء كان القتل عمداً أو خطأ وقال بعضهم إذا كان القتل خطأ فإنه يرث وهو
 قول مالك ويحرم الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقاً وانهدم عليهم ما بناء فلم يدركهم ما سبق
 موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون إرث كل واحد منهما ما كان حياته يقيناً بعد موته من ورثته
فصل في السهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثلث
 والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة
 لالصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للأب والأم وفرض الاخت الواحدة
 للأب إذا لم يكن ولد للأب والأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثلث فرض
 الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعداً أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الاختين
 فصاعداً للأب والأم وأولاد الأب والثلث فرض ثلاثة فرض الأم إذا لم يكن للأميت ولد ولا اثنتان من الأخوة
 والأخوات الأفي مستثنين أحدهما الزوج وأبوان والآخرى زوجة وأبوان فإن للأم فيهما ثلث الباقي بعد
 نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الاثنين فصاعداً من أولاد الأم ذكرهم وأنثاهم فيه سواء وفرض الجد
 مع الأخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيراً من المقاسمة مع الأخوة والسدس
 فرض سبعة فرض الأب إذا كان للأميت ولد وفرض الأم إذا كان للأميت ولد وأولاد ابنت أو اثنتان من الأخوة
 والأخوات وفرض الجد إذا كان للأميت ولد ومع الأخوة إذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس
 خيراً للجد من المقاسمة مع الأخوة وفرض الجد والجدات وفرض الواحد من أولاد الأم ذكرها كان أو أنثى
 وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الاثنين وفرض الاخوات والأب مع الاخت للأب والأم تكملة
 الاثنين (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى
 رجل ذكر (خ) عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للأولاد من فسخ الله من ذلك ما أحب فجعل
 لأم كرم مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثلث والرابع
 وللزوج الشطر والرابع اهـ

فصل روى عن زيد بن ثابت قال ولد الأبناء منزلة الأبناء إذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذا كرمهم
 وأنثاهم كأنهم يرثون كيرثون ويحجبون كايحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فإن ترك ابنة وابن ابن
 ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم أخفوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى
 لأولى رجل ذكر كرمي هذا الحديث دليل على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجب نقصان
 وحجب حرمان أما الأول وهو حجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف إلى الربع
 والزوج من الربع إلى الثلث والأم من الثلث إلى السدس وكذلك الإثنان من الأخوة والأخوات يحجبون
 الأم من الثلث إلى السدس وأما الثاني وهو حجب الحرمان فهو أن الأم تسقط الجدات وأولاد الأم وهم
 الأخوة للأم يسقطون بأربعة الأب والجدوان تملوا بالولد وولد الابن وأولاد الأب والأم وهم الأخوة للأب
 والأم يسقطون بثلاثة الأب والابن وابن الابن وإن سفلوا ولا يسقطون بالجد على من ذهب زيد بن ثابت وهو

فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً (المراد بهم الأوصياء) وأبواب غشوا الله فيخافوا على من في مخبرهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفاً
على ذرئهم لئلا يتركوهم ضالين أو أن يقدر وذاك في أنفسهم ويصبروه حتى لا يجسر واعي خلاف الشفقة والرحمة ولومع مافي حيزه صالة الذين أوى
وايخش الذين صفتهم وحاطهم منهم لئلا يتركوهم ضالين (٣٤٩) ذرية ضاعوا وذلك عند احتضارهم خافوا

عليهم الضياع بعدهم لذهب
كافلهم وجواب لوخافوا
والقول السديد من الأوصياء
ان يكلموهم كما يكلمون
أولادهم بالادب الحسن
والترحيب وبدعوهم بياضي
ويا ولدي (ان الذين
ياكلون أموال اليتامى
ظلموا) ظالمين فهو مصدر
في موضع الحال (انما
ياكلون في بطونهم) ملء
بطونهم (نارا) أي ياكلون
ما يجسر الى النار فكانه نار
روى انه يبعث آكل مال
اليتامى يوم القيامة والدخان
يخرج من قبره ومن فيه
وأذنيه فيعرف الناس انه
كان يأكل مال اليتيم في
الدنيا (وسيلون) شامى
وأبو بكر رأى سيدخلون
(سعيوا) نارا من النيران
مهمة الوصف (بوصيكم
الله) يعهد اليكم وباصمكم
(في أولادكم) في شأن
ميراثهم وهذا الجمل تفصيله
(لأنكم مثل حظ الانثيين)
أي لأنكم كرهنهم أي من
أولادكم خذف الراجع
اليه لأنه مفهوم كقولهم
السمن منوان بدرهم وبدأ

با كفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والعسى وايش من خاف على ولده من بعد موته ان يضع مال
اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره المقصود من الآية من كان في حجره يتيم فليحسن اليه
وليأمره وليعطف به ما يحب أن يفعل بالأولاد من بعده (فليتقوا الله) يعني في الأمر الذي تقدم ذكره
(وليتقوا قولاً سديداً) يعني عدلاً وصواباً فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه ان
يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده ورثته وان لا يضيف في وصيته والقول السديد من الأوصياء
وأولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون أولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل ﴿ قوله عز وجل (ان الذين
ياكلون أموال اليتامى ظلماً) قال مقاتل وابن حبان نزات في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيدولى
مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فانزل الله هذه الآية ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلماً سنى
حراماً بغير حق (انما ياكلون في بطونهم نارا) يعني سناً ياكلون يوم القيامة قسمي الذي ياكلون نارا بما يؤل
اليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظالم يوم القيامة وتولب النار يخرج من فيه ومن
مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفهم من رءاهب آكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي
صلى الله عليه وسلم عن ليلى أسرى به قال نظرت فإذا يا بقوم مله مشافر كشافر الابل وقد كلهم من يأخذ
بمشافهم ثم يجعل في أفواههم صخر من نار يخرج من أسافلهم قتل جابر بن مله هؤلاً قال هؤلاء الذين
ياكلون أموال اليتامى ظلماً انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر آكل النار على سبيل التمثيل
والتوسيع في الكلام والمراد ان آكل مال اليتيم ظلماً يقضى به الى النار وانما خص الآكل بالذكور وان
كان المراد سائر أنواع الانكافات وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك
لليتم فغير عن جميع ذلك بالاكل لأنه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيدهم كقولك رأيت
بعضي وسمعت بأذى (وسيلون سعيوا) يعني باكلهم أموال اليتامى ظلماً والسعي النار الموقدة المسعرة
ولما نزلت هذه الآية نقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأولهم بالكافة فشق ذلك على
اليتامى فنزل قوله تعالى وان تحاططوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تحاططوهم ناسخ لهذه
الآية وهذا غلط ممن توهم لان هذه الآية واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلماً وهذا لا يصير
منسوخاً لان آكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تحاططوهم فاخوانكم وارد على سبيل
الاصلاح في أموال اليتامى والاحسان اليهم وهم من أعظم القرب ﴿ قوله تعالى (بوصيكم الله في
أولادكم لأنكم مثل حظ الانثيين) اختلاف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت
فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما يمتحيان فوجداني أغشى على فتوضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم مضى وضوءاً على فافقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله
كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشئ حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لابن
الأكلاء فكيف الميراث فنزل آية القراض وفي رواية أخرى فنزل بوصيكم الله في أولادكم وفي رواية
أخرى فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل

يحظ الذكركم بقل للانثيين مثل حظ الذكركم أو لاني نصف حظ الذكركم فله كاضويف حظته لذلك ولا لهم كانوا يورثون الذكركم دون
الاناث وهو السبب لورود الآية فقبل كني الذكركم أن رضاء وعطف لهم نصيب الاناث فلا يتأدى في حظهن حتى يجر من معادلاتهم من القرابة بمثل
ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أي اذا اجتمع الذكركم والانثيان كان له سهمان كما ان له سهمين وأمافي حال الانفراق لابن يأخذ المال كله
والبناتان تأخذان الثلثين والدليل عليه انه اتبعه حكم الانفراق بقوله

القول يكون الخطاب للوارثين (أولو القربى) معنى القرابة الذين لا يرثون (واليتامى والمساكين) إنما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم (فارز قوهم منه) أى فارض خولهم من المال قبل القسمة واختلاف العلماء فى حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية الموارث وهذا قيل نزول آية الموارث فلما نزلت آية الموارث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الأخرى عن ابن عباس وهو قول أنس بن مالك والاشعري والحسن وأبى العالية والشعبي وعطاء بن أنس وأبى رباح وسعيد بن جبيرة ومجاهد والنخعي والزهرى ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الأمر أمر وجوب أو نهي على قواين أحدهما أنه واجب فقيل إن كان الوارث كبيراً واجب عليه أن يرضخ إن حضر القسمة شيئاً من المال بقدر تطيق به نفسه وإن كان الوارث صغيراً واجب على الولي أن يعتذر اليهم ويقول لا أملك هذا المال وهو طئول الضعفاء قال ابن عباس إن كان الورثة كباراً راضوا بهم وإن كان الورثة صغاراً اعتذر إليهم فيقول الولي أو الوصي لا أملك هذا المال وإنما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لأعطيكم وإن يكبروا فسيصرفوا حتى يحكم هذا القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فإن كان الورثة كباراً تولوا إعطاءهم بانفسهم وإن كانوا صغاراً أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين أن عديدة الساماني قسم أموال أبيات قاصر بشاة فندبته وصنعت طعاماً لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من ماله وقال الحسن والخبي هذا الرضخ مختص بقسمة الأعيان فإذا آل الأمر إلى قسمة الارضين والرقق وما أشبه ذلك فقولوا لهم قولاً معروفاً وقيل كانوا يعطون التابوت والأواني وورث الثياب والمتاع الذي يستحي من قسمة أهله والقول الثاني أن هذا الأمر ندب واستحب لئلا يسيئ القسمة والواجب وهذا القول هو الأصح الذي عليه العمل اليوم واحتجوا بهذا القول بأن لولا ذلك حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق حيث لم يبين علمنا أن ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية أن المراد بالقسمة الوصية فإذا حضر الوصية من لا يرث من الأقارب واليتامى والمساكين أمر الله الوصي أن يجعل لهم نصيباً من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولاً معروفاً وقوله (وقولوا لهم قولاً معروفاً) هو أن لا تبع العطية بالمال والأذى في قوله تعالى (وليعش الذين لو تركوهم خلفهم ذرية ضعفاء) يعنى أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) يعنى الفقير قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضر الموت فيقولون له انظر لنفسك فإن أولادك وورثتك لا يغفون عنك شيئاً قد علمت نفسك اعنى وتصديق وأعط فلا يزالون به حتى يأتى على عامة ماله فنهأهم الله عن ذلك وأمرهم بأن يأمرهم ولا ينظر لولد ولا يزد على الثالث فى وصيته ولا يجحف والعنى كانكم تكبرون بقاء أولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فأخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يجرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لاترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لأهلك المسلم وكما أنه لو كان هذا القاتل هو الموصى لسمع أن يحمله من يحضره الموت ويريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتى الله وأمسك أموالك لولدك فممنعونه من الوصية لا قار به المحتاجين وقيل الآية محتمل أن تكون خطاباً لمن حضره جله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا يتابع ورثته فقراء ضعفاء ضالعين بعدهم ونهيه أن كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثالث كان المراد منها أن لا يجعل الوصية مستغرة لما تركه وإن كانت قد نزلت بعد تقدير الثالث كان المراد منها أن يوصى بالثالث أو بأقل منه إذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة أنهم أوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس فى الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد فى الصحيح الثالث والثالث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعنى يسألونهم

(أولو القربى) من لا يرث
(واليتامى والمساكين)
من الأجانب (فارز قوهم)
فأعطوهم (منه) مما ترك
الوالدان وأقربون وهو
أمر ندب وهو باق لم
ينسخ وقيل كان واجباً
الابتداء ثم نسخ بآية
الميراث (وقولوا لهم قولاً
معروفاً) عند ارجاء وعدة
حسنه وقيل انقول المعروف
أن بقولوا لهم خذوا برك
الله عليكم ويستقلوا
مأعطوهم ولا يمنوا عليهم
(وليعش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعفاء
خافوا عليهم

(فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) بأنهم تسلموها وقبضوها فعلا لاجل أحد (٣٤٧) ونفاديا عن توجه إليهم عليكم عند التخاصم

والشاكركم (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والتكاذب أو هو راجع إلى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظه الله والياء زائدة وكفى تعدى إلى مفعولين دليله فسيكفيهم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) هم المتوارثون من ذوى القربات دون غيرهم (مما قل أكثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير في منه يعود إلى ما ترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مفروضا) مقطوعا لا بد لهم من أن يحوزوه روى أن أوس ابن ثابت ترك أمهاته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث الأيمن طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال أرجعي حتى أنظر ما ينزل الله فنزلت الآية فبعث إليهما لانفرقا من مال أوس شيئا

شيء ولم يتم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذور ولا متأنل واختالف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمرو بن عباس وابن جبير وأبي العالية وغيرهم أن أبا بكر ومقاتل أنه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلافوا أنه هل ينزله القضاء فذهب قوم إلى أنه ينزله القضاء إذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أى يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا أيسر قضاء وهو قول مجاهد وسعيد بن جبيرة قال عمر بن الخطاب أبى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم أن استغيت استغفقت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما ياكله كالأجرة على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقادة قال الشعبي لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة القائلون بجواز أكل كل من مال اليتيم اختلافوا في قوله فليأكل كل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل كل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسب منه ولا يلبس الكتان ولا الخلل لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستبر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله وابن عباس به بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئا فأخذوا بغيره وقال الكسبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا ورؤى أن رجلا قال لابن عباس إنى يتما وإن له ابلا أفأنت رب من ابن ابله فقال ابن عباس إن كنت تبغى ضالة بله وتسنأجر بها وتلطيح حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر نسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجعاعة من أهل العلم وقوله تعالى (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) هذا أمر ارشاد وليس بأمر الله تعالى الولي بالشهادة على دفع المال إلى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتقطع الخصومة لأنه إذا كانت عليه ميتة كان أبعد من أن يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه العين عند انكار اليتيم القبض (وكفى بالله حسيبا) يعنى محاسبا ومجازا يواشده به قوله تعالى (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الأنصاري توفى وترك أمهاته وبنات ثلث من كحة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابتاع الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرجة فاخذاهما ولم يعطيا أمهاته ولا بناته شيئا من ماله وذلك أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأصغير من الذكور وإنما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الأرض الأمن قاتل وحاز الغنيمة وحجى الحوزة فجاءت أم كحة أم أوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأة وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرجة ولم يعطيا لى وبناته منه شيئا وهن في حجرى ولا طعن ولا يسقين فندعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ولداهما لا يرثن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينسكن عدوا فأنزل الله هذه الآية وبين أن الأرض ليس مختصة بالرجال بل هو أمر مشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من أولاد الميت وعصبة نصيب أى حظ مما ترك الوالدان والأقربون يعنى من الميراث (وللنساء نصيب) يعنى من المال الخائف عن الميت من أولاد الميت حظ (مما ترك الوالدان والأقربون مما قل أكثر) يعنى من المال الخائف عن الميت (نصيبا مفروضا) يعنى معاوما والقرض ما فرضه الله تعالى وهو أكرم من الواجب فلما نزلت هذه الآية بحجة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرجة لانفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل فبين أنزل الله تعالى بوصيكم الله في أولادكم الآية فلما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرجة أن دفعوا إلى أم كحة الثمن عما ترك وإلى بناته الثلثين والى كحيت إلى المال فقبله عز وجل (واذا حضر القسمة) يعنى قسمة الميراث وعلى هذا

فان الله تعالى قد جعل لمن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل بوصيكم الله فاعلى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم (واذا حضر القسمة) أى قسمة التركة

عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعلم أحداً أبداً أربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وثلاثين خمس عشرة سنة فأجازني أخر جاد في المصحين وعدا قولاً كثيراً أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باسكتال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باسكتال ثمانية عشرة سنة والثاني الاحتلام وهو انزال المنى بالدفق سواء أنزل باحتلام أو جماع فإذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم واقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ من كل حال مدبراً ما أنابت الشعر الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فما أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فسكنت من لم ينبت وهل يكون ذلك علاناً على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما أنه يكون بلوغاً في أولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغاً حتى أولاد المسلمين لأنه يمكن الوقوف على واليد وأولاد المسلمين والرجوع إلى قول آبائهم بخلاف الكفار فإنه لا يوقف على واليهدم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم إسكفرهم غملاً النبات الذي هو إمارة البلوغ بلوغاً حقهم، وأما الذي يختص بالنساء فهو الحض والحيض فإذا حضت الجارية بعد اسكتال سبع سنين حكم ببلوغها وكذلك إذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل **المسئلة الرابعة** في بيان الرشد وهو أن يكون مصادقاً لدينه وماله فإصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة وإصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً أو تبذيراً ينفق ماله فيقال لا يكون مجمدة دينية ولا ماثوبة أخروية ولا يحسن التصرف في بيعه والشرع إذا بلغ الصبي وهو مقصد لماله لدينه لم ينفك عنه المحرور ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة إذا كان صاحب ماله زال عنه الحجر وإن كان مفسد الدين أو إذا كان له مفسد الدين دفع إليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير أنه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدلاله المحرر عليه لأن الله تعالى قال فإن أنتم منهم رشدوا فادفعوا إليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وائتناس الرشد والفاصل لا يكون رشيداً أو بعد بلوغه خساو عشرين سنة وهو مفسد ماله بالانفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كقبل بلوغ هذا السن **المسئلة الخامسة** إذا بلغ الصبي أو الجارية وأونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع إليه ماله سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك إن كانت امرأة لا تدفع إليه الماله ما تزوج فإذا تزوج دفع إليها ماله ولا ينفذ تصرفها إلا بإذن الزوج ما لم تكبر وتجرب **المسئلة السادسة** إذا بلغ الصبي رشيداً زال عنه الحجر فلو عاد سفيهاً ينظر فإن كان مبذراً لماله حجر عليه وإن كان مقصد في دينه فعليه وجهين أحدهما أن يعاد عليه الحجر كما يستدام إذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر عليه لأن حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا يحجر على الحر العاقل البالغ لحوال الدليل على إثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً بخرجة بستين ألف درهم فقال على لآتين عثمان ولا يحجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى على عثمان فقال اسجروا علي هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أسجروا علي رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقاً منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه **وقوله تعالى** (ولأننا كانوا اسرافاً) الخطاب للأولياء يعني بالعمرة الأولياء لأننا كانوا أموال اليتامى بغير حق (وبداراً أن يكبروا) يعني لتأديروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقهم وتقولون تنفق كما تشتهي قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمهم إليهم ثم بين تعالى حال الأولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى (ومن كان غنياً فليستعفف) أي فليمتنع عن كل مال اليتيم ولا يرزؤه قاله لا كثيراً (ومن كان فقيراً) يعني محتاجاً إلى مال اليتيم وهو بحفظه (فليأكل كل بالمعروف) روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني فقير وإسأل

(ولأننا كانوا اسرافاً وداراً أن يكبروا) ولأننا كانوا مسرفين ومبذرين كبرهم فاسرافاً وداراً مصدران في موضع الحال وإن يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع بداراً ويجوز أن يكوناً مفعولاً لهما أي لاسرافكم وبإدراككم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون تنفق فيما تشتهي قبل أن يكبر اليتامى فيتزعموهم أن يدينوا (ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنياً وبين أن يكون فقيراً الفنى يستعفف من أكله أي يحترز من أكل مال اليتيم واستعفف بأبلغ من عفا كأنه طالب زيادة العفة والفقه غير يا كل قوتاً مقدراً محتاطاً في أكله عن إبراهيم ماسد الجوعة وروى العورة

السلم يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك ما لا يحاسبني الله عليه غد من إن احتاج إلى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها الولاه
 لتمتدلي ببولها بياس (وارزقوهم فيها) واجدها لوها مكانا لارزقهم فإن تجردوا فهاوت رجوا حتى تكون نفقتهم من الرباح لا من صاب المال
 فيأكلها الانفاق (واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) قال (٣٤٥) ابن جرير مائة جيلة أن صالحتهم ورشدتهم

سلمة إليكم أموالكم وكل
 ما كنت إليه النفس
 لحسنه عقلا وشرعا من
 قول أو عمل فهو معروف
 وما أنكرته لقبحه فهو
 منكسر (وابتأوا اليتامى)
 واختبروا عقولهم وذوقوا
 أحوالهم ومعرفة بهم
 بالتصرف قبيل البلوغ
 فلا يتلاءم عندنا أن يدفع
 إليه ما يتصرف فيه حتى
 تبين حاله فلا يجهل منه
 وفيه دليل على جواز إذن
 الصبي العاقل في التجارة
 (حتى إذا بلغوا النكاح)
 أي الحلم لأنه يصلح للنكاح
 عنده واطلب ما هو مقصود
 به وهو التوالد (فإن أنتم
 منهم) تبتسم (رشدوا)
 هداية في التصرفات
 وصلاحيات المعاملات
 (فادفعوا إليهم أموالهم)
 من غير تأخير عن حقه
 البلوغ ونظام هذا الكلام
 أن ما بعد حتى إلى فادفعوا
 إليهم أموالهم جعل غاية
 للابتلاء وهي حتى التي
 تقع بعدها الجمل كالتي في
 قوله حتى ماء دجلة أشكل
 والجلة الواقعة بعد هاجلة
 شرطية لأن إذا متضمنة

أهلك أهلك عليهم ولا تؤت ذلك امرأ أنك ولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا
 للقيام بالعيش سمي به ابتداء لاسم السبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام الحج والجهاد وأعمال البر
 وفكك الرقاب من النار (وارزقوهم فيها) أي أطعموهم (واكسوهم) يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته
 لما نهى الله عن إتياء المال للفسقة أمر أن يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه
 أراد اجدوا لهم فيهارزقوا الرزق من الله تعالى هو العاطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر
 الموظف المعلوم وقت معلوم محدود (وقولوا لهم قولا معروفا) يعني قولوا جيلان القول الجليل يؤثر في القاب
 ويزيل السفه وقيل معناه عدم عدة جيلة من البر والصلة قال عطاء بقول اذار بحث أعطيتك وان غنمت
 قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم قال ابن زيدان لم يكن من يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله
 وياك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولي لليتيم السفيه مالك
 عندي وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علمهم مع اطعامهم وكسوتهم
 اياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وابتأوا اليتامى) الآية نزلت في ثابت
 ابن رفاعه وفي عمه وذلك ان رفاعه مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له
 ان ابن أخي يتييم في حجرى فيأكل من مالي ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتأوا اليتامى يعني
 اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم (حتى إذا بلغوا النكاح) أي مبلغ الرجال والنساء (فإن
 أنتم) أي أصبرتم وعرفتم (منهم رشدوا) يعني عقلا وصلاحي الدين وحفظ المال وعامالها يصلحها
 ﴿ فصل ﴾ في أحكام تتعلق بالجر وفيه مسائل ﴿ المسئلة الاولى ﴾ الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى
 فإن كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الأسواق يدفع اليه ما له وان كان شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان
 ممن لم يتصرف في الأسواق فيختبر بنفقته على أهله وعبيده وأجرائه وتصرفه في أحوال داره ويختبر المرأة
 في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزها واستغزها فإذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الأمور مرارا
 وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيئا يغلب عليه السفه حتى يؤس
 منه الرشد ﴿ المسئلة الثانية ﴾ قال الامام أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال
 الشافعي هي غير صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتأوا اليتامى حتى اذا
 بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلاء لا يحصل قبيل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختباره حاله في جميع
 تصرفاته فثبت ان قوله وابتأوا اليتامى أمر لا دلالة له الا بالذن لهم في البيع والشراء قبيل البلوغ أوجب الشافعي
 بان قال ليس المراد بقوله وابتأوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان أنتم منهم
 رشدوا (فادفعوا إليهم أموالهم) وانما دفع إليهم أموالهم بعد البلوغ وبناس الرشد فثبت بموجب هذه الآية
 أنه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله
 واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ في بيان البلوغ وذلك باربع أشياء
 اثنان يشتركان فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أمأ اللذان يشتركان فيهما الرجال والنساء فأحدهما
 السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو أمة وبأنه يدل عليه ما روى

(٤٤ - خازن - اول) معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان أنتم منهم رشدوا فادفعوا إليهم أموالهم
 جلة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتأوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقة أقم دفع
 أموالهم إليهم بشرط اثبات الرشد منهم وتنكير الرشد فيदान المراد رشد مخصوص وهو الرشد في التصرف والتجارة أو فيقليل أي
 طرفا في الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لا في حقيقته رجاءه ان دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة

مهورهن (نحلة) من نحله كذا اذا اعطاه ووجهه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلوها تصابها على المصدر لان النحلة والاباء بمعنى الاعطاء فكما يقال ونحلو النساء صدقاتهن نحلة أى اعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من الخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء وأمن الصدقات أى منجولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من ابنة تعالى عطية من عنده وتفضلاته عليهن وقيل النحلة الملة وفلان ينسجل كذا أى يدب به بمعنى وآتوهن مهورهن ديانة على انهما مفعول لما والخطاب للازواج وقيل الاولايه لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم فان طبن (٣٤٤) لكم للازواج (عن شئ منه) أى من الصادق اذهبوا معنى الصدقات (نقسا)

تتميز وتوحدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهين لكم شيأ من الصدقات وتجنأ عنه نفوسهن طيبات غير مخنئات بما يضطرهن الى طلبته من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآبة دليل على ضيق المسلك فى ذلك وجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نقسا ولم يقل فان وهين لكم اعلاما بان المراعى وتحتاجا نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الماه يودعلى شئ (هنيئا) لائمه فيه (مرثيا) لاداء فيه فسرهم النبي عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بالامطالبة مرثيا فى العقبى بلاتبعة وهما صفتان من هئوال الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لانتقص فيه وهما وصف مصدر أى اكلا هنيئا مرثيا وأحوال من الضمير

زوج اعمأ خنصداقها دونها فهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم فى العشرة لم يعطها من مهر الا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غير يباحلوه اليه على بيع ولا بهاطبها من مهرها غير ذلك فهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهلها وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشار فهاهم الله عن ذلك وأمرهم بسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما مصادق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الأكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكين وهم الازواج أمرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصادق والصدقات المهور واحدا صدقة بفتح الصاد وضم الدال (نحلة) يعنى فى رضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى أخص من الهبة وسمى الصادق نحلة من حيث انه لا يجب فى مقابلة غير المتع دون عوض مالى (ق) عن عتبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا بها ما استحل من الفروج وقوله تعالى (فان طبن) يعنى النساء المتزوجات (لكم) يعنى للازواج (عن شئ منه) يعنى من الصادق ومن ههنا بيان الجنس للاتباع لانها لو وهبت المرأة زوجها جمع صداقها جاز (نقسا) نضب على التميز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصادق المعين فوهين ذلك لكم فتقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فذلك وحده النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع (فكلوه) يعنى ما وهبته لكم (هنيئا مرثيا) يعنى طيبا سائغا وقيل الهى والطيب المساغ الذى لا ينفصه شئ والمرى المحمود العاقبة وفى الآية دليل على اباحة هبة المرأة صداقها وانما تملكه ولا حق لوالى فيه قوله تعالى (ولا تاتوا السفهاء أموالكم) اختلفوا فى هؤلاء السفهاء هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات وأمهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لانته ولدك السفه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأتك وابنتك السفه قال ابن عباس لانه عدالى مالك الذى خولك الله وجهه لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى رزقهم ومؤنتهم وقال السكيت اذا علم الرجل ان امرأته سفينة مفسدة وان والده سفينة مفسدة لا يبنى له أن يسلط واحد منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاثوته اباه وأثق عليه منه حتى يبلغ وأما أضاف المال الى الاولياء لانهم قوامهم بدروها وأصل السفه الخفة واستعمل فى خفة النفس لنقصان العقل فى الامور الدينية والدينية والسفيه المستحق العجز الذى يكون مبذرا فى ماله ومفسدا فى دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور فى هذه الآية ليس هو صفة ذم طولا ولا عا مسماة فسفها خفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تاتوا السفهاء يعنى الجهال بوضع الحق أموالكم (التي جعل الله لكم قياما) يعنى قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن أنت قيم

أى كاوه وهو هنى مصرى وهند عبارة عن المبالغة فى الاباحة وازالة التبعة هنيما يرغبهم يز يدو كذا حرة فى الوقت اهلك وهمزها بالوقوع وعن على رضى الله عنه اذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها لم يشتر بها سالا فليشتر بهما السماء فيجمع الله هنيئا ومرثيا وسفها ومباركا (ولا تاتوا السفهاء) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينفع ولا قدر لهم على اصلاحها وتبخرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء وأضاف الى الاولياء أموال السفهاء بقوله (أموالكم) لانهم يملكونها (التي جعل الله لكم قياما) أى قوام لا بد انكم ومعاشالا لكم وأولادكم فيما يعنى فيما مانع وشامى كجاء عودا يعنى عبادا وأصل قيام قوام فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان

اليتامى فانكحوا من البالات يقال طابت المرأة أى أدركت (مثنى وثلاث ورباع) نكحات وانما صنعت العصرف العدل والوصف وعليه دل كلام سبويه ومحلهن النصب على الحال من النساء وأما طابت فتدبره (٣٤٣)

العدد ثنتين ثنتين وثلاثا
ثلاثا وأربعا رباعا فقلت
الذى أطلق لنا كبح في
الجمع أن يجمع بين اثنين
أو ثلاث وأربع فاعني
التكرير في مثنى وثلاث
ورباع فقلت الخطاب للجمع
فوجب التكرير ليسيب
كلنا كبح بر الجدم ما أراد
من العدد الذى أطلق له كما
تقول للجماعة اقتسموا
هذا المال وهو ألف درهم
درهمين ودرهمين وثلاثة
ثلاثة وأربعة أربعة واربعة
أفردت لم يكن له معنى وحي
بالواو لتدل على تجوز الجمع
بين الفرق ولو جىء بأولها
لذهب معنى التجوز (فان
خفتم ألا تعمدوا) بين هذه
الاعداد (فواحدة)
فازموا واختاروا واحدة
(أو مملكت أيمانكم)
سوى فى اليسر بين الحرة
الواحدة وبين الاماء من
غير حصر (ذلك) إشارة
الى اختيار الواحدة
والسرى (أدنى ألا تعمدوا)
أقرب من أن لا تميلوا ولا
تجوزوا يقال عال الميزان
عولاذأ مال وعال الحاكم
فى حكمه اذا جاز وحقى
عن الشافى رحمه الله انه
فسر أن لا تعمدوا أن لا تكثر

طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان نصير واخيركم الآية حكم فى هذه السورة فان
ترك النكاح خيبر من فله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع)
معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا رباعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو
يعنى أو فى هذا الفصل لانه ما كانت أو بمنزلة والى ذلك جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه
يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فانتد وان
قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على أربع فاربع لانه يضم عددا واجعت الامة على انه لا يجوز لأحد أن يزيد
على أربع نسوة وان الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يشاركه فيها أحد من
الامة ويدل على ان الزيادة على أربع غير جائزة وانها حرام ما روى عن الحرث بن قيس أو قيس بن الحرث
قال أصابعت وعندى ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربع بغيره
أبو داود عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشرين نسوة فى الجاهلية فأسلمن معه فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربع بغيره أخرجه الترمذى قال العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة
حرار ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي ملك وذلك
للاحرار دون العبيد وقال مالك فى إحدى الروايتين عنه ويرى بجمعة يجوز للعبد أن يتزوج باربع نسوة واستدل
بهذه الآية وأجاب الشافى بان هذه الآية خصت بالاحرار وابدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ألا تعدوا
فواحدة أو مملكت أيمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد
وقوله تعالى (فان خفتم) يعنى فان خشيتم وقيل فان علمتم (ألا تعدوا) يعنى بين الزوجات (فواحدة)
يعنى فانكحوا واحدة (أو مملكت أيمانكم) يعنى وماملكتكم من السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق
مثل ما يلزم من الحرار ولا قسم لمن (ذلك أدنى) أى أقرب (ألا تعمدوا) معناه أقرب من أن لا تعمدوا لخفف
لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعمدوا أى لا تعدوا ولا تجوزوا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل
العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجوز وما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض اذا
جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تعمدوا وقال الشافى رحمه الله تعالى معناه ان لا تكثر عيالكم وقد
أنكر على الشافى من ليس له حاجة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال عال الرجل يعمل اعالة اذا
كثرت عياله قال وهذا من خطأ الشافى لانه انفرد به ولم يوافق عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على
الشافى وخطأه من غير علم بلغة العرب فقد روى الأزهري فى كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم فى قوله ألا تعمدوا أى لا تكثر عيالكم وروى الأزهري عن الكسائى قال عال الرجل اذا افتقر وأعال
اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء يقول عال يقول اذا كثر عياله قال الأزهري وهذا بقوى قول
الشافى لان الكسائى لا يحمى عن العرب الاما حفظه وضبطه وقول الشافى نفسه بخلافه عن فى فصح
والذى اعترض عليه وخطأه عجل ولم يثبت فيما قال ولا يثبت للحضري أن يجعل الى انكار ما لا يحفظه من لغات
العرب هذا آخر كلام الأزهري وبسط الامام غير الدين الرازى فى هذا الموضوع من تفسيره ورد على أنى بكر
الرازى ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقوله المعروف وحكى البغوى عن أنى حاتم قال كان الشافى
أعلم بلسان العرب منا وله لغة ويقال هى امة حجير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعمدوا بضم التاء وهو حجة
للشافى (وأما النساء صدقاتهن) قال الكلبى وجاعة هذا خطاب للولاء قال أبو صالح كان الرجل اذا

عياكم واعتزوا عليه بانه يقال عال يعمل اذا كثر عياله وأوجب بان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك ما نهم عنهم اذا أنفق
عليهم لان من كثر عياله لمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه الحافطة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام من مثله من أعلام العلم تحقيق
بالجمل على السداد وان لا يظن به تعمرى ففصلوا الى تعمدوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طرقا كالكنايات (وأما النساء صدقاتهن

(ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تبدلوا الحرام وهو مال البتاي بالحلال وهو مالكم ولا تبدلوا الامر بالخبيث وهو اختزال أموال البتاي بالامر الطيب وهو حفظه أو اتورع (٣٤٢) عنها واتقوا ما لا يحل من الاستعمال غير عز يزومنه التجمل بمعنى الاستعمال

وأتوا البتاي أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه أتوا البتاي الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذ المراد بالبتاي المائون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد (ولا تبدلوا) أى ولا تبدلوا (الخبيث بالطيب) يعنى الخبيث الذى هو حرام عليكم بالحلال من أموالكم واختافوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء البتاي يأخذون الجيد من مال اليتيم ويبيعون مكانه الرديء فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السنية ويبيعها مكانها ظر بله يأخذ الدرهم الجيد ويبيعها مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فهو عنه وقال عطاء والريح في مال اليتيم وهو صغير لاعلم به بذلك وقيل انه ليس بأبدل حقيقة وانما هو أخذه مستهكاً وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان يأخذ الميراث الا كبر من الرجال وقيل هو كل مال اليتيم عوضاً عن كل أموالهم فهو عن ذلك (ولاننا كلوا أموالهم الى أموالكم) يعنى مع أموالكم وقيل معناه ولا تضيفوا أموالهم الى أموالكم فى الاتفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن كل مال اليتيم وأراد به جميع التصرفات الملهكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود (انه كان حواً كبيراً) يعنى ان كل مال اليتيم من غير حق اسم عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل (وان خفتم ألا تقسطوا فى البتاي) يعنى وان خفتم بأولياء البتاي أن لا تعدلوا فيهن اذ انكحوهن فانكحوا غيرهن من القرائب (ق) عن عروة انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى البتاي فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال يا ابن أختي هذه البتية تكون فى حجر وليها فربغى فى جاهلها ما لها ويريد أن ينقص صداقها فهو راعى نكاحهن الآن بقسطها وفى كمال الصداق وأمر وأبناكح من سواهن قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستقونك فى النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم فى هذه الآية ان البتية اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوا باستناتها كمال الصداق وان كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرهن من النساء قال فسكا بتركها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذ رغبوا فيها الآن يقسطوا لها ويعطوها حقة الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيترجها لاجل ما لها حتى لا تنجبه كراهية ان يدخل غريب فبشاركه فى ما لها ثم يسيء معها او يترصص بها الى أن تموت فيترحمها فاعاب الله ذلك عليهم وأنزل هذه الآية وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فاذا صار معدماً من مؤن نسائه مال الى مال بتيمة الذى فى حجره فانفق فقيل لهم لا يزداد على ربح حتى لا يجوزكم الى أخذ مال البتاي وقيل كانوا يتخرجون عن أموال البتاي ويترخصون فى النساء فيترجون ما شاؤا فربما يعدلوا ور بما لم يعدلوا فله أنزل الله تعالى فى أموال اليتيم وأتوا البتاي أموالهم أنزل هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى البتاي يقول فسكا خفتم أن لا تقسطوا فى البتاي فكذلك خافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا يتزوجوا أكثرتم بما كنتم القيام بحقهن لان النساء فى الضعف كاليتيم وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي غمى رخص الله تعالى فى نكاح أربع فقال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) يعنى ما حل لكم من النساء واستدل الظاهر بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأوجب عنه ابن قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح وتيسر الشافعى فى بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم

(ولا نأكلوا أموالهم الى أموالكم) الى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة الى أموالكم والمعنى ولا تضيفوها اليها فى الاتفاق حتى لا نفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة بمالة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (انه) ان أكلها (كان حواً كبيراً) ذنباً عظيماً (وان خفتم ألا تقسطوا) أى لا تعدلوا أقسط أى عدل (فى البتاي) يقال للاناث البتاي كما يقال للذكور وهو جمع بتيمة وأما أيتام فجمع يتيم (فانكحوا ما طاب لكم) ما حل لكم (من النساء) لان منهن ما حرم الله كاللاتى فى آية التحريم وقيل ما ذهاب الى الصفقة لان ما يجىء فى صفات من يعقل فكانه قيل الطيبات من النساء ولان الاناث من العقلاء يخرج من مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم قيل كانوا لا يتخرجون من الزنا ويتخرجون من ولان البتاي فقيل ان خفتم الجور فى حق البتاي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم

من النساء ولا تنحوا واحول المحرمات أو كانوا يتخرجون من الولانية أو أموال البتاي ولا يتخرجون من الاستكثار من طولا النساء من الجور يقع بينهما اذا كثرت فكانه قيل اذا تخرجتم من هذا فخرجوا بذلك وقيل وان خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح

(رجالا كثيرا ونساء) كثيرة أى وبث منهما مائة من جنس الانس وهما الذكور والامات فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خالقهم نها وعلى خلقكم والخطاب في بابها الناس الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الغائبة للعصر فان قلت الذى تقتضيه جزالة الظن ان يجاء عقيب الامر بالقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره مدعي اليهاد لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه (٣٤١) يؤدى الى ان تبقى القادر عليه ويحشى عقابه ولا نه بدل على النعمة

السابقة عليهم خففهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عنه نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب (واتقوا الله الذى تساءلون به) والاصل تتساءلون فادغم التاء في السين بعد ابد الحاسينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتعفيف كوفي على حذف التاء الثانية استقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم فاعل كذا على سبيل الاستعفاف (والارحام) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الله الارحام ان تقطعوها وأعلى موضع الجار والمجرور كذا وكذا مررت بزيد وعمر أو بالجر جزمه على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف المتصل لان الضمير كاسمه

(رجالا كثيرا ونساء) انما وصف الرجال بالكثر دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبية على ان الاطلاق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والنجول (واتقوا الله الذى تساءلون به) انما كرر ذلك التقوى للتأكيده وانما أهل ان يبقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله واحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله (والارحام) قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام أن تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك أسألك بالله وبالرحم ونأشدت بك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعبر باسم الرحمة للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحمة والنهي عن قطعها وبديل على ذلك أيضا الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة معلقة بالعرش تقول من صلى وصلى الله ومن قطعني قطعني الله (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أى يؤخر له في أجله (ق) عن جابر بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعنى قاطع رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحمة معاقلة بالعرش فاذا أتاه الواصل بشت به وكلته واذا أتاه القاطع احتجبت عنه (ان الله كان عليكم رقيبا) يعنى حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذى لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فينبى بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله عز وجل (وأتوا البتاي أموالهم) نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذى لفته عنه ففرا فعلى النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أظن الله وأطعنا رسول نعوذ بالله من الخوب الكبير ودفع الى اليتيم ما فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطعم به هكذا فانه يحمل داره بعنى جنته فلما قبض الصبي ماله أنفق في سبيل الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت الاجر وبقي الوزر قال ثبت الاجر للسلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا الاولياء والاولياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذى مات أبوه واليتيم في اللغة الانفراد منه الدرجة اليقينة لا انفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم بتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة وألقب عهدهم باليتيم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والاءه

متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبهه العطف على بعض الكلمة (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا أو علما (وأتوا البتاي أموالهم) يعنى الذين مات أبؤهم فانفردوا عنهم واليتيم الانفراد منه الدرجة اليقينة وقيل اليتيم في الآسى من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لانه قد غلب ان سموه قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقام عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتيم بعد الحلم تعليم شريعة لالعة يعنى انما اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار والمعنى وآتوا البتاي أموالهم بعد البلوغ وسماهم بتامى لقرب عهدهم اباؤا بالصغر وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ان أونس منهم الرشد وان يؤثروا قبل ان يزول عنهم اسم البتاي والصغار

عنه الصبر حبس النفس

على المكروه بنى الجزع

(وصابروا) أعداء الله في

الجهاد أي غالبهم في الصبر

على شدائد الحرب لا تكونوا

أقل صبراً منهم وثباتاً

(ورابطوا) وأقروا في

التغور رابطين خيلكم فيها

مترصدين مستعينين للغزو

(واقفوا) واقفوا على

تفعلون الفلاح البقاء

مع المحبوب بعد الخلاص

عن المكروه واصل لتغيب

الأمال لتبتكوا على

الآمال عن تقديم الأعمال

وقيل اصبروا في محبتى

صابروا في نعتى وربطوا

أنفسكم في خدمتى لعلكم

تفعلون تظفرون بقربتى

قال النبي صلى الله عليه وسلم

افروا الزهراء بنى البقرة

وسورة آل عمران فانهما

بأنياب يوم القيامة كأنهما

نخعاتان أو غنيمان بئان أو

فرقان من طير صواف

تحتاجان عن أصحابهما والله

اعلم بالصواب واليه المرجع

والعاقبة (سورة النساء)

نزلت بالمدينة أي أنها مائة

وست وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس) يا بني آدم

(انقروا بكم) لذي خلقكم

من نفس واحدة) فرعكم

من أصل واحد وهو نفس

آدم أيكم (وخلق منها

عند الله بوفيه اليوم القيامة) ان الله سر يع الحساب) يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء

من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لانه سر يع الحساب ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا)

يعنى على دينكم لذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا تغيرها وصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه

شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى

وقبول القضاء وصدق الرضا قيل في معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على

تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا

على أحكام الكتاب والسنة (وصابروا) يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم (ورابطوا) يعني ودعوهما على

جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المراقبة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من

الخصمين مستعد للقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بشيء يدفع عن وراءه رابط وان لم يكن له مركب مربوط

(ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رب يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها

وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها لروحه وبروحه العبد في سبيل الله وأعدوه خيرة من

الدنيا وما عليها (م) عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب يوم وإليه خيرة من

صيام شهر وقيامه وإن مات فجري عليه عمله الذي كان بعده وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان وقيل المراد

بالمراقبة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو ساعدة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن الذي صلى الله عليه وسلم غزو

يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة بدل على محبة هذا التأويل مازى عن أبي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحوي الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال

اسبغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط

أخرجه مسلم (واقفوا) الله لعلكم تفعلون) قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واقفوا الله فبأيان

و بينكم لعلكم تفعلون غدا إذا التقيتم وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا وعلى

بلائى واصبروا على نعتى وربطوا على مجاهدة أعدائى واقفوا محبة وائى لعلكم تفعلون بلى وقيل

اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء وربطوا على دار الأعداء واقفوا على الأرض والسماء لعلكم

تفعلون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا وبحارها والسلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة

ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واقفوا عما يقبلكم الندامة لعلكم تفعلون غدا في دار الكرامة والله

أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ تفسير سورة النساء وهي مدنية

وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً ﴿

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله عز وجل (يا أيها الناس) خطاب للكافة فو كقوله يا بني آدم (انقروا بكم) أي احذروا أمر ربكم

ان تخافوه فيما أمركم به وأنها لكم عندهم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى (الذي خلقكم من نفس

واحدة) يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وإنما أنت الوصف على لفظ النفس وإن كان

المراد به الذي كرهه وقال بعضهم أبوك خليفة ولدته أخرى ﴿ وأنت خليفة ذلك السكالك

فأنت قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة (وخلق منها زوجها) يعني حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه

السلام أتى عليه النوم ثم خاف حواء من أضلته إلى اليسرى وهو قصير فلم يستيقظ وأهال جالسة عند

رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذاذا خافت قالت خافت لتسكن إلى فقال لها ألقها لانهما خلقت منه

واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الأحبار وروى ابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال

ابن مسعود وابن عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله إياها (وبث منهما) يعني أنثى وأظهر من آدم وحواء

زوجها) معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة نشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من

نفس واحدة ثم صفتها وهي أنثى نشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منها) وأنثى من آدم وحواء

(لا يغير نك قلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب لكل أحد والنبى عليه السلام والمراد به غيره ولان مدارة القوم ومقدمهم مخاطب بشى
فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغير نكهم ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان
عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكون ظهيرا للكافرين (٣٣٩) ولا تكون من المشركين وهذا في

النبى نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا اهل الذين آمنوا آمنوا (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أى تقبلهم في البلاد متاع قليل وأراد قلته في جنب ما فاتهم من نعم الآخرة وفى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لا نقضه وكل زائل قليل (ثم ما أوهم جهنم وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم (الذين اتقوا ربهم) عن الشرك (لم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها زائل) النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام في لهم أو هو مصدر مؤكد كانه قبل رزقا أو عطاء (من عند الله) صفة له (وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيدوه للاستدراك أى لبقاء نعمتهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت في ابن سلام وغيره من مسلمي أهل

لهم قوله عز وجل (لا يغير نك قلب الذين كفروا في البلاد) نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رياء ولين من العيش يشجعون ويتعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فينا من الخير ونحن في الجهد فأنزل الله تعالى هذه الآية لا يغير نك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغير قسط والمعنى لا يغير نك أيها السامع قلب الذين كفروا في البلاد بدنى ضرهم في الارض وتصر فهم في البلاد لتجارات وطب الارباح والمكاسب (متاع قليل) أى ذلك متاع قليل وبلغه فانية ونعمة زائلة (ثم ما أوهام) يعنى مصيرهم في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) أى وبئس الفراش أى قوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم) فبما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاه واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه (لم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون) فينا زالا أى جزاء وثوابوا النزل ما مهدوا للضيف عند قدمه (من عند الله) يعنى من فضل الله وكرمه واحسانه (وما عند الله) يعنى من الخير والكرامة والنعم الدائم الذى لا ينقطع (خير للابرار) يعنى ذلك الفضل والنعمة التى أعدها الله للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعم الدنيا ومتاعها فإنه قليل زائل (في) عن عمر بن الخطاب قال جثت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربته وانه لعل حصى ما بين يديه شئ وثبت رأسه وسادته من آدم حشوها ليف وعند رجليه فرطه بصور وعند رأسه بعلقة فقرأت أثر الحصى في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان كسرى وقبصر فهاهم فيه وهأت رسول الله فقال أما ترى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة بالفرقة والعليقة والمشارب العلالى قوله عز وجل (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليك وما أنزل اليهم) قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أنجشة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعا جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أخرجوا فصولا على أخ لكم مات نبيرا رضىكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى أرض الحبشة فابصر سريرا النجاشي فصدى عليه وكبرأىع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا صلى على علج حبشى نصرانى لم يره فقط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وصدقه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مؤمنى أهل الكتاب وهذا القول أولى لانه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من أهل الكتاب يعنى بعض اليهود والنصارى أهل التوراة والانجيل من يؤمن بالله يعنى من يقر بوحدة الله وما أنزل اليك يعنى يؤمن بما أنزل اليك أيها المؤمنون يعنى القرآن وما أنزل اليهم يعنى من الكتب المنزلة مثل التوراة والانجيل والزبور (خاشعين لله) يعنى خاضعين لله متواضعين له غير مستكبرين (لا يشترتون بآيات الله تمنا قليلا) يعنى لا يغيرون كتبهم ولا يجر فوهوا ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الراسخة والمأكل والرشا كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود (أولئك) اشار الى من هذه صفته من أهل الكتاب (لم أجرهم عند ربهم) يعنى لم يجرهم عند الله لثوابهم ذلك الثواب لم يدر

الكتاب أو في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) دخلت لام الابتداء على اسم ان افضل الظرف بينهما (وما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترتون بآيات الله تمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أى غير مشتركين (أولئك لم أجرهم عند ربهم) أى ما يخضع من الاجرة وهو ما وعد في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين

والضراعة (انك لا تخلف الميعاد) هو مصدر بمعنى الوعد (فاستجاب لهم ربه) أي أجاب بقال استجاب له واستجاب له (أي) باني (لأضيق
عمل عامل منكم) منكم صفة لعامل (٣٣٨) (من ذكر أو أني) بيان لعامل (بعضكم من بعض) المذكور من الاتي

والاتي من الذكر كما حكم
بنو آدم أو بعضهم من
بعض في النصرة والدين
وهذه جملة معترضة بينت
بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد الله عباده العاملين
من جعفر الصادق رضى
الله عنه من خزبه أمر فقال
خمس مرات ربنا أنجاه الله
مما يخاف وأعطاه ما أراد
وقرأ الآيات (فالتين
هاجروا) مبتدأ وهو تفصيل
لعمل العامل منهم على
سبيل التعظيم له كأنه قال
فالتين عملوا هذه الاعمال
السنية الفارقة وهي
المهاجرة عن أوطانهم فارين
الى الله بدينهم الى حيث
يامنون عليه فاهجرة
كانت في آخر الزمان كما كانت
في أول الاسلام (واخرجوا
من ديارهم) التي ولدوا فيها
ونشأوا (وأودوا في سبيل)
بالشم والضرب ونهب
المال يريد سبيل الدين
(وقاتلوا وقتلوا) وغزوا
المشركين واستشهدوا
وقتلوا مكي وشامى وقتلوا
وقاتلوا على التقديم والتأخير
حزرة وعلى وفيه دليل على
ان الاول لا توجب الترتيب
والخبر (لا كفرن عنهم

سيئاتهم ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الانهار) وهو جواب قسم محذوف (نوابيا) في موضع
المصدر التوكيد يعني انباء أو توبيا (من عند الله) لان قوله لا كفرن عنهم ولا دخلتهم من معنى لا تنبئهم (والله عنده حسن الثواب) أي
بخنص به ولا يقدر عليه غيره وروى ان طائفة من المؤمنين قالوا ان أعداء الله فينا ترى من الخبر وقد هلكنا من الجوع فزل

(ر بنانا سمعنا مناديا)
تقول سمعت رجلا يقول
كذا فتوقع الفعل على
الرجل وتحذف المسموع لانك
وصفته بما يسمع فاغناك
عن ذكره ولولا الوصف
لم يكن منه بدوان يقال
يقال سمعت كلام فلان
والمنادى هو الرسول عليه
السلام وألقرآن (بنادى
للإيمان) لاجل الإيمان
بالله وفيه تفخيم لشأن
المنادى اذ المنادى أعظم
من مناد بنادى للإيمان
(أن آمنوا) بان آمنوا أو أى
آمنوا (ر بكفأ منّا) قال
الشيخ أبو منصور رحمه الله
فيه دليل بطلان الاستثناء
في الآية (ر بنا فاغفر لنا
ذنوبنا) كبارنا (وكفر
عنا سيئاتنا) صغائرنا (وتوفنا
مع الأبرار) مخصوصين
بصحبتهم معدودين في
جنتهم والابرار المتمسكون
بالسنة جمع بر أو بار كرب
وأرباب وصاحب وأصحاب
(ر بنا وأتأما وعدتنا على
رسلك) أى على تصديق
رسلك أو ما وعدتنا على
رسلك وأعلى أسنة رسلك
وعلى متعاقب بوعدتنا
والموعد هو الثواب أو
النصرة على الأعداء وما
طلبوا النجاة ما وعد الله

في الجواب أن المفسر في النار مخزى في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها معنى الآية على هذا
فقد أخذ به دخوله فيها وقد نبهه ابو بدلى على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال قدم علينا نجابر
ابن عبد الله في عمرة فالتبث اليه أنا وعطاء فسأته عن هذه الآية ر بنانا من تدخل النار فقد أخذ به
فقال وما أخزاه حين أحرقه بالاركان دون ذلك أخذ يا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من أدخل
النار فقد أخذ به دخوله باهاوان أخرجه منها وذلك الخزي هو هتك الخزي وفيه حجة وقال ابن الأنباري
حل الآية على العموم أولى من نقلها الى الخصوص اذ لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله أهل المعاني
وهو ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والهلاك والابعاد وهذا الكفر ومنها الاخجال يقال خزي خزية
اذا استعصى واذا عمل عمل يستعصى منه ويحجل فيكون خزي المؤمن الذي يدخل النار الخلاء من المؤمنين
بدخوله النار الى أن يخرج منها وخزي الكفار هلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الأخزاء
م مشترك بين التخجيل والهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جيه وهذا
يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب وهو الذي اخذاه الفخر الرازي وصححه أن قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي الأخزاء طلقا وإنما يقتضي أن لا يحصل الأخزاء حال ما يكونون مع
النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الأخزاء في الجلة لاحتمال أن يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله أعلم وقوله
تعالى (ورالظالمين) يعني المشركين الذين وضعوا العباد في غير موضعها (من أنصار) يعني ينصرونهم
يوم القيامة يوم موئهم من العذاب قوله عز وجل (ر بنانا سمعنا مناديا بنادى للإيمان) قال ابن
عباس وأكثرا المفسرين المنادى هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادى هو القرآن قال اذ ليس كل أحد
اتى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن كل أحد يسمع القرآن ويفهمه فاذا وقف الله تعالى للإيمان
به فقد فاز به وذلك لان القرآن مشتمل على الرشاد والهدى وأنواع الدلائل الدالة على الوحدةانية فصار
كالإمام الهادي واللام في الإيمان بمعنى إلى أي إلى الإيمان (أن آمنوا بربكفأ منّا) أى فصدقنا
(ر بنا فاغفر لنا ذنوبنا) أى كبرائرنا (وكفر عنا سيئاتنا) أى صغائرنا (وتوفنا مع الأبرار) ان الغفر هو
الستر والتغطية وكذلك التكفير فيه بمعنى واحد وانما ذكرهما للتأكيدين اللاحق في الدعاء والمبالغة
فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران
ما يزال بالتوبة من الذنوب وبالتركف ما يكفر ما يطاع من الذنوب (وتوفنا مع الأبرار) يعني في جنتهم
وزمرتهم والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل أعمالهم حتى نكون في درجته يوم القيامة
وقيل توفنا في جلة أتباعهم وأشياعهم (ر بنا وأتأما وعدتنا على رسلك) يعني على أسنة رسلك وقيل معناه
وأتأما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت كيف سأوا الله النجاة ما وعد الله لا تخلف الميعاد قلت معناه
أنهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب النجاة ما وعدوا وقيل هو من باب المجاز الى الله تعالى
والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما أن الانبياء عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم أنهم مغفور
لهم بقصدون بذلك اتذلل لهم سبحانه وتعالى والضرع اليه واللجأ اليه الذي هو سبب العبودية وقيل
معناه ر بنا واجعلنا من يستحق ثوابك وتوفيتهم ما وعدتهم على أسنة رسلك لانهم لم يبقنوا استحقاقهم لتلك
الكرامة فلو أنه كان بجعلهم مستحقين لها وقيل إنما سألوه تخجيل ما وعدهم من انصر على الأعداء قالوا قد
علمنا أنك لا تخلف الميعاد ولكنك لا تصبر لنا على حملك فجل هلاكهم وانصرنا عليهم (ولا تخزينا يوم القيامة)
يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تنهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله وأتأما وعدتنا على رسلك يدل على طلب

(۲۳۶)

ففيها مما سئل الإلهام عن
أدراك بعض نجايمه على
عظم شأن الصانع وكبرياء
سلطانه وعن النبي عليه
السلام بينا رجل مستاق
إلى فراشه أذرفع رأسه
فنظر إلى النجوم وإلى السماء
فقال أشهد أن لا إلها إلا
الله وأخاف الله ثم غفر له
وقال عليه السلام لا عبادة
كالنفس الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث القلب الخشية
وما جلت القلوب بمنزل
الأحرار ولا استأثرت بمنزل
الفكر (ر) بنما خافت هذا
باطلا أي يقولون ذلك
وهو في محمل الخال أي
يتفكرون قائلين والحق
ما خلقت خلقا باطلا بغير
حكمه بل خلقت له حكمه
عظيمة وهو أن نجعلها
مسكن للمؤمنين وأدلة لهم
على معرفتك وهذا إشارة
إلى الخالق على أن المراد به
المخلوق أو إلى السموات
والأرض لاسم في معنى
المخلوق كأنه قيل ما خلقت
هذا المخلوق الجليل باطلا
(سبحك) تزهالك عن
الوصف بنحائي الباطل وهو
اعتراض (فقد اعتاد الزار)
الفاء دخلت إحدى الجزاء
تقدمه إذا هنالك ففتنا

ك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك

(ربنا انك من تدخل النار فقد
انتهى النسي والذين آمنوا معه في أرض

ربنا انك من تدخل النار قد اخزيتك أهنته وأهالكته أفضحتته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يحزى في الله الشئ والذين آمنوا هم في أن من يدخل النار لا يكونون ومنوا بخلاف ذلك قال جابر اخزاء المؤمن تاديه وان فوق ذاك خزي يا

فلا تحسبنهم مغفرة من العذاب بمنجاة منه (ولهم عذاب أليم) مؤلم يرى ان رسول الله على الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأرؤاهم قد صدقوه واستعدوا اليه وفرحوا بما عفاوا من تدليسهم فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاهم بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما عفاوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يعفوا من اخبارك بالصدق عما سألهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أنوا من اظهار الایمان للمسلمين (٣٣٥)

وتوصـلهم بذلك الى

أغراضهم ويستحمدون
 إليهم بالإيمان الذي لم يغاؤوا
 على الحقيقة وفيه وعيد
 لمن يأتي بحسنة فيفرجها
 فرح إعجاب وعجب أن
 يحمد الناس بما ليس فيه
 (ولله ملك السموات
 والارض) فهو يملك أمرها
 وفيه تكذيب لمن قال أن
 الله فقير (والله على كل شيء
 قدير) فهو يقدر على
 عقوبتهم (إن في خلق
 السموات والارض
 واختلاف الليل والنهار
 آيات) دلالة واضحة على
 صانع قديم عليم حكيم قادر
 (الاولى الآيات) لمن خاص
 عقله عن الهوى خالص
 اللب عن القشر فيرى أن
 العرض المحدث في الجوهر
 يدل على حدوث الجوهر
 لأن جوهره لا ينفك عن
 عرض حادث ولا يتخلو عن
 الحادث فهو حادث ثم حدوثها
 يدل على محدثها وذا فم
 والاحتاج الى محدث
 آخر الى ما ينتهي وحسن
 صنعته على علمه وأتقانه

على ذلك وقيل ان يهود خيبر أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا اصحابه نحن على رأينا ونحن لكم رد وليس ذلك في قلوبهم وأصبحوا ابن محمد هم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك (فلا تخشيمهم بمغازة من العذاب) أي فلا تظنهم بمجازاة من العذاب الذي أعده الله طي الدنيامن القتل والاسر وضرب الجزية والملة والصفار (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وهذه الآية وإن كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فإن حكمها عام في كل من أحب ابن محمد بما لم يفعل من الخير والصلاح أو ينسب الى العلم وليس هو كذلك ﴿ قوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض) يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشاء وفيه تكذيب ان قال ان الله فغير نحن أغنياء يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شيء كيف يكون فقيرا (والله على كل شيء قدير) يعني انه تعالى قادر على تجليل العقوبة لهم على ذلك القول لكنه تفضل على خلقه بما لهم ﴿ قوله عز وجل (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب) قال ابن عباس ان أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بآية فأنزلت هذه الآية والمعنى تفكر واو اعتبروا أيها الناس فيا خلقته وأنشأته من السموات والارض لمعاشكم وأرزاقكم وفيما عقت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر في انهما مختلفان ويعتقان عليهما لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم تطوبون أرزاقكم في النهار وتسكنون في الليل لراحة أجسادكم فاعتبروا وتفكروا لآي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية يعني الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليهما نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب مخلوقاته وغرائب مبدعاته (ق) عن ابن عباس أنه بات عندهم ليلة ثم قام المؤمنون وهي حالته قال فقالت لا نظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخوازم من سورة آل عمران ثم قام الى شن معلة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام صلى قال عبد الله بن عباس فقممت فصنعت مثل ما صنعتم ثم ذهبت فقممت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بذاتي فقلتها فوضي ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوترتم واضطجع حتى جاء المؤذن فقام فضلي ركعتين خفيفتين ثم خرج فضلي الصبح وفي رواية فقممت عن يساره فاخذني فجأني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خاتمي يومه فتحدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهلها ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخير قد غفلت الى السماء فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب وذكره ﴿ قوله تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعوا فان عجزوا فاعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتحركون الصلاة في حال من

يدل على حكمته وبإقائه يدل على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي أن في بني إسرائيل من أذاع الله ثلاثين سنة أظلمته حجابة فبعد هافتي فظلها فقالت له أمه لعل فرطت منك في مدلك قال ما ذك قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فأوثبت الأمن ذلك (الذين) في موضع جرعت لاولى أو نصب باضمارا أعني أو رفع باضمارا هم (بذ كرون الله) بصـ لون (وقياما) قاعين عند القدرة (وقعودا) قاعدين (وعلى جنوبهم) أى مضطجعين عند المحزن وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل في بذ كرون وعلى جنوبهم حال أيضا والمراد الله كعلى كل حال لان الانسان لا يتأخون هذه الاحوال وفي الحديث من أحب ان يرتع في رايص الجنة فليكثر

(ولا تكفه) عن الناس

بالتاء على حكاية مخاطبتهم
 كقوله وقضينا إلى بني
 اسرائيل في الكتاب
 لتفسدن و البلاء مكي وأبو
 عمرو أبو بكر لانهم غيب
 والضمير للكتاب أكد
 عليهم إيجاب الكتاب
 واجتناب كتمانها (فنبذوه
 وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق
 وتأكده عليهم أي لم يراعوه
 ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
 الظهر مثل في الطرح وترك
 الاعتداده وهو دليل على
 أنه يجب على الممراء ان
 يبينوا الحق للناس وما
 علموه وأن لا يكتموا منه
 شيأ لعرض فاسدن تسهيل
 على الظلمة وتطبيب
 لنفوسهم وأجبر منفعته ودفع
 أذنه وأبخل بالعلم روى
 الحديث من كتم علماعن
 أهله ألجأ الله إليهم من نار
 (واشتروا به مئنا قليلا)
 عرضا يسيرا (فبئس
 ما يشترون) واخطأ في
 (لتحسين) لرسول الله
 واحد المفولين (الذين
 يفرحون) والثاني بمغازة
 وقوله فلا تحسبنهم تأكيد
 تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم
 قاتن (بما أتوا) بما فعلوا
 وهي قراءة أبي رجا وأتى
 يستعملان بمعنى فعل انه
 كان وعده ما أتيا فاجت
 شيا فرأى أقرأ النخعي بما
 أتوا أي أعطوا (ويحبون
 أن يحمدوا وبما لم يفدهاوا

(ولستم من الذين أنوا الكتاب من قبلكم من الذين أشركوا أذى كثيرا) قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لا يكر لا فتان على بشئ حتى يرجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف إلى فنحاص وأعطاه الكتاب فله أقرأه قال فنحاص قد احتاج بك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضر به بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا فتان على بشئ حتى يرجع فنزل الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شهره (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة أتبع أن أقتله قال نعم قال أذن لي فلا قل قال فإنه فقال له ذلك كرمائهم وقال إن هذا الرجل قد أراى الصدقة وقد عنا فلما سمعته قال وأيضاً والله لئن لم يلقه قال أن اقد ابتعنا ونكره الآن أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفاً قال فإرهنني أترهنني نساء كم قال أنت أجمل العرب أترهنك نساء ناقل لهنهنون أو لادكم قال يسب ابن أحد نابقال رهن في وسق من تمر ولكن رهنك الالامة يعني السلاح قال نعم وواعدن يأتيه بالحرث وأبي عيس بن جبر وعباد بن بشر قال جازأ فدهو ليلافنزل الهمم قالت امرأة في لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضي أبو نائلة أن الكرم لم يدع إلى طعنة ليلال جاب قال محمداني إذا جاءه فوف أم يدعى إلى رأسه فإذا استمكن منه فدرككم قال فلما نزل وهو متوشح فقالوا لجد منك ربح الطيب قال نعم نحتي فلانة أطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أتم منه قال نعم نعم فتناولوهم ثم قال تأذن لي أن أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم أنوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزادوا محباب السيرة والمغازي فاختلف عليه أسيا فهم فلم تكن شيئا قال محمد بن مسلمة قد كرت مغولا في سبي فأخذته وقد صاح عدا والله صيحة لم يرحى حولنا حصن الأول وأوقت عليه نار قال فوضعت في ثنوده ثم تحملت عليه حتى بلغت عاتقه ووقع عدا والله وقد أصيب الحرب بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيا فأنفجر جنا وقد أبطأ عاينا صا حبنا الحرب ونزف الدم فوققناه ساعة حتى أنانا ببيع آثارنا غلنا وجننا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرنا به بقتل كعب بن الأشرف وجننا برأسه إليه وقتل على جرح صاحبنا فرجعنا إلى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعد والله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وأنزل الله عز وجل في شأن كعب بن الأشرف اليهودي انيولن في أم والكفر أنفسكم ولستم من الذين أنوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود أن الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افتراءهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الأشرف يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الأذى الكثير (وان تصبروا وانتصروا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على أذاهم وتتقوا فبما أمركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبادة عن احتمال الأذى والمكر وهو والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي (فان ذلك من عزم الأمور) أي من صواب التدبير الذي لا شك ان الرشيد فيه ولا ينبغي له اقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي أزمك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقبل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي أزمتم الإخذ به ﴿ قوله تعالى (واذ أخذ الله) أي واذكر يا محمد وقت أخذ الله (ميثاق الذين أنوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أنوا الكتاب العلماء والاحبار من اليهود خاصة ثم أخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى (لتبينه للناس) يعني ليبين ما في الكتاب وليظهره للناس حتى

(ولستم من الذين أنوا الكتاب من قبلكم) يعني اليهود والنصارى (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كالظعن في الدين وصدد من أراد الإيمان ونخطة من آمن ونحو ذلك (وان تصبروا) على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الأمور) من عزم الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور خطوب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ماسيقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا أقوها وهم مستعدون لبرهقهم ما يرهق من تصبب الشدة بغتة فينكروها وتشتتمنها نفس (واذ أخذ الله ميثاق الذين أنوا الكتاب) واذ كروقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبينه للناس)

(وتقول) لهم يوم القيامة (ذوقوا عذاب الحرى) أى عذاب النار كما أذقم المسلمين الفصم قال الضحك يقول لهم ذلك خزنة جهنم وأما أضيف إلى أنه تعالى لا يامرهم كفى قوله سكتب سيكتبهم وقتلهم ويقول حرة (٣٣١) (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من عقابهم (بما

قدمت أيديكم) أى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والأشافة إلى البدلان (كثرا الأعمال يكون بالأيدي فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب ولأنه يقال لا أمر بالشيء فاعله فذكر الأيدي للتحقيق) يعنى أنه فعل نفسه لا غيره بأمره (وإن الله ليس بظلام لأبيد) (وإن الله لا ينظم عبادته فلا يعاقبهم بغير حرم (الذين قالوا) فى موضع جرح على البدل من الذين قالوا أو نصب بأضار أعزى أو رفع بأضارهم (إن الله عهد النينا) أمرنا فى التوراة أو أوصانا (إن لا تؤمن) (رسول حتى أتينا بقر بان تأكل النار) أى يقرب قربا فتزل نار من السماء فتأكله فان جثته صدقنا وهذه دعوى باطلة وأقرنا على الله لان أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به لكونه مهجزة فهو أذا سائر المجزات سواء (قل قد جاءكم رسول من قبلى بالبينات) بالمجزات سوى القربان (والبلى فلتم) أى بالقر بان يعنى قد جاء أسلافكم الذين آمنتم على

بأول ما ارتكبوه من العظائم وأنهم أصلا فى الكفر والجهل والاضلال وطعم فى ذلك سواي وان من تنزل الانبياء لا يعلم منه الاجتراع على مثل هذا القول العظيم الفحش والقيح (وتقول) يعنى هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ذوقوا عذاب الحرى) أى تنتقم منهم بان تقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحرى بقى كما أذقم المسلمين الفصم فى الدنيا (ذلك) أى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر وأقدمتم على قتل الانبياء (بما قدمت أيديكم) أعاد كرا لا يدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا الاله لان الاله لا كان آلة الفعل حسن اسناد الفعل بها ولان أسلافكم يكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب (وإن الله ليس بظلام للعبيد) فيعذب بغير سبب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن (وقوله عز وجل (الذين قالوا إن الله عهد النينا) قال الكسبي نزات فى كعب بن الاشرف ومالك بن صفين وهب بن وهب بن يهودا وزيد بن ثابت وفتحاص بن عازر وراء وحسى بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد زعم ان الله بعثك الينا رسولا ولا نزل عليك كتابا وإن الله عهد النينا فى التوراة ان لا تؤمن من رسول زعم ان الله بعثك حتى أتينا بقر بان تأكل النار فان جثته صدقنا فكأنزل الله تعالى الذين قالوا يعنى قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد النينا يعنى أمرنا وأوصانا فى كتبه (أن لا تؤمن من رسول حتى أتينا بقر بان تأكل النار) يعنى فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدى عن السدى أنه قال ان الله تعالى أمر بنى اسرائيل فى التوراة من جاءكم زعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقر بان تأكل النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فاذا أتياكم فأنموها ما فانهما يأتيان بغير قر بان زاد غير الواحدى عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب اليهود ونحرقهم ويدل على ذلك ان المقصود فى الدلالة على صدق النبي هو ظهور المجزة الخارجية للعادة فأى مجزة أتى بها النبي قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما يتقرب به اعبدا الى الله عز وجل من أعمال البر من نكاح وصدقة وذبح وكل عمل صالح وبدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلوة قربان يعنى انها ما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القربان والغنائم لا تحل لبنى اسرائيل وكانوا اذا قرى بواقر بانأ وغنمو اغنية جعوا ذلك وجاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوى وحفيف فتأكل ذلك القر بان أو الغنمية وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعامة على القبول والذالم يقبل على عي حاله ولم تنزل نار وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فإخذون الثروب وأطاب اللحم فضعوه ناهى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم بينهم عليه السلام فى البيت ويناجي به عز وجل وبنو اسرائيل خارجون حول البيت فتزل نار بيضاء لها دوى وحفيف ولادخان لها فتأكل ذلك القر بان ثم قال الله عز وجل يحجبنا عن هذه الشبهة التى ذكرها هؤلاء اليهود واما لا حاجة عليهم (قل) يعنى قل يا محمد هؤلاء اليهود (قد جاءكم) يعنى بامعشر اليهود (رسول من قبلى) يعنى مثل ذكر يابى ويحيى وعيسى عليهم السلام (البينات) يعنى بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم (والبلى قائم) يعنى ما يطلب من القربان (فم قتلتموهم) يعنى فلم قتلتم الانبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم مثل ذكر يابى ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وأما مخاطب بذلك اليهود الذين كانوا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راىين بفعل أسلافهم (ان كنتم صادقين) يعنى فى ادعائكم ومعتناهم تكذبهم اياك يا محمد منع عنهم بصدقك كقتل آياتهم الانبياء مع انيائهم بالقر بان ثم قال تعالى مسلينا نبيه صلى

ملهمم وراضون بفعلهم (فم قتلتموهم) أى ان كان امتناعكم عن الإيمان لاجل هذا فلم تؤمنوا بالبلى أتوا به ولم قتلتموهم (ان كنتم صادقين) فى قولكم انما نؤمنوا بالبلى

(ولله ميراث السموات والارض) وله ما فيها مما يتوارثه اهلها ممن مال وغيره فالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله والاصل في ميراث موراث فقلت الوارثاء لا تنكسوا ما قبلها (والله بما تعملون خبير) وبالياء مكى وأبو عمر دفناته على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله قسبر ونحن أغنياء) قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقالوا ان الله محمد يستقرض منا فنحن اذا أغنياء وهو قسبر ومعه نبي سباع الله له ان لا يخف عليه وانه أعسده كفاء من العقاب (سكتب ما قالوا) سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف وأستحفظه اذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمى به مجازا وما صدر به أو بمعنى (وقتلهم الانبياء بغير حق) مطوف على ما جعل قتلهم الانبياء قرينة له ايدانا باسهم في العظم اخوان وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجراء على مثل هذا القول

القيامة أن أتوا بما يخولوا به من أموالهم في الدنيا وان حملناه سير البخل على البخل بالعلم وكتماه فقد قال ابن عباس في قوله لسيطوفون ما يخولوا به يوم القيامة أي يحملون وزره وانه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدك هذا الاسر وجعلته في عنقك وقيل يحمل في رقباهم طوق من نار يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عما يلهيه فكتمه لجهنم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه لجهنم بلجام من نار يوم القيامة قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموا ولم ينطقوا به بالسنتهم ولم يخرجوه من أفواههم عوضا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم (ولله ميراث السموات والارض) يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم فيموتون وتبقى أملاكهم فيرثها سبحانه والمذكور من الآية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيها مما يتوارثه اهلها ممن مال وعلم وغير ذلك فالهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله (والله بايعه ابون خبير) قرئ يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بايعهم على البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين في قوله عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) قال الحسن وقتادة لما زلت هذه الآية من الذال الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو حي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة واتباع الازكاه وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فحاح بن عازروا وكان من علماءهم ومعه جبر آخر يقال له اسبيع فقال أبو بكر لفتحاح اني الله وأسلم فوالله انك اتعلم ان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم باحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدقوا وقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة وبضاعف لك الثواب فقال فتحاح يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرض أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الفنى فان كان مات قول حقافان الله اذ فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر وضرب وجهه ففاحاح ضربة شديدة وقال والذي نفسى بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عبد الله فذهب فتحاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عداي والله قال فولا عظيم ازعمن الله فقير وانهم أغنياء فغضبت الله وضربت وجهه فجحد ذلك فتحاح فأنزل الله تصدق بالابى بكر وتكذيبا لفتحاح ورداعا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقاتته هذه فنسبت الى جميعهم ولا يخلوأون بكونوا قولا وهذه المقالة عن اعتقاد ذلك القول أو قولا هاستهزأوا بهما كان فهذا المقالة عظيمة التبجح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر مقرد في كفره وضلاله (سكتب ما قالوا) يعني قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عنهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف أعمالهم التي نكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم (وقتلهم الانبياء بغير حق) قيل معناه سكتب ما قال هؤلاء اليهود ونكتب ما فعله أسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو أهله وانما نسب قتل الانبياء الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله أسلافهم وانما لهم رضوا بفعلهم فندب اليهم وقيل في معنى الآية سنكتب على هؤلاء ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا راضهم بقتل آبائهم والانبياء والفائدة في ضم قتلهم الانبياء الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر الاعلام بذلك انهم اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس

وإيمانها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) أى ولكن الله يرسل الرسول (٣٢٩) فيوحى اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان

فلان في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لامن جهة نفسه والآية حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يشبوا النية له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم القيب اغبر الرسول وان أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين (فآمنوا بالله ورسله) بصفة الاخلاص (وان تؤمنوا وتتقوا) النفاق (فلكم اجر عظيم) في الآخرة ونزل في مانى الزكاة (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أى ولا تحسبن بخل البخيلين وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان: كذا من قرأ بالياء وجعل فاعله يحسبن ضمير رسول الله وأوصيه أحدهم من جمع فاعله الذين يبخلون كان افتقار ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان (بل هو) أى البخل (شر لهم) لان أموالهم تنزل عنهم ويبقى عليهم وبال البخل (سيطوقون ما يخلوا به يوم

ويتزل المنافي عند المحن والبلاء لا يقبل في معنى الآية وما كان الله ليطالع محمد ا على الغيب فيخبركم بالؤمن من الكافر (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) يعنى ولكن الله يصفى ويختار من رسله من يشاء فيقطع على ما يشاء من غيبه (فآمنوا بالله ورسله) يعنى انه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسله محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسله على التوحيد لقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا أقر بجميع الرسل كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم آمنوا بجميع الرسل (وان تؤمنوا وتتقوا) يعنى وان تصدقوا من اجتنابه رسالى وأطاعته على ما شاء من غيبه وأطاعته بالمناقب منكم والمؤمن المتخلص وتتقوا بكم فيما أمركم به ونهاكم عنه (فلكم اجر عظيم) يعنى فلكم بما أنعم الله عليكم وانفائسكم ثواب جزيل وهو الجنة وقوله عز وجل (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم) يعنى ولا تحسبن الذين يبخلون بالبخل خيرا لهم (بل هو) يعنى البخل (شر لهم) والبخل هو امساك المقتنيات عما يستحق حبسها عنه والبخل هو الذى يكثر منه البخل والآية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياكم والناصح فأنما هلك من كان قبلكم فليكن النصح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم ووجه هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان منع التطوع لا يكون بخلا وبذل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله تعالى سيطوقون ما يخلوا به وهذا لا يكون الا في ترك الواجب لافى التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد ان نزلت في أصحاب اليهود الذين كتوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوه وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال بخل فلان بهله وصحح الطبري القول الاول واختاره وقوله (سيطوقون ما يخلوا به يوم القيامة) أى سيلزمون وبال ما يخلوا به الزام الطوق فان حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقد قال ابن مسعود وابن عباس يجعل مامنعهم من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشهم من فرقته الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فليؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له ز بيتان يطوق يوم القيامة ثم يأخذ بهن منيته يعنى شقيقه ثم يقول أمانا لك أمانا لك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخارى قوله ز بيتان قيل هما النسيكستان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاهو قيل هما ز بيتان في شدقها وقد جاء في الحديث تفسير هر منيته بانها مائدة وقيل انها ماضعتان في أصل الحنك وقيل هو منحنى اللاحيين أسفل من الاذنين وكاه متقارب (ق) عن أبى ذر قال انتهت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال جئت حتى جلست فلم ألق انرا ان قتلت يارسول الله فدالك أبى وأمى من هم قال هم الا كثر من أموال الامن قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقرو ولا غنم لا يؤدى زكاتها اجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت واسمته تنطحه بقرونها وظفوفها باظلافها كلما نفدت اخرها عادت عليه ولاها حتى يقضى بين الناس لفظه سلم وفرقه البخارى بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية انه يجعل في أعناقهم أطواق من النار وقيل يكفون يوم

القيامة (تفسير لقوله بل هو شر لهم أى سيجعل ما لهم الذى منعهو (١٢) - (خازن) - اول) عن الحق طوقا في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاته ما يصير حية ذكرا أقرع له نابان في عنقه فينشهو ويدفعه الى النار

رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فإى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده عن الأسود قال قال عبد الله ما من نفس برقة ولا فاجرة إلا والموت خير لها ولا تحسن الذين كفروا إنما على لهم خبر لا أنفسهم إنما على لهم يزيدادوا إنما وقرأنا نزل من عند الله وما عند الله خبر إلا برار وقال ابن الأنباري قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل هذه الآية في قوم يهدون الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما على لهم يزيدادوا إنما بما ذنبهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطى على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله تخلفه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هو لا قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم لا يؤمنون أبدادوا نفاقهم يزيدهم كفرا وإنما هذه الآية حجة ظاهرة على القدرة حيث أخبر الله تعالى أنه يضل أعمار قوم ويهملهم يزيدادوا كفرا وإنما وغياب قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال السكبي قالت قرش بن شمس بن عبد مناف من خلفه فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فأخبرنا بن يؤمن بك ودين لا يؤمن بك فإن الله تعالى هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر من لم يخاف بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لتسألوني عن شيء فباينسكمو بين الساعة إلا نبأ أنكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبى برسول الله فقد حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربنا بالاسلام ديننا بالقرآن اماما بك نبيا فاعف عنا غافلا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتبون فهل أنتم منتبون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الآية وقيل ان المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فترأت هذه الآية وقيل ان قوما من المنافقين ادعوا ان إيمانهم كالإيمان المؤمنين فظاهر الله تفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس وأكثرا المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب وقيل خطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذكركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين بالمنافقين والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب بمعنى المنافقين من المؤمنين الخالص فيزانه المؤمنين من المنافقين يوم أحد فظاهر المنافقون النفاق وتخافوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما حصل التمييز يوم أحد بالقاء الجميع في الخوف والقتل والهرب فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمنين من المنافقين والكفار بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذكر المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليذكر أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في أصلابكم وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك والكفر والنفاق بالنار (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الخطاب في قوله ليطلعكم الكفار قرش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عن يؤمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمنين من الكفار فيقول فلان مؤمن وفلان كافر أو منافق لانه لا يعلم الغيب أحد غيره وإن سنة الله جارية أنه لا يطلع على غيبه أحد الناس فلا سبيل إلى معرفة المؤمنين من الكفار والمنافقين إلا بالامتحان بالأقوال والمصاب فيتميز المؤمنين المخلصين بشأته على إيمانه

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين لتأكيد النفي (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حرة وعلى الخطاب في أمم للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضهم ببعض حتى يميزهم منكم الوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وما كان الله ليؤتي أحدًا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها

الى وجهه العدى وترتيبته وهو معطوف على انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا (انما ذلكم الشيطان) هو شيطان ذلكم أى انما ذلكم المنبسط هو الشيطان وهو نعيم (يخوف أوليائه) أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته وأل الشيطان صفة لاسم الاشارة وخوف الخبر (فلا تخافوهم) أى أوليائه (وخافون ان كنتم مؤمنين) لان الايمان يقتضى أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافون فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما يؤمرهم فى الوصل (ولا يحزنك) يحزنك فى كل القرآن نافع الا فى سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر (الذين يسارعون فى الكفر) يعنى لا يحزنوك لخوف أن يضروك الا ترى الى قوله (انهم ان يضروا الله شيئا) أى أوليائه الله يعنى انهم لا يضرون يسارعون فى الكفر غير انفسهم (٣٢٧)

عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لمساعدوا وفضل تفضل عليهم بالقاء العرب فى قلوب المشركين حتى رجعوا ﴿ قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه) يعنى انما ذلكم الخوف والمنبسط هو الشيطان يخوف بالسوسة بان أتى ذلك فى أقواهم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجنبوهم وقوله أوليائه يعنى الشيطان يخوفكم بأه عشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه عظم أوليائه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أوليائه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأوليائه الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين طيعونه ويؤثرون أمره وأوليائه الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعنى فلا تخافوا أوليائه الشيطان ولا تتعدوا عن قتالهم ولا تجنبوا عنهم (وخافون) أى جاهدوا فى سبيلى مع رسولى فأتى واكبر وانصرم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بوعدى انى منكفل لكم بالنصر والظفر ﴿ قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قرش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد يسارع فى الكفر ويجمع الجوع لحار بك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل يسارعون فى الكفر مظاهرهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فالك منصرون عاينهم (انهم ان يضروا الله شيئا) يعنى يسارعون فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أوليائه الله شيئا (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذ لهم حتى يسارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على أن الخبر والمر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايमान) يعنى المنافقين أمثواتهم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيئا) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة ﴿ قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالياء والياء فى قرأ الباء فعنه ولا تحسبن يا محمد املاء نال الكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا تحسبن الكفار املاء نالهم خيرا نزلت فى مشركي مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما على لهم) الاملاء الامال والتأخير وأصلهم من الملوأ وهى المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهائنا يا محمد بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما على لهم ليزدادوا انما) يعنى انما نالهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا انما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البعوى بسند عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال سئل

عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل عظيم) يعنى انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لمساعدوا وفضل تفضل عليهم بالقاء العرب فى قلوب المشركين حتى رجعوا ﴿ قوله عز وجل (انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه) يعنى انما ذلكم الخوف والمنبسط هو الشيطان يخوف بالسوسة بان أتى ذلك فى أقواهم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجنبوهم وقوله أوليائه يعنى الشيطان يخوفكم بأه عشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه عظم أوليائه فى صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف أوليائه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين وأوليائه الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين طيعونه ويؤثرون أمره وأوليائه الله هم المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا أمرهم (فلا تخافوهم) يعنى فلا تخافوا أوليائه الشيطان ولا تتعدوا عن قتالهم ولا تجنبوا عنهم (وخافون) أى جاهدوا فى سبيلى مع رسولى فأتى واكبر وانصرم (ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بوعدى انى منكفل لكم بالنصر والظفر ﴿ قوله تعالى (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) قيل هم كفار قرش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد يسارع فى الكفر ويجمع الجوع لحار بك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل يسارعون فى الكفر مظاهرهم الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون فى نصرة الكفر فلا يحزنك فعلهم فالك منصرون عاينهم (انهم ان يضروا الله شيئا) يعنى يسارعون فى الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا أوليائه الله شيئا (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة) يعنى لا يجعل لهم نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذ لهم حتى يسارعوا فى الكفر وفى الآية دليل على أن الخبر والمر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة (ولهم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) يعنى المنافقين أمثواتهم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكأنهم أعطوا الايمان وأخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطاء شئ وأخذ غيره بدلا عنه (لن يضروا الله شيئا) يعنى باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك (ولهم عذاب أليم) يعنى فى الآخرة ﴿ قوله عز وجل (ولا تحسبن الذين كفروا) قرئ تحسبن بالياء والياء فى قرأ الباء فعنه ولا تحسبن يا محمد املاء نال الكفار خيرا لانفسهم ومن قرأ بالياء قال معناه ولا تحسبن الكفار املاء نالهم خيرا نزلت فى مشركي مكة وقيل نزلت فى يهود بنى قريظة والنضير (انما على لهم) الاملاء الامال والتأخير وأصلهم من الملوأ وهى المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا ان امهائنا يا محمد بطول العمر والانساء فى الاجل (خير لانفسهم) ثم قال تعالى (انما على لهم ليزدادوا انما) يعنى انما نالهم ونؤخر فى آجالهم ليزدادوا انما (ولهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة روى البعوى بسند عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال سئل

تحسبنم فانها بالياء الباقون الاوليان بالياء والاخير بالياء (الذين كفروا) فمعنى قرأ بالياء ارفع أى لا تحسبن الكافرون وان مع اسمه وخبره فى قوله (انما على لهم خيرا لانفسهم) فى موضع المفعولين المحسبن والتقدير لا تحسبن الذين كفروا املاء ناخبر لانفسهم وما صدر به وكان حقه فى قياس علم الخطأ ان تكتب مفعولا ولكن وقت فى الامام متصلة فلا يتخافون فمعنى قرأ بالياء نصب أى ولا تحسبن الكافرون وانما على لهم خيرا لانفسهم بدل من الكافرين أى ولا تحسبن ان انما على للكافرين خيرا لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين والاملاء لهم امهائهم وطالعة عمرهم (انما على لهم ليزدادوا انما) ما هذه حقه ان تكتب متصلة لانها كافدة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة لتعليل للمجمل قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خبرا لهم فقيل انما على لهم ليزدادوا انما والاولى بحجة لانعى المعتزلة فى مسئلتى الصلح وارادة المعاصى (ولهم عذاب مهين) واللام فى

(من بعد ما صابهم القرع) الجرح روى ان أباسفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الرواحند وما رجعوا بالرجوع وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يرجعهم ويرهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبي أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بافوا حراء الاسود وهي من المدة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرع فأتى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا وفرلت (الذين أحسنوا منهم واتفقوا) من التبيين ومثاني في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كما هم واتفقوا ببعضهم (أبر عظيم) في الآخرة (الذين قال لهم الناس) بدل من الذين استجابوا (ان الناس قد جمعو لكم) روى ان أباسفيان نادى عند (٣٢٦) انصرافه من أحد يا محمد وعدنا موسم بدرنا فقاتل فقال عليه السلام

ان شاء الله فله أكان القابل
خرج أبو سفيان في أهل مكة فأتى الله الرعب في قلبه فبدله أن يرجع فأتى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمر اقبال يا نعيم اتى واعدت محمد أن نلتقي بموسم بدر وقد بدلى ان أراجع فالحق بالدينونة فبطهم ولك عندي عشرة من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أريدون أن تخرجوا وقد جمعوكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لا يخرج ولولم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدر واتفقوا بها ثمان ليل وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش

السويق وقالوا انما خرجتم لتأكلوا السويق قالوا لا نعلم ذلك وكن له أنباع يتبطون مثل ثبطه عنهم والثاني أبو سفيان وأصحابه (فاخشوهم) غافوهم (فزادهم) أي القول الذي هو ان الناس قد جمعوكم فآخشوهم أو القول ونعيم (إيماناً بصيرة وإيماناً) كافياً الله الذي يكفينا الله يقال حسبته الشيء اذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فصف به النكرة لان اضافته غير حقيقية لسكونه في معنى اسم الفاعل (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فاقبلوا ببيعة من الله) وهي السلامة وتحذر العدو منهم (وفضل) وهو الرجع في التجارة فاضاوا بالدرهم درهمين (لم يحسبهم سوء) لم يلحقوا ما يسوءهم من كيد العدو وهو حاله في الضمير في انقلوا وكذا ببيعة والتقدير فرجوا من بدر معنيين برئين من سوء (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخرجه

أجعوا على الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم
وانفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال له ما وراءك يا عبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في
جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معهم من كان تخلف عنه في بومكم وندموا على ضيعهم
وفيه من الحنق عليكم ثم لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويملك ما تقول قال والله ما أراك ترحل حتى ترى
نواصي الخيل قال فوالله لقد أجعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله أني أنهاك عن ذلك فوالله لقد
جلني ما رأيت على ان قلت أديانا قال وما قلت قال قلت

كادت تهدم من الاصوات راحتي * ذسات الارض بالجرد الابايل

تردى باسمك كرام لا تنابله * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فقلت ويل ابن حرب من لقاتكم * اذا تعظمت البطحاء بالخييل

اني نذير لاهل السبل ضاحية * لكل ذي اوبق منهم ومقول

من جيش أجد لا وحش يقابله * ولا بس بوصف ما نذرت بالقييل

قالوا فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه ومروا بركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد بالمدينة لاجل الميرة
قال فهل أنتم مبلغون عننا محمد رسالة أو حل لكم آبالكم زيبا يعكاظ اذا وافقتموها قالوا نعم قال اذا وافقتموه
فاخبروا ما قد أجعنا السيرة اليه وإلى أصحابه لئلا نصل بقيتهم وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومروا بالركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حمراء الاسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد ثلثة وقال
مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان أبو سفيان يوم أحد حين أراد أن ينصرف
قال بالحمد وعبد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بمجنة من ناحية مصر
اظهر ان ثم أنى الله العرب في قلبه فبداه الرجوع فأتى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له أبو
سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمد وأصحابه أن يلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدد ولا يصلحنا الا عام
نرحى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدى أن لا أخرج اليها أو كره أن يخرج محمد ولا أخرج أنافيز يدهم ذلك
جراة ولا أن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة فنبطهم وأعلمهم اناني
جمع كثير لا طاق لهم بشاؤك عندى عشرة من الابل أضها لك تلي بدسهيل بن عمرو يضمنها لك قال وجاء
سهيل فقال له نعيم يا أبا يزيد أضمن لي هذه القلائص وانطلق إلى محمد فاقبله قل نعم قل فخرج نعيم حتى أتى
المدينة فوجد الناس يتجهزون ليعاد في سفيان فقال نعيم أين تريدون قالوا وعدنا بأب سفيان أن يلتقي
بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بنس الرأي رأيت أني أكون في دياركم وقراركم فقلت منكم الا الشر بدأ فتر يدون
أن تخرجوا اليهم وقد جعوا اليكم عند الموسم والله لا بقت منكم أحد فذكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لا يخرج من ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع
وأما الشجاع فانه تأهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه
حتى وافوا بدر الصغرى وكانوا يلقون المشركين فيسألونهم عن قريش فيقولون قد جعوا اليكم يريدون
بذلك أن يربعوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع
سوق لهم في الجاهلية بمجعة من البهاكل عام ثمانية أيام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ينتظر أبو سفيان
وقد انصرف أبو سفيان من مجعة إلى مكة فلم يبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحد من المشركين
ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فأصابوا بالرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين

يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن
 عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يتختم على عمله المراط في سبيل الله فإنه نجي له ٤ إلى
 يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل في سبيل الله صدق من
 نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها نجي يوم القيامة
 كما جزما كانت لونه ألوان الزعفران ورجمه رجم المسك ومن خرج به خارج في سبيل الله فإن عليه طابع
 الشهادة أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي عن عرقاني موضعين (ق) عن أبي سعيد قال أتى رجل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال
 رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقى الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال من احتسب فرساني سبيل الله إيماناً واحتساباً وجد بقاؤه عند الله شهيداً وربه
 ورثته وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسبات (ق) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال ما أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلا الشهيد يتخى أن يرجع إلى
 الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي رواية لما يرى من فضل الشهادة (م) عن عبد الله بن عمرو
 ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب إلا الذن من أبي هريرة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ما يحب الشهيد من مس القتل إلا كما يحب أحدكم من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي
 نحوه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه
 أبو داود قوله عز وجل (الذين استجابوا لله والرسول) الآية قال أكثر المفسرين أن أباسفيان وأصحابه
 لما انصرفوا من أحد فلبوا الروحاء نداء على انصرافهم وتلاؤموا فوالوا لأحمد فقتلهم ولا الكواغب
 أرددتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشر بدركتموهم أرجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأراد أن يهرب العدو ويريه من نفسه وأصحابه قوة فتدب أصحابه للخروج في طلب أبي
 سفيان فأتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من معنا أحد إلا من حضر نالاً من فكمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله إن
 أبي كان خلفي على أخوات لي سبع وقال لي يابني أنه لا ينبغي لي ولك أن تترك هؤلاء النسوة ولارجل فيهن
 ولست بالذي أؤثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخوانك فتخلفت
 عليهن فإذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم غرجه معهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو
 وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يؤههم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة
 ابن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلاً من أصحابه حتى بلغوا أجراء الاسد وهي
 من المدينة على ثلاثة أميال (ق) عن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرحة
 للذين أحسنوا منهم وانقوا أجور عظيم قالت لعروة بن أبي أخي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر لما أصابني
 الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم
 فأتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير قال فر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الخراعى
 بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمة وكافرة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم نهامة صفة قتلهم معه لا يتخفون
 عنه شيئاً كان بهار معبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان
 قد أعفاناك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أباسفيان ومن معه بالروحاء وقد

(الذين استجابوا لله
 والرسول) مبتدأ أخبره
 للذين أحسنوا أوصفة
 للمؤمنين أو نصب على المح

(عندهم) مقر بون عنده دوزلني (برزقون) مثل ما برزق سائر الاحياء باكلون ويشرون وهوتا كيد لكونهم احياء ووصف حالهم التي هم عليها من التعم برزق الله (فرحين) حال من الضمير في برزقون (عما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفصيل على غيرهم من كونهم احياء مقر بين مجلالهم رزق (٣٢٣) الجنة ونعيمها وقال النبي عليه السلام

لما أصيب اخوانكم باحبد جعل الله ارواحهم في أجواف طير خضر تدر في أنهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وقيل هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لانه لا يتيقن للتخصيص فائدة (ويستبشرون

بالذين) باخوانهم المجاهدين الذين (لم يلحقوا بهم) لم يقتلوا فليحقوا بهم (من خلفهم) يراد بالذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدم موهم ولم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلةهم (الآخوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمينين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم من خلفهم بعث للباقيين بعدهم على الحثي في الجهاد والارغبة في نيل منازل الشهداء (ولاهم يحزنون) يستبشرون

معافين أثبت الحياة للروح دون الجسم قال بدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تغص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تتركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال بدل عليه سياق الآية وهو قوله عند برزقون فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم برزقون وبأكلون ويتعمون كالاحياء وقيل ان الشهيد لا يلبى في قبره ولا تاكله الارض كغيره وروى العلماء اذ ما عاوية أن يجرى الماء على قبور الشهداء أمران ينادى من كان له قتييل فليخرجه وليحمله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصابت المسحاة أصبع رجل منهم فنبت دماؤ ذلك البغوي بغير سندن عبيد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعاه ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأنهم وزورهم وسامو عليهم فولى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الارادوا عليه (عندهم) وقوله تعالى (عندهم) يعني في محل كرامته وفضله (برزقون) يعني من ثمار الجنة وتحققا (فرحين) بما آتاهم الله من فضله) يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضل في دار النعيم (ويستبشرون) أى يفرحون والاستبشار هو الفرح والمرور الذي يحصل للانسان عند البشارة (بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) يعني من اخوانهم الذين تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعالمهم بانهم اذا استشهدوا لحقوا بهم وتالوا من الكرامة مثل ما تالوا فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر اخوانهم بما تالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله عز وجل اني قد أنزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا (الآخوف عليهم) يعني في الآخرة (ولاهم يحزنون) يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا (يستبشرون بنعمة من الله وفضل) لما بين الله تعالى ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ذكراهم أيضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل والاستبشار الاول كان اغيهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة (وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يعني كما أنه تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

الفضل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه ٣ الاجهاد في سبيل الله واما باني وتصديق برسلي فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه تالانا مال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كالم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئة حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لا أن يبقى على السالكين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبادوا لكن لأجدسة فالحلم ولا يجردون سعة وبقى عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لو دبت في أغز وفي سبيل الله فاقتل ثم أغز وفاقئل ثم أغز وفاقئل لفظ مسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لند وفي سبيل الله أو روجه خبر من الدنيا وما فيها (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط

بنعمة من الله وفضل) . مروى بما أنعم الله عليهم وما فضل عليهم من زيادة الكرامة (وان الله) عطف على النعمة والفضل وان الله بالكسر على الاستئناف وعلى ان الجلالة اعتراض (لا يضيع أجر المؤمنين) بل يوفى عليهم ٣ قوله لا يخرجه الاجهاد الخ قال النووي في شرح مسلم هكذا هو في جميع النسخ جهاد بالانصب وكذا قال بعده واما باني وتصديق بقاوه منصوب على انه فعل له وتقديره لا يخرجه المخرج ولا يعرك المحرك الا لا عان والجهاد والتصديق اه نقله مصححه

ابن أمية ماذا قال ناحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونخبره فقال الانصاري ابني لأرغب عن موطن
 قتل فيه المنكر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيراً فلما أخبرهم أنه من مضر
 أطاقه عامر بن الطفيل وجزأنا به وأعتقه عن رقية زعم أنها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء وقد كنت
 لهذا كارهاً تتخوفاً فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه أخفار عامر بن الطفيل أباه وأصاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة وولي أبي بكر الصديق فروى محمد بن اسحق عن
 هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل أخته رفع بين السماء والأرض
 حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن أبي براء أن عامر بن الطفيل أخفدته
 أبيه فخل على عامر بن الطفيل فطعنه فخرعن فرسه قتل وذكرا بن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول
 له في قسم الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن
 بضعة وعشرين سنة ولم يعلم وعاد من عنده فخرج له خراج في أصل اذنه أخذ منه مثل النار فاشتد عليه ومات
 منه (ق) عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين وفي
 رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خاله أخالام سليم واسمه حرام في سبعين راكباً فاقده وقال
 لهم خالي أتقدمكم فإن أنوفتي حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريباً فقدم
 فامنوه فبينما هو يتحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أموا إلى رجل منهم فطعته فاقده فقال الله
 أكبر فزرت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوه ثم الارجل أخرج سعد الجبل قال همام وأراه آخر
 معه فاخرج به بل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا بهم فرضى عنهم وأرضاهم قال فسكأنا
 ان بلغوا فوسأنا ان قد لقينا بنا فرضى عنا وأرضانا ثم نسخ بعد ذلك عليهم أو بعين صباحاً على رعل وذكوان
 وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعل وذكوان وبني لحيان استهدوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقدمهم بسبعين رجلاً من الانصار كئنا نسبيهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون
 بالليل حتى اذا كانوا يترمعون قتلوههم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقتل عليهم شهراً
 يدعوى في الصباح على أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان فان أنس فقرا نافيهم
 قرآنهم ان ذلك رفع بلغوا فوسأنا ان قد لقينا بنا فرضى عنا وأرضانا وسلم قال جاء ناس إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم فسألوه ان بعث معنار جالداً يعموا القرآن والسنة فبعث اليهم سبعين رجلاً من الانصار وذكر
 نحو ما تقدم وقيل ان أولياء الشهداء وأهلهم كانوا اذا أصابتهم نعمة وخير تحمسوا على الشهداء وقالوا نحن
 في النعمة والرخاء وأباؤنا وبنّاؤنا وخوانا في القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطيبها لعلوهم وتنقيس اعينهم
 واخبارا عن حال قتلهم فقال تعالى ولا تحبين الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخطاب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم والسكك أحد من أمتة والمعنى لا يظن ان الذين قتلوا في سبيل الله أموات يعني
 كما أموات غيرهم من لم يقتل في سبيل الله (بل أحياء) أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون
 قتل في سبيل الله حياً فاما ان يكون المراد انهم سيصبرون أحياء في الآخرة ويكون المراد انهم أحياء في
 الحال وعلى تقدير برائهم أحياء في الحال هل يكون المراد اثبات الحياة الروحية أو اثبات الحياة الجسمانية
 فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فن قال بالوجه الاول وهو انهم سيصبرون أحياء في الآخرة قال معنى
 الآية بل هم أحياء في الذكروانهم بذلك ونحو أعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله قيل بل هم أحياء
 في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال
 ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح وللجسم والروح

بل أحياء) بل هم أحياء

بأقية لا تقنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم
القيامة وهو مذهب أهل السنة أيضا قوله أرواحهم في جوف طير خضر أى يجعل النار روح الشبهاء في
جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سماع القول بان الارواح أجسام لطيفة وقيل ان النعم والعذب من
الارواح والاجساد جزء من الجسد تبقى فيه الروح وهو الذى يتولد ذبا لنعيم ويتألم بالهذاب فغير مستحيل ان
يصور الله تعالى ذلك الجزء عطارا ويجعل في جوف طير فقسرح في الجنة وتأوى الى تلك القناديل وقد تلقى
بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها في الصور احسان المرفهة
وتعذيبها في الصور القبيحة المستخرجة برغمون ان هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخييف
وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء
في بعض روايات هذا الحديث ما يدل عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعنى يحيى جميع
جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا همهم فقال
مالى أراك منكسر قلت يا رسول الله استشهد أى يوم أحد وترك عيالا وقد بنا فقال ألا بأشرك بمعالى الله به
أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحد اقط الامن وراء حجاب وانه أحيأباك وكله كفاحا وقال يا عبدى تنق على
أعطيك قال يا رب تحيينى فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق منى انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحبين الذين
قتلوا فى سبيل الله الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وقيل ان الآية نزلت في شهداء يرمعون
وهى بشر بين مكة وعسفان وأرض هند بل قال محمد بن اسحق عن أشياخه من أهل العلم قالوا قدم أبو براء
عاصم بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأهدى له هدية فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال انى لأقبل هدية مشرك ثم عرض عليه
الاسلام وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسل ولم يبعد وقال يا محمد ان الذى ندعوا اليه
حسن جميل فلو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد يدعونهم الى امرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا هم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى
أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخا بنى ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين
وكان يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسامة بن الصلت ونافع بن يزيد بن
ورقاء الخ زاعى وعاصم بن فهير مولى أبى بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة بعد اربعة اشهر فزاروا
حتى نزلوا بئر معونة وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أياكم
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان أنا نخرج بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكم وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر
البيت برمح ففصر به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزرت ورب السكبة ثم استصرخ
عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لا نتخفر بأبراء فقد عقد لهم
عقده وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصبة ورعلاوذ كوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم
فاحاطوا بهم في رحاهم فلما رأوهم اخذوا السيوف فقتلواهم حتى قتلوا عن آخرهم الا كتب بن زيد فقامهم
تركوه وبه رمق فارتب بين القتل فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرع القوم عمر وبن أمية الضمرى
ورجل من الانصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم يعلمهما بهما صاحب أممهما الا الطير تحوم على العسكرة لا والله
ان لهذا الطير لشنا فأقبل لا ينظر فاذا القوم في دماهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمر

جمالی الزرقانی علی المواہب

ومتاعه واضربوه أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر أقرحوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومعه سهمه أخرجه أبو داود ﷺ قوله تعالى (أفمن اتبع رضوان الله) يعني فترك الغال فلم يغل (كن بآء) أي رجع (بسخط من الله) يعني بغضب من الله والمعنى قل والسخط الغضب الشديد المقضي للعقوبة وهو من الله أنزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه واخرج معه يوم أحد أتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فآخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله أفمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه بقوله كن بآء بسخط من الله (ومأواه جهنم وبئس المصير) يعني الغال وأنت تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن بآء بسخط من الله تختلف المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن بآء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى أفمن اتبع رضوان الله كن بآء بسخط من الله ليسوا واولهم درجات عند الله على حسب أعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائدي على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لأن الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدرجات لاهل النار ولأن الله وصف من بآء بسخط من الله أن مأواه جهنم وبئس المصير فدل على أن الضمير في قوله هم درجات عند الله راجع بالاول وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير عن العمل بمعاصيه ﷺ قوله عز وجل (لقد نال الله على المؤمنين) يعني أحسن اليهم وتفضل عليهم والمنة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون إلا من اتبع الله وقوله تعالى لقد نال الله على المؤمنين (اذبح فيهم رسولان من أنفسهم) يعني من جنسهم عري بأمثالهم ولله يبدلهم ونشأ بينهم يعرفون نسبهم وإيسر حى من أحياء العرب الا وقد ولدوه وله فيهم نسب الابني تغلب فانهم كانوا انصارى وقد ثبتوا على النصرانية فظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أى بالايمن والشقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بذلك إلا أحد من غير بني آدم وقيل من أنفسهم يعني أنه من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليها السلام ووجه المنة والالعام على المؤمنين ببغثة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه وادعاهم الى ما يصلحهم من العذاب الاليم وبوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لأنه اذا كان الانسان واحدا سهل الأخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب الى تصديقه والوقوف به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب بهم أبو طاب حين روج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها وقت حضر ذلك بنوهانهم ورؤساء مضر قوله الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئى معد وعصر مضر وجعلنا من ذرية رسولنا وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا حرما آمنا وجعلنا الحكم على الناس وان اى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فى الارجح وهو والله بعد هذا النبأ العظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببغثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخاق جبالوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأتم عليهم وأحسن اليهم بأن بعث فيهم رسولان من أنفسهم أنقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الهدى وهادهم به الى صراط مستقيم وانما خاص المؤمنين بالذكرا لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم (يتلوا عليهم آياته) يعني يقرأ عليهم كتابه الذى أنزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطورق اسمعيلهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والنجاسات (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعني القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وان كانوا من قبل) يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله

والكفار (ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع (هم درجات عند الله) هم متفاوتون كما تفاوتت الدرجات وأذو درجات والمعنى تفاوت منازل المتأيين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازهم على حسبها (لقد نال الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله عليه السلام من هوم وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه (اذبح فيهم رسولان من أنفسهم) من جنسهم عري بأمثالهم أو من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده والمنة في ذلك من حيث أنه اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم أى من أشرفهم (يتلوا عليهم آياته) أى القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطورق اسمعيلهم من دنس الكفر والظغيان أو يأخذهم الزكاة (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

نبي قط فنفي عن الانبياء الغشاول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول واذا لم يحل له لم يفعله وحقه هذه القراءة
 أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فيبين الله تعالى بهذه الآية ان هذه الخصلة
 لا تليق به ونفي عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغفل ورقي يغفل بضم الياء وفتح الغين وطماعين أحدهما
 أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان أي تخونه أمته والثاني أن يكون من الاغلال ومعناه
 وما كان لنبي أن يخون أي ينسب الى الخيانة (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بالشئ الذي غلّه
 بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل لذلك الشئ في النار
 ثم يقال هل انزل غلّه في منزل فحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشئ في النار فكيف أن ينزل اليه
 ليخرجه بفعله به ذلك ما شاء الله وقيل معناه انه يأتي بآثم ما غلّه فيجازي به يوم القيامة وهو قوله تعالى (ثم
 توفي كل نفس ما كسبت) يعني من خيرا أو شرا والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو
 مجزي به يوم القيامة وبوفى جزاء عمله (وهم لا يظلمون) يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازي
 كل على عمله

(ومن يغفل يأت بما غل يوم
 القيامة) أي يأت بالشئ
 الذي غلّه بعينه حاملا له على
 ظهره كجاء في الحديث
 أو يأت بما احتمل من وباله
 وأثم (ثم توفي كل نفس
 ما كسبت) تعطي جزاءها
 وافيًا ولم يقل بوفى ما كسب
 ليتصل به وله ومن يغفل بل
 يجي بعام ليدخل تحته كل
 كاسب من الغال وغيره
 فاتصل به من حيث المعنى
 وهو بالغ لانه اذا علم الغال
 ان كل كاسب خيرا أو شرا
 مجزي بوفى جزاءه علم انه
 غير متخلص من بينهم مع
 عظم ما كسب (وهم
 لا يظلمون) أي جزاء كل
 على قدر كسبه

فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال
 خفية وأنه الخيانة الا انه قد صار في العرف محصورا بالخيانة في الغنيمه وهذا وردت الاحاديث (ق) عن أبي
 هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فغظه وعظم أمره حتى قال لألفين
 أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعيره رغاء يقول يا رسول الله أغني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبغتك
 لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حجمة فيقول يا رسول الله أغني فاقول لا أملك لك شيئا
 قد أبغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغني فاقول لا أملك
 لك شيئا قد أبغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغني
 فاقول لا أملك لك شيئا قد أبغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته رفاع فيقول يا رسول الله
 أغني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته صاه فيقول يا رسول
 الله أغني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثناء صوت الشاة والرقاع الثياب
 والصامت الذهب والفضة (ق) عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خير ففتح
 الله علينا فلم نغم ذهب ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عبده له رجل من جذام يدعى رفاع بن زيد من بني الضبيب فلما تراءنا
 الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بهم فكان فيه حنفة فقلنا هنيئلا شمانه
 الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتأته عليه
 نارا أخذها من الغنم يوم خير لم تصب المقام قال ففرغ الناس فجاء رجل بشارك أو شرا كين فقال أصبتا
 يوم خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شرا كان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومع
 عبد يقال له مدعم أهدأ له أحد بني الضبيب وفيه اذ جاءهم عائر الشراك سيرا النعل الذي يكون في ظهر
 القدم ومثله شمس النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدري من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص قال كان علي ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فأت فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو في النار قد هبوا ينظرون اليه فوجدوا عباة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صاوا على صاحبكم فتغيرت
 وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله فغفنا متاعه فوجدنا خزائنا من خز اليهود لا يساوي
 درهمين أخرجه أبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا

لاعلى الشورة (ان الله يحب المتوكلين) عليه والتوكل الاعتداء على الله والتفويض في الامور اليه وقال ذوالنون خلع الارباب وقطع الاسباب (ان ينصركم الله) كما ينصركم يوم بدر (ولا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم وانما يدرك نصر الله من تبرا من حوله وفوته واعتصم به به وفدته (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) من بعد خذلانته وهو ترك العونة وهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وهذا انبياء على ان الامر كله وتولى وجوب التوكل عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وليخص المؤمنون بهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لانصر سواه لان ايمانهم يقتضي ذلك (وما كان لنبي أن يغفل) مكى وأبو عمرو وحض وعاصم أى يغفون وبضم الياء وفتح الفين غيرهم يقال غفل شيأ من المغف غلوا را غل اغل اذا اخذه في خفية ويقال اغله اذا وجده غالا والمعنى ماصح له ذلك يعنى ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرأ على البناء للغول

فنجيز وألاسترجع من الفكر * ألم تر ان الله قال لعبد * وشاورهم في الامر حتما لا ينكر قوله تعالى (فاذا عزمت) يعنى على المشاورة (فتوكل على الله) أى فاستعن بالله فى أمرك كما هو مقتضى به ولا تعتمد الاعليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمصداق ان يكون للعبد اعتداء على شئ الا على الله تعالى فى جميع أموره وان المشاورة لاتنافى التوكل (ان الله يحب المتوكلين) يعنى المتوكلين عليه فى جميع أمورهم قوله عز وجل (ان ينصركم الله) يعنى ان يعينكم الله بنصره ويعينكم من عبودكم كما فعل يوم بدر (ولا غالب لكم) يعنى من الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم (وان يخذلكم) كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) أى من بعد خذلانته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد فى كل الامر وعلى الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصى الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعلك شاهد اسواه (م) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال أنت منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكلكم لرزقكم كما يرزق الطير تغدو وخاصوا وتروح بطانا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله عز وجل (وما كان لنبي أن يغفل) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغفل في قطيفة جراء فقدت يوم بدر فقال بعض اقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فانزل الله تعالى هذه الآية الى آخرها أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب وروى عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغتم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغفل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس فى قوله تعالى وما كان لنبي أن يغفل يقول ما كان لنبي أن يقسم الى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجوز فى القسم ولكن يقسم بالعدل يأخذ فيه باسر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبياً يغفل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي استذابه وقال مقاتل والكلبي نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز لاجبة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما تقسم يوم بدر فتروا المركز ووقعوا فى الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم عهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم أمرى قالوا تركنا بقية اخواننا ووقعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم اننا نقتل فلا تقسم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت فى طائفة غلت من أصحابه وقيل ان الاقوياء اخلوا عليه بسألونه من الغنم فانزل الله تعالى ما كان لنبي أن يغفل يعنى فيعطى قوما يمنع آخر ين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا فى شأن الوحي يقول وما كان لنبي أن يترك شيأ من الوحي رغبة ورهبة وأمداهته والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشئ فى خفية يقال غل فلان يغفل قرى بفتح الياء وضم الفين أى وما كان لنبي أن يخون لان النبوة والخيانة لا يجتمعان لان منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلىها فلا تلحق به الخيانة لانها فى نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمة فى شئ لامن الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الامه لانه قد ثبت براءة مساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول غيره وقيل الام فيه منقولة معناه ما كان النبي ليفعل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل

فهو راجع الى هذا الان معناه ماصح له ان يوجد غلولا ولا يوجد غالا لا اذا كان غالاروى ان قطيفة جراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية

وإن تم أوقانم لى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة الذيب العظيم الثواب تحشرون ولو فروع اسم الله فى هذا الموضوع مع تقديمه
وادخال اللام على الحرف المتصل به بشأن غنى عن البرهان (٣١٥) لغفرة جواب القسم وهو سادس من جواب الشرط

وذلك لآلى الله تحشرون
كذب الكافرين أولافى
زعهم أن من سافر من
اخوانهم أو غزا الو كان
بالمدينة للمامات ونهى
المسلمين عن ذلك لانه
سبب التقاعد عن الجهاد
قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه
من الهلاك بأبوات وأقتل
فى سبيل الله فان ماتلونه
من المغفرة والرحمة بالموت
فى سبيل الله خير مما تجمعون
من الدنيا فان الدنيا زاد
المعاد فاذا وصل العبد الى
المعاد لم يحسب الى الزاد (فما
رحمة من الله لنت لهم)
ما من بدة لتوكيد والدالة
على ان الله لهم ما كان
الابرة من الله ومعنى
الرحمة ربه على جاشه
وتوفقه للرفق والتلطف
بهم (ولو كنت فظا) جافيا
(غايظ القلب) قاسيه
(لنفسوا من حولك)
لتفرقوا عنك حتى لا يبقى
حولك أحد منهم (فاعف
عنهم) ما كان منهم يوم أحد
مما يختص بك (واستغفر لهم)
فبما يختص بحق الله اتماما
للشفقة عليهم (وشاورهم
فى الامر) أى فى أصرار الحرب
ونحوه مما ينزل عليك فيه
وحى تطليبا لنفسهم

الثواب فان ذلك خير له من أن يموت في يده بلا فائدة واليه الاشارة بقوله تعالى (ولئن قتلتم في سبيل الله أؤتمن
 لمغفر من الله ورحمة) يعني في العاقبة (خير مما تحمومون) يعني من الغنائم والغني ولئن تم عليكم ما تخافونه
 من القتل في سبيل الله وأهلك ما بولت فان ما تاملونه من المغفرة والرحمة باول والثقل في سبيل الله خير مما
 تجمعون من الدنيا وما فيها ولم تنووا (ولئن متم وأقمتكم لالى الله تحشرون) يعني لالى الله الرحيم الواسع
 الرحمة والمغفرة المنيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجاز بكم بأعمالكم وقد قسم بعض مقامات
 لعبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفاً من ناره أنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن
 عبد الله تعالى شوقاً الى جنته تأله ما برجوا واليه الاشارة بقوله تعالى ورحمة لان الرحمة من أسماء الجنة ومن
 عبد الله شوقاً الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في
 دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (فما رجعت من الله لنت لهم) أي فبرحة
 من التوامة لنت لهم أي سهل لهم أخلاقك وكثر احتمالك وتسرع اليهم بتعنيف على ما كان يوم
 أحدمهم ومعنى فبرحة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليرقى والتلطف بهم
 وان الله تعالى أتق في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة والاطف حتى فعل ذلك معهم (ولو كنت فظاً)
 يعني جافياً (غلظ القلب) يعني قامى القلب سبى الخلق قليل الاحتمال (لانفوا من حولك) أي لنفروا
 عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم أحد عندك (فأعف عنهم) أي تجاوز عن زلاتهم ومأثر يوم أحد (واستغفر
 لهم) أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فأعف عنهم فيما يخص بك واستغفر لهم فيما يخص
 بحق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم (وشاورهم في الامر) أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم
 واختلاف العادى في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله
 وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه وجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا وأكروهوا فقيل هو عام مخصوص
 والمعنى وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا التي تظهر
 برأيهم فيأشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ليشاورهم تطبيقاً لقوله لهم فان
 ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضاعتهم فان سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق عليهم ذلك
 وقال الحسن وقد علم الله تعالى ان ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن أراد الله ان يستن بهم من بعدهم من أمته وقيل
 إنما أمر بشاورهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم للاستفادة منهم رأياً يورى البغوى يستند عن عائشة
 انها قالت ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على ان كل
 ما نزل فيه وحى من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وإنما أمر أن يشاور فيما
 سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل
 عليه فيه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاور في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب
 وصى الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من الندم وقال
 بعض الحكماء ما استبط الصواب بمنال المشاورة ومن فوائده المشاورة انه قد يعزم الانسان على أمر فيشاور فيه
 فيبين له الصواب في قول غير فيعلم بذلك يحجز نفسه عن الاحاطة بفنون الصالح ومنها انه إذا لم ينجح أمره
 علم ان امتناع النجاح محض قدر لم يل نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة
 وشاور إذا شاورت كل مذهب * لست أرى حزم لترشد في الامر * ولانك بمن يستند برأيه

وَنُورٌ بِحَالِهِمْ وَرُفْعَةِ أَدْرَاهِمَ أَوْ لِقْتَدَى بِكَ أَمْتِكَ فِيهَا فِي الْحَدِيثِ مَا نَشَأُ وَرَقِمْ فَطَ الْاِهْدُ وَالْأَرْشَادُ أَمْرُهُمْ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَثُرَ شَاوِرُهُمْ أَوْ أَحْبَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْنَى شَاوِرٌ فَلَنَّا أَتَاهُ أَطْرُقَ مَا عِنْدِي وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَشَرْتُ الدَّابَّةَ اسْتَخْرَجْتُ جِرْهُمَا وَشَرْتُ الْعِيسَى أَخَذْنَاهُ مِنْ مَا خَذَهُ وَفِيهِ دَلَالَةُ جَوَازِ الْاجْتِهَادِ وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْقِيَاسَ حُجَّةٌ

(وليتلى الله مافى صدوركم وليمحس مافى قلوبكم) وليمتحن مافى صدور المؤمنين من الاخلاص وبمحس مافى قلوبهم من وسوس الشيطان فعل ذلك لصالح جنة ولا ابتلاء والتمحيص (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها (ان الذين تولوا منكم) انهم زوا (يوم التقي الجمعان) جمع محمد عليه السلام وجمع أبى سفيان للقتال باحد (انما استزلم الشيطان) دعاهم الى الزلة وجعلهم عليها (ببعض ما كسبوا) بتركهم المركز الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالاضافة الى الشيطان لافاق وتقرىب والتعليل بكسبهم وعظ وتاديب وكان أصحاب محمد عليه السلام (٣١٤) تولوا عنه يوم أحد الاثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلى وطلحة وابن عوف

وسعد بن أبى وقاص والباقر من الانصار (ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يماجل بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) كان أبى وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) أى فى حق اخوانهم فى النسب أو فى النفاق (إذا ضر بوائى الارض) سافرو فيها التجارة أو غيرها (أو كانوا غرا) جمع غاز كعاف وعنى وأصحابهم موت أو قتل (لو كانوا عدا) ناما اتوا وماتوا ليجمع الله ذلك حسرة فى قلوبهم (اللام يتعلق بلا تكونوا أى لا تكونوا كهؤلاء فى النطاق بذلك القول واعتقاده ليجمع الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو يقولوا أى قالوا ذلك واعتقده ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم والحدة الندامة على فوت المحبوب (والله يحيى ويميت) رد قلوبهم ان القتال يقطع

الله مافى صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما للشأن وأياها المؤمنين (وليمحس مافى قلوبكم) قال قتادة أى يظهرها من الشك والارتياب بما رىكم من محاسن صنعته فى اثناء الامنة وصرف العدو و اظهار سراير المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة وقيل بمعناه وليبين ويظهر مافى قلوبكم يعنى من الاعتقاد لله ورسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة (والله عليم بذات الصدور) يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضاير لانه عالم بجميع العلويات ﴿ قوله عز وجل (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان) أى انهم زوا وهو بامنكم بامعشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد باحد وكان قد انهمز كثر المسلمين ولم يبق مع الذى صلى الله عليه وسلم الاثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلى وطلحة وعبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم (انما استزلم الشيطان) أى طلب زلتهم بكافة لاستجملها أى طلب عثامته وقيل جعلهم على الزلة وهى الخطيئة وذلك باقاء الوسوسة فى قلوبهم لانه أمرهم بها (ببعض ما كسبوا) يعنى بمصيدهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلم الشيطان بتدبير خطايا سبقت لهم ففكر هو ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سافت لهم ففكر هو لقاء الله الاعلى حالة رضاه (ولقد عفا الله عنهم) يعنى ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقي الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم وقيل ان عثمان عوتب فى هزيمته يوم أحد فله لان ذلك وان كان خطا لكن الله قد عفا عنه وقرأ هذه الآية (ان الله غفور) يعنى لمن تاب وأناب (حليم) لا يماجل بالعقوبة ولا يستأصاهم بالقتل ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه (وقالوا لاخوانهم) يعنى فى النفاق والكفر وقيل لاخوانهم فى النسب وكانوا مسلمين (إذا ضر بوائى الارض) يعنى اذا سافرو فى الارض لتجارة وغيرها (أو كانوا غرا) جمع غاز أى غزاة فى الكلام حذف دل المعنى على ذلك الحذف وهو اذا ضر بوائى الارض فأتوا أو كانوا غرا فقتلوا (لو كانوا عدا) يعنى مقبحين (ماماتوا) قتلوا ليجمع الله ذلك يعنى قولهم وظنهم (حسرة فى قلوبهم) يعنى غمما وتأسفا (والله يحيى ويميت) هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عدا ماماتوا وماتوا والمعنى ان الامر بيد الله وان المحيى والمميت هو الله تعالى فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والفاعدن الغزو وكما شاء فكيف ينفع الجالس فى البيت وهل يحصى أحد من الموت (والله بما تعملون بصير) يعنى انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فانقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصدهم تغير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عدا ماماتوا وماتوا فاقان الله تعالى هو المحيى المميت فمن قدر له ابقاء لم يقتل فى الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان أقام بيته عند أهله فلا تقولوا أنهم أيها المؤمنون ان يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فقتل فلا نموت فى الجهاد فيستوجب

الآجال أى الامر يده ويحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم بعملون مكى وحزة وعلى أى الذين كفروا (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم) متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم ناهيهم حصص الا فى هذه السورة كأنه أراد الولا فاق ينسب بين قتلهم ذرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات تخاف فكمات قول خفت تقول مت (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ما بمعنى الذى والعائد محذوف وبالتاء حصص

الثواب

(وطائفة) هم المنافقون (قد أتهمهم أنفسهم) ما بهم مهم الأهم خلاصه الأهم الدين ولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم (يظنون بالله غير الحق) في حكم المصدر رأى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم (ظن الجاهلية) بدل منه والمراد الظن المختص بالأمم الجاهلية وأهل (٣١٣) الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا

أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون هل لنا من الأمر من شيء) هل لنا معاصر المسلمين من أمر الله نصب قط يعنون النصر والغلبة على العدو (قل ان الأمر) أى النصر والغلبة (كله الله) ولا وليا له المؤمنين وان جسدنا لهم الغالبون كما نكيد للأمر والله خبران كله بصرى وهو مبتدأ وأولته خبره والجملة خبران (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) خوفا من السيف (يقولون) في أنفسهم أو بعضهم البعض منكسرين لقولك لهم ان الأمر كله لله (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا) أى لو كان الأمر كما قال محمد ان الأمر كله لله ولا وليا له وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قلنا من المسلمين من قتل في هذه المعركة قد أتهمهم صفة لطائفة ويظنون خبر طائفة أو صفة أخرى وأحوال أى قد أتهمهم أنفسهم ظانين ويقولون : لمن يظنون ويخفون حال من يقولون وقل ان الأمر

قال غشنا الناس ونحن في مصافنا يوم أحد ذكره بخور رواية البخارى وزاد الطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبين قوم وأربعة وأخذ له الحق وفي رواية اخرى له قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا بعيد تحت حجته من الناس فذلك قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمانة نعاوا وقال الزبير بن العوام لقد رأى نبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف أرسل الله تعالى علينا النوم والله انى لاسمع قول معتبرين قشروا الناس وبغشاني ما سمعته الا كلهم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا نافقوه تعالى يغشى طائفة منكم يعنى المؤمنين (وطائفة قد أتهمهم أنفسهم) يعنى المنافقين أراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع الناس على المؤمنين حتى آمنوا ولم يقع الناس على المنافقين فبقوا في الخوف وفى القاء الناس على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان الناس كان سبب أمن المؤمنين وعدم الناس عن المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد أتهمهم أنفسهم يعنى جانيهم أنفسهم على العلم لان أسباب الخوف وهى قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم (يظنون بالله غير الحق) يعنى يظنون ان الله لا ينصر محمد وأصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان أمره بضم محل والمعنى يظنون بالله غير ظن الحق الذى يجب ان يظن به (ظن الجاهلية) أى كظن أهل الجاهلية (يقولون) يعنى المنافقين (هل لنا) أى مالنا (من الأمر من شيء) وذلك انهم لما شاوروا النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى هذه الواقعة وأشار عليه ان لا يخرج من المدينة فامسأخافه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قبل لعبد الله بن أبى قد قتل بنوا الحزرج قال هل لنا من الأمر شيء وهو استفتاهم على سبيل الانكار أى مالنا أمر يطاع وقيل المراد بالأمر النصر والظفر يعنى مالنا من هذا الذى بعدنا بمحمد بن النصر والظفر من شيء انما هو للشر كين (قل) يا محمد هؤلاء المنافقين (ان الأمر كله لله) يعنى النصر والظفر والقضاء والقدر كله وبسببه يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) يعنى من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذى أخفوه هو قوله تعالى حكاية عنهم (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا) وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد لى قتال أهل مكة ولتقتل رؤسنا وناو قيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قلنا ههنا وعن ابن عباس فى قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعنى التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا فبطل ان الذى قال هل لنا من الأمر من شيء هو عبد الله بن أبى بن سلول المنافق الذى قال لو كان لنا من الأمر شيء هو معتبر بن قشير (قل) أى قل يا محمد هؤلاء المنافقين (لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل) أى قضى عليهم القتل وقدر عليهم (الى مضاجعهم) يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية ان الحذر لا ينفع مع لقدرة التدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاء وحكمه عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جاستم في بيوتكم لخرج منها وظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقدره الى حيث يقتلون فيه (وليتلى الله ما فى صدوركم) أى وليختبر ما فى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيب الان المجازاة انما تقع على عامله مشاهدة وقيل معنى ليعلمكم معاملة الميثلى المختبر لكم وقيل معناه ليتلى أولياء

(٤٠ - خازن - اول) كلمة اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف (قل لو كنتم في بيوتكم) أى من علم الله انه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قد كنتم في بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) مصارعهم باحد ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون ليعلم ان العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما يندس يكون به فى بعض الاوقات تمحيص لهم

الارض والاصعاد والذهب في صعيد الارض أو الابعاد به صرفكم أو بقوله ليتليكم أو باضاراد كروا (ولانولون على أحد) ولانلتفون وهو عبارة عن غاية انهم وخوف عدوهم (والرسول يدعوكم) يقول الى عباد الله أنارسل الله من بكر فله الجنة والجنة في موضع الحال (في آخركم) في سافتكم وجاعتكم (٣١٢) الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وآخرهم كما تقول في أولهم

الصعود وهو الارتفاع من أسفل الى أعلى كاصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه والمفسرين في معنى الآية قولان أحدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال الهزيمة وتوقف الحرب (ولانولون على أحد) أي لانرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضهم الى بعض من شدة الحرب (والرسول يدعوكم في آخركم) أي في آخركم ومن وراءكم يقول الى عباد الله أنارسل الله من كراي رجوع فله الجنة (فانا بكم غمابغ) يعني خزاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وقتلاكم عن عدوكم غمابغ فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الغالب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه مأخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب لكل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فافتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * أدهم سودا أو محدر جمره

فحمل العطاء مكان العقاب لان الاداهم السوداء هي القيود الثقالة والمحدر جمره هي السياط والباء في قوله غمابغ بمعنى مع أو بمعنى على لان حرف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غماتصلنا بهم واختلوا في معنى الغميين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما أصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو أنهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة أمره بخراهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراق خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين أشرف أبو سفيان عليهم وذلك ان أباسفيان وأصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا أنهم يملكون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك ﷺ قوله تعالى (لكيلا) في لفظة لا قولان أحدهما انها باقية على أصلها ومعناها الذي فولى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا (تخزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) لان عفوهم بذهب كل هم وحزن وقيل معناه فانا بكم غمنا أنساكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم وقد روى أنهم لما سمعوا بان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لاصلة ومعنى الكلام لكي تخزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عفوكم على مخافتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي أصابهم القتل والهزيمة (والله خير بما تعملون) أي هو عالم بجميع أعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها ﷺ قوله عز وجل (ثم أنزل عليكم) يا معشر المسلمين (من بعد الغم) الذي أصابكم (أمنة نعاسا) يعني أمنا والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاءه سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باقيوا للناس اخف من النوم والمعنى أعقبكم بما ألكم من الخوف والرعب ان أمنكم أمنا تامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فانهم بعد خوفهم (يفشى طائفة منكم) قال ابن عباس أنهم يومئذ بنعاس تغشاهم وانما بنعس من بأمن والخائف لا ينام (خ) دن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن تغشاهم الناس يوم أحد حتى سقط سنبني من يدي مراراة سقط وآخذوه يسقط فآخذوه وأخرجوه الترمذي عنه

وأولاهم ثأرا بل مقدمتهم وجاعتهم الاولى (فانا بكم) عطف على صرفكم أي جزاكم الله (غمابغ) حين صرفكم عنهم وابتلاكهم (بغ) بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم أمره أو غميا مضاعفا بعد غم وغماتصلنا بهم من الانتقام بما أرتجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر (لكيلا) تخزنوا على ما فاتكم لتتروا على تجرع القوم فلا تخزنوا فيما بعد على فانت من النافع (ولا ما أصابكم) ولا على مصيب من المضار (والله خير بما تعملون) عالم بعلمكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن العصية (ثم أنزل عليكم) من بعد الغم أمنة نعاسا ثم أنزل الله الامن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نسوا وغلبهم النوم عن

أبي طلحة غشينا للناس ونحن في مصافنا كان السيف يسقط من يدا أحدنا فأخذوه يسقط فآخذوه والامنة الامن ونعاسا بدل من أمنة وهو مصقول أمنة حاله مقدمة عليه نحو رأيت را كبار جلا والاصل أنزل عليكم نعاسا اذا أمنة اذا للناس ليس هو الامن ويجوز أن يكون أمنة متفولا لاله أو حال من المخاطبين يعني ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبارو بررة (يفشى) يعني تغشى بالاء والامالة حمزة وعلى أي الامنة (طائفة منكم) هم أهل الصدق واليقين

(منكم من يريد الدنيا)

کم (لیتہ ایمکم) لیتن صبرکم

وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتالوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم) أى كف معوثه عنكم فقبلوكم (ليأتياكم) ليتمن صبركم على المصائب وثباتكم عندنا وحقيقته إيهام بكمعالمه المختبر لانه يحاز على ما يعمله العبد لا على ما يعلّمه منه (ولقد عفا عنكم) حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) بالاعفائهم وقبول ثبوتهم وهو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أذبل لهم أو أودب عليهم لان الابتلاء رحمة كان النصر رحمة وانتصبت (اذ تصعدون) تالفون في الذهاب في صعود

(١٠) انصرنا على اليوم الكافرين) باعده وقد تم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طاب ثيب الاقدام في واطن الحرب والنصرة على الاعداء لانه اقرب الى الاجابة لما به من الخضوع والاستكانة (فاتاهم الله ثواب الدنيا) أى النصر والظفر والغلبة (وحسن ثواب الآخرة) المغفرة والجنة وخص (٣١٠) بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده (والله يحب المحسنين)

الخوف والرعب من قلوبهم) وانصرنا على القوم الكافرين) لان النصر على الاعداء لا يكون الا عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مسلمين عند لقاء العدو والدعاء والتضرع وطلب العانة والنصر من الله تعالى والغرض منه ان يقتدى بهم في هذه الطريقة الحسنة أمه محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقتلتم مثل ما قاتلوا (فاتاهم الله ثواب الدنيا) يعنى النصر والغلبة وقهر الاعداء والثناء الجليل وغفران الذنوب والخطايا (وحسن ثواب الآخرة) يعنى الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها على اجلاله وعظمته لانه غير زائل ولم يثبت بقتضيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما يشوبه من التنقيص (والله يحب المحسنين) يعنى الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا اعلم من الله تعالى اعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقة لطيفة وهى أنهم لما عترفوا بدينهم وكونهم مسلمين معاهم الله تعالى محسنين ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند اهزيمة يوم أحد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يأمر ونكسهم به من ترك الجهاد (يردوكم على أعقابكم) يعنى يرجعوكم الى أمركم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر (فتنقلبوا خاسرين) يعنى مغبون في الدنيا والآخره أخاصار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذل للاعداء وأما خسار الآخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار (بل الله مولاكم) أى وليكم وانصركم وما فظكم فاستعينوا به (وهو خير الناصرين) يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لانه صرركم وبعينكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين ﴿قوله عز وجل﴾ (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وذلك ان أباسفيان ومن معه ارجعوا يوم أحد توجهن الى مكة فلما باغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذالم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار محصيا يوم أحد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله ذلك بغضله وكرهه حتى صار دين الاسلام ظاهر على جميع الاديان والمثل كحال تعالى ليظهره على الدين كله (بما أشركوا بالله) يعنى انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب انشراكهم بالله (ما لم ينزل به سلطانا) يعنى حجة وبرهان واسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق من السليط وهو ما يستعج به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل (ومأواهم النار) لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حاكم في الآخرة فقال تعالى وماواهم النار أى مسكنهم (وبئس مشوى الظالمين) أى المسكن الذى يستقرون به وبقيمون فيه وكما بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما أوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي لما

أى هم محسنون والله يحبهم (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) يعنى الذين كفروا برؤسكم على أعقابكم) يرجعوا الى الشرك (فتنقلبوا خاسرين) قيل هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شئ حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وعن السدى ان تستكينوا الى سفيان وأعجابه ونسبنا منهم يرجعوا الى دينهم وقال على رضى الله عنه زلت في قول المنافقين للمؤمنين عند اهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم (بل الله مولاكم) ناصركم فاستعنوا عن نصره غيره (وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الرعب شأى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة (بما أشركوا بالله) بسبب انشراكهم أى كان السبب في القاء الله الرعب

في قلوبهم انشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) أنه لم ينزل الله بشرا كما حجة ولم يراد هناك حجة لانهم لم تنزل عليهم لان رجوع الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة وانما المراد في الحجة ونزولها جميعا كقوله ﴿واترى الضباب ينجزجر﴾ أى ليس ضباب ينجزجر ولم يعن ان بهاضا ولا ينجزجر (ومأواهم) مرجعهم (النار وبئس مشوى الظالمين) النار فالتخصيص بالتم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الى المدينة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أى حقق

(نوته منها وسنجزي الشاكرين) وسنجزي الجزء الميم الذين شكروا نعمة الله فبشغلهم شيء عن الجهاد (وكأين) أهله أي دخل عليه كاف التشبيه وصار في معنى كم التي للتشكيروا كن بوزن كاع حيث كان مكي (من نبي قاتل) قتل مكي وبصري ونافع (معهم بيون) حال من الضمير في قتل أي قتل كأننا معهم بيون (كثير) والريون الرابون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها والفتح على القياس لانه منسوب الى الرب والضم والكسر من تغيرات النسب (فأذهوا) فافتروا عند قتل نبهم (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بأبي في طلب الامان من أبي سفيان (والله يحب الصابرين) على جهاد الكافرين (وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أي وما كان قولهم إلا هذا القول وهو اضافة الذنوب الى

برذوب الآخرة نوته منها) يعني من ردد عمله الآخرة نوته ثوابه فيها نزلت في الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأعلم أن هذه الآية وإن نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فها وبذلك من أراد بعمله الدار الآخرة جازاها ايضا فيها (ق) عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنياه فجعلها الى نفسه ونزولها في رواية ينسكحها فهجرت الى ما هاجر اليه وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا راحة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشقت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب الله له ﴿ وقوله تعالى (وسنجزي الشاكرين) يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يردوا باعمالهم الى الله تعالى والدار الآخرة ﴿ قوله عز وجل (وكأين من نبي) أي وكمن من نبي (قتل معه) وقرى قاتل معه فن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه أحدها أن يكون القتل راجعا الى النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار قد يره قتل ومعهم بيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معهم بيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الرابين ويكون المراد البعض ويكون قوله فأذهوا راجعا الى الباقي والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فاضاعف الباقيون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل نال الرابين والنبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينهم بيون كثيرون قرأ قاتل معه ربيون كثير فالعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فاصابهم من عدوهم فروح وجراحات فها وهوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان لأصاهم فها هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة دينه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك بأمة محمد وحملة هذه القراء ما روى عن سعيد ابن جبيرة أنه قال ما سمعنا ان نبينا قاتل في القتال ﴿ وقوله (ربيون كثير) قال ابن عباس جوع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الرية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الانبياء (فأذهوا) أي فاجنبوا عن الجهاد في سبيل الله (لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا) يعني عن مجاهدة عدوهم بانما لهم ألم الجراح وقتل الاصحاب (وما استكانوا) يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمرهم وطاعة دينهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والانهكاس عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان والاقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم ان يقتدى هذه الامة بهم وترغب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد (والله يحب الصابرين) يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والجزع فان الله تعالى يحب ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن ارادة اكرامه وازيادته وابصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليائه واصفيائه ﴿ فمقال تعالى (وما كان قولهم) يعني قول الرابين (الآن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فدخل فيه جميع الصغائر والكبائر (واسرأفنا في أمرنا) يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجازة الخلد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر (وثبت أقدامنا) لكيلا نزل عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة

على أعقابكم) الفاء معلاقة
للعجالة الشرطية بالجملة التي
قبلها على معنى السبب
والهمزة لانكار أن يجملوا
خلاف الرسول قبله سببا
لانتقالهم على أعقابهم بعد
هلاكه بوقت أو قتل مع
علمهم أن خلاف الرسول قبله
وبقاء دينهم متمسك به يجب
أن يجعل سببا للتمسك بدين
محمد عليه السلام لا للانقلاب
عنه والانقلاب على العقين
محذور عن الارتداد أو عن
الانزها (ومن ينقلب على
عقبه فلن يضر الله شيئا)
وإنما ضر نفسه (وسيجزي الله
الشاكرين) الذين لم ينقلبوا
وسماها شاكرين لأنهم
شكروا نعمة الاسلام فبا
فعلوا (وما كان) وما جاز
(لنفس أن تموت إلا بأذن
الله) أي بعلمه أو بأن يأذن
ملك الموت في قبض روحه
والمعنى أن موت النفس
محال أن يكون إلا بمشيئة
الله وفيه تحرير على
الجهاد وتشجيع على لقاء
العدو وإعلام بأن الحذر
لا ينفذ وأن أحد الأيموت
قبل بلوغ أجله وإن خاض
المهلك واقتحم المعارك
(كتابا) مصدر مؤكد
لأن المعنى كتب الموت
كتابا (مؤجلا) موقتا
له أجل معلوم لا يتقدم ولا
يتأخر (ومن يرد) يقتله

(نواب الدنيا) أي العنيفة وهو نصر يرض بالدين شغلهم الغنائم يوم أحد (نوته منها) من نوابها (ومن

الغفر فنادت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبنسروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا إلى أن اسكت
فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فدينك
بأبائنا وأمهاتنا أنا نأخذ به بآلئك فقتلت فرعبت قلوبنا فإني نأخذ به من غيرك يا رسول الله عز وجل ومحمد
الرسول قد خات من قبله الرسل ومعنى الآية فيخبرهم عن كذا خات الرسل من قبله فكان أتباعهم بقوا
متمسكين بدينهم بعد خلاف أئمتهم فليعلم أنهم أنتم أن تمسكوا بدينه بعد خلافه لأن الغرض من بعث الرسول
تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة
إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله الحمودة والمستحق لجميع الحمد لانه الكامل في
نفسه صلى الله عليه وسلم فآكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم فسماه باسمين مشتقين من اسمه الحمود
سبحانه وتعالى فسماه محمد أو أحد وفي ذلك قول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده يبرهانه والله أعلى وأجده أغر عليه بالنبوة خاتم
من الله مشهور بلوح يشهده وفق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

(ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خسة أساء أنا محمد وأنا أحد وأنا الماحي
الذي يحو الله في الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي
وسماه الله رؤفا رحيا (م) عن أبي موسى الأشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنفسه
أسما فقال أنا محمد وأنا أحد وأنا الملقى ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله الملقى هو آخر الأنبياء الذي لا نبي بعده
والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وإنك لمن المرسلين (أفان
مات وأقبل انقلابهم على أعقابكم) يعني أنقلبوا على أعقابكم أن مات محمد وأقبل وترجعوا إلى دينكم الأول
يقال لكل من رجع إلى ما كان عليه رجوع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام أن الله تعالى يبين أن
موت محمد صلى الله عليه وسلم وأقبله لا يوجب ضعف في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سائر الأنبياء قبله وأن
أتباعهم ثبتوا على دين أئمتهم بعد موتهم (ومن ينقلب على عقبيه) يعني فيرد عن دينه ويرجع إلى
الكفر (فان يضر الله شيئا) يعني بارتداده لأن الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لأنه تعالى غني عن العالمين
وإنما يضر المرتد والكافر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه
لأنهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم أمنا شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيتب الله من
شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جابر عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في قوله وسيجزي الله
الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبكر وأصحابه وكان على يقول أبو بكر أمين الشاكرين وأمين
أخبار الله وكان أشكرهم وأجهم إلى الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله)
أي بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح ولا يموت أحد إلا بأذن
الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بأعلامهم بأن
الحيين لا ينفذ وأن الحذر لا يدفع المقدور وأن أحد الأيموت قبل أجله وإن خاض المهلك واقتحم المعارك وإذا
جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والحين وفي الآية أيضا كحفظ الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم عند غلبة العدو وتخليصهم منهم عند التفاهم عليه واسلام أصحابه له فأتجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما
لم يضره شيء (كتابا مؤجلا) يعني موقته أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن الله تعالى كتب لكل
نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيرها وقيل الكتاب هو الوالوح المحفوظ لأن فيه أجال جميع
الخلق (ومن يرد نواب الدنيا نوته منها) يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا بعمله نأوته منها ما يكون جزاء
لعمله والمعنى نأوته منها ما شاء على ما قدر الله له نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا العنيفة (ومن

المشركين فلهزموهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفاً وقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يشحن فأخذه أبو دجانة سماك بن خشة الانصاري فلما أخذه اعتم بعامة حراة وجعل يتختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية ببعضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما نظرت الرماة الى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينهبون الغنيمة قبلوا بر يدون التهب فلما رأى خالد بن الوليد قادة الرماة اشتغال المسامير بالغنمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله وجعل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهزموهم ورمى عبد الله بن قتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه وورباعيته وشجبه في وجهه فاقبله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعاوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين جلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها غنم بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يجعدن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك فلانداً وأعطتها وحشياً وبقرت عن كبد حزة رضي الله تعالى عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منها قطعة فلا كتبها فلم تسفها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قتيبة يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو يومئذ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قتيبة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قد قتلته محمد واصاح صارخ ألا ان محمد اقد قتل ويقال ان الصارخ ابلس الاعين فأنفكاً الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلاً غموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونزل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسائته وقال ارم فذاك أني وأمي وكان أبو طلحة قد جلا رامي ما شيد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يرمعه جعبة النبل فيقول انثره الا في طلحة وكان اذ ارمي تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنظره موضع نبله وأصابت يد طلحة بن عبيد الله فييدست وفي مهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على رجليه فدهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منافق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دامنه وكان أبي قبل ذلك باقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة علفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما دامنه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة بن الحارث بن العمة ثم استقبله وطعنه في عنقه وخذشه خدشه فسقط عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلي محمد فاحتمله أصحابه وقالوا ليس عليك بأس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بريئة ومضرت لقتلتهم أليس قال لي أنا أقتلك فلو برزني على بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يابث بعد ذلك الا يوم مات بوضع يقال له سرف (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم آدموا وجهه نبي فقالوا وفسا في الناس ان محمد صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسامير ليت لنا رسولاً الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا ما نمانن أبي سفيان وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالخوة ابديتكم الاول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك بما يقول هؤلاء يعني المسامير وأبرأ اليك بمجاهة هؤلاء يعني المشركين ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو الناس فاوّل من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال قد عرفت عينه تزهان تحت

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ) أَمْ مَنْقُطَةٌ وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ فِيهِ الْإِنْكَارُ أَيْ لَا تَحْسِبُوا (وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) أَيْ وَلَمْ يُجَاهِدُوا وَالْأَنْزِلَةُ فِي الْعِلْمِ مَعْنَى بِالْمَعْلُومِ قَدْ زِلَ النَّبِيُّ الْمُنْزَلَةُ فِي مَتَعَلْقَةٍ لَهَا مَعْنَى بِاتِّفَاقِهِ تَقُولُ مَا عَمِلَ اللَّهُ فِي فُلَانٍ خَيْرٌ أَيْ مَا فِيهِ خَيْرٌ حَتَّى يَعْلَمَهُ وَلَمْ يَعْنِ لِمَ الْأَنْزِلَةُ فِيهِ ضَرَامُنُ التَّوَقُّعِ فَدَلَّ عَلَى نَيِّْ الْجِهَادِ فِي مَاضِي وَعَلَى تَوَقُّعِهِ فَيَأْتِي سَتَدْبُلُ (وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ) نَصَبَ بَاضِمَارٍ وَالْوَاوُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ تَحْوِيلًا كُلُّ السَّمَكِ وَتَشْرِبُ اللَّبَنَ وَأَوْجَزَ لَمْ يَطْعَمْ عَلَى يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَعْمَحَ حَرَكَةُ الِيمِ لِلتَّلَاقِ السَّاكِنِينَ وَاخْتَبَرْتُ فَقَدْ جَعَلْتُ فَتَحَةً مَقَابِلَهَا (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) خُوطِبَ (٣٠٦) بِهِ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بِدَارِ الْوَيْتِ وَكَانُوا يَتَمَنُّونَ أَنْ يَحْضُرُوا وَمَشْهَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُنَالُوا كَرَامَةَ الشَّهَادَةِ وَهُمْ الَّذِينَ أَلْحُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَشْرِكِينَ وَكَانَ رَأْيُهُ فِي الْأَقَامَةِ بِالْمَدِينَةِ يَعْنِي وَكُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَشَاهِدُوهُ وَتَرْفُوا شِدْدَتَهُ (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أَيْ رَأَيْتُمُوهُ مَعَانِيْنِ مُشَاهِدِينَ لَهُ حِينَ قُتِلَ اخْوَانُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَشَارَفْتُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ وَهَذَا تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى تَعْنِيهِ الْمَوْتُ وَعَلَى مَا نَسَبُوا لَهُ مِنْ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَاجِهِمْ عَلَيْهِ نَمَّ أَنْهَزَهُمْ عَنْهُ وَأَعْمَحَ تَعْنُوا الشَّهَادَةَ لِيُنَالُوا كَرَامَةَ الشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ غَلْبَةِ الْكَفَّارِ كَمَنْ شَرِبَ الدَّوَاءَ مِنْ طَيِّبٍ نَهَرَ فِي فَإِنْ قَصَدَهُ حَصُولُ الشِّفَاءِ وَلَا يَخْطُرُ بِهِ أَلَّا أَنْ فِيهِ جَرْمٌ مُنْغَفًى إِلَى عَدَاوَتِهِ وَتَفْهِيْقًا صَاحِتُهُ لِمَارِيْ بْنِ قِيْثَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ فَكَسَرَ

أَيْ يَفْهَمُهُمْ وَيَهْلِكُهُمْ وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنْ قُتِلَ الْكَافِرُونَ فَهِيَ شَهَادَةٌ وَتَطَهَّرَ بِرِسْمِكُمْ وَأَنْ قُتِلْتُمْ وَهُمْ أَنْتُمْ فَهُوَ مُحَقَّقُهُمْ وَاسْتَنْصَحَهُمُ ﷺ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَمْ حَسِبْتُمْ) أَيْ بَلْ حَسِبْتُمْ وَظَنَنْتُمْ الْمَرَادَ بِهِ الْإِنْكَارُ وَالْعَنَى لَمْ تَحْسِبُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ (أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ) وَتَنَالُوا كَرَامَتِي وَتَوَابِي (وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) قَالَ الْأَمَلَامُ خَرَّ الدِّينَ الرَّازِي ظَاهِرَ الْآيَةِ بِدَلِّ عَلَى وَقُوعِ النَّسَبِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْمَرَادُ وَقُوعُهُ عَلَى نَيِّْ الْمَعْلُومِ وَالتَّقْدِيرُ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَصْدُرُ الْجِهَادُ عَنْكُمْ وَتَقَرُّ بِرَهَانَ الْعِلْمِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْمَعْلُومِ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَمَّا حَصَلَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ لِأَجْرٍ حَسَنٍ أَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَقَامَ الْآخَرِ وَقَالَ الْوَاحِدُ فِي النَّفْسِ فِي الْآيَةِ وَاقِعٌ عَلَى الْعِلْمِ وَالْمَعْنَى عَلَى الْجِهَادِ دُونَ الْعِلْمِ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيجَازِ فِي اخْتِصَافِهِ جِهَادًا لَوْ كَانَ أَعْلَمَهُ وَالتَّقْدِيرُ وَلَمْ يَكُنِ الْمَعْلُومُ مِنَ الْجِهَادِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ جَزَاءُ النَّفْسِ عَلَى الْعِلْمِ لِلْإِيجَازِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَسُّعِ فِي الْكَلَامِ إِذَا مَعْنَى مَفْهُومٍ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَالٍ وَقَالَ الزَّجَاجُ الْمَعْنَى وَلَمْ يَقْعِ الْعِلْمُ بِالْجِهَادِ وَالْعِلْمُ بِصَبْرٍ صَابِرِينَ أَيْ وَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ ذَلِكَ وَقَاعَةً مِنْكُمْ لَأنَّهُ بِهِ لَمْ يَغْيَا وَأَعْمَحَ إِيْجَازُهُمْ عَلَى عِلْمِهِمْ وَقَالَ الطَّبْرِيُّ يَقُولُ وَلَمْ يَتَّبِعْ لِعِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ مِنْكُمْ عَلَى مَا مَرَّ بِهِ (وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ) يَعْنِي فِي الْحَرْبِ وَعَلَى مَا نَالَهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِرَاحٍ وَأَلَمٍ وَكَرْدٍ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعَانِيْنِ أَنْهَزَهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَالْعَنَى أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُّونَ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ كَمَا دَخَلَهَا الَّذِينَ قُتِلُوا بِذُلِّهِمْ مَهْجُومًا لِرَهْمِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَبْرًا وَعَلَى أَلَمِ الْجِرَاحِ وَالضَّرْبِ وَتَبَتُّوا الْعَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْلُكَوا طَرِيقَهُمْ وَتَضْرِبُوا صَوْبَهُمْ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاقِلٌ بِشَهَادَتِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْكَرَامَةِ وَغِيْبًا فِي ذَلِكَ فَمَتَمُّوْا لَا يَسْتَهْجِدُونَ فِيهِ فَيُلْحِقُونَ بِاخْوَانِهِمْ فَأَرَاهُمُ اللَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ بَلَّشُوا أَنْ أَنْهَزُوا الْإِمْنُ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ فَانْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَقِيلَ إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَضِبُوا بِمَا كُيِّمَ بِدَرِيقَاتِهِمْ وَيَسْتَشْهَدُوا فَأَرَاهُمُ اللَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَمْنُونَ الْمَوْتَ أَيْ تَطْلُبُونَ أَسْبَابَ الْمَوْتِ وَهُوَ الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقُوا يَوْمَ أُحُدٍ (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ) يَعْنِي رَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَمْنُونَ وَالْهَاءُ فِي رَأَيْتُمُوهُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَوْتِ أَيْ رَأَيْتُمْ أَسْبَابَهُ مَعَانِيْنِ لَمْ يَشَاهِدِينَ قُتْلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ اخْوَانِكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) قِيلَ ذَكَرَهُ نَا كِيدًا وَقَالَ الزَّجَاجُ مَعْنَاهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَتَمَّ بِصَرَاكَاتِهِمْ رَأْيَ كَذَا وَكَذَا وَلَيْسَ فِي عَيْنِكَ عِلْمٌ أَيْ رَأْيُهُ رُؤْيَا حَقِيقَةً وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ مَا تَعْنِيْنِ فَلَمْ أَنْهَزْتُمْ ﷺ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) قَالَ أَهْلُ الْعَازِي خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالشَّعْبِ مِنْ أُحُدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ رَجُلٍ جَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ عَلَى الرَّجَالَةِ وَكَانُوا خَصْبِينَ رَجُلًا وَقَالَ أَقِيمُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ وَانْصَحُوا غَاثَ النَّبْلِ حَتَّى يَأْتِيَا نَامُنَ خَلْفَنَا فَإِنْ كَانَتْ لَنَا وَعَلَيْنَا لَتَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ فَأَنَّا نَزَلَ غَالِبِينَ مَا بَيْنَهُمْ مَكَانَكُمْ وَكَانَتْ فَرِيشٌ عَلَى يَمِينِهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى يَسَارِهِمْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَمَعَهُمُ النِّسَاءُ يَضْرِبْنَ بِالْهَدَفِ وَيَنْشُدْنَ الْأَشْعَارَ فَقَاتَلُوا حَتَّى حَبِطَ الْحَرْبُ وَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ عَلَى

رَبَابِيَةٍ أَقْبَلَ بِرَيْدِهِ فَلَذَبَ عَنْهُ مَصْعَبٌ مِنْ عَجَبِهِ وَصَاحَبُ الرِّايَةِ حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ قِيْثَةَ وَهُوَ بَرِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قُتِلَتْ مُحَمَّدٌ وَأَخْرَجَ صَارَ خَيْلُ هُوَ الشَّيْطَانُ الْأَنْجِدُ أَقْدَقْتُ فَمَشَا فِي النَّاسِ حَبْرُ قَتْلِهِ فَانْكَسَرُوا وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ حَتَّى انْخَازَتْ إِلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَامَهُمْ عَلَى هَزْمَتِهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَانَ بَأْسُكُمْ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ نَاخِبُ قِتْلِكَ فَوَلِيْنَا دَبْرَ بَرٍّ فَنَزَلَ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فَسَيَخْلُوكَ خَلَاوًا كَأَنَّ أَتْبَاعَهُمْ يَقْبُورُ مَعَكُمْ بَيْنَهُمْ أَدَّ خَلَاوَهُمْ فَوَالَيْكُمْ أَنْ تَفْسُكُوا بِدَبْنِهِ أَدَّ خَلَاوَهُ لَأَنَّ الْقَصْدَ مِنْ إِهْمَةِ الرُّسُلِ بِإِلْغَائِ الرَّدِّ وَالْإِزَامِ الْحَقُّ لِرَجُودِهِ يَنْظُرُ قَوْمَهُ

المشركين

فيوم هؤلاء يوم هؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلاً
 وأسر سبعين وأدبل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا نحو سبعين ٢
 (خ) عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم أحد وكانوا خمسة عشر رجلاً وهم
 الرعدة عبد الله بن جبير قال ان رأيتهم وناحت طغنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان
 رأيتهم وهازمتا القوم وطشتهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم فهازمتهم الله قال فانا والله رأيت النساء يشتدن
 قد بدت خلاخلهن وأصوفهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنمية أي قوم الغنمية ظهر
 أصحابكم فانتفخون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله
 لنا ثمن الناس فلنصيب من الغنيمة فلما أئوهم صرف وجوههم فاقبلوا منهم من فذلك قوله والرسول
 يدعوكم في أخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً فاصابوا من سبعين رجلاً وكان النبي
 صلى الله عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً فقال أبو
 سفيان في القوم محمد ثلاث مرات فهازمتهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال في القوم ابن أبي جحافة
 ثلاث مرات ثم قال في القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فمالك
 عمر نفسه فقال كذبت والله أبعد والله ان الذي عدت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما سواك قال يوم يوم بدر
 والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثله لم أسرهم ولم تسؤي ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجيبوه فقالوا يا رسول الله ما تقول قال قولوا لله أعل وأجل قال أبو سفيان
 * ان اناعزى ولا عزى لكم * فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجيبوه قالوا يا رسول الله ما تقول قال قولوا
 * الله مولانا ولا مولى لكم * قال البغوي وقدرى هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان
 يوم يوم وان الانام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلناكم في النار قال الزجاج الدولة
 تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا طم الغالبون فكانت يوم أحد لكفار على المسلمين
 لما خافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا) يعني انما جعل الدولة للكفار
 على المسلمين لتمييز المؤمنين من الكفار على وجهه من كذبته وكذبته وكذبته وكذبته وكذبته وكذبته وكذبته
 بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي يعرفهم بأعيانهم لأن سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف هنا
 وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
 ليقع ما علمه عيانا ومشاهدة للناس والمجاز اذا تعاقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم
 أولياءه فأضاف عليهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتنياز بين المؤمنين والمنافقين فوضع العلم
 موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم (ويتخذ منكم شهداء) يعني وليكرمهم وقوام منكم بالشهادة
 عن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوام المسلمين قوامهم يوم بدر وكانوا يمشون لقاء العدو وان يكون لهم
 يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو وياتمون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين
 بسيف الكفار في المعركة واختالفوا معنى الشهيد فقيل الشهيد الحى لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
 يرزقون قالوا وحيه حضرت دار السلام وشهدتها وأرواح غيرهم لا تشهدا وقيل سمي شهيد لان الله
 شهد له بالجنة وقيل سمو شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة
 تكون للافضل فالأفضل من الامة ولان من صب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية (والله لا يحب الظالمين)
 يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا أنفسهم بما عاصوا وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم
 ويسرون الكفر والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد (وليعلم الله الذين
 آمنوا) أي وليظهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم وأصل المحص في اللغة التنقية والازالة (ويعلم الله الذين)

(وليعلم الله الذين آمنوا)
 أي ندأول الضروب من
 التدبير وليعلم الله المؤمنين
 يميز بين الصبر والايمان من
 غيرهم كما علمه قبل الوجود
 (ويتخذ منكم شهداء)
 وليكرمهم باسمكم بالشهادة
 يريد المستشهدين يوم
 أحداً ويتخذ منكم من
 يصلح للشهادة على الامم
 يوم القيامة من قوله
 لتكنوا شهداء على الناس
 (والله لا يحب الظالمين)
 اعتراض بين بعض التاميل
 وبعض ومعناه والله لا يحب
 من ليس من هؤلاء الثابتين
 على الايمان المجاهد في
 سبيله وهم المنافقون
 والكافرون (وليعلم
 الله الذين آمنوا) التاميل
 التطهير والتصفية (ويعلم
 الكافرين) ويهلكهم
 يعني ان كانت الدولة على
 المؤمنين فليتميزوا بالاستشهاد
 والتاميل وان كانت
 على الكافرين فليمحى
 ومحوا آثارهم
 ٢ قوله (خ) عن البراء
 كانه رواه بالخطي اذ رواه
 البخاري في غزوة أحد تغاير
 هذه لفظاً اه مصححه

(فسروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فتعبروا بها (هنا) أي القرآن وأما تقدم ذكره (بيان للناس وهدي) ي ارشاد (وموعظة) ترغيب وترهب (٣٠٤) (للمتقين) عن الشرك (ولانتهوا) ولا تضعوا عن الجهاد لما أصابكم من

الكفرة بآلهة الواسعة راجي آياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهمس الذي أجلته لاهلاكم (فسيروا في الأرض) أمر نذير لآل على سبيل الوجوب بل المقصود تعريف أحوال الماضين بقوله (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الامم الماضية ليصبر ذلك داعيهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا جزع للكافر عن كفره لانه اذا تأمل أحوال الكفار واهلاكم صار ذلك داعيهم الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له أثر في النفس كاقيل ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وفي هذه الآية تسليلا لمحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة فاني انما هلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهمس الذي أجلته لهم في اهلاكم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأولياته وهلاك أعدائه ﴿ قوله تعالى (هنا) يعني القرآن وقيل هو اسم إشارة الى ما تقدم من أمره ومنه يومه ووعده ووعيد (بيان للناس) يعني عامة (وهدي) يعني من الضلالة (وموعظة للمتقين) يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشاد المأمور بسلكه دون طريق الباطل والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالخصل أن البيان جنس تحت نوعان أحدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خصص المتقين بالهدى والموعظة لانهم المستفدون به مادون غيرهم ﴿ قوله عز وجل (ولانتهوا ولا تعجزوا) نزلت يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحجابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حزن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الآية ولانتهوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تعجزوا يعني في الجنة (وأنتم الاعلون) يعني بالنصر والقلبة عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين بريدان يحملون الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعاوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فتأبى نفر من المسلمين رماة فصدوا الجبل وراه وخيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون وقيل وأنتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الاعلون في العاقبة لانكم تنظرون بهم وتستولون عليهم (ان كنتم مؤمنين) أي اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حتى صدق وقوله تعالى (ان يمسككم قرح) قرى بضم القاف وبفتحها وهما اغتان ومعناها واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم للجراحة والضم ألم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسككم أي المسلمون قرح يوم أحد (فقد مس القوم) يعني الكفار (قرح مثله) يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار قد ناهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم (وتلك الايام نداول بين الناس) المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا انتقل من واحد الى آخر ويقال الدين اداول أي تنتقل من قوم الى آخر ثم منهم الى غيرهم والمضي ان أيام الدنيا هي دول بين الناس والضعف وقيل بالفتح

الجزية (ولا تعجزوا) على ما فاتكم من التهمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وقوة لقلوبهم (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد وأنتم الاعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعدا والغلبة وان جندنا هم الغالبون أو أنتم الاعلون شأننا ان قتالكم بقلوبكم وقلوبكم كآمتهم وقتالهم للشيطان ولا عداة لكم الكفر ولا ان قتالكم في الجنة وتنتالهم في النار (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي أي ولانتهوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقوله للمداولة بآدمه أو بالاعلان أي ان كنتم مصدقين بما يمسكم الله بهو بمشركهم من الغلبة (ان يمسككم قرح) بضم القاف حيث كان كوفي غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما الفتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح

الجراحة والضم ألم الجراحة وبقوله (ان يمسككم قرح) أي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نالتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يتعجزوا عن معادتهم الى القتال فانتم أولى ان لا تضعفوا (وتلك) مبتدأ (الايام) صفته والخبر (نداولها) نصرها (بين الناس) أي نصر ما فيها من النعم والنعم اعطى هؤلاء نعمة وطور هؤلاء كبيت الكتاب فيوما علينا وبومالنا * وبومالنا وبومالنا

الى هؤلاء عن النوري
الاحسان أن تحسن الى
المسيء فان الاحسان الى
المحسن، تاجرة (والذين
اذا فعلوا فاحشة) فعلة
متزايدة القبح ويجوز أن
يكون والذين مبتدأ خبره
أولئك (أو ظلموا أنفسهم)
قيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة أو
الفاحشة الزنا وظلم النفس
القبلة واللمسة ونحوها
(ذكروا الله) بلسانهم أو
يقولونهم ليعينهم على التوبة
(فاستغفروا لنونهم)
فتابوا عنها القبحات ناديين
قيل بكى ابليس حين نزلت
هذه الآية (ومن يغفر
الذنوب الا الله) من مبتدأ
ويغفر خبره وفيه ضمير
يعود الى من وال الله بدل
من الضمير في يغفر والتقدير
ولاً أحد يغفر الذنوب الا الله
وهذه جملة معترضة بين
المعطوف والمعطوف عليه
وفيه تطيب ليقوس العباد
وتنسيط للتوبة وبعث
عليها وردع عن اليأس
والقنوط وبيان لسعة
رحمته وقرب مغفرته من
التائب واشعار بان الذنوب
وان جلت فان عفوه أجل
وكرمها أعظم (ولم يصروا
على ما فعلوا) ولم يقيموا
على قبيح فعلهم والاصرار

الآية على العموم وقيل أراد بالناس المالك لسوء أدب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل يعفون عن
ظلمهم وأساء اليهم وهو قريب من القول الاول (والله يحب المحسنين) يحتمل أن تكون الامام للحسن
في تناول كل محسن ويحتمل أن تكون لله بد فتكون اشارة الى انه كورين في الآية والاحسان الى
الغير انما يكون بايصال النفع اليه أو بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان أن تحسن لمن أساء اليك فان الاحسان
الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل أحد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت
الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه افعال المذكورة في هذه الآية فغن فعلها
فهو محسن ولما كانت هذه افعال احسان الى الغير ذكر الله نواها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله
تعالى للعبد اعظم درجات الثواب ﴿قوله عز وجل﴾ (والذين اذا فعلوا فاحشة) قال ابن مسعود رضي الله
عنه قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان أحدهم
اذا اذنب ذنباً أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابها اجدع أنفك اذ نكأ فمك كذا فمك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عطاه ابن عباس انها نزلت في تيهان التمار اتمتها امرأه أحسناء
تبتاع تمر فتراقل طهان هذا التمر ليس بمجدوف في البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقيلها
فقال له اتقي الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فغزلت هذه الآية وفي
رواية أبي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بين رجلين أحدهما أنصاري والآخر
ثقي فخرج الثقي في غزو فاستخلف أياه الانصاري على أهله فاشتري لهم ذات يوم لحفا فلما أرادت المرأة
أن تأخذه منه دخل على أثرها وقيل بذهبا فندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما
رجع الثقي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لأكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له
الحال والانصاري يسبح في الجبال نائبا مستغفرا فطلبه الثقي حتى وجده فأتى به الى أبي بكر رجاء أن يجد
عنده راحة وفرجاً فقال الانصاري هلك وذكر القصة فقال أبو بكر وبك أمان عات ان الله تعالى يغار
لله اذى ما لا يغار للمقيم ثم لقيهما فقال لهما مثل ذلك فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتكما
فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه
من الافعال والاقوال وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا فوله تعالى (أو ظلموا
أنفسهم) ظلم النفس ما دون الزنا مثل القبلة والمعاينة والمسل والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي
الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو أي ذنب كان (ذكروا الله) يعني
ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يأثمهم عن ذلك يوم الفرع الاكبر وقيل ذكر واجلال الله الموجب لحياء
منه وقيل ذكر كروا الله باللسان عند الذنوب ﴿وهو قوله تعالى﴾ (فاستغفروا لذنوبهم) يعني لاجل
ذنوبهم فتابوا منها أو فعلوا عنها ناديين على فعلها عازمين على أن لا يعودوا اليها هذه شروط صحة
التوبة المقبولة (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة والتائب من الذنب
عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفرغ للذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد
لا يطلب المغفرة الا منه وأنه القادر على عقاب الذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه
لا يجوز طلب المغفرة الا منه (ولم يصروا على ما فعلوا) يعني لم يقعوا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها
وأتابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما أصر من استغفر ولوعاد في اليوم سبعين مرة أخرجه أبو داود وقال حديث حسن غريب
وعنده عوض ولوعاد ولو فعل (وهم يعلمون) قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وان لهم ما يغفروها

الاقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة

مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من الضمير ولم يصروا أي وهم يعلمون أنهم أساءوا وهم يعلمون انه لا يغفر ذنوبهم الا الله

وقيل

وان كان الاول فهمي لهم أيضا في العاقبة ويوقف عليه ان جعل (الذين ينفقون

أَجُورَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَلَا يَقُومُ الْإِمَامُ عَنِ ابْنِ عَيْنٍ أَنَّهُ رَوَاهُ الرَّشِيدُ وَقَدْ غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ خَلَّاهُ

(المسلم فله حوت وانقوا النار التي أعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار الممدة للكافرين ان لم يتقوه (٣٠٠) في اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفيقهم

بغنى في كل رايلانا كاوه (المسلم فله حوت) أي لكي تسعوا وبوابه في الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو كل لم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دلائل على ان كل راى من الكبار ولذا أعقبه بقوله تعالى (وانقوا النار التي أعدت للكافرين) يعني وانقوا أي المؤمنين ان يستحلوا شيئا عا حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا نريد للمؤمنين ان يستحلوا حرم الله عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم هـ هذه الآية تخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدلة للكافرين ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحد في هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لان قال أعدت للكافرين فيجعلهم أمدة للكافرين دون المؤمنين (وأطيعوا الله) يعني فيما أمركم به وأنها كمنعه من كل الربا وغيره (والرسول) أي وأطيعوا الرسول أيضا فان طاعة طاعة الله قال محمد بن اسحق في هذه الآية معاتبه للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد (المسلم فله حوت) أي لكي ترجوا ولا تعذبوا اذا أبغضتم الله ورسوله فان طاعة الله مع عصيتموه نعمة يست بطاعة الله قوله عز وجل (وسارعوا الى المغفرة من ربكم) يعني وبادروا واصبقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المأمورة بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن أبي طالب الى أداء الفرائض لان اللفظ مطاق فيعم الكل وكذا وجهه من قال الى جميع الطاعات وروى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير انه التنكير الاولى يعني تنكير الاحرام وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى الجهاد (وجنة) أي وسارعوا الى الجنة وانه من فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وقيل اشعار بان لا بد من المسارعة الى التوبة الواجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة (عرضها) أي عرض الجنة (السماوات والارض) يعني كعرض السماوات والارض لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد منها وانما يخص العرض بالمباغلة لان الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السماوات والارض طبقة اما قبله وصل البعض ببعض حتى يكون طبقة واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر

كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

والاصل فيه ان ما تسمع عرضك لم يبق ولم يدق وما ضاق عرضك فجعل العرض كناية عن السعة وروى ان هرقل أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى الجنة عرضها السماوات والارض فابن النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعان الله فابن الليل اذا جاءه النهار قيل منناه والله أعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفلى وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنده أصحابه فقالوا أرايت قولكم وجنة عرضها السموات والارض فابن النار فقال عمر بن الخطاب أرايت اذا جاء الليل فابن يكون

على طاعته وطاعة رسوله بقوله (وأطيعوا الله والرسول للمسلم ترجون) وفيه مرد على المرتضى في قوله لا يضر مع الامعان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من الهمة قد بدخلها ولكن عاقبة أسرها الجنة وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال أهل التفسير ان لعل وعسى من الله للتحقيق ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابه رضائته تعالى وعزة اتوصل الى رحمته وثوابه (وسارعوا الى المغفرة من ربكم وجنة) سارعوا مدني وشامي فمن أثبت الوار عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يوصل اليهما ثم قيل هي الصلوات الخمس أو التنكير الاولى والطاعة أو الاخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات (عرضها السموات والارض) أي عرضها عـ عرض السماوات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها

بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لانه في العادة أدنى من الطول للمباغلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسيع سموات وسيع أرض لو وصل بعضها ببعض وبارى ان الجنة في في السماء السابعة وفي السماء الرابعة فغناها بها جهتها لانها فيها وفي بعضها كما يقال في الدار بستان وان كان يز يد عليها لان المراد ان بابها

الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله من جده بنا
لك الحمد فانزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء ليقوله فانهم ظالمون (ق) عن أبي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسامة بن هشام وعياش
ابن أبي ربيعة المستضعفين بمكة اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد
في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاجتماعهم من العرب حتى أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الآية سبحانه في
رواية يونس اللهم العن رعدا ولاذكون وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بانها ان ترك ذلك أنزل الله
ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم أحد ثم اختلفوا في سبها
وقيل ان عتبة بن أبي وقاص شيخ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر ربا عيته (ق) عن أنس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربا عيته وشيخ في رأسه فجعل يسأل الدم عنه ويقول كيف يفلح
قوم شجوانيتهم وكسروا ربا عيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل
أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعوا عليهم بالاستئصال فأنزلت هذه الآية وذلك لعلمه بأن أكثرهم يسلّمون
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عجرة رأى ما صنعوا به من المثلة أراد ان يدعوا عليهم فأنزلت
هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كما يحتمل فلا يبعد جل الآية في النزول على كاهها ومعنى الآية ليس لك
من امره صالح عبادي شيء الا ما أوحى اليك فان الله تعالى هو مالك أمرهم فاما ان يتوب عليهم أو يعذبهم
فيسلّموا أو يهلكهم أو يصروا على الكفر وقيل ليس لك مسئلة هلاكهم والدعاء عليهم لانه
تعالى أعلم بمصالحهم وفر بابا على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من أمر خافي شيء الا ما أوحى امرى
انما أنت عبد مبعوث لانذارهم وبجاءتهم وقيل ان قوله أو يتوب عليهم معطوف على قوله لا يقطع طرفا وقوله
ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا
أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امرى في ذلك كله قال
بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم وانهم ان الله تعالى علم من حال بعض
الكفار انه يسلم فيتوب عليهم أو سيولد من بعضهم ولد يكون مساهبا في اتياف لاجل هذا المعنى منعه الله تعالى
من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم بحجة فلو دعاهم بالهلاك هلكوا جميعا لكان اقتضت حكمة
الله وما سبق في علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم
بالموت وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة
وهو عذاب النار (فانهم ظالمون) هو كالتعليق اعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى (ولله
ما في السموات وما في الارض) هذان كما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون الامر
لن الله ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الله تعالى وليس لاحد معه امر (يقفران يشاء) بفضله
ورحمته (ويعذب من يشاء) بعدله يحكم فيهم بما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله (والله غفور
رحيم) يعني انه تعالى يسترد ذنوب عبادوه يقفرها ولم يبرحهم بترك العقوبة عنهم عاجلا ولا تأخيرا فعل ذلك
على سبيل التفضل والاحسان الى عباد له على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة
اكان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب ﴿ قوله
عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا واضعافا مضاعفة) أراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول
الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جاء الاجل
ولم يكن للمدبون ما يؤدى قال له صاحب الدين زدني في المال حتى أزورك في الاجل فربما عفا لو ادلك
مرافيعير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم أصل الربا بمضاعفته (واتقوا الله)

فتمشي منهم وقيل أراد ان
يدعوا عليهم فنهى الله تعالى
لعلمه ان فيه من يؤمن
(فانهم ظالمون) مستحقون
للعناب (ولله ما في
السموات وما في الارض)
أى الامر له لانه ما في
السموات وما في الارض
ملكه (يقفران يشاء)
للمؤمنين (ويعذب من
يشاء) الكافرين (والله
غفور رحيم يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا الربا
أضعافا مضاعفة)
مكي وشامي هذا من
الرباع التوبيخ بما كانوا
عليه من فضيحة كان
الرجل منهم اذا بلغ الدين
محله يقول اما ان تقضى
حدي في أوبري وأزيدني
الاجل (واتقوا الله) في
أكاه

مسمومين) بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيالهم بعلامة يعرف بها في الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنانهم أغبرهم بفتح الواو أى معلمين قال السكبي معلمين بمعانهم صفر مر خاة على أى كتابهم وكانت عمارة الزير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزات ألف فاضار وإثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف (وما جعله الله) الضمير يرجع إلى الامد الدلى دل (٢٩٨) عليه ان يكتم (الاشرى لكم) أى وما جعل الله امد ادمكم بالملائكة الا بشارة

سورة الانفال وذكرها ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة أحديف يكون المجموع ثمانية آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفردة (مسمومين) قرئ بفتح الواو وبكسرهما فن فتح الواو اذ ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا فاهم مسمومون والسومة والسبا العلامة وهذه العلامة علمه الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنتره

فعر فوفى اتنى أنا ذل لكم * شاكى سلاح في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل إلى الملائكة والمعنى انهم أعلموا أنفسهم بعلامات مخصوصة أو أعلموا خيالهم واختلافوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل باقى وعليهم عمامة صفراء وقال على وابن عباس كان عليهم عمامة بيض قد أرسلوها بين أى كتابهم وقال هشام بن عروة والسكبي كانت عليهم عمامة صفراء على أى كتابهم وقال قتادة والضحاك كانوا فاضاروا بها عن بني الصوف المصبوغ في نواصي دوابهم وأذنانهم أوروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الأبيض في قلاسيهم ومغارهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمارة الزير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا أنفسهم بها القتال ﴿ قوله تعالى (وما جعله الله) يعني هذا الوعد والمعد (الاشرى لكم) يعني بشارة بانكم تنصرون فتبشرون به (ولتطمئن) أى ولتسكن (قلوبكم) أى فلان تجزع من كثرة عدوكم وقلة عددكم (وما النصر الا من عند الله) يعني لتأخيلوا النصر على الملائكة والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض أن يكون نواصيهم على الله تعالى الملائكة الذين أمدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب (العزيز الحكيم) معنى فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العزوه وكال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم فلا تخفى عليه مصالح عباده (ليقطع طرفا من الذين كفروا) هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا وقيل معنا ليهدم ركننا من أركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر منهم وساداتهم سبعون وأمر سبعون ومن حمل الآية على غزوة أحد قال قد قتل منهم مائة وعشرون وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (أو يكذبهم) أصل الكذب في اللغة صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والظرب وأما الاهلاك واللعن والخزى (فينقلبوا خائبين) أى بالخسبة لم ينالوا شيئا من الذي املوه من الغنم بكم ﴿ قوله عز وجل (ليس لك من الامر شئ) أو يتوب عليهم أو يعذبهم) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزات في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة ثار ببع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقت شهر افي الاصول كلها يدعى على جماعة من تلك القبائل باللعن (خ) عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من

لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم) كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقرب به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة (العزيز) الذي لا يغاب في أحكامه (الحكيم) الذي يعطي البصر لايامه ويبتليهم بجماد أعدائه واللام في (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأمر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر الا من عند الله أو يمددكم بكم (أو يكذبهم) أو يخبر بهم ويغفلهم بالظنية وحقيقة الكذب شدة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لاجله (فينقلبوا خائبين) فيرجعوا غير ظافرين بمقتداهم (ليس لك من الامر شئ) اسم ليس شئ والخبر لك من

الامر حال من شئ لانه صفة مقدمة (أو يتوب عليهم) عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكذبهم وليس الركون لك من الامر شئ اعراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ان الله تعالى مالك أمرهم فاما ان يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا (أو يعذبهم) ان أسروا وعلى الكفر وليس لك من أمرهم شئ اعلمت عديدهم لا تذاكرهم ومجاهدتهم وعن الفراء أو يعذب حتى وعن ابن عدي بمعنى الا أن كقولك لا زملك أو تعطيني حتى أى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرج بحالهم أو يعذبهم

واشتد أناسه جبريل فقال قد وضعت أسلحاً والله ما وصعناهُ اخرج اليهم قال قال أين قال ههنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم (خ) عن أنس رضي الله عنه قال كفى أنظر إلى العباس ساطعاً في زقاق بني غنم وكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وقال عبد الله ابن أبي أوفى كنا نحاصر بني قريظة والنضير من أضاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدار رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه أذ جاءه جبريل عليه السلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرقه فلف بهاراً سهلاً ولم يغسله ثم نادى فينا فقامنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحاً سيراً وقال ابن جرير الطبري وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين أن يكفوا عن أن يذكروا بكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم فوعدهم بخمسة آلاف أن صبروا لأعدائهم وانقوا ولأدلة في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز أن لا يكون أمدهم ولا ثبت ذلك إلا بصح قوله به الحجة في ذلك وقد ثبت بص القرآن أنهم أمدوا يوم بدر بالف من الملائكة كافي سورة الانفال وأما يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أي من أمدوا بهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم ينزروا ولم ينزل منهم ما نزل منهم فإن قلت فما صنع محمد بن سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن عيين النبي صلى الله عليه وسلم وشاله قلت إنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لأنه صبر ولم ينزركم كاهنهم أصعبه يوم أحد وأما التقدير بقوله تعالى أذنت للمؤمنين فعلى قول من قال إن هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ولقد نصركم الله بيدراً وتم أذلة أذنت للمؤمنين ومن قال هذا يوم أحد يقول نظراً للآية أن الله ذكر قصة أحد ثم أتبعه بقوله ولقد نصركم الله بيدراً وتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر المواطن ثم يرجع إلى قصة أحد فقال تعالى أذنت للمؤمنين أن يكفوا عنكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالأمر مع بلوغ المراد أن يذكروا بكم لامتداد أمانة الجيش فما كان على جهة القوة والأمانة يقال له أمد ما مدادوماً كان على جهة الزيادة يقال فيه مدد أو قيل المدد في الشراء والمداد في الخبر بثلاثة آلاف من الملائكة مترايين إنما وعدهم الله بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم وبقوا بنصر الله ويعزوا على الثبات إلى تصديق وعد الله أي إلى نعمكم وقيل إلى استحباب المأبذ أن يعني بكفكم الامداد بهم فوجب الكفاية أن تنصروا أي على لقاء عدوكم وتوقوا أي معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتونكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء الأمر بوجد فيه ثم يوصل بأخرف قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء خروجه يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم يوم بدر يمددكم بكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمه بل أراد معهم فمن قال إن هذا الامداد كان يوم بدر قال إن الله تعالى أمدهم بالف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق على المسلمين ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يكفوا عن أن يذكروا بكم الآية على تقدير أن يحجى العشر كين المدد فلما علم بمدوا الله المسلمين بفراأف وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبر بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينما أنا أمتح من قليب بدر جاءت ریح شديدة لم أر أشدهم جاءتهم فجاءت ریح شديدة لم أر أشدهم إلا التي قبلها ثم جاءت ریح شديدة لم أر أشدهم إلا التي كانت قبلها فكانت الریح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الریح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والریح الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل إلى الكثير فقال لأن الله تعالى ذكر الألف في

عن اثنين منهم به عن الله تعالى يجعل نصرتهكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتفقتم

(سميع علم) - سمع لافو الحكم عليهم بنياتكم وضامركم روى ان المشركين نزولواخذ يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عابه ودعا عبد الله بن ابي فاستشاره فقال اقم بالمدينة فما خرجنا على عدو فطال الاصاب منا وما دخلنا على الاصابنا منهم فقال عليه السلام
 رايت في منامي بقرامذجة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيق ثلثة فاولتها هرا عتورتا كاني ادخلت بدري في درع حصينة فاولتها
 هرا فلم يزل به قوم يشطون في الشهادة حتى لبس لامتهم ندموا (٢٩٥) فقالوا الامر اليك يا رسول الله

فقال عليه السلام لا ينبغي
 نبي ان لبس لامته فيصمها
 حتى يقاتل فخرج بعد صلاة
 الجمعة وأصبح بالشعب من
 أحد يوم السبت للنصف
 من شوال (اذمته) بدل
 من اذغوث أو عمل فيه
 معنى عليم (طائفتان
 منكم) حيان من الاضرار
 بنو سلمة من الخزرج وبنو
 حارثة من الاوس وكان
 عليه السلام خرج الى أحد
 في ألف والمشركون في ثلاثة
 آلاف ووعدهم الفتح ان
 صبروا فاختزل عبد الله بن
 أي ثلث الناس وقال علام
 تقتل أنفسنا وأولادنا فهم
 الحيان باتباعه فعد معهم
 الله فغضوا مع رسول الله
 (أن تقتل) أي بان تقتل
 أي بان تحبوا ونضاعوا القتل
 الجبين والخور (والله
 وإلهما) محبهما وأنصرهما
 أو متولى أمرهما فخالهما
 تقتلان ولا توتلان على
 الله (وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) أمرهم بان لا
 يتوكلوا الا على الله ولا يفتوضوا
 أمورهم الا اليه قال جابر والله
 ما يسرنا نالهم بالذي هم معنا

وقفة بدر فطلبو المدبرين وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله أن يقطعهم عن هذا القول
 لا يقدمو على قتله من مخافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان بركة
 علة الله وطاعة رسولهم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكلوا راجعين على المسلمين فانهم
 سلمون وباقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعلي والعباس ٣ وطلحة
 سعد وكسرت ربا عير رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجع وجهه يومئذ وكان من أمر غزوة أحد ما كان فذلك
 له تعالى واذغوث من أهلك أي واذا كراذغوث من أهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة
 ثبته رضي الله عنها قوله من أهلك فنص الله تعالى على انهم من أهله نبؤى المؤمنين أي تنزل المؤمنين
 أعد للقتال أي واطمأن ومواطن للقتال وقيل تصدع عسكر القتال (والله سميع) يعني لافو الحكم (عليهم)
 انكم ورايت ضامركم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (اذمته طائفتان منكم أن تقتل) أي تحبوا وتضعافعا
 زال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله
 لي الله عليه وسلم خرج الى أحد في ألف رجل وقيل في تسعمائة وخسين رجلا وكان المشركون ثلاثة آلاف
 جل فلما بلغوا الشوط اتخذ عبد الله بن ابي ثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام تقتل أنفسنا
 ولا تدافعوا بوجار السلمي وقال أنشدكم الله في نبيكم رأيت أنفسكم فقال عبد الله بن ابي لو علم قتالا لا تبعناكم
 تمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فمعهم اثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ابن عباس أضمر وأن رجعا فزعم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم فقال
 تمت طائفتان منكم أن تقتل (والله وإلهما) أي ناصرهما وحافظهما ومتولى أمرهما بالوفيق
 مصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والآية تدل على ان الطائفتين قد عزمتا على القتل وترك
 قتال ذلك معصية فكيف مدحهم الله تعالى بقوله والله وإلهما قلت الهم قد يدبر اديه العزم وقد يدبر اديه
 مدبث النفس واذا كان كذلك حمل الهم على حديث النفس هنا أولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث
 نفس وبه ضده قول ابن عباس أنهم أضمر وأن رجعا فاما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله وإلهما (ق) عن جابر قال زلت فينا اذمته طائفتان منكم
 انقتلنا والله وإلهما قال نحن الطائفتان : بنو حارثة وبنو سلمة وما يسر في انهم لم ينزل اقول الله والله وإلهما
 به الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فهم آية ناطقة مفسحة بان الله ولهم وان تلك الهممة
 في ههنا ما خرجتهم من ولاية الله تعالى ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوكل تفعل
 ن وكل أمره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به والتوكل هو الجز والاعتماد على الغير وقيل هو
 بويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله عباده المؤمنين أن لا يتوكلوا الا عليه وأن لا يفتوضوا
 سرهم الا اليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واقصد نصركم الله بيد) بدرا سم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو
 سم لبئر هناك وكانت البئر لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر كرامة المؤمنين منته عليهم بالصر يوم بدر (وأتم
 ذلة) جمع ذليل وهو جمع قلة وأراد به قلة العددين المسلمين كانوا ثلثمائة بضعة عشر وفي رواية وثلاثة
 عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك

ما أخبرنا الله به ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل ما يسرهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة فقال (واقصد نصركم الله بيد) وهو اسم
 بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر بدرا بعد أحد لجمع بين الصبر والشكر (وأتم ذلة) لقلة العدد فانهم كانوا اثناثة
 بضعة عشر وكان عدوهم زهاء ألف مقاتل والعدو فانهم خرجوا على النواضح يعقب النفر منهم على البير الواحد وما كان معهم الا فرس
 احد ومع عدوهم مائة فرس والسيكة والشوكة وجاء بجمع القلة وهو أدلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قايلا

نصر واعلى طاعة الله وما ينالككم فيها من شدة (وتتقوا) أى تخافوا ربكم وفيل وتتقوا ما منهاكم عنه وتهاوا عليه (لا يضركم) أى لا ينقصكم (كيدهم) أى عداوتهم ومكرهم (شيأ) أى لا تنكم في عناية الله وظله (ان الله بما يعملون) قرى بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم وأذاكم فيهمم تاليه وقرى بالتاء على خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما يعملون أي المؤمنون من الصبر والتقوى فجا يك عليه (يحيط) أى عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شئ منه ﴿ قوله عز وجل (واذ غدت من الك نبوى المؤمنين مقاعد للقتال) قال جهور المفسرين ان هذا كان في يوم أحد وهو قول عبد الرحمن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهرى وقادة السدى والربيع وابن اسحق وقال الحسن وزهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاول اصح قوله الى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء ان ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والسكاني والوديع غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة فغنى على رجله الى أحد فجعل يصفأ أصحابه حال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق والسدى عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أبى بن سلول ولم يدعه قتلها فاستشاره فقال عبد الله بن أبى وأكثرا لانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى العدو قط الا أصاب منا ولادخلها علينا الا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فندعهم يارسول الله فان أقاموا أو ابشر مجلس وان دخلوا قاتلتهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبان بالحجارة من فوقهم وان رمو رجعا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض أصحابه يارسول الله أخرج الى هذه الكلاب للراوى وانجبا عنهم وضعفنا فغنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد رأيت فى شى بقرافا ولته اخبر اورأيت فى ذباب سبى لثما فاولته اهر بمقرأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة لثما المدينة فان رأيتهم ان تقيموا بالمدينة وتدعوه فان أقاموا أقاموا ابشروا ان دخلوا علينا المدينة قاتلنا فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبب أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم فى الارقة فقال رجال من المسلمين من قاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنائى أعدائنا فل يزالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهنم لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله وليس لامته فلما رأوه قد قس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعتنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه ياتيه فقاموا واعتذروا له وقالوا يارسول الله اصنع ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى بئس لثما فاضه حتى يقاتل وكان قد قام المشركون باحد يوم الاربعاء والخمس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ماضى باصحابه الجمعة وكان قد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فضلى عليه ثم خرج عليهم فأصعب السلب من أحد يوم السبت للصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله فى جانب الوادى وجعل سره وأصحابه الى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بلبل حتى لا يأتونا من وراءنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائبثوا فى هذا المقام فاذا عاينوك ولوا الادبار فلا تغلوا المدرين ولا تغربوا من هذا المقام ولما خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن أبى بن سلول شق عليه ذلك قال لاصحابه أطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمد انما يظفر بعوده بكم فدعوا أصحابه ان أعدهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأتهم أعداءهم فانهزموا أتهم فبذعوا نكم يصر الامر الى خلاف ما قاله محمد لايابه فلما اتى الجمع وكان عسكر المسلمين ألفا وكان المشركون ثلاثة آلاف اتخذ عبد الله بن أبى بن سلول بثلاثة من أصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعة مائة من أصحابه فقواه الله تعالى وابنتهم حتى هزموا المشركين فلما رأى المؤمنون انهزام المشركين طمعو ان تكون هذه العلة

موالاتهم أو وان تصبروا على تكايف الدين ومشافة وتقه والله فى اجتنابكم محارمه (لا يضركم كيدهم شيأ) مكرهم وكرمتهم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء اذا ردت أن تكبت من يحدك فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى وناقض من ضاره يضره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لانه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المعطل عن عاصم الا ان ضمت الراء لاتباع ضمة الضاد نحو مد ياهنا (ان الله بما يعملون) بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما (يحيط) ففاعل بكم ما أتم أهله والياء غيره أى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم فعاقيهم عليه (واذ غدت من أهلك) واذا كرا بمجداذ خرجت ذبوة من أهلك بالمدينة والمراد ذبوه من حجرة عائشة رضى الله عنها الى أحد (نبوى المؤمنين) تنزلهم وهو حال (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف من الميمنة واليسرة والقلب والجناحين والساقة وللقنال يتعلق بنبوى

(قد بدت البغضاء من أفواههم) لانهم لا يقولون مع ضبطهم أنفسهم ان يغفلوا من ألسنتهم ما يلزمه بغضهم لآله ساميين (وما تخفى صدورهم) من البغضاء لكم (أ كبر) عما بدا (فديننا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة آيائه والله ومعاذة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ايمن لكم (ها أنتم أولاء) هالالتبيه وأنتم مبغضوا ولا خير ما أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاةهم حيث يبدلون محبتهم لاهل

(٢٩٣)

والشر والهلاك والعنت المشقة (قد بدت البغضاء من أفواههم) أي ظهرت العداوة من أفواههم بالشيعة والوقية بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين على أسرار المؤمنين (وما تخفى صدورهم) يعني من العداوة والغبط (أ كبر) أي أعظم عما ظهر منه (فديننا لكم الآيات) يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المؤمنين ومعاذة الكافرين (ان كنتم تعقلون) يعني ما بين لكم فتتعللون به قوله تعالى (ها أنتم) هالالتبيه وأنتم كناية للمخاطبين من التذكور (أولاء) اسم للمشار اليهم في قوله (تحبونهم) والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مبايحتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والزواج والمصاهرة والحلف (ولا يحبونكم) يعني اليهود لما بينكم وبينهم من الخفاقة في الدين وقيل تحبونهم يعني يردون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون اسمكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما ظهر وامن الايمان وأنتم لاعداء من مافي قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان نقشوا اليهم أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم (وتؤمنون بالكتاب كله) يعني وهم لا يؤمنون وانما ذكر الكتاب باغض الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى انكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) يعني ان الذين وصفهم في هذه الآية بهذه الصفات اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كما بيناكم وصدقنا كصدقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود (واذا خلو) أي خلا بعضهم الى بعض (عضوا عليكم الانامل من الغبط) الانامل جمع أكلة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض أظهر العداوة وشدة الغبط على المؤمنين لما يرون من اختلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغبط وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن هناك عض كما يقال عض يده من الغظ والغضب (قل موتوا بغيظكم) هذا دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة أهله وما لهم في ذلك من الدل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم (ان الله عالم بذات الصدور) يعني به الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصورف الموجودة في هيئته كما قال تعالى (ان الله عالم بما في الصدور) وهو عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فآخبرهم انه عالم بما يرون من عض الانامل غيظا اذا خلووا به عالم بما هو أخفى منه وهو ما يرونه في قلوبهم بقوله عز وجل (ان تمسكتم) أي تمسككم أي المؤمنين وأصل المس باليد ثم يسمي كل ما يصل الى شئ ما سالا على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصيب وتعب أي اصابه (حسنة) المراد بالحسنة ههنا نافع الدنيا مثل ظهوركم على عدوكم واصابتكم غنيمة منهم ومتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم (تسوهم) أي تحزنهم ونعمهم والسوء ضد الحسن (وان تصبكم سيئة) أي مساة من اخفاق سر يدلكم أو اصابه عدوكم أو اختلاف يقع بينكم أو غدر ورونية ومكره يصيبكم (يفرحوا بها) أي بما أصابكم من ذلك المكروه (وان تصبروا) يعني على أذاهم وقيل ان

والواو في (وتؤمنون) بالكتاب كله) لانهم لا يقولون مع ضبطهم أنفسهم ان يغفلوا من ألسنتهم ما يلزمه بغضهم لآله ساميين (وما تخفى صدورهم) من البغضاء لكم (أ كبر) عما بدا (فديننا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة آيائه والله ومعاذة أعدائه (ان كنتم تعقلون) ايمن لكم (ها أنتم أولاء) هالالتبيه وأنتم مبغضوا ولا خير ما أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في موالاةهم حيث يبدلون محبتهم لاهل

وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلووا قبل لهم ان الله عالم بما هو أخفى مما يرونه في قلوبهم مضمرا ب الصدور فلا تظنوا ان شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أي قل لهم ذلك لا يمجده ولا تنجب من اطلاعي اليك على ما يرون فاني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضروا في صدورهم (ان تمسكتم حسنة) رخاء وخصب وغنيمة ونصرة (تسوهم) تحزنهم اسبابها (وان تصبكم سيئة) اضدادها ذكرنا وليس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا الأثرى الى قوله انه ان تصبكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) باصابتها (وان تصبروا) على عداوتهم

شديد عن ابن عباس رضى الله عنه ما هو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة ريج مثل (أصاب حرق قوم ظالموا أنفسهم) بالكسر (فأهلكته) عقوبة على كفرهم (وما ظلمهم الله) بأهلك حرقهم (ولكن أنفسهم يظلمون) باركتاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنافقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفاقهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأوا بها إلا لئلا للقول ونزل نهايا للؤمنين عن مصافاة المنافقين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطناة الرجل وإيجته خصيصته وصفيه شبه بطناة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يلوونكم خبالا) فى موضع نصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال لافى الامر يالوذا قصر فيه والخيال الفساد واتعب خبالا على التغيير وعلى حذف فى أى فى خبالكم (ودوا ما عنتم) أى عنتكم فما

وصدقاهم فى الدنيا وفي أراد نفقة المراتى الذى لا يرصد ما ينفق وجه الله تعالى وذلك لان اتفاقهم الممالأ أن يكون لمنافع الدنيا ولما نفى الآخرة كمن يتصدف ويعمل أعمال البر فان كان كفرا فان الكفر يحبط جميع أعمال البر ولا ينفق عىا نفى فى الدنيا لاجل الآخرة وذكر ذلك المراتى الذى لا يرصد ما ينفق وجه الله تعالى فانه لا ينفق بشفقة فى الآخرة ثم ضرب لذلك الاتفاق مثلا فاقول تعالى (كثرت ريج فيهاصر) فيه وجهان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة أن الصر البرد الشديد وهو قال ابن عباس وقتاده السدى وابن زيد والوجه الثانى أن الصر هو السموم الحارة التى تقتل وهو رواية عن ابن عباس وهو قال ابن الانبارى من أهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانها سواء كان فيها بردهى مهلكة أو حر فهى مهلكة أيضا (أصاب) يعنى الريج التى فيهاصر (حرق قوم) أى زرع قوم (ظالموا أنفسهم) يعنى بالكفر والمعاصى ومنع حق الله فيه (فأهلكته) يعنى فأهلك الريج الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار فى ذهابها وقت الحاجة اليها كثر زرع أصابته ريج باردة فأهلكته أو أمارا حرقته فلم يتفع به أصحابه فان قلت الغرض تشبيه ما نفقوا وإبطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرق الذى هلك بالريج فكيف شبهه بالريج المهلكة للحرق قلت هو من التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجناتين وان لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجناتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت فيه المشابهة بين المقصود من الجنتين وبين أجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما ان يكون انتقار مثل الكفر فى هلاك ما ينفقون كثر الريج المهلكة للحرق الوجه الثانى مثل ما ينفقون كثر مهلك الريج وهو الحارث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشئ يذهب بالكفاة ولا يبق منه شئ وقوله تعالى (وما ظلمهم الله) يعنى بأن لم يقبل نفاقهم (ولكن أنفسهم يظلمون) يعنى أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فإبطال نفاقهم وأهلك حرقهم وقيل ظلموا أنفسهم حيث لم يأوا بنفاقهم مستحقة للقبول قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والخلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الآية فنهاهم عن مبايعة خوف الفتنة عليهم وبدل على صحة هذا اقول ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين يصفون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطعنونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عن ذلك وحجة هذا القول ان الله ذكرى سياق هذه الآية قوله واذ القوم قالوا آمنا واذ اخلاوا عضوا عليكم الانامل من اغبط وهذه صفة للمنافقين لصفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمع المؤمنين ان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطاع على سره واشتقاقه من طانة الثوب بدلالة قوله لم يست فلانا اذا تخصصته ويقال فلان شعارى وثارى والشعار الذى يلى الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذى يحضه الانسان بمنزلة القرب يسمى بطانة لانه يستعان امره بطاعته على ما لا يطاع عليه غيره (من دونكم) قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين أى لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملستم والمعنى لا تتخذوا أولياء ولا أصدقاء من غير أهل ملستم بمن سبحانه وتعالى على النهى عن مبايعة من هلك بالخيال لان أصل الخيال الفساد والفساد الذى لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثهم الشر والفساد وهو الخيال لان أصل الخيال الفساد والفساد الذى يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل (ودوا ما عنتم) أى يودون عنتم وهو ما يشق عليكم من الضر

مصدرة والعنت شدة الضرر والمشقة أى ان يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله

(يؤمنون بالله واليوم الآخر وبأمر من بالمعروف) بالإيمان وسائر أبواب البر (ويهنون عن المنكر) عن الكفر ومنهيات الشرع (ويسارعون في الخيرات) يبادرون إليها خشية القوت وقوله يتلون ويؤمنون (٢٩١) في محمل الرفع صفتان لامة أي أمة فاعمة تالون

مؤمنون ووصفهم بمخاصص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كالإيمان لا شرا كهم به عزيروا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لانهم بصوفته يختلف صفة ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع بالقسيم به (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من الصالحين) من المسلمين أومن جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم (وايفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء فهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو مخير غيرهم بالياء وعدى يكفروا إلى مفعولين وان كان شكروا وكفرا لا يتعديان إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرتها تضمنه معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه (والله عليم بالمتقين)

رجلا من أهل نجران من العرب وأثنين وثلاثين من الحبشة ومائتين من الروم كانوا على دين عيسى عليه الصلاة والسلام وصدقوا محمد صلى الله عليه وسلم وأمنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومجند بن مسلمة وأبو نفيس صرمة بن أنس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بالغرفا من شرائع الحنفية حتى جاءهم الله عز وجل بالني صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ووصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال (يؤمنون بالله واليوم الآخر) وذلك لان إيمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الإيمان بالله يستلزم الإيمان بجميع أنبيائه ورسوله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فهم يحصل الإيمان الخالص بالله واليوم الآخر (ويأمر من بالمعروف ويهنون عن المنكر) يعني غير مداهنين كيداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمر من بالمعروف يعني بتوحيد الله تعالى والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويهنون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم (ويسارعون في الخيرات) أي يبادرون بها خوفا من القوت وذلك ان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متقافين ولا كسالى (وأولئك) اشارة إلى الموصوفين بما وصفوا به (من الصالحين) أي من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له أعلى الدرجات وأكمل المقامات وقيل يحتمل أن يراد بالصالحين المسلمون والمعنى وأولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) فرئى بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمنين أهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله تعالى أنهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا ينفع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالياء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنوا أهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما فعلوا من خيرا أي المؤمنون فلن تكفروه أي فلن تعدموا نوابه وان تحرموه أو تمنعوه بل يشكروه لكم بحجاز يكفه (والله عليم بالمتقين) فيه بشارة للمتقين بحجز بل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا أهل الإيمان والتقوى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) قال ابن عباس يريد بني قريظة واضرب ذلك ان رؤساء اليهود مالوا إلى تحصيل الاموال في معاد ارسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم معاداته تحصيل الرياسة والاول قال الله عز وجل ان تغني عنهم أموالهم وقيل نزات في مشركي قريش فان أباحل كان كثيرا لا فتخار بالاموال وأفق أبو سفيان مالا كثيرا في يوم بدر وأحد على المشركين وقيل ان الآية عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دلائل بوجوب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومهم ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني أي تدفع عنهم أموالهم بالنسبة لوافقوا وما من عذاب الله ولا أولادهم بالنصر وانما يخص الاموال والاولاد بالله لان الانسان يدفع عن نفسه مائة بالفاء وبالل بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الآخرة ولا ملخص له من عذاب الله وهو قوله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يجرجون منها ولا ينفارقونها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) قيل أراد نفقة أي سفيان وأصحابه بدر وأحد في معادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل أراد نفقات جميع الكفار

بشارة للمتقين بحجز بل الثواب (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي من عذاب الله (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا في الفسوق والمكالم وكذا التناء وحسن الذك الذي بين الناس أو ما ينقر بون به إلى الله مع

(عليهم الذلة) أى على اليهود (أبغما تفقوا) وجدوا (الابحجل من الله) فى محل النصب على الحال والباء متعاقبة يحذف تقديره الامتعصمين أو مضعفين بحمل من الله (وحيل) (٢٩٠) (من الناس) والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال الا فى حال

اعتمادهم بحمل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (و باؤا) بغضب من الله (استوجبوه) (وضربت عليهم المسكنة) الفقر عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وخوف الفقر مع قيام اليسار (ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق ثم قال (ذلك بماءصوا وكفروا بآيات الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده (ليسوا سواء) ليس اهل الكتاب بمستويين (من أهل الكتاب) كلام مستأصل بيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمر دن بالمعروف ويناهى القوله كنتم خيرا أمة (أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقت العود فقام أى

عليهم الذلة) يعنى جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلصق به والمراد بالذلة قتالهم وسلبهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى فى اليهود مذل كما فاهرا ولا ترينها معتبرا بل هم مستضعفون فى جميع البلاد (أبغما تفقوا) أى حينما وجدوا وصدقوا (الابحجل من الله) يعنى الابهة من الله وهوان يساموا فتزول عنهم الذلة (وحيل من الناس) يعنى المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتمادهم بحمل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهى التجاؤم الى الذمة لما قبلوا ومن بذل الجزية وانما سمي العهد جلالا لانه سبب بوصول الى الامن وزوال الخوف (وباؤا بغضب من الله) يعنى رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البوء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا فى غضب من الله وحداوقية (وضربت عليهم المسكنة) يعنى كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون فى المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هى الجزية وذلك لان الله تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك بدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على ان المسكنة هى الجزية وقيل المراد بالمسكنة هوان اليهودى يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب (بأهم) أى بسبب انهم (كانوا يكفرون بآيات الله وقتلون الانبياء بغير حق) ذلك بماءصوا وكانوا يعتدون) أى ذلك الذى نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل وتعديتهم لحدوده فزلبهم مازل (فقله عز وجل) (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما سلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أجناب اليهود ما آمن محمد صلى الله عليه وسلم الاشرارنا ولولا ذلك ماتر كوادين بأنهم فائز الله تعالى هذه الآية وفى قوله ليسوا سواء قولان أحدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين سبق ذكركم منهم المؤمنون وأكثرتهم الفاسدون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوى اليهود وأمة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بأمر الله الثابتة على الحق والعدل الثانى ان قوله ليسوا سواء متعلق بماءصده ولا يوقف عليه (فقله) (من أهل الكتاب أمة قائمة) فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الأخرى اكتفاء بذكر أعدائى الفرقين وهذا على مذهب العرب ان ذكرا أحد الضدين يعنى عن ذكرا الآخر قال أبو ذؤيب

دعاني اليها القلب انى امرؤ لها * مطيع فلا أدري أشرط طلائها
أراد أم غير فاكنتى بذكرا أحد الرشدين دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضممار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكرا أهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله أن منهم أمة قائمة فلا حاجة بنا الى أن نقول وأمة غير قائمة وانما ابتداء بذكر كفعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقفة ثم ذكر من كان مباينا لهم فى فعلهم فقال ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال ابن عباس قائمة أى مهيبة قائمة على أمر الله تعالى لم يصدروا ولم يتركوه وقيل قائمة أى عادلة وقيل قائمة على كتاب الله عز وجل وحدوده وقيل قائمة فى الصلاة (يتلون آيات الله) أى يقرؤن كتاب الله عز وجل (آاء الليل) يعنى ساعاته (وهم يسجدون) يعنى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون فى السجود وقيل هى صلاة التبرجد بالليل وقيل هى صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل أنه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمى الخشوع سجودا وقال عطاء فى قوله تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يريد بأمر بعين

استقام وهم الذين أساءوا منهم (يتلون آيات الله) القرآن (آاء الليل) ساعاته واحداها فى كفى أو انو كفتوا وانى كنجى (وهم يسجدون) يصلون قيل يريد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهمجهم بتلاو القرآن فى ساعات الليل مع السجود رجلا

(أخرجت) أظهرت (للناس) اللام يتعلق بالخروج (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خيراً ما كما تقول زيد كرم بطعم الناس ويكسوهم
بنت بالطعام واللباس وجه الكرم فيه (بالعروف) بالابحان وطاعة الرسول (٢٨٩) (وتنهون عن المنكر) عن الكفر وكل

محضور (وتؤمنون بالله)
ويدعون على الإيمان به
أولان الواو لا تقتضي الترتيب
(ولو آمن أهل الكتاب)
بمحمد عليه السلام (لكان
خير لهم) لكان الإيمان
خير لهم مما هم فيه لانهم انما
آتوا دينهم عن دين الاسلام
حبا للرئاسة واستتباع
العوام ولو آمنوا لكان
خير لهم من الرئاسة والانباغ
وحظوظ الدنيا مع الفوز
بما وعدوا على الإيمان به
من ابتاء الاجر مرتين
(منهم المؤمنون) كعب الله
ابن سلام وأصحابه
(وأكثرهم الفاسقون)
المتبردون في الكفر (ان
يضروكم الاذى) الاضرار
مقتصر على اذى
يقول من طعن في الدين
أو تهدد أو نحو ذلك (وان
يقاتلوكم بولوكم الاديار)
منهزمين ولا يضروكم بقتل
أو أسر (ثم لا ينصرون)
ثم لا يمكن لهم نصر من أحد
ولا يتبعون منك وفيه تنبئ
ان أسلم منهم لانهم
كانوا يؤذونهم بتوبيخهم
وتهديدهم وهو ابتداء اخبار
معطوف على جملة الشرط
والجزء وليس بمعطوف
على بولوكم اذ لو كان معطوفاً
عليه ما قبل ثم لا ينصروا

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمئ من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في اقبيلة ومنهم
من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذى (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من أمئ سبعون ألفاً وسبع مائة ألف سباطين متماكين أخذ بعضهم ببعض
حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن أبي اسامة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وعدي في أن يدخل من أمئ الجنة سبعون ألفاً الاحساب عليهم ولا عذاب ومع كل
ألف سبعون ألفاً وثلاث خثبات من خثبات في أخرجه الترمذى وروى البغوى بإسنادنا للعلبي عن عمر بن
الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة تحرم على الانبياء كلها حتى أدخلها وحرمت على
الام حتى تدخلها أمئ ﴿ وقوله تعالى (أخرجت للناس) معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع
الاعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تغيرت وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خيراً ما أخرجت (خ)
عن أبي هريرة قال كنتم خيراً ما أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم
حتى يدخلوا في الاسلام وقيل أخرجت صلبة والتقدير كنتم خيراً ما للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود
منه بيان علة تلك الخبر بكونهم خيراً ما كما تقول زيد كرم بطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك
(وتؤمنون بالله) أى تصدقون بالله وتخاصون له التوحيد والعبادة فإن قلت لم يقدم الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع ان الإيمان يلزم أن يكون مقدما على كل الطاعات
والعبادات قلت الإيمان بالله أمر يشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر
بالمعروف والنهى عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخبرية هو الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر وما الإيمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الإيمان لم يصرف شي من الطاعات
مقبولا فثبت ان الوجوب لهذه الخبرية لهذه الامة هو كونهم أميين بالمعروف ناهين عن المنكر فلذلك السبب
حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ذكر الإيمان ﴿ وقوله تعالى (ولو آمن أهل
الكتاب) يعنى ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بالدين الذى جاء به (لكان خير لهم)
يعنى مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما جعلهم على ذلك حب الرئاسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا
لحصل لهم الرئاسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة وهو دخول الجنة (منهم) يعنى من أهل الكتاب
(المؤمنون) يعنى عبدالله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشى وأصحابه الذين أسلموا من
النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أى المقلدون في الكفر وقيل ان الكفار فيكون عدداً في دينه وهو لاء
مع كفرهم فاسقون ﴿ قوله عز وجل (ان يضروكم الاذى) سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا
الى من آمن منهم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فأذوه لاسلامهم فآذاهم الله تعالى ان يضروكم الاذى يعنى
ان يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود الاذى يعنى بالاسان من طعنهم في دينكم أو تهددوا واقام شبهة
وتشكيك في القلوب وكل ذلك بوجوب الاذى والتم (وان يقاتلوكم بولوكم الاديار) يعنى منهزمين مخذولين
(ثم لا ينصرون) يعنى لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تنبئ لمن أسلم من أهل الكتاب
لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدر ان يجاوزوا الاذى
بالقول الى غيرهم الضرر ثم وعدهم العلية والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل فقال تعالى (ضربت

(٣٧) - (خازن) - اول) وانما استأنف ليوذن ان الله لا ينصرهم قاتلوا ولا يقاتلوا وتقدر الكلام أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينزمو
ثم أخبركم انهم لا ينصرون وهم للتراخي في المرتبة لان الاخبار تليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليئهم الاديار (ضربت) ألزمت

نافسة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ ولا تدل على انقطاع طارئٍ بدليل قوله وكان الله غفوراً
رحيماً فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خيراً مدة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم
خيراً مدة وقيل كنتم في الاوح المحفوظ موصوفين بانكم خيراً مدة وقيل معناه كنتم منذ انتم خيراً مدة وقيل
قوله خيراً مدة نابع لقوله فالما الذين ايعض وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم
خيراً مدة فلماذا استحققت ما أنتم فيه من رياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى أنتم وقيل
يحتمل أن يكون كان بمعنى صار فغنى قوله كنتم أي صارتم خيراً مدة فالما الخاطييون بهذا من هم فيه خلاف
قال ابن عباس في قوله كنتم خيراً مدة هم الذين هاجر وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن
عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى اقال أنتم فكنا كنا ولكن في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتكم كانوا خيراً مدة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال
الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل
المسلمين باتباعهم وطاعته (ق) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم ان بعدهم قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون يظهر فيهم السمن زاد في رواية ويخلفون
ولا يستخلفون (ق) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يحيى قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينة شهادته قوله خير الناس قرني يعني أصحابي
واتقن أهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمالهم
وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة سنة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسبوا أصحابي فلو أن أحدنا نطق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله كنتم خيراً مدة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج
قوله كنتم خيراً مدة أخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الأمة ونظيره
قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فإن كل ذلك خطاب مع الحاضر بن حسب اللفظ ولكنه
عام في حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في
قوله تعالى كنتم خيراً مدة أخرجت للناس قال أنتم تمون سبعين أمة أنتم خيرها وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة
الموصوفون بالايمان بالله عز وجل ومحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى قال من أبى قال من أبى طاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
أبى عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع أمتي أرواقاً أمة محمد صلى الله عليه وسلم
على ضلالة وبداية على الجماعة ومن شذت في النار أخرجه الترمذي عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان أمتي أمة موحدة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل
أخرجه أبو داود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر لا يدرى آخره خيراً أم أوله
أخرجه الترمذي وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عثرون ومائة صف
ثم انون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب
أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة اربعين عاماً المسرع المجتهد لانهم يتضا غطون عليه حتى تكاد
منا كهيم نزول قال الترمذي سألت محمداً بنى البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال خالد بن أبي بكر
منا كبيرين سأل من عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في سائر الابواب عن أبي سعيد الخدري

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إردن على الخوض رجال من صاحبني حتى أذافروا إلى اختلاجوا
دوني ولا قولن أي رب أصحابي أصحابي فيقال لا تدري أحد ثوابك زاد في رواية فأقول سبحانه بل
بعدى (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بردي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال
من أمتي فيجولون عن الخوض فأقول يا رب أصحابي فيقول أنه لا علم لك بما أحدثوا به من أمرهم وما
أدبراهم القهقري وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وقتلوه وهم الحرورية (م) عن
زيد بن وهب أنه كان في الجلس الذين كانوا مع علي لما ساروا إلى الخوارج فقال علي أيها الناس اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتهم بشئ ولا
صلاتهم إلى صلاتهم بشئ ولا صيامهم إلى صيامهم بشئ يقرؤون القرآن بحسبون أنهم لم يهملوه وهو عليهم لا يجاوز
صلاتهم تراقيهم يقرءون من الاسلام كما يقرئ السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرء القرآن
لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يقرءون من الدين كما يقرئ السهم من الرمية فإيمانهم قيمتهم وهم فاقوا بهم فان في قتلهم
أجر المخرج قتلهم عند الله يوم القيامة (ق) عن بشير بن عمر قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيا فإل سمعته يقول وأهوى بيده إلى العراق يخرج منهم قوم يقرءون
القرآن لا يجاوزون فيهم يقرءون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم أهل البدع والاهواء من هذه
الامة كالفسرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد إيمانهم هو خروجه من الجماعة
ومفارقتهم في الاعتقاد (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يباروا بالاعمال فتنا
كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا
وقال الحرث الاعور سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول على المنبر ان الرجل ايعرج من أهله فإ
يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ايعرج من أهله فإ يهود اليهم حتى يعمل عملا
يستوجب به النار ثم يقوم تبيض وجوه الأئمة ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة ﴿وقوله
تعالى (وأما الذين ابضت وجوههم﴾ يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل (ففي رحمة الله) يعني في جنة الله
وأنما سميت الجنة درجة لانها درجة وفيه إشارة إلى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا بدرجة الله
تعالى (هم فيها خالدون) قيل إنما كرر كلمة لان في كل واحدة منهم معنى غير الآخر المعنى انهم في رحمة الله
وانهم في الرحمة خالدون (تلك آيات الله) يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت (تلاوها عليك بالحق)
أي بالمعنى الحق لان المتألق (ومال الله ير يدظلم العالمين) يعني لا يما قب أحد باعير مجرم واستحقاق العقوبة
وأنما ذكر الظالم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم في قوله فندروا العذاب
عنا كنتم تكفرون أخبرناهم انما وقعوا فبقا ووقعوا بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحد من خلقه
(ولله مافي السموات ومافي الارض) لماذا كراته أنه لا ير يدظلم العالمين لانه لا حاجة به إلى الظلم وذلك ان
الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا وعزاً أو سلطاناً أو يتم تقصيره بما يظلم به غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا
عن ذلك وله صفة الكمال أخبرنا له مافي السموات ومافي الارض وان جميع ما فيه مملوكه وأهلها عبيده
واذا كان كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحد ان خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم
قال (والى الله ترجع الامور) يعني واليه مصير جميع الخلائق المؤمنين والكافرين والطائعين والعاصين فيجازي
الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحد منهم ﴿وقوله عز وجل﴾ (كنتم خير أمة) سبب نزول هذه
الآية ان الملك بن الصيف وهب بن يهود اليهوديين قال لعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل
وسالم ولى حديثه نحن أفضل منكم وديننا خير من دينكم الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية واختلف
في لفظة كان فقيل لى بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى سدتهم وحسدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا

(وأما الذين ابضت وجوههم
ففي رحمة الله) ففي نعمته
وهي الثواب المخلص
استأنف فقال (هم فيها
خالدون) لا يظنون عنها
ولا يموتون (تلك آيات الله)
الواردة في الوعد والوعيد
وغير ذلك (تلاوها عليك)
ملتبسة (بالحق) والعدل
من جزاء المحسن والمسيء
(ومال الله ير يدظلم العالمين)
أي يشاء أن لا يظلم هو عباده
فيأخذ أحد ابغضهم أو
يزيد في عقاب مجرم أو
ينقص من ثواب محسن
(ولله مافي السموات ومافي
الارض والى الله ترجع
الامور) فيجازي المحسن
بإحسانه والمسيء بإساءته
ترجع شامى وحزوة على
كان عمارة عن وجود
الشئ في زمان ماض على
سبيل الإبهام ولابد فيه
على عدم سابق ولا على
انقطاع طارئ ومنه قوله
(كنتم خير أمة) كأنه
قبل وجدتم خير أمة أو كنتم
في علم الله وفي اللوح خير
أمة أو كنتم في الامم قبلكم
مذكورين بأنكم خير أمة
موصوفين به

إيمانهم ثم أخذ يدي وقال إن بارضى منهم كثيرا وفي رواية ثم قرأ بعد قوله فكفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا إلى قوله أ كفرت بعد إيمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤساء منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شرقتي تحت آدم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولم أسمعها لامرأة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعاً ما حدثتكم كموه وقال فيه هذا حسن ﴿وقوله تعالى﴾ (من بعد ما جاءهم البينات) يعني الحجاج الواضحات ولموهتهم خالفوه وانما ال جاءهم ولم يقل جاءهم لجواز حذف علامة التثنية من الفعل في التقدير تشبيهاً بعلامة التثنية والجمع (وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني هؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن فارق الجماعة شراً فإد فخلخل بقعة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود وأبو ربيعة للإسلام عقد الإسلام وأصله أن الر بق حب فيه عد ذكر إيشدها الغم الواحدة من العار ربيعة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوبة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفتن وهو من الاثنين أ بعد بحبوبة الجنة وسطها والفتن هو الواحد ﴿وقوله عز وجل﴾ (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يعني إذا كروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه الخالصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مسـ تعمل بقال لمن نال بغيته وظفر بمطال به ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولن ناله مكروه وأسود وجهه وار بدلوته يعني من الحزن والغم قال الله تعالى وإذا بشر أحدكم بالآتي ظل وجهه مسوداً يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه أشرفها وسرورها واستبشارها ببعملها وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشـر بثواب الله نعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابتضت صحيفته وأشرقت وسمى النور بين يديه وعن يمينه وشماله أو ما لكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح وعمل سيئات حزن واغتم اعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكبدته وأسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب فعوذ بفضل الله وسعته رحمة من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نوراً ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة ﴿فأما الذين أسودت وجوههم﴾ كفرت بعد إيمانكم فزقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي فيقال لهم أ كفرتم وأهملتم ذاتي وبيخ والتفريع فإن قلت كيف قال أ كفرتم بعد إيمانكم ولم يكنوا مؤمنين فمن المراد هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروى عن أبي ابن كعب أنه قال أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألت بكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بالسفهم وأنكروهم بقولهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهم أهل الردة (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فطر طم على الحوض وأرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهوت إليهم لاهلهم اختلفوا ودوني فأقول أي رب أعجابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس

بعضهم بعضاً (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق (وأولئك لهم عذاب عظيم) ونصب (يوم تبيض وجوه) أي وجوه المؤمنين بالظرف وهو ظم أو بعظيم أو بذكر (وتسود وجوه) أي وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة (فأما الذين أسودت وجوههم) فيقال لهم (أ كفرتم) لحذف الفاء والقول جميعاً للعسل به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم (بعد إيمانكم) يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبي وهو الظاهر أو هم المرتدون أو المنافقون أي أ كفرتم باطناً بعد إيمانكم ظاهراً أو أهل الكتاب وكفروهم بعد الإيمان فكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه (فقدروا) العذاب بما كنتم تكفرون

(وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشقين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فاتخذكم منها) بالاسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقدون أنفسهم لآلة تعالى والضمير للحفرة والنار (٢٨٥) أول شفاؤنا ثل لضافته الى الحفرة

وشفا الحفرة حرف اولها وما
واولها نذاني شغوان
(كذلك) مثل ذلك
البيان البليغ (بين الله
اسم آياته) أي القرآن
الذي فيه أمر ونهي ووعد
ووعيد (لعلكم تهتدون)
لتكونوا على رجا الهداية
أولتهن دوابه الى الصواب
وما ينال به الثواب (ولكن
منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف) بما
استحسنه الشرع والعقل
(ونهيون عن المنكر) عما
استقبه الشرع والعقل أو
المعروف ما وافق الكتاب
والسنة والمنكر ما خالفهما
أو المعروف الطاعة
والمنكر المعاصي والدعاء
الى الخير عام في التكليف
من الافعال والتروك وما
عطف عليه خاص ومن
للتبعض لان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولانه
لا يصلح له الامن علم بالمعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامته فانه يبدأ
بالسهل فان لم يرفع ترقى
الى الصعب قال الله تعالى
فاصلحو ايها منكم قال فقاتلوا
أول التبيين أي وكونوا أمة

فأصبحتم بنعمته اخوانا يعني وصرتهم رحمة وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة (وكنتم
يامعشر الاوس والخزرج (على شفا حفرة من النار) يعني على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس يشكم وبين
الوقوع في النار الآن تموتوا على كفركم (فاتخذكم منها) أي تخاصمكم بالامان من الوقوع في النار
(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) قوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف ونهيون عن المنكر) اللام في قوله (ولكن) لام الامر أي ولكن منكم أمة تدعون الى الخير
وقيل ان كلمة من قوله منكم للتبيين لا للتبعض وذلك لان الله عز وجل أوجب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر على كل الامة في قوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
فيجب على كل مكاف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه (م) عن أبي سعيد الخدري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسله فان
لم يستطع فلينبهه وذلك أضعف الايمان فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا أمة تدعون الى الخير أي بالمعروف
ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به
واحد سقط الفرض عن الباقي وقيل ان من ههنا للتبعض وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لجزأ أو ضعف فحين ادخل اللفظ من في قوله ولكن منكم أمة يدعون الى الخير وقيل ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء ولاة الامر فعلى هذا يكون المعنى ليسكن بعضكم أمرا بالمعروف
ناهين عن المنكر (خ) عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع
فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها اذا استقوام
الماء رواعى على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا
وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا والخبر المذكور في الآية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو
هنا كناية على الاسلام والمعنى اتكن أمة أي جماعة تدعون الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع
والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير يندرج تحتها نواحيان احدهما الترغيب في فعل ما يندى وهو الامر بالمعروف
والثاني الترغيب في ترك ما لا يندى وهو النهي عن المنكر قد كراه الحسن أولوا هو الخير ثم اتبعه بنوعيه
ماتعة في البيان المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع وحسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف
بالعقل والشرع قبضه وقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في قوله عز وجل (وأولئك هم المفلحون)
تفرقوا واختلفوا) يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا يعني واحد
واغاذ كرهه التاكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة وتابيع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين
قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرقوا واختلف أهل
الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم عما طغى من كان
قبلهم بالمرأ والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المتبعة من هذه الامة وقال أبو امامة هم الحرورية قال
عبد الله بن شداد وقف أبو امامة وأمامه على رؤس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال
كلاب أهل النار وكونوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قيل تحت أديم السماء وخير قيل تحت أديم
السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فاشأناك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا بعد

تأمرن كقوله تعالى كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف (وأولئك هم المفلحون) أي هم الاخصاء بالفداح الكامل قال عليه
السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الاسر
بالمعروف والنهي عن المنكر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) بالعداوة (واختلفوا) في الديانة وهم اليهود والنصارى فاتهم اختلفوا وكفر

اليكم فمن الآن فعدوه فانه في عز ومثقة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتسكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك
 ما شئت فتسكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل الا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام
 قال ابايكم على ان تمنعوني مائة منكم ومنكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم
 والذي بعثك بالحق نبيا لئن لم يمنع منكم مائة منكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم وفسدكم
 ورنماهما كبر اعرن كبر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
 يا رسول الله ان يفتنا بين الناس حبالا يعني عهدا واناقا طعوها فهدل عيت ان فقلنا ذلك ثم أظهر لك الله
 أن ترجع الى قومك وتدعنا فتسكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أتممتني
 وأنامنكم أحارب من حاربهم وأسالم من أسلمهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثني عشر
 نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين عيسى بن مريم فأخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من
 الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا اليه مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الانصاري يامعشر الخزرج هل تدرون علام تنابعون هذا الرجل انكم
 تنابعون على حرب الاجر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا هبتم أموا لكم مصيبة وأثرا فكم قتلنا أسلمتوه
 فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بمادة وتموه اليه على نهكة الاموال
 وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قولوا فانا نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فاننا
 بذلك يا رسول الله ان نحن وفيما قال الجنة قالوا البسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده
 البراء بن معرور ثم تابع القوم قال ولما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة
 بانفذ صوت ما سمعته قط يا أهل الحياحب هل لكم في مذمم واصباة معه قد اجتمعوا على حرككم فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هذا وعد والله هذا أذب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع أي عداؤه اما والله لا فرغتم
 لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عباد بن نضلة والذي بعثك بالحق
 اني شئت لفيان على أهل مني باس يا فاقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تؤمروا بذلك ولكن ارجعوا الى
 رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فمنا علمها حتى أصبحنا فلب أصبحنا غدت علينا جنة قريش حتى جاؤنا في
 منازلنا فقالوا يامعشر الخزرج يا بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تسخر جونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حركنا
 وانه والله ما حي من العرب أبغض اليانا من تشب الحرب يفتنا ويذم منكم قال فأنبت من هناك من مشركي
 قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وباعلمنا موصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم وفهم
 الحرت بن هشام بن الغيرة الخزرجي وعليه نعلان جديتان قل فقلت له كلفه كذا رأيت أن أشرك القوم
 به فاجابوا له يا جابر أمانت طابع أن تتخذوا أنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الذي من قريش قال فسمعها
 الحرت فغلهما من رجاءه ورمى بهما الى د قال والله انتعتنا ما قال أبو جابر والله أحفظت الفتى فارد باليه
 نعليه قل فقلت لأردم قال والله يا أبا صالح لئن صدق القائل لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد
 شدوا العقد فمما قدموها وأظهروا الاسلام بها وبأغ ذلك قريشا فأتوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان الله قد جعل لكم اخوانا وادارا تأمنون فيها فأمرهم بالمهجرة
 الى المدينة والحقوا بخوانهم من الانصار فأول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الاسد الخزرجي ثم عامر
 ابن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل أهل المدينة أوسها وأخزرجها بالاسلام وأصل ذات
 بينهم بنسبه عليه الصلاة والسلام وأزل الله عز وجل واذا كروا يعني يامعشر الانصار نعمة الله عليكم يعني
 بالاسلام اذ كنتم أعداء يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنسبه عليه الصلاة والسلام

فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان واثق رجلان اتبعكما بتخلف عنه
أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم أخذ سحر بته فانصرف الى سعد وقومه وهم جالوس في
نادهم فلم ينظر سعد الى أسيد مقيلا قال أحاف بالله لند جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما
وقف أسيد على النادي قال لسعد ما فاعت قال قلت للرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل
الاما أحيت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك
ليحقروك فقام سعد مضطربا الذي ذكره من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغيت شيئا
فانصرف اليهما فلما رأاهما مطمئنين عرف أن أسيدا انما أراد أن يسمع منهم فوقف عليهم ما مشيتهم فقال
لا سعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رأت هذا مني نفسا نافي دارنا بما نكره وقد كان قال أسعد
لصعب جاءك والله سيد قومه ان يتبعك لم يخافك أحد منهم فقال له صعب أوقفه قد قسعت فان رضيت أمرا
ورغبت فيه قبلته وان كرهته عز لنا عنك ما نكره فقال سعد أنصفت ثم كر الحربة وجلس ففرض عليه
صعب الاسلام وقرأ عليه القرآن قال لا فعر فوالله الاسلام في وجهه قبل أن يسلك من اشراف وجهه من قبله
ثم قال كيف اتعنون اذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالوا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي
ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ سحر بته وأقبل عامدا الى نادى
قومه ومع أسيد بن حضير فلما سأروا مقيلا قالوا انحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من
عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأجملنا نقية
قال فان كلام رجالكم وكمائنكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني عبد الاشهل
رجل ولا امرأة الا مسلمة ومسلمة ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل أسعد فقام عنده يدعو
الناس الى الاسلام حتى لا تبقى دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار
أمية بن زيدو خطمة ووايل ووافق ذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسات الشاعر وكانوا يسمعون منه
ويطيعونه فوق جهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى يدروا أحد
واخذندق قوائمهم من مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار المسلمين سبعون رجلا مع حجاج
قومهم من أهل الشراك حتى قدموا مكة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبه من أوسط أيام التشرية
وهي بعثة العقبه الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكات الليلة التي واعدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر أخبرنا وكاننا من معان المشركين
من قومه أن امرأنا فكمناه وقتنا يا أبا جابر المكسب من ساداتنا وشريف من أشرفنا واننا نرغب بك عما
أنت فيه أن تكون حطبا لنا نرغب او دعونا الى الاسلام فأسلم فأخبرناه جميعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشهد معنا العقبه وكان تقييافنا تلك الليلة مع قومنا في رحلتنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم نسل مستخفين نسل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبه ونحن سبعون رجلا
ومعنا امرأتان من نساءنا نية بنت كعب أم حمارة إحدى نساء بني النجار وأمية بنت عمرو بن عدي
أم منيع إحدى نساء بني سلمة فأجتمعنا بالشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعهم
العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما
جلسنا أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحى من
الانصار الخزرج خرجوا وأومأ ان محمد امنا حيث قد علمتم وقد منعناه عن قومنا من هو على مثل رأينا وهو
في عز من قومه ومنعنا في بلدنا وانه قد أبى الا لا تقطع اليكم والاحق بكم فان كنتم تزرونكم وافون لبعنا
دعوتهم اليه وما نعوهم من خالفه فاتهم وما تحلم بهم من ذلك وان كنتم تزرونكم مسلمة وما ندولوه بعد الخزرج

وتلا عليهم القرآن قال يا بن معاذ وكان غلاماً حدثاً أي قوم هذا والله خير مما جعلتم له فأخذ أبو الحليس
حفنة من الطحلاء ف ضرب بها وجهه يا بن معاذ وقال دعنا منك فلم يرد عليه شيء ثم جثا له هذا فصمت يا بن معاذ وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة فمكثت وقعة بعثت بين الأوس والخزرج فلم يلبث يا بن
معاذ أن هلك فأسأله الله عز وجل اظهر دينه وأزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الموسم الذي أتى فيه القرى من الانصار فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل
موسم فلقي عند العقبة رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً وهم ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن الحرث
وهو ابن عفرأ ورافع بن مالك الجبلي وقطبة بن عامر بن خزيمة وعقبة بن عامر بن أبي وجار بن عبد الله
رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى اليهود قالوا
نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا
عليهم القرآن قال وكان صانع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلاذهم وكانوا أهل كتاب وعلم
وهم أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا ان نبي الآن مبعوث قد أظلم زمانه سنقعه ونقلكم
معه قتل عاد وارم فلما كمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم
لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذي نوءدكم به يهود فلا يسيقنكم اليه فاجابوه وصدقوه وأسلموا معه وقالوا
انا فترت كما قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرايب بينهم فمضى الله أن يحجهم بهم بك وسندقم عليهم وندهوهم
إلى أمرك فان يحجهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين
إلى بلادهم فلما قدموا المدينة كروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوه إلى الإسلام حتى فشفاهم
فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام المقبل وفي الموسم
من الانصار اثنا عشر رجلاً هم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفرأ ورافع بن مالك الجبلي وذكوان
ابن عبد القيس وعبادة بن الصامت وزيد بن ثعلبة وعباس بن عباد وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء
خزرجيون وأبو الهيثم بن التيهان وعوف بن ساعدة من الأوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فإدعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يلقن
أولادهن ولا يأتين بهتان يفترن به بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف والآية فان فقيتم فليكن الجنة
وان غشيتن شيئاً من ذلك فأخذتم بحمد في الدنيا وفي الآخرة وكفارة وان ستر عليكم فأمركم إلى الله عز وجل ان شاء
عذبتكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قيل أن يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير
ابن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب
بالدينه المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة ثم ان أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حاطاً من حواط
بنى ظفر فجلسا في الحائط واجتمع اليهم رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق إلى هذين
الرجلين الذين أتيا دارنا ليسقوا ضعفاءنا فاجزهما فان أسعد ابن خاتى ولولا ذلك لكفبتك به وكان سعد
ابن معاذ وأسيد بن حضير سيدى قومهما من بنى عبد الاشهل وهما بعد مشركان فأخذ أسيد بن حضير
حزبه ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسا في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال لصعب هذا سيد قومك
قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه فلما وقف عليهم ما تشاءوا وقال ما جاء بكما اليانسة فان
ضغفنا اعتزلان كانت السكياتي أنفسكما حاجة قال له مصعب أوتجلس فتسمع فان رضيت أمرأ قبلكه وان
كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حزبه وجلس اليهم فكلما مضى بالسلام وقرأ عليه
القرآن قالوا والله فرنا الإسلام في وجهه قبل ان يتكلم من اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجله كنه
تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين فلا تغسل وتطهروا وبك وتشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين

المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهى عن ترك الاسلام
 المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه متى جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانهم لم كان يمكنهم الثبات
 على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاههم وهو على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم
 وقيل معناه ولا تؤمنوا الا بآثارهم مسلمون مخلصون مفوضون الى الله اموركم تحسنون الظن به عز وجل عن
 ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية انتقوا الله حق ثقته ولا تؤمنوا الا بآثارهم مسلمون
 فقال لو ان فطرته من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معاشهم فكيف بمن تكون
 طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **﴿﴾** قوله عز وجل (واعصوا ما يحيل الله جيما) أى تمسكوا
 بحبل الله والحبل هو السبب الذى يتوصل به الى البغية وسمى الامان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال
 الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذى به يتوصل اليه فعلى هذا اختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس
 معناه تمسكوا بدين الله لانه سبب يوصل اليه وقيل حبل الله هو القرآن لانه ايضا سبب يوصل اليه يوفى افراد
 مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا واني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب
 الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به
 ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذى أمر به وان ما
 تكمهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة قيل بحبل الله يعنى بأمر الله وطاعته (ولا تفرقوا)
 يعنى كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا بين كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدبرين يعادى
 بعضكم بعضا يقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحذروا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالة التى
 أتم عليها فقيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا
 وماعده يكون جهلا وضلا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل
 ذلك كان عادة أهل الجاهلية فمما وعنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويستخلكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعصموا
 بحبل الله جبهه وان تتحاضروا من ولى الله أمركم ويستخلكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال **﴿﴾** قوله
 تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذكركم أعداءه) قال ابن قتيبة فاصبحتم بنعمة اخوانا قال محمد بن اسحق
 وغيره من أهل الاخبار كان الاوس والخزرج أخوين لآب وأم فوقع بينهما عداوة قاتل ثم تطاول تلك
 العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم وسبب ذلك ان سو يد بن الصامت أخى بني عمرو بن عوف وكان شريرا يسيه قومه الكامل لجده
 ونسبه فقدم مكة حاجا ومعتبرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأمر بالدعوة فتصدى له النبي
 حين سمع به ودعا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سو بدفعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال جلد لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اعرضها على فرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن ومعى أفضل من هذا قرآن أنزل الله عز وجل على
 نورا وهدى فتلا عليه القرآن ودعا الى الاسلام فلم يبعده منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف الى المدينة
 فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومهم يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحليس أنس بن رافع ومعه
 فتية من بني عبد الاشهل فهم اباس بن معاذ يلتصمون الخلف من قريش على قومه من الخزرج فلما سمع
 بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم قالوا وما هو قال أنا
 رسول الله قد بعثنى الله الى العباد أدعوهم الى أن لا يشركوا بالله شيئا وأنزل على الكتاب ثم ذكر الاسلام

الموت (واعصموا بحبل
 الله) تمسكوا بالقرآن اقله
 عليه السلام القرآن حبل
 الله المتين لا تنقض عجايبه
 ولا يتخلى عن كثرة الرمن
 قال به صدق ومن عمل به
 رشد ومن اعتم به هدى
 الى صراط مستقيم (جميعا)
 حال من ضمير مخاطبين
 وقيل تمسكوا بالجماعة
 دليله (ولا تفرقوا) أى
 ولا تفرقوا بينى ولا تفعلوا
 ما يكون عنه التفرق ويزول
 معه الاجتماع أو لا تفرقوا
 عن الحق بوقوع الاختلاف
 بينكم كما اختلفت اليهود
 والنصارى أو كما كنتم
 متفرقين في الجاهلية بحارب
 بعضكم بعضا (واذكروا
 نعمة الله عليكم اذكركم
 أعداءه) قال ابن قتيبة
 فاصبحتم بنعمة اخوانا
 كانوا في الجاهلية يهتسم
 العداوة والحروب قائم
 بين قلوبهم بالاسلام وقد
 في قلوبهم المحبة فتحابوا
 وصاروا اخوانا

فيه الانكار والتعجب أى
من أين يتطرق اليكم الكفر
(وأنتم تلى عليكم آيات
الله) والحال ان آيات الله
وهى اقرآن المجزئ تسلى
عليكم على اسان الرسول
خضة طرية (وفيكم رسوله)
وبين اظهركم رسول
الله عليه السلام ينهكم
ويعظكم ويزج عنكم
شبهكم (ومن يعصم بالله)
ومن يمسك بدينه أو
بكتابه أو هو حث لهم على
الاتجاه اليه فى دفع شرور
الكفار وما يهدم (فقد
هدى الى صراط مستقيم)
أرشد الى الدين الحق أو
ومن يجهد لير به ماجأ
ومفزعاً عند الشبه يحفظه
عن الشبه (يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها
وهو القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم وعن
عبد الله هو أن يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى أو هو
أن لا يأخذ فى الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على
نفسه أو بنيه أو أبيه وقبل
لا يتبني الله عبد حتى تقاته
حتى يحزن اسانه والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اناد
(ولا توفون الاؤا اتم مسلمون)
ولا تكونون على حال سوى
حال الاسلام اذا أدرككم

تكفرون وأنتم تلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) كلمة كيف كلمة تعجب والتعجب بما يلقى من لا يعلم
السبب وذلك على الله محال فالمراد منه النع والتعليق وذلك لان تلاوة آيات الله وهى القرآن حالاً به حال
وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم يرشدكم الى مصالحكم وذلك بمنع من وقوع الكفر فكان وقوع
الكفر منهم بعيد على هذا الوجه قال قتادة فى هذه الآية علمان ببيان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله
عليه وسلم امامي الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه بين أظهركم رحمة منه ونعمة (م) عن زيد
ابن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله واتقوا الله
وأنى عليه ووعظ الناس وذكرهم قال ما بعد إلا أنهم الناس انما أتوا بغير بوشك ان يأتينى رسول ربى فاجب
وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب
الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى وقوله تعالى (ومن يعصم
بالله) أى يتبع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع فى آفة توفيه حث لهم فى
الاتجاه الى الله تعالى فى دفع شر الكفار عنهم (فقد هدى الى صراط مستقيم) أى الى طريق واضح وهو
طريق الحق المؤدى الى الجنة ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال مقاتل بن
حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة فى الجاهلية وقال فى ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
أصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس وأسد بن زرارة من الخزرج
فقال الاوسى منا خبة بن ثابت ذوالشهادتين ومنا خبة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح
جى البر ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له ورضى الله به معكم فى بنى قريظة وقال الخزرجى
منااربعة أحكاموا القرآن أبى بن كعب ومنا ذين جيل وزيد بن ثابت وأبوزيد ومنا سعد بن عباد
خطيب الانصار ورثيهم جئى الحديث بينهم ما مضى وأوشدا الاشعار وتفاخر الجاء الاوس والخزرج
ومعهم السلاح فاناهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد
هو أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذكم فى الله لومة لائمة وموالاة بالقسط ولو على أنفسكم وأبايكم
وأبناءكم وعن أنس قال لا يتبني الله عبد حتى تقاته حتى يحزن اسانه وقيل حق تقاته يعنى واجب تقواه وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلاف العلماء فى هذا التقدير من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا على قوين
أحد هما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى
على هذا فانزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى فى سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والبدى والفقول الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس
أيضاً هو قال طائوس وروى هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته
هو أن يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يجوز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممنوع ومن قال بانها
محكمة قال ان حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم مفسر لالحق
تقاته لانماخذوا لخاصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يلقى
وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح الذى يصدر
من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قاذح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله
وان يشكر فلا يكفر فواجب على العبد حضور ما أتى الله به عليه بالمال وأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك
قوله وان يذكر فلا ينسى فن هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى
(ولا توفون الاؤا اتم مسلمون) لفظ النهى وقع على الموت والمضى واقع على الامر بالافاقة على الاسلام

(قل بأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وشهد على ما عملون) (الاول والاحوال والمعنى) لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهد على محمد صلى الله عليه وسلم فجاز بكم عليها (قل بأهل الكتاب) (٢٧٩) (لم تصدون) (الصد المنع) (عن سبيل الله من آمن) عن دين

فنزلات ومن كفر فان الله غنى عن العالمين وفي هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غنى عن العالمين ﴿قوله عز وجل﴾ (قل بأهل الكتاب) قيل الخطاب لاهل الكتاب الذين علموا وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوته (لم تكفرون بآيات الله) يعنى الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق ومعنى لم تكفرون بآيات الله التى دلتمكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم (والله شهد على ما عملون) أى والله شهد على محمد صلى الله عليه وسلم فجاز بكم عليها (قل بأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) يعنى لم تصرفون عن دين الله من آمن وكان صدقهم عن سبيل الله بقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم (تبغونها عوجا) يعنى زينا عوجا ميلان عن الحق والعوج بالكسر الزيف والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشئ الذى يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عانة على السبيل والمعنى لم تطلبون الزيف والميل في سبيل الله بقاء الشبهة في قلوب الضعفاء (وأتم شهداء) قال ابن عباس يعنى وأتم شهداء ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته مكتوب في التوراة وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل وعناه أتم تشهدون المعجزات التى تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته (وما الله بظالم) فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بقاء الشبهة في قلوب الناس لصدودهم عن سبيل الله والتصدىق بمحمد صلى الله عليه وسلم فالله قال الله تعالى وما الله بظالم عما تعلمون ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) الآية قال زيد بن أسلم مرشاس بن قيس اليهودى وكان شجاعا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فربهم من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتنهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملائكة بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار قاصر شابان اليهود كان معه فقال له اعد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يثقلون فيه من الاشعار وكان يوم بعث يوما اقتات في الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتسكك القوم عند ذلك وتنازعوا وتنازعوا حتى تواتر رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قبيطى أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتنازعا فقال أحدهما لصاحبه ان شئت والله ردناها الآن جعدة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدهم الظاهر وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمنعهم من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين أهدى الجاهلية أو أباين أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وأب ينسكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله ففر القوم انما نزعت من الشيطان وكيد من عدوهم فالتقوا السلاح من أيديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر غارأت يوما فخرج أولا وحسن آخر من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يعنى شامسا اليهودى وأصحابه) (بردكم بعد ايمانكم كافرين) والذكر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار ثم قال تعالى (وكيف

فبلغ النبى عليه السلام فخرج اليهم فيمنعهم من المهاجرين والانصار فقال أهدى الجاهلية أو أباين أظهركم بعد اذا كرمكم الله بالاسلام وأب ينسكم ففر القوم انما نزعت من الشيطان فالتقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا كين فنزلت الآية (وكيف

بنفسه فهو أن يكون قويا قادر على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت لأنه ليس بمقتضى وأما المرفوع ما رواه إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم ترك الحديث قال يحيى بن معين إبراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر واختلاف العلماء في قوله تعالى من استطاع إليه سبيلا قالت طائفة الآية على العموم إلا أن أعلم خبرا يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجتماع لاهل العلم بوجوب أن نستثنى من ظاهر الآية «بما فعل كل مستطيع للحج» يجد إليه السبل بأي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الآية قول ورد يناعن عكرمة أنه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك إذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضى نسكه وقال مالك الاستطاعة على استطاعة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجله وقالت طائفة الاستطاعة لزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وأحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان أحدهما أن يكون الرجل مستطيعا يديه وأرجله من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فبغيره فرض الحج والثاني لا يقدر أن يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطعمه إذا أمره أن يحج عنه أو قادر على دل ويجوز من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا من لزومه فرض الحج أما حكم لزاد والراحلة فهو أن يجد راحلة تصلح له ووجد من الزاد ما يكفي له هابه وورجوه فاضلا عن نفقة ونفقة من يلزمه فقنهم وكسوتهم وعن دين إن كان عليه ووجد رفيقه يخرجون في وقت جرت العادة بخروج أهل البلد في ذلك الوقت فإن خرجوا قبله أو أخرأ الخروج إلى الوقت لا يصلون إلا بقطع أكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط أن يكون الطريق أمنافا كان فيه خوف من عدو مسلم أو كافر أو رصدي طالب الخفارة لا يلزمه ويشترط أن تكون منازل الماء مأهولة ومعمورة ويجد فيها مآسرت العادة بوجوده من الماء والزاد فإن نرقق أهلها لجذب أو غارت مياهها فلا يلزمه الخروج ولولم يجد الراحلة وهو قادر على المشي أو لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرط لوجوب الحج ويستحب له أن يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك وأما المستطيع بغيره فهو أن يكون الرجل عاجزا بنفسه بأن كان زمانا به مرض لا يرجى برؤه وله بدل يمكنه أن يستأجر من يحج عنه فيحب عليه أن يستأجر من يحج عنه وإن لم يكن له مال أو بدل له ولده أو أجنبي الطاعة إن أن يحج عنه يلزمه الحج إن كان يعتمد على صدقه لأن وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة وعند أبي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجته من أوجب الحج ببذل الطاعة ماري عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس ردي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل أفتل ينظر البهاونظرا إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصر وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا رسول الله إن فرصة الله على عباد في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع أخرجه في الصحيحين في قوله تعالى (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) يعني ومن يجد ما يلزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فإن الله غني عنه وعن حجه وعلمه وعن جميع خلقه وقيل زلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كافر به لا يرى على بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زاد أو راحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فإلغاه إن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي أسناده مقال وهلال بن عبد الله مجحول والحريث يضعف في الحديث وقيل هو الذي أن حج لم يره براوان قد لم يره وإنما قيل زلت في اليهود وغيرهم من أصحاب الملل حيث قالوا أنا سامون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج إلى مكة غير واجب وكفروا به

(ومن كفر) أي حجب
ورضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء
ويجوز أن يكون من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الحسيم وسعة الرزق ولم يحج (فإن الله غني عن العالمين) مستغن عنهم وعن طاعتهم وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى أي الحق واجب لله في رقاب الناس ومنها الإبدال ففيه تشبيه للمراد وتكريره ولا ن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الاجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه بمرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء للاحالة لأنه بدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه

التي اكتبها قبل ذلك في قوله عز وجل (ولله على الناس حج البيت) أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الاسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعند النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الاسلام الخمسة (من استطاع اليه سبيلا) يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام

منه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) أي استقر عليهم فرض الحج حج البيت كوفي غير أبي بكر وهو اسم وبافتتح مصدر وقيل هما لفتان في مصدر حج (من) في موضع جوعلى أنه بدل البعض من الكل (استطاع اليه سبيلا) فسرهما النبي عليه السلام بازاد الراحلة والاضمة في اليه مائتي أو ناحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيل اليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فخرجوا فأمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لانؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحتججه فنزل

(فصل) في فضل البيت والحج والعمرة (ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول بيت وضع للناس مبارك يصلي فيه الكعبة قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربع بعون عامر ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن وانما سدته خطا يابني آدم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثه الله يوم القيامة وله عينان يبصرهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبيد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الزكن والمقام باقوتان من باقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لانشاء ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر وموقوف (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشدوا الرجال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى (ق) عن أبي سعيد الخدري ان النبي عليه السلام قال لا تشدوا الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا المسجد الحرام والمسجد الأقصى (م) عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن زيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه أخرجه الترمذي وقال شفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كائني الكبير خبت الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محررا لا غابت الشمس بذنوبه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم بلى الابلى ما عني ومنه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تقطع الارض من ههنا وههنا وقال الترمذي هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال الترمذي هذا حديث غريب

(فصل) في أحكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجه لم يصح لان الكافر ليس من أهل القرية ولا حاكم اقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حجه لم يعقل أو حجه عبد مصلح حجه ما تعلقوا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجنا تانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان أحدهما أن يكون مستطيعا بنفسه والاخر أن يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع

الجمع

الآيات كانه قيل فيه آيات
بينات مقام ابراهيم وأمن
داخله وكثير سواهم انغو
انه حق الاجماع كثره
المرامة وامتناع الطبر من
المساو عاينه وغ بذلك
ونحوه في طي الذ كرقوله
عليه السلام حبب الى من
دنيا كم ثلاث الطيب
والنساء وقرعة عيني في الصلا
فقرعة عيني ليس من الثلاث
بل هو ابتداء كلام لانها
ليست من الدنيا والثالث
معلوى وكانه عليه السلام
ترك ذكر الثالث تنبيهها
على أنه لم يكن من شأنه
أن يذكر كشيأ من الدنيا
فذكر كشيأ من الدين
وقبل في سبب هذا الاثر أنه
لما ارتفع بزيان الكعبة
وضعب ابراهيم عليه السلام
عن رفع الحجارة قام على
هذا الحجر فاضت فيه قماما
وقيل انه جاء زائر من
الشام الى مكة فقالت له

الى

فانعموا لآبراهيم حنيفا وكان من أعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه لآفة فضيلة البيت
 ليفرع عليها الجبابرة و قوله ان أول بيت وضع للناس الأول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل
 هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيب شيء آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس
 أي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبة للصلاة وموضع للحج وللطواف تزاد فيه الخبريات ونواب
 الطاعات وكونه موضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العا كنف فيه والباد فان قلت
 كيف أضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس قلت اما اضافته الى
 نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما اضافته الى الناس فلأنه يشترك فيه جميع
 الناس لانه موضع يحجهم وقبة صلاتهم للذي بيكة قيل هي مكة نفسها والعرب تاقب بين الباء والميم فيقولون
 ضرب لآب ولازم وقيل بيكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للباد وفي اشتقاق بيكة وجهان أحدهما انه من البك
 الذي هو عبارة عن الدفع بل بيكة ايكة اذا دفعه وزاجه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكه لان الناس
 يتباكون فيها أي يزجون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقناد الوجه الثاني سميت
 بيكة لانها تبتك أعناق الجبابرة أي تنفذهم ليقصد هاجبار بسوء الاقصم الله تعالى وهذا قول عبد الله بن
 الزبير وما مكة فسميت بذلك لقلة ماؤها من قول العرب ملك الفصيل ضرع أمه وابتكها اذا ضل كل ما فيه من
 اللبن وقيل لانها تملك الذنوب أي تزيلها واسميت مكة أم رحم لان الرحمة تنزل بها والخطامة لانها تعظم من
 استخف بحرمتها ولان الناس يحطم بعضهم بعضا من الرحمة وسميت أم القرى لانها أصل كل بلدة ومن تحتها
 دحيت الارض واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما انه أول في الوضع
 والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه أن الله خلق موضع
 البيت قبل أن يخلق شيئا من الارض بالي عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات
 والارض خلقه قبل الارض بالي عام وكان زبدية بضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحته وهذا قول
 ابن عمر ومجاهد وقناد والسدي وقيل هو أول بيت بني على الارض وروى عن علي بن الحسين بن علي رضي
 الله عنهم ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر
 الملائكة الذين في الارض أن ينو اي تنافى الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت ٣ واسمه الضراح
 وأمر من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق
 آدم بالي عام وكانوا يحجونه فلما أحبه آدم قال له الملائكة برحمتك يا آدم لقد سمحنا هذا البيت قبلك بالي
 عام وقال ابن عباس هو أول بيت بناه آدم في الارض فيسأل ان آدم لما أهبط الى الارض استوحش وشكا
 الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبنها وطاف بها وفي ذلك البناء زمان نوح عليه السلام فلما كان
 الطوفان رفع الله البيت الى السماء ونق وضع البيت أكمة بيضاء الى أن بعث الله ابراهيم عليه السلام فأمره
 ببنائه القول الثاني أن المراد من الاول كونه هذا أول بيت وضع للناس مباركا وبذل عليه سياق الآية
 وهو قوله تعالى للذي بيكة مباركا وروى أن رجلا قام الى علي بن أبي طالب فقال لا تخبرني عن البيت أهو أول
 بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت واسكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدي وفيه مقام ابراهيم
 ومن دخله كان آمنا وقال الحسن وأول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال
 الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج اليه وأول بيت جعل قبله للناس (ق) عن
 أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم
 أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت
 كم بينهما قال أربعون عاما ثم قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم قال
 البخاري فان افضل فيه وقوله (مباركا) يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثوب الخير

أو لانها تبتك أعناق
 الجبابرة أي تنفذهم
 يقصدها جبار الاقصم الله
 (مباركا) كثير الخير لما
 يحصل للحجاج والمعتمرين
 من الثواب وتكفير
 السيئات

٣ قوله واسمه الضراح
 الذي في القاموس ان
 الضراح البيت المعمور في
 السماء الرابعة اه مصححه

(قل فأتوا التوراة فانظروا ان كنتم صادقين) أمر بان يحاجهم بكتابتهم بها وما ناطق به من ان تحرير ما حرم عليه - ثم تحرير ما حرم عليه بكتبهم بغير حق وادعى اخراج التوراة وهو متروك فادعى دليلين على صدق النبي عليه السلام ودعى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) زعمه ان ذلك كان محررا في ملة ابراهيم ونوح

(٢٧٤)

عليه ما السلام (من بعد

وصف له الاطعام ان يختب لحوم الابل خمرها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعديا لله تعالى وسأله به ان يجز ذلك فخرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل ثم استثنى ما حرم اسرائيل على نفسه - فوجب بحكم الالة - ثناء ان يكون ذلك حراما على بني اسرائيل ما قبله من قبل ان تنزل التوراة فعنه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام حلالا لبني اسرائيل سوى ما حرمه اسرائيل على نفسه ما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم أشياء كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني اسرائيل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحرير اسرائيل فانه قال ان عاقبة الله تعالى لا يأكله ولد له ولم يكن ذلك محررا عليهم في التوراة وقال السكيتي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة فلهذا هم كما قاله تعالى في ظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيتهم وانما ادقون فكانت بنو اسرائيل اذا أصابوا ذنبا عظميا حرم الله عليهم طعا ما طيبا أو صب عليهم - ثم جزوا هو والموت وقال الضحاك لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على أنفسهم اتباعا ليهيئهم وأضافوا حرمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى (قل فأتوا بآياتهم) يعني قل لهم فأتوا بالتوراة (فانظروا) أي فافرضوها وما فيها حتى يتبين أن الأمر كما قلتم (ان كنتم صادقين) يعني فيها ادعيتهم فلم يأتوا بها وخافوا الضحية فقال تعالى (فمن افترى على الله الكذب) الا فترأ اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد وأصله من فرأ الاديم اذا فاعله لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود (من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محررا قبله (فأولئك هم الظالمون) أي هم المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولأن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحنتهم فبأنبي عليهم ما نطق به القرآن من تعديهم مساويهم التي كانوا يرتكبونها (قل صدق الله) يعني قل صدق الله بما حرم فيها أخبرنا ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل وأولاده بعد ان كان حلالا لهم - وصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل وألبانها كانت محلة لآدم عليه السلام وانما حرم على بني اسرائيل بسبب تحريم اسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في ان سائر الاطعمة كانت محلة على بني اسرائيل وانما حرم على اليهود جزءا على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأخبر وأتم كاذبون يا معشر اليهود (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لسماء الله محمد صلى الله عليه وسلم (وما كان من المشركين) أي لم يدع مع الهة أخرى ولا عبد سواه (فقلوه عز وجل) ان أول بيت وضع للناس الذي بيكة (سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا لآدميين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الانبياء وقبلتها وأرض المشرك وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما دعت اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم كذبهم الله تعالى وأخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة

عليه ما السلام (من بعد ذلك) من بعدهم من الحجة القاطعة (فأولئك هم الظالمون) المشركون الذين لا يصدقون - من أنفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) في اخباره انه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت ان الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم) ملة الاسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورثتمكم في ساداتكم ودنياكم حيث اضطركم الى تحريف كتاب الله لنسوبة أغراضكم واقتضتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لآدم ولنبيه (حنيفا) حال من ابراهيم أي ما لا يعن الايمان بالباطلة (وما كان من المشركين) ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا ناقبل قبلتكم نزل (ان أول بيت وضع للناس) والواقع هو الله عز وجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متمعبدا لهم فكانت قال ان

أول متعبدا للناس الكعبة وفي الحديث ان المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس باربعين سنة قبل أول من

بنوا ابراهيم وقيل هو أول بيت حج به الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خافي السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الارض وقوله وضع للناس في موضع جرف صفة لبيت والخبر (للذي بيكة) أي للبيت الذي بيكة وهي علم للبلاد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقيل مكة موضع المسجد وقيل اشتقاقهما من بكه اذا رجع لآدم الناس فيها

فاتبعوا

نفسه من قبل أن تنزل التوراة) سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لئن صلى الله عليه وسلم أنك تزعم أنك على ملا إبراهيم وكان إبراهيم لاياً لكل لحوم الأبل والباشا وأنت تأكل ذلك كله فليست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالاً لإبراهيم قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى السيفان فزول الله عز وجل كل الطعام كان حلالاً لئن إسرائيل الامحرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الأمر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الأبل على إبراهيم بل كان ذلك حلالاً على إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فانكر اليهود ذلك فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم أن يستخرجوا منها أن ذلك كان حراماً على إبراهيم فيجوز وعان ذلك واقتضوا جواباً كذبهم فيها إذ عوامن سرية هذه الاشياء على إبراهيم وقيل ان اليهود أنكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم وأدعوا ان النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم وأخبر أن كل الطعام كان حلالاً لئن إسرائيل الامحرم إسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالاً صار حراماً عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير جائز فأدرك اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراماً من زمن آدم الى هذا الوقت قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة بان بعض أنواع الطعام انما حرم بسبب ان إسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلاً ميامياً يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلهذا أخرنا ذلك ليس في التوراة علم ان الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم وحى من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام أو سائر المطعومات كان حلالاً لئن إسرائيل الامحرم إسرائيل على نفسه إسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقل حرم لحوم الأبل وألبانها وروى الطبري بسند عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا بأي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل أعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فإطال سقمه منه فنذر الله نذراً ان عافاه الله من سقمه لم يحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الأبل وأحب الشراب اليه الباشا فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النساء وكان أصل وجعه فيأروى عن الضحاك أن يعقوب كان نذراً لله في عشرين ولداً واثني عشر المقدس محبداً أن يذبح أحدهم وفي رواية أخرى أنه قتلها ملك من الملأنة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغزاه الملك غزوة فغرض له عرق النسان ذلك ثم قال أما في لوشئت أن أصرعك لفعلت ولكن غزيتك هذه الغزوة لانك قد نذرت ان آتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك لجعل الله لك بهذه الغزوة من ذلك مخرجاً فلهذا قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسب وقال له الملك فامه الملك وقال له انما غزيتك للخروج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في آخره أن يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه العيص وكان يعقوب رجلاً بطشاً قوي بافقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه أن يصرع فغزاه الملك فغزاه يعقوب وصعد الى السماء يعقوب ينظر فهاج به عرق النساء في منهشدة فكان لا ينام الليل من الوجع وبيت ولا رغاء أي صياح يخاف يعقوب ان يشفاه الله أن لا يأك كل عرقاً ولا يطعما فيه عرق خرمه على نفسه فكان ذبوه بعد ذلك يذعن العروق ويخرجونها من اللحم ولا يأكوا وهو وقيل لم أصاب يعقوب ذلك

نفسه من قبل أن تنزل التوراة) وبالتخفيف مكى وبصرى وهو لحوم الأبل وألبانها وكان أحب الطعام اليه والمعنى ان الطعام كله لم يزل حلالاً لئن إسرائيل من قبل انزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه فلهذا نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الأبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه

عن الاسلام فلما رجع الحرب الى الاسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدنا نؤتي أردنا
الرجعة ينزل فينا مثل منازل في الحرب فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فن دخل منهم في الاسلام
قبلت تو به ونزل فبين مات منهم على كراهة الذين كفروا وما تواتواهم كفار الآية فان وب قد وعد الله
قبول التوبة عن تاب فاعني قوله لن تقبل تو بهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل تو بهم فقال
الحسن وعطاء وقتادة والسدقي ان تقبل تو بهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحسرة لان الله تعالى قال
وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت على
الكفر لا تقبل تو به كما قال ابن الهيثم والكفار والمرددين الذين فعلوا ما فعلوا لم يتواتوا على ذلك لن تقبل
تو بهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار التوبة استراحوهم والكفر في ضاهتهم وقال
أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوبهم لولا هي حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فان تو بهم في حال الشرك
غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل تو بهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل تو بهم
أي عازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لان كفرهم لان الله تعالى لما وعد ان يقبل التوبة من
عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو فان الله غفور
رحيم علم أن المعنى الذي لا يقبل التوبة منه غير المعنى الذي يقبل التوبة منه فعلى هذا فالتى لا تقبل التوبة
منه هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لان الله تعالى لا يقبل عمل
مشرك ما أقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى
(وأولئك هم الضالون) يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرهم الذين ضلوا عن سبيل
الحق وأخطوا منها جهنم قوله عز وجل (ان الذين كفروا وما تواتواهم كفاراً) قال ابن عباس لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرب بن سويد حيا في الاسلام فزلت هذه الآية فبين مات
منهم على الكفر وقيل فبين مات كافر من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام
فلاية عامة في جميع من مات على الكفر (فلن يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهباً) أي قدر مملأ الأرض
من شرفها الى غربها (ولو افئدي به) قيل معناها لو افئدي به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها
وقائمتها انها العطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الأرض ذهباً وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك وكذلك
لو افئدي من العذاب بملء الأرض ذهباً لن يقبل منه وهذا آكد في التغليب لانه تصرح بنفي القبول من
جميع الوجوه فان قلت الكفار لا يملك شيئا في الآخرة فوجه قوله لن يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهباً
قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن لك كافر قدر ملء الأرض ذهباً يوم القيامة قبله
في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء
الأرض ذهباً مات على كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة (وأولئك) إشارة الى من مات
على الكفر (لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض
من شيء أ كنت تقتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تنشر في
شيأ فآيت الا لشرك أظلم مسلم قوله عز وجل (ان تنالوا البر) قال ابن عباس يعني الجنة وقيل
البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه ان تنالوا حقيقة البر وان تكونوا أبراراً حتى تدفوا عما
تخون وقيل معناه ان تنالوا البر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال البر عبد ربى توسع في
طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وفيه يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهم ما من الخير
التوسع فيه (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان

(وأولئك هم الضالون ان
الذين كفروا وما تواتواهم
كفاراً لن يقبل من أحدكم
ملء الأرض) انما في
فلن يقبل يؤذن بان
الكلام مبنى على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع
قبول القدية هو الموت
على الكفر وترك الفاء في
تقديم بشر بان الكلام
مبتدأ وخبر ولا دليل فيه
على التسبب (ذهباً)
تمييز (ولو افئدي به) أي
فلن يقبل من أحدكم فدية
ولو افئدي بملء الأرض
ذهباً قال عليه السلام يقال
للكافر يوم القيامة لو كان
للك ملء الأرض ذهباً
أ كنت مقتدياً به فيقول
نعم فيقال له لقد سئلت
أيسر من ذلك قيل الواو
لتأكيد النفي (وأولئك
لهم عذاب أليم) مؤلم
(وما لهم من ناصرين)
معينين دافعين العذاب
(ان تنالوا البر) ان تبلغوا
حقيقة البر وان تكونوا
أبراراً وان تنالوا البر الله
وهو ثوابه

كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم) والوارى (وشهدوا أن الرسول حق) للجدال وقد ضمرة أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول أى محمد حق أو (٢٧٠)

البنات) أى الشواهد
كالقرآن وسائر المجزئات
(والله لا يهدي القوم
الظالمين) أى ماداموا
مختارين الكفر ولا يهديهم
طريق الجنة إذا ماتوا
كفارا (أولئك) مبتدأ
(جزاؤهم) مبتدأ ثان خبره
(أن عليهم لعنة الله) وهما
خبر أولئك أو جزاؤهم
بدل الاشتغال من أولئك
(واللائكة والناس أجمعين
خالدين) حال من الهاء
والإجماع عليهم (فيها) في
اللعنة (لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون)
الذين تابوا من بعد ذلك
الكفر العظيم والارتداد
(وأصلحو) ما أفسدوا أو
دخلوا في الإصلاح (فان الله
غفور) لكفرهم (رحيم)
بهم ويزل في اليهود (أن
الذين كفروا) يعيسى
والأنجيل بعد إيمانهم بعيسى
والتسوية (ثم ازدادوا
كفرا) بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن أو كفروا
برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ما كانوا به
مؤمنين قبل مبعثه ثم
ازدادوا كفرا بأصهارهم
على ذلك وطعنهم فيه في كل
وقت أو نزل في الذين ارتدوا

عن

ولحقهم إيكه وازدادهم الكفر أن قالوا نقيم بكم نكر بص بمحمد رب المذنون (لن نقبل تو بته)
أى إيمانهم عند البأس لانهم لا يتوبون الأعداء الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا

(وله أسلم من في السموات والأرض) (الانس والجن) (طوعا) (بالتطرف في الأدلة والأصاف من نفسه) (وكرها) (بالسيف) (وبعدائه)
العذاب كسقت الجبل على بني إسرائيل وأدارك الغرق فرعون والاشد على الموت فامسأرا وأباحتوا قلوبهم وأباحت طوعا وكرها
على الخلال أي طعن ومكرهين (والإيه ترجعون) فوجزكم على الاعمال يتبعون ويرجعون بالياء فيها محض وبالباء في الثاني وفتح
الحج أبو عمر ولان الباغي هم المتولون والراجعون جمع الناس وبالكه فيها (فأما ما

(٢٦٩)

بأله وما أنزل علينا) أمر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأن يخبر عن نفسه
وعمن معه بالإيمان فلا
يحدث الضمير في قول وجمع
في أمنا أو أمران يتكلم
عن نفسه كما يتكلم الملوك
اجبالا من الله لقد
نبيه وعدى أنزل هنا يعرف
الاستعلاء في البقرة بحرف
الاستعلاء لوجود المعنيين
اذلوحى ينزل من فوق
ويشتمى إلى الرسول فجاء
تارة بأحد المعنيين وأخرى
بالآخر وقال صاحب الباب
الخطاب في البقرة لا لامة
لقوله قولوا فلما يصح الالى
لان الكتب منبهة الى
الانبياء والى أمتهم جميعا
وهنا قال قل وهو خطاب
لاني عليه السلام دون
أمته فكان اللاتقرب به على
لان الكتب منزلة عليه
لاشركة لامة فيه وفيه
نظر لقوله تعالى أمموا
بأذي أنزل على الذين آمنوا
(وما أنزل على إبراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط) أولاد يعقوب
وكان فيهم أنبياء (وما أوتي

أفريد بن الله الهزيمة لاسلستفهام والمراحمه لانكاره التوبيخ يعني أفعى ما أخذ الميثاق عليهم ووضح
الدلائل طمأن دين إبراهيم هود بن الله الاسلام يتبعون قرى بالياء على خطاب الحاضر أي أفريد بن الله
أطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرى بالياء على الغيبة رداعلى قوله فن تولى بذلك قالوا لك هم
الفاشون (وله أسلم) أي خضع وانقاد (من في السموات والأرض طوعا وكرها) الطوع الانقياد والاتباع
بسهولة والكرها كان من ذلك بشقة وإيما من النفس واختلاف في معنى قوله طوعا وكرها فقبل أسلم أهل
السموات طوعا وأسلم بعض أهل الأرض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي فقبل أسلم المؤمن
طوعا وانقاد الكافر كرها وقبل هذا في بواخذ الميثاق حين قال أسلمت بكم قالوا بلى فمن سبقت له العادة
قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قل ذلك كرها وقبل أسلم المؤمن طوعا فعه اسلامه يوم القيامة
والكافر يسلم كرها عند الموت في وقت اليأس ولم ينفعه ذلك في القيامة وقبل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى
لامتناع على الشقي من اذلاله ما لم يفتقد الله فيما أمره أو نهاه عنه طوعا أو أمرا الكفر في قتالته كرها في
جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه دفع قتلته فقرر عنه (والإيه ترجعون) قرى بالياء والياء والمعنى ان مرجع
الخلق كله إلى الله يوم القيامة وفيه وعيد عظيم لمن خالف في الدنيا قوله عز وجل (قل أمنا بالله) لماذا كر
الله عز وجل في الآية المتقدمة أخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي يأتي صدقا لما هم بين
في هذه الآية أن من صدقة محمد صلى الله عليه وسلم صدق ما معهم فقال تعالى قل أمنا بالله رانما لوحيد الضمير
في قوله قل وجمع في قوله أمنا بالله لانه لما خاطبه بلفظ الوجدان ليدل هذا الكلام على انه لا يبلغ هذا
التكليم عن الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال أمنا بالله تبيها على انه حين قال هذا القول وافقه أصحابه
حين الجمع في قوله أمنا بمعنى الآية قل بالمجد صدقة بالله انه ربنا والها لاله لنا غيره ولا بسواه وانما
قدم الامان بالله على غيره لانه الاصل (وما أنزل علينا) يعني وقبل بالمجد صدقة أيضا بما أنزل علينا من وحيه
وتنزيله وانما قدم ذكر القرآن لانه أشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل (وما أنزل
على إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء بالذكر
لان أهل الكتب يعرفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم أولاد يعقوب الانما عشرين وكانوا
أنبياء ثم جمع جميع الانبياء فقال (والنبيون) أي وأوتي النبيون (من رهم لا نفرق بين أحد منهم)
وذلك لان أهل الكتب يؤمنون ببعض النبيين وينكفرون ببعض فامر الله عز وجل بنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن أمته انه يؤمن بجميع الانبياء فان قلت لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة تحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعه الان الوحي ينزل من فوق
ويشتمى الى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالآخر (ونحن له مسلمون) أي موحدون
مخلصون أنفسنا لانه لشر يكفى عبادتنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومن يتبع غير الاسلام دينه فلن يقبل
منه) يعني ان الدين المقبول عند الله هود بن الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح
ما يأمر الله به ويرضى عن قاعله وبشبهه عليه (وهو في الآخر من الخلد ين) يعني الذين وقعوا في الخسار

موسى وعيسى والنبيون) كز في البقرة وما أوتي موسى ولم يكرهنا لتقدم ذكر الانبياء حيث قل لما آتيتكم (من رهم) من عند رهم
(لا نفرق بين أحد منهم) في الايمان كما فعلت اليهود والنصارى (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون أنفسنا لانه لشر يكفى عبادتنا
(ومن يتبع غير الاسلام) يعني التوحيد واصل الاسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام (دينا) تمييز (فلن يقبل منه وهو في الآخر من الخسار من)
من الذين وقعوا في الخسار ان نزل في هذا اسمائهم رجوعا عن الاسلام ولحقوا بكمكة

الاضداد للام في (هـ) اسكن من كتاب وحكمة) لام النوسطة لان أحد الميثاق في معنى الاسجد والوفى يؤمن لام جواب القسم وما
أن تكون متضمنة لمعنى الشرط تؤمن سادس جواب القسم والشرط جعاً أن تكون وصولة معنى لاى آية كما هو واقع يؤمن به (ثم جاء
مهلوف على الصلوة والاعادة مالهى (٢٦٨) ما حذوف والتقدير ثم جاءكم به (رسول صدق لماءكم) للكتاب الذى معكم (التو
به) لرسول (والتصريحه)
أى الرسول وهو محمد
صلى الله عليه وسلم لما
آتيتكم حزة وما بهنى
الذى أومد رية لى لاجل
ايتائى اياكم بعض الكتاب
والحكمة ثم تجي رسول
مصدق لما معكم واللام
للتعالي أى أخذ الله ميثاقهم
لتؤمن بالرسول ولتصبره
لأجل أى آتيتكم الحكمة
وان الرسول الذى أمركم
بالإيمان به وتصبرته موافق
لكم غير مخالفاً آتيتكم
مدنى (قال) أى الله (أأقرتم
وأخذتم على ذلكم اصرى)
أى قبلتم عهدى وسمى اصرا
لانه ما يؤصر أى يشد
وبعد (قالوا) قررنا قال
فاشهدوا) فاشهد بضعكم
على بعض بالقرار (وأنا
معكم من الشاهدين) وأنا
معكم على ذلك من اقراركم
ونشهدكم من الشاهدين
وهذا تو كيد عليهم وتحذير
من الرجوع اذا عدوا
بشهادة الله وشهادته بعضهم
على بعض وقيل قال الله
للملائكة اشهدوا (فن
تولى بعد ذلك) الميثاق

محمد صلى الله عليه وسلم وأخذهم العهد على قومهم يؤمن به يؤمن بآية وهم حياه اينصره وقيل ان المراد من
الآية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على أنهم مائة ذابعت محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا
وبصبره وهذا قول كثير من المفسرين (وقوله) (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) قرئ بفتح اللام من
وبكسر هاء مع اخفيف فى اقرأتم من قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين من أحد
الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول بعدى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة تؤمن به بالآية
عندكم فى التوراة فمن ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله تؤمن به من أحد الميثاق كقوله أخذ
ميثاقك لتعنف لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف الله النبيين لآية آتاهم
من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لماءهم يؤمن به ولا ينصره (وقوله) (ثم جاءكم رسول) يعنى
محمد صلى الله عليه وسلم (مصدق لماءكم) وذلك ان الله وصفه فى كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها أحوالهم
فأذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة لمافى كتبهم المنزلة فقد صار مصداقاً لما يجب الايمان به والاقتداء لقوله
ولام قوله (تؤمن به) لام القسم تقديره والله تؤمن به (والتصريحه) قال الغوى قال الله عز وجل للانبياء
حين استخرج الزرية من صلب آدم والانبياء فيهم كلما رجع أخذ عليهم الميثاق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم
أأقرتم وأخذتم على ذلكم اصرى الآية بقول الامام خن الدين الرازى يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرأه
عقولهم من الدلائل الدالة على أن الاقتياد واجب فاداء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه
فأذا أخبرهم بعد ذلك ان الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا ذلك وجوبه بتقرير هذا الدليل على عقولهم
فهذا هو المراد من الميثاق (قال أأقرتم) يعنى قال الله تعالى أأقرتم فان فسرنا ان أخذ الميثاق كان من
الانبياء كان معناه قال الله تعالى للنبيين أأقرتم بالإيمان به والتصبر له وان فسرنا بان أخذ الميثاق كان على
الامم كان معناه قال كل نبى لا اله الا الله وأقرتم وذلك لانه تعالى أضاف أخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون
أخذوه على الامم فذلك طلب هذا الاقرار واداءه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود أن الانبياء
بالغوا فى ثابت هذا الميثاق وتأكده على الامم وطالبوهم بالقبول وكذا ذلك بالاشهاد (وأخذتم على
ذلكم اصرى) أى عهدى والاصر العهد الثقيل وقيل سمى العهد اصر لانه ما يؤصر أى يشد وبعد (قلوا)
أأقرنا) أى قال النبيون أقرنا بما ألزمنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لماءنا من كتبكم
(قال فاشهدوا) يعنى قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا رايتم أنهم على أنفسهم وقيل على أي حكم أو بأعانة
الذين أخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا وافهوا كساية عن غيرهم ذكر وقيل معناه فاشهدوا
وبينوا أصل الشهادة العلم والبيان (وأنا معكم من الشاهدين) يعنى قال الله ببعشر الانبياء وأنا معكم
من الشاهدين عليكم كى على أتباعكم وقال للملائكة وأنا معكم من الشاهدين عليهم (فن تولى) أى الخارجون
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته (بعد ذلك) الاقرار (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون
عن الايمان والطاعة (وقوله عز وجل) (أفغير دين الله يبغون) وذلك ان أهل الكتاب استغفروا قادم على كل
فر يق منهم أنه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصمو الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلا الفرقين يرى من دين ابراهيم فقبضوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فآمر الله

والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الايمان بالنبي الجائى (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من
الكفار (أفغير دين الله يبغون) دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جلة على جلة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون
وسطاطهم زمة ينموا ويوزان يعطف على محذوف تقديره أتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لانه
من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة توجه الى المعبود بالباطل

والعنى بسبب كونكم عالمين
وبسبب كونكم دارسين
للعلم كانت الرابطة التي هي
قوة التفكك بطلانة الله
مسببة عن العلم والدراسة
وكفي به دليلا على خيبة سعي
من جهده نفسه وكذا روحه
في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة
الى العمل فكان كن غرس
شجرة حسنة تؤت ثمره بغيرها
ولا تنفعه بثمرها وقيل معنى
تدرسون تدرسونه على الناس
كقوله لتقرأ على الناس
فيكون معناه معنى تدرسون
من التدريس كقراءة ابن
جبر (ولا يامركم) بالنصب
عطفا على ثم يقول ووجهه
أن تجعل لاسم بدلة كبد
معنى النقي في قوله ما كان
لبشر والمعنى ما كان لبشر
أن يستنبه الله وينصيه
للدعاء الى اختصاص الله
بالعباد وترك الاندفاع
ياشر الناس بان يكونوا عبادا
لهو يامركم (ان تتخذوا
الملائكة والنبين أو بابا)
كاقول ما كان لزيد أن
أكرمه ثم ينفى ولا يستخف
بني وبالرفح حجازي وأبو
عمر وعلى على ابتداء
الكلام والهمزة في
(أيايصركم بالكفر)
لأنكار والضمير في لا يامركم
وأيايصركم للبشر والله وقوله
(بعد اذا كنتم مساهون)
يدل على أن الخطاين كانوا
مساينين وهم الذين
استأذنوه أن يسجدوا له

ير في الناس بصغار العلم وكباره فويل الى الباقي العالم الذي جعل به الله وقيل الى الباقي العالم بالخلال والحرام
والامر والنهاي وقيل الى الباقي الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات ابن عباس رضي الله
عنه قال محمد بن الحنفية اليوم مات باقى هذه الامة قال سيبويه الى الباقي المانوس الى الرب بمعنى كونه
علما به ومواظبا على طاعته وزيادة الاف والاف في هذه الامة الى كمال هذه الصفة وقال المبرد الباينون
أو باب العلم واحد هم ربان وهو الذي ير في العلم وير في الناس أي يعلمهم وينصحبهم والاف والاف للبالغة
فقل قول سيبويه الى الباقي منسوب الى الرب على معنى التخصيص بعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الباينون
ماخوذ من الترتيب وقيل الباينون هم ولا الامة والعلماء وهم الفر يقان المذاكر بطاعان ومعنى الآية
على هذا التأويل لا أدعوك الى أن تكونوا عبادا لي ولكن أدعوك الى أن تكونوا موكلا لعلماء ومعلمين
الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته وقال أبو عبيدة أحسب ان هذه الكلمة ليست عريضة إنما
هي عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس
طريق الخير ﴿وقوله تعالى﴾ (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي كونوا ربايين
بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدل الآتي على أن العلم والتعليم والدراسة
توجب كون الانسان ربايين اشتغل بالعلم والتعليم لا بهذا التقوى وضاع علمه ورخاب سعيه ﴿وقوله﴾
عز وجل (ولا يامركم) قرئ برفع الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على
اضمار أن أي ولا يامركم قرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه لا يامركم الله وقيل ولا يامركم
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى وقيل ولا يامركم الانبياء (أن تتخذوا الملائكة والنبين
أربابا) يعنى كفعل قرئش والصوابين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والاضارى حيث
قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما خاص الملائكة والنبين بالذكر لان الذين وصوا بعبادة غير الله
عز وجل من أهل الكتاب لم يحكم عنهم الاعباد الملائكة وعبادة المسيح وعزير فابعد المعنى خصهم
بالذكر (أيايصركم بالكفر بعد اذا كنتم مساهون) انما قاله على طريق التعجب والانكار يعنى لا يقول هذا
ولا يفعله ﴿وقوله عز وجل﴾ (واذا أخذ الله ميثاق النبين) قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذا كرفي
أقاصيصك اذا أخذ الله وقال الطبري معناه واذا كروا يا أهل الكتاب اذا أخذ الله يعنى حين أخذ الله ميثاق
النبين وأصل الميثاق في اللغة عقديو كديهم ومعنى ميثاق النبين ما وثقوا به على أنفسهم من طاعة الله
فما أمرهم به ونهاهم عنه وذكرنا في معنى أخذ الميثاق وجهين أحدهما أنه أخذ من الانبياء والثاني
أنه مأخوذ لهم من غيرهم فهذا السبب اختلقت في المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى أن الله تعالى أخذ الميثاق
من النبين خاصة قبل أن يبلغوا كتاب الله ورسالته الى عبادته أن يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على
كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره أن أدركه وان لم يدركه أن يامر قومه بنصرته ان
أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
أجمعين وهذا قول سعيد بن جبر والحسن وطاوس وقيل انما أخذ الميثاق من النبين في أمر محمد صلى الله
عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فلي هذا القول اختلوا وقليل انما أخذ الله
الميثاق على أهل الكتاب الذين أرسل اليهم النبين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول صدق فإمادكم تتؤمنون
به ولا همزة وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى أهل الكتاب دون النبين وانما أطلق هذا اللفظ
عليهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لاننا أهل كتاب والنبينون منا وقيل أخذ الله الميثاق على
النبين وأهم جميعا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فاكثري بذلك الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع
الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن أبي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في أمر

أستهم بالكتاب) يقتلونهم
بقراءته عن الصحيح الى
الحرف واللى القتل وهو
الصرف والمراد تحريفهم
كآية الرجم ونعت محمد صلى
الله عليه وسلم ونحو ذلك
والضمير (لنفسه)
يرجع الى ما دل عليه يلون
أستهم بالكتاب وهو
الحرف ويجوز ان يراد
يعطفون أستهم بشبهه
الكتاب لتحسبوا ذلك
الشبه (من الكتاب) أى
التوراة (وما هو من الكتاب)
وليس هو من التوراة
(ويقولون هو من عند
الله) تأكيده لقوله هو من
الكتاب وزيادة تشنيع
عليه (وما هو من عنده الله
ويقولون على الله الكتاب
وهم يعلمون) اسم كاذبون
(ما كان لبشر أن يؤتيه الله
الكتاب) تكذيب ابن
اعتقد عبادة عيسى عليه
السلام وقيل قال رجل
بارسول الله سلم عليك
كاسم بضعنا على بعض أفلا
تسجد لك قال لا ينبغي أن
يسجد لآحد من دون الله
واسكن أكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله
(والحكم) والحكمة وهى
السنة أو فصل القضاء
(والنبوة ثم يقول) عظم
على يؤتيه للناس كونوا
عباد لى من دون الله

ولايزكهم ولهم عذاب أليم رجل حاتم على سلمة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حاتم
على عين كاذبة بعد العصر ليقطع مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماله فقول الله اليوم أنمك فضل
كلمة: من فضل ما لم يعمل بك (م) عن أنى ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم
القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزرهم ولهم عذاب أليم قال فقراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات
فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال السبل والمنان والمفقى سلمته بالخلف الكاذب والنسائي المنان
بما أعطى والسبل ازاره والمفقى سلمته بالخلف الكاذب (م) عن أنى أمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أقطع حق امرئ مسلم بيمينه حره الله عليه الجنة وأوجب له النار وغاى الويل لرسول الله وان كان شيئا
يزاير قال وان كان قضيا من أراك قوله عز وجل (وان منهم) يعنى من اليهود (لفرىقا) يعنى طائفة
وجعاعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وأبو يار وشعبة بن عمرو والشاعر
(يلون) أى مطفون ويميلون وأصل اللى القتل من قولك لبت بده اذ قلته (أستهم بالكتاب) يعنى
بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليد عن وجهه لان الحرف يلوى لسانه عن سنن الصواب
بما أتى به من عند نفسه قال الواحدى ويحتمل أن يكون المعنى يلون بالسهم الكتاب لانهم يحرفون
الكتاب عما هو عليه بالسهم فيأتون به على القلب ونقل الامام غير الدين عن القفال قال يلون أستهم معناه
أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها فى حرركات الاعراب تحريفات غير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب
فلا يعمدوا الى العربية فلما فعلوا ذلك فى الآيات الدالة على ذوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك
هو المراد من قوله يلون أستهم بالكتاب وقيل انهم غير وادعية النبى صلى الله عليه وسلم من التوراة
وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك عما بدلووا وغيره (لنفسه) من الكتاب) يعنى لتظنوا أن الذى حرفوه
وبدله من الكتاب الذى أنزله الله على أنبيائه (وما هو من الكتاب) يعنى ذلك الذى يزعمون انه من
الكتاب ما هو منه (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) يعنى الذى يقولونه ويغيرونه انما كرهذا
بلاطين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيده (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى انهم
كاذبون وقال ابن عباس ان الآية نزلت فى اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل
والحقوا فى كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة)
قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى رداعليهم ما كان لبشر يعنى
عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعنى الانجيل وقال ابن عباس فى قوله تعالى ما كان لبشر يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعنى القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان أسمر عبادة غير الله وما بذلك أشرفى الله وما بذلك
بعنى فآتزل الله هذه الآية ما كان لبشر أى ما يبنى بشر وهو جع بن آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط
وبوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله الكتاب والحكم يعنى الغنم والهم وقيل هو امضاء الحكم من الله
تعالى والنبوة يعنى المنزلة الرفيعة (ثم يقول للناس كونوا عباد لى من دون الله) ومعنى الآية انه لا يجتمع (رجل
نبوة مع القول للناس كونوا عباد لى من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آناه الله
ما آناه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية
والربوبية منها ان الله تعالى آناه الكتب السماوية ومنها آناه النبوة ولا يكون الابدعك العلم وكل هذه
تتبع من هذه الدعوى (واسكن كونوا بانين) يعنى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على
حسب مذهب العرب فى جواز الاضرار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه واختلافه فى معنى الى الربى فقال
ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء وقيل الربى الذى

ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا ربانيين والرب بزيادة الالف والنون وهو شديد النكس بدين يرى
الله وطاعة وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا الربانى

اثبات لما نفوه من السبيل
سليمهم في الاميين أى بلى
عليهم سبيل فهم وقوله
(من أوفى بها ورائتي جلة
مستأنفة مقرة بالجملة التي
سدت بلى مسدها والضمير
في بعدهم يرجع الى الله تعالى
أى كل من أوفى بعهد الله
واقناه (فان الله يحب
المتقين) أى يحبهم فوضع
الظاهر موضع الضمير وموم
المتقين قام مقام الضمير
الراجع من الجزء الى من
ويدخل في ذلك الايمان
وعديهم من الصالحات وما
وجب انقاؤه من الكفر
وأعمال السوء قيل نزلت
في عبد الله بن سلام ونحوه
من مسلمي أهل الكتاب
ويجوز أن يرجع الضمير
الى من أوفى أى كل من أوفى
بعاهد الله عليه واتقي الله
في ترك الخيانة والغدر فان
الله يحبه ونزل فيمن حرف
التوراة وبطلانته عليه

وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتبهم فكتبهم الله تعالى فقال (يقولون على الله الكذب) يعني اليهود
(وهو يعادون) يعني أنهم كاذبون ثم تعالى رد على اليهود وقولهم فقال (بلى) أى ايس الامر كما قالوا بل عليهم
سبيل ونفظة بل الجردني ما قباها فعلى هذا بحسن الوقوف عليهم بقدي من أوفى أى ولكن (من أوفى
بعهد الله) أى بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقراء الذي أنزل
عليه وبإداء الامانة الى من اتهمه عليه وأقيل الخفاء في قوله بهد راجعة الى الموفى (واتقي) يعني الكفر
والخيانة ونقض العهد (فان الله يحب المتقين) يعني الذين يتقون الشرك (ق) عن عبد الله بن عمر وقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفع من كز فيه كذا منافقا خالوا من كان فيه خصلة فمن كان فيه خصلة من
الفرق حتى يدعها اذا حدثت كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم بغر وفي رواية اذا حدث
كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم بغر (ان الذين يشترون بعهد الله
وأيمانهم بمناقب لا) قال سكرية نزلت هذه الآية في احوار اليهود وروسائهم أى رافع وكذبة بن أى الحقيق
وكعب بن الاشرف وحوي بن أخطب الذين كتبوا عهدا لله في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم
فدلوهم وكتبوا ايديهم غره وحافوا انه من عند الله ثلاثونهم الراشوا لما كل التي كانوا ياخذونها من
اتباعهم وسلمتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا ليس علينا في الاميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم
وحافوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخمعه (ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من خاف على مال امرئ مسلم بغير حق فاني الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم
قرأ عليه ما رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم
بما قبل الله الى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على عين صير يقطعهم ما مال امرئ مسلم في الله وهو عليه غضبان
فانزل الله صدق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم بمناقب لا الآية فدخل الاشعث بن قيس السكندى
وقال ما عندكم أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في
بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدك أو يمينه قلت انه
اذ يحلف ولا يلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على عين صير يقطعهم ما مال امرئ مسلم هو
فيها فاحرقني الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم بمناقب لا الى آخر الآية وأخرجه
الترمذي وأبو داود وقالان الحكمة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودى وقيل نزلت هذه الآية في رجل
قام ساعة في السوق لحاف لقد أعطى بها مال يعطه (خ) عن عبد الله بن أى أوفى أن رجلا قام ساعة وهو في
السوق لحاف بالله لقد أعطى بها مال يعطى فيها رجلا من المسلمين فزاد ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم
بما قبل الله الى آخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه
جميع ما أمر الله به يدخل فيه اليهود والمناقب المأخوذة من هذه الرسل ويدخل فيه ما يميز الرجل نفسه
من هدمه يشارك في كل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يسبقون بعهد الله
يعني الامانة وأيمانهم يعني الكاذبة بمناقب لا حتى شيئا يسجد به من حطام الدنيا وذلك لان المستري ياخذ شيئا
ويحلف شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ بمنزلة آخر فهذا معنى الشراء (وأولئك) يعني من هددتكم
(لا خلاق لهم في الآخرة) أى لا نصيب لهم في الآخرة وذهبوا جميع منافقها (ولا يكاهم الله) يعنى كلاما يسرهم
به أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) أى لا يرجمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا
(ولا يزكهم) أى لا يظهرهم من الذنوب ولا يثبت عليهم بجهل (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (ق) عن
أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكاهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم

(قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الامن تبع دينكم أي ولا تؤموا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه التمام الا ان تبع دينكم الامن كانوا تابعين لدينكم من أسلموا ومنكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله لا يؤتى ان يؤتى أحد مثل ما يؤتى قلم ذلك ودبر غموه والشئ آخر يعني ان ما بينكم من الحسد واليأس ان يؤتى أحد مثل ما يؤتى من العلم والكتاب دعاكم الى ان قلمتم (٢٦٤)

من الكتاب تحسدوهم ولا تصدقوا ان يؤتى أحد مثل ما يؤتى من الدين والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم أو بقدر واعي ذلك فان الهدى بيد الله وان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كماها خطايا المؤمنين عند تلبس اليهود للاربابوا ولا يشكوا في قوله تعالى (قل ان الفضل) يعني قل لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام (بيد الله) أي انه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه (يؤتية من يشاء) يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفقه من أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم ان يؤتى أحد مثل ما يؤتى فقال الله تعالى رد عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتية من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة كتر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير (والله واسع) أي ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليهم) أي بمن يتفضل عليه وهو للفضل أهل (يختص برحمته) يعني بذو به وورساته وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن (من يشاء) يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب الاختصاص والفاعل أن يفعل ما يشاء الى من يشاء بغير استحقاق (والله ذو الفضل العظيم) قوله عز وجل (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) الآية نزلت في اليهود أخبر الله عز وجل ان فيهم أمانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدى الامانة وان كثرت مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤدها وان قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية أودع رجل من قريش عبدالله بن سلام ألفا مائتي أوقية من ذهب فاداه اليه فذلك قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعني فخصص بن عازر وأبو استودعه رجل من قريش بدينار أخفاه وتخجده ولم يؤده اليه وقيل أهل الامانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لان من ذهبهم ان يحل قتل من خالفه في الدين وأخذ ماله بأي طريق كان (الامانة عليه قائما) قال ابن عباس يريد يقوم عليه ونظا له بالاحسان والخصومة والملازمة وقيل معناه الامانة دوا مكم عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالاطمئنان والتعنيف بالرفع الى الحاكم وقامة البيعة عليه وقيل اراد انه ان أودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارق قدره عليك وان آخرت استرجاع ما أودعته أنكروه ولم يرد عليك (ذلك) أي سبب ذلك الاستحلال والخيانة (بانهم قالوا) يعني اليهود (ليس علينا في الاميين سبيل) يعني انهم يقولون ليس علينا فيهم ولا حرج في أخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا أموال العرب حلال لانهم ليسوا على ديننا ولا حرم لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق انما عبيد فلا سبيل علينا إذا أكننا أوال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فاني بد العرب فهو لنا وانما هم ظلمونا ونعصبوهم اذ سبيل علينا في أخذها منهم بأي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا اتقاضوهم بقية أوالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا هنس نأفوا لانكم تركتم دينكم وناقطع العهد بيننا وبينكم

من الكتاب تحسدوهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى أحد مثل ما يؤتى ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم (والله واسع) أي واسع الرحمة (عليهم) بالنبوة أو بالاسلام (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك هو عبدالله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا مائتي أوقية ذهب فاداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) هو فتحاص بن عازر وأبو استودعه رجل من قريش بدينار أخفاه وخانه وقيل الامانون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخاشون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا مادت عليه قائما) الامانة دامت عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه ملازمه لا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واخمس

أبو جعفر في رواية غيره هم يسكنون اهلاء (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذي دله عليه لا يؤده (بانهم قالوا ليس علينا في الاميين) وادعوا سبيل) أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل أي لا ينظر في علينا ثم ودم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وافعلنا بهم من حدس أوالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لا يجعظ في كتابنا شيء وقيل يبيع اليهود رجلا من قريش فلما أسلموا اتقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا

آخر النهار وقولوا اننا نظرنا في كتبنا واورنا علماء نافو وجدنا ان محمد البس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه ووقالوا انهم أهل الكتاب وأعلم به منا ف يرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبله وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لا صحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم كفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلمهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لانه أول ما يواجه منه وأنشدوا في معناه

من كان مسرورا يقتل مالك * قلبات تسوتنا بوجه نهار

وقوله (لعلمهم يرجعون) يعني عنه أي ألقينا هذه الشبهة لعلمهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما هم قتلهم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى ان كان ربنا عز وجل في ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف ﴿قوله تعالى﴾ (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي ولا تصدقوا الا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في ان صلة كقولهم ردف لكم أي ردفكم (قل ان الهدى هدى الله) أي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيت من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلاوي عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم أصبح دينهم فلم أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي أنتم عليه انما صاوريا بديننا بحكم الله وأمره فاذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والالتحاق بحكمه لانه هو الذي هدى اليه وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به وان ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والاعشى ان يؤتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تمام عند قوله الا ان اتبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله (ان يؤتى أحد مثل ما أوتيت) وتكون ان بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيت بأمة محمد من الدين والهدى (أو يحاجوكم عند ربكم) يعني الا ان يحاجوكم أي اليهود بالباطل فيقولوا نحن أفضل منكم فوهل عند ربكم أي عند فعل ربكم وقوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحد مثل ما أعطيت بأمة محمد من الدين والخيرة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير ان يؤتى بالمدعى الاستفهام وحيد ثم يكون في الكلام اختصار تقديره ان يؤتى أحد مثل ما أوتيت يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا يؤمنون به هذا قول قتادة والربيع قاله اذ من قول الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله لأن أنزل كتابا مثل كتابكم بعث نبياء مثل نبيكم حسدتموه وكفرتهم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة ترجع الى خطاب المؤمنين وتكون أو بمعنى ان لانهم احقر فاشترطوا بوضع أحد مما وضع الآخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه وميحتمل ان يكون الجميع خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى أحد مثل ما أوتيت يا معشر المؤمنين فان حسدكم فقل ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله وميحتمل أن يكون الخبر عن اليهود وقد تم عند قوله لعلمهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى ثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله عز وجل لا تصدقوا ما يمشرون المؤمنين الا من تبع دينكم

الكتاب لوي صايرنكم) هم اليهود دعا وحذيفة وعمرأ ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الأنفسه) وما يعودو بالاضلال الاعليم لان العذاب يضادف لهم بضلاهم واضلاهم (وما يشعرون) بذلك (يا أهل الكتاب) لم تكفروا بآيات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها (وأتم تشهدون) تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأتم تشهدون نعتهم في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون انها حق (يا أهل الكتاب) لم تلبسوا الحق بالباطل (مخلطون السلام) (وأتم تعلمون) انه حق (وقالت طائفة من أهل الكتاب) فيما بينهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي القرآن (وجه النهار) ظرف أي أوله يعني أظهرها للايمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار (وا كفروا آخره) وا كفروا به في آخره

يوم القيامة نبياسر سلا قالوا اللهم قم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن في ومن كفر به فقد كفر في فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالعرف وبها نأمن المسكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال أقرأ على مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فلأراد عمر وأن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي فانتقلون في عيسى وأمه فقرأ عليهم سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سوا كه قد رما بقذى العين قال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فاتم سيوم بارضى يقول آمنون من سبكم وأذا كم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو بالنجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانك ذلك المشركون وادعو ادين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي جالوه وقال اتعاهد بكم الى رشوة فأقبضوه فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصر فنافسكنا في خير جوار أو أنزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصوصتهم في ابراهيم وهو في المدينة أن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴿قوله تعالى (ودت طائفة من أهل الكتاب) لوي صايرنكم) نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فغزت فيهم ودت طائفة أي غزت جماعة من أهل الكتاب يعني اليهودي لوي صايرنكم يعني عن دينكم وديرونكم الى الكفر (وما يضلون الأنفسه) لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بمنهم اضلال المؤمنين (وما يشعرون) يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضادف لهم بسبب ضلالهم وتبى اضلال المسلمين وما يقدرن على ذلك انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياهم. (يا أهل الكتاب) الخطاب لليهود (لم تكفروا بآيات الله) يعني القرآن وقيل المراد بآيات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيها من بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك (وأتم تشهدون) يعني ان نعتهم وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان أحبار اليهود كانوا يكتبون الناس نعتهم وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض أظهر ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق (يا أهل الكتاب) لم تلبسوا الحق بالباطل (وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك بالنسبة وكانوا يجتهدون في اقاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعى في اخفاء الحق لا يقدري ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسوا الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها في مخطوطات الحرف الذي كتبه بأيديهم باحق المنزل وقيل هو خطأ الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك أنهم تواطؤا على اظهار الاسلام في أول النهار والرجوع عنه في آخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل أنهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وأنه حق ثم ان التوراة الدالة على ان شرع موسى لا ينسخ فيه خدام من تلبسوا بهم على الناس (وتكتمون الحق) يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة (وأتم تعلمون) يعني انه رسول من عند الله وان دينه حق وانما كتتم الحق عناد وحسد أو أنهم تعلمون ما نستحقون على كتمان الحق من العقاب ﴿قوله عز وجل (وقالت طائفة من أهل الكتاب) آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وا كفروا آخره) وهذا نوع آخر من تلبسات اليهود وقيل تواطؤا انما عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عربية فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أو الهنا بالاسان دون اعتقاد القلب فما كفروا

أولى الناس بإبراهيم) يعنى أخصهم به وأقربهم منه (لأن الذين اتبعوه) يعنى الذين كانوا في زمانه وآمنوا به واتبعوا شريعته (وهذا النبي) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) يعنى هذه الأمة الإسلامية (والله ولى المؤمنين) يعنى بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي أبي وخليل ربي إبراهيم ثم قرأ أن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين أخرجه الترمذى وروى الكشي عن أبي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب بإسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر بن أبي طالب وإناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قرش في دار الندوة وقالوا إن لنافي الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثار إن قتل منكم بغير فاجعوا ما لا وادوه إلى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلا من ذوي رأيكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن أبي معيط معهما الهدايا لادم وشيرة فركبا البحر حتى أتيا الحبشة فماد خلا على النجاشي سجدوا له وسأله عليه وقالوا لادن قومنا لك يا نبحون شاكرون ولا أصحابك يحبون وأنهم يبعثون إليك لنحضرك هؤلاء الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا بزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء وأنا كنا قد ضيقنا عليهم الأمر ولجأناهم إلى شعب بارضنا لا بدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه أيفسد عليك دينك وملأك وعريتك فأحذرهم وادفعهم اليك فليكن كفيتكم قالوا لا دينك وسنتك فلا اذ دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحويوك بالتحية التي يحويك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك فلا فدعاهم النجاشي فماد حضروا وصاح جعفر بالبواب يستأذن عليك خب الله تعالى فقال النجاشي مر واهذا الصالح فماد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلكوا إيمان الله وذمته فظفر عمر والى صاحبه فقال ألا تسمع كيف ٢ يطنون بحزب الله وما أجابهم به الملك فساء هذا ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لم النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحويوني بالتحية التي يحويني بها من أتاني من أفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملأك وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان فبعث الله فينا نبيا مائة أصدافا من نبال التحية التي رضيها الله وهي السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل قال أيكم أها تفبستأذن عليك خب الله تعالى قال جعفر أنا قال تسلم قال أنك ملك من ملوك الأرض من أهل الكتاب ولا صلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وإنما أحب أن أجيب عن أصحابي فلهذين الرجلين فليتكلما أحدهما وليست الآخر فسمع محاورنا فقال عمرو وجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبدا نحن أم أحرار قال كفايتك أعبدا أم أحرار قال بل أحرار فقال النجاشي نخو أم من أربا بنافذنا عليهم فقال النجاشي أعبداهم أم أحرار فقال بل أحرار فقال كرام فقال النجاشي نخو أم العبودية فقال جعفر سلمهاهل أرقنا مابغير حق فيقتصص منا فقال عمرو ولا لافرة قال جعفر سلمهاهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلمنا فضاؤها قال النجاشي إن كان قنطار فاعلى فضاؤه فقال عمرو ولا قنطار فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وأياهم على دين واحد وأمر واحد على دين أبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم النجاشي فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر أما الدين الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجر وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم وأفاضه فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشي بضرب الناقوس فبضر فاجتمع إليه كل قبس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي أشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين

أولى الناس بإبراهيم) ان
أخصهم به وأقربهم منه من
الولى وهو القرب (لأن الذين
اتبعوه) في زمانه وبه
(وهذا النبي) خصوصا
خص بالذكر لخصوصيته
بالفضل والمراد محمد عليه
السلام (والذين آمنوا) من
أمة (والله ولى المؤمنين)
ناصرهم
٢ قوله يطنون الذى فى
كتب اللغة ان الرطانة فى
الكلام بالاعجية وهذا
ليس منه فلم يكن هذه اللفظة
معنى يفهم على الحقيقة
اه موصحه

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان مسموحا لوارسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة النصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه

عهدهم بازمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تحجادوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) هالالتفيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره (حاجبتم) جملة مستأنفة مبنية للجملة الأولى بمعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحقاؤه وبيان حاجبتم وقلة عقولكم انكم جادتم فيما اسكم به علم) مما تظن به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيها ليس لكم به علم) ولاذكره في كتابيكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاجبتم صلته ها أنتم بالمدون غير اهل حيث كان مدني وأبو عمرو (والله يعلم) علم ما حاجبتم فيه (وأنتم لا تعلمون) وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه يرى من دينهم فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لا ثمرا لهم به عز برا والمسيح أو وما كان من المشركين كما لم يكن منهم (ان

لا تعبد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضا من ابايهم دون الله قان تولوا فقولوا اشهدوا با ما مسلمون افظ الحديث أحد روايات البخاري وقد أخرجه ياقوت من هذا ٢ وفيه زيادة قوله البر يسين وفي رواية الاريسين والاريس وهو الزراع والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعثه الله بخالفه قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى أتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسة وقيل هم الاريسون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يتخالفون أتباعهم وقيل هم المتبخثون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدقهم عن الاسلام واتبعوك على كفركم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم) قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأخبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاخبار ما كان ابراهيم اليهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الانصريا فانزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) ومعنى الآية ان اليهود والنصارى لما اختلفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ابراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم وعلى دينهم فبرأ الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه وأخبران اليهودية والنصرانية انما حدثا بعد نزول التوراة والانجيل وانما نزل بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ووزول التوراة عليه خمسة ائمة سنة وخمسة وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستة ائمة وثلثون سنة وقال ابن اسحق كان بين ابراهيم وموسى خمسة ائمة سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة وعشرون سنة وأورد على هذا التأويل أن الاسلام أيضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك انزل القرآن انما نزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيت في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما وأوجب عنه بان الله عز وجل أخبر في القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا ونصرا انما فصيح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجدوا لأمثال هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) هالالتفيه وهو وضع النداء يعني يا هؤلاء المراد بهم أهل الكتابين يعني يا معشر اليهود والنصارى (حاجبتم) أي جادتم وخاصتم (فيا لكم به علم) يعني فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيت أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعني انه ليس في كتابكم ان ابراهيم كان يهوديا ونصرا انما (والله يعلم) يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى وأنتم جاهلون بما عاينوا من دين ابراهيم ثم برأه الله عز وجل عما قالوا فيه وأعلمهم أن ابراهيم يرى من دينهم فقال تعالى (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال تعالى (ولكن كان حنيفا مسلما) يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويحتقن ويضحى ويستقبل السمكة في صلاته وهو أحسن الاديان وأسهلها وأجملها الى الله عز وجل (وما كان من المشركين) يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعرض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهبة المسيح وعبادتهم له ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان

(٢) قوله وفيه زيادة قوله الخ غرطاهر فان افظ البر يسين الذي جعله زاندا هو المذكور في هذه الرواية والذي في شرح اولي مسير لاثوري ان الرواية المشهورة الاريسين وفيه الاريسين بفتح الهمزة وكسر الراء فيها والاريسين بكسر الهمزة وتشديد الراء ثم قال وفي أول صحيح البخاري البر يسين وفيه كلام آخر في تفسير هذه الكلمة منه انهم الملوك ولم يذكر أن الملوك نفسهم المضموم الهمزة قبل لا بد كضمهم الهمزة وذكرا انما عاينوا ان ابراهيم والنصارى ولم يذكر ان ابراهيم والنصارى عاينوا انما عاينوا انما عاينوا

(ان هذا) الذي قص عليك من نبا عيسى (هو القصص الحق) هو فصل بين اسم ان وخبرها ومبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر
ان وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخوله على الخبر كان (٢٥٩) دخوله على الفعل احوالاً لأنه أقرب الى

المبتدأ منه وأصلها ان
تدخل على المبتدأ ومن في
(ومامن اله الا الله) بمنزلة
البناء على الفتح في لاله
الاله في افادة معنى
الاستغراق والمراد الرد على
النصارى في تنليتهم (وان
الله والعز يز) في الانتقام
(الحكيم) في تدبير الاحكام
(فان تولوا) أعرضوا ولم
يقبلوا (فان الله علم
بالمفسدين) وعيد لهم
بالعذاب المذكور في قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون (قل
يا أهل الكتاب) هم أهل
الكتابين أو وفد نجران
أو يهود المدينة (تعالوا الى
كلمة سواء) أى مستوية
(بيننا وبينكم) لا يختلف
فيها القرآن والتوراة
والانجيل وتفسير الكلمة
قوله (الأنعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ
بعضنا بعضاً رباباً من دون
الله) يعنى تعالوا اليها حتى
لا نقول عز ربان الله ولا
المسيح ابن الله لان كل
واحد منهما بعضنا بعضاً
مثلنا ولا نطيع أخبارنا
فياهم من التحريم
والتحليل من غير رجوع
الى ما شرع الله وعن عدى
ابن حاتم ما كنا نعبد
يا رب الله قال ليس كما

نحريض أعز نفوا فلاذ كبده وأحب الناس اليه فلذلك ضمه في المبالغة ولم يقتصر على تعريض نفسه لتلك
وعلى ثقته بكنب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلك استئصال ان تحت المبالغة وانما خص
الابناء والنساء لانهم أعز الاهل وأقصم بالقبور بما فاداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما
قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على اطفاء كانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع ورواه واضح على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يروا أحداً من موافق ومخالف أنهم أجابوا الى المبالغة لانهم عرفوا صحة
نبوته وما بدل عليه في كتبهم قوله تعالى (ان هذا) يعنى الذى قص عليك يا محمد من خبر عيسى عليه السلام
وانه عبد الله ورسوله (هو القصص الحق) وأصله من القص وهو يتبع الأثر والقصص الخبر الذى يتتابع
فيه المعاني (ومامن اله الا الله) انما دخلت من التوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس بالله كما زعمت النصارى
ففيه رد عليهم ونفي جميع من ادعى من المشركين انهم آلهة وانبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في
الالهية (وان الله والعز يز) أى الغالب المنتقم عن عباد وخالف أمره وادعى معه لها آخر (الحكيم)
يعنى في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عن الايمان ولم
يقبلوه (فان الله علم بالمفسدين) أى الذين يعبدون الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد
لهم في قوله عز وجل (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد
نجران المدينة اجتمعوا اليه وادخلهم الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانياً
وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهودياً وهو على دينه وأولى الناس به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برى عن ابراهيم ودينه بل كان حنيفاً مسلماً ما على دينه فاتبه عباد الله
الاسلام فقالت اليهود ماتر بدلاً لأن تتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى رباً وقال النصارى يا محمد
ماتر بدلاً لأن تقول فيك ما قالت اليهود في عزير فافان الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
كلمة يعنى فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمى كل قصة أو قصيدة لها أول وآخر وشرح
كلمة سواء أى عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة قوله (الأنعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ بعضنا بعضاً رباباً من دون الله) وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح
وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا أخبارهم وروايتهم رباباً من
دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضاً
أرباباً من دون الله فثبت ان النصارى قد جعلوا بين هذه الثلاثة أشياء ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى
هلموا الى أمر عدل نصف وهو ان لا تقول عزير ابن الله ولا تقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا
مخلوق مثلنا ولا نطيع أخبارنا وروايتنا فافان الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع أحداً في معصية
الله (فان تولوا) يعنى فان أعرضوا عما أمرتهم به (فقولوا) أنتم هؤلاء (الشهدوا بانما مسلمون) أى مخلصون
بالتوحيد لله والعبادة له (ق) عن ابن عباس ان أسفيان أخبرنا عن هرقل أرسل اليه في ركب من قريش
وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أسفيان وكفار قريش قاتوه
وهو بابايا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتابت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع
دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذن به اسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله
أجره مرتين فان توليت فاما عليك اثم اليريسين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن

يحولون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا شهدوا بانما مسلمون) أى لزمتمكم الحق
فقد علمتكم انتم فافان الله عليه اسم الله المسمى من دونكم كما قاله الغالب لا

ففيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وتفسير الحكيم هاتان الآيتان فيوفهم حصص (٢٥٧) (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ

عيسى وغيره وهو مبتدأ
(تتأوه عليك) خبره (من
الآيات) خبر بعد خبر أو
خبر مبتدأ محذوف (والذي
الحكيم) القرآن يعني
الحكم أو كأنه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه ونزل لما قال
وفد بني نجران هل رأيت
ولدًا لأب (ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم)
أي أن شأن عيسى وحاله
الغريبة كشأن آدم عليه
السلام (خلقه من تراب)
قدره جسد من طين وهي
جسلة مفسرة جائلة شبيهة
عيسى بآدم ولا موضع لها
أي خلق آدم من تراب ولم
يكن ثمأب ولأم فكذلك
حال عيسى مع الوجود
من غير أب وأم أغرب
وأخرق للعادة من الوجود
من غير أب تشبهه الغريب
بالأغرب ليكون أقطع
للخصم وأحسم لمادة
شبهته إذ انظر فيها وأغرب
عما استغربه وعن
بعض العلماء أنه أمر بالروم
فقال لهم تعبدون عيسى
قالوا لا لأنه قال فآدم
أولى لأنه لا يؤين له قالوا
كان يحيى الموتى قال فز قيل
أولى لأن عيسى أحيأ ربعة
نفروا قبل ثمانية آلاف
فقالوا كان يرى الأكمة
والأبرص قال فز جيس

(فيوفهم أجورهم) يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء (والله لا يحب الظالمين) أي لا يحب من ظلم غيره
حقه أو وضع شيئاً في غيره موضعه والمعنى أنه تعالى لا يرجمهم ولا ينفي عليهم بحجيم ثم قال تعالى (ذلك) يعني
الذي ذكره لك من أخبار عيسى وأمه مريم والخوار بين وغير ذلك من القصص (تتأوه عليك) أي تخبرك
به يا محمد على لسان جبريل وأما ما أتوه جبريل عليه السلام إلى نفسه سبحانه وتعالى لأنه من عنده
وبأمرة من غير تفاوت أصلاً فإضافة إليه (من الآيات) يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات
الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلا من يقرأ أو يكتب أو يوحى إليه وأنت أي لا تقرأ ولا تكتب
فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي أنزل عليك (والذي كركحكيم) أي الحكم المنوع من الباطل
قيل المراد من الذي كركحكيم القرآن لأنه حاكم يستفاد منه جميع الأحكام وقيل الذي كركحكيم هو الوحي
المحفوظ الذي منه تنزلت جميع كتب الله على رسوله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش ﴿ قوله عز وجل
(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية أجوع أهل التفسير أن هذه الآية نزلت
في حجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهبان أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك نزل كركحكيم فقال لهم هو قالوا عيسى
تزعمر أنه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنه عبد الله فقالوا فهل رأيت له مثلاً أو نبئت به ثم
خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذ أنوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان عبد الله ورسوله وكلته ألقاه إلى مريم العذراء
البتول ففضبوا وقالوا يا محمد هل رأيت انساناً قط من غير أب فانزل الله تعالى ان مثل عيسى عند الله أي
في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير أب وأم ومعنى الآية
أن صفة خالق عيسى من غير أب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فمن أقر بان الله خلق آدم
من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة فلم لا يقر بان الله خلق عيسى من مريم من غير أب بل الشأن في خالق
آدم أعجب وأغرب وبعث السلام عند قوله كمثل آدم لأنه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبير
مستأنف على جهة التفسير بل خلق آدم في كونه خلقه من تراب أي قدره جسد من طين (ثم قاله
كن) أي أنشأ خلقاً بالسكامة وكذلك عيسى أنشأ خلقاً بالسكامة فعسى هذا القول ذكر في الآية
اشكالاً وهو أنه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي أن يكون خالق آدم متقدماً على قوله
كن ولا تكون بعد الخلق وأجيب عن هذا الاشكال بان الله تعالى أخير بأنه خلقه من تراب لا من
ذكر وأنت أي مبتدأ خبراً آخر فقال في أخباركم أيضاً اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما
يكون في الولادة ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى خلقه جسد من تراب ثم قال له كن بشر فكان فيصح
النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع إلى عيسى عليه السلام وعلى هذا الاشكال في الآية فإن قلت
كيف تشبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولأم
قلت هو مثله في أحد الطرفين فإتباع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في
بعض الاوصاف ولا تشبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران لان الوجود
من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب تشبهه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم
لمادة شبهته إذا نظر فيها وأغرب مما استغرب به وحكي ان بعض العلماء أمر في بعض بلاد الروم فقال لهم
لم تعبدون عيسى قالوا لا لأنه قال فآدم أولى لأنه لا أب له ولأم قالوا وكان يحيى الموتى فقال فز قيل أولى
لأن عيسى أحيأ ربعة نفر وأحيأ فز قيل أولى لأنه قال فآدم أولى لأنه لا أب له ولأم قالوا وكان يرى الأكمة والارص قال فز جيس
أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سليمان وقوله كن (فيكون) قال ابن عباس معناه كن فكان فاريد بالمستقبل

كفروا) من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقبيل
متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالى على فلان
اذا استوفيته أو ميتك في
وقتك بعد النزول من
السما ورافك الآن اذا الوار
لا توجب الترتيب قال النبي
عليه السلام ينزل عيسى
خليفة على امتي يدق
الصليب ويقتل الخنازير
ويلبث أربعين سنة
ويتزوج ويولد له ثم
يتوفى وكيف تملك أمة أنا
في أولها وعيسى في آخرها
واللهدى من أهل بيتي في
وسطها أو متوفى نفسك
بالنوم ورافك وانت ناثم
حتى لا ياحقك خوف
وتساقط وانت في السماء
آمن مقرب (وجاعل
الذين اتبعوك) أى المسلمين
لانهم متبعوه في أصل الاسلام
وان اختلقت الشرائع دون
الذين كذبوه وكذبوا
عليه من اليهود والنصارى
(فوق الذين كفروا) بك
(الى يوم القيامة) يعاونهم
بالجدة وفى أكثر الاحوال
بها وبالسدس (ثم الى
مرجعكم) فى الآخرة
(فاعلمكم ينسبككم فيما كنتم
فيه تختلفون) فاما الذين
كفروا فاعندهم عذابا
شديدا فى الدنيا والآخرة
وما لهم من ناصرين وأما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات

الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقد فوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم وامنهم ففسخوا اخناز بر فلما رأى ذلك يهودا رأس اليهود ومكلمهم ففرع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فاخذخله خوخة في سقفة هاروزنة فرفعه الله من تلك الروزنة وأمر يهودا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له طيطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وأبطأ عليه فظنوا أنه يقاله فيها وألقى الله عليه شبهة عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه وقال وهب بن نسيب ان اليهود طردوا عيسى في بعض الليال ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاطاعت الارض وأرسل الله عز وجل الملائكة خذات بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحوار بين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصبح الديك وينهني بدرهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطالب فأتى أحد الحوار بين الى اليهود وقال ما تجمعون لي ان دلتكم على المسيح فخلوا ثلاثين درهما فأخذها ودفعها عليه فلما دخل البيت الذي فيه المسيح أتى الله شبهة عيسى عليه ورفع الله عيسى عليه السلام وأخذ الذي دل عليه فقال أنا الذي دلتكم عليه فلم يلقه والى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب انتهى أتى عليه شبهة عيسى جاءت مريم وامراة أخرى كان عيسى دعاها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تكيان عند الصليب فجاء عيسى عليه السلام وقال على من تبكيان ان الله عز وجل قد عرفني ولم يصبي الاخبروه هذا شيء لم يمسك كان بعد سبعة أيام قال تعالى لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية وهو اسم موضع نسبت اليه فانه لم يلبك عليك أحد بكاهوا ولم يحزن عليك أحد حزنتهم لتجمع لك الحوار بين فيهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاعبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نور احين هبط فجعلت له الحوار بين فيهم دعاة في الارض ثم رفعه الله فثلاث الآلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحوار بين تسكاهم كل واحد منهم بغمة من رأسه لعيسى اليهم فذلك قوله تعالى وبكر واومرا الله (والله خير الماكرين) يعني وهو أفضل المجازين بالبيئة العقوبة وقال السدي ان اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت معه عشرة من الحوار بين فدخل عليهم رجل منهم وكان قد نافق فأتى عليه شبهة عيسى فأخذ وقتل وصاب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفع الله وكساه الریش وأبسه الزور وقطع عنه لذة الطعام والشرب وطار مع الملائكة فهم ومعهم حول العرش وصاروا نياما لكيأرضيا ما ياقال أهل النار يخرج حبات مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت بيت لحم من أرض اورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله الى عيسى على رأس ثلاثين سنة ورفع الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ان ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ﴿اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى﴾ اختلوا في معنى التوفي هنا على طريقين فاطر يق الاول ان الآية على ظاهرها من غير تقديم ولا تأخير وذكر في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك ورافعك الى من غير موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته اذا أخذته وقبضته نالما والمقدوم دمنه هنا لان اصل أعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلجعه خوف فعنى الآية اني مُنِّمُك ورافعك الى الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس معناه اني يميتك قال وهب بن منبه ان الله توفي عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفع الله اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الى لانفيد الترتيب والآية تبدل على أن الله تعالى فعله بل ما ذكر فلما كيف

(والله خير الماكرين)
أقوى المجازين وأفسرهم
على العقاب من حيث
لا يشعر المعاقب (اذ قال
الله) ظنرف لمكر الله
(يا عيسى اني متوفيك)
أى مستوفى أجلك ومعناه
اني عاممك من أن تقتلك
الكفار ويميتك حتف
أنفك لاقتلا بايديهم
(ورافعك الى السماء)
ومقر لا نسكى

لحوم الابل والثوب والشحوم وأشياء من الدابر والحية ن زاد بهضهم فإهم عيسى بالتخفيف وأحياهم
وقال آخرون أن عيسى عليه السلام رفع كثير من أحكام التوراة ورفع السب ووضع الاحد وكان ذلك
كله بأمر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الأحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق (وجئتكم بآية
من ربكم) أي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم بقوله (فاتقوا الله) يعني بأمرعمرني إسرائيل
فإنما أمركم به ونهاكم عنه (وأطيعون) يعني في أداء عوكم إليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وما
أدعوكم إليه هو قولي (ان الله يري فيكم قاعبدوه) لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد
ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد تجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى
باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بر يثامنا نسبة اليه النصارى وانه كان عبدا لله وخصه بنبوته
ورسالته ثم ختم ذلك بقوله (هذا صراط مستقيم) يعني التوحيد ١٠ قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم
الكفر) أي وجد وعرف وقيل رأى والاحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا
بكلمة الكفر فأحس ذلك عيسى منهم وعرف اصراهم عليه وعزمهم على قتله ١١ ذكر سبب القصة
قال أهل الاخبار والسيرة لما بعث الله عيسى إلى بني اسرائيل وأمره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه وأخرجوه
من بينهم فخرج هو وأمه يسحان في الأرض فنزل في قرية على رجل فاضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك
القرية ملك جبار معتد بجأه ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومر به عند امرأته
فقلت مريم ما شأن زوجك أراه كئيبا حزينا فقلت لانا لاني فقالت مريم أخبريني لعل الله ان يفرج
كربته قالت المرأة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوب ما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم
الخير وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا من ذلك فقلت لها قولي له لانهم لذلك فانا أمراني
أن يدعوه فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شرف فقلت مريم لانا لاني
فانه قد أحسن اليك وأكرمتك فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني
ففعل الرجل ذلك ثم دعائه عيسى عليه السلام فتقول ماء القدور مري قالوا وما الخواي خبرا لمرئ الناس مثله
فما جاء الملك وأكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من أين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من
أرض كذا فقال الملك ان خري من تلك الأرض وابست مثل هذه فقال هي من أرض أخرى فلما رآه الملك
قد اختلط دمه عليه فقال الرجل أنا أخبرك ان عندي غلاما يبال الله نيا الأاعطاء اياه وانه دعائه تعالى فجعل
الماء خرا وكان للملك ابن ير بدان يستخلفه في ملكه وقدمات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك
ان رجلا دعائه تعالى حتى صار الماء خرا ابدعوه لي يستحيين له في اجيائه ابني فطلب عيسى وكفله في ذلك فقال
له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقم شرف فقال الملك لأبائي اليس أراه فقال عيسى ان أنا أجيبته تتركني أنا وأمي
نذهب حيث نشاء قال نعم فدعائه عيسى فعاش الغلام فأمرأه أهل ملكه الرجل قد عاش تبادروا الى
السلاح وقالوا قد اكنا هذا الملك حتى اذا نأجلاه ير بدان يستخلف علينا بنه فبأكلنا كأا كنا بوه ففانلوه
وظهر أمر عيسى فقصدا وقتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين به المسيح البشر به في التوراة وانه
ينسخ دينهم فلما أظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم فأخذوا في أذاه وطمسوا قتله وكفروا به فاستنصر
عليهم كما أخبر الله عز وجل عنه بقوله (قال) يعني عيسى عليه السلام (من أنصاري الى الله) أي مع الله وقيل
معناه اني أن أبين أمر الله وأظهر دينه وقيل الى معنى في أي في ذات الله وسبيله وقيل الى في وضعها والمعنى
من يضم نصرته الى نصرته الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وذلك أن عيسى عليه السلام لمادعاني
إسرائيل الى الله تعالى وتقدموا عليه وكفروا به خرج يسع في الأرض فرب جماعة يعطدون السمك وكانوا
اثني عشر ورئيسهم شمعون وبه قوب فقال عيسى عليه السلام ما تسمعون قالوا نصيد السمك قال أفلاتسمون

(وجئتكم بآية من
ربكم) كررنا لك
(فاتقوا الله) في تكديبي
وخلافي (وأطيعون) في
أمرى (ان الله يري فيكم)
أقرار بالعسودية وفي
لار بوية عن نفسه بخلاف
ما يزعم النصارى (فأعبدوه)
دوني (هذا صراط مستقيم)
يؤدي صاحبه الى التميم
المقيم) فلما أحس عيسى
منهم الكفر - علم من
اليهود كفرا عملا لاشبهه
فيه كمل ما يدرك بالحواس
(قال من أنصاري) مدني
وهو جمع ناصر كاصحاب أو
جمع نصير كشراف (الى
الله) يعاقب بمحذوف حال
من الياء أي من أنصاري
ذاها الى الله ملتجئا اليه
(قال الحواريون) حوارى
الرجل صفوته وخاصة
نحو أنصاري الله أعوان
دينه

عيسى وقام عازر حيا باذن الله تعالى نزع من قبره وعاش وولد له وأما ابن الحوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال وابس ثيابه وأتى أهله وعاش وولد له وأما ابنة العاشر فكان أبوها يأخذ المشور من الناس ومات بالأس فدعا الله عيسى فأحياها بدعوته فعاثت وولدها وأما سام بن نوح فان عيسى جاء الى قبره ودعا الله باسمه الا عظم نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك باسم الله الا عظم ثم قالت فقال له بشر طأن بعيني الله من سكرات الموت مرة أخرى فدعا الله عيسى ففعل (وأنبشكم) يعني وأخبركم (بماتنا كلون) أي عالم أعانيه (وأنبشخرون في بيوتكم) أي وماترفونه فتحيونه في بيوتكم لأنما كانوا يدعون ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما كل البارحة وما بما كاه اليوم وما بما دخره للعشاء وقيل كان في الكتاب يحدث النعمان بما يصنع أبائهم ويقول للغلام انطاق فقدأ كل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطاق الصبي فيسكي على أهله حتى يطعوه ذلك الشيء فيقولون من أخبرك بهذا فيقول عيسى فبصرو صبيانهم عنه وقالوا لا تقعد وامع ذلك الساحر وجعوههم في بيت فجاء عيسى بطبهم فقالوا ليسوا بهنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحو اعينهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فموا به خافت عليه أنه مفعلة على جمارها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة إنما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم أينما كانوا فيه من طعام الجنة وأمرُوا أن لا يخونوا ولا يدخروا والغد خافوا وادخروا فكان عيسى عليه السلام يخبرهم بما كانوا من المائدة وما دخر وما نهافهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومجزة عظيمة له وهي اخباره عن الغيبات مع ما تقدم لمن الآيات الباهرات من ابراهيم والاكه والابرس واحياء الموتى باذن الله تعالى واخبره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا لا يسبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر الانجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان النجم والكاهن لا يدان كل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها أما النجم فانه يستمين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجها أو بواسطة حساب الزمرل أو نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به وأما الكاهن فانه يستمين برائد من الجن وقد يخطئ أيضا في كثير مما يخبر به وأما اخبار الانبياء عليهم السلام عن الغيبات فليس الا بالوحى السماوى وهو من الله تعالى وليس ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غير فدخل الفرق (ان في ذلك) يعنى الذى تقدم ذكره من خاتق الطير من الطير باذن الله وبراء الاكه والابرس والاخبار عن الغيبات (لآية لكم) أي لهبرة ودلالة على صدق انى رسول من الله اليكم (ان كنتم مؤمنين) يعنى صدقين بذلك (وصدقا) قيل انه عطف على قوله ورسوله وقيل انه عطف على انى قد جئتكم كما بآية من ربكم والمعنى وجئتكم صدقا (لما بين يدي من انوارا) وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذى قبله ويصدق بما أنزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلما نال عيسى عليه السلام وصدقنا ما بين يدي من التوراة (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليه السلام وكان يسب وتستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحتل لكم بعض الذى حرم عليكم وأضع عنكم الآصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فبق ذلك التحريم مسخرة على اليهود الى أن جاء عيسى عليه السلام وفرغ عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى وكان قد حرم عليهم ما جاء به موسى

(وأنبشكم بما تأكلون وأنبشخرون في بيوتكم) وما فيه ما يعنى الذى أو مصدرية (ان في ذلك) فيما سبق (لآية لكم ان كنتم مؤمنين وصدقا لما بين يدي من انوارا) أي قد جئتكم بآية وجئتكم صدقا (ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) ارد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم (ولاحل لكم ما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم والحرم والابسل والسمك وكل ذى ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك

(فالتربأى يكون لى ولد ولم يسنى بشرفال كذللك الله علقى مايشاء اذا قضى امرافا فاما يقوله كن فيكون) اى اذا قدر تكون شئ كونه من غير تاخير لكه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الاشياء (٢٥١) بتكوينه (ويعلمه) مدنى وعاصم

وموضعه حال معطوفة على وجهها الباقون بالنون على أنه كلام مبتدأ (الكتاب) أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا في زمانه وقيل كتب الله (والحكمة) بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان (والتوراة والانجيل ورسولا) أى ونجعله رسولاً أو يكون في موضع الحال أى وجهها في الدنيا والآخرة ورسولا (اليتى اسرائيل أتى) باني (قد جئتكم بأية من ربكم) بدلالة تدل على صدق فيما أذيعه من النبوة (أتى) أخلق لكم نصب بدل من أتى قد جئتكم أو جر بدل من آية أرفع على هي أتى أخلق لكم اتى نافع على الاستئناف (من الطين كهية الطير) أى أقدر لكم شأمل صورة الطير (فاثخن فيه) الضمير للكاف أى في ذلك الشيء (لما ملأ طينة الطير) (فيكون طيرا) فصبص طيرا كسائر الطيور طائر امدنى (باذن الله) بامر قـيل لم يخلق شيئاً غير الخفاش (وأبرى) الأكمة الذى ولدأعـمى

من أنطم المراتب وأشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون موافقا على الهج الاصح والطريق
الاكمل في جميع أقواله وأفعاله فلم اوصفه الله تعالى بكونه وجهيا في الدنيا والآخرة ومن المقرر بين وانه يكلم
الناس في المهود كالأردفة بقله ومن الصالحين ليكمل له أعلى الدرجات وأشرف المقامات في قوله عز وجل
(قالت) يعني مريم (رب) يعني ياسيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل (أني
يكون لي ولد) أي من أين يكون لي ولد (ولم يستن بشر) أي ولم يصبرني رجل وانما قالت ذلك تحجبا
لاشكافي قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت أن يولد ولد من غير أب (قال كذلك الله يخفي ما يشاء) يعني
هنا يخفي الله عنك ولدا من غير أن يحسبك بشرف يجعله آية للناس وعبرة فانه يخفي ما يشاء ويصنع ما يريد وهو
قوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعني كابر يد (وله انه الكتاب) يعني الكتابة والخط باليد
(والحكمة) يعني العلم والسنة وأحكام الشرائع (والنور) يعني التي أنزلت على موسى (والانجيل) يعني
لذي أنزل عليه وهذا الخبر من الله تعالى لريم ما هو فاعل بالولد الذي بشره به من الكرامة وعلاوا منزلة
(ورسولا بني اسرائيل) أي ونجيه له رسولا بني اسرائيل وكان أول أنبياء بني اسرائيل يوسف بن
يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث اليهم قال (أني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني
بعلاوة من ربكم على صدق قولي وانما قال بآية وفد جاء بآيات كثيرة لان الكل دل على شئ واحد وهو
صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا ما هذه الآية قال (أني أخافني) أي أصور وأقدر
لكم من الطين كهية الطير) والهيئة الصورة المهيأة من قولهم هيأت الشيء اذا قدرته وأصلحته (فانفخ
فيه) أي في الطين الماء المصور (فيكون طيرا) فقرأ بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد
والاثنتين والجمع وقرأ فيكون طرا على التوحيد على معنى يكون ما نفخ فيه طائرا أو ما خلقه يكون
طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من أكل الطير خلقا
وذلك لانه يطير بالريش وله اسنان ويقال ان الانبياء طهروا طيرهم وتخص ذكروا أن عيسى عليه السلام
لما دعى النبوة وأظهر لهم المعجزات أخذوا يتعجبون عايه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فخذ طينا وصوره
كهية الخفاش ثم نفخ فيه فاذا هو طير يعاير بين السماء والارض قال وهب كان طير مادام الناس ينظرون
اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليقبض فعل الخلق من فعل الخافي وهو الله تعالى وايه علم ان الكمال لله تعالى
(بأذن الله) معناه تكون الله وتخليقه والمعنى أني أعمل هذا التصور أنا فاما خلق الحياة فيه فهو من الله
تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام (وأرى الاكدة والارص) أي وأشقي الاكدة
والارص وصحبهما واختلافوا في الاكدة فقال ابن عباس هو الذي ولد أعشى وقيل هو الاعشى وان كان أبصر
وقيل هو الاعشى وهو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والارص هو الذي به وضعه وكان الغالب على
زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابراء الا كنه والارص
فكان ذلك معجزة له ودايعا على صدقه وفل وهب بما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في
اليوم الواحد نحو خمسين ألفا فن أطاق أن يمشي اليه ممشى ومن لم يطبق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان
يداء بهم بالمدعى على شرط اليمان برسائه (وأحي الموتى بأذن الله) قال ابن عباس قد أعيأ ربعة
أففس عازروا بن الجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بنو ولد له الاسام بن نوح فاما عازر فكان
صدقة لعيسى عليه السلام فارسلت اليه أخت عازر ان أخاك عازر يموت وكان بينهم مامسيرة ثلاثة أيام فاه
عيسى وأحبه فوجده قد مات منذ ثلاثة أيام فل لاخته انطلق بنالي قبره فانطلق بهم إلى قبره فعدا الله

(والابرص وأحبي الموتي باذن الله) كرو باذن الله دفعه الوهم من تنوهم فيه اللاهوتية روى انه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون اليه فقالوا هذا ساحر مبین فارنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خشي لك كذا وهو قوله

بهذا الاسم وسماه كلمة دون غير ذلك ان كل مخلوق وان وجد حدوده وخلفه بواسطة الكلمة الا ان هذا
السبب ماهو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير اسطة أخرى فلا يجرم كان
اضافة حدوده الى الكلمة أمم وأكل وبهذا التأويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه
حدث عنها فان قلت انضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير فقلت لان المعنى بها
مذكر كلفانهذا كراضه برهان قلت قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه الثلاثة الاسم منها واحد وهو عيسى
وأما المسيح فلقب دابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والضمير في علامة يعرف بها
ويتميز عن غيره فكأنه قال الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلاف المعنى عيسى
عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق أو موضوع فقيل انه موضوع وأصله بالهبرانية مشتق فغيرته العرب
وأصل عيسى يشوع كما قالوا موسى وأصله موسى أو ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكر كوافيه
وجوه قال ابن عباس سمى عيسى مسيحا لانه ماسح ذاعاغة الابرأ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه
مسح من الاقدار وطهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن أمه وهو حامله من قبل لان جبريل عليه السلام
معه مجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسبح في الارض ولا يقم مكان فكأنه مسح
الارض أي بقطعهامساحة فلي هذا القول تكون الميم زائدة وقيل سمى مسيحا لانه كان مسيح القدمين
لأنه صلي عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمى الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله
تعالى (وجيها) أي شريفة رفيعة اذ جادوقدر (في الدنيا والآخرة) أي وجهته في الدنيا فيسبب النبوة وانه
كان يرى الأكه والارص ويحيي الموتى وأما وجهته في الآخرة فسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله
تعالى (ومن المقرين) يعني عند الله يوم القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم
أعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو مرتبته وانه رفعه الى السماء (ويكلم الناس في المهد) يعني ويكلم
الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل أن يكلم الكلام ووقته الكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة
مريم وهو قوله في عبد الله أتاني الكتاب الآية وتكلم براءة أمه معار ما هابه أهل القرية بن القذف
ويحيي ان مريم قالت كنت اذ خلوت أنا وعيسى حدثني وحدته فاذ شغاني عنه انسان يسبح وهو في طغي
وأنا سمع ولما تكلم براءة أمه سكبت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس
تكلم عيسى ساعة ثم سكتم ثم لم يتكلم حتى بلغ مياغ الطاق (وكهلا) يعني ويكلم الناس في حال الكهولة
والكهول في اللغة هو الذي اجتمعت قوته وكل شبابه والكهول عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي
وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتنشأ فيه الانبياء فقل ابن قتيبة لما كان له يسى ثلاثون
سنة أرس له الله تعالى فكشك في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على
رأس ثلاثين سنة فكشك في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فغنى الآية انه يكلم الناس وهو في المهد براءة أمه
وهي مجيزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالعودة والرسالة وقيل فيه إشارة لم أخبر بها نبي حتى
يكتمل وقيل فيه اخبار بأنه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه تغيير فغيره
على النصارى الذين يدعون فيه الألوهية وقال الحسن بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من
السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء الى الارض ٣ ويقتل الدجال وقيل بمجاهد الكهل الحكيمة
والعرب يمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتشاك السن واستحكام العقل وجودة الرؤى والتجربة
(ومن الصالحين) يعني لانه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء
ونما اختتم أوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالادوات العظيمة لان الصلاح

(وجيها) ذاجاه وقدر (في الدنيا) بالنبوة والطاعة (والآخرة) بعلو الدرجة (ومن المقرين) برفعه الى السماء وقوله وجيها حال من كلمة اكونها موصوفة وكذا ومن المقرين أى وثابتا من المقرين وكذا (ويكلم الناس) أى ويكلم الناس (في المهد) حال من الضمير في يكلم أى ثابتا في المهد وهو ما يهد بالاصح من مضجعه سمى بالمصدر (وكهلا) عطف عليه أى ويكلم الناس طفلا وكهلا أى ويكلم الناس في اثنين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستأنب فيها الانبياء (ومن الصالحين) حال أيضا التقدير بيشرك به موصوفا بهذه الصفات هو قوله ويقتل الدجال هذا لا يستفاد من نص عبارة الحسن اه مصدحه

(يا مريم افتني ربك) أدعى الطاعة أو أطلى قيام الصلاة (واسجدى) وقيل أمرت بالصلاة كالألف والسيناء والياء والواو والظاهر ان معناه
 لصلاتهم قيل لها (واركبي مع الراكبين) أى رلتكن مع المصلين أى فى الجماعة أو وافضى نفسك فى جملة المصلين وكوفى فى عدادهم
 ولا تكونى فى عداد غيرهم (ذلك) إشارة الى ما سبق من قصة حنوز كرىاويجي ومريم (٢٢٩) (من أنباء الغيب نوحيه اليك)

يعنى ان ذلك من الغيوب
 التى لم تعرفها الا لوى
 (وما كنت لديهم اذ يقولون
 أقلامهم) أنزلهم وهى
 قد أحصى التى طرحوها فى
 النهر مقررعين أو هى
 الاقلام التى كانوا يكتبون
 التوراة بها اختاروها
 للقرعة تبركاً بها (أبهم
 يكفّل مريم) متعلق
 بحذف دل عليه بقون
 كأنه قيل يلقونها بنظرون
 أبهم يكفل مريم وألجعلوا
 أو يقولون (وما كنت لديهم
 اذ يختصمون) فى شأنها
 تنافس فى التكفل بها (اذ
 قالت الملائكة) أى اذ كر
 (يا مريم ان الله يبرك بكامة)
 أى يعسى (منه) فى موضع
 جوصفة لكامة (اسمه)
 مبتدأ وذ كر ضمير السكامة
 لان المسمى بها مذ كر
 (المسيح) خبره والجار فى
 موضع جوصفة لكامة
 والمسيح لقب من الاقارب
 المشرفة كالصديق والفاروق
 وأصله مشيحاً بالبراءة
 ومعناه المبارك كقوله
 وجعلنى مباركاً أينما كنت
 وقيل سمي مسيحاً لانه كان
 لا يسبح ذاعاغة الا برأ أو
 لانه كان يسبح الارض

نساءها ومعناه أنهما خبر كل النساء بين السماء والارض قال الشيخ محي الدين النوى والظاهر ان معناه
 ان كل واحدة منهما خبر نساء الارض فى عصرها أو المفضل بينهما ما سكوت عنه (ق) عن أى موسى ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة
 فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال العلاء ومعناه ان الثريد من كل طعام
 أفضل من الرق وثر يد اللحم أفضل من مرقه بلاتريد وثر يد اللحم فيه أفضل من مرقه من غير وثر يد وفضل
 عائشة على النساء كزيادة فضل الثريد على غيره وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاختلاف
 المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين
 مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون أخرجه الترمذى قوله
 عز وجل (يا مريم افتني ربك) أى قالت الملائكة لها شافهاً أطلى ربك وقيل معناه أطلى القيام فى الصلاة
 ربك قال الاوزاعى لما قالت الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدمها وارتدت دما وقرعوا وحكى عن مجاهد
 نحوه (واسجدى واركبي مع الراكبين) انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضى الترتيب انما هى
 للجمع كأنه قيل لها فعلى الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شرعهم
 وقال ابن الانبارى امرها راعاها وحضها على فعل الخير فكأنه قال استعملى السجود فى حال الركوع وفى
 حال لم يردت بدم اسجد على الركوع بل أراد العموم بالامر على اختلاف الحالين واما قال اركبي مع
 الراكبين ولم يقل مع الراكبات لان لفظ الراكبين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال أفضل
 وأتم وقيل معناه افعلى كفضل الراكبين وقيل المراد به الصلاة فى جماعة أى صلى مع المصلين فى جماعة قوله
 عز وجل (ذلك من أنباء الغيب) يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذى ذكرت لك من
 حديث كرىاويجي ومريم وعيسى عليهم السلام من أخبار الغيب (نوحيه اليك) أى نلقيه اليك
 بالمجد لانه لا يملك أن تعلم أخبار الامم الماضين الا بوحى ملة اليك وانما قال نوحيه لانه ردا الضمير الى ذلك
 فالذاك ذكر اللفظ (وما كنت) يعنى بالحمد (لديهم) هنالك عندهم (اذ يقولون أقلامهم) يعنى التى كانوا
 يكتبون بها فى الماء لاجل الافتراق (أبهم يكفّل مريم) يعنى برها ويقوم بمصالحها ٣ قيل سبب منازعتهم
 فى كفة لة مريم حتى افتزعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فى لاجل ذلك رغبوا فى
 كفالتها وقيل لان مريم حرت عباداة الله وخدمة المجد وكان أبوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا فى كفالتها
 (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يعنى فى كفالتها وثر بينها قوله عز وجل (اذ قالت الملائكة يا مريم
 ان الله يبرك بكامة منه) هناء وما كنت لديهم بالمجد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعنى
 جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبرك بكامة والبشارة بخبر المرء بما يسره من خير بكامة منه يعنى رسالة
 من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل اتى الى فلان كلمة سرتى بها وأخبرت خبراً خافاً حث به ومعنى الآية
 اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبرك بكامة بشرى من عنده وهى ولد بولد لك من غير بعل ولا خلق وذلك
 الولد (اسمه المسيح عيسى بن مريم) وقال قتادة فى قوله تعالى بكامة منه هو قوله تعالى كن فحيها الله كلمة
 لانه كان عن السكامة التى هى كن كما يقال لما فى الله من شئ هذا قدر الله وقضاء الله يعنى ان هذا الامر
 عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس السكامة هى عيسى عليه السلام انما سمي كلمة لانه وجد عن السكامة
 التى هى كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة السكامة التى هى كن فليس عيسى عليه السلام

(٢٢) - (خازن) - (اول)

عذوب أى هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لان اسمه عيسى بحسب وليس اسمه عيسى بن مريم وانما قال ابن مريم اعلاها
 لأنه بولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه ٣ قيل سبب منازعتهم لم تقدم قول ثالث وهو حصول الازمة لهم اه مصححه

(وامرأتى عاقر) لم تلد (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من الافعال العجيبة (قال رب اجعل لى مدنى وأبو عمرو (آية) علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر اذا حات (٢٤٨) (قال أتيتك الان تكلم الناس) أى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام الارضا)

الاشارة بسدأ رأس أو عين أو حاجب وأصله لعرك يقال ارتخا اذا تحرك واستثنى الرمز وهوليس من جنس الكلام لانها لم تأدى مؤدى الكلام وفهم منهم ما يفهم منه سمي كلاما وهو استثناء مقطوع وانما خص تكليم الناس ليعلم انه يحبس اسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكليم بذكر الله ولذا قال (واذ كر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) أى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الآيات الباهرة والادلة الظاهرة وانما يحبس اسانه عن كلام الناس ليخلص المادة لذكر الله لا يشغل اسانه بغيره كانه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له أتيتك ان تحبس لسانك الاعن الشكر وأحسن الجواب ما كان متزعا من السؤال والعشى من حين الزوال الى الغروب والابكار من طالع الفجر الى وقت الضحى (واذ) عطف على اذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذا كر اذ قالت الملائكة يا مريم) روى انهم كلوها شفاها (ان الله اصطفاك) أولا

الوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشبهه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق بخبايرهم عن الوحى السامى وأجيب عن هذا الاعتراض بما ملأت الدلائل على صدق الانبياء فبايجبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا يدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسلز كر يا ذلك انزل هذه الوسوسة من خاطره قل السكيا كان ز كر يا يوم بشر بالوالبان اثنين وتسعين سنة وقيل ابن سبع وتسعين سنة وقال ابن عباس فى رواية اخذك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فلذلك قوله تعالى (وامرأتى عاقر) أى عقيم لانه (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعنى انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجز شئ عن قوله عز وجل (قال) يعنى ز كر يا رب اجعل لى (آية) أى علامة اعلمها وقت حل امرأتى فاز بدنى بالعبادة والشكر لك (قال أتيتك) أى علامتك على التى طابت معرفة عنقه (أن لا تكلم الناس) أى لا تقدر على تكليم الناس (ثلاثة أيام) أى مدة ثلاثة أيام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع ابقائه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال فى آخر الآيات ذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار يعنى فى أيام منعك من تكليم الناس وهذه من الآيات الباهرة والمجربات الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من أعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص فى هذه الايام اعادة الله تعالى ذكره ولا يشغل لسانه بشئ آخر توفير امره على قضاء حق هذه النعمة الجسمية وشكر الله على اجابته فاطالب الآية من أجله وأن يكون ذلك دليلا على وجود الجمل ليم سروره بذلك وقال قتادة انما مسك لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعدم مشافهة الملائكة اياه بشاردة الولد ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام (الارضاء) يعنى الاشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايماء بالأس وكانت اشارة بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غيرتين كلام وهو الصوت الخفى شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والاول اصح لوافق أهل اللغة عليه (واذ كر ربك كثيرا) وذلك لانه الله من السلام فى تلك المدة أمره بالذكر فقال واذا كر ربك كثيرا فافانك لا تمتع من ذلك ولا يحال ينك وبينه (وسبح) أى وعظم ربك وزهه عن النقائص وقيل وصل ربك وسميت الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى (بالعشى والابكار) فاما العشى فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سميت صلاة الظهر والعصر صلاتى العشى والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى (وقوله عز وجل) (واذ قالت الملائكة) يعنى جبريل عليه السلام (يا مريم ان الله صفاك) أى اختارك (وطهره) يعنى من ميسس الرجال وقيل من الخيض والنفس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب (واصطفاك) أى واختارك (على نساء العالمين) أى على زمانها رقيلا على جميع نساء العالمين فان قلت هل فرق بين الاصطفاء الاول والثانى قلت ذكر العلماء فى معناها وجوها يتحصل منها الفرق فقيل فى معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبها من مائة امرأة محررة لم تحبها غيرها أى ولم يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقا من عنده وكفها زكرا يابوا عن الاصطفاء الثانى ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير أب واسمها كلام الملائكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء (ق) عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نساءهم مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد قال أبو بكر يب وأشار وكيع الى السماء والارض فقيل ارادوكيم بهذه الاشارة تفسير الضمير فى قوله خير

حين تقبل من أمك وورباك واختصك بالكرامة السنية (وطهره) (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء مما يستقدر من الافعال (واصطفاك) آخر (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لاحد من النساء

(يُشْرِكُ بِشِرْكَ) (يُشْرِكُ) يشرك وما بعده حجة وتعليق على بشره والتخفيف والتشديد اقتان (يُشْرِكُ) هو غير منصرف لأن كان مجعيا وهو الظاهر فالتعريف والجمعة كموسى وعيسى وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا) حال منه (بكلمة من الله) أي مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة الله لأن تكونه بكن بلائب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه (وسيدا) هو الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يركب سبته قط باطمان سيادة وقال الجنيد هو الذي جاد بالكونين عروضا عن المسكون (وحصورا) هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصر انفسه أي منعاطا من الشهوات (ونبيا من الصالحين) ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصل الانبياء أو كان من جملة الصالحين (قال رب أتي بـكـون لي غلام) استبعادا من حيث العادة واستعظاما لقدرة الله على أن ياتي بـكـون لي غلام (وقد بلغني الكبر) كقولهم أدركته السن العالية أي أثر في الكبر وأدبني

(أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِشِرْكَ) أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لأن الله تعالى أحياه عقر أمه وقيل لأن الله تعالى أحياه قلبه بالإيمان وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لهم بمعية قط (مصدقا بكلمة من الله) يعني عيسى بن مريم وأخاهم عيسى عليه السلام كذا لأن الله تعالى قال له كن فكان من غير أب دلالة على كمال القدرة وقوع عليه اسم السكامة لأنها ما كان وقيل سمي كلمة لأن عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق إلى الحقائق والأسرار الإلهية ويهتدي به كما يهتدي بكلام الله تعالى فدعى كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لأن الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل عليه السلام وقيل لأن الله تعالى أخبر الانبياء الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم أنه خلق نبيا من غير واسطة أب فلما جاءه قيل هذا هو ذلك السكامة يعني الوعد الذي وعد أنه خلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكان ابني حالة وقتل يحيى قبل أن يرفع عيسى عليهما السلام وقيل أن أم يحيى لقيت أم عيسى وهم أحام لثان فقالت أم يحيى لام عيسى يا مريم أشعرتني في حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم اني لأجد ما في بطني يسجد لي فبطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني أن يحيى آمن بعيسى وصدق به (وسيدا) من ساد بسود والسيد هو الرئيس الذي ينبع وينتهي إلى قوله وكان يحيى عليه السلام سيدا المؤمنين وبشرهم في الدين والعالم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو الذي يطهر به وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد هو الخادم الذي لا يغضبه شيء وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم ياتي سلمة فلو جلدن فبس على أن ابنه قال وأني داء أدوأ من البخل لكن سيدكم عمر وبن الجوح (وحصورا) قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقر بهن فعلى هذا هو قول بمعنى فاعل يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور بمعنى المنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هذه الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر وهو أن الحصور هو المتعنع عن الوطء مع القدرة عليه واعتار كالعفة والزم فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو الراجح بمنصب الانبياء لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وإضافان منصب النبوة بحمل من أن يضاف إلى أحد منهم نقص أو أفتخل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله على ترك الوطء مع العجز عنه (ونبيا من الصالحين) يعني أنه من أولاد الانبياء الصالحين وقوله عز وجل (قال) يعني زكريا (رب) أي يارب قيل هو خطاب مع جبريل لأن الآية المتقدمة دلت على أن الذين نادوههم الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا يعني السيد والمراد أي يابسيدي وقيل أنه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك أن الملائكة لما بشره وبأولادته تعجب ورجع في أذهال ذلك التعجب إلى الله تعالى فقال رب (أني يكون لي غلام) يعني من أين يكون وكيف يكون لي غلام (وقد بلغني الكبر) قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشيخو وقيل معناه وقد نال الكبر وأدركني الضعف فأن قلت كيف أنكر زكريا بالولد مع تبشير الملائكة إياه ومعنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعدا له إياه به كان شاكفي وعدا الله وفي قدرته قلت لم يشك زكريا بإعاليه السلام في وعده الله وفي قدرته وإنما قال ذلك على سبيل الاستعظام والاستعلاء والمعنى من أي جهة يكون لي الولد يكون بأذن العز عن زوجتي ورد شيئا على أو يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وقال عكرمة والسدى لما سمع زكريا بآداء الملائكة جاءه الشيطان وقال يازكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وإنما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لأوحا إليك كما يوحى إليك في سائر الأمور فقال ذلك زكريا يدفعا

(كما دخل عليها زكريا بالحراب) فمن بي لها زكريا بحر ابني المسجد اذى غره فبعد اليه اسلم وقيل الحراب اشرف المجالس ومقدمها
كانها اوصعت في اشرف موضع من بيت القدس وقيل كانت مساجدهم تسمى الحار ب وكان لا يدخل عليها الا هو وحده (وجد عندها
رزقا) كان رزقها يزل عليه من (٢٤٦) الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها كما الشاء في الصيف وفا كة

الصيف في الشتاء (قال يا مريم
أتى لك هذا) من بين لك
هذا الرق الذي لا يشبه
أرزاق الدنيا وهو آتى
غير حينه (قالت هو من
عند الله) فلا تشبهه قيل
تكاثمت وهي صيرة كانكا
عيسى وهو في المهد (ان
الله يرزق من يشاء) من
جلة كلام مريم اذن كلام
رب العالمين (بغير حساب)
بغير تقدير اكثرته أو تفضلا
بغير محاسبة ومجازاة على
عمل (هنالك) في ذلك
المكان حيث هو قاعد
عند مريم في الحراب اوفى
ذلك الوقت فقد يستعار هذا
وحيث وثم لا زمن لما رأى
حال مريم في كرامتها على
الله ونزلها رغب أن يكون
له من اشباع ولده يسيل ولد
أمه حنة في الكرملة على
الله وان كانت عاقرا
بحوزا فقد كانت أمها كذلك
وقيل لما رأى الله كمة في
غير وقتها انتبه على جواز
ولادة العاقر (دعا زكريا ربه
قال رب هب لي من لدنك
ذرية) ولدا والذرية يقع
على الواحد والجمع (طيبة)
مباركة والتأنيب لفظ
الترية (انك سمع

ادعاء ومعناه وضعت الله زكريا وضعت اليه بالقرعة وقرئ تخفيف الفاء ومعناه وضعت زكريا الى نفسه
بالقرعة وقام بامر ها وهوز كرى ابن اذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان بن داود عليه ما السلام فلما
ضمز كرى مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها يحيى حتى اذا شب
وبلغت مبالغ النساء بنى لها حرابا في المسجد وجعل بابها في وسطها لا يرقى اليه الا بسلم ولا بعدا لغيره
وكان ياتيه اباطعها وتمر بها كل يوم فذلك قوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا بالحراب) يعني العرفة
والحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل الحراب يارق اليه بدرج وقيل كان
يزكريا ياتى عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها الحراب (وجد عندها رزقا) يعني فا كة في غير وقتها فكان
يجد عندها كما الشاء في الصيف وفا كة الصيف في الشتاء (قال) يعني زكريا (يا مريم أتى لك هذا)
أى من أين لك هذا الفاكة (قالت) يعني مريم مجيبته زكريا (هو من عند الله) يعني من الجنة وقيل ان
مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان ياتيه رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم أتى لك هذا فتقول هو
من عند الله تكاثمت وهي صغيرة في المهد كانت كمال ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقيل لمجد
اسحق أصابت بني اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على
بنى اسرائيل فقال يا بني اسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سنى وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها
بعدى فتأوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السمت ما ترى فتدأوا وها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بد فتقارعوا
عليها بالا فلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن علم يرمي لحملها فعرفت مريم في
وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق مكانه امنه
في مكان ياتيه كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها في الحراب أعماه الله وزاده فيدخل زكريا
عليها فيقول يا مريم أتى لك هذا فتقول هو من عند الله (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) وهذا يحتمل أن
يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام من الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير
استكرته أو من غير سبب وفي هذه الآية دليل على جواز كرامات الاولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم
قال أهل الاخبار فاما رأى زكريا بذلك قال ان الذي قدر على أن ياتى مريم بالفاكة في غير وقتها وحينها من
غير سبب لقادر أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه مع السكبر وطعم في الولد وذلك ان أهل بيته كانوا
قد انقرضوا وكان زكريا قد كبر وشاخ وأيس من الولد فلذلك قوله عز وجل (هنالك دعا زكريا ربه) يعني
انه عليه السلام دخل محرابه وغلقت الابواب وسأل ربه الولد قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) يعني انه
قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيما خالصا للذرية تطابق على الواحد والجمع والد كروالانثى
والمراد بها هنا الواحد والما قال طيبة لتأنيب لفظ الذرية (انك سمع الدعاء) أى سامعه وبجيبه قوله
عز وجل (فنادته الملائكة) يعني جبريل عليه السلام واما آخره بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولانه رئيس
الملائكة وقل أن يبعث ادمعه جمع من الملائكة جرى ذلك على مجرى العادة (وهو قائم يصلى في الحراب)
أى في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الخبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح لهم الباب
ولا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فينهاهوا قائم يصلى في محرابه عند المنبر والناس ينتظرون أن ياذن في
الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض فقزع زكريا يده فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا

الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) قيل ناداه جبريل عليه السلام وما قيل الملائكة لان المعنى آناه النداء من هذا
الجنس كقولهم فلان ركب الخيل فناديه بالياء والاملة فجزه وعلى (وهو قائم يصلى في الحراب) وفيه دليل على أن المراتب تطلب بالصلوات
وفيه الجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقول ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنة الاتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحارب

(وإني سميتها مريم) معطوف على إني وضعتها إني وما بينهما اجلتان معترضان وأما ذكر حنة نسبهما مريم لهما لأن مريم في أئمتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطايعا لاسمه وأوان يصدق فيها طاعتها ألا ترى كيف انزعجته طلب الاعادة لها ولولدها من الشيطان بقوله (وإني) مدني (أعنيها بك) أجبرها (وذريتها) أولادها (من الشيطان الرجيم) المأمون في الحديث مامن مولود يولد الا والشيطان معه حين يولد فيسهل صار خامن مس الشيطان إياه الامر يم وابنها (٢٤٥) (فتقبها رها) قبل الله مريم

ورضى بها في النذر مكان
الذكر (بقبول حسن)
قبل القبول اسم ما يقبل
به الشيء كالسقوط
لما يسقط به وهو
اختصاصه لها بقامتها مقام
الذكر في النذر ولم تقبل
قبلها أنثى في ذلك أو بان
تسلسلها من أمها عقيب
الولادة قبل ان تتناول
السدة انه روى ان حنة لما
ولدت مريم افنتها خرقة
وجلتها الى المسجد ووضعها
عند الاحبار ابناء هرون
وهم في بيت المقدس كالحنجة
في الكعبة فقالت لهم
دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو مائتان
رؤس بنى اسرائيل
وأجبرهم فقال لهم زكريا
أنا أحق بها عندي أختها
فقالوا لا حتى تقتري عليها
فانطلقوا وكانوا سبعة
وعشرين بن النهر فالتقوا فيه
أفلامهم فارتفع قلم زكريا

كأنه كرم المراد منه تفضيل الله كرم على الانثى لان الذكر يصلح للخدمة للكنيسة ولا يصلح للانثى لذلك
لضعفها وما يحصل لهما من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيس في معنى الآية ان
المراد منها تفضيل هذه الانثى على الذكر كانتا قاتلتان كان الذكر مظلوما في الخدمة المجدد وهذا الانثى
هي موهبة لله تعالى وليس الله كرم الذي طلبت كالانثى التي هي موهبة لله تعالى وكانت مريم من اجل
النساء وأفضلهن في وقتها (وإني سميتها مريم) يعني العابدة والخدمة وهو بلغتهم وأرادت بهذه التسمية
أن يفضلها الله على انثى الدنيا (وإني أعنيها بك وذريتها) أي أمه أو أجبرها بك وذريتها (من الشيطان
الرجيم) يعني اللعين الطير بدو ذلك ان حنة أم مريم لمافاتها كانت تطلب من أن يكون ولد لها ذا كرامة
هي أنثى تضرعت الى الله تعالى أن يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وأن يجعلها من الصالحات
العايدات (ق) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن بنى آدم من مولود
الا تحسه الشيطان حين يولد فيسهل صار خامن تحسه إياه الامر يم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان تتم
وإني أعنيها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا يحجز عنك قال كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه
باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعن فطم في الحجاب وقوله عز وجل (فتقبها رها) يقول
حسن) يعني ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحروم يعني قبل مريم في الجحيم قال الزجاج الاصل في
العربية تقبلها تقبل ولكن قبول يحمل على قبلها بقوله لا كما يقال قبلت الشيء قبولاً وادارضته وقال أبو عمرو
ليس في المصادر قول يفتح الفاء الا هذا ولم أسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء
وهو ان يرى الشيء بأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التريية والقيام بشأنها أو بما قال بقبول الجمع بين
الامر بنى معنى التقبل الذى معنى التكفل والقبول الذى هو بمعنى الرضا (وأنتها بنانا حسنا) معناه وأنتها
فنبئت هي بنانا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبها رها بقبول حسن أى سلك بها طريق السعداء
وأنتها بنانا حسنا يعني سوى خلقهم من غير زيادة ولا نقصان فكانت نبت في اليوم ما نبت المولود في عاد
(وكفها زكريا) قال أهل الاخبار لما ولدت حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وجلتها الى المسجد ووضعها
عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ يملكون بيت المقدس ما تلى الحنجة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة
فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لان خالتها
عندي فقالت له الاحبار لو تركت لاسمها لولدتها لو كننا فنتفرع عليها فتكون عند
من خرج سهمها فافانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جارد قيل هو الاردن قالوا أفلامهم في
الماء على أن من نبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بهما من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم واحد منهم وقيل
بل كانوا يكتبون التوراة فالتقوا أفلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا يافوق الماء ووقف وانحدرت
أفلامهم ثم رسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا يصعد الى أعلى وجرت أفلامهم مع جرى الماء الى أسفل
فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفها زكريا يافرى بشديد

فوق الماء ورسبت أفلامهم فتكفها وقيل هو صدر على تقدير حذف المضاف أى فتقبها بأذى يقول حسن أى بامر ذى قبول حسن
وهو الاختصاص (وأنتها بنانا حسنا) مجاز عن التريية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت ثمرة مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر
على خلاف المصدر والتقدير فنبئت بنانا (وكفها) قبلها وأضمن القيام بامرها وكفها كوفي أى كفها الله زكريا يعني جعله كافلا لها
وضامنا لها (زكريا) بالصدر كوفي غير أبى بكرى كل القرآن وقرأ أبو بكر بالصدر هنا غيرهم بالرفع كالثانية والثالثة ومعناه
في العبري دائم الله كرو التسييح

(ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضهم من بعض) مستأخرون من موضع النصب صفة للذرية يعني آل الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وعرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من فاهت وقهت بن لادى ولادى من يعقوب ويعقوب بن اسحق وكذلك (٢٤٤) عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو متصل بهودا بن يعقوب بن اسحق وقه

أى اختارهم واصطفاهم على العالمين وأخضعهم من النوبة والرسالة (ذرية) أى اصطفى ذرية وأصلها من ذرا بمعنى خافى وقيل من التران الله تعالى استخرجهم من ظلم آدم كالنور وانما سمي الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم وهو من ذرية الله تعالى أى خلقه (بعضها من بعض) أى بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض فى التناسل والتصادق وقيل بعضها على دين بعض (والله سميع عليم) معنى ان الله تعالى سميع لافعالها وعاين لنيبوتها ورسالته من يعلم اسمايته قولاً وفعلاً ﴿ قوله عز وجل (اذ قالت امرأت عمران) هى حنة بنت فاوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وقيل ابن أشيم وليس بعمران أى موسى لان بينهما ألفاً وثلاثمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل فى ذلك الزمن وأحبواهم وولواهم (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً) أى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذراً محرراً منى لك والنذر ما يرجو به الانسان على نفسه والمعنى محرراً أى عتيقاً خالصاً مفرغاً للعبادة والله وخدمة الكنيسة لآشيمه بئس من أمور الدنيا قيل كان المحرر عندهم اذا حرر رجل فى الكنيسة فيقوم عليها ويتخدمها ولا يبرح معقاً فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخبر فان أحب أقام فيها وان أحب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الإقامة فى الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن أحد من أنبياء بني اسرائيل ومن علمائهم الاومن أولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرق الا العلمان ولا تصلى الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما فى بطنها وكانت القصص فى ذلك على ما ذكره أصحاب السير والاخباران ذكر يابوعمران تزوجاً أختين فكانت إيشاع بنت فاوذا وهى أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاوذا أخت إيشاع عند عمران وهى أم مريم وكان قد أسسك عن حنة الولد حتى أيست وكبرت وكانوا أهل بيت صالحين وهم من الله مكان فينهاى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فرخاً فتكرت نفسها بذلك للولد فذعت الله ان يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولداً ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدتى وخدمته فلما حلت مريم حررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو فقال لزوجها وبكلم ما صنعت أرى بان كان ما فى بطنك أنثى لاتصلح لذلك فوقعا جيعا فى هم شديد من أجل ذلك فأت عمران قبيل أن تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكياً عنها (فتقبل منى) يعنى فتقبل نذرى والتقبل أخذ الشيء على الرضا وأصله من المقابلة لانه يابل بالجزاء وهذا سؤال لا يبريد بما فعله الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص فى دعائه وعبادته (انك أنت السميع) يعنى لتصرعى ودعائى (العليم) يعنى بليتى وما فى ضميرى ﴿ قوله عز وجل (فلما وضعتها) أى ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان فى علم انها جارية وكانت حنة تزوجاً ان يكون غلاماً (قالت) يعنى حنة (رب انى وضعتها أنثى) تريد بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها لانه المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لانه على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما فى بطنها قبيل أن تضعه (والله أعلم بما وضعت) قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى أنه تعالى قال والله أعلم بالشيء الذى وضعت وقرئ وضعت برفع التاء وهو من كلام أم مريم على تقدير أنها لما قالت رب انى وضعتها أنثى خافت أن تكون أخبرت الله بذلك فآلته هذه الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت (وليس الذكر كالاتى) يعنى فى خدمة الكنيسة وعباد الله الذين فيها وفى الكلام تقديم وتأخير تقديره وليس الاتى

دخل فى آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض فى الدين (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء وسميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها (اذ قالت) واذ منصوب به أو باضار اذكر (امرأة عمران) هى امرأة عمران ابن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاوذا (رب انى نذرت لك) أو جيت (ما فى بطنى محرراً) هو حال من ماوى به معنى الذى أى معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يلدى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصاً للعبادة يقال طين حراى خالص (فتقبل منى) مدى وأبو عمرو والتقبل أخذ الشيء على الرضا به (انك أنت السميع العليم فلما وضعتها) الضمة بمل فى بطنى وانما أنثى على تأويل الحيلة أو النفس أو النسمة (قالت رب انى وضعتها أنثى) أى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحيلة أو النفس أو النسمة أى وانما قالت

هذا القول لان النحر لم يكن الا لعلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت الى ربه وانكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله (والله أعلم بما وضعت) تعظيماً لموضوعه أى والله أعلم بالشيء الذى وضعت وما علمى به من عزائم الامور وضعت شامى وأبو بكر يعنى واهل الله فيهم سر او حكمه وعلى هذا يكون داخلى القول وعلى الاول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى (وليس الذكر كالاتى) التى وهبت لها واللام فيها ماله

المؤمنين) يعني ان الحكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تفرقهم عنهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لان موالاة الولى وموالاة عدوه متساويان (الآن تتقوا منهم تقاة) الآن تحذروا من جهةتهم أمر واجب اتقاؤه أي اذ أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك خيفة يجوز لك اظهار الموالاة وطان المعادة (وبحذركم الله نفسه) أي ذاته فلا تعرضوا لخطئه (٢٤٢) بموالاة أعدائه وهذا عديد شديد (والى الله المصير) أي مصيركم اليه والعذاب معد

لديه وهو وعيد آخر (قل) بينهم أرحمة أومعاشرة المحبة في الله والبغض في الله آيات عظيمة وأصل من أصول الإيمان (ومن يفعل ذلك) يعني موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم (فليس من الله في شيء) أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه فليس من ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول من أن ولاية المولى معادة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان (الآن تتقوا منهم تقاة) أي الآن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية ان الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداونتهم ومبايعتهم الآن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمنون في قوم كفار فيداهنهم بلسانهم وقابله مطمئن بالإيمان دفعوا عن نفسه من غير أن يستحل دماحرا ما ولا حراما ولا غير ذلك من المحرمات أو يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الامع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الان أن كره قلبه مطمئن بالإيمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار إيمانه حتى قتل كان له بذلك أجر عظيم وأتكرم قوم التقية اليوم وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد أعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام أن يتقوا من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبيرة في أيام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الامان تقية انما التقية في الحرب وقيل انما يجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان (وبحذركم الله نفسه) أي وبخوفكم الله أن تعصوه إن تركتموه المنهي أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله (والى الله المصير) يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الآخرة قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما في صدوركم) يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعاء القلب (أو تبدوه) يعني تبدوا مودة الكفار قولوا وفعلوا وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أي تظهروه بالحرب والمقاتلة (لعله يعلمه الله) أي يحفظه عليكم ويحازيك به (ويعلم ما في السموات وما في الارض) يعني أنه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاةكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم (والله على كل شيء قدير) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة لم ينقص ولم يخص منه شيء (وما عملت من سوء) أي من بين ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت فأتدبر به وما عملت من سوء (تود) أي تمنى (لأن ينهاه ويمنه) أي وبين ما عملت من سوء (أمد بعيد) أي مكانا بعيدا قيل كابين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود أنها لم تعمله ويكون ينهاه ويمنه أمد بعيد (وبحذركم الله نفسه) اعا كرهه لنا كيد الريع (والله رؤف بالعباد) قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم أنفسهم وعرفهم كمال قدرته وعلمه وأنه يعلم ولا جهل ولا جهل وقيل معناه أنه رؤف بالعباد حيث أهملهم بالتوبة والتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال وبحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعيد لعلم العبد المؤمن أن رحمة ووعده غلبت وعيده وسخطه والذي علمته من سوء تود

لديه وهو وعيد آخر (قل) ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرهما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه وهو باخ وعيد (ويعلم ما في السموات وما في الارض) استئناف وليس به طوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سركم وعلمكم (والله على كل شيء قدير) فيكون قادر على عقوبتكم (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يوم منصوب بتود والضمير في بينه اليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرا وشرا حاضرين تمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمد بعيد أي مسافة بعيدة أو باذ كر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي علمته من سوء تود

هي لتوباعند ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون مانسربة لارتفاع تود نعم الرفع جائزا اذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم والكسبة وعن المبردان الرفع شاذ وكرر قوله (وبحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) ومن رآه بهم أن حذرهم نفسه حتى لا تعرضوا لخطئه ويجوز أن يراد به انه مع كونه محذرا السكال قدرته مرجو لسعته رحته كقوله تعالى ان ربك لندومغفر وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه

(قوله)

(بيدك الخير) أي الخير والشر فاكثرت بك كمر أحد الصديقين عن الآخر ولان السلام وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أو يأكده على رغب من أعدائك (انك على كل شيء قدير) ولا يقدر على شيء أحد غيرك الا بقادرك وقيل المراد بالملك المعاقبة أو ملك القنطرة قال عليه السلام ملوك الجنة من أممي القانعون بالقوت يومافيمأ وملك قيام الليل وعن الشيلي الاستغناء بالكون عن الكونين تمز بالمرقة أو بالاستغناء بالكون أو بالفتنة وتدل (٢٤١) بأداهام ذكر قدرته الباهرة

بذكر حال الليل والنهار في

المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله (توبج الليل في النهار وتوبج النهار في الليل) فالإلاج ادخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا أي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد في الليل (وتخرج الحي من الميت) الحيوان من النطفة أو الفرج من البيضة أو المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) النطفة من الحيوان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن (وتوزق من تشاء بغير حساب) لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عنده ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدس أدرا ن يوزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من الحى ويذهب ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض

من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالفتنة والرضا وتذل من تشاء بالحرص والطمع (بيدك الخير) يعني النصر والغنيمة وقيل الانكاف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخير فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان السلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله تعالى الى عباده المؤمنين وهو الذي أنكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أو يأكده على رغب من أعدائك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه تلتقم به والمرغوب فيه (انك على كل شيء قدير) يعني من ابتاه الملك من تشاء واعز من تشاء واذل من تشاء وقوله تعالى (توبج الليل في النهار) الآية لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أرفقه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه أنه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على ان من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة قلنوى الأفهام والعقول فهو قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذهب ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى توبج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما تنقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل (وتوبج النهار في الليل) حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار به مظللة الليل والقول الاول أصح وأقرب الى معنى الآية لانه اذا نقص الليل كان ذلك القدر زائدا في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) وهو أنه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرج وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات النضج الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخل من التوتاق وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن حتى الفؤاد والكافر ميتة (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني من غير تضيق ولا تقير بل تبسط الرزق لمن تشاء وتسعه عليه قوله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الاصار لقيتوهم عن دينهم فقال رفاعه بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خزيمة لا أولئك الاقر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنوكم عن دينكم فابى أولئك النفر الامباظنهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في حاطب بن أبى بلتع وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن أبى وأصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود يأتونهم بالاخبار يرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية تنهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادته الصامت كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمسة ائمن اليهود وقد رأيت ان أستظهر بهم على العدو فنزلت هذه الآية وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعني أنصارا أو أعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجسد المؤمن ولا يمتان هو غير مؤمن تنهى الله المؤمنين أن يوالوا الكفار أو يلا طفوههم اقربا

(٢١ - خازن - اول) الكتب ان الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوا جعلهم عليهم رحمة

وان العباد عصوا جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشبهوا بسب الملوك ولكن توبوا الى أعفانهم عليهم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان مدنى وكفى غيرائى بكر (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) فهو أن يوالوا الكافرين لقربا بينهم أو اصدافه قبل الاسلام أو غير ذلك وفيه كذا في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم في الايمان (من دون

(ثم يتولى فريق منهم) استبعاد توليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنها
(ذلك بانهم قالوا ان تمسنا النار) (٢٤٠) الايام معدودات) أى ذلك التولى والاعراض بسبب تسهياهم على انفسهم أمر

والعقاب وطعمهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي أربعمائة يوم أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وباتهم خبره (وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترنون) أى غيرهم افتراءهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا الله وبنو بنو الامدة يسيرة (فكيف اذا جمعناهم ليوم) فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت (لأرب فيه) لاشك في كونه (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت (وهم) يرجع الى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس (لا يظلمون) بزيادة في سيئاتهم وتقصان في حسناتهم (قل اللهم) الميم عوض من ياولد الا يجتهد ان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالشاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزة في يائه وبالتخفيف (ملك الملك) تملك جنس الملك فتصرف فيه تصرف المالك فيما يملكون وهو داء ان

واضافة الحكم الى الكتاب هو على سبيل المجاز (ثم يتولى فريق منهم) حتى الرؤساء والعلماء (وهم معرضون) يعنى عن الحق وقيل الذين تولواهم العلماء والذين أعرضوا هم الانبياء (ذلك بانهم) يعنى ذلك التولى والاعراض عما حصل بسبب انهم (قالوا ان تمسنا النار الايام معدودات) تقدمت في سورة البقرة (وغيرهم) أى وطعمهم (في دينهم ما كانوا يفترنون) أى يحلفون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم ان تمسنا النار الايام معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق واتم على الباطل (فكيف اذا جمعناهم) أى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم (اليوم) أى في يوم (لأرب فيه) فيه ووفيت كل نفس ما كسبت) أى لاشك فيه انه كائن واقع وهو يوم القيامة وفيه تذبذبهم واستعظام لما عملهم في ذلك اليوم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وان ما حدثوا به انفسهم وهو سهلوا عليها تعمل بباطل وطعم فيما لا يكون ولا عمل لهم قيل ان اول رواية ترفع لاهل الموقف من آيات الكفار راية اليهود فتضجهم على رؤس الاشهاد ثم يؤمرهم الى النار (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من حسناتهم ان كانت لهم حسنة ولا يزداد على سيئاتهم (قل اللهم مالك الملك) قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يجعل ملك فارس والروم في أمته فانزل الله هذه الآية قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أن يحمدا ملك فارس والروم وهم أعز وأزواجهم من ذلك ألم كيف محمد مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء بنقل النبوة من بني اسرائيل الى غيرهم فزلت هذه الآية قل اللهم معناه بالله المحاذف حرف الداء في الميم في آخره وقيل ان الميم في معنى آخر وهو ياله أمتنا بخير أى أقصدنا ما مالك أى مالك العباد وما مالكم اوقيل مالك السموات والارض وقيل معناه بيده الملك يؤتية من يشاء وقيل معناه مالك الملوك وراثةهم يوم لا يدعى الملك أحد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة أن الله مالك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيده فان العباد أطاعوا في جعلتهم عليهم رحمة وانهم عصوا في جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشعوا لاسباب الملوك ولكن تو بالى أعطاهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى أنه تعالى قادر على كل شيء وملك على كل مالك وملوك وقادر وقدور وقيل معناه مالك الملك أى جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء (تؤتى الملك من تشاء) يعنى النبوة لانهم أعظم مراتب الملك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم له الامر على باطن الخلق وظواهرهم والمالك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من بطيعة منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة (وتنزع الملك من تشاء) يعنى بذلك نزع النبوة من بني اسرائيل وايداءها محمد أصلى الله عليه وسلم فانه لا نبى بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته أحد وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى محمد أصلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك من تشاء يعنى من أن جعل وصدا يدبر يش وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى أممة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك من تشاء يعنى فارس والروم وقيل تؤتى الملك من تشاء يعنى آدم وذريته وتنزع الملك من تشاء يعنى ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل آدم (وتعز من تشاء) يعنى محمد أصلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة (وتذل من تشاء) يعنى اليهود باخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز الهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعنى محمد وأصحابه دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عابها وتذل من تشاء يعنى أباجهل واضرابه حين قتالوا والوفاء قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز

أى بامالك الملك (تؤتى الملك من تشاء) تعطى من تشاء النصب الذي قسمت له من الملك (وتنزع الملك من تشاء) من تنزعه فمالك الاول عالم والمالكان الآخران خاصان بعضان من السكل روى انه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال اليهود والمنافقون هيهات هيهات من أن يحمدا ملك فارس والروم هم أعز وأزواجهم من ذلك (وتعز من تشاء) بالملك (وتذل من تشاء) نزعهم منه

اللهو يقتلون النبيين) هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الانبياء (بغير حق) حال مو كدة لان قتل النبي لا يكون حقاً (و يقتلون الذين يامرون) و يقتلون حجة (بالقسط) بالعدل (من الناس) أى سوى الانبياء قال (٢٣٩) عليه السلام قتلت بنو اسرائيل

ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني اسرائيل فامروا وقتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم (فبشرهم بعذاب أليم) دخلت السماء في خبران لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم معنى من يكفر فبشرهم وهذا لان لا تفرقه معنى الابتداء فمضى التحقيق فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت واهل لا تمتنع دخول الفاء (أولئك الذين حبطت أعمالهم) أى ضاعت (في الدنيا والآخرة) فلم يملأوا الجنة والخرى في الدنيا والعذاب في الآخرة (وما لهم من ناصر) جمع لوقم رؤس الآي والا فلولاحد النكرة في النفي يعم (ألم ترالى الذين أتوا نصيباً من الكتاب) يريد أحبار اليهود وانهم حصوا نصيباً وافراً من التوراة ومن التابعين أوليائهم (بدعون) حال من الذين (الى كتاب الله) أى التوراة والقرآن

الله) يعنى يمجّدون القرآن و ينكرونه وهم اليهود والنصارى (و يقتلون النبيين بغير حق) و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس) كان أنبياء بنى اسرائيل يأمرون بالحق ولم يكن يأمرونهم بكتاب لانهم كانوا مقلدين باحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلونهم فيقوم رجال من آمن بهم وصدّقهم فذكروهم و يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم أيضاً فهم الذين يامرون بالقسط يعنى بالعدل من الناس روى البغوي بسند التعليل عن أبى عبيدة بن الجراح قال قلت لرسول الله أى الناس أشدّ عناداً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمراً بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى أن انتهى الى قوله وما لهم من ناصر بنى فم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا باعبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني اسرائيل فامروا وقتلهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه و أنزل الآية فيهم (فبشرهم بعذاب أليم) امتداد تحت الفاء في قوله فبشرهم مع انه خبران لانه في معنى الجزاء والعقوبة من كفر فبشرهم بعذاب أليم يوم القيامة وهذا محمول على الاستعارة وهو انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان أسلافهم الذين قتلوا الانبياء لانهم رضوا بفعلهم (وأولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) و بطلان العمل هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصر) يعنى ينعونهم من العذاب (ألم ترالى الذين أتوا نصيباً من الكتاب) أنزلت في اليهود (بدعون الى كتاب الله) يعنى القرآن وذلك أن اليهود دعوا الى حكم القرآن فأعرضوا عنه قال ابن عباس ان الله جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروى عن ابن عباس أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل نيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعم بنى عمر ووالحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم قالان ابراهيم كان يهودياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فبشركم فباعيهم فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروى عنه أيضاً أن رجلاً وامراً من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم ففكروا رجمها المشركين فرفعوا أمرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهم بالرجم فقال النعمان بن أوفى وجرى بن عمرو جرت عليهم ما لمحمد وليس عليهم الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صور يأسكن فذلك فارسوا اليه فقدم المائدة وكان جبريل قد وصفه لاني صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صور يا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ آية فقرأ فقرأ على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعد فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابي ودوفهم ان الحصن والمحصنة لاذن نيا فوالت عليه ما لم يقر رجلاً وان كانت المرأة حبلى تر بص بها حتى تضع في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين فرجما ففضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم ترالى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يعنى عليهم الذى تملوه من التوراة يدعون الى كتاب الله يعنى القرآن وأل التوراة على اختلاف الروايتين (ليحكم بينهم) أى ليضى بينهم

(ليحكم بينهم) جعلها كاحيث كان سبب الحكم أو ليحكم النبي روى انه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعم بنى عمر ووالحرث ابن زيد على أى دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة ابراهيم قالان ابراهيم كان يهودياً قال ليهما بنى بيننا وبينكم التوراة فقاموا اليها فابا

بحججه ودلائله (فإن الله سريع

(٢٣٨)

الحساب)

سريع الجازاة (فإن جادلوك في أن دين

الاسلام والمراد بهم وفد
بنى نجران عند الجهور
(فقل أسلمت وجهي لله)
أى أخلصت نفسي وجهي
لله وحده لم أجعل فيها لغيره
شريكا بان أعبد وأدعوا لها
معها يعنى ان ديني دين
التوحيد وهو الدين القويم
الذي ثبت عندكم محتمة كما
ثبتت عندى وما جئت
بشئ يبدع حتى تجادلوني
فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم أن لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شئاً فهو
دفع لا محاجة بان ما هو
عليه ومن معه من المؤمنين
هو اليقين الذي لا شك
فيه فامعنى المحاجة فيه
(ومن اتبعن) عطف على
التاء فى أسلمت أى أسلمت
أنا ومن اتبعنى وحسن
للفاصل ويجوز أن يكون
الواو بمعنى مع فيكون
مفعولامعه ومن اتبعنى في
الحالين سهّل ويعقب
وافى أبو عمرو في الوصل
وجهي مدني وشأحي وحفظ

سنة فكتب على يابه ذلك اليوم وأقت سنة فلما ضمت السنة قات يا يا محمد قد ضمت السنة فقال حدثني أبو
وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاء صاحب يوم القيامة فيقول الله عز وجل ا
لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أذخا لعبدى الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما اختلف الذين
أوتوا الكتاب) قال السكيت نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين أوتوا
الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (الامن بعد ما جاءهم العلم) يعنى بيان نعمة وصفته في كتبهم وقال
الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلاً من خيار بنى اسرائيل وأودعهم التوراة
واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين
أوتوا الكتاب وهم من أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا السماء ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم
العلم يعنى بيان ما فى التوراة من الاحكام (بغيا بينهم) أى طلبا بينهم الملك والرياسة فلما علم عليهم الجبار
وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعنى الانجيل واختلافهم كان في أمر
عيسى عليه الصلاة والسلام وما ادعوا فيه من الالهية الامن بعد ما جاءهم العلم يعنى بان الله تعالى واحد
وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعنى العداوة والمخالفة (ومن يكفر يا بات الله فإن الله سريع الحساب
فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله
عز وجل ﴾ (فإن جادلوك) أى خاصموك يا محمد في الدين وذلك ان اليهود والنصارى قالوا لئلا نعل ماسيئنا
يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم أن يحتج عليهم بأنه امر الله الذى هم مقرون به بقوله (فقل أسلمت وجهي لله) أى اقدت له بقلبي
واساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكرا لانه أشرف جوارح الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه
لشئ فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أى أخلصت عملي لله وفضدت عبادتي لله (ومن
اتبعن) يعنى ومن أسلم كما أسلمت أنا (وقل للذين أوتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والامين) يعنى
مشركي العرب (أأسلمتم) لفظه استفهام ومعناه أمر أى أساموا (فإن أسلمه واقتداهتدوا) يعنى الى انفسهم
والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا نقافا
للهود وأشهدون ان موسى كلم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى أئشهدون ان عيسى
الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبد الله قال تعالى (وان تولوا) أى أعرضوا (فانما علم على
البلاغ) يعنى تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم واختلاف علماء الناسخ والمنسوخ في الآية فذهب طائفة
الى انها محكمة والمراد بها نسائية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحصر على إيمانهم ويتألم اتركهم الاجاب
وهذه طائفة الى انها منسوخة بآية السيف لان المراد بها الاقتصارت على التبليغ وهذا منسوخ بآية السيف
(والله بصير بالعباد) يعنى انه تعالى عالم بمن يؤمن ومن لا يؤمن ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين يكفرون يا بات

والاعشى والبرجي) (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والامين) والذين لا كتاب
لهم من مشركي العرب (أأسلمتم) همز تنوين كوفي يعنى انه قد أسلمتم من البينات ما يقتضى حصول الاسلام فهل أسلمتم أم اتم بعد على كفرهم
وقيل لفظه افظ الاستفهام ومعناه الامر أى أساموا كقوله فهل اتم منتهون أى اتهموا (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فقد أصابوا الرشدين
خرجوا من الضلال الى الهدى (وان تولوا فاعلمك البلاغ) أى لم يضررك فانك رسول منبى ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق
الهدى (والله بصير بالعباد) فيجاز بهم على اسلامهم وكفرهم (ان الذين يكفرون يا بات

(العلم) أى الأنبياء والعلماء
(قائماً بالقطب) أى قائماً بالعدل
فما يقسم من الأرزاق
والآجال ويذهب وبها قب
وما يأمر به عباده من
انضاف بعضهم بعض
والعمل على التسوية فيما
بينهم وانصابه على أنه حال
مؤكد من اسم الله تعالى
وأمن هو وانما جازأ فراده
بنصب الخالدون المعطوفين
عليه ولوقت جازأ ويعدرو
راكبا لم يحزن لهم الألباس
فانك لوقت جاء من زيد
وهندرا كبا جازأ ليزنه
بالد كورة أو على المدح
وكرر (لأله الأهو)
للتأكيد (العزيز الحكيم)
رفع على الاستئناف أى
هو العزيز وليس بوصف
له لأن الضمير لا يوصف
بمعنى أنه العزيز الذى لا
يغاب الحكيم الذى لا يبدل
عن الحق (إن الدين عند
الله الإسلام) حجة مستأنفة
أن الدين على البديل من
قوله أنه لأله الأهو أى شهد
الله أن الدين عند الله
الإسلام قال عليه السلام
من قرأ الآية عند منامه
خاف الله تعالى منها سبعين
ألف خاف يستغفرون له
الى يوم القيامة ومن قال
بعد ما وأنا شهد بما شهد
الله به واستودع الله هذه
الشهادة وهى لى عند الله

الذين يصلون صلاة الصبح فى جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفار لانهم طلبوا بفعالها المغفرة
قوله عز وجل (شهد الله أنه لا اله الا هو) قيل سبب نزول هذه الآية ان حبرين من أحبار الشام قد ما على
النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصر المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفحة مدنية النبي صلى الله
عليه وسلم الذى يخرج من آخر الزمان فلما دخل خلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقال له أنت محمد قال
نعم قالوا وأنت أحد قال نعم قال فانما نأنا لك عن شئ فان أنت أخبرتنا به آمنابك وصديقنا قال أسألتنى قال لا أخبرنا
عن أعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فأنزل الله هذه الآية فأسلم الخبران وقيل ان هذه الآية نزلت فى نصارى
نجران فيما ادعوا فى عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعنى بين الله وأظهر لان معنى الشهادة تبين وظاهر
وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه أعلم الله أنه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلائل لما يمكن التوصل
الى معرفة الوحدةانية فهو تعالى أرشد عباده الى معرفة توحيد ما بين من عجائب مصنوعه وعبادته وبمدعائه
سئل بعض الأعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على البعير وأثار القدم تدل على المسير
فهيكل علوى بهذه الألفاق ومزى سفل بهذه الكفافة أي يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق
الله تعالى الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشده
لنفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه
لا اله الا هو (والملائكة) أى وشهد الملائكة فعنى شهادة الله تعالى الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة
والمؤمنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين الامرين يسمى شهادة حسن
اطلاق لفظ الشهادة عليهما (وأولوا العلم) أى وشهد أولوا العلم بانه لا اله الا هو واختلقوا فى أولى العلم فقبلهم
الانبياء عليهم السلام لانهم أعلم باله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والانصار وقيل هم علماء مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم
علماء جميع المؤمنين (قائماً بالقطب) أى بالعدل نصب على الحال والقطع والمدح ومعناه انه تعالى قائم
بتدبير خلقه كإقبال فلان قائم بما صرف لان يعنى أنه مدبر له ومتعهده لا سببه وفلان قائم بمحى فلان أى أنه
مجازله فآله مدبر أمر خلقه وقائم بإزاقهم ومجازلهم بأعمالهم (لأله الأهو) انما كرهه للتأكيد وقيل ان
الاول وصف وتوحيد والثانى رسم تعاليم أى قولوا لا اله الا هو وقيل فائدة تكرارها الاعلام بان هذه السكاة
أعظم الكلام وأشرفه ففيه حث للعباد على تكرارها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل
بافضل العبادات (العزيز) أى الغالب الذى لا يقهر (الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله (إن الدين عند الله
الإسلام) يعنى ان الدين المرضي عند الله هو الإسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الإسلام ديناً وفيه رد على
اليهود والنصارى وذلك لما دعت اليهود انه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين أفضل من
النصرانية رد الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الإسلام وقرئ أن الدين بفتح الحزقة رد على أن
الاولى والمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وشهد أن لدين عند الله الإسلام وأصل الدين فى اللغة الجزاء يقال كادته
تدان ثم صار اسماً للملة والشرية ومعناه الانقياد للطاعة والشرية قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تبتدئ الله
به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه والإسلام هو الدخول فى السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول فى الطاعة
وروى البغوى بسند الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت
أختلف اليه فلما كان ذات ليلة أردت أن أتحمد الى البصرة قام من الليل يتجعد فمر بهذه الآية بشهادة
أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقطب لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الأعمش وأنا شهد بما شهد
الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله ودع ان الدين عند الله الإسلام قالها مراراً فسمع
فيها شيئاً فصلت الصبح معه وودعته ثم قالت له انى سمعتك تردد هذا فابلفك فيها قال والله لا أحدثك فيها لى

المرجع فيه اشارة الى اتزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى ان من آتاه الله الدنيا كان
الواجب عليه أن يعترفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى ﴿قوله عز وجل (قل
أؤنبكم) أي أحبركم (بخبير من ذلكم) يعني الذي ذكر من متاع الدنيا (للذين اتقوا) قال ابن عباس في
رواية غيره يدلها ما حرم والانصار أراد أن يعرفهم ويشوقهم الى الآخرة قال المعاصم ويدخل في هذا
الخطاب كل من اتقى الشرك (عند ربهم) معناه ان الله تعالى أخبرنا عنه خبير بما كان في الدنيا وان
كان محبوبا بالثمن على ترك ما يحبون لا يرجون ثم فسر ذلك الخبير فقال تعالى (جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها أو أزواج مطهرة ورضوان من الله) ﴿ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون اي بك ربنا سعد بك والحمد لك في كل
يديك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا انرضى وقد أعطيتنا ما لم نعطا أحد من خلقك فيقول ألا أعطيكم
أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا
وقيل ان العباد اذا علم ان الله تعالى قدر ضي عنه كان أتم اسروره وأعظم لفرحه (والله بصير بالعباد) يعني ان
الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده بمن يؤثره من المؤمنين الذين يفتشون على قدر الاعمال
وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك أعدهم الجنات ﴿قوله عز وجل (الذين يقولون ربنا اننا آمننا)
أي صدقنا (فاغفر لنا ذنوبنا) أي استر عنا بنا وذنوبنا (وفنا عذاب النار) ﴿قوله عز وجل (الصابرين)
يعني على أداء الواجبات وعن المحرمات والنهايات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على
دينهم ومأصهم (والصادقين) يعني في ما هم عليه وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت ألسنتهم وقولهم
في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية فالصدق القول فهو بحجابه الكذب والصدق في
في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل آتمه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه (والقاتنين) يعني
المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها (والمنفقين) يعني أموالهم في
طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وأقاربه وصلة رحمه والذكاة والنفقة في جميع
القرابات (والمستغفرين بالاسحار) يعني المصابين بالسحر وهو الوقت بعد طلعة الليل الى طلوع الفجر وقبل
كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار فكان هذا أجمع في ايامهم قال
نافع كان ابن عمر يحكي الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاول لافيعاد الصلاة فاذا قلت نعم قد يستغفر ويدعو
حتى يصلي الصبح (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة
الى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني
فاغفر له وفي افضلهم فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية أخرى فيقول هل من
سائل يعطيه هل من داع فيسبح له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من
أحاديث الصفات والمعاصم وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراؤه على ظاهره
ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتناول أحاديث الصفات قال أبو سليمان الخطابي انما ينسب
هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى الى أسفل وانتقال من فوق
الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا تستوي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمه فيه
وامعاهو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم وغفرته لهم بفعل ما يشاء لا يتوجه
على صفاته ككيفية ولا على أفعاله ككيفية سبحانه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وقيل في قوله والمستغفرين
بالاسحار وصف الله تعالى هؤلاء بما وصفهم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم وجلهم انهم يستغفرون بالاسحار
وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا تسكن أعجم من الديك فانه يصوت بالاسحار وأنت تأتم على فراشه وقيل هم

كلام مستأنف فيه دلالة
على بيان ما هو خير من
ذلك الجنات مبتدأ والذين
اتقوا خبره (تجري من
تحتها الانهار) صفة
الجنات ويجوز أن يتعاق
الهم بغير واخص المتقين
لانهم هم المنتفعون به
ويرتفع جنات عدلى هو
جنات وتنصرف رعاة من
قرا جنات بالجر على البدل
من خير (خالدين فيها
وأزواج مطهرة ورضوان
من الله) أي رضا الله (والله
بصير بالعباد) عالم بما لهم
فيجوز بهم عليها أو بصير
بالذين اتقوا وباحوالهم
فلذا أعدهم الجنات
(الذين يقولون) نصب
على المدح أو رفع أو جر
صفة للمتقين أو العباد
(ربنا اننا آمننا) اجابة
للدعوتك (فاغفر لنا
ذنوبنا) انجاز الوعدك
(وقنا عذاب النار)
بفضلك (الصابرين) على
الطاعات والمصابين وهو
نصب على المدح
(والصادقين) قولنا باخبار
الحق وفلا باحكام العمل
ونيسة بالمضاء العزم
(والقاتنين) للداعين أو
المطيعين (والمنفقين)
المستغفرين (والمستغفرين
بالاسحار) المصابين أو

الشیطان (حب الشهوات)

الشهوة توفان النفس الى
الشيء جعل الاعيان التي
ذكرها شهوات مبالغة
في كونها مشتهاة كأنه
أراد تحسيسها بتسميتها
شهوات اذ الشهوة مسترذلة
عند الحكماء مذموم من
اتباعها شاهد على نفسه
بالبهيمية (من النساء)
والاماء داخلة فيها
(والبنين) جمع ابن وقد
يقع في غير هذا الموضع على
الذكور والانات وهنا
أريد به الذكور وفهم
المستهون في الطباع
والمعدون للدفاع
(والقناطر) جمع قنطار
وهو المال الكثير قليل ملء
مسك ثور وأمانة ألف دينار
ولقد جاء الاسلام وبكمة
ماتفرجل قد قنطروا
(القنطرة) المضفة أو
المدفونة (من الذهب
والفضة) سمي ذهب السرعة
ذهابه بالاتفاق وفضة لانها
تتفرق بالاتفاق والغض
التفريق (والخيل)
سميت بها لاختياله في
مشيها (السومة) المعامة
من السومة وهي العلامة
أو المريعة من أسام الدابة
وسوءها (والانعام) هي
الازواج الثمانية
(والحرث) الزرع (ذلك)
الذكور (متاع الحياة
الدنيا) يتمتع بها في الدنيا
(والله عنده حسن المآب)

تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها العبيد وباحها العابدون بين هـ قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال الله تعالى انا نجعلنا
ما على الارض شهواتا وقال تعالى وكأول ما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك بدل على ان المزين هو
الله تعالى وما يؤيد ذلك قراءة مجاهد بن يفتح الزاوي على تسمية الفاعل وقال احسن المزين هو الشيطان
وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان أعلم عباده عز وجلها وان الله
تعالى أطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر
هذه الاشياء في معرض الذم للذباير بدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن
أبي علي الجبائي من المعتزلة ان كل ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا كان المزين له
هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه أهل السنة لان الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه ﴿وقوله
تعالى (حب الشهوات) يعني المشتهيات لان الشهوة توفان النفس الى الشيء المشتهى (من النساء) انما
بدأ بذكر النساء لان الالتئام بهن أكثر والاستئناس بهن أتم ولانهن حبا للشيطان وأقرب الى الاقتتان
(والبنين) انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر أكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه
يتكثر بهو يعصده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد والحكمة بالغة
وهي بقاء التولد والولادة المحبة لما حصل ذلك (والقناطر المقنطرة) جمع قنطار وسمى قنطارا من الاحكام
والعقد يقال قنطرنه اذا أحكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلف في القنطار هل هو محدود أو غير
محدود على قوانين أحدهما انه محدود ثم اختلف في حده فروى عن معاذ بن جبل ان القنطار ألف ومائتا
أوقية وقال ابن عباس ألف ومائتا مثقال وعنه أنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال
الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام
يوم جاء وبكمة ماتفرجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقادة هو ثمانون ألفا قال مجاهد سبعون ألفا
وقال السدي هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدد وقال ربع ابن أنس القنطار
المال الكثير بعضه على بعض وروى عن أبي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحدوهو
اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاکم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال أبو نصر القنطار
ملء مسك ثور ذهباً أو فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبها بعبور القنطرة المقنطرة أي
المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطر جمع وأقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل أن تكون ستة أو تسعة
وقيل المقنطرة المسكوك المنقوشة (من الذهب والفضة) انما بدأ بهما من بين سائر أصناف الاموال لانها
قيم الاشياء وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مال قادر على مايريدوهي صفة كمال وهي محبوب وبقي
سمى الذهب ذهباً لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض أي تتفرق (والخيل المسومة) الخيل جمع لا واحد
لهم لفظه كالقوم والرهط سميت الا فراس خيلا لاختياله في مشيتها وقيل لان الخيل لا يركبها أحد الا وجد
في نفسه مخيلة يعني عجا واختلف في معنى المسومة على ثلاثة أقوال القول الاول انها الراعية يقال أسمت
الدابة وسوءها اذا أرسلتها للرعي والمقصود انها اذا رعت زاد حسن القول الثاني انها من السم وهو
العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فبقيت هي الغرة والتججيل التي تكون في الخيل
وقيل هي الخيل البقي وقيل هي المعصية بالسبي والقول الثالث انها الضمرة الحسان وتسو بها حسناتها
(والانعام) جمع نعم وهي الابن والبقرة والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها اسم الا للابل خاصة فانه غلب عليها
(والحرث) يعني الزرع (ذلك) يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي
يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى (والله عنده حسن المآب) أي

على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لله ووقاله ابن جرير فان قلت لم قل قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية، وثمة فالت كل ما ليس يؤت حقيق بجوزئذ كره وقيل انه رد المعنى الى البيان فعناء قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء اعاد كرلانه حالت الصفة بين الفعل والاسم المؤث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية أى عبرة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستقبلون في فئتبن أى فرقتين وأصلها فى الحرب لان بعضهم بقى على بعض أى رجوع التقية على يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أى فى طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين على بن أبى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عباد وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة درع وثمانية سيوف وقوله تعالى (وأخرى كافرة) أى وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة وكانوا ثمانمائة وخمسين رجلا من القاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهدته رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى (بروهم مثلهم) قرأ بالتاء يعنى ترون أهل مكة ضعف المسلمين يامعشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا فقال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ولان النصر قرأوا المشركين مثلهم على عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك مجزأة وقرئ بروهم بالياء واختلوا فى وجه قراءة لياء فجعل بعضهم الرؤى للمسلمين ثم لا تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثلهم كهم فان قلت كيف قال مثلهم وإنما كانوا ثلثة أمثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعندده وهم محتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواء فيكون ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو أن يكون الله تعالى أظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذى يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لزالة الخوف من قلوبهم وهذا التأويل الثانى هو الاصح قال الله المشركين فى عين المسلمين حتى رأوهم مثلهم فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى بروهم مثلهم وبين قوله واذيركهم وهم اذا تقبعتن فى أعينكم قايلا وبقية لكم فى أعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين والمسلمين استكثروا المشركين وان الفتنة تدور باقى استعجال احدهما الأخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا فى حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الراضية بهم المسلمون فانهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قل الله المشركين فى عين المسلمين حتى اجترأوا عليهم فصدروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن مسعود نظر نالى المشركين فرأواهم يضعفون علينا ثم نظرناهم فرأواهم يزدادون علينا رجلا واحدا وفى رواية أخرى عنه قل اقدلوا فى أعيننا حتى قاتل رجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفاوان قلنا ان الفئة الراضية بهم المشركون على قول بعضهم ان الرؤى راجعة الى المشركين يعنى رأى المشركون المسلمين مثلهم فقال الله المسلمين فى عين المشركين فى أول القتال ليجترأوا عليهم ولا ينصرفوا فلهذا أخذوا فى القتال كثرة المسلمين فى عين المشركين ليجترأوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روى أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثا وثلاثة عشر رجلا قالوا يعنى المشركين ما كنا نراكم الاضعفون علينا فكان فى وقعة بدر أحوال ان التكثير والتقليل وما ذلك الاظهار للقدر التامة وقوله تعالى (رأى العين) أى فى رأى العين (والله يؤيد) أى يقوى (ينصرهم من يشاء فى ذلك) يعنى الذى ذكر من النصرة وتقليل رؤى الجلبش مثلهم (هجرة) أى لا بة والعبرة بالدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم وأصلها من العبور كانه طر يق يعبرونه فبوصالهم الى مرادهم وقيل الهجرة هى التى يبرمونها من منزلة الجهل الى منزلة العلم (لاولى الاصار) لذوى العقول والصابر (لذوى البصائر) لذين للناس عز وجل (زين للناس) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع أفعال العباد ولان الله

مولى عدد المشركين الذين أومئى عدد المسلمين ستة وثمنا وعشرين أراهم الله اياهم مع قوتهم أضعافهم ليهابوهم وجبنوا عن قتالهم تروهم نافع أى ترون يامشركى قريش المسلمين مثلى فتتسكم الكافرة أومئى أنفسهم ولا ينافض هذا ما قال فى سورة الانفال ويقلل لكم فى أعينهم لانهم قالوا أولا فى أعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظره من الممول على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان وقفوههم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة واطهار الآية ومثلهم نصب على الحال كانه من رؤى العين بدلين قوله (رأى العين) يعنى رؤى ظاهرة مكتوفة لا بأس فيها (والله يؤيد بنصره من يشاء) كأياد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو (ان فى ذلك) فى تكثير التقليل (هجرة) لعظة (لاولى الاصار) لذوى البصائر (زين للناس) المزين هو الله عند الجهور

وهي (ربنا لك جامع الناس ليوم) أي تجمعهم لحساب يوم وأجزاء يوم (لارب فيه) لاشك في وقوعه (ان الله لا يخلف الميعاد) الموعد والمعنى ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب (٢٣٣) سألته أي لا يخلف ما وعد المسالمين والكافرين

من الثواب والعقاب (ان الذين كفروا) برسول الله (ان تغنى) تنفع أو تدفع (عنهم) أمواهم ولأولادهم (من الله) من عذابه (شيأ) من الاشياء (وأولئك هم وقود النار) حطبها (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) الدأب مصدر دأب في العمل اذا كذب فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أي ان تغنى عنهم مثل ما تغنى عن أولئك كذاب بلاهم حيث كان أبو عمرو (كذبوا يا ابتنا) تفسير لآلهم بما فعلوا أو فصل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم ويجوز أن يكون حالأى قد كذبوا (فاخذهم الله) شديدا عقابه (الذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يوم بدر

في الحركات والسكنات والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ربنا لك جامع الناس ليوم لارب فيه) أي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في أي في يوم لارب فيه أي لاشك فيه انه كائن وهو يوم القيامة (ان الله لا يخلف الميعاد) هنا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك أنهم طلبوا ان الله تعالى أن يصرف قلوبهم عن الزيف وأن يحضهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقوله ربنا لك جامع الناس ليوم لارب فيه ومعناه اننا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن أغرت قلبه فهو هالك ومن منفت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين كفروا) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير (ان تغنى) أي ان تنفع ولن تدفع (عنهم) أمواهم ولأولادهم من الله شيأ أي من عذاب الله شيأ وقيل من معنى عند أي عند الله شيأ (وأولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون) قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كهادة آل فرعون والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجود الحق كهادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصرفوا فرعون (والذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم (كذبوا يا ابتنا) يعني لما جاءتهم بها الرسل (فاخذهم الله بذنوبهم) أي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم (والله شديد العقاب) وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا ان تغنى عنهم أمواهم ولأولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغنى عنهم أمواهم ولأولادهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذين كفروا) واستغلبون وتحشرون) قرى ابتاء والياء فيها مخفان قرأ بالياء المنقوطة تحت فعناه بلغهم بالمحمد أنهم سيغلبون وتحشرون ومن قرأ بالياء المنقوطة فوق فعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون (الى جهنم) قيل أراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان أباسفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لاهزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر هذه الآية التي التي بشر به موسى لارتد له رايه وأرادوا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا نتجاولوا حتى ننظر وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونسكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغباب عليهم الشقاء فلم يسموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة ففقدوا العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً الى مكة ليستغفرهم فاجعوا أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسألو اقبل أن ينزل بكم منازل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يفرئك انك اتيت قوماً غمرا لاعلم لهم بالخراب فاصبت منهم فرصة وانار الله لوقائلك اعرفت ان نحن الناس فأنزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون أي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة الى جهنم (وبئس المان) أي الفراش والمعنى بشس ما مدهم في النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قد كان لكم آية في فتنين التتقا) قيل الخطاب للمؤمنين بروي ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لكفار مكة فيكون عطف على الذي قبله ٢ فيخرج

(٣٠ - خازن اول) (وتحشرون الى جهنم) من الجهنم وهي شرعية قلوبها فيها حارة وعلى (وبئس المهاد) المستقر جهنم (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فتين التتقا) يوم بدر ٢ قوله فيخرج على قول ابن عباس ليس بظاهر لان قول

ابن عباس في الآية التي قبل هذه انها في اليهود ولم تقدم له قول انما في كفار قريش حتى يخرج هذا عليه ٥٥ صححه

عند الجهور والوقت عندهم على قوله لا الله وفدروا المتشابه بما سائر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر (يقولون آتياه) وهو ثنائته تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلا تكيف وقائدة انزال التشابه الإيمان به واعتقاد حقيقة ما أراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل اليه سبيلا ويضد قراءتي في ويقول الراسخون وعبد الله ان تاو به لا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بان الراسخين في العلم يعملون التشابه ويقولون كلام مستأف وموضع حال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون التاويل يقولون آتياه أي بالتشابه أو بالكتاب (كل) من متشابه ومحكمه (من عند ر بنا) من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه (وما ينعظ وأصله يندكر) (الأول) (الالباب) أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل وقيل يقولون حال من الراسخين (ر بنا) لا تنزع قلوبنا (لا تلهعن الحق

وابن عباس في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين فملى هذا القول ثم الكلام عند قوله لا الله فوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل (والراسخون في العلم) أي الثابتون في العلم وهم الذين أنقذوا أنفسهم بحيث لا يدخل في علمهم شك (يقولون آتياه) قال ابن عباس ساءهم الله راسخين في العلم وقلهم آتياه فرسوخهم في العلم هو الإيمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن ان قالوا آتياه (كل من عند ر بنا) يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمناه منه والم تعلم ونحن معتمدون في التشابه بالإيمان به ونسكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه فنه تفسير لا يسهل أحد حاجله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله وقيل ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني ان تاو بل التشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آتياه روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما أنه كان يقول أمان الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه أن ابن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى أنزل كتابه ليتفقه به عباده ولا يجاوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان أحدهما أنهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم واقول الثاني ان الراسخين هم العلماء العالمون بعلمهم سئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال العلم العامل بماء علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء لتقوى فيما بينه وبين الله تعالى التواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس (وما يندكر) (الأول) (الالباب) أي وما ينعظ في القرآن الاذوا والعقول وهذا ثنائته من الله عز وجل على الذين قالوا آتياه كل من عند ر بنا ﴿ قوله عز وجل (ر بنا) لا تنزع قلوبنا أي ويقول الراسخون في العلم ر بنا لا تنزع قلوبنا أي لا تلهعن الحق والهدى كما أرغبت قلوب الذين في قلوبهم ريق (بعد اذهد بنا) أي وقتك والدينك والإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك (وهل لنا من ذلك رجة) أي أعطينا نوافيقا وثبتنا ثباتي نحن عليه من الإيمان والهدى وقيل هل لنا تجاوز أو مفقرة (انك أنت الوهاب) الهبة العطية الخالية عن الاوضاع والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه تعالى يعطي كل أحد على قدر استحقاقه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني آدم كما بين أصبعين من أصابع الرحمن قلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا من أحاديث الصفات والاعلماء في قولان أحدهما الإيمان به وامراره كجاء من غير تعرض لتأويل ولا تنكيف ولا معرفة بعناه بل تؤمن به كجاء وأنه حق وبكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتأويل بحسب ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثل شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كقوله فلان في قبضتي وفي كفي ريدانه تحت قدرته وفي تصرفه لانه حال في كفه فمعنى الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يقوته ما أراد منها كاللا يمتنع على الانسان ما بين أصبعيه فغاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما فيه موهوبه وبعده ونبه من أنفسهم وانما ثنائي لفظا لا صريحا والقدرة واحدة لانه جرى على الموهوب من التمثيل بحسب ما اعتاده وان كان غير مقصوده بالثبته أو الجع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر كلفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة لقلوب

بخلق القلب (بعد اذهد بنا) ليعمل بالمحكم والتسليم والمتشابه (وهل لنا من ذلك رجة) (من عند ر) في نعمة بالتوفيق والتثبيت (انك أنت الوهاب) كثير الهبة والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوا هو كذلك التي بعده

والوعيد والوعيد والمثابه هو القصص والامثال فان قلت انما نزل القرآن لبيان الدين وارشاد العباد
وهذا يتهم فمافائدة المثابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة بعضها ان
القرآن أنزل بالفاظ العرب وانهم وكلام العرب على ضربين أحدهما الالبجاز لا اختصار والموسيقى
لا يخفى على سامعه ولا يتضمن غير ظاهره والاطالة لبيان المراد والتوكيد للضرب الثاني المجاز والكنيات
والاشارات والتلوينات وانما هي بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والديبر في
كلامهم فانزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فشكله قال عارضوه
بأي الضرب بين شتمهم ولو نزل كله محكما واضعالة الواهلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان
الله تعالى أنزل المثابه لقائه عظيمة وهي ان يشتغل أهل العلم والظن بردهم للمثابه الى المحكم فيطول
بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه انهاهم فيثابرون على تعبه كما أتيدوا على عبادانهم ولو أنزل
القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولمات الخواطر وجمدت
الفكرة ومع القوم نفع الحاجة الى الفكرة ودولة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب انفي انه
يورث البلاد وفي فضيلة الفقر انه يورث القطعة وقيل انه يثبت على الخيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب
الثالث ان أهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل دقيقة ليخبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم
على انتزاع الجواب لانهم اذا قدر واعلى انتزاع المعاني الغامضة كانوا على الواضح أقدر فلما كان ذلك حسنا
عند العلماء جاز ان يكون ما أنزل الله تعالى من المثابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى أنزل
المثابه في كتابه مختبره عباده ليقف المؤمن عند دور علمه الى علمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق
فيدخله الزبغ فيستحق بذلك العقوبة كما تبلى بؤس اسراريل بالنهر والله أعلم بمراده ﷻ وقوله تعالى (فاما
الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق وقيل الزبغ الشك واختلفوا في المعنى بهم والمشار اليهم فقولهم
وفندجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام وقالوا ألسنتنزع عن عيسى
روح الله وكلمته بل قيل قالوا حسبنا فانزل الله هذه الآية وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقية هذه الامة
واستخرجها بحساب الجمل من الحروف المقطعة في أوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان
قتادة يقول ان لم يكونوا الخوارج والسبئية فلا أدري من هم وقيل هم جميع المبتدعة (فيتبعون ما تشابه
منه) يعني يحيلون المحكم على المثابه والمثابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية تعمل بها كذا وكذا
ثم نسخت وقيل لكل من احتج باطله بالمثابه فهو اعني بهذه الآية (ق) عن عائشة مرضى الله تعالى عنها
قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى وما يذكر الا أولو
الالباب فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سباهم الله فاحذرهم ﷻ وقوله تعالى
(ابتغاء الفتنة) أي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشهوات واللبس ايضا وما بها جاهلهم وقيل طلب
افساد ذات الدين (وابتغاء نأويله) أي تفسيره وأصل التأويل في اللغة الرجوع والصبر تقول آل الامر
الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة نأويل لان الامر يهرب اليه قال ابن عباس في قوله (وابتغاء نأويله) أي
طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يعصون وكيف احيواهم بعد
الموت وقيل هو طلب تفسير المثابه وعلمه (وما يعلم تأويله الا الله) يعني تأويل المثابه وقيل لا يعلم انقضاء
ملك هذه الامة الا الله تعالى لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون
للقرآن تأويل استأثر الله به لم يعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من
مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة وأشبه ذلك مما استأثر الله بعلمه
فلا يعلم به واجب وحقائق علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول أكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود

(فاما الذين في قلوبهم
زيغ) ميل عن الحق وهم
أهل البدع (فيتبعون
ما تشابه) فيتعلقون
بالمثابه التي يحتمل
ما يذهب اليه المبتدع مما
لا يطابق المحكم ويحتمل
ما يطابق من قول أهل
الحق (منه ابتغاء الفتنة)
طلب أن يقتلوا الناس
عن دينهم وضلواهم
(وابتغاء نأويله) وطلب
ان يؤولوا التأويل التي
يشتهونها (وما يعلم تأويله
الا الله) أي لا يهتدى الى
تأويله الحق الذي يجب
أن يحتمل عليه الا الله

(الاله الاوهو العزيز) في ساطاته (الحكيم) في تدبيره وروى انه قدم روق بن نجران وهم سئون را كبا اميرهم العاقب ومحمد بن م السيد واسقهم وجرهم اوجارته حاصه وافي أن عيسى ان لم يكن ولد الله فمن ابود فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الاوهو يشبه اياه قالوا في قال اتم علموا وان الله (٢٣٠) تعالى حتى لا يموت وعيسى يموت وان ربنا عليم على العباد بحفظهم وبرزهم وعيسى

تعالى - ب - بذلك وأخبر ان الله استحق لهذا الاسم هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وأنه المصور في الارحام كيف يشاء وان عيسى عليه السلام من صور في الرحم فيه كونه مصورا في الرحم على انه عبد مخلوق كغيره وروى انه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل (الاله الاوهو العزيز بالحكيم) وهذا أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولد الله وقد صور الله في الرحم ﴿قوله عز وجل﴾ (هو الذي أنزل عليك الكتاب) يعني القرآن (منه آيات محكمات) يعني مييزات مفصلات أحكمت عبارتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الاحكام كأنه تعالى أحكمها افنغ الخافي من اتصرف فيها الظاهر وهاو وضوح معناها (من أم الكتاب) يعني هن أصل الكتاب الذي بعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام فان قلت كيف قال من أم الكتاب بقل أمهات الكتاب قلت لان آيات في اجتماعها وتكاملها كآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية منهن أم الكتاب كقول جعلنا ابن مريم وأمه آية يعني أن كل واحد منهما - ما آية (آخر) (جمع أخرى) (متشابهات) يعني أن لفظه يشبه لفظ غيره ووجه معناه فان قلت قد جعله هنا محكما متشابهما وجعله في موضع آخره محكما فقال في أول هو والكتاب أحكمات آياته ووجهه في موضع آخر كماه متشابهما فقال في في الزمر الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهما فكيف الجاع بين هذه الآيات قلت حيث جعله كله محكما أراد أنه كله حق وصدق ليس فيه عيب ولا هزل وحيث جعله كله متشابهما أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابهما فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الانعام وهي قوله تعالى في قتلوا أهل ما حرم بك عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى بك ألا تعبدوا الاياه الآيات وعنه ان الآيات المحكمات هي الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة به قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا يصدق بعضه بعضا وقيل ان المحكمات ما أطاع الله عباده على مناهه والمتشابهات ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخواجر عن اشراط الساعة مثل الدجال وأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا ما استأثر الله به ولم يوقل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل الارجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهها وروى ذلك عن الشافعي وقيل ان المحكم سائر اقرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور قال ابن عباس ابن رطل من اليه ومنهم من حي بن أخطب وكعب بن الاشرف ونظر اوهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حي بلغنا أنك أنزل عليك الإنفاشدك الله أنزلت عليك قال نعم قال ان كان ذلك حقا فاني أعلم مدة ملك أمتك هي احدى وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيره قال نعم المص قال فهذه أ كثر هي احدى وستون ومائة فهل أنزل عليك غيره قال نعم المص قال فهذه أ كثر هي مائتان واحد وسبعون سنة وهل أنزل عليك غيره فلا ندرى أبكثرة نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هذه الآية قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه - وقيل ان المحكم ما لم تكرر لفظه والمتشابه ما تكرر لفظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي

لا يقدر على ذلك وأنه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وعيسى لا يعلم الامعاء وأنه صور عيسى في الرحم كيف شاء خماته أمه ووضعه وأرضعته وكان يأكل ويحدث وور بنامه نزه عن ذلك كله فاقطعوا ففضل فيهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية (هو الذي أنزل عليك الكتاب) (القرآن) (منه) من الكتاب (آيات محكمات) حكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أصل الكتاب تحمّل المتشابهات عليها وترد اليها (آخر) وآيات آخر (متشابهات) مشبهات محتملات ومثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاسنيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثل شيء أو المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزه نحو قوله قل تعالوا نل ما حرم بك عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه الآيات

والمتشابه ما رآه أو ما لا يحتمل الاوجه واحدا وما احتمل اوجه أو ما يعلم تأويله وما لم يعلم تأويله أو الناسخ الذي يعمل به والنسوخ الذي لا يعمل به وانما يمكن كل القرآن محكما في المتشابه من الايتابه والتمايز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في نقادح العلماء واتعابهم القرائن في استخراج معانيه ورده الى المحكم من القوائد الجلية والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى

الخلق . مصداقهم فيما يحتاجون اليهم في معاشهم ومآلهم (نزل عليك الكتاب) يعني القرآن (بالحق) أى
 بالصدق والعدل (مصداقنا بين يديه) يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض
 الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو امامه ف قيل لكل شئ تقدم على الشئ هو
 بين يديه لغة بظهوره واشتهاره (وأنزل التوراة والانجيل من قبل) أى من قبل القرآن فان قلت قبل نزل
 انكتب وأنزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل من مجاهد فصلا في أوقات كثيرة ونزل هو ولكن يروى أن نزل
 التوراة والانجيل جلة واحدة (هدى للناس) أى أن نزل التوراة والانجيل قبل القرآن كان هدى للناس
 فان قلت كيف وصف القرآن في أول البقرة بأنه هدى للتقنين لانهم هم الذين اتفقوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بأنها هدى
 للناس قلت انما وصف القرآن بأنها هدى للتقنين لانهم هم الذين اتفقوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة
 والانجيل بأنها هدى للناس لان المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل
 فلهذا السبب قال هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم
 ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والاحكام (وأنزل
 الفرقان) يعني الفارق بين الحق والباطل قيل أراد به القرآن وانما أعاد ذكره تعظيما لشأنه ومداحه لكونه
 فارقا بين الحق والباطل وقيل انما أعاد ذكره لبيان انه تعالى أنزله بعد التوراة والانجيل ليجهله فارقا بين
 ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به ان الكتب الثلاثة لانها كلها هدى
 للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل
 التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس (ان الذين كفروا بآيات الله) يعني الكتب المنزلة وغيره اقول أراد
 بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لاعتناع عموم
 اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشئ من آيات الله تعالى (لهم عذاب شديد والله عزيز) أى غالب لا يغلب
 (ذواتقام) يعني من كفر به والانتقام المبائة في العقوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الله لا يخفى عليه شئ في
 الارض ولا في السماء) أى لا يخفى عليه شئ من أمر العالم وهو المطاع على أحوالهم ف قوله ان الله لا يخفى
 عليه شئ في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات (هو الذي يصوركم في
 الارحام) التصوير جعل الشئ على صورة واصوره هيئة يكون عليها الشئ بالتأليف والارحام جمع رحم
 (كيف يشاء) يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرنا أو أنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا
 أو ناقصا والمهي ان الله الذي يصوركم في ظلمات الارحام صوراً مختلفة في الشكل والطبع واللون وذلك من
 نطفة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خاق
 أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقته مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه ملك
 ياربع كذا يكتب رزقا وأجلا وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله غيره ان أحدكم
 ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار
 فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
 بعمل أهل الجنة فيدخلها (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل العبد لارحم ملك كافي قول
 أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله ان يخلق خلقا قال يارب اذكر أم أنثى أشقى أم
 سعيد فقال الرزق ف الاجل فكاتبه ذلك في بطن أمه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان
 عيسى عليه السلام كان يحجر بعض انبياء فيقول أكلت في دارك كذا صنعت كذا وأنه أحيى الموتى وأبرأ
 الأكف والأبرص وخاف من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الالهية وقالوا قدر على ذلك لانه اله فرد الله

﴿سورة آل عمران﴾

نزات بالمدنية وهي ما نزلت آية
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 (الله) حركت الميم
 لاتقاء الساكنين أعني
 سكنوها وسكون لام الله
 وفتحت خلفة الفتح وولم
 تنكسر ليايه وكسر الميم
 قبلها نغما عينا عن توالي
 الكسرات وليس فتح
 الميم لكونها وسكون ياء
 قبلها اذ لو كان كذلك
 لوجب فتحه في حـ ولا
 يصح أن يقال فتح الميم
 هو فتحة همزة الله نقلت
 الى الميم لان تلك الهمزة
 همزة وصل تنطق في الدرج
 وتنسقط معها حركتها
 ولوجاز نقل حركتها الجاز
 اثباتها وثابتها غير جائز
 وأسكن يزيد والاعشى
 الميم وقطعا لانف والياقون
 بوصل الانف وفتح الميم
 والله مبتدئ (لا اله الا هو)
 خبره وخبر لا مضممر
 والتقدير لا اله الا في الوجود
 الا هو وهو في موضع الرفع
 بدل من موضع لا واسمه
 (الحى القيوم) خبر مبتدا
 محذوف أى هو والحى
 أو بدل من هو والقيوم
 فيعمل من قام وهو القائم
 بانفسط والقائم على كل
 نفس بما كسبت

فلما أتى الملوأ الحس وخوانهم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا لم تحج الملقحات
 الذنوب النظام التي توصل مر كها الدار وصل لا فحاجم الولوج (ق) عن أى مـ وهو الا صارى قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان من آخر سورة البقرة من قرأها صفى ليلة كفتاه عناده كفتاه من كل
 ما يحزن من كل هاء وشيطان ولا يقرب به تلك الليلة وقبل كفتاه عن قيام الليل (و) عن ابن عباس قال يـ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع تقيضان فوقف فرفع جبريل بصره الى
 السماء فقال له ابواب من السماء فتحت اليوم لم يفتح قط الا بالبر فزل منه ملك فبدا له ما ملك من السماء الى
 الارض لم يزل قط الا اليوم فلم يزل ابشر بنورين أو تهم اليه المؤمنين فبدا ففتح الكتاب وخواتيم سورة
 البقرة ان تقرأ بحرف منهم الا عطية عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب لك
 كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالي عام انزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرن في دار
 ثلاث ليل يقر بهما شيطان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب آخر تفسير سورة البقرة والله أعلم بمراده
 وأسرار كتابه
 ﴿تفسير سورة آل عمران﴾

﴿تفسير سورة آل عمران﴾

مدنية هي ما نزلت آية وثلاثة آلاف وأربعمائة وعشرون حرفا
 ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 ﴿قوله عز وجل﴾ (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم) قال المفسرون نزات هذه الآية في وفد نجران وكانوا
 ستمائة كبا قدموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أو بعث عشر رجلا من أشهر أئمتهم منهم ثلاثة نفر
 اليهم يؤل أمرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدر من
 الاعن رأيه والسيد واسمه الهم وهو عالم القائم عاظمه وصاحب رحله الذي يقوم بأمر طاعته
 وشراهم وأبو حنيفة بن عاقمة وهو أسقفهم وجبرهم وكان مولك الرويكر مونهما بالعلم عن علمه واجتهاده
 في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم ثياب الحرير جيب وأردية
 يقول من رأيهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مارا نيا ودا مناهم وقد حانت صلاتهم فقاموا بالصلوة في
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصاروا الى الشرق فلما فرغوا
 كام السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ارسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قالوا لا
 أسلمنا قبلك قال كذبنا عكما من الاسلام دعوا كذبتا ولدا وعبادتكما الصليب وأكسما الخنزير قالوا ان
 لم يكن عيسى ولدا لله فن أبوه وخاصة وجهه عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أستم تعلمون انه
 لا يكون ولدا له وهو يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون ان ربنا لا يموت وان عيسى باني عليه الموت قالوا
 بلى قال أستم تعلمون ان ربنا بقى على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا
 لا قال أستم تعلمون ان الله لا يتخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
 الاما علم قالوا لا قال أستم تعلمون ان ربناصور عيسى في الرحم كيف شاء ربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى
 قال أستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كتحض المرأة ولد ثم غذى كغذاء الصبي ثم
 كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون لها كز عظم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل
 عمران الى بضع وعشرين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد أستم تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا
 حسبنا ثم أبوا الا يجودوا فأنزل الله رداعلهم م الله لا اله الا هو يعنى ان كانت منازعتكم يامشر النصارى
 في معرفة الاله فهو الله الذي لا اله الا هو فكيف تثبتون له ولد افيقن تعلى أن أحد الالهة يحق العبادة سواه
 لانه الواحد الاحد ليس معه اله ولا ولد ثم أتبع ذلك بما يجرى مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحى القيوم أما
 الحى في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقى الذي لا يصح عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير

(ر بنا ولا نحمل علينا

(اصرا) عبا يصرح له أي يحسه مكانة لثقله استعبر للتعريف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع العجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك (كحاملته على التبن من قبلنا) كاليهود (ر بنا ولا نحملنا لاطافة لنا) من العقوبات النازلة بن قبلنا (واغفرنا) مح سياتنا (واغفر لنا) واستردنو بنوا ليس بشكر فالاول للكبائر والثاني للصغائر (وارحنا) بتقويل ميزنا مع افلاطنا والاول من المسخ والثاني من الحسف والثالث من الفرق (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فن حق المولى أن ينصر عبيده في الحديث من قرأ آمن الرسول الى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأها بعد العشاء الآخرة اجزأته عن قيام الليل ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم بكرة ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم

عنه كانوا من المتقين لله حق ثقانه فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الاعلى سبيل السهو والسهو المتيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والسهو انما هو لشدّة خوفهم وتقواهم * الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء والتضرع والتذلل لله تعالى واما خطا في قوله أو أخط نافعي وجهين أيضا * أحدهما ان يأتي العبد مائمه عنده واردة فذلك خطا منه وهو به ما خوذ فيحسن طاب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه * الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بان له فعله كمن ظن ان وقت الصلاة قد دخل وهو في يوم ذميم فاخرها حتى خرج وقتها فلهذا من الخطا الموضوع عن العبد لكن طاب العفو والغفران لسبب قصيره وقوله (ر بنا ولا نحمل علينا اصرا) يعني عهدا ثقيلًا وميثاقًا غليظًا فلان استطيع القيام به فتعد بنا بقضه وتركه (كحاملته على التبن من قبلنا) يعني اليهود فلم يتقوا مواهبه فندبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كشدت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربعها والهمز كاذمة من أصاب منهم ثم به نجاسة قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على يابه ونحو هذا من الانتقال والأصار التي كتبت عليهم فسال المسألون ربه ان يصومهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضل ذكره فقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنبا لاوبة قال المؤمنون ربه ان يصومهم من ماله (ر بنا ولا نحملنا لاطافة لنا) يعني لا تسكفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا ونكايه ما لا يطاق على وجهين * أحدهما ليس في قدرة العبد احتاله كتكايه لا يعي النظر والزمن العدر فهذا النوع من التكليف الذي لا يكاف الله به عبده بحال * الوجه الثاني من تكايه ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتاله مع المشقة الشديدة والسكران العظيمة كتكايه الأعمال الشاقة والفراس الثقيلة كما كان في ابتداء الاسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربه ان يحملهم ما لا يطاق لهم به واستدل بهذه الآية من يقول ان تكايه ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن جائزا لمحسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا نحملنا لاطافة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هي جان الغلبة وقيل هو الحب وقيل هو ثمانية الأعداء وقيل هو القرقة والقطعية وقيل هو مسخ القرقة والخناز ربه وذنبه من ذلك كله (واغفرنا) أي تجاوز عن ذنوبنا وارحنا (واغفر لنا) أي استر علينا ذنوبنا ولا تنفض حنا (وارحنا) أي تف حدنا بركة تنجي بناهم من عقابك فانه ليس بناج من عقابك الا من رحمته وقيل ان الانتقال العمل بطاعتك ولا تترك معصيتك الا بركتك وأصل الرقة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد بها الا الاحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صوناه من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو واذا عفوت عني فاسترني على فاذا عفانا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالتعمير والثواب (أنت مولانا) أي ناصرنا وحافظنا ووليائنا ومتولي أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) يعني المجاهدين الذين عبدوا غيرك ومجددوا وحده انتك قال ابن عباس في قوله تعالى غفرنا لك بنوا قل قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا قالوا لا وأخذكم بنا ولا نحمل علينا اصرا قال لأجل عليكم ولا نحملنا لاطافة لنا قال لأجلكم واغف عنا وغفر لنا وارحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كن ما عاذاخذكم سورة البقرة قال آمين (م) عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى صدره المنتهى وهي في السادسة واليا انتهى ما يرجع من الارض فيقبض منها واليا انتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشي الصدر ما يغشي قل فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وقالوا سمعنا) أجابنا قولك (وأطعنا) أمرك (غفرانك) أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر (ر بناوا إليك المصير) المرجع وفيه اقرار بالعبث والجزاء والآية (٢٢٦)

(لا يكاف الله نفسا) يحكي عنهم أو مستأنف (الأوسعه) الاطاعتها وقدرتها لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلف كذا في شرح التأويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يخرج فيه أي لا يكلفها الا ما ينسج فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان في طاقة الانسان أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من حجة ويحج أكثر من حجة (لما ما كسبت وعليها ما كسبت) يتفهمها ما كسبت من خير وبضرهما ما كسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الافعال لا تكتسب لان النفس تنكس في الشر وتنكس في الخير (ر بنا لناؤاخذنا ان نسينا) تركنا أمرنا (أو امرك سهوا) أو أخطانا (ودل هذا على جواز المؤاخضة في النسيان وخطا اخلافا لامعترلة لامكان التحرر

ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والصارى بل يؤمن بجميع رسوله وفي الآية اشارة بتقديره وقالوا يعني المؤمنين لا نفارق بين أحد من رسله (وقالوا سمعنا وأطعنا) حتى سمعنا قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فإما أمرنا به وأطعناه فيما أئتمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسمعنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه (غفرانك ر بنا) أي نسألك غفرانك ر بنا و يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ر بنا (واليك المصير) يعني قالوا اليك يا ربنا صرنا وجمعنا بعدنا فاعفر لنا ذنوبنا ربنا رب القوي بغفر سدد عن حكيم بن جابر أن جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد آتاني عليك وعلى أمك قبل نطقه قال بتلقين الله تعالى غفرانك ر بنا واليك المصير قوله عز وجل (لا يكاف الله نفسا الا اوسعه) قيل يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل أن يكون حكاية عن المؤمنين وفيه اشارة بأنه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكاف الله نفسا الا اوسعه يعني طاقها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك لانهما نزل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه نجح المؤمنون مهاتوا قالوا يا رسول الله تتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف تتوب من الوسوسة وحديث النفس فزلت هذه الآية والمعنى انكم لا تستطيعون أن تمنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مالم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المؤمنون خاصة توسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كإقبال بر الله بكلمة اليسر ولا ير يدبكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكاف الله نفسا الا اوسعه ما قال اليسر هاولم يكلفه فوق طاقته وهذا قول حسن لان الوسع مادون الطاقة فزيل معناه ان الله تعالى لا يكلف نفسا الا اوسعه فلا يتعبدها بما لا يطيق (لما ما كسبت) يعني للنفس ما عملت من الخير فإما آخره وثوابه (وعليها ما كسبت) يعني من الشر عليها وزرعها وقيل في معنى الآية ان الله تعالى لا يأخذ أحدًا بذنب غيره قوله عز وجل (ر بنا لناؤاخذنا) وهذا تعاميم من الله تعالى عبادة المؤمنين كيف يدعونه ومنعهم قولوا ربنا لناؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل من أحد لادان النسيان في معنى (ان نسينا وأخطانا) ٢ فيه وجهان أحدهما انه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو امراثيل اذا ناسوا شيئا مما أمروا به أو أخطوا عجلت لهم العقوبة فبحرهم عليهم ثم ما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوا ترك مؤاخذتهم بذلك فان قلت أليس فعل النسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاذا كان النسيان في محل العفو فطعا فما معنى طاب العفو عنه بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان النسيان على ضربين * أما الاول فهو ما كان من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر به فله كمن رأى على ثوبه دما فحاراه الله عنه ثم نسي فعلى فيه وهو على ثوبه فيعدم قصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته اما اذا لم يره فيه نسيه وركبه وكذا لو ترك ما أمر به فعلى وجه السهو أو ارتكب نهيا عنه من غير قصد اليه كما قد ألم عليه السلام من الشجرة التي نهى عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فخل هذا يجب ان يسأل الله تعالى ان يعفوه عن ذلك وأما الضرب الثاني فهو ترك صلاة ثم نسيها وترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر بنسيانه وسهو لانه فرط فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران عن النسيان الوجه الثاني من الجواب ان الصحابة رضي الله

عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخضة بهما لكان للسؤال معنى ٢ قوله فيه وجهان لم يذكر الاوجه واحدا ولعله كنى عن الثاني بما ذكره في الجواب عن الابراء الذي أورده ومع ذلك فيه ما فيه ١٥ مصححه عنهم

عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخضة بهما لكان للسؤال معنى ٢ قوله فيه وجهان لم يذكر الاوجه واحدا ولعله كنى عن الثاني بما ذكره في الجواب عن الابراء الذي أورده ومع ذلك فيه ما فيه ١٥ مصححه عنهم

وبالادغام أبو عمرو ووك

في الإشارة والبشارة وقال صاحب الكشف مدغم الزاء في اللام لاحن مخلي لان الزاء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجسوزادغام المضاعف ورواه عن أبي عمرو ومخطئي مرتين لانه يلحق وينسب الى أعلم الناس بالهريسة ما يؤذن بهجول عظيم (والله على كل شيء) من الغفرة والعذيب وغيرها (قدير) قادر (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) ان عطف المؤمنين على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في (كل) راجع الى الرسول والمؤمنون أي كلهم (آمن بالله ولائكته وكتبه ورسله) ووقف عليه وان كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير بكل منهم وآمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الاول وكان الضمير للمؤمنين ووجد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حزه على بمعنى القرآن أو الجنس (لا نفرق) أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل (بين أحد من رسله) أي في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو

وأتم نازمون عليه بحاسبكم به الله فاما حديث النفس بما نتمزموه عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت اسفيان أي يؤاخذ العبد بالجملة فقال اذا كانت عزماء أخذتها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فربح معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عاليا بكل ما في الضمائر والسرائر مما ظهر وأخفي. ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم فتمنعوا به وأتخفوه مما أضمرتم ونوهم بحاسبكم به الله أي يخبركم به ويعرفكم إياه ثم يغفر للمؤمنين اظهار افضله ويعذب الكافرين اظهار اعدله يروي عن ابن عباس ويدر عليه أنه قال بحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن عمر المزاني قال بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول الله سترته اعليك في الدنيا وأما غفره لك اليوم ثم تلاوى صحيفة حسابه رأيا الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجه في الصحيحين وقوله تعالى (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يستل عما يفعل وهم يستلون (والله على كل شيء قدير) يعني تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا وقوله عز وجل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وان تبدوا ما في أنفسكم وأتخفوه بحاسبكم به الله دخل قلوبهم من حيث لم يدخل من شيء فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لما كتبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا يؤاخذنا ن سبائنا وأخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ا لاطلاق لئلا نلج النار واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قل الزجاج لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحض والجهاد وأقاصيص الانبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذلك تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله عز وجل (والمؤمنون) أي وصدق المؤمنين بذلك أيضا (كل) أي كل واحد من المؤمنين (آمن بالله ولائكته وكتبه ورسله) فهذه أربع مراتب من أصول الايمان وضرورة ايمانها الايمان بالله فهو أن يؤمن بان الله واحد لا شريك له ولا نظيره ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء وأما الايمان باللائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الايمان بكتبه فهو أن يؤمن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحى الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ريباب وان القرآن لم يعرف ولم يبدل ولم يغير وأنه مشتمل على الحكم والمنشابه وان محكمه يكشف عن مقاصده وأما الايمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله الى عباده وأما مؤاذه على وجهه وانهم معصومون وأنهم أفضل الخلق وان بعضهم أفضل من بعض وقوة أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بان المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرسل على اليهود والنصارى الذين يقررون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت بالصريح تفضيل بعض الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله (لا نفرق بين أحد من رسله) فنؤمن

كفر وخطرة الذنوب
من غير عزم معفوة وعزم
الذنوب اذا ندم عليه
ورجع عنه واستغفر منه
وغفر وأما اذ هم بسببته
وهو ثابت على ذلك الا انه
منع عنه بما منع ليس
باختياره فانه لا يعاقب على
ذلك عقوبة فله أي باعزم
على الزنا لا يعاقب عقوبة
الزنا وهل يعاقب عقوبة
عزم الزنا قيل لا لقوله عليه
السلام ان الله غفار عن أمي
ما حدثت به أنفسها ما لم
تعمل أو تستكلم به بالجمهور
دلي ان الحديث في الخطرة
دون العزم وان المؤاخاة
في العزم ثابتة واليه مال
الشيخ أبو موه وروثه
الائمة الخوا في رحمه الله
والدليل عليه قوله تعالى ان
الذين يحبون أن تسمع
الفاحشة الآية وعن عائشة
رضي الله عنها ما هم العبد
باللعنة من غير عمل يعاقب
على ذلك بما ياحقه من
الهم والحزن في الدنيا وفي
أكثر التفاسير انه لما
نزلت هذه الآية جرت
الصحابة رضي الله عنهم
وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت
به أنفسنا فنزل قوله آمين
الرسول الى قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها طاماً
كسبت وعلمها ما كسبت

النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يمكن من دفعها والمؤاخاة بها تجري مجرى تكاييف مالا
يطاق وأجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم
على اظهاره الى الوجود فهذا ما يؤاخى اخذ الانسان به واقسم الثاني ما يحظر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن
يكبره ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى طاماً كسبت وعلمها
ما كسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة بمن اختلفوا في وجه تخصيصه افعال بعضهم هي متعلقة بالآية التي قبلها
واما نزلت في كتمان الشهادة ومعنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم أيها اليهود من كتمان الشهادة أو تخفوه
أي تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان وارداً لعيب قضية فلم يلزم صرفه
اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكفر بين المؤمنين والمعني وان تبدوا أي تظهروا ما في
أنفسكم يعني من ولاية الكفار أو تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب أكثر العلماء الى أن الآية عامة لهم
اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها بدل عليه ماروي عن أي هريرة قال لما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية اشتد
ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركعوا على الركب فقالوا
أي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدق وقد نزلت عليك هذه الآية
ولا نطيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا
وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأه القوم وذات ما الستمهم أنزل الله
تعالى في أثرها من الرسول بما أنزل اليه من ربه وأؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق
بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخ الله عز وجل فانزل
الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لهما ما كسبت وعليهما ما كسبت ربنا لا تؤخذنا من غير حسابنا
قال نعم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كالحمل على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال نعم
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت ولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجهم من المسجد ومن
نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم (ق) عن أي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لأمي
ما حدثت به أنفسها ما لم يعملوا به أو يستكلموا به وفي رواية ما وسوس به صدورهم وقال قوم ان الآية غير
بمنسوخة لان النسخ لا يرد اداعي الامر والنهاي ولا يرد على الانبياء وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا
يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم قد أثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم
وليس لله عبد أمر عملاً أو أعلنه من حركة جارية أو همة قلب الاية الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر
ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجمع ما أبدوا من أعمالهم أو
أخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما أخفوه أخف محال لمعامله وهو ما حدث لهم في الدنيا من
النوائب والمصائب والاوراثي يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن أمية أنها سألت عائشة عن قول الله عز
وجل وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعن قول من يعمل سوءاً يجز به قالت ما أرى فيها
أحدهم قد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه آية الله العبد بما يشاء من الحى والنسكة حتى
البضاعة يضعها في يديه فيفقه فيفزع طرحتها حتى ان العبد يخرج من الدنيا لا جرم
الكبير اخرجها الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا أراد الله بعبده الخير جعل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمرك عليه بذنبه حتى يوافيه
به يوم القيامة وقال قوم في معنى الآية وان تبدوا ما في أنفسكم يعني بما عزمتم عليه أو تخفوه أي ولا تبدوه

فنعاق ذلك بالكسب دون العزم وفي بعضها انها نسخت بهذه الآية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار وأنتم

(१११)

[illegible]

والحق (واستشهدوا)
 شهدين) (واستشهدوا)
 شهدان على
 الدين (من رجالكم)
 من رجال المؤمنين والحرية
 والبلوغ شرط مع الاسلام
 وشهادة الكفار بعضهم
 على بعض مقبولة عندنا
 (فان لم يكونا) فان لم يكن
 الشاهدان (رجلين فرجل
 واحد) (فالشاهدان) فليشهد رجل
 واحد مع النساء تقبل فيما عدا
 الحدود والقصاص (عن
 ترضون من الشهداء) عن
 تعرفون عدالتهم وفيه دليل
 على أن غير المرضى شاهد
 (أن تفضل احدهما فتذكر
 احدهما الاخرى) لاجل
 ان تنسى احدهما الشهادة
 فتذكرها الاخرى ان تفضل
 احدهما على الشرط
 فتذكر بالرفع والتشديد
 جسر كقوله ومن عاد
 فينتقم الله منه فتذكر كرمي
 وبصرى من الله كرامن
 التذكر (ولاباب الشهداء
 اذا مدعو) لاداء الشهادة
 اوللتحمل لئلا تتوى
 حقوقهم ومهام شهداء
 قبل التحمل تنزلنا
 يشارف منزلة الكائن
 فالاول للفرس والثاني
 قوله بكسر الظاء كذا
 في النسخ بايد بنا الصواب
 بفتح الظاء اه

(واستشهدوا شهدين) يعني وأشهدوا على حق فكم شهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد (من
 رجالكم) يعني من أهل ملتكم يعني من المسابغين الارصادون العبيد والصبيان وهذا قول أكثر أهل العلم
 وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يقتل العبيد وغيرهم
 وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدلته تنفعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشروط فيه كانت شهادة
 معتبرة وحجة جهور العلماء ولا باب الشهادة اذا مدعو او فاض يقتضى ان من تحمل شهادة وجب عليه
 الاداء اذا طوبى لها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة
 فوجب ان لا يكون العبد من أهل الشهادة (فان لم يكونا رجلين) أى فان لم يكن الشاهدان رجلين (فرجل
 واحد) أى فليشهد رجل واحد وان اجتمع الفقهاء على أن شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال
 فثبت الحق بشهادة رجل واحد واختلاف في غير الاموال فذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي الى انه
 يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى أن غير المال لا يثبت
 الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى أن ما يطاع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والبكارة والنسب ونحوها
 تجوز شهادة رجل واحد أمثلهن أو شهادة أربعة نسوة وانفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في
 العقوبات والحدود قوله تعالى (عن ترضون من الشهداء) يعني من كان مرضياً عندكم في دينه وأمانته
 والشروط المعتمدة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمرأة
 وأن لا يجزى بثلث الشهادة منقعة الى نفسه ولا يدفع عنه ماضية ولا يكون عروفاً بكثرة الغلط والسهو وأن
 لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهدته الكافر مردود لان الكذب لا تقبل شهادة من قاله في كذب
 على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة
 العبيد وأجازها ابن سيرين وهو قول أنس ولا قول للمعجزون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز
 شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال (عن ترضون من الشهداء) والعدالة
 شرط وهو أن لا يكون الشاهد معجباً على الكبار مصرى على الصغار والمرودة شرط وهي ما تنصل بالآداب
 النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسريرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر
 في نفسه شيئاً مما يستحق أمثاله من اظهاره في الغلب على ذلك قلعة مردودته وشهادته وانقضاء التهمة شرط
 فلا تقبل شهادة العداوة على عدوه وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه منهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا
 تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وتقبل شهادته عليه ما ولا تقبل شهادة من يجرب بشهادته الى نفسه نقعا
 عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا جلود ولا ذى غمر على
 أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظنين في ولا ولا قرابة قال الفرزاي القانع التابع أخرجه
 الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والأمانة فان من ضيع شيئاً من أضرار
 الله وأرتكب شيئاً مما نهى الله عنه لا يكون عدلاً ولا معزراً بكسر العين الحقد والقانع هو السائل المستطعم
 وقيل المنقطع الى قوم يخدمهم فقد شهدته لثمة في جوار النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع بما
 يصير لهم والظنين ٢ بكسر الظاء الماتهم قوله تعالى (أن تفضل احدهما) أى تنسى احدي المرأتين
 (فتذكر احدهما الاخرى) لان الغالب على طباع النساء النسيان فاقيمت المرأتان مقام الرجل الواحد
 حتى لو نسيت احدهما تذكرها الاخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكرى
 وحكى عن سفيان بن عيينة أنه قال ومن الذكرى تحمل احدهما الاخرى ذكرها والعين ان شهادتهما
 تصير كشهادة ذكر والقول الاول أصح لانه معطوف على تفضل وهو النسيان وقوله تعالى (ولاباب الشهداء
 اذا مدعو) يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة ومهام شهداء لانهم يكونون شهداء وهذا أمر إيجاب

(فاكتبوه) اذ لم يذ كر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه أين لنوع الدين الى مؤجل وحال وانما أمر بكتابة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجود والمعنى اذا علمتم بدين مؤجل فاكتبوه والامر للتدب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد (٢٢٠) به السلم وقال لما سمع الله ان رباب السمل المضمون الى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه

أطول آية وفيه دليل على اشتراط الاجل في السلم (وليكتب ينسكم) بين المتباينين (كاتب العدل) هو متعلق بكاتب صفقة له أي كاتب أمامه وعلى ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون الكاتب فنيها عالما بالشروط حتى يحس مكتوبه به لا بالشعر وهو أمر للمعلمين بتغيير الكاتب وأن لا يستكتبوا الا فقهيا دينيا حتى يكتب ما هو متفق عليه (ولا ياب) (كاتب) ولا يمتنع واحدا من الكتاب (أن يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكلماته ان بان يكتب (فليكتب) تلك الكتابة لا يعدل عنها (ولجل الذي عليه الحق) ولا يمكن المولى الامن وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته وقراره به فيكون ذلك اقرارا على نفسه بلسانه والاملا والاملاء اغتنان (وليتق الله ربه) وليتق الله الذي عليه الدين

ر به فلا يمتنع عن الاملاء فيكون بحجود السمل حقه (ولا يبخس منه شيئا) ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئا واستشهدوا الاملاء فيكون بحجود البعض حقه (فان كان الذي عليه الحق سفيها) أي مجنون لان السفة خفة في العقل وبحجود اعلية ان يذره وجهه بالتصرف (أضعيفا) صبا (ألا يستطيع أن يعل هو) أي به أو خرس أو جهل بالاعة (فليمل وليه) الذي يلي أمره ويقوم به (بالعدل) بالصدق

له (وان تبته) من
 بقاء (وكم رؤس
 موالكم لانما دون)
 من باب الزيادة
 لهم (ولا ظلمسون)
 نقصان منها (وان كان
 نوعسرة) وان وقع غريم
 من عرماكم نوعسرة
 دواء (فطرة) فالجكم
 وفلا لمريرة في اسار
 (في معة) عا ميرة
 ع وهما عار (وان
 عفو) الخفيف عاصم
 في عسوق رؤس
 موالكم وبعضها على
 من عسرم عرماكم
 والشد بغيره الخفيف
 على حد في احدي التاين
 والشد على الادغام
 (حبركم) في قيامه
 فبل اراد بالتصدق

كان مقبلا على كل الربا لا يترع عنه حتى على امام المسلمين ان يسلمه فن تركه يات بالاصبر عنه
(وانتم) أي ان تركتم كل الربا ورجعتم عنه (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون) يعني لا تظلمون
أنتم الغرباء تطلب زيادة على رؤس المال ولا تظالمون أنتم بظلم رؤس المال فمنازلات هذه الآية قال
بشومر والحقوقي ومن كان عامل بالربا لم يأت به عزمه استوب الى الله فلا بد ان الله اعني لا قوة له سبحانه
يرسله وروى رؤس أموالهم فساكنوا فيه عسرة ومن كان يبيع دونه ووجهه في أن يبيع
الغلات قالوا أن يوحدهم فإلزام للتعز وجل (وان كان ذو عسرة) يعز وجل كان له على غيره الخ
عرائكم عسرا او مسرة نقض العسر وهو تعذر وجدان المال وعسر الرحل في دفعه ولم يجد ما يؤد به
دينه (فقطرة) أي فيها وتأخير (لمسرة) أي الى زمن اليسا وهو ضل لا عسره وهو وجدان
الذي يؤد به دينه وما خالفوا في حكم الآية وهل الانقار يختص بأمر هو عاة في كل دين على قول
الأول وهو قول ابن عباس وشريح واضحا والسدي أن الآية لا ما ذكر عن شريح ابن رباح
رحل اليه فقتلها وأمر بحسبه فله لرجل كان عنده شريح معسرة والله اعلى في حكمه
ذو عسرة فقطر الى مسرة فقال شريح انما ذاك في الربا وان الله اعلى قال في كذا بدنه أمره ان
لامانات الى أهلها واذ حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا أمر بالقبض ثمرة من ذنوبهم
الثاني وهو قول شريح وجوه عن المقسر بن ابي حكم الآية في كل دين على عسرة احتجوا بالمتن
قال وان كان ذو عسرة قومه قل ذو عسرة ليسكون الحكماء في جميع المعسر (وأن تعزواهم) أي
وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتر كوارس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون هذا الخلف
لما لا بد لا قد جرى ذكر المعسر بن وذكروا رؤس المال فلم ان التصديق راجع اليهما (ان كنتم تعلمون) يعني
ان التصديق خير لكم وأفضل لان فيه الشفاء الجليل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

﴿فصل في ثواب إتيان المعسر والوضع عنه وتشديدها من الدين والأمر بقضائه﴾ (م) عن أبي قتادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال آتته فقال آتته قال آتته قال فني سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من كرم يوم القيامة فليضع نفسه عن معسرا وضع عنه (م) عن أبي اليسر قال

الانظار لقوله عليه السلام لا حول دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فنعلموا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعمله

لانه أخذ قبل نزول التعريم (وأمره إلى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليك شي فلا تقابلوه به (ومن عاد) إلى استعلال الرباعين الزجاج أو إلى الربا مستحلاً (فالربا أحببنا) النار هم فيها خالدون لانهم بالاستحلال صاروا كافرين لان من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فإذا استمتع الخلود في ربه ثابتين أنه لا تعلق له بمزلة هذه الآية في تخليد الفساق (عصى الله الربا) يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه (ويربى الصدقات) فيها ويزيدها أي يزيدها المال الذي أخرجت منه الصدقة وبارك فيه وفي الحديث ما نقصز كاهن من مال فط (والله لا يحب كل كفار) عظيم الكفر باستحلال الربا (أنيهم) متنادي في الأثم با كاهن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة ﴿وقوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذكروا ما في من الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في القرض فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب النمر لما أن أتأخذتم أحقكم ليربى ما يكتفي عيالي فهل لكان تأخذنا نصف وتؤخرنا النصف وأضمد لك ففعلنا محل الاجل طلبنا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم وأمرهم أن الله هذه الآية فسمعوا وأطاعوا أخذوا رؤسهم وألهموا وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا مشركين في الجاهلية يسلفان في الربا بنى عمرو بن عبد مناف من قتيب فجاء الإسلام وهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيأروا ما جبر من افراد مسلم ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دماءهم بيعة بن الحرث كان مسترضعاً في بني سعد فقتله هزبلور بالجاهلية موضوع وأولر بأضعر بالعباس بن المطلب فانه موضوع كاهن وقيل نزلت في أربعة أخوة من قتيب وهم مسعود وعبد الله وحبوب ويعقوب بن عمرو

اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه إطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقاض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم إذا كان بدا بيد الله أعلم ﴿المسئلة الرابعة﴾ في القرض وهو من أقرض شيئاً وشرط عليه أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جرمته وكل قرض جرمته فهو ربا يدل عليه ما روى عن مالك قال بلغني أن رجلاً أتى ابن عمر فقال أتى أسلف رجلاً أسلفاً واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ قال فان لم يشترط فضلاً في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جازو يدل على ذلك ما روى عن مجاهد أن ابن عمر استلف درهم فقصي صاحبها خيراً منها في أن يأخذها وقال هذه خبر من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ ﴿وقوله تعالى﴾ (فن جاءه وعظ من ربه) أي تذكروا ونحوه وانما ذكر الفعل لان تأنيبه غير حقيقى جازيذ كبره وذلك لان الوعد والموعظة شيء واحد (فاتهي) أي عن كل الربا (فله ماسلف) أي ماضى من ذنبه قبل النهي مغفوره (وأمره إلى الله) يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى ثبتت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود إلى كل الربا وقيل معناه وأمره إلى الله فيها أمره وبنيها ويحله ويحرم عليه وليس اليه من أمر نفسه شيء وقيل ان الآية فيمن يعتقد تحريم كل الربا ثم يهلكه فأمره إلى الله تعالى ان شاء عفاه وان شاء عذبه (ومن عاد) يعني إلى كل الربا بعد التعريم مستحلاً (فالربا أحببنا) النار هم فيها خالدون ﴿وقوله عز وجل﴾ (يعصى الله الربا) أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل منه صدقة ولا تحب ولا جهاد ولا صلة (ويربى الصدقات) أي يربدها ويشمرها وبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا لاطيب الاخذ هذا الرحمن بعينه وان كانت ثمرة فتربى في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كبري في أحدكم فلو أنه أفضله لفظ مسلم والبخاري من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كبري في أحدكم فلو أنه لم يكن مثل الجبل (والله لا يحب كل كفار) يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لكل الربا (أنيهم) يعني متنادي في الأثم وفيه نهى عنه وان كل الربا لا يزوج عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعاً إلى مستحل الربا الأثم راجعاً إلى من يفعله مع اعتقاد التعريم فتكون الآية جامعة للقرنين ﴿وقوله عز وجل﴾ (ان الذين آمنوا) يعني صدقوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) يعني التي أمرهم الله بها (وأقاموا الصلاة) يعني المفروضة باركانها واحد وهما في أوقاتها (وأتوا الزكاة) يعني المفروضة عليهم في أموالهم (لهم أجرهم عند ربهم) أي لهم ثواب أعمالهم في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي يوم القيامة ﴿وقوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذكروا ما في من الربا) قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في القرض فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب النمر لما أن أتأخذتم أحقكم ليربى ما يكتفي عيالي فهل لكان تأخذنا نصف وتؤخرنا النصف وأضمد لك ففعلنا محل الاجل طلبنا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم وأمرهم أن الله هذه الآية فسمعوا وأطاعوا أخذوا رؤسهم وألهموا وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا مشركين في الجاهلية يسلفان في الربا بنى عمرو بن عبد مناف من قتيب فجاء الإسلام وهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيأروا ما جبر من افراد مسلم ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دماءهم بيعة بن الحرث كان مسترضعاً في بني سعد فقتله هزبلور بالجاهلية موضوع وأولر بأضعر بالعباس بن المطلب فانه موضوع كاهن وقيل نزلت في أربعة أخوة من قتيب وهم مسعود وعبد الله وحبوب ويعقوب بن عمرو

للخاق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك **المسئلة الثانية** اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الزيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص **باب** رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق والبر بالبر والاهاء وهاء والبر بالبر والشعير بالشعير والاهاء وهاء والبر بالشعير بالشعير والاهاء وهاء وفي رواية الورق بالورق والاهاء وهاء والذهب بالذهب والاهاء وهاء (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والبر بالبر والاهاء وهاء والبر بالشعير بالشعير والاهاء وهاء (م) بوزن مثلاً بمثل فن زاد واستزاد فقد أدى في رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والبر بالبر بالمع مثلاً بمثل بزيادة فن زاد واستزاد فقد أدى في الاما اختلفت ألوانه (م) عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والمع بالمع مثلاً بمثل سواء بسواء يدايد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدايد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربع أصناف من الطعومات وهي البر والشعير والتمر والمع فذهب عامة أهل العلم الى ان حكم الربا ثابت في هذه الاشياء لاوصاف فيها فيتعدي الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى أن المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى أن الربا ثابت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي الى أنه ثبت بعلية الوزن فثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحد يد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الأربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي الى ان الربا ثابت فيها بعلية الوزن والكيل فثبتوا الربا في جميع الكميات والموزونات، طبعوا ما كان أو غير مطعوم كالخمس والنورة ونحوهم اذهب جماعة الى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون ثبت فيه الربا ولا يثبت في ما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فثبت الربا في جميع الاشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت أو موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعته ثم اشترى به شعير فذهب الغلام فاخذ صاعاً وزيادة بعض من صاع فلما جاء عمر أخبره بذلك فقال له عمر لم فعلت ذلك انطاع فرده ولا تأخذن الا مثلاً بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلاً بمثل وكان طعامنا الشعير فيقول له فانه ليس مثله فقال اني أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجعله مالاً بالعدالة فبي ما كان ثمناً وطعوماً **المسئلة الثالثة** الربا نوعان بافضل وهو الزيادة ورأبسية وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل ان باع أحد النعدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فبشرط فيه التماثل والمساواة بمقايير الشرع فان كان موزوناً كالدرهم والدنانير فبشرط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلاً كالحنطة والشعير فبشرط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل وبشرط التقابض في مجلس العقد فان باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه بنظر فان باع بمالا يوافق في وصفه الربا بمثل ان باع مطعوماً باحد النعدين فلان باغيه كولو باع بغير مال الربا فان باع بمالا يوافق في الوصف لاني الجنس مثل ان باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه الربا انفاضل فيجوز بيعه متفاضلاً وبث فيه الربا بالنسيئة فبشرط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم لا يدايد وقوله اهاء وهاء ففيه اشتراط التقابض في المجلس ونحوه بالنسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم الاسواء بسواء مثلاً بمثل ففيه ايجاب المماثلة ونحوه المتفاضل عند

فليس يجزى بل من هو عاقل هو ذاك الدين. لأن الربا يقوم من ما يعطى الذى يعطيه الشيطان من المس
 قوله بطنه مثل البيت الضخم أى العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أى موضوعين بعضهم على بعض
 والسائلة الطريق وقوله مثل الأبل المنومة النهم بالبحر يك إفراط في الشهوة بالطعام من الجوع ﴿ قوله
 عروجل ﴾ ذلك أنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أى ذلك الذى نزل بهم من العذاب بقولهم هذا وادخلناهم
 بآيه وذلك أن أهل الجاهلية كانوا أحل الله على عروجه ما لم يكن به فيقول لهم من جاءهم الحق ردوا
 في الأجل حتى يأكل في المال فيعمل ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الربا في أول البيع بالربح أو عند
 الخلل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) يعنى وأحل الله
 الحكم الربا في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذى هو ربا في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن
 الله تعالى حاق الخلق فهو عبده وهو مالكهم يحكم فيهم ما يشاء ويستعدهم بما يريد ليس لأحد أن
 يعترض عليه في شيء مما أحل أو حرم وتعالى كافة خلق الطاعة والتسليم لحكمه ومروءته ودرك
 بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع أو اشتراى شيء فشرى من فقد جعل ذلك الثوب، قايلا
 للمشرى من فله أصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المصلحة عند العقد وإن
 أخذ من صاحبه شيئا بعد عرض أو ما دأب عشرة دراهم عشر من فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا
 يمكن أن يقال إن العوس هو الأهل في مدة الأجل لأن الأهل ليس بالآؤش أشار إليه حتى يجعل وصا
 عن العشرة الزائدة فقد طهر الفرق بين صورتين

فصل في حكم الربا وفيه مسائل ﴿ المسئلة الأولى ﴾ ذكرنا في باب تحريم الربا وجوها أحدها أن
 الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو شيئا فقد حصل له زيادة
 درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني أن ما حرم عقد الربا لا يمنع الناس من الاشتغال بالتجارة لأن
 صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد الربا خفف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فبفضي ذلك إلى
 انقطاع منافع الناس بالتجارات وطاب الربا بالوجه الثالث أن الربا هو سبب انقطاع المعروف بين
 الناس من القرض فلما حرم الربا طاب المعروف وسبب انقطاع المعروف بين
 الله تعالى الوجه الرابع أن تحريم الربا مذنب بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكليف معلومة

الاجساد يوفضون
 الأكل الربا فانهم ينفذون
 ويسقطون كالصروعين
 لأنهم أكلوا الربا فرباه
 الله في أموالهم حتى أمتاعهم
 فلا يقدرون على الأيقاض
 (ذلك) العقاب (بانهم)
 بسبب أنهم (قالوا إنما
 البيع مثل الربا) ولم يقل
 إنما الربا مثل البيع مع أن
 الكلام في الربا في البيع
 لأنه يجرى به على طريقة
 الربا وهو أنه قد بلغ من
 شدة دهم في حال الربا بهم
 جعلوا أصلا وقانونا في الخلل
 حتى شبهوا به البيع (وأحل
 الله البيع وحرم الربا)
 انكار لتسويتهم بينهما
 إذا خلل مع الحرمة ضدان
 فاني تأملان ودلالة على
 أن القياس يهدمه النص
 لأنه جعل الدابل على إعلان قياسهم أحلال الله وتحريمه

(والله يعلمون) من الابداء والاخفاء (خير) عالم (ليس عليك هدام) لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من
المن والاذى والاتفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تباعهم الواهي خدب (ولكن الله يهدي من يشاء) وأليس عليك التوفيق
على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك الى الله (وما تنفقوا من خير) (٢١٣) من مال (فلا تفسك) فهو لا تفسك لا ينتفع به

غيره فلا تنزله على الناس
ولا تؤذوهم بالتأول
عليهم (وما تنفقون الا
ابتهاء وجه الله) وليست
نفقتكم الابتهاء وجه الله
أي رضا الله وطلب ما عنده
فما بالكم تنزون بهما
وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله الى الله أو هذا
نفي معناه النهي أي ولا
تنفقوا الابتهاء وجه الله
(وما تنفقوا من خير يوف
اليكم ثوابه) اضعافا مضاعفة
فلا عذر لکم في أن ترغبوا
عن انفاقوا ان يكون على
أحسن الوجوه وأجلها
(وأنتم لاتظالمون) ولا
تقصون كقوله ولم تظلم منه
شيأى لم تنقص الجارى
للقراء متعلق بمحذوف
أي اعمد والفقراء أروهم
خير مبتدأ محذوف أي هذه
الصدقات للفقراء (الذين
أحصرنا في سبيل الله) هم
الذين أحصرهم الجهاد
فمنعهم من التصرف
(لا يستطيعون) لا يستطيعون
به (ضربا في الأرض)
للكسب وقيل هم أصحاب
الصفة وهم نخومن أربعا
رجل من مهاجرى قریش

في اللغة التطعية والستر (والله يعلمون خير) يعنى من اظهر الصدقة واخفاهما قوله عز وجل (ليس
عليك هدام) قيل سبب نزول هذه الآية ان ناسا من المسلمين كان لهم قرايات وأصهار في اليهود وكانوا
ينفقونهم وينفقون عليهم قيل أن يسألوا ما أسألوهم أكرهوا أن ينفقوا ورأوا بذلك أن يسألوا
وقيل كانوا يتصدقون على فقراء أهل المدينة فلما كثرت المدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة الى الدخول في الاسلام لحرم صلى الله عليه وسلم على اسلامهم
فقرئ ليس عليك هدام ومعنا ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا في
الاسلام حينئذ تصدق عليهم فأعلمه الله تعالى انما يجب بشرائهم أو ادعائهم الى الله بانه فلما كونهم
مهديين فليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) يعنى ان الله تعالى يوفق من يشاء فيهديه الى
الاسلام وأراد بادهية هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية عطلوها وصدقوا عليهم (وما تنفقوا من خير) أي من مال (فلا تفسك) أي
مانعة لوانتفعوا به أنفسكم (وما تنفقون الابتهاء وجه الله) ظاهره خبر ومعناه نهى أي ولا تنفقوا الابتهاء
وجه الله وقال الزجاج هذا خاص بالمؤمنين أعلمهم الله أنه قد علم أن مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه
ولستم في صدقاتكم على أقرار بكم من المشركين تصدون الارجاء الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فأنفقوا
عليهم إذا كنتم إنما تبغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطربا بعض العلماء لو أنفقت على
شركائهم الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على أنه يجوز صرف الزكاة الى المسلمين وهم أهل
السهمان المذکورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وخالفه سائر
العلماء في ذلك فملى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله تعالى أن تصرف الى فقراء المسلمين
وفقراء أهل الذمة فاما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى أهل الذمة بحال (وما تنفقوا من خير يوف اليكم)
أي يوفركم جزاؤه وقال ابن عباس يجوز بكم يوم القيامة ومعناه يؤدي اليكم يوم القيامة وهذا حسن
ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى التأييد (وأنتم لاتظالمون) أي لا تقصون شيأ من ثواب أعمالكم
قوله عز وجل (للفقراء) اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مراد على موضع اللام من قوله
فلا تفسك فكانه قال وما تنفقوا من خير فلا تفقروا وإنما تنفقون لانفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق
ذكرها للفقراء وقيل خبر محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء
المهاجرين كانوا نحو أربعا بمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير وكانوا يابسون الى صفته في السجدة
يتعاملون القرآن بالليل ويرضخون الزوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم أصحاب الصفة خبث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أناهم به إذا أمسى
وقوله (الذين أحصرنا في سبيل الله) يعنى هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا
أنفسهم على طاعة الله (لا يستطيعون ضربا في الأرض) يعنى لا يتفرغون للتجارة وطالب المعاش والكسب
وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعلم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم أصابهم
جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصروهم المرض والزمانة عن الضرب
في سبيل الله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي يظن من لم يختبر حالهم أنهم أغنياء من التعفف وهو

لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشاير فكانوا في صفة المسجود هي سقيقة يتعاملون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أناهم به إذا أمسى (يحسبهم الجاهل) بحالهم يحسبهم وبابه شامى
ويزبدو حرة وعاصم غير الاعشى وهيرة والباقون بكسر السين (أغنياء من التعفف) مستغنيين من أجل تعففهم عن المسئلة

عاليه وهو يحاز بكم عاليه
(وما للظالمين) الذين ينعون
الصدقات أو ينفقون
أموالهم في المعاصي أو
يبدون في المعاصي أولاً
يقون بالنور (من أنصار)
من ينصرهم من الله وبنوعه
من عقابه (ان تبدوا
الصدقات فنعما هي) فنعمة
شيء أبدأوها ما تكره غير
موصولة ولا موصوفة
والخصوص بالمدح هي
فنعما هي بكسر النون
واسكان العين أبو عمرو
ومدني غرور وش وفتح
النون وكسر العين شامي
وحزة وعلى وبكسر النون
والعين غيرهم (وان تحفوها
وتؤنوها الفقراء) وتصدوا
بها ماضر فهمامع الاخفاء
(فهو خير لكم) فالاخفاء
خير لكم قالوا المراد صدقات
التطوع والجهر في
الغرائض أفضل لنفي التهمة
حتى اذا كان المزك من
لا يعرف باليسار كان اخفاؤه
أفضل والتطوع ان أراد
أن يقتسدي به كان
اظهاره أفضل (وتكفر)
بالنون وجزم الراء مدني
وحزة وعلى وبالياء ورفع
الراء شامي وحففص والنون
والرفع غيرهم من جزم فقد
عطف على محل الفاء وما
بعده لانه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله (عنكم من سيئاتكم) والنون على معنى نحن تكفر في

صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخبر وإنما يستخرج به من البخيل (م) عن أبي هريرة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن آدم شيأ لم يكن الله قدوره له لو كان النذر يوافق القدر
فيخرج بذلك من البخيل الم يكن البخيل يريد أن يخرج فأن بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب الهوى
عن النذر كون الناذر يصبر ما تزامنا لا فيأني به تكافؤ من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على سبيل
المواضة عن الامر الذي طلبه فينقص أجره وشأن العباد أن تكون مخصصة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل
أن يكون الهوى لكونه قد يظان بهض الجهلة ان النذر قد القدر أو يمنع من حصول المقدور فهمى عنه خوفا
من اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكدها وقوله في بعض روايات الحديث انه لا يأتي بخبر معناه انه لا يرد
شيأ من القدر وقوله فيخرج بذلك من البخيل الم يكن البخيل يريد أن يخرج معناه انه لا يأتي بخبر هذه القرينة
تطوعا محضاً مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله ان شئني الله مريض فنه على كذا نحو ذلك مما
يحصل بالنذر والله أعلم (وقوله تعالى فان الله يعلمه) أى يعلم ما نفقتم ونذرتم فيجاز بكم وانما قال بعلمه ولم
يقبل بعلمه لان الرد الضمير على الآخر منهما فهو كقولهم ومن يسكب خطيئته وانما هم يرمون بها وقيل ان
الكتابة عادت على في قوله وما نفقتم لانها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به
ولم يقل بوما (وما للظالمين) يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون صدقاتهم الى ياء
والسعة وقيل هم الذين يتصدقون بالمال الحرام (من أنصار) أى من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله
تعالى ففيه وعبد عظيم لكل ظالم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان تبدوا الصدقات) أى تظهروا الصدقات والصدقة
ما يخرجها الانسان من ماله على وجه القرينة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع (فنعما هي) أى
فعمت الخلة هي وقيل فنعمة الشيء هي وقيل معناه فنعمة شيئاً أبدأه الصدقات (وان تحفوها) أى تسروا
الصدقة (وتؤنوها الفقراء) أى وتطعوا الفقراء في السر (فهو خير لكم) يعني اخفاء الصدقة أفضل من
العلانية وكل مقبول اذا كانت النية صادقة واختلوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الا كثرون
المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على ان كثبان صدقة التطوع أفضل واخفاؤها خير من اظهارها
لان ذلك أبعد من الرياء أقرب الى الاخلاص ولان فيه بعداً عما تورثه النفس من اظهار الصدقة وفي صدقة
السر أيضاً فائدة ترجع الى التقرب الى الآخرة وهي انه اذا أعطى في السر زال عنه النكسار واذا أعطى
في العلانية حصل له النكسار والانكسار يدل على ان صدقة السر أفضل ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشا من شأني طاعة الله تعالى ورجل
قلبه معاني بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجل يحب الله تعالى اجتماعه على ذلك وافتراقه عليه
ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امرأته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف
الله ورجل تصدق بصدقة اخفاها حتى لاتعلم ثمة له ما في بيته أخرجها في المصحين ووجه جواز اظهار
الصدقة ان يكون ممن قد آمن على نفسه من مداخلة الراء في عمله ويكون ممن يقتدى به في أفعاله فاذا أظهر
الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فظاهر اخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة
أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولكن في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل ان الآية واردة في
زكاة الغرض وكان اخفاؤها خير اعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع
الزكاة فاما اليوم في زماننا فظاهر ان الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الآية عامة في جميع الصدقات
الواجبة والتطوع والاخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها (وقوله تعالى) (وتكفر عنكم سيئاتكم)
قيل ان من علم زائدة تقديره وتكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل ادخل من
التبويض ليكون العباد على وجل ولا يسكوا والمعنى وتكفر عنكم الصغائر من سيئاتكم وأصل التكفير

[illegible]

(والله اعلم)

من اء (عالم) بافعه

وإياكم (يؤتي الخدمة)

(شاء) علم القرآن

أول العلم الصافي المود

الحمد لله

وایط کیم عیالته

العمل (و-ز)

100 (100)

بیتوب آی و هو

الحكمة (فق. أوتى)

(کتاب) کے نام

اوتی ای خیر کثیر

١٠. كبريالا أولوالالباب

بِقَوْلِهِمْ وَاعْبُدُوا اللَّهَ الْوَاحِدَ

العتق والصلح والهدنة

الجمال والمراد به الخش

العرب. بل بما قضت الا

م.ج. الانبعاث (وما أنقذ)

بِ نَوَاقِصٍ فِي رَأْيِ الْإِسْلَامِ

في جبل الزيتون)

تذکرہ من تذکرہ (فوری)

الذات والذات



لمتعوض الذي يأخذ المال من غيره وجهه كما يخوض الانسان في الماء فييناوشمالا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه من حلال أم من حرام (خ) عن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مأكل أحد طعما فطع خير من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أطيب مأكلهم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى نفقوا فاقبل المراد به الزكاة المفروضة لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية بما وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قد مر مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الامر فعل القول الاول ان المراد من هذا الاتفاق هو الزكاة يتفرع عليه مسائل **المسئلة الاولى** ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الانسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة في العروض الآن بنوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرنا باخراج الصدقة من الذي بعد البيع أخرجه أبو داود وعن أبي عمرو بن خنيس ان أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنق ادمه أجمها فقلت عمر ألا تؤدى زكاة ما كانك يا خنيس فقلت الى غير هذا واهب في القرض قال ذاك مال فضع فوضه فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين ديناراً ومائتي درهم أخرجه منه ربع العشر **المسئلة الثانية** في قوله تعالى (وما أخرجنالك من الارض) ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الارض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصوا هذا العموم فأوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفي باقعات ويدر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض كالقوى كالبقول والخضراوات كالبطيخ والقنا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل والعمل على هذا عند أهل العلم انه ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجاهد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في احكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن ابي نيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثر في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال لزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب في التمار عند بدو اصلاحه وهوان يحمر البسر ويصفر وقت الاخراج بعد الاجتماع والجفاف وفي الحبوب عند الاشداد وقت الاخراج بعد الدراس والتصفيق **المسئلة الثالثة** يجب اخراج العشر فيما سقى باطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقى بنضح أو ساقية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان ثريا لعشر وما سقى بالنضح نصف العشر البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السماء والانهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقى بالسواني والنضح نصف العشر قال أبو داود البعل مشرب بعروقه ولم يمتن في سقيه وقال وكيع هو الذي يمتن من ماء السماء قوله وكان عشره يأراد به القوى من الزرع وهو البعل وقد فسر في نفا الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك الساقية وهي

(وما أخرجنالك من الارض) من الحب والنمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طبيبات ما أخرجنالك الا انه حذف الذكر للطبيبات

(فان لم يصباوا بل فطل) فطر صغير الفطر يكفيهم الكرم منبته لا ومثل حالهم عنده بالجنة على الر بوقه ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالواابل والطل
وكان كل واحد من المطرين يصفأ كل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بهما رضا الله تعالى زاكبة عندهم زائدة
في زفافهم وحسن حالهم عنده

فبهما من رياء وإخلاص
الهزمة في (أبوذا أحدكم)
للاستكار (أن تكون
لهجنة) بستان (من نخيل
وأعناب تجري من تحتها
الأنهار له) لصاحب
البستان (فيها) في الجنة
(من كل الثمرات) يريد
بالثمرات الماسغة التي كانت
تحصل له فيها وإن النخيل
والأعناب لما كانا كرم
الشجر وأكثرهما منافع
خصهما بالذكر وجعل
الجنة منهما وإن كانت
مختوبة على سائر
الأشجار تغلبها لهما على
غيرهما ثم أردفهما ذكر
كل الثمرات (وأصابه
الكبر) الوالوالحال ومعناه
أن تكون لهجنة وقد
أصابه الكبر والواو في
(وله ذرية ضعفاء) أولاد
صغار للحال أيضاً والجنة في
موضع الحال من الهاء في
أصابه (فأصابها أعصار)
ريح تستدير في الأرض ثم
تسطع نحو السماء كالعمود
(فيه) في الأعصار وارتفع
(نار) بالظرف اذ جرى
الظرف وصفا للأعصار
(فاحترقت) الجنة وهذا
مثل لمن يعمل الأعمال

الحسن ياء فاذا كان يوم القيامة وجدها عجبة فيحسر عند ذلك حسرة من كانت لهجنة جامعة للثمار فيلغ الكبر وله أولاد
ضعاف والجنة معاشهم فهلك بالصاعقة (كذلك) كهذا البيان الذي بين فيما تقدم (يبين الله لكم الآيات) في التوحيد والدين (لعلكم
تتفكرون) فتنبهوا (يا أيها الذين آمنوا) آمنوا بآيات ما كتبتم من جياتكم وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة

(حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد الله ثم كد ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا صدقاتكم بالإن والاذى كالذى) الكفاف نصيب
صفحة صدره مخدوف والقدرة بطلان المثل بطلان الذى (ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) أى لا يتطاولوا ثواب صدقاتكم
بالإن والاذى كإبطال المناق في الذى ينفق ماله رياء الناس ولا يريد بأفقه رضا الله (٢٠٧) ولأن ثواب الآخرة رياء مفصوله

(فله كمثل صفوان عليه

تراب) مثله ونفقه التى

لا ينفع بها البتة بحجر

أملس كان عليه تراب

(فأصابه وابل) مطر عظيم

القطر (فترك صدا)

أجره تقيامن التراب الذى

كان عليه لا يقدر على

شيء مما كسبوا لا يجدون

ثواب شيء مما أنفقوا أو

الكاف في محل النصيب

على الحال أى لا يتطاولوا

صدقاتكم مما أثبت الذى

ينفق وإنما قال لا يقدر

بعد قوله كالذى ينفق لانه

أراد بالذى ينفق الجسم

أو الفربى الذى ينفق

(والله لا يهدى القوم

الكافرين) ماداموا

مختارين الكفر (ومثل

الذين ينفقون أموالهم

ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً

من أنفسهم) أى وتصديقا

للاسلام وتحقيقه للأجزاء

من أصل أنفسهم لانه إذا

أنفق المسلم ماله في سبيل

الله علم أن تصديقه وإيمانه

بالثواب من أصل نفسه

ومن إخلاص قلبه ومن

لا بداء الغاية وهو

مستغن عن صدقة العباد والغنى الكامل الغنى الذى لا يحتاج إلى أحد وليس كذلك إلا الله تعالى (حليم)

يعنى أنه تعالى حليم لا يجمل بالعقوبة على من عصى على عبادته يؤذى بصدقة قوله عز وجل (يا أيها الذين

آمنوا لا تطاولوا صدقاتكم) يعنى أجور صدقاتكم (بالإن والاذى) يعنى على السائل الفقير وقال ابن عباس

بالإن على الله تعالى والاذى صاحبها ثم ضرب الله تعالى لذلك مثلاً فقال تعالى (كالذى) أى كإبطال الذى

(ينفق ماله رياء الناس) أى مراة ظلم وسمعة ليروافقه ويقولوا انه سخى كريم (ولا يؤمن بالله واليوم

الآخر) يعنى أن الرياء يطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين سكن من فعل المنافقين

لان الكافر معلى بكفره غير مرابه (فله) أى مثل هذا المرائى بصدقة وسائر أعماله (كمثل صفوان) هو

الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فن جعله جمعاً قال واحد صفوانة ومن جعله واحداً قال جمعه صفى

(عليه تراب) أى على ذلك الصفوان تراب (فأصابه وابل) يعنى المطر انشبد العظيم القطر (فترك صدا)

يعنى ترك المطر ذلك الصفوان صلداً أملس لاشئ عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضرب به الله تعالى لنفقة

المنافق والمرائى والمؤمن المنان بصدقة يؤذى الناس يرى الناس أن طولا لأعماله فى الظاهر كما يرى التراب

على الصفوان فإذا جاء المطر أذهب وأزاله وكذلك حال هؤلاء يوم القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لانها

لم تكن لله تعالى كما ذهب الوابل ماعلى الصفوان من التراب (لا يقدر على شيء مما كسبوا) أى

لا يقدر على ثواب شيء مما عملوا فى الدنيا (والله لا يهدى القوم الكافرين) يعنى الذين سبق في علمه انهم

يؤتون على الكفر روى البغوى بسنده عن محمود بن لميد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما أخوف

مأخوف عليكم الشرك الأصفر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصفر قال الرياء يقال لهم يوم تجازى العباد

بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (م) عن أبى هريرة قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً

أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) أى

طلب رضا الله (وتثبيتاً من أنفسهم) يعنى على الاتفاق في طاعة الله تعالى وتصديقاً بثوابه وقيل معناه أن

أنفسهم موقنة بصدقة بوعده الله إياه فإيا أنفق وقيل احساناً وقيل تصديقاً والمعنى انهم يخرجون زكاة

أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنففسهم بما أنفقوا على يقين بثواب الله

وتصديق بوعده يعلمون ان ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين بخلاف الله عليهم وقيل معناه

انهم ينتهون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تنبت فان كانت لله خاصة

أمضاه وان خاطه شك أو رياء أمسك (كمثل جنة) أى بستان قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة

وان كان فيه كرم فهو فردوس (ربوة) هى المكان المرتفع عن الارض المستوى لان ما لا ترتفع من الارض

عن مسيل الماء والودية كان ثمرها أحسن وأزكى اذا كان لها من الماء ما يروى بها وقيل هى الارض

المستوية الجيدة الطيبة اذا أصابها المطر انتفخت ووربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت

أشجارها (أصابها وابل) وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحن ما غلظ وارتفع من الارض (فانتأ كلها ضفين) أى فاعطت ثمرها مثايل قيل انها حلت فى

معطوف على المفعول لانه لا ابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى كاشأ عند الله (كمثل جنة) بستان (ربوة) مكان مرتفع

وخصه لان الشجر فيها أكثر وأحسن ثمرها ربوة عاصم وشامى (أصابها وابل فانتأ كلها) ثمرها كل انافع ومكى وأوعرو (ضفين)

مثلى ما كانت تمر قبل بسبب الوابل

سبع مائة من يشاء يضاعف
شأني ومكي (والله واسع)
واسع الفصل والجلود
(عليهم) نبات المنفقين
(الذين ينفقون) وأهلهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما أنفقوا (وما) هو أن يعتدي
على من أحسن إليه بأحسنه
ويريه أنه أصططه
وأوجب عليه حقوا كانوا
يقولون إذا صنعتم صنعة
فانصروها (والأذى) هو
أن يتناول عليه بسبب
ما أعطاه ومعنى ثم اظهار
التفاوت بين الانفاق
ترك المسن والأذى وان
تركهما خير من نفس
الانفاق كما جعل الاستقامة
على الإيمان خيرا من
الدخول فيه بقوله ثم
استقاموا (لهم) أجرهم عند
رهم أي نواب انفاقهم
(ولا خوف عليهم) من
بئس الاجر (ولا هم
يحزنون) من فوته أو لا
خوف من العذاب ولا
حزن بفوت الثواب وأما
قل هالم أجرهم وفيما بعد
فلم أجرهم لان الموصول
هنا لم يضمن معنى الشرط
ومنه (قول معروف)
رد جيل (ومعقرة) وعفو
عن السائل اذا وجد منه
ما ينقل على السؤل أو نيل
مغفرة من الله بسبب الرد
الجميل (خير من صدقة يتبعها

ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الآية أنه اذا عمل الانسان الطالب
لزيادة الرزق انه اذا بذر حبة واحدة أخرجه سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التصرف فيه
فكذلك ينبغي ان يطلب الاجر عند الله في الآخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم أنه يحصل له الواحد
عشرة ومائة وسبع مائة (والله يضاعف لمن يشاء) يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه
يضاعف على هذا يزيد لمن يشاء من سبع الى سبعين الى سبع مائة الى ما يشاء من الاضاعف مما يلزمه الا الله
(والله واسع) أي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدر على المجازاة وعلى الجود والافضال (عليهم)
يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل علم بمقادير الانفاق بما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه ^{فقط} قوله
عز وجل (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل زلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أما
عثمان بن عفان المسكين في غزوة تبوك بالف بعير باقتناها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن
سمره جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصفا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فأرأته يدخل يده فيها
ويقلمها يقول ماض عثمان ما عمل بعد اليوم فأرسل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن
فجاء بأربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمكنك
لنفسى وامعالي أو بعة آلاف وأربعة آلاف أخرجهما في عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في
حوادثهم وموتهم (ثم لا يتبعون ما أنفقوا من أموالهم) أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بل من والأذى وهو
أن يمن عليه بمطاعته فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعده نعمة عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن
يعيره فيقول كم تسأل وأنت فقير أبدا وقد بليت بك وأراخي الله منك وأمثال ذلك والمن في اللغة الانعام
والمنة النعمة التفضيل يقال من فلان على فلان اذا أنقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر
فنى علينا بالسلام فلما * كلامك يا قوت ودر منظم
ومن المن بالقول ما هو مستقيم بين الناس مثل أن يمن على الانسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن يز يد كان
أبى يقول اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك به ثقل عليه فلا تسل عليه والعرب تمدح بترك المن وتكتم
النعمة وتذم على اظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن
زاد معروفك عندى عظما * انه عندك مستور حقير
تتأساه كأن لم تأنه * وهو في العالم مشهور كبير
وقال قائلهم يذم المنان بالعطاء * أثبت قليلا ثم أسرع منه * فيلك * ون لذلك قليل
وأما الأذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول أو فعل اذا عرفت هذا فيقول المن هو اظهار المعروف
الى الناس والمن عليهم به والأذى هو أن يسكروهم بسبب ما أعطاهم فخرم الله تعالى على عباده المن المعروف
والأذى فيه وذم فاعله فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فالفرق قات المنان في صفة الله تعالى معناه
المتفضل فمن الله افضل على عباده واحسان اليهم بجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعبير
وتكدير فظهر الفرق بينهما ^{فقط} وقوله تعالى (لهم أجرهم) يعني نوابهم (عند رهم) يعني في الآخرة
(ولا خوف عليهم) يعني يوم القيامة (ولا هم يحزنون) يعني على ما خلقوا من الدنيا (قول معروف) أي كلام
حسن ورجيل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة توعدها وقيل دعاء صالح تدعوه بظهور الغيب
(ومعقرة) أي تدع عليه حاله وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حالة
رده (خير من صدقة) يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي تدفعها الى الفقير (يتبعها)
أذى وهو أن يعطي الفقير الصدقة عين عليه بها ويعيره بقول أو يؤذيه بفعله (والله غني) أي

(قال تغذأر بقعة من الطير) طواسد وديكاوغرا و اوجامة (فصرهن اليك) و تكسر الصاد خزة أي أمهلن و اضمعن اليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) ثم جزهن و فرق جزاءهن على الجبال التي يحضرنك و في أرضك و كانت أربعة أجبال أو سبعة جزأ و اضمعن و همز أبو بكر (ثم ادعهن) قل لمن تعالين إذن الله (يا أيها سعياء) (٢٠٥) مصدر في موضع الحال أي سعاتيات

مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن و إنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها و يعرف أشكالها و هيأتها و أحلاها لئلا تلبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك و روى أنه أمر بأن يذبحها و يقتل ريشها و يقطعها و يفرق أجزاءها و يخطأ ريشها و دماءها و لحومها و أن يمسك رؤسها ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل.

و يعام كل طائر ثم يصبح بها تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثهم أقبلان فاضمنهم إلى رؤسهن كل جثة إلى رأسها (واعلم أن الله عز و جل لا تمتنع عليه ما يريد) (حكيم) فيما يدبر لا يفعل الامامية الحكمة و لما برهن على قدرته على الاحياء بحث على الاتفاق في سبيل الله و اعلم أن من اتفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم و هو قادر عليه فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله)

و المعنى أو است قد امتنت و صدقت أي أحبي الموتى قال لي قد امتنت و صدقت ولكن ليطعن قلبي يعني سألتك ذلك ارادة طمأنينة القلب و زيادة اليقين و رقا و الخلق قال ابن عباس معناه و لكن لا رى من آياتك و اعلم أنك قد أجبتني (قال تغذأر بقعة من الطير) قيل أنطنا طواسد و ديكا و غرا و اوقيل نسرا بدل الجماء فان قلت لم يخص الطير من جملة الحيوانات بهذا الحالة قلت لأن الطير صفته الطيران في السماء و الارتفاع في الهواء و كانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك و هو العلو في الوصول إلى الملكوت فكانت محجة به مشاكاة لهمة فان قلت لم يخص هذه الاربع الاجناس من الطير بالاختلاف فيه اشارة في الطاوس اشارة إلى ما في الانسان من حب الزينة و الجمال و في النسر اشارة إلى شدة الشغف بالاكل و في الديك اشارة إلى شدة الشغف بسبب النكاح و في الغراب اشارة إلى شدة الحرص في هذه الطيور و مشاهة ما في الانسان من حب هذه الاوصاف و فيه اشارة إلى أن الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة حتى أعلى الدرجات في الجنة و فاز بنفس السعادات (فصرهن) قرئ بكسر الصاد و معناه قطعهن و مزقهن و قرئ بضم الصاد و معناه أمهلن (اليك) و وجههن و قيل معناه اجمعهن و اضمعن اليك فنفسه بالامالة و اضمع قال فيه اضمار و معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فخذف اكتفاء بقوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) لانه يدل عليه قال المفسرون أمر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذبح تلك الطيور و يقتل ريشها و يخطأ ريشها و يقطعها و يفرق أجزاءها ببعض ففعل ثم أمره أن يجعل على كل جبل منهن جزأ و اختلف في عدد الاجزاء و الجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء و أن يجعلها على أربعة اجبال على كل جبل ريعام كل طائر قيل جبل على جهة الشرق و جبل على جهة الغرب و جبل على جهة الشمال و جبل على جهة الجنوب و قيل جزأ سبعة أجزاء و وضعها على سبعة اجبال و امسك رؤسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الاخرى و كل ريشة تطير إلى الريشة الاخرى و كل عظم يطير إلى العظم الاخر و كل بضعة تطير إلى البضعة الاخرى و ابراهيم بنظر حتى لقيت كل جثة بعضها ببعض في السماء بغير رؤس ثم أقبل سعياء إلى رؤسهن كما جاء طائر قال برأسه فان كان رأسه دامت و ان لم يكن تأخر عنه حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يا أيها سعياء) و قيل المراد بالسعي الاسراع و العود و قيل المشي و الحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك أبعد من الشبهة لانه لو طارت اتوهم بتوهم أنها غير تلك الطيور و أن أرجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يا أيها سعياء و قيل أراد بالسعي المشي و المراد بالمشي الطيران و فيه ضعف لانه لا يقال لا طائر اذا طار سعى و قيل السعى هو الحركة الشديدة (واعلم أن الله عز و جل) يعني أنه تعالى غالب على جميع الاشياء لا يجزئ شيء (حكيم) يعني في جميع أموره ﴿ قوله عز و جل (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) قيل أراد به الاتفاق في الجهد و قيل هو الاتفاق في جميع أبواب الخير و وجوه البر فيدخل فيه الواجب و التطوع و فيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله (كمثل حبة) أي كمثل زارع حبة (أنبت) يعني أخرجت تلك الحبة (سبع سنابل) جمع سنبله (في كل سنبله مائة حبة) فان قلت فهل رأيت سنبله فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل و لا يكون مستحيلا فاضرب المثل به جاز و ان لم يوجد و المعنى في كل سنبله مائة حبة

لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقته (كمثل حبة) أو مثله كمثل يذر حبة (أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة) المبتدأ هو الله و لكن الحبة لما كانت سببا لأسند اليها الايات كما يسند إلى الارض و إلى الماء و معني انباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يقسمه سبع شعبل لكل واحد سنبله و هذا التمثيل تصوير للاضفاف كأنها مائة بين عيني المناظر و المثل به و وجود في الدخن و البردور و عافرت ساق البردة في الارض القوية المغلة فيبلغ جبهانها المبلغ على أن التمثيل يصح و ان لم يوجد على سبيل القرض و التقدير و وضع سنابل موضع سنبلات كوضع فروه موضع اقراء

وواصل الطير وأجواف الدواب فارتى كيف تحميم الأعمى ذلك فازداد يقيناً فاعلم الله تعالى (قال أولم تؤمن) يعني أولم تدرك (قال بلى) يارب فؤادى علمت وأمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي عند العائنة أراد إبراهيم عليه السلام أن يسهل عليه علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كلمة آتية وقيل لما رأى الحبيفة على البحر وفتناؤها السباع والطير ودواب البحر فتشكر كيف يحققهم ما فرق من تلك الحبيفة وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحببه به ولم يكن إبراهيم عليه السلام شاك في أحياء الله الموتى ولا دافعه ولكنه أحب أن يرى ذلك عياناً كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤيته الله تعالى في الجنة ويطلبونه أو يسألونه في دعائهم مع الإيمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم فكذلك أحب إبراهيم أن يصر الخبر له عياناً وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على غمرد فقال إبراهيم ربني الذي يحيي ويميت فقال غمرد أنا حي وأميت فقتل أحد الرجلين وطأني لأخرف فقال إبراهيم أن الله تعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له غمرد أنت عابته فله بقدر إبراهيم أن يقول نعم فتأثرت إلى حجة أخرى ثم سأل إبراهيم وبه أن يريه كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حتى فإذا قيل أنت عابته فأقول نعم وقال سعيد بن جبلة اتخذ الله إبراهيم خليلاً سألته الموت وبه أن ياذن له فيبشر إبراهيم بذلك فإذا نزل فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغبر الناس وكان إذا خرج أعاقق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلاً فثار إليه لياخذته وقال له من أذن لك أن تدخل داري فقال أذن لي رب الدار فقال إبراهيم صدقت وعرف أنه ملك فقال له من أنت قال أنا ملك الموت جئت أبشرك أن الله قد اتخذك خليلاً فخدم الله عز وجل وقال له معلماً ذلك قال إن يحجب الله دعاءك ويحيي الموتى يسؤلك حينئذ قال إبراهيم رب أرني كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلاً وتحييني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من إبراهيم إذا قال رب أرني كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله طوطاً كان يأوى إلى ركن شدد بولوبت في السجن مالبث يوسف لاجب الداعي (القول) في معنى الحديث وما يتأق به اختلاف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم على أقوال كثيرة فاحسنها وأصحها ما نقل المزني وغيره من العلماء أن الشك مستحيل في حق إبراهيم فإن الشك في أحياء الموتى لو كان منوطاً إلى الانبياء لمكانت أنا أحق به من إبراهيم ولقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم لم يشك وإنما خص إبراهيم بالذكرا لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنتي ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول أذلم أشك أنافي قدوة الله تعالى على أحياء الموتى قال إبراهيم أولى بأن لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والحض من النفس وكذلك قوله لولبت في السجن مالبث يوسف لاجب الداعي وفيه الإعلام بأن المسئلة من إبراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان والعيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبياً صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم ومعناه أن هذا الذي تظنون شكاً أنا أولى به فإنه ليس بشك وإنما هو طلب لزيد اليقين وإنما رجح إبراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم تواضعاً وأدباً وقبل أن يعلم أنه صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم وأما تفسير الآية فقوله تعالى وإذا قال إبراهيم أي وإذا ذكرنا بما ذكر إبراهيم وقيل أنه معطوف على قوله ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه والتقدير ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه لم تر إذا قال إبراهيم رب أرني كيف يحيي الموتى قال يعني قال الله لإبراهيم أولم تؤمن الألف في أولم تؤمن ألفا ثباتاً وبإيجاب كقول جرير (ألم تؤمن خير من ركب المطايا) أي ألسنكم كذلك

(قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وإنما قاله أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفي ومعناه بلى أمنت ولكن لازد بسكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة ففهم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري واللام تتعلق بمحدوف تقديره ولكن سالت ذلك إرادة طمأنينة القلب

فأما الله مائة عام ثم بعثه) أي أحياء (قال) له ملك (كم لبثت قال لبثت) ومأو (بعض يوم) بناء على الظن وفيه دليل جواز الاجتهاد في رد
انه مات ضحي و بث بعد مائة سنة قبل (٢٠٢) غيوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوم ماتم التفت فرأى بقية من

فلما قاتلهم وثلاثا بهم وثلاثا أقهرهم بالشأم فكانت هذه الواقعة الاري التي أنزلها الله بني اسرائيل بظاهم فلما
ولى بختنصر راجعا الى بابل ومعه سببا بني اسرائيل أو مائة على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة و سلة
تين حتى غشى ايليا وهي أرض بيت المقدس فلما رأى خرابها قال أتى يحيى هذه الله بعد موته ومن قال ان
المراكب عز برا قال ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قدم بسببا بني اسرائيل وكان فيهم عزير و دانيال
وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما تجاعع بر من بابل ارتحل على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة
فطاف بالقرب في لم ير أحدا و عمة شجره حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل
فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق ولما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أتى يحيى هذه الله بعد
موتها وانما قال ذلك تجببالاشكا في البعث ورجعنا الى حديث وهب قال ثم ان أرمياء ربط حماره بحبل
جديد وأتى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح فمات مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره و تينته
عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحي ومنع لجم من السباع والطيور فلما مضى من وقت موته
مدة سبعين سنة أرسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشق وقال له ان الله يامر لك أن تنفر
بقومك فتعمر بيت المقدس و يلبيا حتى يعود أعمرا ما كان قاتن بالمملكة ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثا مئة
ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل
وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فامضت المائة
أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض
متفرقة فسمع صوتا من السماء بأنها العظام البالية ان الله يباركك أن تجتمع في مجتمع بعضها الى بعض
ثم نودي ان الله يباركك أن تكسني لحا وجادا فكان كذلك ثم نودي ان الله يباركك ان تحيى فقام الحمار
بأذن الله ثم همق وعمر الله أرمياء فهو يدور في الفلوات فلذلك قوله تعالى (فأما الله مائة عام) أصل الامام من
العوام وهو السباحة سميت السنة عام لان الشمس تسع في جميع رجوعها (ثم بعثه) أي ثم أحياء واصاله
من بعث الناقة اذا أقمها من مكانها (قال كم لبثت) يعني قال الله تعالى له كم قدر الزمان الذي كنت فيه
ميتا قبل أن أبعثك من مكانك حيا و يقال ان الله تعالى لما أحياء بعث اليه ملكا فأسأله كم لبثت (قال)
يعني ذلك المبعوث بعد مائة (لبثت يوما) وذلك ان الله تعالى أماته ضحي في أول النهار وأحياء بعد مائة سنة
في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من
الشمس فقال (أو بعض يوم) قال يعني قال الله له وقيل قال الملك له (بل لبث مائة عام فانظر الى طعامك)
يعني التين الذي كان معه قبل موته (وشرايك) يعني العصير (لم يتسنه) يعني لم يتغيره السنون اني أتت
عليه فكان التين كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم يمت (وانظر الى حمارك)
أي وانظر الى احياء حمارك فظفر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه
اللحم والجلد وأحياء وهو ينظر (ولجعلك آية للناس) قيل الواو اشارة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة
على انها شرط لفعل بعد ها والموتى وانما ما فعلنا من الامانة والاحياء ان جعلك آية للناس يعني عبادة دالة
على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين وقيل انه عاد الى القرية وهو شاب أسود الرأس والحية وأولاده
وأولاد أولاده شيوخ وعجائز ثم سبط فكان ذلك آية للناس (وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نسوها)
لجأ قرى بالراء ومعناه كيف نخيها يقال أنشر الله الميت انتشارا يعني أحياء وقرى بالزاي ومعناه كيف

الشمس فقال أو بعض يوم (قال بل لبث مائة عام فانظر الى طعامك وشرايك) روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرايه عصيرا ولتنا وجد التين والعنب كما جنىه والشرايب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير ولها أصلية أوهاه سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء لان الاصل سته والفعل سانهت يقال سانهت فلانا أي علمته سنة أو دار لان الاصل سنوة والفعل سانهت ومعناه لم يتغيره السنون لم يتسن يخذف الهاء في الوصل و ياتيها في الوقف حزة وعلى (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قدر بطه فمات وتفتت عظامه أو وانظر اليه سالما في مكانه كبر بطه وذلك من أعظم الآيات أن يمش مائة عام من غير علف ولا ماء كاحفظ طعامه وشرايه من التغير (وانجعلك آية للناس) فعلنا ذلك نريد احياء بعد الموت وحفظ مامعه وقيل الواو عطف على محذوف أي لتعتبر ولجعلك قبيل أتى قومه

را كبحار وقال ناعز يرفكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير نرفها
فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب (وانظر الى العظام) أي عظام الحمار وعظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشرها) تحركها ونزع بعضها الى بعض للتركيب ننشرها بالراء مجازي و بصري نخيها (ثم نسوها) أي العظام (لجأ)

اني اهلك فقام ارمياء فيهم ولم يدري ما يقول فاهله الله تعالى في الوقت خطيبة بايعة طويلة بين لهم فيها ثواب
 الطاعة وعقاب العصية وقال في آخرها عن الله عز وجل اني اذخركم مني لاني لا يقضن لهم نعمة يتعبدون فيها الحكم
 ولا سلطان عليهم جبارا فارسل اليه الهبة وانزع من صدره الرحمة ببقية عددهم مثل سواد الليل المظلم اوحى الله
 تعالى اليه اني اهلك بني اسرائيل بياض وياضهم اهل بابل وهو من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك
 صاح وبكى وشق ثيابه ونذ الرماذي رأسه فلما رأى الله نضره وبكاه ناديا ارمياء اشق عليك ما وحيث
 اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرائيل مالا أسره فقال الله عز وجل وعزني وجلا لي
 لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه وقال لا والذى
 بعث موسى بالحق لأرضي بهلاك بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا حاصا فاستبشر وفرح
 وقال ان يعد بنار بنا فيذبون بنا وان يعنفنا فرحته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا
 الا عصية وتعادى في الشر فقل الوحي وذلك حين اقرب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط
 الله عليهم بختصر البابلي فخرج في سماناة ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائر اوتى الخبر الى
 ملك بني اسرائيل قال لا رمياء أين مازعمت ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف اليعاد وانا
 به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له
 ارمياء من أنت قال أنا رجل من بني اسرائيل أتيتك استفتيك في أهل رحى وصلت أرحامهم ولم آت اليهم
 الا احسنوا ولا يزدهم اكرامى اياهم الا سخطالى فافتى فيهم فقال ارمياء احسن فيما بينك وبين الله وصلهم
 وأبشر بخير فانصرف الملك فكث ايامهم أقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقدم بين يديه فقال له ارمياء من
 أنت قال أنا الرجل الذى أتيتك استفتيك في شأن أهلى فقال له ارمياء اما طهرت أخلاقهم به ذلك فيهم فقال
 يا بنى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى رحمة الا قدمتها اليهم وم أفضل فقال
 ارمياء ارجع اليهم فاحسن اليهم اسأل الله الذى يصلح عباد الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فكث ايامهم
 ان بختصر نزل بجندوده بيت المقدس ففرغ منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يا بنى الله أين ماعذك الله
 فقال انى برى واتى ثم أقبل ذلك الملك الى ارمياء وهو وقفا على جدار بيت المقدس بضحك ويستبشر بنصر
 ربه الذى وعده فقدم بين يديه فقال له ارمياء من أنت قال أنا الذى جئتك في شأن أهلى مرتين فقال ارمياء
 أما أن لهم ان يفيقوا من الذى هم فيه فقال الملك يا بنى الله ان كل شيء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر
 عليه فالיום رأيتهم على عمل لا يرضى الله تعالى فقال له ارمياء على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم يسخط
 الله تعالى فغضبت الله عز وجل فأتيتك لاخبرك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق ان تدعوا الله عليهم ليهلكوا
 فقال ارمياء يا ملك السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصاب فابقهم وان كانوا
 على عمل لا ترضاه فاهلكهم فما خرجت الكلمة من فيه حتى أرسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت
 المقدس فالتب مكان القربان وأحرق سبعه أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونذ
 الرماذي رأسه وقال يا ملك السموات والارض أين مهادك الذى وعدتني به فتودى انهم لم يصبروا ما صابهم
 الا بفتيك ودعاك عليهم فاستيقن ارمياء انها افتياذ وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج
 ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختصر وجندوده بيت المقدس ووطئ الشام وقبيل بني اسرائيل حتى
 أقفاهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يأكل كل رجل منهم ترسه ترابا وقد فقه في بيت المقدس ففعلوا ذلك
 حتى ملؤهم أمهرهم ان يحجعوهم كان بقى في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم من كان بقى من بني اسرائيل
 من صغير وكبير فاخترتهم سبعين ألف صبي فقسهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم أربعة
 غلعة وكان في أولئك الغلعة دنانير عليه السلام ودنانير وعزير وورق من بقى من بني اسرائيل ثلاث فرق

(واحدة لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يفقههم وقالوا انما لم يقل عمود فلأترب بك بالشمس من المغرب لان الله تعالى صرفه عنه وقيل انه كان
بدعى الى ربوبية نفسه وما كان يعرف بالربوبية لغيره ومعنى قوله انا احى وأميت الذى ينسب اليه الاحياء والامانة انا لا اغيرى والآية
تدل على اباحة لتسليم فى علم

(٢٠٠)

لوسأل ذلك دعا ابراهيم به فكأن ذلك زيادة فى فضيحة نمرود وانقطاعه وقبل ان الله تعالى صرفه عن تلك
المعارضة اظهار المحجة عليه ومجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح (والله لا يهدى القوم
الظالمين) يعنى لا يرشدهم الى حجة بدخضون بها حجج أهل الحق عند الحاجة والمخاصمة وعننى بالظالمين
نمرود ^و قوله عز وجل (أو كاذب مرعى قرية) هذه معطوفة على الآية التى قبلها والمعنى اثم ترى الى الذى حاج
ابراهيم أو كاذب مرعى قرية فيكون هذا عطف على المعنى وقيل تقديره هل رأيت كاذب الذى حاج ابراهيم
وهل رأيت كاذب مرعى قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير اثم ترى الى الذى حاج ابراهيم أو الى الذى مر
على قرية واختلفوا فى ذلك المار فروى عن مجاهد انه كان كافرا شك فى البعث وهذا قول ضعيف لقوله
تعالى قال كذبت والله تعالى ليمحاطب الكافر وقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل
فى حق الكافر وانما يستعمل فى حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير بن شريك
وقال وهب بن منبه هو أرميا بن حلقيا من سبط هرون وهو الخضر ومقصود القصة تعريض منكرى
البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه بعد اماتهم لا تعريض باسم ذلك المار على القرية بقرآن
يكون ذلك المار هو عزير وقرأ أن يكون أرميا وفى هذه القصة دلالة عظيمة بنبوته نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم لانه أخبر اليهود بما يجدونه فى كتبهم ويعرفونه وهو اثم لم يقرأ الكتب القديمة واختلفوا فى
تلك القرية فقيل هى بيت المقدس وذلك لما خر بها تختنصر والمراد بالاحياء هنا عمارتها وقيل هى
القرية التى أهلك الله أهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى ديسابرا أو قيل سلمباد
وقيل هى دبر هرقل وقيل قرية العنب هى على فرسخين من بيت المقدس وقوله هى ديسابرا أو بادوم وضع
كان فارس وسلمباد محلّة أو قرية من نواحي جرجان وقيل أياض من نواحي همدان ودبر هرقل بكسر
أوله ورأى اسما كنهه ووافق مكسورة دبر مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو وضع الذين خرجوا من
ديارهم وهم ألوف فاماتهم الله تعالى ثم أحياهم لحز قيل كما تقدم وقال ان المراد بقوله تعالى أو كاذب مر
على قرية يعنى خاوية على عروشها هى التى عندها أحياء الله جازعير (وهى خاوية على عروشها)
أى ساقطة على سوقها وذلك ان السقوف سقطت أولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك (قال) يعنى
ذلك المار (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) فن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضيف انما جعل على الشك
فى قدرة الله تعالى قال كان ينأى حله على سبيل الاستبعاد بحسب مجازى العرف والعادة لا على سبيل الانسكار
كيفية يحيى الموتى ومعنى أنى يحيى هذه الله من أبن يحيى هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله أن
يريه آية فى نفسه وفى احياء تلك القرية وكان سبب القصة فى ذلك ما روى عن وهب بن منبه ان الله تعالى
بعث أرميا الى ناشية بن أموص ملك بني اسرائيل ليدعوه بأية ما يخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث فى
بني اسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله تعالى الى أرميا أن ذكر قومك نعمى عليهم وعرفهم أحدثهم
وادعهم لى فقال أرميا يارب انى ضعيف ان لم تقوى عاجز ان لم تبلغنى مخلدون ان لم تنصرنى فقال الله تعالى

تكون بين اثنين فدل
على ان ابراهيم حاجه ايضا
ولولم يكن ماحالما يشرها
ابراهيم عليه السلام
المكون الانبياء عليهم
السلام معصومين عن
ارتكاب الحرام ولما
أمر نابعاء الكفر ذالى
الاجن بالله وتوحيده
وادادعوناهم الى ذلك
لا بد ان يطلوا من الدلائل
على ذلك وذلك ليكون
الابعد المناظرة كذا فى
شرح التأويلات (أو
كاذب مر) معناه أو
أرأيت مثل الذى خذف
لدلالة اثم زعليه لان
كاتبهما كلمة تعجب
أوهو محمول على المعنى
دون اللفظ تقديره أرأيت
كاذب حاج ابراهيم أو
كاذب مر وقال صاحب
الكشف فيه الكاف
زائدة والذى عطف على
قوله الى الذى حاج عن
الحسن ان المار كان كافرا
بالبعث لا يتظام مع نمرود
فى ذلك واكملته
الاسم تبعه التى هى أنى
يحيى والا كثر انه عزير

أراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كاطلبه ابراهيم عليه السلام وأنى يحيى اعتراف بالجزع
معرفة ببقاء الاحياء واستعظام لقدرة المحيى (على قرية) هى بيت المقدس حين خربه بختنصر وهى التى خرج منها الالف (وهى خاوية
على عروشها) ساقطة مع سوقها وأسقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش (قال أنى يحيى) أى كيف (هذه) أى
أهل هذه (الله بعد موتها)

(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم أعجب نبيه عليه السلام وسلاهم بمجادلة إبراهيم عليه السلام ثم ورد الذي كان بدعي الر بوبية بقوله (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) في معارضته ر بوبية ربه والهاء في ربه (١٩٩) يرجع إلى إبراهيم وإلى الذي حاج

فهور بهما (أن آتاه الله

المالك) لأن آتاه الله يعني

أن آتاه الملك أباطره وأورثه

الكبر فخاج لذلك وهو

دليل على المعتزلة في الأصلح

أوحاج وقت أن آتاه الله

المالك (اذقال) نصب بحاج

أو بدل من أن آتاه أذاجعل

بمعنى الوقت (إبراهيم ربي)

حزة (الذي يحيي ويميت)

كأنه قال له من ربك قال

ربي الذي يحيي ويميت

(قال) غرود (أنا حيي

وأميت) يريد أعفون

القتل وأقتل فاقطع

الماين بهذاعن الخاصة

فذا إبراهيم عليه السلام

مالايتاني فيه التليس على

الضحة حيث (قال

إبراهيم) عليه السلام

(فان الله يأتي بالشمس

من المشرق فأت بهامن

المغرب) وهذا ليس

باتقال من حجة إلى حجة

كأزم البعض لان الحجة

الاولى كانت لازمة

ولكن لما عاذا العين حجة

الاحياء بتخلية واحد

وقتل آخر كالمه من وجه

لايمانداو كانوا أهل تنجيم

وحركة الكواكب من

المغرب إلى المشرق معلومة

لهم والحركة الشرقية

في حق جميع الكفار رسمي منع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخر اجامن الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خبره وان لم يكونا دخاوا فيه فقط فهو كقول الرجل لا ييه أخر جنتي عن مالك اذا أوصى به الغيرة في حياته وسحره منه مو كقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني الكفار والطاغوت أهل النار الذين يتخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) يعني هل انتهى اليك ما يحمد خبر الذي خاصم إبراهيم وجادله لان ألم تركته بوقسمها الخطاب على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال ألم تر إلى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت فلانا في صنعته والذي حاج إبراهيم هو غرود بن كتمان الجبار وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبهر في الأرض وادعى الربوبية (أن آتاه الله الملك) أي لأن آتاه الله الملك فطني وتجبهر بسببه وكانت تلك الحاجة من بطر الملك وطغيانه قال مجاهد لك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالأول مؤمنان فسلمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فغمرود ويختصر واختلوا في وقت هذه الحاجة فقبل لما كسر إبراهيم الانصام سبحانه غرود ثم أخرجه ليعرق فقال له من ربك الذي تدعونا إليه قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قد حطوا على عهد غرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام فكان اذا أتاه أحد يمتار سألهم من ربك فيقول أنت فغيره فخرج إبراهيم عليه السلام اليه بتمار لاهله الطعام فناداه فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا حيي وأميت قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهامن المغرب فبنت الذي كفر فلهذا يبرطعام فرجع إبراهيم إلى أهله فرعى كتيب رمل أغفر فأخذ منه تطييب القلوب أهله اذا دخل عليهم فلهذا أتى أهله وضع متاعه ثم قامت زوجته سارة إلى رحله ففتحتة فاذا هو طعام أجود مارة أحد فصنعت منه خبزاً فلهذا نهبه فر به إليه فقال لها إبراهيم من أين هذا وكان عهد أهله وليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعل إبراهيم ان الله قد رزقه فخدم الله تعالى ثم ان الله تعالى بعث إلى غرود الجبار ملكاً فقال له ان ربك يقول لك ان آمن بي وأترك في ملكك قال وهل رب غيري بخاء الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جوعك فجمع الجبار جوعه فامر الله الملك ففتح عليه بابامن البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فيمنها عليهم فلم ياكل لحومهم وشرب دماءهم فلم يبق الا العظام وغرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فكتبت في رأسه أربع بعامة سنة يضرب رأسه بالمطارق وكان أرحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما رأسه فكان كذلك يعذب بأربع بعامة سنة مدة ملكه حتى أماته الله عز وجل (اذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت) هذا جواب سؤال غيره ذكر تقدمه قال له غرود من ربك قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت (قال) يعني قال غرود (أنا حيي وأميت) قال أكثر المفسرين دعاء غرود بربلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلى حجة أخرى لا يجوز ان نصر حجة الاولى فانها كانت لازمة لانه أراد بالاحياء احياء الميت فكان لا إبراهيم أن يقول لغرود فاحي من أمت ان كنت صادقا ولكن انتقل إلى حجة أخرى أوضح من الاولى لما رأى من قصورهم وغرود ضعف رأيه فانه عارض الفعل بمثله ونسي اختلاف الفيلين (قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهامن المغرب فبنت الذي كفر) يعني تحجب غرود دهنه وانقطعت حجتهم ولم يرجع اليه شيئا وعرف أنه لا يطبق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه أن يقول لا إبراهيم سل أنت ربك حتى يأتي بهامن المغرب قلت انما لم يزل لأنه خاف انه

المحسوسة لنا قسرية كاستحريك الماء الخلل على الرحي إلى غيرهما تحركة أهل فقال ان ربي يحرك الشمس فسر على غير حجتها فان كنت باخرا كما يحركها فهو أهون (فبنت الذي كفر) تخبرود هض

خلاه ما قال ابن مسعود (١٩٨) وجاعة كان هذا في الابتداء ثم نسخ الامر بالقتال (قديين الرشد من الغي) فمدينا الايمان من

الكفر باللائن الواضحة
(فن يكفر بالطاغوت)
بالشيطان أولادنا
(ويؤمن بالله فقد استمسك)
تمسك (بالهرة) أي المصمم
والمعتاق (الوثني) نأيت الا
وثني أي الاشيد من الحبل
الوثني في المحكم المأمون
(لا انفصام لها) لا انقطاع
للعروة وهذا تمثيل للمعالم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس حتى يتصوره
السامع كأنه ينظر اليه بعينه
فيحكم اعتقاده والمعنى فقد
عقد لنفسه من الدين عقدا
وثيقا لا تخله شبهة (والله سميع)
لا قراره (عالم) باعتقاده
(الله ولي الذين آمنوا)
أرأوا أن يؤمنوا أي
ناصرهم ومتولى أمورهم
(يخرجهم من الظلمات)
من ظلمات الكفر والضلالة
وجعت لاختلافها (الى)
النور الى الايمان والهداية
ووحدة الاتحاد الايمان
(والذين كفروا) ابتدأ
والجملات وهي (أولياؤهم
الطاغوت) خبره
(يخرجونهم من النور
الى الظلمات) وجع لان
الطاغوت في معنى الجمع
يعني والذين صمموا على
الكفر أمرهم على عكس
ذلك والله ولي المؤمنين

الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر ان عاش لها ولد فهو دونه فاذا عاش جعلت في
اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار
استردادهم وقالوا هم أبناءنا وانا غنائمنا فزلت الآية لا كراهة في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
خير أصحابكم فان اختاركم فهم منكم وان اختاروهم فاجلهم بهم وقيل كان رجل من الانصار من بني سالم
ابن عوف يقال له أبو الحامين ابنان متصهران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قديما المدينة في نفر من
النصارى يحملون الزيت فلزهم أبوهمما وقال لأدعكم حتى اساموا فاختصوا والي النبي صلى الله عليه
وسلم وقال يا رسول الله أيد بعض النار وانا أنظر فانزل الله تعالى لا كراهة في الدين غني سبيلهما وقيل نزلت
في أهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكروهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم
كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام أو اقبل وتزل في أهل الكتاب لا كراهة في الدين يعني اذا
قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكروهوا على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية عكمة ليست
بمنسوخة وقيل بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمر وبالقتال ثم نسخت بآية
القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا كراهة في الدين قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشرين سنة لا يكروه أحد في الدين فأني المشركون الا انهم تلوها فاستأذن
الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا كراهة في الدين أي دين الاسلام ليس فيه كراهة عليه (قديين الرشد من
الغي) يعني ظهور وضع وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات
والبراهين الدالة على صحته (فن يكفر بالطاغوت) يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل
ماعد من دون الله تعالى وقيل كل ما يظن الانسان فهو طاغوت فاقول من الطغيان (ويؤمن بالله) أي
ويصدق بالله أنه به معبود ومن دون كل شيء كان عبده وفيه اشارة إلى أنه لا بد للكافر أن يتوب أو لا عن
الكفر وتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله في فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى (فقد استمسك بالعروة
الوثني) أي فقد تمسك واعتصم بالقد الوثني المحكم في الدين والوثني نأيت الأوثني وقيل العروة الوثني
السبب الذي يوصل الى رضا الله تعالى وهو دين الاسلام (لا انفصام لها) أي لا انقطاع لها حتى تؤدبه الى الجنة
والعني ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كلتمسك بالشيء الوثني الذي لا يمكن كسره
ولا انقطاعه (والله سميع) يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين (عالم) بما في
قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياه الى الاسلام علم بحرك على اسلامهم ﴿ قوله عز وجل
(الله ولي الذين آمنوا) أي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولى أمورهم فلا يكلفهم الى غيره وقيل هو متولى
هدايتهم (يخرجهم من الظلمات الى النور) أي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات
والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في صورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به
الايدي والنهار وانما سمى الكفر ظلمة لان تبس طر يقه ولان الظلمة تمنع الابصار عن ادراك الحقائق
فكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان وسمى الاسلام نور لوضوح طريقه وبيان
أدله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) يعني كعب بن الاشرف وحبي بن أخطب وسائر رؤس الضلالة
(يخرجونهم من النور الى الظلمات) أي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال يخرجونهم من النور
الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قطقاتهم اليه ودكونا موقنين بحمد الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته
قبل أن يبعث لم يجدون في كتبهم من نفعه وصفته فلما ثبت كفره وابوه وجدوا نبوته وقيل هو على العموم

(وسمى كرسية السموات والارض) أى علمه ومنه الكراسى لتضمنها العلم والكراسى العلماء وسمى العلم كرسياً تسميته بمكانه الذى هو كرسى العالم وهو كوة وله تعالى رتبة وعلماء وأملكه تسميته بمكانه الذى هو كرسى الملك أو عرشه كذا عن الحسن أو هو سر يردون العرش فى الحديث ما السموات السبع فى الكرسى الا خلفه لملاقاة بقلادة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على ناك الحلقة أو قدرته بدليل قوله (ولا يؤده) ولا ينقله ولا يثيق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلى) فى ملكه وسلطانه (العظيم) فى عزه وجلاله وأعلى المتعالى عن الصفات التى تلتحق به العظيم المتصف بالصفات التى تلتحق به فهو جامع مان لكمال التوحيد وانما ترتب الجبل فى آية الكرسى بلا حرف عطف لانها وردت على سبيل البيان فالأولى بيان لقيامه بتدبير (١٩٧) الخلق وكونه بهم. معنا عليه غير سار عنه

والثانية لكونه مال كمالاً
يدبره والثالثة لكبرياء
شأنه والرابعة للاحاطة
بأحوال الخلق والخامسة
لسعته علمه وتعلقه بالعوالم
كأهل الجلاله وعظم قدره
وانما فضلت هذه الآية حتى
ورد فى فضله ما ورد منه
ماروى عن على رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ آية الكرسى
فى دبر كل صلاة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق أو عابد ومن
قرأها اذا أخذ مضجعه
أمنه الله على نفسه وجار
ه وجار جه واليات التى
حواله وقال عليه السلام
سيد البشر آدم وسيد
العرب محمد والاخر وسيد
الفرس سامان وسيد الزوم
صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد

يظهر على غيبه أحد الامن ارتضى من رسول (وسمى كرسية السموات والارض) يقال فلان وسع الشئ سعة اذا احتمله وطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسى فى اللغة من تركب الشئ بعضه على بعض ومنه الكراسى لتركب بعض أروافها على بعض والكرسى فى العرف اسم لما يركب عليه سمي به لتركب خشبته به بعضها على بعض واختلفوا فى المراد بالكرسى هنا على أو بعبارة أقوال أحد هان الكرسى هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسى اسم للسرير الذى يصح الفكن عليه القول الثانى ان الكرسى غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدى ان السموات والارض فى جوف الكرسى كخلفة لملاقاة فلاة والكرسى فى جنب العرش كخلفة فى فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع فى الكرسى كدبرهم سبعة ألقيت فى رس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسى أو بعبارة أملك لكل ملك أو بعبارة أقداهم على الصخرة التى تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة أبى البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر ابني آدم من السنة الى السنة ومالك على صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام من السنة الى السنة ومالك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفى بعض الاخبار ان بين حلة العرش ووجه الكرسى سبعين حجاً بمن طاعة وسبعين حجاً بمن نورة كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحت رقت حلة الكرسى من نور حلة العرش القول الثالث ان الكرسى هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كمان الكرسى يعتمد عليه قال ابن عباس كرسية علمه القول الرابع المراد بالكرسى الملك والسلطان والقدرة لان الكرسى موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن يكنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز (ولا يؤده) أى لا ينقله ولا يجوده ولا يثيق عليه (حفظهما) أى حفظ السموات والارض (وهو العلى) أى الرفيع فوق خلقه الذى ليس فوقه شئ فيه يجب له أن يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلى بالاطلاق المتعلى عن الاشياء والانداد والاضداد وقيل العلى بالملك والسلطنة والقهر فلا أعلى منه أحد وقيل معنى العلى فى صفة الله تعالى ما قول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه أنه يعلا وأن يحيط به وصف الواسفين (العظيم) يعنى أنه ذو العظمة والكبرياء الذى لا شئ أعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذى فى عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو فى صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشأن وجلالة القدر ودون العظم الذى هو من نوع الاجسام ﴿ قوله عز وجل (لا كراهى فى الدين) سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرأة من

الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن: سيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى وقال ما قرئت هذه الآية فى دار الالهجرة ما شيطان ثلاثين يوماً ولا بدخلها ساحر ولا ساحرة أو بعين ليسة وقال من قرأ آية الكرسى عند منامه بعث اليه ملك بحرسه حتى يصبح وقال من قرأها ثنتين حين يرمى حفظ بهما حتى يصبح وحين قرأها حين يصبح حفظ بهما حتى يرمى آية الكرسى وأول حم المؤمن الى اليه المصير لاشتماله على توحيد الله تعالى وبعينه وتبجيد وصفاته العظمى ولما ذكر أعظم من رب العزة فما كان أفضل من سائر الاذكار وبه يعلم ان شرف اليوم علم التوحيد (لا كراهى فى الدين) أى لا اجبار على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل هو اخبار فى معنى النهى وروى أنه كان لاصارى ابندان فتصرا فآثرهما أبوتهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصارى يا رسول الله أدخل بعضى فى النار وأنا أنظر فتزلت

الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا يفتنى له أن ينام فعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه مستعمل في حقه
 لان النوم انما هو غلبة على العقل بسطة به الاحساس والله تعالى منزّه عن ذلك وقوله يخفّض القسط ويرفعه
 أراد بالقسط الميزان الذي يرفع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفّض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال
 العباد المرتفعة اليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفّض يقبض ويضيق على من
 يشاء ويرفعه أي يوسع على من يشاء وقوله يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار يعني ان الحافظة من الملائكة
 يصعدون بأعمال العباد في الليل بعد انقضاءه في أول النهار ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضاءه في أول
 الليل وقوله سبحانه والورلوكشفه لاحرق سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين
 المهملة والباء الموحدة تحت وبضم التاء في آخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه
 والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما تكون الاجسام المحدودة والله تعالى نزه عن الجسم والجسد
 فالمراد به هنا الشيء المنع من الرؤية وسمى ذلك الشيء المنع نوراً أو ناراً لانها بمنعها من الادراك في العادة
 والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط
 بجميع الكائنات ولقطة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعض ومعنى الحدوث لوزال المانع وهو
 الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى خلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا
 الحديث والله أعلم وروى الطبري بسند عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام
 سأل الملائكة هل ينام الله تعالى فأوحى الله تعالى الى الملائكة وأمرهم أن يورقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام
 ففعلوا ثم أعطوه قارورين فامسكهما ثم تركوه وحذروهما أن يكسرها فجعلت نغس وينتبه وهما في يديه في
 كل يد واحدة حتى نغس نسة فضرب احدهما بالآخرى فكسرها قال معمر انما هو مثل ضرب به الله تعالى
 له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن أبي هريرة مرفوعاً قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وكثر نحو حديث ابن عباس قال
 بعض العلماء ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطالب الرؤية من
 موسى لان الانبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب اموسى مثل هذا السؤال
 والله تعالى أعلم ﴿ قوله تعالى (لهما في السموات وما في الارض) يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك غير
 شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفيه ملكه فان قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات
 قلت لما كان المراد اضافة كل ماسواه اليه من الخلق والملك وركان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب
 مجرى الكل فعبر عنه بلفظ ما (من الذي يشفع عنه الاباذنه) أي بأمره وهذا استفهام انكاري والمعنى
 لا يشفع عنه أحد الابصار وادارته وذلك لان المنكرين زعموا ان الاله نام تشفع لهم فاخبرناه لاشفاعة
 لاحد عنه الاماستثناء بقوله الاباذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبياء
 والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم البعض (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) يعني ما بين أيديهم من الدنيا وما
 خلفهم من الآخرة وقيل بعكسه لانه بعدد ون على الآخرة وتخفون الدنيا وراؤهم وقيل يعلم
 ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خيراً وشر وما خلفهم مما هم فاعلوه والقصود
 من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أحوال جميع خلقه (ولا يحيطون بشيء
 من علمه) يقال أحاط بالشيء اذا علمه وهو أن يعلم وجوده وجنس وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه
 وجهه في قلبه فقد أحاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى أن أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى (الابشاشاء) يعني
 أن ظاههم وعليهم وهم الانبياء والرسل ليكون ما يعلمهم عليه من علم غيبه دليلاً على نوتهم كما قال تعالى فلا

(لهما في السموات وما في الارض) ملكا وملكاً (من ذا الذي يشفع عنه الله لا بذنه) ليس لاحد أن يشفع عنه الاباذنه وهويان للكونه وكبريائه وان أحد الالهات ان يشكك يوم القيامة اذا أذن له في السكلام وفيه رد زعم الكفار ان الاصنام تشفع لهم (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم ما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم المخلوق (ولا يحيطون بشيء من علمه) من معلومه يقال في الدعا اللهم اغفر فينا علمك أي مع الامعاء (الابشاشاء) الامعاء

فصل في فضل هذه الآية الكريمة **﴿عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ﴾** وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آتى القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذى قوله ان لكل شىء سناما سنام كل شىء **﴿أَعْلَاهُ شَيْبًا بِسَنَامِ الْبَيْرِ وَالْمَادِمَةِ تَعْلِيمُ هَذِهِ السُّورَةِ وَالسَّيِّدِ الْفَاضِلِ فِي قَوْمِهِ وَالشَّرِيفِ وَالْكَرِيمِ وَأَصْلُهُ مِنْ سَادِيسُودَ وَقَوْلُهُ هِيَ سَيِّدَةُ آتَى الْقُرْآنَ آتَى أَفْضَلُهُ (م)﴾** عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المذرئى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم فصرى بى صدرى وقال ليمنك العلم يا أبا المنذر عن واثة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم فى صفة المهاجرين فسأله انسان أى آية فى القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحى القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء انما تجزأت آية الكرسي بكونها أعظم آية فى القرآن لما جمعت من أصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقدرة والارادة فهذه أصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى أعظم من كونه من توحيد وتعظيم كان أعظم الادكار وفى هذا الحديث حجة ان يقول يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض ونفضيله على سائر كتب الله العزلة ومنه من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض جماعة منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقى قال لان تفضيل بعضه على بعض يقتضى نقص المفضل وليس فى كلام الله عز وجل نقص وتأول هؤلاء ما ورد من اطلاق لفظ أعظم وأفضل على بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم أجزائه وأجزايل ثوابه وقول ان هذه الآية اوهذه السورة أعظم وأفضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها أكثر وهذا المختار وهو معنى الحديث والله أعلم **﴿عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَرَأَ مِنْ يَصْبَحُ آيَةَ الْكَرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ أُولِهِمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ حَفِظَ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ مِنْ قَرَأَهَا حِينَ يَمُوتُ حَفِظَ بَيْتَهُ تِلْكَ حَتَّى يَصْبَحُ﴾** أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وأما التفسير فقول عز وجل الله لا اله الا هو فى الالهية عن كل ما سواه وأثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا بذكره بذكره الحى يعنى الباقي على الابد الدائم بلا زوال والحى فى صفة الله تعالى هو الذى لم يزل موجودا وبالحياء وصفه فالتحدث له الحياة بعد موت ولا يعتبر به الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواء يعتبر بهم الموت والعدم فكل شىء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القائم على كل شىء وتأويله انه تعالى قائم بتدبير خلقه فى إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذى يتمتع به التغيير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم يفعل من القيام وهو نعمت القائم على الشىء **﴿لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾** السنة ما يتقدم النوم من الغتور الذى يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان والنوم هو الثقل الزليل للعقل والقوة وقيل السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القاب فالسنة هى أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء والمعنى لا تأخذه سنة فاعلان أن يأخذه نوم لان النوم والسهرة والقفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشياء عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزوع عن النقص والآفات وأن ذلك تغير والله تعالى منزوع عن التغير **﴿م﴾** عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بمحس كاهات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا يئبى له أن ينام بخفض القسط ورفعه برفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل بحجاب النور وفى رواية النار لو كشفه لاحرق سبع حبات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه **﴿شرح ما يتابعى بلفظ هذا الحديث: قول من شرح مسلم الشيخ محي الدين الزوى قوله صلى**

(الله لا اله الا هو) لامع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه فى موضع الرفع خبر الابتداء وهو الله (الحى) الباقي الذى لا سبيل عليه للفناء (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (لأن تأخذه سنة) نعاس وهو ما يتقدم النوم من الغتور (ولأنوم) عن الفضل السنة نقل فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو تأخير كيد للقيام لان من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما وقد أوحى الى موسى عليه السلام قل لؤلؤا نى أمسك السموات والارض بقدرى فلو أخذنى نوم أو نعاس لالتا

(وَأَيُّنَا عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ) كاحياء الموتى وبراء الاكهم والابرص وغير ذلك (وَأَيُّنَا نَاهُ بَرُوحُ الْقُدُسِ) قُوْنَاهُ بِجَبْرِيلَ أَوْ
أَوْ بِالْأَنْجِيلِ (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) (الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ (مَنْ يَدْعُو مَا دَعَاهُمْ

البنات) المجزات الظاهرات
(ولكن اختلفوا) بمشيئتي
ثم بين الاختلاف فقل
(فمنهم من آمن ومنهم من
كفر) بمشيئتي يقول الله
أجريت أمور رسلي على
هذا أي لم يجتمع لاسد
منهم طاعة جميع أمته في
حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا
عليه ففهم من آمن ومنهم
من كفر (ولو شاء الله
ما اقتتلوا) كمرماتاً كيد
أي لو شئت أن لا يقتتلوا
لم يقتتلوا اذ لا يجري في
ملكى الاما بوافق مشيئتي
وهذا يبطل قول المعتزلة
لأنه أخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا
لم يقتتلوا وهم يقولون شاء
أن لا يقتتلوا فاققتلوا (ولكن
الله يفعل ما يريد) أثبت
الارادة لنفسه كهمومذهب
أهل السنة (بأيها الذين
آمنوا انفقوا ما رزقناكم)
في الجهاد في سبيل الله و
هو عام في كل صدقة واجبة
(من قبل أن يأتي يوم لا بيع
فيه) أي من قبل أن يأتي
يوم لا تقدر ان فيه على
تدارك ما فاتكم من الانفاق
لانه لا بيع في حق تبتاءوا
ما تنفقونه (ولا خلة) حتى
يسامحكم اخلاؤكم به (ولا
شفاعة) أي للكافرين

عن معارضته والاتبان مثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أو حاءاً من الله أن فارحوا أن يكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خصالاً يطهون أحد من الانبياء قبل نصرت بالرب ميرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني مارجل من أمتي أدركته الصلاة فيلصق وأحلت لي الغنائم ولم تحل لي الا حديقتي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلي الناس عامة (ثم) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت على الانبياء بيث أعطيت جوامع الكرام ونصرت بالرب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلائق كافة وختم لي النبيون فان قلت لم ذكر على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم مالا يخفى لم يفي به الشهادة بأنه العلم الذي لا يشبه ولا يتبسفوك يقول الرجل وقد فعل شيئاً فله بعضكم أو أحدكم ويريد نفسه فيكون أخف من الصريح به كاستل الحطية من أشعر الناس قال زهير والناطقة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه (ق) وقوله تعالى (وَأَيُّنَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَنَاتِ) يعني الحجج والادلة الباهرة والمجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكهم والابرص واحياء الموتى (وَأَيُّنَا نَاهُ بَرُوحُ الْقُدُسِ) أي وقوينا به جبريل عليه السلام فكان معه أن رفعه الى عنان السماء السابعة فان قلت لم خص موسى وعيسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما وتيامن الآيات العظيمة والمجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفصيل حيث جعل التكريم من الفضل وهو آية عظيمة وتأيد عيسى روح القدس آية عظيمة أيضاً فلما أوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفصيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء أعظم آيات وأكثر معجزات كان أفضل ولهذا أحرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصباب السبق في الفضل لانه أعظم الانبياء آيات وأكثرهم معجزات فهو أفضلهم صلى الله عليه وسلم وعالمهم أجمعين (ولو شاء الله) أي ولو أراد الله وأصل المشبهة الارادة (ما اقتتل الذين من بعدهم) يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله (من بعد ما جاءتهم البينات) أي الدلالات الواضحات من الله بما فيه من دلائل الله تعالى ووقفه (ولكن اختلفوا) يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل (فمنهم من آمن) أي ثبت على إيمانه بالله ورسوله بفضل الله (ومنهم من كفر) أي ومنهم من أعمد الكفر بعد قيام الحجج وبعثة الرسل (ولو شاء الله ما اقتتلوا) أي ولو أراد الله أن يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك (ولكن الله يفعل ما يريد) يعني انه تعالى يوفق من يشاء طاعة والابان به فضلائه ورحمة ويخلف من يشاء عدلائه لاعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل على بن أبي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال طريق مظلماً فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلج به فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تنفسه (قوله عز وجل) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ) قبل أراد به الزكاة الواجبة وقيل أراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) أي لانه فيه وانما ساء به الان انفساء شراء النفس من الهلاك والنجي قديموا لانفسك اليوم من أموالكم من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيه فيكسب الانسان ما يقتدي به من الذناب (ولا خلة) أي ولا مودة ولا صداقة (ولا شفاعة) وظاهر هذا يقتضي أني الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاماً محصوا (والكافرون هم الظالمون) لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها (قوله عز وجل

فاما المؤمنون فاهم شفاعة والابانهم) والكافرون
هم الظالمون) أئفهم بتركهم التقديم ليوم حاجتهم والكافرون بهذا اليوم هم الظالمون لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة مكي وبصري

(ولولا دفع الله الناس) هو مفعول به (بعضهم) يدل من الناس دفاع مدني مصدر دفع أو دفع (ببعض) لفسد الأرض) أي ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وكفهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وطلت مضافه من الحرب والنسل أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخرب البلاد وتعذب العباد (ولكن الله ذو فضل على العالمين) بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسئلة الأصلح (تلك) مبتدأ خبره (١٩٣) (آيات الله) يعني القصص التي

اقتصها من حديث الألف وامنتهم وأحيائهم وتعليك طالوت وظهاره على الجبارة على يدصي (تلاوها) حال من آيات الله والعالم فيه معنى الإشارة أو آيات الله بل من تلك وتلاوها الخبر (عليك بالحق) بالية بين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تجربهم من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله (تلك الرسل) إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود والتي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام (فضلنا بعضهم على بعض) بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الإيمان ثم بين ذلك بقوله (منهم) من كلام الله أي كلمة الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بأن كلمة من غير سفر وهو موسى

صلوات السلسلة فيعلم داود ذلك الحديث ولا يسمه اذ وعاهه الأبرار وكانوا يتحاجون اليه بعد داود إلى أن رفعت في تسمى على صاحبها وأنكره حقاً في السلسلة فمن كان صادقاً قديماً به إلى السلسلة فنالها ومن كان كاذباً لم ينالها فكانت كذلك إلى أن ظهر رفيعهم المكر واخبت فيلغنا أن بعض ماوهمهم أودع رجلها جورة ثنية فلما طالبه بأوديعة أنكرها بها فاحدا كإلى السلسلة فعد ما الذي عنده الجورة إلى عكازة فقهرها وجعل الجورة قيم أودعته عليها حتى أتيا السلسلة فقال صاحب الجورة رد على الوديعة فقال صاحبها ما أعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقة فاول السلسلة فتناوطا بيده وقال له المكرم قم أنت أيضاً فتناوطا فقل صاحب الجورة هرة فأسك عكازي فأخذها الرجل منه وقام المكر إلى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي رديها قد وصلت إليه فاقرب السلسلة مني ومديرة فتناوطا ففجأ القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة ﷻ قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس ببعضهم) يعني ولولا أن الله يدفع بعض الناس وهم أهل الإيمن والطاعة بضواهم أهل الكفر والمعاصي قل ابن عباس ولولا دفع الله بحضرة المسلمين أغلب المنكرين على الأرض وقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل مناهه لولا دفع الله بالمؤمنين والابرار على الكفار والافجار (انفسد الأرض) يعني هلكت بن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وبالصالحين عن الفاجر روى أحمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدفع بالمسلم الصالحين مائة أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام وافضل عم الناس كلهم (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألف وامنتهم وأحيائهم وتعليك طالوت وظهاره بالآية وهي الثابت وهلاك الجبارة على يدصي (تلاوها عليك بالحق) أي باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لانه في كتبهم (وانك لمن المرسلين) يعني حيث تجربهم بهذه الاخبار الجببية والقصص القديمة من غير أن تعرف بقراءة كتاب واسماع أخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تجربهم به وحى من الله تعالى ﷻ قوله عز وجل (تلك الرسل) يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة (فضلنا بعضهم على بعض) فيه دليل على زوال الشبهة بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجبت الأمة على ان الانبياء بعضهم أفضل من بعض وان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم أجمع وهو قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً (منهم) أي من الرسل (من كلام الله) أي كلمة الله وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) يعني محمد صلى الله عليه وسلم رفع الله مناصبه ومقامه على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات والنبات والمجربات الباهرات فما أوتي نبي من الانبياء آية أو معجزة إلا أوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات آخر مثل انشقاق القمر بشارته وحنين الخدع الذي حن عند مفارقتها وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهد قبر سائته ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا تحصى كثرة وأعظمها وأظهرها معجزة آية القرآن العظيم الذي عجز أهل الأرض

(٢٥ - خازن - اول) عليه السلام (ورفع بعضهم) مفعول أول (درجات) مفعول ثان أي بدرجات أو إلى درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو الفضل عليهم بإرساله إلى الكافرون بأنه أوتي ما لم يؤت أحد من الانبياء المتكاثرة المرتبة إلى ألأ أو أكثرها القرآن لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر وفي هذا الإبهام تفخيم وبيان انه العلم الذي لا يشك به على أحد والمتعين الذي لا يلبس وقيل أراد به محمد وبرايم وغيرهما من أولي العزم من الرسل

البرية فقال اليوم أقتله وركب في أثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فرغ لم يدركه فدخل غارا فأمسى الله تعالى الى العنكبوت فسنجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هناك خرق هذا السج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى أتى جبل التبعدين فتمتع بهم وطعم من العسل والعباد والعلماء حتى أتى بامرأته تعلم الاسم الاعظم فامر خباز بقتلها فخرج الخباز فلم يبقها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحله الناس وكان كل ايلة يخرج الى القبور ويكي وينادي أنشد الله عبيداه لم يولد في نوبة الا أخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت أمتري أن قتلتنا حتى تؤذي بنا أو اتانا فزاد خبزا وبكاء فوجهه الخباز الى طالوت لما رأى من حاله وقال مالك أيها الملك فأخبره وقال هل تعلمي توبة أو تعد لم في الارض عالم أسأله عن توبتي فقال له الخباز أيها الملك ان ذلك على عالم يوشك ان تقتله فقال لا فتوتني منه بالهين فأخبره ان تلك المرأة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها أسألك عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قرب بامن الباب قال له الخباز أيها الملك انها اذارتك فرغت ولكن انت خافي فلما دخل عليها قال لها الخباز يا هذا أنت تعلمين حتى عليك قالت لي قال اني اليك حاجة فتقصها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسأل هل لمن توبة فلما سمعت بذلك طالوت غشي عليها فلما أفاق قالت والله ما أعلم له توبة ولكن دلوني على قبر بني فاطمة واما بها الى قبر اشمويل فوقف عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج بنفض القرب عن رأسه فلما نظر الى ثلاثهم قال ما سلمت قامت القيامة قالت لا ولكن هذا طالوت قد جاء يسألك هل لمن توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بهدي قال لم أدع من الشر شيئا الا فعلته وجمعت أطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما أعلمك من توبة الا ان تتخلى من ممالكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم قاتل أنت حتى تقتل آخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت أسخن ما كان رهيبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بقي حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع أولاده وقال لهم أرايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنفذونني منها فقالوا بلى تنفذك بما تعدر عليه قال فانها النار ان لم تنفعلوا ما أمركم به قالوا اعرض علينا ما أردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لتقول قال نعم قالوا فلا خبر لنا في الحياة بعدك فطابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم أولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شدهم من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما أنت بباقي بعده وقله فكان ملك طالوت الى ان قتل مدة أربعين سنة فأتى بنو اسرائيل الى داود فلكوه عليهم وأعطوا دخرات طالوت قال الكلي والضحك ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على داود فذلك قوله تعالى (وأنا لله الملك والحكمة) يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به (وعلمه ما يشاء) أي وعلم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يبط الله أخدام من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرأ الزبور نود منه الوحوش حتى يؤخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الريح عند قراءته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن من بيت ذلك حتى يتعلمه من آبائه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجمرة ورأسها عنده ومعه قوتها قوة الحديد بدولته والنور وحلته مستديرة مفصلة بالجوهر مدمرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث في الطوارىء الا

لحمها في غلاته ورمى بها
بجالت فقتله ووجهه طالوت
بنته ثم حسده وأراد قتله
ثم مات نائبا (وأنا لله
الملك) في مشارق الارض
المقدسة ومغارها واما
اجتمعت بنو اسرائيل
على ملك قط فقبل داود
(والحكمة) والنبوة
(وعلمه ما يشاء) من
صناعة الدروع وكلام
الطيور والدواب وغبير

شياً تنقوى به على قتله قال نعم أنا رعى الغنم فيعجب الاسد والنمر والذئب فيأخذ شاة من الغنم فاقتوم
 فافتح لحية عنها وأخرجها من فقاها فأخذ طالوت داود وورده الى العسكر فرد داود عليه السلام في طريقه
 بمحجر فزاده يا داود أاجلني فاني محجرون خمله ثم مر بمحجر آخر فقال يا داود أاجلني فاني محجرون خمله
 ثم مر بمحجر آخر فقال يا داود أاجلني فاني محجرون الذي تقتل به جالوت خمله فوضع الثلاثة في محلاته فلما
 رجع طالوت الى العسكر معه داود وتصفوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام
 فاعطى طالوت داود فرساً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قرياً ثم رجع الى طالوت فقال من
 حوله جبن الغلام فجاءه فوقف على طالوت فقال له ما شأئك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني ربي
 لم يغن هذا السلاح عني شيئاً وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني فأقاتل كما أريد فقال نعم فأخذ داود مخلاته
 وتقلدها وأخذ المقلع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان مهزم الجيوش
 وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يريد به وقع الرعب في قلبه فقال له
 جالوت وأنت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس أبقى عليه السلاح التام فقال أيتيتي بالمقلع والحر كما يؤتى
 السكاب فقال نعم وأنت شرم السكاب قال جالوت لاجرم لأقسمن لملك بين سبع ارض وطير السماء فقال
 داود عليه السلام أو يقسم الله لملك ثم قال داود باسم الله ابراهيم وإسحق وأخرج حجراً ثم قال باسم الله اسحق وأخرج
 حجراً ثم قال باسم الله يعقوب وأخرج حجراً ووضعها في مقلعه فصارت الثلاثة حجراً واحداً وأدار داود المقلع
 ورمى به جالوت فسدخ الله له الرمح فحملت الحجر حتى أصاب انف البيضة فغلظ دماغ جالوت وخرج من فقاها
 وقتل من وراءه ثلاثين رجلاً وحو جالوت صريعاً فقتلها فأخذ داود ويجري حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح
 بنوا اسرائيل بذلك فرحاً شديداً وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سائلين غائبين وجعل الناس
 يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني فقال له أتر يدابنه الملك بغير صدق فقال
 داود ما شرطت على صدق أو ليس لي شيء فقال لا أكلفك الاما تطيق أن ترجل جري وفي حيالنا أعداء
 لنا غلب فان قتل منهم مائتي رجل وجهتني بغلبهم وزوجتك ابنتي فاناهم فجعل كل قاتل واحداً منهم نظم غلبته
 في خيط حتى نظم مائتي غلبة فجاءهم الى طالوت وألقاها بين يديه وقال ادفع الى امرأتني فزوجها ابنته وأجرى
 خاتمه في ملكه فحال الناس الى داود عليه السلام وأحبوه وأكثر واذا كرهه فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر
 بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذوالعينين فأخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني
 قالت أبي قال وهل أجرت جرم ماوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة
 حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان ير يد ذلك فلا أستطيع خروجا ولكن اتيتني بزق خرقاته به فوضعه
 في مضجعه على سريره وسجده ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته أين بعلك
 قالت هو قائم على سريرته فضر به بالسهيف فسال الخمر فلم يوجد رجع الخمر فقال برحم الله داود ما كان أكثر
 شر به لاخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال ان رجلاً طابت منه ما طابت لحقيق أن لا يدعني
 حتى يدرك ثأره مني فاشتد محابه وحواسته وأغاثي دونه أبوابهم ان داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى
 الله عنه الحجاب ففتح الابواب ودخل عليه وهو قائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه
 وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهم ففر فها فقال برحم الله داود هو
 خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرتني فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حياقي وما أنا بالذي آمنه فلما
 كان من الليلة القابلة أتاه ثانياً فاعمى الله عنه الحجاب فدخل عليه وهو قائم فأنذر بريق وضوئه وكوزه
 الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحية وشي من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى
 ذلك سلك على داود اعيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب بوماً فوجد داود يمشي في

لنا اليوم) أى لا قوة لنا
(بجالت) هو جبار من
العمالقة من أولاد عمليق
ابن عاد وكان في بيضته
ثلاثة تطل من الحديد
(وجنوده) قال الذين
يظنون أنهم ملاقوا الله
يوقنون بالشهادة فيقول
الضعيف في قالوا لكثير الذين
اخذوا للذين يظنونهم
القليل الذين ثبتوا وروى
ان العسرة كانت تكفى
الرجس للشر به وادواته
والذين شر بوا منه اسودت
شفاهم وغابهم العطش
(كم من فئة قليلة) كم
خبرية وموضعها رفع
بالابتداء (غلبت) خبرها
(فئة كثيرة باذن الله)
بنصره (والله مع الصابرين)
بالنصر (ولما برزوا للجالت
وجنوده) خرجوا لقتالهم
(قالوا ربنا افرغ) اصاب
(علينا صبرا) على القتال
(وثبت اقدامنا) بتقوية
قلوبنا والقاء الرعب في
صدور عدونا (وانصرنا
على القوم الكافرين) اعنا
عليهم (فهزمهم) أى
طالوت والمؤمنون جالت
وجنوده (باذن الله) بقضائه
(وقتل داود جالت) كان
ايشا أبو داود في عسكر
طالوت مع ستة من بني
وكان داود سابعهم وهو
صغير يرى الغنم فارى الله
الى نبيهم ان داود هو الذى

والمنافق والطائع والعاصى فلما رأوا العدو وقال المنافقون (لا طاعة لنا اليوم بجالت وجنوده) فاجابهم
المؤمنون بقولهم كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت المؤمنون خاصة قوله
تعالى فلما جاوزوه والذين آمنوا معه فان قلت ففى هذا القول من القائل لا طاعة لنا اليوم بجالت وجنوده
قلت يحتمل أن يكون أهل الايمان وهم الثلاثة وبعة عشر اقساموا الى قسمين قسم حين رأوا العدو
وكثرت وقلة المؤمنين قالوا لا طاعة لنا اليوم بجالت وجنوده فاجابهم القسم الآخر بقولهم كم من فئة قليلة
غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاعة لنا الاقولة لنا اليوم بجالت وجنوده (قال الذين
يظنون) أى يستيقنون ويعلمون (أنهم ملاقوا الله) أى ملاقوا ثواب الله ورضائه في الدار الآخرة (كم
من فئة قليلة) الفئة الجماعة الواحدة من لفظة كالرط (غلبت فئة كثيرة باذن الله) أى بقضاء الله وادارته
(والله مع الصابرين) معنى بالنصر والمعونة قوله عز وجل (ولما برزوا) بنى طالوت وجنوده المؤمنين
(الجالت وجنوده) بنى الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى منها (قالوا)
يعنى المؤمنين أصحاب طالوت (ربنا افرغ) أى اصب (علينا صبرا وثبت اقدامنا) أى قو قلوبنا لتثبت
اقدامنا (وانصرنا على القوم الكافرين) وذلك ان جالت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المؤمنون الله
ان ينصرهم على القوم الكافرين (فهزمهم باذن الله) يعنى ان الله تعالى استجاب دعاء المؤمنين فأفرغ
عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فزهمهم باذن الله يعنى بقضائه
وارادته وأصل المزم في اللغة الكسر أى كسرهم ورددهم (وقتل داود جالت) وكانت قصة قتله على ما ذكره
أهل التفسير وأصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا أبو داود في ثلاثة عشر ابنه له وكان داود
أصغرهم وكان يرى بالقصة فقال داود لايه يومأرأيتاه مارى بقذاتى شيأ الاصرعته فقال له أبوه ابشر
يا بنى فان الله قد جعل رزقك في قذاتك ثم أضاء مرة أخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
أسد ارباضا فركبته وأخذت باذنه فزهمجنى فقال له أبوه ابشر يا بنى فان هذا خير بر بده الله بك ثم أضاء يوما
آخر فقال له يا ابتاه انى لأمشى بين الجبال فاسبح فلا يبق جبل الا يسبح معى فقال يا بنى ابشر فان هذا خير
أعطاك الله تعالى قالوا فاسل جالت الجبار الى طالوت ملك بنى اسرائيل أن ابرزالى وأبرز اليك وأبرزالى
من يقاتلنى فان قتلتنى فلكم ملكى وان قتلتنى فلى ما لككم فشقى ذلك على طالوت ونادى فى عسكره من قتل
جالت زوجته ابنتى ونافسته ملكى فهاب الناس جالت فلهبجه أحد فسال طالوت نبيهم أن يدعو الله في ذلك
فدعا الله فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذى يقتل جالت هو الذى اذا وضع
هذا القرن على رأسه سال على رأسه حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة
الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتنقل فيه فدعا طالوت بنى اسرائيل وهم جميعا فلبوا فقه أحدهم
فاوحى الله الى نبيهم ان فى ولد ايسام ينقتل جالت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض على نبيك فاستخرج له
اثنى عشر رجلا أمثال السورى فجعل يعرض واحد اواحد على القرن فلا يرى شيأ فقال يا ايشاهل بنى لك
ولد غير هؤلاء فقال لا فقال الذى صلى الله عليه وسلم يارب انه قد نزع من أنه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال له
النبي ان ربي قد نذكرك فقال ايشا صدق ربي يا بنى الله انى ولد صغير اسما ماسمه داود اسعيت أن يراه
الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته فى الغنم رعاها وهو فى شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا صغيرا مسقما
أزرق أمراره مسفرا فدعاه طالوت ويقال انه خرج اليه فوجدته فى الوادى وقد سال الوادى ماء وهو يحمل
شأتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التى ربح فيها غنمه فلما رأه طالوت قال هذا هو الرجل المظلوب
لاشك فيه فيهذا برحم البهاشم فهو بالناس أرحم فدعاه طالوت ووضع القرن على رأسه ففنى وفاض فقال له
طالوت هل لك أن تقتل جالت وأزوجك ابنتى وأحرى خاتمتك فى ملكى قال نعم فقال له هل أنت من نفسك

يقتل جالت فطلبه من أيه جاءه وقد مر في طريقه بثلاثة أشجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت لها انك تقتل بنا جالت

والجـ... له في موضع الحال وكذا فيه سكية ومن ربحك نعت لسكية وما ترك نعت لبقية (ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) ان في رجوع التابوت اليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم ان كنتم صادقين (فما فصل طالوت) خرج (بالجنود) عن بلده الى جهاد العدو والجنود في موضع الحال أي مختلط بالجنود وهم ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسألوا أن يجرى الله لهم نهر (قال) ان الله مبتليكم خبثكم أي بعاملكم معاملة المختبر (نهر) وهونهر فلسطين لتمييز الحق في الجهاد من المعثر (فن شرب منه) كرا (فليس مني) فليس من أتباعي وأتباعي (ومن لم يذوقه مني) ولم يذوقه من طعم الشيء اذا ذاقه (فانه وبفتح الياء مدني) وبفتح واو عمرو واسدني (الامن اغترف من قوله فن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم التامخلة عن الاستثناء الانها قدمت للعناية (غرفة بيده) غرفة سحازي وأبو عمر ويعني المصدر والبضم بمعنى المعروف ومعناه الرخصة في اغترف الفرقه باليد دون الكرع والدليل عليه (فشر بوانه) أي فكرعوا

الصم ملق تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعه في ناحية من مدينتهم فاختار أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمت ان الله بي اسرائيل لا يقوم له شيء فخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك الناحية فأراف كانت القارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا وقد كات ملق في جوفه فخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مغارة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقلنج فتحيروا فيه فقاتلهم امرأة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزول ترون ما تكثره من مادام هذا التابوت فيكم فخرجوه عنكم فانوا بجيلة بإشارة تلك المرأة وجعلوا عليها التابوت ثم علقوه في ثوب وضربوا جنوبها فاقبل الثور ان يسيران ووكل الله بالثور بن أربعة املاك يسوقونهما فاقبل حتى وقف على أرض بني اسرائيل فكسر انبرهما وقطعا حبلاهما ووضعا التابوت في أرض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعه الى أرضها فلم يربح بني اسرائيل الا التابوت عندهم فكبروا وجدوا الله تعالى (تحمله الملائكة) أي تسوقه وقال بن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فملا على طالوت الملك حمله الملائكة ووضعه بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقى هناك فاقابت الملائكة تحمله حتى وضعت في دار طالوت فاصبح في داره فافروا بملكه (ان في ذلك لآية لكم) يعني قال لهم نبيهم شمويل ان في مجي التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدق فيا أخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت وأقروا بالملك اطالوت تاهب للخروج الى الجهاد فاسرعوا لطاعته وخرجوا معه ذلك قوله تعالى (فما فصل طالوت بالجنود) أي خرج وأصل الفصل النقطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون ألف مقاتل وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة وعشرون ألفا لم يتخلف عنه الا كبير لكبره وأمر يرضأ وأمه وعذو له زهره وذلك انهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فاسرعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حوشديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان الماء لا تحملنا فادع الله أن يجرى لنا نهر (قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر) أي يختبركم به لتبين طاعتكم كدهو أعلم بذلك قال ابن عباس وهونهر فلسطين وقيل هونهر عذب بين الاردن وفلسطين (فن شرب منه فليس مني) أي فليس من أهل ديني وطاعتي (ومن لم يذوقه مني) أي لم يذوقه مني الماء (فانه مني) يعني من أهل طاعتي (الامن اغترف غرقة بيده) قرئ بفتح العين وضمها لغتان وقيل الغرة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر (فشر بوانه) يعني من النهر (الا قليلا منهم) قبلهم أربعة آلاف لم يشرب بوانه وقيل ثلثائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البراء بن عازب قال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتحدثون ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزوه معه الا من بضعه عشر وثلثائة أخرجه البخاري في البضع هنالكة عشر فلما وصلوا الى النهر ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه غرفة كآمره الله تعالى كفته لشر به وشرب دوابه وقوى قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالوا الذين شر بوانه وخافوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فبرروا وجنبوا بقواعي شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كاهم ولكن الذين شر بوا لم يحضروا القتال وانما قاتل أولئك القليل الذين لم يشرب بوا وهو قوله تعالى (فلما جاوزوه) يعني جاوز النهر طالوت (والذين آمنوا معه) يعني أولئك القليل (قالوا) يعني الذين شر بوا من النهر وخالفوا أمر الله تعالى وكانوا أهل شك ونفاق فبلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المؤمن

(الا قليلا منهم) وهم ثلثائة وثلاثة عشر رجلا (فلما جاوزوه) أي النهر (هو) طالوت (والذين آمنوا معه)

وكانت هذه التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام تابوتاً فيه صورة الأنبياء عليهم السلام وكان التابوت من خشب الشمد أطول ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار إلى شيث ثم توارثه ولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم عليه السلام ثم كان عند اسمعيل لأنه كان أكبر ولادهم صار إلى إسماعيل ثم كان في بني إسرائيل إلى أن مات ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل وكان في التوراة ومثاق من متاعه ثم كان عندده إلى أن مات ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت أشمويل وكان في التابوت ما ذكره الله تعالى وهو قوله (فيه سكينتان من ربكم) واختلفوا في تلك السكينتين ما هي فقد عني بن أبي طالب هي ربح خجوج هفافة لمبارسان ووجه كوجه الاندن وقال مجاهد هي شئ يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لها مشاع وجناحان من زمردوز برجد وكانوا إذا ساءوا صبرته بقاء والنصر فكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا ساروا وادأقوف وقفوا وقال ابن عباس هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم إذا اختلفوا في شئ فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن رباح هي ما يعرفون من الآيات التي يسكنون بها أو قال قادة السكينة هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم في أي مكان كان التابوت أطماً أو بؤساً أو بالي وهذا القول أولى بالصدقة في هذا كل شئ كانوا يسكنون إليه فهو سكينته فيحمل على جميع ما قيل فيه لأن كل شئ يسكن إليه القلب فهو سكينته ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول واضعيف آخر (وقوله تعالى (وبقية ما ترك آل موسى وآل هرون) يعني موسى وهرون أنفسهم بائيل قوله صلى الله عليه وسلم لا يبي موسى الأشعري لقد أتيت من ماران من أمير آل داود فالمراد بعد ادنفسه واختلافوا في تلك البقية التي ترك آل موسى وآل هرون فقيس رضاض من الألواح وعصاه موسى قاله ابن عباس وقيل عصاه موسى وعصاه هرون وشئ من الألواح أشورا وقيل كانت ألواح التوراة وقيل كان فيه عصاه موسى ولعلاه عصاه هرون وعصاهته وقبر من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل فكان التابوت عند بني إسرائيل وتوارثوه قرياً بعد قرن وكانوا إذا اختلفوا في شئ عما كوا إليه فيسكنوا ويحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال قومه بين أيديهم يستفتون به على عدوهم فيصرون فلما عصوا وأفقدوا ساطع الله عز وجل عليهم العما لفة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب في ذلك أنه كان أعلي وهو الشيخ الذي في أشمويل ابنان شبان وكان علي جبرئيل إسرائيل وصاحب قرياهم في زمنه فأحدث ابناه في الزربان شيأ لم يكن فيه وذلك أنه كان منوط القربان لدى نوطونه كلا بين فلما أخرجاهما كالساكنين الذي كان نوطه فجعل ابناه كلاب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيثبنتان مهن فأنسى إلى أشمويل أن انطلق إلى عيلى وقال له منعك حب الولد من أن تزجر ابنك عن أن يحداثي قرباني وقدي شيأ وأن يصياني فلا تزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكك وإياهم فاخبره أشمويل بذلك ففزع وسار إليهم عدوهم من حولهم فأمر عيلى ابنه أن يخرج بالناس فيقاتل ذلك العدو وغربا وأخرجهما التابوت فلما انتهى للقتال جعل عيلى يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره أن الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه فلما فعل في التابوت قال أخذوه العدو وكان عيلى قاعداً على كرسية فشقق ووقع على قفاه فبات خرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً فأسأوا أشمويل البينة على محنته طالوت فقال لهم بنوهم يعني أشمويل أن آية ملكية معني علامة ملكية التي تدل على محنته أن يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره أصحاب الاخبار أن الذين أخذوا التابوت من بني إسرائيل أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها زرد فجعلوه في بيت أصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فاصبحوا من الغد الصنم تحتها فأنه ووضعه فوقه وسمره وأقدمي الصنم إلى التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح

(فيه سكينتان من ربكم)
سكون وطمانينة (وبقية)
هي رضاض الألواح وعصاه
موسى وثيابه وشئ من
التوراة زينة لموسى وعصاه
هرون عليهما السلام (عما)
ترك آل موسى وآل هرون)
أي عاتركه موسى وهرون
والآل مقحم لتفخيم شاهما

(قالوا انى يكون له الملك علينا) أى كيف ومن أين وهو انكار لملكه عليهم (ونحن أحق بالملك منه) الواو الحال (ولم يؤت سعة من المال) أى كيف بملك علينا والحال أنه لا يستحق الثلث لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعرض به وإن قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوى بن يعقوب وعايه السلام (١٨٧) والملك في سبطهم وذا هوو كان من سبط

وقيل ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن التى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ففسد الدهن في القرن فهو ملك بنى اسرائيل فاذهبن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية ساول بن قيس من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمى طالوت أطول وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت رجلا يدافع الأذى فله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على جمار فضل جواره فخرج يطلبه وقال وهب لمن لم يأت طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام يطلبه فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لودخلنا على هذا النبي فسالناه عن أمر الجبر ابرشنا وليدوك فادخلنا عليه فيبينها عنده يذكر ان له حاجته ما دناش الدهن في القرن فقام اشمويل فقام طالوت بالصا فكانت على طوله فقال طالوت قرب رأسك ففر به اليه فذهبه بدن القدس وقال له أنت ملك بنى اسرائيل الذى أمرني الله تعالى ان أملكك عليهم فقال طالوت وأما علمت ان سبطي من أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال فيأى آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أوك جره فكان كذلك ثم قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال يا أيها الناس ان الله ملك طالوت فأنت عظماء بنى اسرائيل الى بنيهم اشمويل وقالوا له ماشان طالوت تملك علينا وايس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوى بن يعقوب والمملكة في سبطهم واذ بن يعقوب فقال لهم بنهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا (قالوا انى يكون له الملك علينا) أى من أين يكون له الملك وكيف يستحقه (ونحن أحق بالملك منه) انما قالوا ذلك لانه كان من بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة فسبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنه كان موسى وهرون عليهما السلام وسبط الملكة سبطهم واذ بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحد هما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فاذا السبب أنكمروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك بقولهم (ولم يؤت سعة من المال) يعنى أنه فقير والمالك يحتاج الى المال (قال) يعنى اشمويل النبي (ان الله اصطفاه عليكم) أى اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان قول من زعم من الشيعة أن الامامة وورثة وذلك لان بنى اسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا شرط فاسد والمستحق للملك من خصه الله به (وزاده بسطة) أى فضيلة وسعة (في العلم) وذلك انه كان من أعلم بنى اسرائيل وقيل انه أوحى اليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب (والجسم) يعنى بالطول وذلك لانه كان أطول من الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجلال وكان طالوت من أجل بنى اسرائيل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة على الأعداء مما فيه حفظ المملكة (والله يؤتى ملكه من يشاء) يعنى أن الله تعالى لا اعتراض عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من يشاء من عباده (والله واسع) يعنى أن الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء وسعت فضله ورزق كل خلقه والمعنى أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقير والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذوالسعة وهو الذى يعطى عن غنى (علم) يعنى أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعلم هو العلم بما يكون وما كان قوله عز وجل (وقال لهم نبينهم ان آية ملكه أن يأتكم التابوت) وذلك أنهم سألو اشمويل النبي فقالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه أن يأتكم التابوت

والعطاء يوسع على من ايسر له سعة من المال وبغنيه بعد الفقر (علم) بمن يصفه له الملك فتمه طلبوا ومن نبينهم آية على اصطفاه الله طالوت (وقال لهم نبينهم ان آية ملكه أن يأتكم التابوت) أى صندوق الذرة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نقوس بنى اسرائيل ولا يفرون

والجزم على الجواب (في سبيل الله) صلة نقاتل (قال) النبي (هل عسيتم) عسيتم حيث كان نافع (ان كتب عليكم القتال) شرط فاعل بين اسم عسى وخبره وهو (أن لا تقاتلوا) والمعنى هل قار بتم أن لا تقاتلوا يعني هل الامر كما توقعه أنكم لا تقاتلون وتجنبون فادخل هل مستتهما عما هو متوقع عنده وأراد بالاستسـتفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه (قالوا) ومائنا أن لا تقاتل في سبيل الله) وأي داع لنا الى ترك القتال وأي غرض لنافيه (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) الواو في وقد للحال وذلك أن قسوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فاسروا من أبناء ملوكهم أر بعين يعنون اذ بلغ الامر من هذا المبلغ فلا بد من الجهاد (فلما كتب عليهم القتال) أي أجيبوا الى ملتـمسـهم (تولوا) أعرضوا عنه (الاقتيلاءهم) وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر (والله علم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت) هو اسم أعجبي جالوت وداد ومنع من الصر في البحر والجمعة (ما سكا) حال

ثم حذف قيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعده موسى يعثون اليهم ليجددوا منسوا من التوراة وأمرهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعده الياس السبع فكان فيهم ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خالوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البليثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالق فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيرا من ذرارهم وأسروا من أبناء ملوكهم أر بعين وأر بعين غلاما فصر بوا عليهم الجزية وأخذوا ثرواتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلا وسد قلوبهم فلم يذنبوا برأهم وهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امرأته حلي خبوسا في بيت رهبة بن تلك جارية فحبها لعلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو انه أن يزفها غلاما فاولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالهر بية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام أسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام أناء جبر بل عليه السلام وهو مائنا الى جانب الشيخ وكان الشيخ لا يامن عليه أحد فدعاه جبر بل ليعن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فرعا الى الشيخ وقال يا أبته أراك تدعوني ففكره الشيخ أن يقول لا يفزع الغلام فقل يا بني ارجع فقم فقام ثم دعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال ثم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبر بل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما أتاهم كذبوا وقالوا استجبت بالنبوة ولم نتلك وقالوا هل كنت صادقا فابعث لناملكا لقتال في سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجوع والذي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا أر بعين ستة باحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالق ما كان فذلك قوله تعالى اذ قال النبي لهم (ابعث لنا ملكا لقتال في سبيل الله) جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك (قال) يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم (هل عسيتم) هذا استفهام شك يقول لعلكم (ان كتب) أي فرض (عليكم القتال) يعني مع ذلك الملك (أن لا تقاتلوا) يعني لا تقاتلوا فابعث لناملكا لقتال في سبيل الله (قالوا وما لك أن لا تقاتل في سبيل الله) فان قلت ما وجه دخول أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولكن تقول مالك لا تفعل كذا قلت دخول أن وحذفها اغنان صحيحتان فالأثبت كقوله مالك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله مالك لا تؤمنون وقيل معناه وما لاني أن لا تقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان هنازائدة ومعناه وما لك أن لا تقاتل في سبيل الله (وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر السلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا النبيهم ابعث لناملكا كانوا في ديارهم وأبنائهم وانما أخرج من أسرهم ومعنى الآية أنهم قالوا النبيهم انانما كنا نتركنا الجهاد لانا كنا نؤمن وعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذ بلغ ذلك منا فطبيع وبني جهاد عدونا ونمنع نساءنا ولادنا (قال الله تعالى) (فلما كتب عليهم القتال) في السلام حذف وتقدره فقال الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال (تولوا) أي أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله (الاقتيلاء منهم) يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصر على الفرقة على ماسياتي في قمتهم ان شاء الله تعالى (والله علم بالظالمين) يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يفت بما قال (قوله عز وجل) (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فأتى بعضا وقرن فيه ذهن القدس

وأصل القرض في اللغة القطم سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئاً فيعطيه إرجع إليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوبه عنده وهذا تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عبداً لله والمحتاجين من خلفه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله أنى يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعته منك فلم تعلمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعته منك عبيدي فلان فلم تطعمه ما علمت منك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلقوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الاتفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل صدقة التطوع لأن الله تعالى ساءه قرضه أو القرض لا يكون إلا تبرعاً لما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً قال أبو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال انبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال نأني بك فثناؤه يدل على أني قد أقرضتني في حائطي حائناً فيه سماتة تخلط ثم جاء عيسى حتى أتى الخنط وأم الدحداح فيه في عيالها فتأذيا أم الدحداح قالت لبيك قال آخر جى من الخنط فاني قد أقرضته لبي زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عندق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أنى ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الأقرب حسناً يعني محبة طيبة به نفسه وقيل هو الاتفاق من المال الحلال في وجوده البر وقيل هو أن لا يقرض ولا يؤذى وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا لسمعة (فيضاعفه له) يعني ثواب ما أنفق (أضاعفا كثيرة) قيل هو يضاعفه إلى سمعته ضعفه قال السدي هذا التضاعف لإعلاء الله تعالى وهذا هو الأصح وإنما بهم الله ذلك لأن ذكر الله في باب الترغيب أقوى من ذكر الحمد (والله يقبض ويبدط) قيل يقبض بأهلك الرزق والتقية على من يشاء ويبدط بمعنى يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبدط بالخالف والثواب وقيل أنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الاتفاق أخبر أنه لا يكتمهم ذلك الابتوية وأرادته وأعاته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الاتفاق في الطاعة وعمل الخير ويبدط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والاتفاق في البر كإروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اربعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك أخرجه مسلم وهذا الحديث من أحاديث الصفات التي يجب الإيمان بها أو الاستسكان عنها وأمرها كالجأش من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب أهل السنة وسلف هذه الأمة (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجزى بكم بأعمالكم ﴿﴾ قوله عز وجل (ألّم ترأى الملا من بني اسرائيل) الملا أشرف القوم ووجههم وأصله الجأش من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم ولرط (من بعدهم) أي من بعدهم موسى (اذ قالوا) اذ قالوا (من بعدهم) أي من بعدهم موسى (ألّم ترأى الملا) (لبي لهم) اختلقوا في ذلك النبي فقيل هو يوسع بنون ابن افرام بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفيان بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وإنما سمي شمعون لأن الله دعاه الله أن يبرز قهراً غلاماً فاستجاب الله فأولدت غلاماً فسمته شمعون وعنه اسمع الله دعائي وتبدل السنين بالعبادة شيئاً وقال أكثر المفسرين هو أشمو بل بن يال وقيل هو ابن هلقاني قيل لعمرو ولد هرون ومعرفة حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة القصة إنما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل

﴿ ذكر الإشارة إلى القصة ﴾

كان سبب مسألة أولئك الملا لذلك النبي أنه أمات موسى عليه السلام فاتفق من بعده في بني اسرائيل يوسع ابن نون يقيم فيهم أمر الله تعالى ويحكم بالوراثة حتى قبضه الله تعالى ثم خلفه من بعده كالب بن يوقنا كذلك

(فيضاعفه له) بالنسب
عاصم على جواب
الاستفهام وبالرفع أبو
عمرو ونافع وجزة على
عطفاً على يقرض أو هو
مستأنف أي فهو يضاعفه
فيضعفه شامياً فيضعفه
(أضاعفا) في وضع المصدر
(كثيرة) لا يعلم كنهها
إلا الله وقيل الواحد
بسمعته (والله يقبض
ويبدط) يقتل الرزق على
عباده ويوسعهم فإلا
تبخلوا عليه بما وسع
عابكم لا يبدلكم الضيق
بالسعة ويبدط حجازي
وعاصم وعلى (واليه
ترجعون) فيجاز بكم على
ما قدمتم (ألّم ترأى الملا)
الأشراف لأنهم يعلون
القلوب جلاله والعيون
مهابة (من بني اسرائيل)
من للتعبير (من بعدهم
موسى) من بعدهم ومن
لإبتداء الغاية (اذ قالوا)
حين قالوا (لبي لهم) هو
شمعون أو يوسع أو
أشمو بل

(حذر الموت) مفعول له (فقال لهم الله موتوا) أي فأماتهم الله وانما سجد به على هذه العبرة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة وتوجب تسجيع لاسمه على الجهاد وان الموت اذ لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله (ثم أحياهم) اي اعتبروا وابعادوا (١٧٤) أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وهو عطاوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم

أحياهم أولا كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فماتوا ثم كان عطا عليه معنى (ان الله له فضل على الناس) حيث يبصرهم ما يفترون به كالبصر أولئك وبكابرهم بأفصاح خبرهم وألذ فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيغزوا ولو شاء لتركهم وموتى الى يوم النشور (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ذلك والدليل على أنه ساق هذه القصة بعناية على الجهاد ما أتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله) فخرض على الجهاد بعد الاعلام لان القراء من الموت لا يخفى وهذا الخطاب لامة محمد عليه السلام أولن أحياهم (واعلموا أن الله سميع) يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون (علم) بما يمترونه (من) استفهام في وضع رفع بالابتداء (ذا) خبره (الذي) نعت لذا و بدل منه (يقرض الله) صلة الذي سمي ما ينسقى في سبيل الله قرض لان القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد

موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كaleb بن بوقنا ثم قام من بعده حزقيل وكان يقال له ابن الجوز لان أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعمقت فوهب الله لها حزقيلا ويقال له ذوالكف لسمي به لانه تكفل سبعين نبيا وأمر بنجاحهم من القتل فلما امر حزقيل على هؤلاء الموتى وقب عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أن يذبح أريك آية قال نعم يارب فأحياهم الله تعالى وقيل دعار به حزقيل ان يحياهم فأحياهم الله تعالى وقيل انهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك انهم أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم هم موتى فبكى وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا اقوم لي فأوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيا يا ابن الله فعاشوا وقيل انهم قالوا احيا احيوا سبحانه نكر بناو بحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومه وعاشوا دهرًا طويلا وسخنة الموت على وجوههم بالليل والنهار بالاعاد دنا مثل الكفن حتى ماتوا الآجالهم انني كتبت لهم قال ابن عباس وانما التوجه الى اليوم تلك الريح في ذلك السيط من اليهود قال قتادة مفتحهم الله على فرارهم من الموت فأماتهم عقوبتهم ثم منهم الله استوفوا بقية آجالهم ولوجأت آجالهم لمابعثوا فان قلت كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يدركون فيها الموت الا اموتة الاولى قلت ان موتهم كان عقوبتهم لم يكال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان معجزات من معجزات ذلك النبي ومعجزات الانبياء خوارق للعادات نوادر لا يقاس عليها فيكون قوله الا اموتة الاولى عاما محصيا ومعجزات الانبياء أي الا اموتة الاولى التي ايمت من معجزات الانبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة انبئنا على الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهدوه ولم يعلموه صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا اذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على أن يحياهم يوم القيامة ﴿وقوله تعالى﴾ (حذر الموت) أي تخفة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم أمروا بالجهاد ففرروا منه فحذر الموت (فقال لهم الله موتوا) يحتمل انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك أمر محو يلى فوه كقوله كونوا قردة غاشقين (ثم أحياهم) يعني بعد موتهم (ان الله له فضل على الناس) يعني ان الله تعالى تفضل على أولئك الذين آمنوا بهم بأحيائهم لانهم ماتوا على معصيته فتفضل عليهم بأعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى تفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضل يوم القيامة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) يعني ان أكثر من أتم الله عليه لا يشكره أما الكافرون لم يشكروه أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره ﴿قوله عز وجل﴾ (وقاتلوا في سبيل الله) قيل هو خطاب للنبي أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهر بوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد (واعلموا أن الله سميع) يعني لما يقوله المتعل عن القتال (علم) بما يضرهم ﴿قوله عز وجل﴾ (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) القرض اسم اسكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون اطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح ﴿وسمي﴾ قال أمية بن أبي الصلت كل امرئ سوف يحزى قرضه حسنا * أوسيت أودبنا كالذى دانا

سمى به لان القرض يقطع من ماله فيدفعه اليه والقرض القطع ومنه المقرض وقرض الفأرو والانتراض واصل فنيهم بذلك على أنه لا يصح عنده وانما يحزى بهم عايله لا محالة (قرضا حسنا) بطيبة النفس من المال الطيب والمراد النفقة في الجهاد لانه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج به الى المال حت على الصدقة ليتها أسباب الجهاد

(فان خرجن) بعد الحول

(عليكم) يعني يامعشر أولاء الميت (فيا فعلن في أنفسهن من معرف) يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة بجهان أحدهما لأنه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم إذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن قلمها في ست زوجها ولا غير واجب عليها أخيرها الله تعالى بين أن تقيم في بيت زوجها أو لا طلاق النفقة السكنى وبين أن تخرج ولا نفقة طلاقا لا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة أشهر وعشرا (والله عز) أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعني يباشر مع الشرائع وبين من الأحكام قوله عز وجل (ولاطلاقات متاع بالمرء) أي أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير المتسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لأنه لما نزل قوله تعالى ومتعهن على الموسع قدره الى قوله حقا على الحسين قل رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم رد لم أفعل فأنزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فحمل المتعة على بلام التذكير وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة وقوله تعالى (كذلك بين الله لكم آياته) يعني بين الله لكم بالمرءكم وبمرءكم زواجاكم أم المؤمنينون وكما فتكم أحماء والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك آية ابن اكم سائر أحكام في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي ليكني تعقلوا ما بينت لكم من لقراض والأحكام وما فيه صلاح دينكم اه قوله عز وجل (لم ترأى الذين خرجوا من ديارهم) قالوا كثيرا لمفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلكوا كثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أخزم منا رأيا وصنعنا كما صنعوا البقية كما بقوا وإن وقع الطاعون ثانية فخرجنا الى أرض أولاء فيها فخرج الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا وادأوا فنجح فلما نزلوا المكان الذي يتقون فيه النجاة قاماهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فتواجبوا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشام فاجاءه سرغ بلقاء الوباء فوقع به فاخبره عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم به بارض فلتقدم موالع عليه وإذا وقع بارض رأيتم فيها فلا تخرجوا منها إفرامنه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فرأوا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فأتوا وقالوا الملك ان الأرض التي تأتيناها بآباء ولا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فإرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرأوا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قدرتي معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعاهاهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فعقوبه فماتوا ورايت دواهم كوت رجل واحد فمات في عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فجنزوا عن دفنهم فحظروا فحذرهم دون السباع فذلك قوله تعالى لم ترأى ألم تلهيهم بدماعلى اياك وهو من رؤية الذئب قال أهل المعاني هو تعجب ليقول هل رأيت مثل هؤلاء كانه قول لم ترأى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم ترولم يعاينته النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه (قوله تعالى) (وههم ألوف) قيل هو من العدد واختلاف في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤلفون جمع العدد الأول وأصح قالوا فر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد

الصفاء من الناس م قوله تعالى ترى قلب وجهك في السماء (قوله تعالى) (فان خرجن) بعد الحول (عليكم) يعني يامعشر أولاء الميت (فيا فعلن في أنفسهن من معرف) يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة بجهان أحدهما لأنه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهم إذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن قلمها في ست زوجها ولا غير واجب عليها أخيرها الله تعالى بين أن تقيم في بيت زوجها أو لا طلاق النفقة السكنى وبين أن تخرج ولا نفقة طلاقا لا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة أشهر وعشرا (والله عز) أي غالب قوى في انتقامه ممن خالف أمره ونهيه وتعدى حدوده (حكيم) يعني يباشر مع الشرائع وبين من الأحكام قوله عز وجل (ولاطلاقات متاع بالمرء) أي أعاد الله تعالى ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في تلك الآية بيان حكم غير المتسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لأنه لما نزل قوله تعالى ومتعهن على الموسع قدره الى قوله حقا على الحسين قل رجل من المسلمين ان فعلت أحسنت وان لم رد لم أفعل فأنزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فحمل المتعة على بلام التذكير وقال تعالى (حقا على المتقين) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك وقد تقدم أحكام المتعة وقوله تعالى (كذلك بين الله لكم آياته) يعني بين الله لكم بالمرءكم وبمرءكم زواجاكم أم المؤمنينون وكما فتكم أحماء والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الآيات كذلك آية ابن اكم سائر أحكام في آياتي التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب (لعلكم تعقلون) أي ليكني تعقلوا ما بينت لكم من لقراض والأحكام وما فيه صلاح دينكم اه قوله عز وجل (لم ترأى الذين خرجوا من ديارهم) قالوا كثيرا لمفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلكوا كثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان أصحابنا أخزم منا رأيا وصنعنا كما صنعوا البقية كما بقوا وإن وقع الطاعون ثانية فخرجنا الى أرض أولاء فيها فخرج الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا وادأوا فنجح فلما نزلوا المكان الذي يتقون فيه النجاة قاماهم ملك من أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فتواجبوا (ق) عن عمر أنه خرج الى الشام فاجاءه سرغ بلقاء الوباء فوقع به فاخبره عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم به بارض فلتقدم موالع عليه وإذا وقع بارض رأيتم فيها فلا تخرجوا منها إفرامنه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فرأوا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فأتوا وقالوا الملك ان الأرض التي تأتيناها بآباء ولا تخرج حتى ينقطع منها الوباء فإرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرأوا منه فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قدرتي معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعاهاهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فعقوبه فماتوا ورايت دواهم كوت رجل واحد فمات في عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج الناس اليهم فجنزوا عن دفنهم فحظروا فحذرهم دون السباع فذلك قوله تعالى لم ترأى ألم تلهيهم بدماعلى اياك وهو من رؤية الذئب قال أهل المعاني هو تعجب ليقول هل رأيت مثل هؤلاء كانه قول لم ترأى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم ترولم يعاينته النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه (قوله تعالى) (وههم ألوف) قيل هو من العدد واختلاف في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤلفون جمع العدد الأول وأصح قالوا فر عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد

النساء في قوله تعالى وإذا كنت فيهم فألمت الصلاة وسألتني السلام عليه ان شاء الله تعالى في موضعه فإذا التحم اقتال ولم يكن تركه لاحد فذهب الشافعي ايهما يصلون ركبا ناعى الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يوثقون بالركوع والسجود ويكون السجود أخفض من الركوع ويمحط زبد عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال أبو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة بقضه لان النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لهذه به هذه الآية راجع عن تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف وانما نزل بعد فاما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط أما الخوف الحاصل لافي القتل بل بسبب آخر كالحارب من العدو أو قصده سبع هج أو غشيه سبيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة آمن فله أن يصلي صلاة شدة الخوف بالإيماء في حاله معه ولان قوله تعالى فان خفتهم مطابق بقول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا أو ركبا يدل على أن المراد منه خوف العدو وحال اقتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب أن يكون الحكم كذلك ههنا وروى عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الخضر أربع ركعات في ركعة أخرجهم ولم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والصحاح وارايم واسحق بن راهويه وقاوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال الشافعي ومالك وجمهور العلماء صلاة الخوف ركعة لا من في عدد ركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه أن يصلي أربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس ههنا على أن المراد به ركعة مع الامام وركعة أخرى يأتيها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاة الخوف وهذا التأويل لا يندم للجمع بين الاحاديث ﷺ وقوله تعالى (فإذا أمنتهم) يعني من خوفكم (فأذكروا الله) أي فصلوا الله الصلوات الخمس تأمة بأركانها وسننها (كانت لكم مكماتكم كنوا تعلمون) فيه إشارة الى انعام الله تعالى علينا بما علم ولولا هدايته وتعاليمه اياهم لكانوا لغوا في معرفة شئ فله الحد على ذلك ﷺ قوله عز وجل (والذين يتوفون منكم) يعني يا معشر الرجال (ويدرون أزواجهم) يعني زوجات (وصية لازواجهم) قرئ بالنصب على معنى فاقصروا وصية وبالرفع على معنى كتب عليهم وصية (ماتوا الى الحول) أي متعوهن متعاقر قبل جعل الله لهم ذلك متعاقر للمتاح نفقة مستقلة لهم او كوتها وما تحتاج اليه (غير اخراج) أي غير مخرجنا من بيوتهم نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم ابن الحرث هاجر الى المدينة ومعه أبو امرأته وله اولاد فبات فرجع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفتقر الى هذه الآية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبو امرأته وله اولاد بماله وبعط امرأته شيئا ولم ينص الى معرفتي زوجها من تركه زوجها احولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه ذابات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكنهاها واجبتين في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شئ ولكنها تكون مخيرة فان شئت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شئت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على رجل أن يوصي بذلك فبات هذه الآية على مجموع أمرين أحدهما أن لها النفقة والسكنى من مال زوجها باسنة الثاني أن عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذه من الحكمين أما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخها بالمرثاة فجعل لها الميراث ثم ان الله تعالى عوض عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعه أشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية المتقدمة متقدمة في التلاوة متأخرة في النزل بل كقوله تعالى سيقول

(فإذا أمنتهم) فإذا زال خوفكم (فأذكروا الله) فاقصروا وصية الامن (كانت لكم مكماتكم) أي ذكرا مثل ما علمكم (ماتوا الى الحول) من صلاة الامن (والذين يتوفون منكم) ويدرون أزواجهم (وصية لازواجهم) بالنصب شامى وأبو عمر ووحدة وخفص أي فاقصروا وصية عن الزجاج غيرهم بالرفع أي فعليهم وصية (ماتوا) نصب بالوصية لانها مصدر أو تقدير متعوهن متعاقر الى الحول) صفتا معا (غير اخراج) مصدر مؤن كد كقولك هذا القول غير مات قول أو بدل من متعاقر والمعنى ان حتى الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يتخضروا بان تمتع أزواجهم بعدهم حولا كما لا ينفق عليهم من تركته ولا يخرج من مسكنهم وكان ذلك مشروعا في أول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويدرون أزواجهم قوله أربعة أشهر وعشرا والناسخ متقدم عليه تلاوة ومتأخر نزولا كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قدرى قلب وجهك في السماء

وأتعليلان ضيعه ما يدل على ذلك ما روى عن أبي الملقح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا
 صلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري قوله بكروا
 بصلاة العصر أى قدموها في أول وقتها (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته
 صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله قوله وتر أهله نقص وسأب أهله وماله فيق فردا لأهل ولا مال ومعه
 الحديث ليكون حثره من فوت صلاة العصر كخبره من ذهب أهله وماله * المذهب الرابع انها صلاة المغرب
 قاله في صفة من ذوب وبوجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها أزيد من
 ركعتين كافي الصبح وأقل من أربع ولا تنصرف في السجود وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الأولى لان
 ابتداء جبريل كان بها وإذا كانت الظهر أولى الصلوات كانت المغرب هي الوسطى * المذهب الخامس انها
 صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف فيها شيء وإنما ذكرها بعض المتأخرين وبوجه هذا المذهب انها
 متوسطة بين صلاتين لا تنصرفان وهما المغرب والصبح ولانها أثقل صلاة على المسافقين * المذهب السادس
 ان الصلوات الخمس هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم
 عطف عليها بالصلاة الوسطى وليس في الآية ذكر بيانها وإذا كان كذلك أمكن أن يقال في كل واحدة من
 الصلوات الخمس انها هي الوسطى أهمها الله تعالى عباده مع ما خصها به من التوكيد نحو يضاهمهم على المحافظة
 على أمهات جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان
 وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى اسمه الاطلاق في جميع أسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب
 اختاره جميع من العلماء قال محمد بن سيرين ان رجلا سأله عن صلاة الوسطى فقال حافظ على
 الصلوات كلها تصبر أو سئل اليربوع عن ختمه عن الصلاة الوسطى فقال للامام الوسطى واحدة من المحافظة على
 الكل تكن محافظة على الوسطى ثم قال رأيت لوعلمتها ابعينها كنت محافظة عليها ومضى يعاسا ثم قال
 السائل لا فقال اليربوع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الأقوال كلها
 قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصل الأقوال كلها انها العصر للأحاديث الصحيحة
 الواردة فيها والله تعالى أعلم ﴿ وقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) أى طائفتين في عبادة عن اكمال الطاعة
 وتمامها والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسننها قيل لكل أهل دين صلاة يقومون فيها بين فتموما
 أتم الله في صلواتكم طائعتين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل أمن وقتها ولم أمر بالمحافظة على
 الدعاء وجب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فعنى الآية وقوموا لله داعين ذاكرين
 وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عملا ليجوز التكلم به في
 الصلاة وقد يدل على ذلك ما روى عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في
 الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام أخرجه في الصحيحين وقيل القنوت
 هو طول القيام في الصلاة وقد علم ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول
 القنوت أخرجه مسلم ومن القنوت أيضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدء في الصلاة وخفض
 الجناح والخشوع فيها أو كان العلماء اذا قام أحدهم على باب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعثر
 بشئ أو يحدث نفسه بشئ من أمور الدنيا الانسياق ﴿ قوله عز وجل (فان خفتم فرجالا) أى رجالا (أو
 ركباناً) معنى على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يكنكم أن تملوا قانتين وفي حق الصلاة من تمام
 الركوع والسجود والخشوع والخشوع عدو أو غيره فصلا ومشاة على أرجلكم أو ركباناً على دوابكم
 مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان
 أحدهما أن يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الآية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة

(وقوموا لله) في الصلاة
 (قانتين) حال أى مطيعين
 خاشعين وإذا كثر من الله
 في قيامكم والقنوت أن
 تذكروا الله قائما أو مطيلا
 القيام (فان خفتم) فان
 كان بكم خوف من عدو أو
 غيره (فرجالا) حال أى
 فصلوا راجلين وهو جمع
 راجل كل قائم وقيام (أو
 ركباناً) وحدها نايلها
 ويسقط عنه التوجه الى
 القبلة

خبره وأعدله وقيل الوسطى بمعنى الفضلى من قولهم ثلاث فضل أو وسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات
لا شرادها بانه فضل وقيل سميت الوسطى لانها أو وسط الصلوات محلا
ففضل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى **ج** قد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة
الوسطى على مذاهب **هـ** الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ
وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والريبع بن أنس وبه قول مالك والشافعي وبديل على ذلك ان مالكا بانه
ان على بن أبي طالب وابن عباس كذا بقوله ان الصلاة الوسطى صلاة الفجر أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه
الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تلقيا ولانها بين صلاتي جمع فظاهر والعصر يجمعان وهما صلاتان
والغرب والعشاء يجمعان وهما صلاتان ولان صلاة الفجر لا تقصر ولا تجتمع الى غيرها ولا هي آتاني في وقت مشقة
بسبب برد الشتاء وطيب النوى في الصيف وقصور الانضاء وكثرة التعاس وغلبة الناس عنها انقصت بالمحافظة
عليها لكونها مخصصة للقيام ولان الله تعالى قل عقبها وقوم الله قاتنين والفنوت وطول القيام وصلاة
الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا يعني تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظه الليل وديوان حفظه النهار
فدل ذلك على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد
الخدري ورواية عن عائشة وبه قال عبيد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة وبديل على ذلك ما روى عن
زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد بن ثابت وعائشة تلقيا
وأخرجه أبو داود عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة
أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فزلت حافظوا الى الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان
قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تأتي وسط النهار وفي شدة الحر ولا هي آتاني بين البردين يعني
صلاة الفجر وصلاة العصر **ج** المذهب الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وأبي أيوب وأبي
هريرة وابن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وعائشة وهو قول أبي عبيدة السلماني والحسن البصري
وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والسكبي ومقاتل وبه قال أبو حنيفة وأحمد داود وابن المنذر وقال
الترمذي وهو قول أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث
فيه قال وانما نخص الي انها الصبح لانه لم ينافه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث وبديل على
محنة هذا المذهب ما روى عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملائكة
قلوبهم ويؤمنهم ناراً كما شغلوا ناعن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلوا ناعن الصلاة الوسطى
صلاة العصر وذكر نحوه وزاد في أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجه ابن جرير (م) عن ابن
مسعود قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى اجرت الشمس أو صمرت
فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلوا ناعن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملائكة أجوافهم وقبورهم ناراً
أوحش الله أجوافهم وقبورهم ناراً عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى
صلاة العصر أخرجه الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما محسن صحيح (م) عن أبي بونس
مولي عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت اذا باغت هذه الآية فاذني حافظوا الى
الصلوات والصلاة الوسطى قال فاما بلغتها أذنتها فاملت على حافظوا الى الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة
العصر وقوموا الله قاتنين قالت عائشة سمعتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن حفصة نحوه
ولان صلاة العصر تأتي وقت اشتغال الناس بما يشغلهم فكان الامر بالمحافظة عليها أولى ولا هي آتاني بين صلاتي
نهارهم والفجر وانظر وصلاتي ايل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمن يدان كيد الامر بالمحافظة

الآن يعقون) ير بد الطلقات وان مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل فليحكم نصف ما فرضتم في جميع الاوقات الا وقت عفوهن عنكم من المهر والفرق بين الرجال يعقون والنساء يعقون ان الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والون ضميرهن والفعل مجي لانرفي لفظه لعل المأ (أو يعقو) عطف على محله (الذي بيده عقدة النكاح) هو الزوج كذا فسره على رضى الله وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبو حنيفة والشافعي على الجدي يدرى (١٧٩) الله عنهم وهذا لان الطلاق بيده

فكان قضاء العقد بيده والمعنى ان الواجب شرعا هو النصف الآن تسقط هي الكل أو يعطى هو الكل تقضلا وعند ما مك والشافعي في القديم هو لولى قاضها لملك التبرع عن الصغيرة فكيف يجوز حله عليه (وان عفوا) مبتدأ خبره (أقرب للتقوى) والخطاب للزوج ولزوجات على سبيل التغليب ذكره لزجاج أى عفوا الزوج اعطاء كل المهر خير له وعفوا المرأة اسقاط كل خير لها وللزوج (ولانفسوا الفضل) التفضل (ينكم) أى ولانفسوا أن يتفضل بعضهم على بعض (ان الله بما تعملون بصير) فيجازيكم على تفصلكم (حافظوا على الصلوات) داوموا عليها وابقوها وأزكاتها وشرائطها (والصلوة الوسطى) بين الصلوات أى الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر عند أى حنيفة رحمه الله وعليه

السمى لان المسبب اما حقيقة في المس باليد أو جعل كناية عن الجماع وأيهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخالوة الصحيحة نقر المهر ومعنى الخالوة الصحيحة أن يتخلوها أو يسهاك مانع حتى ولا شرعى فالحسنى نحو الرق و اقرب أو يكون معهما ثالث والشرعى نحو الحيض والنفس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام سواء كان فرضاً ونفلًا والآية حجة المذهب الشافعي قال شريح لم أسمع الله ذكر في كتابه باب ولا ستران زعم أنه لم يسمها فلها نصف المهر وقال ابن عباس اذا خلاها ولم يسمها فلها نصف المهر **فرع** لومات أحد الزوجين بعد التسمية وقيل المسبب فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت **وقوله تعالى (الان يعقون)** يعنى النساء الطلقات والمعنى الآن تترك المرأة نصيبها من المهر فله الزوج هو فقته للزوج فيعود جميع المهر الى الزوج (أو يعقو الذى بيده عقدة لنكاح) فيه قولان أحدهم انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعاقمة وطاوس والشعبي والبخاري والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه زوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير ابن عامر وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد وهو جمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الآية ان تعفوا المرأة اذا كانت ثيبا بالغة من أهل العفو عن نصيبها للزوج أو يعفو وليها اذا كانت المرأة بكرة صبيحة أو غير جائزة للتصرف فيعوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشرط وهي ان تكون بكر صغيرة ويكون الولي أباً أو جداً لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني ان الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج وصح هذا القول الطبري والواحدى فيكون معنى الآية أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يعنى الزوج فيعطى المرأة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عتوا المرأة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمرأة أن تعفو ولا تطار بشئ من الصداق وللرجل ان يعفو وفي لها المهر كاملا وروى ابن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل الدخول بها فأكمل لها المهر وقال أما حق باه فقولان المهر حق المرأة فليس لوليها أن يسب من ماله شيأ فكذلك المهر لانه مال لها (وان تعفوا أقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميع وانما غلب جانب التذكير لان الذكر ذى الأصل والتأنيث فرع عنها والمعنى عفو بعضكم عن بعض أيها الرجال والنساء أقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعرب الزوج فيترك حقه الذى ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو أقرب للتقوى (ولانفسوا الفضل بينكم) يعنى ليتفضل بعضهم على بعض فيعطى الرجل الصداق كاملا أو تترك المرأة نصيبها من الصداق حقه ما جبه ما على الاحسان ومكارم الاخلاق (ان الله بما تعملون) يعنى من عفو بعضكم بعضا وجبه عليه من حق (بصير) أى لا يخفى عليه شئ من ذلك **وقوله عز وجل (حافظوا)** أى داوموا واطبقوا (على الصلوات) يعنى الخمس المكتوبات أمر الله عز وجل عباده بالتمسك بالصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها وانما ذكرها لكانها أوقعها في أوقاتها المختصة بها (والصلوة الوسطى) ثابتة لا اوسط ووسط كل شئ

الجمهور لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلوا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله وتهم بارا وقال عليه السلام انها الصلاة لتي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولانها بين صلاتي الليل و صلاتي النهار وفضلها للمنافي وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم وعبادتهم وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وأصل صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار و صلاتي الليل وأصل صلاة المغرب لانها بين الاربع والمشي ولانها بين صلاتي مخافة وصلاتي جهرا وأصل صلاة العشاء لانها بين وتر بن أو هي غير معينة كليلة القدر لم يحفظوا الشكل

(الاجناح عليكم) لاتبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء) شرط وبدل على جوابه لاجناح عليكم والتفقد من طلقتم النساء فلاجناح عليكم (مالم تموهن) مالم تجاوهن ومالم شرطت أي ان لم تموهن فتمسك من حصة وعلى حيث وقع لان الفعل واقع بين اثنين (أو تفرضوا لمن فرضته) الا ان (١٧٨) تفرضوا لمن فرضته أو حتى تفرضوا فرض الفرضية تسمية المهر ذلك ان

الطاقة غير الموطوءة لها نصف المسمى ان سمى لها مهر وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر الشئ بل يجب المتعة والدليل على ان الجناح تبعه المهر قوله وان طلقتموهن الى نصف ما فرضتم وقوله ففصل ما فرضتم اثبات للجناح المسمى ثمة (ومتوهن) معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتوهن والمتعة درع وملاحفة وخار (على الوسم) الذي له سعة (قدره) مقداره الذي يطيقه قدره فبهما كوفي غير أبي بكر وهما ثقتان (وعلى المقتر) الضيق الحال (قدره) ولا تجب المتعة عندنا الا لهذه وتستحب لسائر المطلقات (متاعا) نأكد لمتوهن أي تميمها (بالمرور) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة (حقا) صفة لمتاع أي متاعا واجبا عليهم وأحق لك حقا (على الحسين) على المسامين وأعلى الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتع وسماهم قبل لفعل محسنين

(الاجناح عليكم) ان طلقتم النساء مالم تموهن أو تفرضوا لمن فرضته أي ولم تموهن ولم تفرضوا لمن فرضته يعني ولم تميها وان صدقوا لم تجبوه عليكم زنا في رجل من الانصار تزوج امرأ من بني حنيفة ولم يسم لها صداق طلقها من قبل أن يسمها فزنت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتما ولو بلسنك فان قلت هل لي من طلق امرأته جناح بعد الميس حتى يوضع عنه الجناح قبل الميس فواجهني الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصل وما جاء في الحديث ان أنقض الحلال الى الله الطلاق فني الله الجناح عنه اذا كان الفراق أو زوج من الامساك وقيل معناه اخرج عابكم في طلبهن قبل الميس في أي وقت شئتم حاضا كانت المرأة أو طاهر الا انه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول (ومتوهن) أي اعطوهن من مالكم ما يبتعن به والمتعة والتمتع ما يبلغ به من الزاد (على الموسع) أي لغى الذي يكون في سعة من غناه (قدره) أي قدر امكانه وطاقته (وعلى المقتر) أي القليل الذي هو في ضيق من فقره (قدره) أي قدر امكانه وطاقته (متاعا بالمعروف) يعني متوهن تميمها بالمعروف يعني من غير ظر ولا حيف (حقا) أي ذلك التمتع حقا واجبا لازما (على الحسين) يعني الى المطلقات بالتمتع واما خاص المحسنين بالذكرا لانهم الذين يمتنعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطور بقدر المحسن هو المؤمن في بيان حكم الآية وفيه فروع الفرع الاول إذا تزوج امرأ ولم يفرض لها مهر ثم طلقها قبل الدخول وقدر فرض لها مهر واجب لها عليه نصف المهر والفروض ولا متعة لها عليه (الفرع الثاني) المطلقة المدخول بها فاقول ان قال في تقديم لامتنع لها لاسانته تحقق المهر كاملا وبه قال أبو حنيفة وهو احدى الروايتين عن أحمد وقال في الجديد بل المتعة اقوله تعالى ولما طلقتم متاعا بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن أحمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها الخمس انصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أبواب درع وخار وازار وأقلها دون ذلك وقاية أو معة أو شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها درهم وحسن ثلاثون درهما وروى ابن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته وجمعها يعني متعها جارية سوداء وامتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم فقالت

متاع قليل من حبيب مفارق وقال أبو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال أحمد في احدى الروايتين عنه تنقدر بما تجزى فيه الصلوة قال في الرواية الاخرى تنقدر بتقدير الحاكم والآية تبدل على ان المتعة تنقدر بحال الزوج في اليسر والعسر وانتهى فقضى الى الاجتهاد لانها كانت لغة التي أوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف حال المسرف في ذلك الفرع الرابع ومن حكم الآية ان من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر صرح النكاح وطها مطالبة بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) يعني تجامعهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله بان نصف المهر ولأعداءه عليها وهو قوله تعالى (وقد فرضتم لمن فرضته) أي سميت من مهرها (فصل ما فرضتم) أي فلهم نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي أن الخلوة من غير ميسس لا توجب الانصف المهر

كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وليس هذا الاحسان هو التبرع بما ليس عليه اذ هذه المتعة واجبة ثم بين حكم التي سمى لها مهر في الطلاق قبل المس فقال (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أن مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر أي من قبل مسكهاهن (وقد فرضتم) في موضع الحال (لمن فرضته) نصف ما فرضتم المسمى

من خطبة النساء الخطبة الاسنكاح والتعريض أن تقول لها انك لجليلة أو صالحة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها حتى يحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول أني أريد أن أتزوجك وانفرد بين الكتابة والتعريض ان الكتابة ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئاً يدل به (١٧٧) على شيء لم تذكره كيقول المحتاج للمحتاج

اليه جئتكم لاسم عليكم ولا أنظر الى وجهك الكرم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

فكانه امالة الكلام الى غرض بدل على الغرض (وأكنتم في أنفسكم) أي سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكره بالنسبة لأمير المؤمنين ولا مصر حين (علم الله انكم ستدكرونهن) لاحتالة ولا تنفكون عن لفظك بزغتكم فهن فازدكرهن (واكن لا تواعدوهن سرا) جاعا لانه ما يرى لا تقولوا في العدة اني قادر على هذا العمل (الآن تقولوا قولا معروفا) وهوان تعرضوا ولا تصرحووا بالاعتقاي بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط الامواعدة معروفة غير منكورة (ولا تنزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في التهي عن عقدة النكاح لان العزم على الفعل يتقدم فاذانهم عنه كان عن الفعل انتهى ومعناه ولا تنزموا عقد

ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على قصدوه وما يصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجمان المقصود انهم رأوا رجوعه وقيل هو الاشارة الى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ماله ظاهره باطن (من خطبة النساء) يعني المعتدات في عدهن والخطبة بالنسبة لطلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالنسبة لطلب النكاح وهو أن يقول انك لجليلة وانك صالحة وان من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو أن يقول انك لجليلة وانك صالحة وان غرضي التزوج وانني فيك لراغب وعسى الله ان يسر لي امرأه صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهوم من غير تصريح بان يقول أني أريد أن أتزوجك ونحو ذلك وبدل على محبة هذا التأويل ما روى عن ابن عباس في قوله له في فيما عزم به من خطبة النساء هو أن يقول أني أريد التزوج ويحوان النساء ان حتى ولوددت ان يسر لي امرأه صالحة أخرجه البخاري وروى ان سكينه بنت حذيفة ثابت قد دخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عتدها فقال قد علمت قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدى على وقد ربي في الاسلام فقالت سكينه غفر الله لك ان خطبتني في العدة وانت يؤخذ عنك فقال انما أخبرتك بقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة زوجها أي سلمة فقد كرما ما تزعم من الله عز وجل وهو متحامل على بدد حتى أثر الحصر في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فكانت تلك خطبة (وأكنتم) يعني أضمرتم (في أنفسكم) يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شاء ولا يتكلم بشئ والمقصود انه لا يخرج عليك في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا يقبلها يضر الرجل في نفسه من الرغبة فيها (علم الله أنكم ستدكرونهن) يعني يقولون بكن شهوة النفس والتمني لا يتخلونه احد فاما كان هذا الخاطر كئيب الشاق أسقط عنه المخرج (ولكن لا تواعدوهن سرا) اختلفوا في معنى هذا السر انتهى عنه فقيل هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة تعرض بالنكاح ومراة الزنا ويقول لها دعيني فاذا وقيت عندك أظهرت نكاحك فهو ان ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تقويتني نفسك فاني ناكحك وقيل هو ان يأخذ عليها العهد والميثاق أن لا تزوج غيره وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السراج وهو رواية عن ابن عباس قال الكبي لا تصفوا أنفسكم لمن بكترة الجماع وبدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الأزمت بسباسة القوم انني * كبرت وان لا يحسن السر أمالي بسباسة اسم امرأه وانما وقع الكتابة عن الجماع بالسر لانه ما يسر والله تعالى حيي كريم فكنتي به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة مرة أو لا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية ان الله تعالى أذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة (الآن تقولوا قولا معروفا) يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام الى المرأة انه راغب في نكاحها (ولا تنزموا عقدة لنكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) أي لا تتحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها الله كتابا لانها فرضت به (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه) أي نخافوه (واعلموا أن الله غفور رحيم) لا يجل بالعدو بدعي من جاهره بالعصية بل يستر له في قوله عز وجل

(٢٣ - خازن - اول) عقدة النكاح أو لا تقطعوا عقدة النكاح لان حقيقة العزم اقطع ومنه الحديث لا يصام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام أي ولا تنزموا على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حتى تنقضي عنها وسميت العدة كتابا لانها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ الرخص المكتوب عليها أجله أي غايته (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) من العزم على ما لا يجوز (فاحذروه) ولا تنزموا عليه (واعلموا أن الله غفور رحيم) لا يجل بالعدو بدعي من جاهره بالعصية بل يستر له في قوله عز وجل

شب النار اذا أرقدها قوله تغلفين به رأسك أى تطبخين به رأسك والتغلف هو الغمرة على وجه المرأة وكذا رأسها اذا طاخته بشئ فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ لازينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز لها أن تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر (ق) عن زينب بنت أبي سلمة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فعدت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خدوق أو غيره فهدت به جارية ثم مست بها رضعها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أو أربعة أشهر وعشر قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها فعدت بطيب فست منه ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أو أربعة أشهر وعشر (م) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها أو أربعة أشهر وعشر (ق) عن أم عطية قالت كنا ننهي أن تحدد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أو أربعة أشهر وعشر ولا تكتحل ولا تطيب ولا تلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدا منا من حیضتها في نبذة من كست أطفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذي صبغ غزله قبل النسخ قولها نبذة من كست النبذة الشئ اليسير والکست لغة في القسط وهو شئ معروف بتبخر به عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المصفر من الثياب ولا المشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب أخرجه أبو داود قولها ولا المشقة الثياب المشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المفرغة عن نافع أن صفية بنت عبد الله اشكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عينها ترمضان أخرجه مالك في الموطأ **المسئلة الثالثة** اختلفو في هذه المدة سببا للوفاة والحمل بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاته زوجها لاتعتمد بانقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتر بصن بنفسهن وذلك لا يحل الا بالقصد الى التربص ولا يحل ذلك الا مع العلم قال الجوهري والبهي هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتمد بما انقضى ويدل على ذلك أن الصغيرة التي لاعلم لها بكفي في انقضاء عدتها هذه المدة **المسئلة الرابعة** أجمع العلماء على ان هذه الآية ناسخة لما بعد هامن الاعتداد بالحول وان كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسند كتمام الكلام عليه بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم **وقوله تعالى** (فاذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) فلا جناح عليكم خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد (فيا فعلن في أنفسهن بالمعروف) يعني من التزين والتطيب والنقطة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل انما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغيرولي بهذه الآية لان اضافة الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة أو اجاب أصحاب الشافعي أن قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للاولياء ولو صرح العقد بغيرولي لما كان مخاطبا أو اجيب عن قوله فيا فعلن في أنفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لانها تزوج نفسها (والله بما نهاملون خير) يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخير في صفة الله تعالى هو العالم بكنهه الشئ وحقيقته من غير شك والخير في صفة المحلوقين انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزعه عن ذلك كله **وقوله عز وجل** (ولا جناح) أى لا حرج (عليكم فيما عرضتم به) أى لو حتم وأشترتم به والتعرض ضد التصريح

(فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة والحكام (فيا فعلن في أنفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع (والله بما نهاملون خير) عالم بالواطن (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به

(بالمعروف) أى بالا حسان ولاجل أن يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشرين الوجوه ناطقين باقول
الجيل طيبين لانفس المراضع بما يمكن حتى يؤمن من تفر يطهن بقطع معاذيرهن (وانقوا الله) يعنى
وخالوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما أوجب عليكم لادراككم (واعلموا أن الله بما تعملون
بصير) يعنى لا يخفى عليه خافية من جميع اعمالكم سره ولا يفتنه فانه تعالى براهاه يعلمها ﴿قوله عز وجل
(والذين يتوفون) يعنى يتوفون (منكم) وأصل التوفى أخذ الشيء وافيا فمات فقد استوفى عمره كاملا
ويقال توفى فلان يعنى قبض وأخذ (وبذرون) أى يتركون (أزواجا) والمراد بالازواج ههنا النساء لان
العرب تطابق اسم الزوج على الرجل والمرأة (يترصن) أى ينتظرون (بانفسهن) أى بغيرهن (والذين
قد رهنه المذون) قال عشر ابلفظ التأنيث لان العرب اذا أهمت في العدم من الليالي والايام غلبوا الليالي
حتى ان أحدهم يقول صمت عشر من الشهر كتمرة تغليهم الليالي على الايام فاذا أظهرها الايام قالوا صمتنا
عشرة أيام وقيل ان هذه الايام أيام حزن وليس احدا قد فشيها باليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في
ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد ركض في بطن أمه نصف مدها لعل يعنى يتحرك وقيل ان
الروح ينفخ في الولد في هذه العشرة أيام ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال حدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما فتهتم به يكون علقته مثل
ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشق أو سعده ثم ينفخ فيه
الروح أخرجاه في أحد يومين فإذا فسد هذا الحديث على ان خلق الولد يجمع في مدها أربعين يوما
ويشكك خلقه ينفخ فيه الروح في هذه الايام الزائدة

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والا حداثتها وفيه مسائل **المسئلة الاولى** عدة المتوفى عنها
زوجها أربعة أشهر وعشرون وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة أيام به قال جمهور العلماء وقال
أبو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرة وأروى عنك بظاهر هذا الآية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة
والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بالمعظم حل لها ان تنزوح ويدل على هذا ما روى عن سبعة الاسماء انها
كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤى وكان من شهد بدرا فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل
فلبث ان وضعت حملها بعد وفاته فلم تمت من نفاسها فتجملت للخطاب فدخل عليها أنس بن مالك فلم
رجل من بني عبد الدار فقال بالى أراك تجملت للخطاب اعلك ترجين النكاح وانك والله ما أنت بنا كع حتى
تمر عليك أربع أشهر وعشرون قالت سبعة فلما قال لى ذلك جعلت على ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألت عن ذلك فأفتاني بانى قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بان تنزوح وان بدلى
أخرجاه في أحد يومين وفيه قال ان شهاب ولا يرى بأسان تنزوح حين وضعت وان كانت في مدها برهانه
لا يقر بها حتى تظهر فله في هذا الحكم الآية عام في كل من توفى عنها زوجها ابان اعتد أربع أشهر وعشرون ثم خصص
من هذا العموم أولات الاحمال بهذا الحديث بقوله تعالى وأولات الاجال أجلهن أن يضعن حملهن (المسئلة
الثانية) يجب على من توفى عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والحد
للطبيب فان اضطرت الى الحل فيه زينة فیرخص لها به قال مالك وأبو حنيفة وقال الشافعي تكتحل باللبايل
وتمسح بالنازعن أم سامة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى أبو سامة وقد جعلت على
صبرا فقال ما هذا يا أم سامة فقالت انما هو صبر يار رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعل عليه
الابايل وتنزع به بانهار ولا تمسحط بالطيب ولا لحناء فانه مضاب قتباى شئ أمتمشط يار رسول الله قال
بالسدر تغلف به رأسك أخرجه أبو داود والانسائي نحوه قوله فانه يشب الوجه ما يوقده ويحسبه وذوره من

(وانقوا الله واعلموا أن الله
بما تعملون بصير) لا تخفى
عليه أعمالكم فهو
يجازيكم عليها (والذين
يتوفون منكم) تقول
توفيت الشيء واستوفيته
اذا أخذته وافيا ما أى
تستوفى أولاهم
(وبذرون) ويتركون
(أزواجا يترصن بانفسهن)
أى وزوجات الذين
يتوفون منكم يترصن
أى يعتدن أو معسنا
يترصن بعدهم بانفسهن
خفف بعدهم لعل به وانما
احتجج الى تقديره لانه
لا بد من عائد يرجع الى
المبتدأ في الجملة التي وقعت
خبراً بتوفون المفضل أى
يستوفون أجالهم (أربع
أشهر وعشرا) أى وعشرون
ليال والايام داخله معها ولا
يستعمل التذكير فيه
ذهابا الى الايام تقسول
صمت عشرا ولو ذكرت
نخرجت من كلامهم

بالمعروف) بلا اسراف ولا تقير ونفسه به ما يقبضه وهوان لا يكف واحد منهم ما ليس في وسعه ولا يضار (لان تكاف نفس الاوسعها) وجده أو قدر إمكانها والتركيب الزام ما يؤثر في الكفة واتصاف وسعه على انه مفعول ثان لتكاف لا على الاستثناء ودخلت الابن المفعول (لانتصار) مكى وبصرى بالرفع على الاخبار ومعناه الهى وهو محتمل البناء للمفعول وان يكون الاصل تضار بكسر الراء أو تضار بفتحها اليافون لانتصار على الهى والاصل تضار أو كتبت الراء الاولى وأدغمت في الثانية فالتقى السا كنان ففتحت لثانية لاتقاء السا كنين (ولدها) أى لانتصار ولدها بسبب ولدها وهوان تم فيه وتطلب منه ما ليس بعدل من لرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالفرط في شأن الولدان تقول بعد ما ألفها الصبي المطلبه فلترأى ما أشبه ذلك (ولا مولده بولده) أى ولا يضار. وولده امرأته بسبب ولدها بن منعه أشياء مما وجب عليه من رزقه أو كسوته أو يأخذ منه ما هو يرى يدارضه وإذا كان مذبذبا للمفعول فهو هبى عن أن يلحق بها الضار (١٧٤) من قبل الزوج وعن أن يلحق الضار بالزوج من قبلها بسبب

(بالمعروف) أى على قدر المبصرة (لان تكاف نفس الاوسعها) يعنى طاقتها وانما يعنى ان أب الولد لا يكاف في الالف في عليه وعلى أمه الا قدر ما تنسج به قدرته ولا يبالغ اسراف القدرة (لانتصار ولده بولده) يعنى لا ينزع الولد من أمه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيره وقيل معناه لا تنكره الام على ارضاع الولد ذ قبل الصبي ابن غيره لان ذلك ليس بواجب عليها (ولا مولده بولده) يعنى لا تلقى المرأة الولد الى أبيه ولا ألفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب أن يعطى أم الولد كثير ما يجب عليه لها الم رضع الولد من غير أمه على هذا يرجع الضرر الى الولد فيكون المعنى لا يضار كل واحد منهم ما صاحبه بسبب الولد فيكون المحتمل أن يكون الضرر راجعا الى الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا ينق عليه الاب أو ينزعه من أمه فيضر بذلك فلي هذا ان يكون الباء صلة وامنية لانتصار ولدها ولا أب ولده (وعلى الوارث مثل ذلك) يعنى وعلى وارث أبى الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب أن يقوم مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذى لو لمات الصبي ورثه فعلى هذا الوارث مثل ما كان على أبى الصبي في حال حياته واختلف في أى وارث هو فله عصبه الصبي كالجدة والاخ والعلم وابنه وقيل هو كل وارث لمن الرجال والنساء وبه قال أحد فقهاء على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان ذارح محرم منه وبه قال أبو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا تكون أجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له لم يفعلى الاب ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعى وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة (فان أراد) يعنى والدين (فصلا) يعنى فطام الولد قبل الحولين (عن تراض منهما) أى على اتفاق من والدين في ذلك (وتشاور) أى يشاورون أهل العلم في ذلك حتى يخبروا أن القطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاوراة استخراج الرأى بما فيه مباحة (فلا جناح عليهما) أى فلا حرج ولا نعى على والدين في القطام قبل الحولين أى الم يضرب الولد وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم أى لاولادكم كمرارضع غير أمهاتهم اذا أبى أمهاتهم ارضاعهم أو تعد ذلك لعلهم من انقطاع لبن أو غير ذلك أو أردتم التزويج (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) يعنى الى المراضع (ما أنتم) يعنى لمن من أجرة رضاع وقيل اذا سلمتم الى أمهاتهم من أجرة الرضاع بقدر ما رضعن

الولد أو تضار بمعنى تضار والباء من صلته أى لا تضار والدة ولدها فلا تنسج خذاه وتعهده ولا تدعه الى الاب بعد ما أمه ولا يضر الولد به ان ينزعه من يد أمه أو يقصر في حقها فيقصر هي في حق الولد وانما قيل بولدها وبولده لانه لما تمت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطف فاعلم عليه وكذلك الولد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى ان مولده رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وعلى وارث الصبي عنه عدم الاب (مثل ذلك) أى مثل الذى كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة واختلف فيه فمقد

ابن أبى ليلى كل من ورثه وعندنا من كان ذارح محرم منه لقراءة ابن مسعود رضى الله عنه وعلى الوارث ذى الرحم المحرم مثل ذلك وعندنا فى رحمة الله لا نفقة فيما عدا الولد (فان أراد) يعنى الابوين (فصلا) فطام اصدرا (عن تراض منهما وتشاور) بينهما (فلا جناح عليهما) فى ذلك زاد على الحولين أو نفع ما وهذه توسعة بعد التحديد والتشاور واستخراج الرأى من شرت المسئل اذا استخرجته وذكره ليكون التراضى عن تفكر فلا يضرب الرضيع ففسبحان الذى أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما للمالاب النسبة والولاية وللام الشفقة والعناية (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) أى لاولادكم عن الزجاج وقيل استرضع منقول من أَرْضع يقال أَرْضعت المرأة حبى واسترضعها الصبي معدى الى مفعولين أى ان تسترضعوا المراضع أولادكم كخف أحد المفعولين يعنى غير لام عند أبائهم أو عجزهم (فلا جناح عليكم اذا سلمتم) الى المراضع (ما أنتم) ما أردتم إنشاءه من الاجرة أنتم مكن من أتى اليه احسانا اذا فوله ومنه قوله كان وعده ما يتأى مقفه لاوا السام ندب لاشترط للجواز (بالمعروف) متعاقب سلمتم أى سلمتم الاجرة الى المراضع بطيب نفس وسرور

الدين والمروءة من الشرائط أو بغير المثل والكف لأن عند عدم أحد ههنا لا بد أن يتعرضوا لخطاب في (ذلك) فأنتم على الله عليه وسلم أول بكل واحد (بوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) فالعواظ انما تجميع فيهم (ذلكم) أي ترك الفضل والضرار (ترككم وأطهر) أي اسكن من ادناس الآثام وأزكى (١٧٢) وأطهر أفضل وأطيب (والله أعلم) مافى

ذلك من الزكاه والطهر

(وأنتم لاتعلمون) ذلك

(والوالدات يرضعن

أولادهن) خبر في معنى الامر

المؤكدي كثير بهن وهذا

الامر على وجه الذنب

أو على وجه الوجوب اذا

لم يقبل الصبي الاثني أمه

أولم توجد له ظئر أو كان

الاب عاجزا عن الاستنجار

أو أراد الوالدات المطلقات

إيجاب النفقة والكسوة

لاجل الرضاع (حولين)

ظرف (كاملين) ثامين

وهو تأكيد لانه بما

يتسامح فيه فانك تقول

أقت عند فلان حولين ولم

تستكملهما (لمن أراد

أن يتم الرضاعة) بيان لمن

توجه اليه الحكم أي هذا

الحكم لمن أراد انعام

الرضاعة والحاصل ان

الاب يجب عليه ارضاع

ولده دون الام وعليه أن

يتخذ له ظئرا الا اذا

تطوعت الام بارضاعه

وهي مندوبة الى ذلك

ولا تجبر عليه ولا يجوز

معنى اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هناك وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما انزله صاحبه بقى العقد حتى تحصل المحبة الحسنة والعشرة الجالبة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من النهي (بوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) يعني ان المؤمن هو الذي يستفيع بالوعظ دون غيره (ذلكم ترككم وأطهر) يعني انه خبر لكم وأطهر اقلو بكم وأطيب عند الله (والله أعلم) يعني مافى ذلك من الزكاة والتطهير (وأنتم لاتعلمون) يعني ذلك قوله عز وجل (والوالدات) يعني المطلقات الثلاثي لمن أولاد من أزواجهن وقيل المراد بهن جميع الودات سواء كن مطلقات أو متزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دلائل التخصيص فوجب تركه على عموم ولا يظهر اللفظ فوجب حله عليه (يرضعن أولادهن) هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات يرضعن أولادهن في حكم الله الذي أوجبه وهذا الامر ليس أمرا بإيجاب وانما هو أمر بنبذ واستحباب لان تربية الطفل لابن الام أصلح لمن لبن غيره ولكال شفقتنا عليه ويدل على أنه لا يجب على الوالدة رضاع الولد قوله فان أرضعن لكم فأتوهن أجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استعقت الاجرة وقال تعالى وان تعامرتن فمتضرع لآخرى هذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل أولم يقبل غير ابن أمه وجب عليه الرضاعة كيجب على كل أحد بواسطة المظفر فان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي أولى به من غيرها (حولين كاملين) الحول السنة وأصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه بما يتسامح فيه تقول أقت عند فلان حولا وان لم تستكمه فبين الله أنهم ما حولان كاملا أن ربعة وعشرون شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس لتحديد الإيجاب ويدل على ذلك قوله بعده (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فدل على انعام باراد انعاما لمن هذا الانعام غير واجب فثبت أن المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقد رآه تعالى ذلك بالحولين حتى يرجع اليه عند التنازع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة أشهر أرضعته حولين وان وضعت لستة أشهر أرضعته عشرة أشهر وان وضعت لثلاثة أشهر أرضعته ثمانية أشهر بن شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا فتولعه تعالى وجهه وفصله ثلاثون شهرا أو قال في رواية الوالي عنه هو حد لكل مولود في أي وقت ولد ولا ينقص رضاعه عن حواين الاتفاق من الابوين فإيهما أراد فطام الولد قبل الحولين فلبس له ذلك الا اذا اتفق عليه يدل على ذلك قوله فان أراد افضلا عن تراض منهما وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم نزل التخفيف فقل لمن أراد أن يتم الرضاعة أي هذا منتهى الرضاع لمن أراد انعام الرضاعة وليس فيادون ذلك حد محدد وانما هو على مقدار صلاح الطفل وما يعيش به (وعلى المولود) يعني الاب وانما يعر به هذا لان الودات انما ولدن للآباء ولذلك ينسب الولد للآب دون الام قال بعضهم

وانما أمهات النساء أوعية مستودعات وللا بآء أبناء

وقيل ان هذا تنبيه على ان الودات انما يتحقق بالولد ولا منه مولودا على فراشه فكأنه قال اذا ولدت المرأة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعايته صالحه (رزقهن) أي طعامهن (وكسوتهن) أي لباسهن

استبحار الام مادامت زوجة أو عتمة (وعلى المولود) الهاء يعود الى الام الذي يعني الذي والتقدير وعلى الذي يولده وهو الود له في محل الرفع على القاعلية كعليهم في المغضوب عليهم وانما قيل على المولود لدون الود له لم ان الودات انما ولدن لهم اذا ولدت للآباء والنسب اليهم لا اليهن فكأن عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالآباء رأ لا ترى انه ذكر به اسم الود حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا (رزقهن وكسوتهن)

(ومن يفعل ذلك) يعني الامساك بالضرار (فقد ظلم نفسه) يعني يضاهي العقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) أي جدوا في اخذها
 رعيتها واولافها اتخذوها هزواً وقال لمن لم يجحد في الامر انما أنت لاعب (١٧٢)

والعمل بما فيه او عروها حق

وهازي (وذكروا نعمت
 الله عليكم) بالاسلام
 وببوة محمد عليه السلام
 (وما أنزل عليكم من
 الكتاب والحكمة) من
 القرآن والسنة وذكروها
 مقابلتها بالسكر والقسام
 بحقها (يعظمكم به) بما أنزل
 عليكم وهو حال (واتقوا
 الله) فيما امتحنكم به
 (واعلموا أن الله بكل شيء
 عليم) من الذكروا الاتقاء
 والاعتاظ وغدير ذلك
 وهو ابلاغ وعدو وعيد
 (واذا طلقتم النساء فبلغن
 أجلهن) أي انقضت
 عدتهن فدل سياق
 الكلامين على افتراق
 البلوغين لان النكاح
 يعقبه هارداً ليكون بعد
 العدة وفي الاولى الرجعة
 وذا يكون في العدة (فلا
 تعضلوهن) فلا تمنعهن
 العضل المنع والتضييق
 (ان ينكحن) من أن
 ينكحن (أزواجهن)
 الذين يرغبن فيهم
 ويصلحون لمن وفيه
 اشار الى انعقاد النكاح
 بعبارة النساء والخطاب
 للزوج الذين يعضلونه
 نساءهم بعد انقضاء العدة
 ظاهراً ولا يتركوهن

لنفدي المرأة بما لها (لتعتدوا) أي لتطاهروا من مجاوزة حكم في أمورهن حدوداً التي بينها الحكم
 وقيل هناه لان ضرورهن على قصد الاعتداء عليهن (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه بمخالفة
 أمر الله وتعرضها لعذاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وأمره
 ونهيهِ في حريمه وتنزله فلا تتخذوا ذلك استهزاءً وما يعاين وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل
 اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فلا يتخذها هزواً وفيه تمديد
 عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فاساك معروف أو تسريح باحدان فكل من خاف أمراً
 من أمور الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويترج ويح ويقتول كنت لاعباً
 فهو اعن ذلك عن أي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهن طعن جد النكاح
 والطلاق والرجعة أخرجهن أو دأودوا وترمدى ﴿ وقوله تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم) يعني بالإيمان
 الذي أنعم به الله عليكم فهذا كله وسائر نعمه التي أنعم بها عليكم (وما أنزل عليكم) أي واذكروا نعمته فيها
 أنزله عليكم (من الكتاب) يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسنها لكم وقبل المراد بالحكمة مواضع القرآن (يعظمكم به) أي بالكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه
 وسلم (واتقوا الله) يعني خافوا الله فبما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) يعني أن الله
 تعالى يعلم ما تخفون من طاعة ومعصية في سرور وعان لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ قوله عز وجل (واذا طلقتم
 النساء فبلغن أجلهن) نزلت في معقل بن يسار المزني عضل أخته جيلة وكانت تحت أبي القداح عاصم بن
 عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كانت لي أخت تخطب الي وأمنعه من الناس فأتاني ابن عمي
 فأنكحها أياه فاصطحبها ما شاء الله ثم طلقها طلاقاً له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي أتاني
 بخطبها مع الخطاب فأتته له خطبت الي فمنعتها الناس وأترك بها فزوجتكم طلقها طلاقاً له فيه رجعة ثم
 تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي أتتني بخطبها مع الخطاب والله لا نكحها لك أبداً في نزلت هذه
 الآية واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن الآية فكفرت عن يميني
 وأنكحها أياه أخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها فأتتني فأتته
 انقضت عدتها أراد أن يرجعها فأتني جابر وقال طلق ابنة عمنا ثم ترد أن نكحها الثانية وكانت المرأة ترد
 زوجها قدر ضيقته فنزلت هذه الآية وأراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن أجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي
 قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين (فلا تعضلوهن أن ينكحن
 أزواجهن) خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن أيها الاولياء فمنعهن من مراجعة أزواجهن
 بنكاح جديد يتفقون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الآية خاصاً أو أصل
 العضل المنع والتضييق ومنه قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي * بدمك ان ولي يرضيك مقبلاً
 ولكنه النائي اذا كنت آمناً * وصاحبك الا دني اذا الامر أعضلاً

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن واقفه في ان المرأة لا تلي عقد النكاح ولا تأذن فيه اذا
 لو كانت تلك ذلك لم يكن عضل ولا نهى الولي عن العضل معنى ﴿ وقوله تعالى (اذ اتراضوا بينهم بالمعروف)

يتزوجن من شئ من شئ من الأزواج سمو أزواجاً باسم ما يؤل به والاولياء في عضلهن ان يرجعن الى أزواجهن الذين كانوا
 أزواجهن سمو أزواجاً باعتبار ما كان نزل في معقل بن يسار حين عضل أخته ان ترجع الى الزوج الاول وللناس أي لا يوجد فيها ينكح
 عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين (اذ اتراضوا بينهم) اذ اتراضوا الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن في

يعني

بعد الوطء (فلا جناح عليهما) على الزوج الاول وعليها (أن يترجعا) أن يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان طلقا) أن ينفيا حدود الله (ان كان في ظنهما انهما لم يقبلا حق الزوج) ولم يقل ان علمائهما يقبلا لان اليقين مغيب عنهما ليعلمه الا الله (وتلك حدود الله يبينها) وبالنون المفضل (لقوم يعلمون) يفهمون ما بين طهر (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن وشارفن منهاها والا أجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان أجل وللموت الذى ينتهى به أجل (فلمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) أى فاما ان يراجعها من غير طلب ضرر بل راجعة واما ان يجلبها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرر (وللمسكوهن ضرارا) مفعول له أو حال أى مضارين وكان الرجل يطلق المرأة بتركها حتى يقرب انقضاء عدتها من راجعها لاعتبار حاجتها ولكن يطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (للتعدوا) نظاموهن أو المجهوهن الى

عبد الرحمن بن الزبير وان مامعه مثل هبة النوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريد ان ترجى الى الرفاعة لاحتى بذوق عسيلتك وبذوق عسيلته فوطئت طلاق أى قطعه والبت القطع وقوطها مثل هبة النوب أى طرفه وهو كناية عن استرخاء الذكروه حتى بذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع والعسل وهو كناية عنه وانما أثبت العسل لان من العرب من يؤثمه ويقول أشه جلاله على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير يفتح الزاى وكسر الباء مشددة ٢ وروى انه البت ماشاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فان أصدقتك في الآخر فليبت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت أبأ بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع الى زوجي الاول فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتيتك وقال لك ما قال فلا ترجى اليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت لهن مثل ما قالت لابي بكر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا رجعتك ٣ قوله تعالى (فان طلقها) يعنى الزوج الثانى بعد وطئها (فلا جناح عليهما) يعنى على المرأة والزواج الاول (ان يترجعا) يعنى بفسخ كاح جديد (ان طلقا) أى علموا أو بقا وقيل ان رجوا لان احدا لهما ما هو كائن الا الله تعالى (ان يقبلا حدود الله) يعنى يقبلا بينهما من الصلاح وحسن العشرة والصحة وقيل معناه ان علمان نكاحهما على غير ذلك بقول المراد بالبدلة التحليل ٤ (فرعان) الاول مذهب جمهور الامامان المطلقة بالثلاث لتحل للزوج المطلقة منه بالثلاث الا بشرائط وهى ان تعد منه ثم تزوج زوج آخر وبطأها ثم يطلقها ثم تعد منه فاذا حصلت هذه الشرائط قد حلت للاول والا فاولا سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب يحرم بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء فى اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالنسبة على ثلاثة أقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما ٥ الثانى اذا تزوج المطلقة ثلاثا لتحل للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد به قال مالك وأحمد لما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من المحل والمحل له آخر جزء الترتيبى وقال حديث حسن صحيح وروى أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها لم يشرط في النكاح انه يقار قها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت العدة غير انه يكره اذا كان في عزيمتها ذلك وبه قول الشافعى وأبو حنيفة ودليل ذلك ان الآية دلت على ان الحرمة تنتهى بوطء مسبق بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امرأته ثلاثا فاطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها لتحل الا لاول فقال لا لانكاح رغبة كنهان هذا اسفا حالى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦ وقوله تعالى (وتلك حدود الله بينهن القوم يعلمون) يعنى يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين يتفقهون بذلك البيان ٧ قوله عز وجل (واذا طلقتم النساء) نزلت في نابت بن يسار رجل من الانصار طلق امرأته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد بذلك مضاررتها (فبلغن أجلهن) أى قاربن انقضاء عدتهن وشارفن منهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتهن لم يكن للزوج امساكها فالبوع عنها بلوغ مقاربه كيقال بلغ فلان البلد اذا قارب به وشارفه فهذا من باب المجاز الذى يطلق اسم الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذى هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكانة الى الرجعة وعلى هذا التأويل فلا حاجة للمسا الى المجاز (فلمسكوهن) أى راجعوهن (بمعروف) وهو أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء (أو سرحوهن بمعروف) أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيمكن أنفسهن (وللمسكوهن ضرارا) أى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارون

في المنور اذا حثبت الحلاك والعصية فيها اقتدت به ذهبها وأعطى من المال لانها موعود من اتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال اذا أعطته المرأة ثمة راضية

فصل في حكم الخلع فيه مسائل **الاولى** قال الزهري والنخعي ودولاباح الخلع الا عند الغضب والخوف من أن لا يقام حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فساد وخجعة هذا القول ان الآية صريحة في أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيئاً عند طلاقه ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا أن يخاف أن لا يقام حدود الله فكانت هذه صريحة في أنه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف من أن لا يقام حدود الله وذهب جمهور العلماء الى أنه يجوز الخلع من غير شتر ولا غضب غير أنه يكره ما فيه من قطع الوصلة بالسبب عن نوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا امرأه سألت زوجك الطلاق من غير باس غرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بض الخلال الطلاق أحره أبو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من غير شتر وقوله تعالى فان طلقك اسكنه من نفسه اسكوه هنيئاً مريئاً فان طلقك من غير أن يرضى به من غير أن يحصل له شئ مما يكره فاذن طلاقه كان ذلك في الخلع الذي تصير به بينكم المكة أمر نفسه اولى وأجيب عن الاستثناء انه كور في هذه الآية أنه يحول على الاستثناء المقطع **المسئلة الثانية** الخلع جائز على أكثر مما أطاها به قال أكثر العلماء وقال بعضهم لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاه وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحنابلة وعطاء وطائوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما أطاها حتى يكون الفضل فيه حجة الجمهور أن الخلع عقد على معاوضة فوجب أن لا يقيد بمقدار معين كان للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح بالالكثير فكذلك للزوج أن لا يرضى عند الخلع الا بالليل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت نفسه مكرهاً **المسئلة الثالثة** اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في القديم أنه فسخ وهو قول ابن عباس وطائوس ومكرمة وبه قال أحمد وسعيد بن جابر والنخعي في الحديث الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحنابلة والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجج القول القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر به الخلع ثم ذكر الطلاق الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره حتى تنكح زوجاً غيره ولو كان الخلع طلاقاً كان الطلاق أرباعاً وحجة القول الجديد انه لو كان فسخاً لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالأقالة في البيع وأصله لو كان الخلع فسخاً فادخالها له لم يرد كرهه اوجب ان يحب المهر عليها كالأقالة فان لم يحب رده وان لم يرد فبأن الخلع ليس بفسخ وإذا بطل ذلك ثبت أنه طلاق وإيضافاً للطاقة الثالثة قوله أو ترضى باحسان وفاءه فالخلاف اما اذا جعله طلاقاً ينقض به عدداً للطلاق فان تزوجها بعده كانت معه على طاعتين وان جعلناه فسخاً ثبت منه ثلاث **فصل** قوله تعالى (ثلاث حدود لله) يعني هذه وأمر الله ورواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجوزتها وهو قوله (ولا تعتدوها) أي فلا تجوزوها (ومن بعد حدود الله) أي يجوزها (وأولئك هم الظالمون) **فصل** قوله عز وجل (فان طلقها) يعني الطلاق الثالثة (ولا تحل له من بعد) أي لا تحل له رجعتها بعد الثلاث (حتى تنكح زوجاً غيره) يعني حتى تزوج زوجاً آخر غير المطلق في جامعها أو النكاح يتناول العقد والوطء جميعاً والمراد منه الوطء نزلة في تحمة وقيل عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحب ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً (ق) عن عائشة قالت جاءت امرأ رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقاً فترجعت بعده

حدود الله (ثلاث حدود الله) أي ما حرم من النكاح واليمين والابلاء والطلاق والخلع وتبعية ذلك (فلا تعتدوها) فلا تجوزوها (ومن بعد حدود الله) ومن بعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (الضارون أنفسهم) (فان طلقها) مرة ثالثة بعد المرتين فان قلت الخلع طلاق عند ما وكذا عند الشافعي رحمه الله في قول فكان هذه طلاقاً رابعة فالت الخلع طلاق يبدل فيكون طلقه ثالثة وهذا بيان لتلك أي فان طلقها لثالثة يبدل حكم التحليل كذا (فلا تحل له من بعد) من بعد الطلاق الثالثة (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى تزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالزوج وفيه دليل على ان النكاح ينعقد بعقدها بعانها ولا يصح بشرط بحيث الصيلة كما عرف في أصول الفقه والفقه فيه انه لما تقدم على فراق لم يبق له من محصل لم تحل له الا بدخول فحل عليها ليجتمع عن ارتكابه

تبين بالعدة وقيل بان
لا يطأه الثالثة في الطهر
الثالث ونزل في جبهة
وزوجها ثابت بن قيس بن
شماس وكانت تبغضه وهو
يحبهما وقد أعطاها حديقة

فاختلعت منه وهو أول
خامع كان في الاسلام (ولا
يحل لكم) أيها الأزواج
أو المحكم لانهم الأمر
بالاخذ والابتاع عندهم
الترافع اليهم فكانهم
الأخذون والمؤتون (أن
تأخذوا مما آتيتهم من شيا)
عما أعطيتهم من المهور
(الآن يخاف أن لا يقيا
حدود الله) الآن يعلم
الزوجان ترك اقامة حدود
الله فيايلزمهما من

مواجب الزوجية لما
يحدث من نشوز المرأة
وسوء خلقها (فان خفتم)
أيها الولاء وجاز أن يكون
أول الخطاب للأزواج
وأخره للحكام (ألا يقيا
حدود الله فلا جناح
عليهما) فلا جناح على
الرجل فيما أخذوا لعلها فيها
أعطت (فيا اقتدت به)
فيا اقتدت به نفسها
واختلعت به من بدل
ما أوتيت من المهر الآن
يخاف جزة على أنبناه
للمفعول وابدال أليقيا
من ألف الضمير وهو من
بدل الاشتغال نحو خيف بدتركة اقامة

الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقة ان وأنه لا رجعة له بعد التطليقتين ان
بهرحان فطلقة الثالثة (فامساك بمعروف) يعني بعد الرجعة وذلك أنه اذا رجعها بعد التطليقة الثانية
فعله أن يسكها بالمعروف وهو كل ما عرف بالشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة (أوتسريح
باحسان) يعني أنه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عنتها بغير مضادة وقيل هو أنه اذا طلقها أدى إليها
جميع حقها المالىة ولا يذكرها بعد المرافقة بسوء ولا يفر الناس عنها **فروع** تتماق باحكام
الطلاق **الفرع الاول** صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غيرية ثلاث الطلاق والفرار والسرار
وعند أبي حنيفة الصريح هو انط الطلاق فقط **الفرع الثاني** الحر اذا طلق زوجته مطلقا وطليقتين بعد
الدخول بهما فله مراجهته من غير رضاها مادامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عنتها أو طلقها قبل
الدخول بهما أو خالعهما فلا تحل له الاينسكاح جديد بذاته أو اذن وإيها **الفرع الثالث** العبد يملك على
زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان أحد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات
والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فلا اعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبقال الشافعي ومالك
وأحمد وذهب أبو حنيفة الى أن الاعتبار بالمرأة فأما العبد يملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك
على زوجته الامة تطليقتين (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتهم من شيا) يعني أعطيتهم ومن (شيا) يعني
من مهر أو غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى (الآن يخاف أن لا يقيا حدود الله) نزلت في جبهة بنت عبد الله بن
أبي ويقال حديقة بنت سهل الانصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبهما وكان
بينهما كلام فأتى أباهما وشكا اليهم زوجها وقالت ان يسب أبى ويضربني فقال رجبى الى زوجك فأتى
أكره المرأة أن لا تزال رافعة يدها تشك وزوجها قال فرجعت اليه الثالثة وهما أثر الضرب فقال لها
ارجبى الى زوجك فله أبرأت أن أبدا لا ينسكحها أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشك اليه زوجها
وأرته آثارا بهما من ضرب يد وقالت يا رسول الله لا تأولاهو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال
مالك ولا هناك فقال والذى بعلمك بالحق نيا بما على وجه الارض أحب الى منها غيرك فقال لها ما تقولين
فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألهما فإذ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدك حديثا ينزل عليك خلافة هو أكرم الناس
حبلا وزوجته ولكن تبغضه فلا تأولاهو قال ثابت أعطيتها حديقة فخل ط فارتدها على وأتلى سبيلها فقال
لها تردين عليه حديقه وتماكين أمرك قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها
وخل سبيلها ففعل (خ) عن ابن عباس أن امرأ ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله إن ثابت بن قيس ما عتب عليه في خاق ولا مال ولا كنى أكره الكفر في الاسلام قال أبو عبد الله يعني
تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين عليه حديقه قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أقبل الحديقه فوططها فطليقة فوططها فأعتب عليه يعني ما عتب عليه والعقبى المجرىة والحد بقية البستان من
النخل اذا كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى الآن يخاف أن لا يقيا حدود الله (أن لا يقيا حدود الله) يعني ما أوجب
الله والمعنى يخاف المرأ أن تعصى الله في أمور زوجها ويخاف الزوج أنه اذا لم تظلمه أن يعصى الله ما عتبها
الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئا مما أعطتها الآن يكون الشوز من قبلها وذلك ان تقول لا أطيع لك
أمر أو لا أطا لك مضجعا ونحو ذلك وقوى تخافضهم الياء ومعناه الآن يعلم ذلك من حاطها يعني يعلم القاضي
والوالى (فان خفتم) يعني فان خفتم وأشفقتم وقيل معناه فان ظننتم (أن لا يقيا حدود الله) يعني ما أوجب
الله على كل واحد منهم من طاعة فيما أمر به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع الى
المرأة وهو سوء خلقها واستخفافها ببقى زوجها (فلا جناح عليهما فيا اقتدت به) أى لا جناح على المرأة

(والرجال عليهن درجة) زيادة في الحسب وفضيلة بالقيام بامر ما وان اشتركوا في اللذة والاستمتاع أو بالاتفاق وملك النكاح (والله عز و جل) لا يعترض عليه في أمره (حكيم) لا يامر الا بما هو صواب وحسن (الطلاق مرثان) الطلاق بمعنى التناهي كالسلامة بمعنى التسليم أى التخليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين الثانية ولكن التكرير بكونه ثم ارجع اليه من كبر أى كرهه كره لا كرتين اثنتين وهو دليل اتفاق ان الجمع بين الطالقتين والثلاثة بدعى طهر واحد لان الله تعالى أمرنا بالتفريق لانه وان كان ظاهرا لم يخبر فعاد الامر ولا يؤدي الى الخفاء في خبر الله تعالى لان الطلاق على وجه الجمع قد يوجد وقيل قالت انصار به ان زوجي قد لا زال أطلقك ثم ارجعك فترث الطلاق مرثان أى الطلاق الرجعي مرثان لانه لارجعة بعد الثالث

الآخر فله عليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها وصالحها ويجب على الزوجة الانتباه والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية في أحب أن تزني لامرأتى كما أحب أن تنزني لي لان الله تعالى قال ولئن مثل الذي عليهن بالمعروف (ثم) عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فائقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانات الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ولستم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحد اذن كرهوهن فان فعلن ذلك فاضربوهن ضرب باغيره برح ولئن عليكم رزقهن وكوتهن بالمعروف قوله فائقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاملاتهن بالمعروف قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله وروى بائنه وقوله واستحلتم فروجهن بكلمة الله معناه بإباحة الله والكلمة هي قوله فانكم أخذتموهن بامانات الله وقيل السكامة هي قوله فامساككم بمعروف أو تسريح باحسان وقيل السكامة هي كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم أحد انكرهونه مناه لا يأذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء لايرون ذلك عيبا ولا يكرهونه بآلة ان نزلت ابد الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنا فان ذلك محرم على كل الوجود فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لما يكن الضرب فيه ضرب باغيره برح انما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولئن عليكم رزقهن وكوتهن بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكوتهن اذ ذلك ثابت بالاجماع وقوله تعالى (والرجال عليهن درجة) أى منزلة ورفعة قال ابن عباس بماساق اليه من المهر واتق عليهما من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها العقل والشهادة والميراث والدية وصلاحية الامامة والقضاء ولا يرسل أن يتزوج عليهما ويسرى وليس لهذا ذلك ويد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها واذ اطلاقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شئ من ذلك يدها (والله عز و جل) أى غالب لا يمنع عليه شئ (حكيم) أى في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده عن أبي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فمر رجوع فرأى رجلا لا يسجد بعضهم لبعض قد كذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لم أمرت المرأة أن تسجد لزوجها وقوله عز وجل (الطلاق مرثان) عن عروة بن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقض عهدها كان له ذلك وان طلقها ألف مرة فعد رجلا الى امرأته فطلقها حتى اذا شارفت انقضاء عهدها ارتجعها ثم قال والله لا أورك الى ولا تخليين أبدا فانزل الله تعالى الطلاق مرثان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته شاء الله أن يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها ماثمة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبينتني ولا أورك ابدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلمنا همت عندك ان تنقض راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فاخبرتها فكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرثان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قالت عائشة فامساك تألف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق وتسمى الآية ان الطلاق الرجعي مرثان ولا رجعة بعده الثالثة الا ان تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى الآية ان التطلق الشرعى يجب ان يكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال ان الجمع بين الثلاثة حرام الا أن باحنيقة قال بقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الآية ناله على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدد الذي تبين به زوجته من المعنى أن عدد الطلاق

المرأة فراق زوجها فكتمت
حاشا لها لا ينتظر بطلاقها ان
تضع ولا يشفق على الولد
فترك تسريحها وكتمت
حيضها وراقا وهي حائض
قد طهرت استحيلا للطلاق
ثم عظم فعلهن فقال (ان كن
يؤمن بالله واليوم الآخر)
لان من آمن بالله وبعباده
لا يجترئ على سئله من
العظيم (وبعولته)
البعول جمع بعول والباء
لاحقة انما ثبت الجمع (أحق
بردهن) أي أرواجهن أولى
برجعهن وفيه دليل على
ان العلاق الرجعي لا يحرم
الوطء حيث سمى زوجها به
الطلاق (في ذلك) في مدة
ذلك اثر بص والمعنى ان
الرجل ان أراد الرجعة وأنها
المرأة وجب ايفاء قوله على
قولها وكان هو أحق منها
لان لها حقا في الرجعة
(ان أرادوا) بالرجعة
(اصلاحا) لما بينهما وبينهن
واحسانا اليهن ولم يردوا
مضارتهن (وطن مثل
الذي عليهن) ويجب لمن
من الحق على الرجل من
المهر والنفقة وحسن العشرة
وترك المضاربة مثل الذي يجب
لهم عليهن من الامر والنهي
(بالعرف) بالوجه الذي
لا يذكر في الشرع وعادات
الناس فلا يكف أحد الزوجين
صاحبه ما ليس له والمراد بالاحالة

مورثة ما لا في الحي رفته * لما ضاع فيها من قروء نسائها

أراد انه كان يخرج للغزو ولم ينش نساءه فمضى اقراؤه وانما يصنع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيض
وقائدة الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره أطول وذلك ان المدة اذا شرعت في الحيضة
الثالثة فقد انقضت عدتها وحات للزوج وبحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق فأرعى قول
من يجعل الاقراء الاطهار قالت عائشة رضي الله عنها اذا دخلت الماطلة في الحيضة الثالثة فقد بان من زوجها
وحلت للزوج وروى عنها انها قالت اقراء الطهر ليس بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا أعلم لان هذا مما
يتلى به النساء وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل
الاقراء حياضها ومذهب أبي حنيفة لا نقض عدتها ما لم تظهر من الحيضة الثالثة ان كان وقع الطلاق في
حال الطهر أو من الحيضة الرابعة ان وقع في حال الحيض فان قلت ما معنى الاخبار عنهن بالتر بص في قوله
والماطلة تر بص بانفسهن قلت هو خبر في صورة الامر وأصل الكلام وليتر بص المطلقات فأخرج
الامر في صورة الخبرنا كيد لا امر واشعار بأنه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتهاله فكانهن امتثلن
الامر بالتر بص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحك الله أخرجه في صورة الخبر بقرعة بالاجابة
فكانه قال وجدت الرجعة فهو يخبر عنها

فصل أحكام العدة وفيه مسائل * المسئلة الاولى * عدة الحامل تقضى بوضع الحمل سواء المطلقة
والتوفى عنها زوجها سواء في ذلك البقرة والامة * المسئلة الثانية * عدة التوفى عنها أسوى الحامل أربعة
أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائض والامة والآيسة
* المسئلة الثالثة * عدة المطلقة المدخول بها وهي ضربان أحدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة
اقراء الضرب الثاني الآيسات من الحيض اما لكبر أو تكبر لم تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما الماطلة
قبل الدخول فلا عدة عليها * المسئلة الرابعة * عدة لامة نصف عدة الحائض وفيها نصف وفي الاقراء قرآن
لانه لا ينصف قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه منكح العبد اثنتين ويطلق طلقين وتعد لامة
بجنتين * وقوله تعالى (ولا يحل لمن ان يكتم ما خلق الله في ارحامهن) قال ابن عباس يعني الولد وقيل
الحيض والمعنى انه لا يحل للمرأة كتمان ما تلقى الله في رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بذلك الكتمان
حق الزوج من الرجعة والولد (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) هذا وعد شديد بان كيد تحريم
الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى ان هذا من فعل المؤمنين
وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو وكفوكا حتى ان كنت مؤمنة يعني أن أداء الحقوق من أقبل
المؤمنين وتقول للذي ظلم ان كنت مؤمنة فلا تظلمي والمعنى ينبغي ان يعفك إيمانك من الظلم في سبب
وعيد النساء بهذا قولان أحدهما انه لا حل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني انه لا حل
الحاق الولد به برأيه قاله قتادة وقيل كانت المرأة اذا رغبت في زوجها تقول في حائض ان كانت قد طهرت
ليراجعها وان كانت زاهدة فيه كتمت حيضها أو تقول قد طهرت لثفوتنه فهاهن الله عن ذلك وأمرهن بإداء
الامانة (وبعولتهن) أي بردهن في ذلك يعني أزواجهن سمي الزوج بعولتهن بامر زجته وأصل العمل
السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتن وردهن اليهن في ذلك أي في حال العدة فاذا انقضت وقت
العدة فقد بطل حق الرد والرجعة (ان أرادوا اصلاحا) يعني ان أراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن
العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يرجعون ورون بذلك الاضرار ارفعى الله المؤمنين
عن مثل ذلك وأمرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة (وطن) يعني والنساء على الأزواج (مثل الذي
عليهن) يعني للأزواج (بالعرف) وذلك ان حق الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما ابرعى حق

مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسل ثيبه أو غبغت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقال به ياتى بالرجال

(وان عزموا الطلاق) بترك التي يتر بصوا الى مضى المدة (قال الله سبحانه) لا بلائه (تعليم) بذته وهو وعيد على اصرارهم وتركهم الغيبة وعند الشافعي رجعا لله معناه فان اذوا ان عزموا بعد مضى المدة لان الفاء للتعقيب وقلنا قوله فان اذوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يقولون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما يقول انا منكم هذا الشهر فان احسنكم ائت عندكم الى آخره والامام اقم الاربعينما تحول (والطائفات) اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (يتر بصن بنفسهن) خبر في معنى الامر واصل الكلام ولتتر بص الطائفات واخرج الامر في صورة الخبر ان كيد الامر واشعار بالله ما

عنه موجودا ونحوه قوله في الدعاء رجعا لله اخرج في صورة الخبر بقية الاستجابة كأنها وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبنائه على المبتدأ مما زاده اضا فضل تأكيد لان الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية وفي ذكر النفس نهيج لمن على التبرص وزيادة بعث لان أنفس النساء طوام الى الرجال فامر من أن يقيم عن أنفسهن ويغلبها على الطموح ويجبرها على التبرص (ثلاثة قروء) جمع قراء قراء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطلقين وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللاتي يشن من الحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام

اذا مضت مدة أو بعة أشهر يقع عليها طائفة بانتهوا به قال سفيان الثوري وأبو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهرى يقع عليها طائفة رجعية **الفرع الثاني** لو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطأها قبل مضى المدة لم يفسد عزمه **الفرع الثالث** لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمول بعد مضى المدة عند الشافعي لان إبقاء المدة شرط للوقوف ونوبت المطالبة بالني أو الطلاق وقدمت المدة عند أبي حنيفة ليكون موالياً يقع الطلاق بمضى المدة **الفرع الرابع** مدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي لانها مدة ضربت لعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرء عن الزوج فيستوى فيه الحر والعبد كدعة العنة وعن مالك وأبي حنيفة تنصف مدة الإيلاء بالرق غير أن عند أبي حنيفة تنصف مدة الإيلاء برق المرء وعند مالك برق الزوج كافي الطلاق **الفرع الخامس** اذا طرأ على رجل من الإيلاء يجب عليه كفارة عيّن وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاؤا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قل ذلك في إسقاط العقوبة عنه لان الكفارة **الفرع السادس** (وان عزموا الطلاق) أي تحقوه بالايقاع (فان الله سمع) يعني لا قولهم (عالم) يعني بنياتهم وفيه دليل على أنها لا تنطق ما لم يطلقها زوجها لانها تعالى شرط فيها العزم **الفرع السابع** قوله عز وجل (والطائفات) أي الخليات من حبال أزواجهن والطائفة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق (يتر بصن بنفسهن) أي ينتظرن فلا يتزوجن (ثلاثة قروء) جمع قراء والقراء اسم يقع على الحيض والظهر قال أبو عبيدة الاقراء من الاضداد كالشفق اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفو في أصله فقل أصله الجمع من قرأ أي جمع لان في وقت الحيض يتجمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل أصله الوقت يقال رجع فلان اقرته أي لوقته الذي كان فيه لان الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما ان الاقراء هي الحيض روى ذلك عن عمرو بن دينار عن ابن مسعود وابن عباس وأبي موسى وعبد بن الصامت وأبي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدسي والازدعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول ان الاقراء هي الاطهار أو الألبوم ذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمصاحضة دعي الصلاة أيام أقرائك يعني أيام حيضك لان المرأة لا تدع الصلاة أيام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان عمر لم يطلق امرأته وهي حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء أمسكها وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها أخباران زمان العدة هو الطهر لا الحيض وبعضهم من اللغة قول الاعشى

ففي كل عام أنت جاثم غزوة * تشد لفاصها عزم عرائكا

دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ولان لو كان طهرا كما قال الشافعي لانقضت العدة بقرآن وبعض الثالث فتنقض العدة عن الثلاثة لانه اذا طلقها لا آخر الطهر فذا محسوب من العدة عندها اذا طلقها في آخر الحيض فذا غير محسوب من العدة عندنا والثلاث اسم خاص اعدد مخصوص لا يقع على ما دونها ويقال أقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئة وانتصاب ثلاثة على انه مفعول به أي يتر بصن مضى ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتر بصن مدة ثلاثة قروء وجاء الميز على جمع الكثرة ودون القلة التي هي الاقراء لا شرا كهما في الجمعية انما عا لعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قروء من الاقراء فآثر عليه تنزيلا لتقليل الاستعمال منزلة الماهل

يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهو العين الغموس وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لأن كسب القاب العزم والقصد والمؤاخذه غير مدينة هنا وبنت في المائدة فكان البيان ثم بيانا هنا وقلنا المؤاخذه هنا مطلقة وهي في دار الجزاء والمؤاخذه ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض (والله غفور رحيم) حيث لم يؤخذكم للعفو في أيمانكم (لأنهم يؤلون) يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن يعلق (من نسأهم) يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك معونة أي للمؤمنين من نسأهم (تربص أربعة أشهر) أي استقر للمؤلين تربص أربعة أشهر لا يؤلون لأن آل يمدى يعني يقال آل فلان على أمره أو قول الغائل آل فلان من أمره أنه لوهم توهمه من هذه الآية ولك أن تقول عدى بمن لمافي هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل يمدون من نسأهم مؤلين (فان فاؤا) في الأشهر اقراء عبدا لله فان فاؤا

أمكن يؤخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القاب هو العقد والنية فصل في بيان حكم الآية وفيه مسائل **المسألة الأولى** لا تنعقد اليمين الإلالية وبإسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل والذي نفسي بيده والذي أعجب ودخو ذلك بالحلف بإسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم والمهيمن ونحو ذلك والحلف بصفاته كقوله وعزاة الله وقدرته وعظمته ونحوه فاذا حلف بشئ من ذلك ثم حنث فله الكفارة **المسألة الثانية** لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فاذا حلف بشئ من ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف بما لا يروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بها كتم تخلفوا يا أيها كتم فن كان حائفا فالحلف بالله وأبصمت أخرجه في الصحيحين **المسألة الثالثة** إذا حلف على أمر في المستقبل حنث فله الكفارة وإن كان على أمر ماض ولم يكن وعى أنه لم يكن فكان إن كان عالما به حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعلت فله الكفارة في الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لأنها غمس صاحبها في اليمين ونجس فيها الكفارة عند الشافعي سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا كفارة عليه فان كان عالما فهي كبيرة وإن كان جاهلا فهي من أقوال العيين (والله غفور) يعني أعباده في الغموس أي عاينهم التي أخبرنا لا يؤاخذه هم عليها ولو شاء أخذهم وألزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل (حليم) يعني في ترك معاملة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم أنه الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله عن عبادته لاجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع وبقية وهو منهمك في معاصيه كما يجني البر المتيقن وقد يقبض الآثام والبلايا وهو غافل لا يدكره فضلا عن أن يدعو كبقية الناسك الذي يدعو ويأله وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصبح والأناة الذي لا يستغفر غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم إنما الحليم المصفوح مع القدرة على الانتقام التأماني الذي لا يبجل بالعقوبة قوله عز وجل (للذين يؤلون من نسأهم) يؤلون أي يخلفون والالية العيين قال كثير

قائل الألباء حافظ ليمينه * وان سميت منه الالية برت

والإبلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطء كما إذا قال والله لأفعلنك أو لأفعلنك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من أمره أنه شيا فابت أن تعطيه حلف لا يقرب به السنة والسنين والثلاث فبعدمه الألباء ولا ذات بل فلما كان الإسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأزل هذه الآية وقال سعيد بن المسيب كان الإبلاء ضارا أهل الجاهلية فكان الرجل لا يبر بامرأته ولا يجب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها أبدًا فيتركها الألباء ولا ذات بل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام جعل الله تعالى له الأجل الذي يعلم به ما عزمه الرجل في المرأة أربعة أشهر وأزل هذه الآية للذين يؤلون من نسأهم (تربص) أي انتظر (أربعة أشهر) والتربص التثبت والانتظار (فان فاؤا) أي رجعوا عن اليمين بالوطء والمعنى فان رجعوا لم يحلفوا وعليه من ترك جماعها (فان الله غفور رحيم) لازوج آذات من أضرار ما مرأته فانه غفور رحيم لكل التائبين **فروع** تتعلق بحكم الآية **الفروع الأولى** إذا حلف أنه لا يقرب زوجته أبداً أو مدهى أكثر من أربعة أشهر فهو مول فاذا مضت أربعة أشهر بوقف الزوج ويؤمر بالنيء وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عمّا قال الوطء ان قدر عليه أو بالقول مع العجز عنه فان لم يقرب ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول حماد وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول بوقف المولى وذهب إليه سعيد ابن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وهو قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود

فبين أي رجعوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه (فان الله غفور رحيم) حيث شرع الكفارة

(وانتقوا الله) فلا تتجروا على المباحي (واعلموا انكم ملافوه) صائرون اليه فاستعدوا للقاءه (و بشر المؤمنين) بالثواب يمجّدوا عما جاء
يسئلك ثلاث مرات بالاول ثم هم نواؤا ثم لان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول كانه وقع في احوال متفرقة فلم يثبت بحرف العطف لان كل
واحد من السؤالات سؤال مبتدأ (١٦٤) وسألو عن الحوادث الاخرى في وقت واحد حتى يحرف الجمع لذلك (ولا تتجملوا الله عرضة

لايمانكم) العرضة قوله
يعنى مفعول كلفه وهو
اسم ماتعرضه دون الشيء
من عرض العود على
الاياء فيتعرض دونه ويصير
حاجزا وما نفعنا منه تقول
فلان عرضة دون الخير
وكان الرجل يحلف على
بعض الخبرات من صلة
رحم أو اصلاح ذات بين
أو احسان الى أحد أو عبادة
ثم يقول أخاف الله ان
أخنت في عيني فيسترك
البرادة العبر في عينه فقيل
لم ولا تتجملوا الله عرضة
لايمانكم أى حاجزا لما
حلفتم عليه وسمى الحلوفا
عليه عينا يتلبسه باليمين
كقوله عليه السلام من
حلف على يمين فرأى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه
وقوله (أن تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس)
عطف بيان لايمانكم أى
للامور المحلوف عليها التي
هى البر والتقوى والاصلاح
بين الناس والامتناع
بالفعل أى والتجملوا الله
لايمانكم برضا ويجوز أن
تكون الامم للتعليل
ويتعلق أن تبروا وتفعلوا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد قسمه البار الا تخلفه الا قسم قوله
التخلف القسم حتى قدر ما يبرائة قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا داوردها حازها فقد أبرائة
قسمه وقيل قدس والانفسكم يعنى من الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية (وانتقوا الله) أى احذروا ان
تأثروا بشيا مما بها لكم الله عنه (واعلموا انكم ملافوه) أى صائرون اليه في الآخرة فيجزى بكم بما عملكم
(و بشر المؤمنين) يعنى بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل (ولا تتجملوا الله عرضة لايمانكم) نزلت في
عبد الله بن رواحة كان ينفذ بين خنته بشير بن النعمان شئ خاف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح
بينه وبين خصمه فلما كان اذ قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا فعل فلما يحل الى الآن تبرع بى فانزل الله
هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف ان لا ينطق على مسطح حين خاض في حديث الافك
والعرضة ما يجعل معرضة لشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فبئع عن الشيء فهو عرضة والمعنى
ولا تتجملوا الحاب بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى ويذكرى أحدكم الى بر وأصله ترحم فيقول قد حلفت بالله
لاأفعله فيفعل بيمينه في ترك البر والاصلاح (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) قيل معناه لا تتخافوا
بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فإنها وليك كفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم
بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه (والله سمع) أى لحلفكم (عليهم) يعنى
بنياتكم قوله عز وجل (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو كل ما قطمط روح من السكالا ولا يعتد به
وهو الذى يورد لاعن روى عنه وكرو اللغو فى اليمين هو الذى لا علة معه كقول القائل لا والله بلى والله على
سوى اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعى وبعضه مامروى عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤخذكم
الله باللغو في أيمانكم في قول الرجل لا والله بلى والله أخرجه البخارى موقوفاً وروى عنه أبو داود قال قالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في يمينه كلاً والله بلى والله ورواه عنها أيضاً موقوفاً
وقيل فى معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شئ يرى انه صادق ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة
ولا كفارة فيه ولا اثم عليه عنده قال مالك في الموطأ احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على
الشيء يتيقن انه كذابه يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال ولدى يخاف على الشيء وهو يعلم انه فيما ثم كاذب
ليرضى به أحد او يعتذر للغلو أو يقتطع به ما لا يفيد أعظم من أن تكون فيه كفارة وبما لك كفارة على
من حلف أن لا يفعل الشئ المباح له فله ثم يفعله أو أن يفعله ثم لا يفعله مثل أن يحلف لا يدع ثوبه بعشرة دراهم
ثم يديه بذلك أو يحلف ليصير بن غلامه ثم لا يصير به وفائدة الخلاف الذى بين الشافعى وأبي حنيفة في لغو
اليمين ان الشافعى لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله بلى والله بوجهها فإذا حلف على شئ يعتقد انه
كان ثم بان انه لم يكن وبه حنيفة يحكم بصد ذلك مذهب الشافعى هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب
أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهرى وسليمان بن يساق أذ قد مكحول وقيل في
معنى القوانه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع وهو من غير قصد أئمة ومعنى لا يؤخذكم أى لا ياتكم الله
بلغو اليمين وقيل لا يؤخذكم أى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين (ولكن يؤخذكم) بما كسبت فلو بكم) يعنى

بالعرضة أى ولا تتجملوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لا تبروا (والله سمع) لايمانكم (عليهم) غياتكم (لا يؤخذكم) لكن
الله باللغو في أيمانكم) اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره وانما اليمين الساقط الذى لا يعتد به في الايمان وهو ان يحلف على شئ يظنه
على ما حلف عليه والامر بخلافه والمعنى لا ياتكم بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم وعند الشافعى ربه الله هو ما يحجر على لسانه من غير قصد
للحلف نحو لا والله بلى والله (ولكن يؤخذكم) ولكن يعاقبكم (بما كسبت فلو بكم) بما اقترعتم من اثم القصد الى

(ق) عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فتنزلت نساؤكم حثركم
فاتوا حثركم اني شتمت وفي رواية لترمذي كانت اليهود تقول من اتى المرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث
وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلك قال وما اهلكك قال حول
رحلى الليلة قال فبردي عليه شيئا فواضح الى الله ارسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حثركم فاتوا
حثركم اني شتمت اقبل وذبر ورائي الدبر والحيفة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حول
رحلى هو كناية عن الاثبات في غير المحل المتأخر وها هو يعجز أن يرديه انه اثنائها في المحل المعتاد لكن
من جهة تظاهرها عن ابن عباس قال كان هذا الحى من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحى من يهودهم
اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعالهم وكان من شأن اهل
الكتاب ان ياتوا النساء الاعلى حرف وذلك أشق ما تكون المرأة فكان هذا الحى من الانصار قد أخذوا
بذلك من فعلهم وكان هذا الحى من قرش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون بهن مقبلات
ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب أن يصنع بها
ذلك فانكرته عليه وقالت انا كنهت في حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرها فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حثركم فاتوا حثركم اني شتمت أى مقبلات
ومدبرات ومستلقيات يعنى بذلك موضع الولد أخرجه أبو داود والوثني الصنع وقيل الصورة لاجتنابها وقوله
على حرف الحرف الجانب وحرف كل شئ جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها
على قفاها وأصل الشرح البسط وقوله سرى امرها أى ارتفع وعظم وتفاخر وأمله من سرى البرق اذا جلى
الامعان عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساؤكم حثركم فاتوا حثركم اني
شتمت في صمام واحد وروى سفيان بالسين أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حثركم معناه
مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المرأة كالارض والطفة كالبرز والولد كالنبات
الخارج (فاتوا حثركم اني شتمت) يعنى كيف شتمت وحيث شتمت اذا كان في القبل والمعنى كيف شتمت مقبلة
ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفى الآية دليل على تحريم اتيان النساء في أدبارهن لان محل الحرث
والزرع هو القبل لا الدبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من
أتى امرأة في دبرها أخرجه أبو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعنى ان شتم فاعزلوا وان شتم
لا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حثرك ان شئت فعتش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستأمر
الحرمة في العزل ولا تستأمر الجارية وبه قال أحد وكه جاءه العزل وقالوا هو الولد الخفي وروى ما ع قال
كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية نساؤكم حثركم قال تدرى فيم نزلت هذه الآية قلت
لا قال نزلت في رجل أتى امرأته في دبرها فاشتق ذلك عليه فنزلت هذه الآية وروى عبد الله بن الحسن انه أتى
سالم بن عبد الله بن عمر فقال له يا عم ما حديث يحسدك نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا لآتيان النساء
في أدبارهن فقال كذب العبد وأخطأ قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك
اباحة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم آتيان النساء في أدبارهن وقالوا لان الله حرم
الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة وهو الدم قالوا أن يحرم الدبر لاجل النجاسة اللازمة ولان الله
تعالى نص على ذكر الحرث والحرث به يكون نبات الولد فلا يحل العدول عنه الى غيره ۞ وقوله تعالى
(وقدموا الانفسكم) يعنى الولد وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع (ق) عن ابن عباس قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتي أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا
فانه إن يقدر بينهما ما يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم الافراط (ق) عن أبي هريرة قال

(فاتوا حثركم اني شتمت)

جاءه وهن متى شتمت وكفى

شتمت باركة أو مستلقية

أو مضطجعة بعد أن يكون

المائى واحدا وهو موضع

الحرث وهو تمثيل أى

فاتوهن كما تاتون أراضيك

التي ترى بدون أن تحرثوها

من أى جهة شتمت لا يحظر

عليكم جهة دون جهة وقوله

هو أى فاعتزلوا النساء

من حيث أمركم الله فاتوا

حثركم اني شتمت من

الكسنيات اللطيفة

والنعم رضات المستحسنة

ففى كل مسلم أن يتأدب بها

ويتكاف مثلها في

المحاورات والمكاتبات

(وقدموا الانفسكم) ما يجب

تقديمه من الاعمال الصالحة

وما هو خلاف ما نهى عنه

أوهو طلب الولد والتسمية

على الوطء

حينئذ يجب ترك العمل
 باحداهما لما عرف وعند
 الشافعي رحمه الله لا يقر بها حتى
 تطهر وتطهر دابة له قوله
 تعالى (فإذا تطهرن
 فأتوهن) فجاءه من جمع
 بينهما (من حيث أمركم
 الله) من المأثي الذي
 أمركم الله به وحاله لكم وهو
 القبل (إن الله يحب
 التوابين) من ارتكاب
 ما نهوا عنه أو العوادين
 إلى الله تعالى وإن زلوا فزلا
 والمحبة لمعرفة بعضهم ففهم
 الله حيث لا يأس (ويحب
 المتطهرين) بالماء أو
 المتزهين من أدبار النساء
 أو من الجماع في الخيض
 ومن القوا حش كان اليهود
 يقولون إذا أتى الرجل أهله
 بركة تأتي الولد حول فتزل
 (نساءكم حث لكم) مواضع
 حث لكم وعدا بمجاز شبهين
 بالمحارث تشبيها لما يليق في
 إرجاء من من النطف التي
 منها النسل بالبذور والولد
 بالنبات ووقع قوله نساءكم
 حث لكم بياناً وتوضيحاً
 لقوله فأتوهن من حيث
 أمركم الله أي أن المأثي
 الذي أمركم الله به هو مكان
 الحث لا مكان الفرت
 تنبيهاً على أن المطاوب
 الأولى في الإنيان هو مطلب
 النسل لا قضاء الشهوة فلا
 تأتوهن إلا من المأثي الذي
 ينهاه هذا المطاوب

الدم وقرى يطهرن بشديد الماء ومعناه حتى يغتسلن (فإذا نظهن) أي اغتسلن من حيثين (فأتوهن من
 حيث أمركم الله) قال ابن عباس طوهن في الفرج ولا تتدلى إلى غير فانه هو الذي أمر الله به ولا تأتوهن
 في غير المأثي وقيل فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله به وهو الطهر وقيل معناه وأتوهن من حيث يحل لكم
 غشيانهن وذلك بأن لا يكن صامحات ولا مستكفات ولا محرمات
 فصل في حكم هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الأولى) أجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن
 الخيض ومسحله كافر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها
 أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد أخرجه الترمذي وقال إن معناه هذا عند أهل العلم على التغليب ومن
 فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان أحدهما إنه يستغفر الله ويتوب إليه
 ولا كفارة عليه وهو قول أبي حنيفة والشافعي في الجديد والقول الثاني أنه يجب عليه الكفارة وهو القول
 القديم للشافعي وبه قال أحمد بن حنبل لما روى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع
 على امرأته وهي حائض قال يصدق بنصف دينار وفي رواية قال إذا كان دماً أحرف دينار وإن كان دماً
 أصفر نصف دينار أخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم (المسئلة الثانية)
 أجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة ودون الركبة وجواز مضاجعتها
 وملاستها ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كانت أحدنا إذا كانت حائضاً أو أدر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن يباشرها أمرها أن تبرز بزاز في فور جميعها ثم يباشرها أو يكملها به كما كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يكملها به وفي رواية قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد
 وكلانا جنب وكان أمرني فأزوي فباشرني وأنا حائض أخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما
 دون الفرج وفور كل شيء أوله وأنبه وقوله يكملها به بمرور يسكون الرأه وهو المضمون بفتحها وهو الحاجة
 (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت أنا حائض قال إن
 حيثك ليست في يدك الخمرة صير صبر بعضه ومن صف الخمر أو غيره بقدر الكف وقولها من المسجد
 يعني نادها من المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً في المسجد وعائشة في حجرته فطلب منها الخمرة
 وهي حائض (المسئلة الثالثة) يحرم على الحائض الحائض الصوم ولا تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة وقراءة القرآن ومس
 المصحف وحله فلما ثبت الحائض من التلويث في عبور المسجد جاز في أحد الوجهين قياساً على الجنب
 والثاني لأن حديثها غلط ويجب على الحائض قضاء الصوم ودون الصلاة لما روى عن عائشة العدة وبه قالت
 سألت عائشة فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة قالت أحرورة أنت قلت لست بحرورية
 ولكني أسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة أخرجاه في الصحيحين
 (المسئلة الرابعة) لا يرتفع شيء عما منه الخيض بانقطاع الدم ما لم تغتسل أو يتيمم عند عدم الماء الصوم
 فانه إذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار وذهباً أو حنيفة إلى أنه يجوز
 للزوج غشيانها إذا انقطع الدم لاكثر الخيض وهو عشرة أيام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي
 وغيره من العلماء أنه لا يجوز للزوج غشيانها ما لم تغتسل من الخيض أو يتيمم عند عدم الماء لأن الله
 تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين أحدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقر بهن حتى يطهرن
 معنى من الخيض فإذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فدل ذلك على أن الوطء لا يحل قبل
 الغسل وقوله تعالى (إن الله يحب التوابين) يعني من الذنوب والتواب الذي لكل أذن جديد وتوبة وقيل
 التواب هو الذي لا يعود إلى الذنب (ويحب المتطهرين) يعني من الأحداث وسائر التنجاسات بالماء وقيل
 المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصبوا الذنوب (وقوله عز وجل) (نساءكم حث لكم) الآية

(ولامة مؤمنة خير من مشرك ولو أعجبكم) ولو كان الحال ان المشركه تنجبكم وتحبونها (ولانتكحوا المشركين) ولا تزوجوهم بمسألة كذا قاله الزاج وقال جامع العلوم حذف أحد المفعولين والقدير ولا تنكحوهن المشركين (حتى يؤمنوا) بعد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) ثم بين علته ذلك فقال (أولك) وهو اشارة الى المشركات والمشركين (يدعون الى النار) الى الكفر الذي هو عمل أهل النار حقيقة أن لا يوالوا ولا يصاروا (والله يدع الى الجنة والمغفرة) أي وأولياء الله هم المؤمنون (١٦٦) يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين نجب

والا لهم ومصارعهم (بأنه) يعلمه أو يامر به (ويبين) آياته للناس اعلمهم بتذكرون) بتعظون كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشار بهوا ولم يساكنوها كفعل اليهود والنجس فسأل أبو الدحاح رسول الله عن ذلك وقال يا رسول الله كيف تصنع بالنساء إذا حضن فزول (ويستأونك عن الخيض) هو مصدر يقال حاضت محيضاً وكقولك جاء محيضاً (قل هو أذى) أي الخيض شيء يستفتر ويؤذي من يقر به (فاعتزلوا النساء في الحيض) فاجتنبهن أي فاجتنبوا مجامعتهم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهم ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهم في كل شيء فامر الله بالاعتصاف بين الامرين ثم عطف على حنيفه وأبى يوسف رحمه الله يحتجب ما شتم على الازار ومحمد رحمه الله لا يوجب الاعتزال المرفج وقالت عائشة رضي

وان زعم أن الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور مجزأته فقد زعم ان ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد أشرك مع الله غيره فعلى هذا القول أيضاً دخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الاعبد الاثران فقط والاول أصح لما تقدم من الدلالة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكليات وغيرهن تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكليات **قوله** تعالى (ولامة مؤمنة خير) يعني أتفع وأصلح وأفضل (من مشركه) يعني حرة (ولو أعجبكم) يعني بجملها واطرها ونسبها فالامة المؤمنة خير وأفضل عند الله من الحرة للمشركه تزل في خساء وابدية كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد كرت في الملاء الاعلى على سوادك ودامت لك ثم اعتقه قاتر زوجها وقيل زلت في عيب الله بن راحة كانت عند أمه سوداء فغضب عليها يوماً فاطمها ثم فرغ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال واهي يا عبيد الله قال هي تشبه دن لاله الا الله وأنت رسول الله والناسوم رمضان وتحسن الوضع ونصلى فقل هذه أمة مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لا اعتقنها ولا تزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا أنت كج أمة وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية (ولانتكحوا المشركين حتى يؤمنوا) هذا خطاب لاولياء المرأة أي لا تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنين أن ينكحوا مشركاً من أي أصناف الشرك كان وانعقد الاجماع على أنه لا يجوز للسلمة أن تتزوج بالمشرك (ولبعده مؤمن خير من مشرك) يعني حرة (ولو أعجبكم) بحسنه وماله وجاهه (أولك) يدعون الى النار) يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار (والله يدع الى الجنة والمغفرة) يعني انه تعالى يبين هذه الاحكام وأباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانهم من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة (بأنه) أي بتبديل الله وارا دته وتوفيقه (ويبين آياته للناس) أي يوضح أدلته ويحججه في أوامره ونواهيه وأحكامه (اعلمهم بتذكرون) أي فتعظون **قوله** تزل وسجل (ويستأونك عن الخيض) (م) عن أنس ان اليهود كانوا ذاحضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويستأونك عن الخيض قيل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض أي آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيئاً لا خالف فيه نجاء أسيد بن حضير وعبد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا الا فلان جاءهم في تغيير وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهم ما خرج فاستقبلتهما مائدة من لبن اى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فساقهما فصر فانه لم يجد عليهما الوجه الغضب وأصل الخيض السيلان والافتحاج يقال حاض الوادى اذا سال وفاض ماؤه (ق هو أذى) أي هو شيء يؤذي ولا يذى في اللغة ما يكره من كل شيء (فاعتزلوا النساء في الحيض) أي فاجتنبوا مجامعتهم (ولا تقر بهن) يعني بالوطء والمجامعة فهو كالنكاح قوله فاعتزلوا النساء في الحيض (حتى يظهرن) يعني من الحيض والماء ولا تقر بهن حتى يزول عنهن

الله عنها يحتجب شعار الله به ما سوى ذلك (ولا تقر بهن) مجامعتهم أو لا تقر بهن مجامعتهم (حتى يظهرن) بالشديد كوفي غير حفص أي بغتسان وأصله تطهرن فادغم التاء في الطاء اقرب بخرجهما عبرهم يظهرن أن ينقطع دهنه والقرع ان كانا يتبين فعلما لهما وقيل انهما يقره ما في كثر الخيض بعد انقطاع الدم وان لم تقبسل عملاً بقراءه قاله خفيف وفي أقل منه لا يقر بها حتى تغتسل أو يرضى عليها وقت العملاء عملاً بقراءة التثنية والخل على هذا أولى من العكس لانه

فينفك في الآخرة وقيل لعلمكم تنفكرون في زوال الدنيا فتزهدوا فيه أو في إقبال الآخرة وبقائه افتقر. و
 فيها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ويستولونك عن اليتامى) قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون أموال
 اليتامى ظلموا نخرج أموالهم من أموال اليتامى نخرجها شديدا حتى عزلوا أموالهم عن أموالهم وتركوا
 مخالطةهم. وربما كان يصنع اليتيم الطعام فيفضل منه فيتركه ولا يأكل منه فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ويستولونك عن اليتامى (قل إصلاح لهم خير) أي إصلاح أموال
 اليتامى من غير أخذ أجر ولا عوض خبركم أي أعظم أجر وقيل هو أن يوسع على اليتيم من طعام نفسه
 ولا يوسع من طعام اليتيم (وان تطاولوه) يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه إباحة الخصال على
 شاركوهم في أموالهم واخطوهم بأموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم بدواكم فتصيبون من أموالهم
 عرضا من فياكن بأموالهم أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم
 والاخوان يمين بعضهم بعضا. يصيب بعضهم من مال بعض على وجه الإصلاح والرضا (والله يعلم المقصد من
 المصلح) يعني المقصد للمال اليتيم والمصلحة له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل مال اليتيم بغر حرق والذى
 يقصد الإصلاح (ولولا الله لافلتكنتم) أي لضيق عليكم وما أباح لكم الطعام. وأصل العنت الشدة والمشقة
 والمعنى لكافكم في كل شيء ما يشق عليكم (ان الله عز يزكجكم) أي غالب بقدر أن يشق على عباده ويعنتهم
 ولكم حكيم لا يكاف عباده الا ما تنفع فيه طاعتهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)
 نزلت في نبي مرشد بن أبي مرثدثة وبنو راسم أبي مرثدثة بن حصين بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
 إلى مكة ليخرج منها ما من المسلمين سرا فمأقوه هاسعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته
 في الجاهلية فأنته فقلت ألا تخلفوا قال وبجح يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقلت له لعلك أن
 تنزوج في قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستأمره فقلت أني تنبهر واستعانت عليه
 فضر بوضر بأشديدا ثم خلوا به فله فمأقضى حاجته بآفة وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه
 بما كان من امره وأمر عناق وما التي بسببها وقال يا رسول الله اجعل لي أن تزوجها فأذن الله تعالى هذه
 الآية وأصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للامعة نكاح ومعنى الآية ولا تنكحوا أيها المؤمنون
 المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين واختلاف
 العلماء في حكم هذه الآية فقيل انهم ادل على أن كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من أي أجناس
 الشرك كانت كالوثنية واليهودية والنصرانية وغيرهن من أصناف الشرك ثم استثنى الله تعالى من ذلك
 نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فأباح الله تعالى
 نكاحهن بهذه الآية قال ابن عباس في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء أهل
 الكتاب فقال والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت في مشركات العرب
 الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثنى وإنما حكمه عام مخصوص قال قتادة لا تنكحوا المشركات حتى
 يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب قرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظ الشرك على
 من يطلق فلا كثر من العلماء وهو القول الصحيح المختار ان لفظ الشرك يندرج فيه أهل الكتاب
 من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على أن اليهود والنصارى يطلق عليهم
 اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عذري بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا
 أحبارهم وريهباهم أوليا بل من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
 عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم

(ويستولونك عن اليتامى)
 قل إصلاح لهم خير أي
 مداخلتهم على وجه
 الإصلاح لهم ولا أموالهم
 خسر من مخايلتهم (وان
 تطاولوه) وتغشواهم
 ولم تخافوهم (فاخوانكم)
 فهم اخوانكم في الدين
 ومن حق الاخ أن يخاطب
 أخاه (والله يعلم المقصد
 لا مصلح من المصلح)
 لها فيجازيه على حسب
 مداخلته فاحذرهم ولا
 تتحرروا غير الإصلاح (ولو
 شاء الله) اعانتكم
 (لافتكنتم) لعلكم على
 العنت وهو المشقة وأخرجكم
 قبل يطلق لكم مداخلتهم
 (ان الله عز يز) غالب
 يقدر على أن يعنت عباده
 ويهرجهم (حكيم) لا
 يكاف الاوسههم وطاعتهم
 والمأسأل مرشد النبي صلى
 الله عليه وسلم عن أن
 ينزج عناق وكانت مشركة
 نزل (ولا تنكحوا المشركات
 حتى يؤمن) أي لا
 تنزوجوهن يقال نكح
 إذ تزوج وأنكح غيره زوجة

(قل فيه - الم كبير) بسبب التخاصم والتشام وقول الفتحش والزور كثير حصة وعلى (ومنافع للناس) بالجارحة في الحر والثلث بشرهما وفي الميسر بارفاق الفقراء ونيل المال بلا كد (وانهما) وعقاب الآثم في تعاطيهما (أ كبر من نفعهما) لأن أصحاب الشرب والعمار يقرعون فيها الآثام من وجوه كثيرة (ويستلونك) ماذا ينفقون قل العفو أي الفضل

(١٥٩)

أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة وكان التصديق بالفضل في أول الإسلام فرضاً فإذا كان الرجل صاحب زوج أمسك قوت سنة وتصدق بالفضل وإذا كان صانعاً أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فتدبعت بآية الزكاة العفو أبو عمرو فمن نصبه جعل ماذا اسماً واحداً في وضع النصب ينفقون والتقدير قل ينفقون العفو ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذامح صلة فلما جئنا الذي وينفقون صـ لته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو أي والعفو فاعراب الجواب كاعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال (كذلك) الكاف في موضع نصب يعني المصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين (بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا) أي تتفكرون في الدنيا (والآخرة) وفي تعلق بتفكرون أي تتفكرون فيهما يتعلق بالدارين فتأخذون

من القدام لا انصاء لها وهي المنيع والشفيع والوعد قال بعضهم لي في الدنيا ساهم * ليس فيهن ربح * انما ساهمى وغد * ومنيع وسفيح ثم يحذرون القدام في خر يطة يسه ونها الزا بابه يضعونها على بدرجل عدل عندهم يسمونه المحبل والمفيض فيجعلها في الخرج يطلع ويخرج منها قدامه رجل منهم فاهم خرج اسمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القدام وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا انصاء لها لم يأخذ شيئاً وغرم من الجزركاء وقيل لا يأخذ ولا يغرم ويسمون ذلك القدام لغواهم يدفعون ذلك الجزر إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً وكانوا يفتخرون بذلك ويزمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئاً بين الأصحاب لئلا يخله وأما حكم الآية فالمراد به جميع أنواع القمار فكل شيء فيه قرار فهو من الميسر روى عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر يعني الرهن فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجو زوا السكابوا ما الترد فيخرج اللعب به سواء كان خطراً أم لا ويدل على تحريم ما روى عن بر بدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالترد شرباً كان صاع به في دم خنزير أخرجه مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بترد أو ترديش فقد هوى الله ورسوله أخرجه أبو داود وعن علي بن أبي طالب قال التردو الشطرنج من الميسر اختلفوا في الشطرنج ذهب أبي حنيفة أنه يحرم اللعب به سواء كان رهن أو بفرضه ومن مذهب الشافعي أنه مباح بشرط ذكرها الشافعي فقال إذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان وروى عن الهنديان والصلاة عن النسيان لم يكن حراماً وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع مال وأخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى (قل فيها) يعني في الحر والميسر (الم كبير) أي وزر عظيم وقيل إن الحر عدل العقل فإذا غلبت على عقل الإنسان ارتكب بكل بيع في ذلك آثم كبيرة منها أقدمه على شرب المحرم ومنها أفل ما لا يحل فله وألآثم الكبير في الميسر فهو كل المال الحرام ما باطل وما يحرم بينهم من النتم والخاصة والمعاداة وكل ذلك فيه آثم كثيرة (ومنافع للناس) يعني أنهم كانوا يربحون في بيع الحر قبل تحريره أو ما منافع الميسر فهو أخذ مال بغير كد ولا تعب وقيل ربه أن الواحد منهم كان يقرع في المجلس الواحد مائة مرة فيحصل له المال الكثير مما كان يصرفه إلى المحتاجين فيسكب بذلك التناء والمديح وهو المنفعة (وانهما أ كبر من نفعهما) يعني انهما بعد التحريم كبر من نفعهما قبل التحريم وقيل أنهما ما قوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فهذه ذنوب يرتب عليها آثام كبيرة بسبب الحر والميسر قوله تعالى (ويستلونك ماذا ينفقون) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر على الصدقة فقالوا ماذا أنفق فقال الله تعالى (قل العفو) يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصدقة بكتسبون المال وبكون قدر البقرة يتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة وقيل هو التصديق عن ظهر غنى (ق) عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن نول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اصراف ولا فتا وقيل هو في صدقة التطوع إذ لو كان المراد هذا الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على أن المراد به صدقة التطوع (كذلك بين الله لكم الآيات) أي بين لكم الأمور التي سأنتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفها (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون الباقي

بما أوصل لكم وتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهم أو أكثرهم ما منافع ويجوز أن يتعلق ببين أي بين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون ولما نزل أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انزلوا اليتامى وتركوا مخالطتهم والقيام بما أوهم وذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل

حرام أخرجه الترمذي وأبو داود • عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق قل الكسفة حرام أخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية له والحسوة منه حرام الفرق بالتحريك ميكال يسع ثمة عشر طابا بقداي وأجيب عن حديث عمر في الطلاء أنه عارض بما روى عن السائب ابن زيد أن عمر قال وجدت من فلان ربح شراب وزعم أنه شرب الطلاء وأناسئل عنه فإن كان يسكر جلدته فبأله عنه فبأله أنه يسكر فجلده عمر الحيد تاما أخرجه مالك في الموطأ • وأما حديث ابن عباس فوقوف عليه ومعارض بما روى عنه في الباق وقوله والسكر من كل شراب قد رواء الحفاظ السكر بفتح السين قال صاحب الفريبين السكر خرا العاجم ويقال ليسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هرون وهو الصواب وأما حديث أبي الاحوص فبه وهما من أحدهما في سنده حيث قال عن أبي بردة وأما يرويه يسهلك عن القاسم عن أبي بردة عن أبيه والوهم الثاني في مثله حيث قال اشر بوا ولا تسكر واوا نأبرويه الناس ولا تشر بوا مسكرا ويدل على صحته ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن دثار عن ابن بردة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشر به في ظروف الادم فاشرب بوا في كل وعاء غير أن لا تشر بوا مسكرا أو قال النسائي في حديث أبي الاحوص هذا حديث مسكر غلط فيه أبو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان أحد تابعه عليه من أصحاب سناك • وأما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كأن تقدم في قول النسائي • المسئلة الثانية في الحكم بجاعة الخمر • الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى إنما الخمر والميسر والصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقدر وقوله تعالى فاجتنبوه فأمر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها أيضا أنها محرمة تناول لا لاحترام ولان لباس مشغوفون بها فينبغي أن يحكم بنجاستها كما دللنا على ذلك • المسئلة الثالثة في تحريم بيعه والانتفاع بها • أجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة أن الله تعالى حرم بيع الخمر والانتفاع بها والمية والخنزير والاصنام أخرجه في الصحيحين مع زيادة اللفظ (ق) عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرم التجارة في الخمر (ق) عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب أن فلانا باع خمر فقال قال الله فلانا ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرم عليهم الشحوم فجملوه فباعوها • عن المغيرة بن شعبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير أخرجه أبو داود وقوله فليشقص الخنازير رأى فليقطعها فقطعها فطعمها كطعم الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فقامه في التحريم سواء • عن أبي طلحة قال يابني الله اني اشتريت خرا لياتم في حجرى فقال أهرق الخمر واكسر الدنان أخرجه الترمذي وقال وقد روى عن أنس ان أباطلة كان عنده خمر لياتم وهو أصح فان قلت فادجه فوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها المدة التي توجد عنده شر بها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله

فصل • وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه أخذ من بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يتخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قر صاحبه ذهب بأهله وماله فأئزل الله هذه الآية وأصل الميسر ان أهل التروية من العرب في الجاهلية كانوا يشتركون جزورا في خمر ونهار يجزونها ثمانية وعشرين جزأ ثم يسهمون عليها هبة فنداح يقال له الارلام والاقلام وأسماؤها الفذ والنوام والرقب والحلس والنافس والمسبل والعلى والمبيح والشفيع والوغد وكانوا يسهمون لبعثتها أنصباء فلقد نهى الله عنها والتواهم يمين والرقب ثلاثة أسهم وللحلس أربعة والنافس خمسة وللمسبل ستة والعلى سبعة وثلاثة

طينة الخبال قالوا ما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وعن ابن عباس
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا انحست صلاته
 أثره من صلاته أحاقان تاب الله عليه فإن عاد إلى الباعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قبل وما
 طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر جفها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعه وان مات فيها مات كافرا فان
 ذهبت بقوله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن الثوري أن ثعلبة لم تقبل منه صلاة ثم بعين يوما وان مات فيها مات
 كافرا أخرجه النسائي **ح** عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها أم الخبايا فانها والله لا يجتمع
 الايمان وادمان الخمر الا بوشك أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي ووفوقه عليه وفيه قصة عن
 أنس قال امن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها أو معتصرها أو شارها أو ساقها أو حامها
 والمحمولة ليهو بانه أو مبتاعه أو واهبها أو كل منها أخرجه الترمذي

ح فصل في أحكام تعاقب الخمر وفيه مسائل **ح** الأولى في ما هيها **ح** قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير
 العنب الذي يشد الذي قد فسد بالزبد وكذلك يقع الزبيب والخمر المتخذ من العسل والخنطة والشعير
 والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقع التمر والزبد فان طبخ
 حتى ذهب ثلثاه حل شر به والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب أنه كتب الى
 بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء مذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطموا شرابكم حتى يذهب
 منه نصيب الشيطان فان له اثنين واسكروا أحد أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطلوب من
 عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج أيضا بما روى عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها فليها
 وكثيره هو السكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن السكر حرام بما روى عن أبي الاحوص
 عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن
 عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل أيضا على أن الخمر من عدة أشياء بما
 روى عن ابن عمر أن عمر قال علي بن مبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس انه نزل نحر بم الخمر
 وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والخنطة والشعير والخمر ما خمر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان عهد اليقين عهدا انتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الرأى أخرجه البخاري
 ومسلم **(ق)** عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البقع فقال كل شراب أسكر فهو حرام
 البقع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه **ح** عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ان من العنب خراوان من البر خراوان من الشعير خراوان من التمر خراوان أخرجه أبو داود وزاد
 في رواية والذرة واني أنها كم عن كل مسكر ولله ترمذي نحوه وزاد وان من العسل خرا **(خ)** عن ابن عباس
 أنه سئل عن الباذق فقال سقي - كما سمع الباذق فناء أسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الملبس
 بعد الحلال الطيب الا الحرام الحديث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة هو الطلاء المطبوخ
 من عصير العنب كان أول من صنعه ومياه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لان
 لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الأثير في نهابة الباذق الخمر تعرب باذ وهو اسم للخمر بالفارسية
 أي لم يكن في زمانه أو سقي قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سقي حكم محمد صلى الله عليه وسلم
 ان ما أسكر فهو حرام **ح** عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفترا أخرجه
 أبو داود والمفتري كل شراب أحى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر
 كثيره فقوله حرام بما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقله

أرعه الخمر ما على واشتد
وقذف بالزبد من عصير
العنب وسحب بمعدن خمره
خرا الأدمعرة انعطبتا
العقل والميسر القاهر مصدر
من يسر كالوعد من فعله
يقال يسرته إذا قهره
واشتاقه من اليسر لانه
أخذ مال الرجل يسره وولة
بلا كد وتعاب ومن اليسار
كانه ملج يساره وصفة
الميسر أنه كانت لهم عشرة
أقداح سبعة منها عليها
خطوط وهو الفذولة سهم
والتوأم وله همان والرقيب
وله ثلاثة والحلس وله أربعة
والنافس وله خمسة والمجل
وله ستة والعالى وله سبعة
وثلاثة أشغال لانصيب لها
وهي المنيح والسفيح
والوغد فيجعلون الأقداح
في خرطة ويضعونها على
يدعادل ثم يملجها ويدخل
يده ويخرج باسم رجل
قد حاد حادتها فنخرج
له قدح من ذوات الانصباء
أخذت الانصب الموروم
به ذلك الندح ومن خرج
له قدح مما لانصيب له لم
ياخذ شيئا وغرم من الجزور
كله وكانوا يدفعون تلك
الانصباء الى الفقراء ولا
ياكلون منها ويفخرون
بذلك ويدعون مسن لم
يدخل فيه وفي حكم الميسر

ومعاذين جبل وجهه من الانصار أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فله لو أبارسول الله أفتد في الخمر والميسر
فانه ما مذهبه للعقل سبابة لال فأزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر في اللغة السرة والتعطية وسيت الخمر
خرا لانهم تخدروا العقل أي تخاطوا وقيل لانهم تستروا وتعطيه وجلة الول في تخريم الخمر ان الله عز وجل أنزل
في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها
في أول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزل المدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ بن جبل عن الخمر والميسر فيهما
انهم كثير فتركهم قوم قولهم كبر وشربها قوم يقولون لم نفع لما سئمت من عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما لودعا
اليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
أحدهم لي على مهر فقرأل بآية الكافرون أعبدوا عبيدكم ويحذف حرف الالى آخر الورة فأزل الله
عز وجل بآية الذين آمنوا لا تقرألوا أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون غريم الله السكر في أوقات
الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلى الصبح ويشربها بعد صلاة
الصبح فيمحو وقت صلاة الظهر ثم ان عتيان بن مالك اتخذ ذبيعا يعني وثيمة ودعا رجلا من المسلمين وفيهم
سعدان أبي وفاس وكان قد شوى لهم رأسا بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فادخروا عند ذلك
وانتدبوا ناسا من الأشعار فأنشدوا قصيدة فيها اغترقوه وهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار طي
البعير فضرب به رأس سعد فشق وجهه فضا طاق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصاري
فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بينا شافيا و يروي أن حزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فأتى
رجلا من الانصار يريد ناصح له ولا نصارى يتمثل بيبتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جهم نافع ابواء نصر او هجرة * فسلم برحى مثلنا في الماشر

دأحيا ونا من خير أحياء من مغي * وأوتاد من خير أهل المقابر

فقال حزة وأنتك الماهجون وقال الانصاري بل نحن الانصار فننازعنا عالجرد حزة سيفه وعدا الى الانصاري
فهرب الانصاري وترك ناضحه ففعله حزة فجاء الانصاري يستعدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
بفعله حزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحه فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بينا شافيا فأزل الله
تعالى الآية التي في المائدة الى قوله فهل أنتم متهمون فقال عمر انتهت بآية ذلك بعد غزوة الأحزاب أيام
والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم أن القوم كانوا قد أفواشرب الخمر وكان
انتفاعهم بذلك كثيرا فعمل أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشي ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدرج
وهذا الفرق قال أنس حرمت الخمر لم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر
(ق) عن أنس قال ما كان لنا خمر غير فضيخ يحكم واني فأنتم أسقي بأطلحة وأبا يوب وفلانا وفلانا اذ جاء
رجل فقال حرمت الخمر فلو أهرق هذه القلال بآئس فاسألوا عني ولا راجعوا بعد خبر هذا الرجل
الفضيخ بالصاد والحاء المجعوتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق
العاب والقتال جمع فله وهي الجرة الكبيرة

فصل في تخريم الخمر وعيد من شربها * أجمعت الامة على تخريم الخمر وأنه محد شار بها وفسق بذلك
مع اعتقاد تخريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا مات وهو يدمنها لم يقب منها لم يشربها
في الآخر لفظ مسلم (م) عن جابر أن رجلا قدم من جيشان وجيشان من الين فسأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سكره وقال
نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم كل مسكر حرام وان على الله ما لم يشرب المسكر أن يسقيه من

طينة الخبال قالوا ما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وعن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخرت صلاته
أربعين سنة أحاقان تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قبل وما
طينة الخبال يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعه أو ثمان فمات كافر فإن
ذهبت - قبله عن شيء من الفرائض وفي رواية عن القرآن لم تقبل صلاته أربعين يوما وإن مات فيها مات
كافرا أخرجه النسائي رحمته عن عثمان بن عفان قال اجتمعوا الخمر فأنها أم الخبايا فأنها والله لا يجتمع
الإيمان وإيمان الخمر إلا يؤشك أن يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي ووقف عليه وفيه قصة عن
أنس قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها أو عتصرها أو شاربها أو ساقها أو حامها
والحمولة ليه و بانه أو مبتاعه أو واهبها أو كل منها أخرجه الترمذي

في فصل في أحكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل **الاولى** في ماهيتها **الخمر** قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير
العنب الخ الذي قد تبدل بالزبد وكذلك تقع الزبيب والخمر والمتخذ من العسل والخنطة والشعير
والارز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب والطب وبقيع التمر والزبيب فإن طبخ
حتى ذهب ثلثاه حل شر به والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روى عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى
بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وفي ثلثه وفي رواية أما بعد فاطبخوا شرايبكم حتى يذهب
منه نصيب الشيطان فإن له أربعين واسكرا واحدا أخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ من
عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وفي ثلثه واحتج أيضا بما روى عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها فإليها
وكثيرها والسكر من كل شراب أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن السكر حرام بما روى عن أبي الأحوص
عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن
عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على أن الخمر من عدة أشياء بما
روى عن ابن عمر أن عمر قال علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر
وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والخنطة والشعير والخمر ما خمر العقل ثلاث وددت أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان عهد إلي فبين عهد انتهت إليه الجدة والسكرالة وأبواب من أبواب الال بأخرجه البخاري
ومسلم **(ق)** عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البقع فقال كل شراب أسكر فهو حرام
البتة شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من العنب خمر وإن البرخر وإن من الشعير خمر وإن من التمر خمر أخرجه أبو داود وزاد
في روايته ولقد روي أنها أكرم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد من العسل خمر **(خ)** عن ابن عباس
أنه سئل عن الباذق فقال سق حكم محمد الباذق فبأسكر فهو حرام عليك والشراب الحلال الطيب ليس
بعد الحلال الطيب إلا الحرام انتهى قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المجمعة هو الطلاء المطبوخ
من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما أسكر فهو خمر إلا اسم
لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الأثير في نهاية الباذق الخمر تعرب بأذ وهو اسم للخمر بالقرسية
أي لم يكن في زمانه أو سق قوله فيها وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم
أن ما أسكر فهو حرام **سج** عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفترا أخرجه
أبو داود والمفتري كل شراب أحى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما أسكر
كثيره فقوله بما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أسكر كثيره فقله

أرعه والخمر ما غلى واشتد
وقذف بالزبد من عصير
العنب وسقيت بماء خريره
خرا اذ سهره لتعطيتها
العقل والميسر القمار مصدر
من يسر كالوعيد من فعله
يقال يسره اذا قسره
واشتهاقه من اليسر لانه
أخذ مال الرجل يسره وسره
بلاكد وتعاب ومن اليسر
كانه سلب يسره وصفة
الميسر أنه كانت لهم عشرة
أقداح سبعة منها عليها
خطوط وهو الفذ وله سهم
والتوأم وله سهمان والرفيق
وله ثلاثة والحسن وله أربعة
والنفس وله خمسة والمجبل
وله ستة والعالي وله سبعة
وثلاثة أشغال لا نصيب لها
وهي النسيح والسفيح
والوغد فيجمعون الاقداح
في خرطة ويضعونها على
يدعدهم لم يجعلها ويدخل
يده ويخرج باسم رجل
قد حاد حادتها فنخرج
له قدح من ذوات الانصاء
أخذت النصيب الموسوم
به ذلك الدح ومن خرج
له قدح مما نصيبه لم
يأخذ شيئا وغرم من الجزور
كله وكانوا يدفعون تلك
الانصباء الى الفقراء ولا
يأكلون منها ويفترون
بذلك ويدعون من لم
يدخل فيه وفي حكم الميسر

ومعذون جبل وجهه من الانصار أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلوا يا رسول الله افئت في الخمر والميسر
فانهم اذهبوا له العقل مسابة للمال فأزل الله تعالى هذه الآية وأصل الخمر في اللغة لترو العطية وسميت الخمر
خرا لانهم نخسوا العقل أي خالطوا وقيل لانهم تستروا وتعطيه وجلة الول في تحريم الخمر ان الله عز وجل أنزل
في الخمر أربع آيات نزل بمكة ومن ثمات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراف كان المسلمون يشربونها
في أول الاسلام وهم لم يجدوا نزل المدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ بن جبل عن الخمر والميسر فقل فيها
انهم كبر فتركها قوم لقوله لم يشر بها قوم اقولوا لم نفع لما سئلت عن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا
اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعموه وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا
أحدهم ايملى بهم فقرأ أول بابها الكافرون أعبدوا عبيدون يحذف حرف لا الى آخره سورة فأمر الله
عز وجل بابها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوات اليه ولا تأكلوا مما أتوا به حتى يمسكروا حتى يعلموا ما يقولون غرم الله الكفر في أوقات
الصلوات فكان الرجل يشرب بها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح ويشرب بها بعد صلاة
الصبح فيصلي حذو وقت صلاة الظهر ثم ان عتب بن مالك اتخذ عذبا يعني ونجاة ودعا رجلا من المسلمين وفيه
سعدان أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس عير فأشربوا الخمر حتى أخذت منهم فابتغوا وعند ذلك
وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فأنشدوه مقصيدة فيها اغترقوا وموهجاء الانصار فأخذ رجل من الانصار على
البعير فضرب به رأس سعد فشق وجهه فأنطق سعد بالرسول صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصارى
فقال عمر اللهم بين انافي الخمر بينا ناسا فيا ويرى أن حزة بن عبد المطلب شرب الخمر بما يخرج فأنق
رجلا من الانصار ويبد ناصح له ولا نصارى يمثل بينتين لكعب بن مالك يمدح قومه ومها
جوه من ابع البوائ نصرا ووجهة فسلم برحى مثلنا في الماشر
أحياؤنا من خير أحياء من مغي وأموادنا من خير أهل المقابر
فقال حزة أولئك المهاجرون وقال الانصارى بل نحن الانصار فتنازعوا فخر حزة سيفه وعدا على الانصارى
فهرب الانصارى وترك ناضحه فقطعه حزة فجاء الانصارى يستعدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
بذلك حزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لي في الخمر بينا ناسا فيا فأنزل الله
تعالى الآية التي في المائدة لى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهت يارب وذلك بعد غزوة الأحزاب أيام
والحكمة في وقوع التعريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم أن القوم كانوا قد أفواشروا الخمر وكان
انتفاعهم بذلك كثير فاعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لثقت ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدرج
وهذا الفرق قال أنس حرمت الخمر لم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها واسمهم عليهم نبي أشد من الخمر
(ق) عن أنس قال ما كان لنا خير غير فضيخكم واني قائم أسقي بأطلحة وأبابوب وفلانا وفلانا اذ جاء
رجل فقال حرمت الخمر فقالوا أهرق هذه القلال بأنس فاسألو عنها ولا راجعها بعد خبر هذا الرجل
الفضيخ بالصاد والخاء المجعنتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والفصوخ المشدوخ والمكسور والاهراق
الصب والقتال جمع فله وهي الجرأة الكبيرة
فصل في تحريم الخمر وعيد من شربها عجمت الامة على تحريم الخمر وانه يحذر شربها وبفسق بذلك
مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل كل مسكر خروكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدينها لم ينج منها لم يشرب بها
في الآخرة لفظ مسلم (م) عن جابر بن رطله من جيسان وجيسان من الذين فسأ النبي صلى الله عليه
وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الترة يقال له المُرُّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومسكروا وقال
نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهد لمن يشرب المسكر أن يسقيه من

الاسماء الثلاثة (أ كبر عند الله) أي مفاعلة السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج أو الشرك (أ كبر من القتلى) في الشهر الحرام وأعد ذب الكفار المسلمين أشد فحاش من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام (ولا يزالون) بقائهم حتى يردوكم عن دينكم أي إلى الكفر وهو اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى منعها التعليل بخوف فلا بد من الله حتى يدخل الجنة أي بقائهم حتى يردوكم وقوله تعالى (ان استطاعوا) استبعادا لاستطاعتهم كقولك امدوك ان ظفرت بي فلا تبق عني وأنت واثق بأنه لا يظفر بك (ومن يردد) (١٥٥) منكم عن دينه) ومن رجع عن دينه إلى دينهم (فيمت وهو كافر) أي يمت على الردة (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم - م بالردة عما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المكاب (وأولئك أصحبا النار هم فيها خالدون) وفيما احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليهم أو قلنا قد عانى الحبط بنفس الردة بقوله تعالى ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله والأصل عندنا أن الماطق لا يحمل على القيد وعندنا يحمل عليه فهو بناء على هذا ولما قالت السرية أ يكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) تركوا مكة وعشائرهم (وجاهدوا في سبيل الله) مع المشركين ولا وقف عليه لأن (أولئك

القاتلين يحقون المسجد الحرام دون المشركين (أ كبر عند الله) أي أعظم وزر عند الله من القتال في الشهر الحرام (والفتنة) أي الشرك الذي أتم عليه (أ كبر من القتلى) يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أبي نيس وقيل عبد الله بن جحش إلى مؤمنين مكان غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فغيروهم أتم بالكفر باخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة والمسلمين ومنهم ما يهاجم من البيت (ولا يزالون) يعني مشركي مكة (بقائهم) يعني بأعشار المؤمنين (حتى يردوكم عن دينكم) يعني إلى دينهم وهو الكفر (ان استطاعوا) يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعادا لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعموه ان ظفرت بي فلا تبق عني وهو واثق انه لا يظفر به (ومن يردد منكم عن دينه) فيمت وهو كافر (يعني ومن يطاوعهم منكم فيرجع إلى دينهم) فيمت على ردة قيل أن يتوب (فأولئك حبطت أعمالهم) أي بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) وهوان المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أثاره المؤمنين ولا ينصران استنصر ولا يمدح ولا يشي عليه ويكون ماله فيا للمسلمين هذ في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط أجزاها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي أن الارتداد اذا تمت فرغ عليه الاحكام اذ اقامت المرتد على الكفر ماذا أسلم بعد الردة لم يثبت عليه شيء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت المرتد على ردة وعند أبي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان أسلم (وأولئك أصحبا النار) يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها أبدا (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) هاجروا في سبيل الله نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك أن أصحاب السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونظم أن يكون لنا غزوا فأنزل الله هذه الآية وعن جندب ابن عبد الله قال لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا أصحابوا في سفرهم وزر افليس لهم فيه أجر فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هاجروا أي فاروقا مساكنتهم وعشائرهم وأولهم وفارقوا ماثا كنة المشركين في أمصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين وعن بلادهم إلى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله أي في طاعة الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهادا (أولئك يرجون رحمة الله) أي يطمعون في نيل رحمة الله أخبرهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع في أصل الثواب وانما دخل الظن في كنيته ووقته قال قتادة أني الله تعالى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحسن الشفاء فقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار الامة هذه ثم جعلهم الله على رجاء كما تسمعون وأنه من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور) أي لذنب عباده (رحيم) بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله ابن جحش وأصحابه ما لم يمهوا به قوله عز وجل (يستألفونك عن الحروب) الآية نزلت في عمر بن الخطاب

يرجون رحمة الله) خبران قيل من رجا طلب ومن خاف هرب (والله غفور رحيم) نزل في الجرار مع آيات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا يسكر افسكان المسلمين بشر بونها وهي لهم حلال ثم ان عمرو بن قنبر من الصحابة قالوا يا رسول الله أفئتنا في الجمر فأنما نذهب للعلق مسلبة للال فنزل (يستألفونك عن الحروب) فبشرهم بوقوم وتركوا الآخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف فجاءه فبشره بوا وسكر وأقام بعضهم فقرا أهل بائها الكافرون أعيد ما تعبدون فنزل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقد من بشرهم ثم دعا عاتبان بن مالك جماعة فلهما سكر وانهما اتخا صمو اوتصار بوقال عمر اللهم بين لنا في الجمر بائنا شافيا فنزل انما الجمر والميسر إلى قوله هل أنتم منتبهون فقال عمر انتبهنا

بغيرهما كانا يتعقبانه فتخلقا في طلبه ومضى عبدالله ببقية أصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف
فبيناهم كذلك اذ مرت بهم عير اقريش تحمل زيدا واما تجارة من تجارة الطائف وفي العير عمر بن
الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله الخزوميان فلما رآوا أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريش بينهم فقال عبدالله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم
فاحلقوا رأس رجل منكم وليعرض لهم فاذا رآوه محلوقا آمنوا فحلقوا رأس عكاشة بن محسن ثم أشرف
عليهم فلما رآوه آمنوا ووافقهم عمار فلا بأس عليه وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون
أنهم من رجب فتناور القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ولتمتحن منكم فاجعوا
أمرهم في موافقة القوم فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمر بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من
المشركين وأسر الحكم بن كيسان وعثمان وكان أول أسيرين في الاسلام وأفلت نوفل فاعجزهم واستاق
المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل قريش فداست ل محمد الشهر
الحرام وسفك الدماء وأخذ الحرائب يعني الملل وعبر بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر
العبادة استحللتم الشهر الحرام وقأنتم فيه فإع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل لعبد الله بن جحش
وأصحابه ما أمرتكم باقتال في الشهر الحرام ووقعت العير والاسيرين وأنى ياخذنكم يا من ذلك وعنف
المسلمون أصحاب السرية فيما صاعوا وقالوا لم نعتهم سالم ثم رموه فعضم ذلك على أصحاب السرية وظنوا
أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله اننا قتلنا ابن الحضرمي ثم سلمنا بنافظر ناهل رجب فلا
ندري أنى رجب أصبنا دام في جمادى رأ كثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير ففزل من الخس وكان أول خس في الاسلام وأول غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب
السرية وبعث أهل مكة في ذاء أسيرهم فقال بل نقيم ما حتى يقدم سعد وعقبه وان لم يقدم قتلناهم اجمعين فلما
قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة
شهيدا واما عثمان بن عبدالله فرجع الى مكة فأتى بها أفرادا ما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل
الخذنق فوقع في الخندق مع فرسه فقطعا جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالنجم فقتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم خذوه فانه خيث الحيفة خيث الدية واما نضر الانية فقوله تعالى يسئلكم يعني بالجمعة عن
الشهر الحرام يعني رجب واسمى بذلك تحريم القتل فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان
أحدهما أنهم المسلمون سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطأتم أصابوا وقيل ان المسلمين كانوا
يعلمون ان القتل في الحرم وفي الشهر الحرام لا يحل فلما كتب عليهم القتال سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وانما سألوه
على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلكم عن الشهر الحرام قتال فيه (قل) أي قل لهم يا محمد
(قل) فيه كيبين أي عظيم مستكبر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها محكمة وانه
لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الآن بقاؤه فيه فيقتلوا على سبيل الدفع روى عن عطاء انه كان يحلف بالله
ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ولأن بقاؤه فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلماء
وهو الصحيح انها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسابان بن يسار القتل جائز في الشهر الحرام وهذه الآية
منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله وقتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم
وغيرها (وصدعن سبيل الله) هذا ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو صدكم عن الاسلام من
يريد (وكفر به) أي بالله (ولم يجد الحرام) أي وصدكم عن المسجد الحرام (واخراج أهله منه) يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جاءهم الله أهله لانهم كانوا هم

(قل قتال فيه كبير) أي
ام كبير قل مبتدأ وكبير
خبره وجاز الابتداء بالكسرة
لاها فوصفت فيه واكثر
الاقوال على أنها منسوخة
بقوله تعالى فقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم (وصد
عن سبيل الله) أي منع
المشركين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه
عن البيت عام الحديبية
وهو مبتدأ (وكفر به) أي
بالله عطف عليه (والمجد
الحرام) عطف على سبيل الله
أي وصدعن سبيل الله وعن
المسجد الحرام وزعم الفراء
أنه معطوف على الهاء في
به أي كفر به وبالمسجد
الحرام ولا يجوز عند
البصريين العطف على
الضمير المجرور الاباعدة
الجار فلا تقول مررت به
وزيد ولكن تقول وزيد
ولو كان معطوفا على الهاء
هنا لقيس وكفر به
وبالمسجد الحرام (واخراج
أهله) أي أهل المسجد
الحرام وهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون
وهو عطف عليه أيضا (منه)
من المسجد الحرام وحرر

(وهو كره لكم) من

الكره فوضع المصدر
ووضع الوصف مبالغة
كقولها

فأما هي أقبال وأدبار

كانه في نفسه كراهة لفرط

كرهته له وهو فعل بمعنى

مفعول كالخبز بمعنى الخبز

أي وهو مكره لكم (وعسى

أن تكرهوا شيئا وهو خير

خبركم) فأنتم تكرهون

الغزو وفيه إحدى الحسنيين

أما الطائر والغنمة وأما

الشهادة والجنة (وعسى

أن تحبوا شيئا وهو القعود

عن الغزو (وهو شر لكم)

لمنافيه من الذل والفقر

وحرمان الغنمة والاجر

(والله يعلم) ما هو خير لكم

(وأنتم لا تعلمون) ذلك

فبادروا إلى ما يأمركم به

وإن شئ عليكم فزول في

سرية بعثوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقاتلوا المشركين

وقد أهل هلال رجب وهم

لا يعلمون ذلك فقالت قریش

قد استحل محمد عليه السلام

الشهر الحرام شهر ردا من

فيه الخائف (يستأنونك عن

الشهر الحرام) أي يسالونك

الكفار أو المسلمون عن

القتال في الشهر الحرام

(فقتل فيه) بدل الاشتغال

من الشهر وقرئ عن قتال

فيه على تكرير العامل

كقوله لا تزن استضعفوا لمن

آمن منهم

وحكى عن الأوزاعي نحوه ووجه هذا القول أن قوله كتب يقتضى الإعجاب وكفى العمل به مرة واحدة
 ووجه من أوجبه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله عليكم يقتضى تخصيص هذا الخطاب
 بالوجودين في ذلك الوقت وقيل بل الآية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم وبطل على ذلك ما روى
 عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا
 أخرجه أبو داود بزيادة فيه (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يو الفتح لاهجرة
 بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقيل إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض
 سقط الفرض عن الآخرين. هذا القول هو المختار الذي علمه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال
 على الناس جاهدا أو لم يجاهدوا وفي غزاهم أو لم تغزوا ومن قعد فهو عداة إن استعين به أو عان وإن استغفر فغفر
 وإن استغنى عنه فقد قال تعالى فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین وجعلهم رجلا وعد
 الله الحسنى ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يعد لها حسنى واختلاف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على
 ثلاثة أقوال أحدها أنها محكمة بالنسخة للعفو عن المشركين القول الثاني أنها منسوخة لأن فيها وجوب
 الجهاد على الكفار نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون ليغفروا كافة القول الثالث أنها ناسخة من وجه
 ومنسوخة من وجه فالنسخ منها لإيجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ إعجاب الجهاد على
 الكافة وقوله تعالى (وهو كره لكم) أي القتال شاق عليكم وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع
 عن القتال لمنافيه من مؤنة القتال ومشفقة النفس وخطر الروح والخوف لأنهم كرهوا أمر الله وقيل نسخ
 هذا الكره بقوله تعالى أخبرائهم وقالوا سمعنا وأطعنا وقيل إنما كان كراهتهم القتال قبل أن يفرض
 عليهم لمنافيه من الخوف والشدة وكثرة الأعداء فبين الله تعالى أن الذي تكرهون من القتال هو خير لكم
 من تركه لئلا يكرهوه بعد أن فرض عليهم (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) الخلة عسى توهم الشك
 مثل أصل وهي من الله يقين وقيل أنها كلمة طمعة تنهى لئلا تدل على حصول الشك للقائض وتدل على
 حصول الشك للناصح والتمنى أن الغزو وفيه إحدى الحسنيين أما الظفر والغنمة وأما الشهادة والجنة وقيل
 ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجارية في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فإنه يفر عنه الطبع
 في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتزول حصول الصحة في المستقبل (وعسى أن تحبوا
 شيئا) يعني القعود عن الغزو (وهو شر لكم) يعني لمنافيه من فوت الغنمة والاجر وطعم العبد فيكم لئلا إذا
 علم ميلكم إلى الراحة والدعة الساكنة بعد بلادكم وحاول قتالكم وإذا علم أن فيكم شهامة جلاذ على القتال
 كف عنكم (والله يعلم) يعني ما في الجهاد من الغنمة والاجر والخبر (وأنتم لا تعلمون) يعني ذلك والمعنى أن
 العباد أعلم بقصور عمله وكأعلم الله ثم إن الله تعالى أمره بأمر كان ذلك الأمر فيه مصاحبة عظيمة فيجب على
 العباد امتثال أمر الله تعالى وإن كان يشق على النفس في الحال وقوله عز وجل (يستأنونك عن الشهر الحرام
 قتال فيه) سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في
 سرية في جنادي الآخرة فقتل بدر شهرين وأمره على السرية وكتب له كتابا قال - رضي الله
 ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك به
 ولا تستكرهن أحداهن على السير معك فصار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن
 الرحيم أبا عبد الله فسر على بركة الله تعالى بمن معك من أصحابك - حتى تنزل بطن نخلة فاقرأ صدباء القرش
 أهلك نائما مني يا خبيث فقال سمعاً وطاعة ثم قال لاصدبه ذلك وقال انه في أن أشكره أحدكم فيكم كان يريد
 الشهادة فليطاعني ومن كان يكره فليرجع ثم مضى أصحابه معه وكانوا ثمانمائة رهط ولم يتخلف عنه أحد
 منهم حتى إذا كان بعدن فوق الفرع موضع من الحجاز يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان

ولما أتيتكم) أي ولم يأتكم في لمة، أي التوفيق، يعني أن اثنين ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) مضاف إلى مثل في الشدة (من قبلهم) أي الذين قبلهم من النبيين والمؤمنين وهو استئناف كأن قائله قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم

والابتلاء والاختبار وهو قوله (ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي شبه الذين مضوا قبلهم من النبيين وأتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم (مستهم البأساء) أي أصابهم الفقر أو الشدة والمسكنة وهو اسم من البؤس (والضرراء) يعني المرض والزمانة وضروب الخوف (وزلزلوا) أي وحركوا بأنواع البلايا والزلايا وأصل الزلزال الحركة وذلك لأن الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك اتفاقه (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وذلك لأن الرسل أثبت من غيرهم وأصبروا واضطرب للنفس عند نزول البلاء وكذا أتباعهم من المؤمنين والمعنى أنه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة إلى هذه الغاية واستبطوا النصر قبل لهم (ألان نصر الله قريب) إجابة لهم في طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم إلى أن يأتهم نصر الله فكأنوا إلهاماً للمؤمنين كذلك ونحوه لوالأذى والشدة والاشقة في طلب الحق فإن نصر الله قريب (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو توسد برذقه في ظل الكعبة فقلاً لا فتصنارنا لا تدعونا فتأفك قال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيه ثم يلقى بالمشافر يوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصد ذلك عن دينه والله يتيقن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من ضلله إلى ضلله ولا يحلف الا بالله والذنب على غنمه ولكنكم تستعجلون ﴿١﴾ قوله عز وجل (يسألونك ماذا ينفقون) نزلت في عمرو بن الجوح وكان شيخاً كبيراً ذاهباً فقال يا رسول الله بماذا أنفق وعلى من تنفق فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون (قل ما أنفقتم من خير) أي مال والمعنى ما تنفقوا من المال قل أو أكثر (فلوالدين) وإنما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لهما ما كانا السبب في إخراجهم من العدم إلى الوجود (والأقربين) وإنما ذكر بعد الوالدين الأقربين لأن الإنسان لا يقدّر أن يقوم بصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة أولى من غيرهم (واليتامى) وإنما ذكر بعد الأقربى ليتامى أصغرهم ولاهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم أحد ينفق عليهم (والمساكين) وإنما أخرجهم لأن حاجتهم أقل من حاجة غيرهم (وابن السبيل) يعني المسافر فإنه بسبب انقطاعه عن بلاده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر إلى هذا الترتيب الحسن المجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل أتبعه بالاجال فقال تعالى (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) وما تنفقوا من خير مع هؤلاء وغيرهم طلب الوجهة لله تعالى ورضوانه فإن الله به عليم فيجازيكم عليه وذكركم لئلا تنفكوا عن هذه الآية منذ وخذ قال ابن مسعود نسيها آية الزكاة وقال الحسن إنها حكمته ووجه أحكامها أن الله ذكر فهم أن يحب الزكاة عليهم مع فقرهم والوالدان وقال ابن زيد هذا في النفس وهو ظاهر الآية من أحب التقرب إلى الله تعالى بالاتفاق فالأولى به أن ينفق في الوجوه المذكورة في الآية فيقدم الأول فالأول يعني في الآية سؤال ﴿١﴾ وهو أنه كيف طابق السؤال الجواب وهو أنهم سألوا عن بيان ما ينفق فاجيبوا ببيان المصروف وأصيب عن هذا السؤال بأنه قد ضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو أنهم ضموا إلى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصروف لأن النفقة لا تعد نفقة الآن تقع موقعها قال الشاعر

ان الضبعة لا تعد ضبعة * حتى يصابها طرقي المصنع

﴿١﴾ قوله عز وجل (كتب عليكم القتال) أي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الآية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم وبالله ذهب الثوري وبني الكلام على ما هو

أهم وهو بيان المصروف لأن النفقة لا يعتد بها الآن تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) فيجزي عليه (كتب عليكم القتال) فرض عليكم جهاد الكفار

المنزلة من السماء مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عشر صحائف وعلى شيث ثلاثون وعلى ادريس خسون
وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم
دعيلهم القرآن (ليحكم بين الناس) يعني الكتاب وانما أضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم هو الله
تعالى لانه أنزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي أنزله وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه
فاسناد الحكم الى الكتاب والنبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة (فما اختلفوا فيه) أى في الحق الذي
اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أى في الحق (الذين أوتوه) أى أعدوا
الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلفوا فيهم وتكفبر بعضهم بعضا بغيا
وحسد وقيل اختلفوا فيهم وتوهم وتبدلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى
وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بموضوع الدلائل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود
الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسادا (من بعد ما جاءتهم اليينات) أى الدلائل الواضحات على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أى أنهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه
بغيا وحسادا وهو طالب الدنيا وطلب الراسة (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى الى ما اختلفوا فيه
(من الحق) والمعنى فهدي الله الذين آمنوا المعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقولوب والمعنى
فهدي الله الذين آمنوا الحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلفا فيهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدي الله تعالى
هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أى هي ريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم التي اختلفوا فيه فهذا ان الله
فعد اليهود و بعد غد لا نصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون
السابقون بيد أمتهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم عدوا بهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد
الناسي يعني يوم الجمعة قال الناس لتابع اليهود غدا والى نصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم
الاثنين الله فهدانا اليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن
الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلاق وقيل اختلفوا في شأن
القبلة فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهذا ان الله الى الكعبة
وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لثلاثة شهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهودى وقالت
النصارى كان نصرانيا فهدي الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود
فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله الحق والمعنى فهدي الله الذين آمنوا الى الحق الذي
اختلف فيه من اختلف (بأذنه) يعني بعلمه وأمره وادارته (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)
﴿ قوله عز وجل ﴾ (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزات في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك
ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ
وقيل نزات في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة
اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم يابدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله
وأظهرت اليهود العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثروا النفاق فازل الله هذه الآية تطيبا لقلوبهم
ومعنى الآية أحسبتم أن الله يصلوكم قبل هل حسبتم والمعنى أظن أنتم أي المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد
الايمن ولم يصحبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من أتباع الانبياء والرسول من الشدائد والمحن

فيه بعد الاتفاق) وما اختلف فيه) في الحق (الالذين أوتوه) أى الكتاب المنزل (لانه اختلفوا فيه) أى في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه (وما اختلف فيه) أى في الحق (الذين أوتوه) أى أعدوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والذين أوتوه اليهود والنصارى واختلفوا فيهم وتكفبر بعضهم بعضا بغيا وحسد وقيل اختلفوا فيهم وتوهم وتبدلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بموضوع الدلائل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين أوتوا الكتاب بغيا منهم وحسادا (من بعد ما جاءتهم اليينات) أى الدلائل الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بغيا بينهم) أى أنهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسادا وهو طالب الدنيا وطلب الراسة (فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه) أى الى ما اختلفوا فيه (من الحق) والمعنى فهدي الله الذين آمنوا المعرفة ما اختلفوا فيه من الحق وقيل هو من المقولوب والمعنى فهدي الله الذين آمنوا الحق الذي اختلفوا فيه وكان اختلفا فيهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدي الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها (ق) عن أى هي ريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم التي اختلفوا فيه فهذا ان الله فعد اليهود و بعد غد لا نصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون بيد أمتهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم عدوا بهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد الناسي يعني يوم الجمعة قال الناس لتابع اليهود غدا والى نصارى بعد غد (م) عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن يوم الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاثنين الله فهدانا اليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضى لهم يوم القيامة قبل الخلاق وقيل اختلفوا في شأن القبلة فصلت اليهود نحو الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهذا ان الله الى الكعبة وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لثلاثة شهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهودى وقالت النصارى كان نصرانيا فهدي الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى أفرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله الحق والمعنى فهدي الله الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف (بأذنه) يعني بعلمه وأمره وادارته (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) نزات في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين أصابهم ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزات في غزوة أحد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة في أول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا أموالهم وديارهم يابدى المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وآثروا النفاق فازل الله هذه الآية تطيبا لقلوبهم ومعنى الآية أحسبتم أن الله يصلوكم قبل هل حسبتم والمعنى أظن أنتم أي المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصحبكم مثل ما أصاب من كان قبلكم من أتباع الانبياء والرسول من الشدائد والمحن

اليينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقتناعا على الثبات والصبر مع الدين اختلفوا عليه من المشركين وأهل انكساب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريق الالتفات التي هي أبلغ (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

(و يسبحون من الذين آمنوا) يعني ان السابحان يستبشرون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظائرهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين يزعم محمد انه يقابلهم (والذين تقولوا) يعني الفقراء من المؤمنين (فوقهم) أي فوق الكفار (يوم القيامة) لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعیف مستضعف أو أقيم على الله لا يرد له إلا خبركم بأهل النار كل عتل جواظ يحظري مستكبر المثل لفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخبر أو الجواظ الفاجر الختال في مثبته وقيل هو القصر الباطن والجواظ في لفظ الغليظ وقيل هو الذي يتدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت على باب الجنة فكان عاملة من دخلها المساكين وأصحاب الجلب محبسون غير ان أصحاب النار قد أمرهم الى النار وقت لي باب الدار فإذا عاملة من دخلها النساء الجذبة فتح الجحيم هو الحظ والغنى وكثرة المال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قال ابن عباس عطى كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه انه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه انه تعالى لا يخاف نقاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب انما يكون اياه لم يقدر ما يعطى والله غنى عالم بما يعطى ولا يخاف نقاد خزائنه لانها بين السكاف والنون وقيل معناه ان الله يقرر الرزق على من يشاء ويسقط الرزق ان يشاء ولا يعطى كل واحد على قدر حاجته بل يعطى استكمالا لاحتياج اليه ولا معارض له في حكمه وبحساب فيهارزق ولا يلاقيه له لم أعطيت هذا رحمت هذا ولا لم أعطيت هذا أكثر من ذلك لانه تعالى لا يضر بك له في الحكمة بتأذيه ولا يسئل عما يفعل وقيل يحتمل أن يكون المراد منه ما يعطى الله المتقين في الآخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان انعم الجنة لا نقاد ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطى أهل الجنة الثواب والاجر بقدر أعمالهم ثم يفضل عليهم فذلك الفضل منه بغير حساب ﴿ قوله عز وجل ﴾ (كان الناس أمة واحدة) أي على دين واحد قيل هو آدم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد إلى أن قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان لناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت آدم إلى ما مضى ثم اختلفوا فبعت الله نوحا وهو أول رسول بعث ثم بعث بعده الرسل وقيل هم أهل البقية الذين كانوا مع نوح وكانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام إلى أن غيبره عمرو بن لحي وقيل كان الناس أمة واحدة حين أخرجوا من ظهر آدم لا خلد للبشر فقال ألتبر بكم قالوا بلى فاعتقوا بالعوبيد ولم يكونوا أمة واحدة فغير ذلك اليوم ثم اظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البني والحسد وقيل ان آدم وحده كان أمة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس أمة واحدة حتى الكفر والباطل بدليل قوله فبعت الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكمة الغالب وقيل ان الآية دلت على ان الناس كانوا أمة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج (فبعت الله النبيين) وجعلتهم أممات ألف وأربعة وعشرون أممات الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في القرآن باسماء اعلام ثمانية وعشرون نبيا (مبشرين) يعني بالثواب لمن آمن وأطاع (ونذرين) يعنى مخوفين بالعقاب لمن كفر وعتى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري بحرى حفظ الصحة للإبدان والانذار يجري بحرى إزالة المرض ولا شك ان الله ودوه الاول فكان أولى بالتقديم (وأُنزل معهم الكتاب) أي الكتب أو يكون التقدير برأى كل واحد الكتاب (الحق) أي بالعدل والصدق ووجه الكتاب

(وقضى الامر) أى وهم أهل الكفر وفرغ منه (والى الله ترجع الامور) أى انه ملك العباد (١٤٩) بعض الامور فترجع اليه الامور

يوم النشور ترجع الامور حيث كان شامى وحجرة وعلى (سل) أصله اسال فنقلت فتحة الهمزة الى السين بعد حذفها واستغنى عن همزة الوصل فصار سل وهو امر للرسول أول لكل أحد وهو سؤال تجميع كما يستل الكفرة يوم القيامة (بنى اسرائيل كم آتيناكم من آية بينسنة) على أيدي أنبيائهم وهى مجزئاتهم - أومن آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام وكل استهفامية أو خيرية (ومن يبدل نعمة الله) هى آياته وهى أجل نعمة من الله لانها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبدلهم اياها ان الله أظهرها لتكون أسباب هدايتهم فبطلوا أسباب ضلالتهم كقوله فزادهم رجسا الى رجسهم أى وحر فوا آيات الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام (من بعد ما جاءته) من بعد ما عرفها رصحت عنده لانه اذ لم يعرفها فكانها غائبة عنه (فان الله شديد العقاب) لمن استحقه (زين الذين كفروا الحيوة الدنيا) الذين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى أعينهم بوساوسه وحبيلهم فلا

فيستحيل ذلك فى حقه تعالى ثبت بذلك ان ظاهر الآية ليس مراد فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل فى معنى الآية هل ينظرون الان أنيهم - الله الآيات فيكون مجيى الآيات مجيئاً لله تعالى على سبيل التفخيم لسان الآيات وقيل معناه الان أنيهم - امر الله ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فسره فى آية أخرى فقال هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك فصار هذا المحكم مفسر لهذا الجمل فى هذه الآية وقيل معناه يأتىهم الله بما وعد من الحساب والعقاب خفف اياتى به فهو يلاعنهم اذ لو ذكر ما يأتى به كان أسهل عليهم فى باب الوعيد واذ لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن تكون الفاء بمعنى الباء لان بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون الا أن يأتىهم الله بظلم من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذى يأتى من الغمام مع الملائكة وقيل معناه لا ينظرون الا أن يأتىهم قهر الله وعدابه فى ظلم من الغمام فان قلت لم كان تبيان العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة ومنه ينطق المطر فاذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفزع وقيل ان نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأحوالها (وقضى الامر) أى وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله القضاء بين العباد يوم القيامة (والى الله ترجع الامور) أى الى الله تصبروا أمور العباد فى الآخرة فان قلت هل كانت ترجع الى غيره قلت ان أمور جميع العباد ترجع اليه فى الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا الاعلام الخلق انه انجازى على الاعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو انه لما بعد قوم غيرهم فى الدنيا أضافوا أفعاله الى سواه ثم فاذا كان يوم القيامة وانكشف الغطاء ردوا الى الله ثم أضافوا الى غيره فى الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (سل بنى اسرائيل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره ان يسأل اليهود المدعية بنبوتهم ان يسألوا عن هذا السؤال العلم بالآيات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمه باعلام الله اياه ولكن المراد بهذا السؤال التقرير والتوبيخ والمبالغة فى الزجر عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير برؤى كبر النعم اني أنعم بها على سلفهم ﴿ كم آتيناكم من آية بينسنة ﴾ أى من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفوق البحر وانزال المن والسوى (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته) يعنى بغير الآيات التى جاءته من الله لانها هى سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هى حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكرواها وادلوها وقيل المراد بنعم الله عليه الذى عهد اليهم فلم يفوا به ﴿ فان الله شديد العقاب ﴾ يعنى لمن يبدل نعمة الله ﴿ قوله عز وجل ﴾ (زين الذين كفروا الحيوة الدنيا) نزلت فى شركى العرب أبى جهل وأصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم فى الدنيا من المال ويكذبون بما عاهدوا وقيل نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه وقيل نزلت فى رؤساء اليهود ويحتمل انها نزلت فى الكل والمزمن هو الله تعالى بدليل قراءة من قرأ زين بنفسح الزاى وذلك انه لا يتمتع أن يكون الله تعالى هو المزمن لهم بما أظهره فى الدنيا من الزهرة والفاخرة والطيب واللذة وخلق الاشياء الجميلة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب فى الطباع الميل الى اللذات وحب الشهوات لاعلى سبيل الاجاء والعسر الذى لا يمكن تركه بل على سبيل التجنب الذى تميل النفس اليه مع امكان ردها عنه فنظر الخلق الى الدنيا كثر من قدرها فاجتبعهم حسنوا وزهرتها وزينتها فاجبوا وقتوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى أمهلهم فى الدنيا حتى أقبوا واعلموا وأحبوا فافسكاهم هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزمن هو الشيطان وغواة الجن والانس وذلك أنهم زينوا لالكفار الحرس على الدنيا وطلبوا وحبوا لهم أمر الآخرة وقيل أو هوهم لان آخره لا يقبلوا على لذات الدنيا وطلبوا الحرس عليها وهذا التأويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا ابتداء لجمع الكفار فدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كانهم من زين لهم هذا المزمن لا بدوا أن يكونوا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة

يريدون غيرها والله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولان جميع الكائنات منه يدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا

ادخلوا في السلم أى الانقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أى باجمعكم ولا تنفروا
وقيل يحتمل أن يرجع الى الاسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الاسلام وشرائعها كافة وهذا المعنى أبقى بظاهر
التفسير لاسم أمره وبالقيام بها كما قال حذيفة بن اليمان فى هذه الآية للاسلام ثمانية أسهم فعمل الصلاة
والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وقد خاب من لاسمهم له
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى آثاره فيبازر بينكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا
تلتفتوا الى الشهوات التى يلقى اليكم أصحاب الضلالة والغواية والاهواء الخلة لأن من اتبع سنة انسان
فقد تبع أثره (انه لكم عدو مبين) يعنى الشيطان فان قلت عادوته بايصال الضرر والقاء الوسوسة فكيف
يصح ذلك مع الاعتقاد بان الله هو الفاعل لجميع الاشياء قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء والينا ولكن الله
منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فعلوم انه يزى من المعاصى وبقاء الشهوات وكل سبب لوقوع الانسان فى
مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذه من أعظم جهات العدواة فان قلت كيف يصح وصف
الشيطان بأنه مبين مع اننا نراه قلت ان الله تعالى بين عادوته ما هى فكاكنا بين وان لم يشاهد (فان زالم)
أى ماتم وضالم وقال ابن عباس أشركتم (من بعد ما جاءكم البينات) أى الدلالات الواضحات (فاعلموا
ان الله عزيز) أى فى نعمته بمن خالفه غالب لا يهزمه شئ (حكيم) يعنى انه لا يتبعم البهوى والحكيم ذوالاصابة
فى الامور كما وفى الآية وعيد وتهديدان فى قلبه شك ونفاق وأوعده مشبهة فى الدين ﴿ قوله عز وجل (هل
ينظرون) أى ينظرون التاركون الدخول فى السلم والمتبعون خطوات الشيطان (الأن يا أيهم الله فى
الضلال) جمع ظلة (من الغمام) يعنى السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغمر ويستروى وقيل هو شئ غير
السحاب ولم يكن الا بئى اسرائيل فى تبعهم وهو كهيئة الضباب الابيض (واللائكة) أى وتأنيهم الملائكة
وروى الطبرى فى تفسيره بسند متصل عن عكرمة بن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام
طافات بأنى الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله تعالى هل ينظرون لأن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام
واللائكة وقضى الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب تبارك وتعالى
واعلم ان هذه الآية من آيات الصفات والاعلام فى آيات الصفات وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما هو
مذهب سلف هذه الامم والاعلام أهل السنة والايمان والتسليم لما جاء فى آيات الصفات وأحاديث الصفات
وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونسلك علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه
وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزعه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال السكيتى هذا
من الذى لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتنسيه قراءته ورسوله صلى الله عليه
ليس لاحد أن يفسره الا الله ورسوله وكان الزهرى والاوزاعى ومالك وابن المبارك وسفيان الثورى
والثابت بن سعد وأبو جندب حنبل واسحق بن راهويه يقولون فى هذه الآية وأمثالها أقرؤها كما جاءت بلا
كيف ولا تشبيه ولا تأويل هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الامم وأشد بعضهم فى المعنى

عقيدتنا ان ليس مثل صفاته ولا ذاته شئ عقيدة صائب

نسلم آيات الصفات باسمها * وأخبارها الظاهر المتقارب

ونؤمن عنها كنه فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب الغالب

ونركب للتسليم سفنا فانها * لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثبوتى وهو قول جمهور علماء المتكلمين وذلك انه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين
من أصحاب النظر على انه تعالى منزعه عن المحيى والمذهاب وبدل على ذلك ان كل ما يصح عليه المحيى والمذهاب
لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان ولا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزعه عن ذلك

(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) وسأوسه (انه
لكم عدو مبين) فظاهر
العدواة (فان زالم) ماتم
عن الدخول فى السلم (من
بعد ما جاءكم البينات)
أى الحجج الواضحة
والشواهد الملتزمة على ان
مادعيتم الى الدخول فيه
هو الحق (فاعلموا ان الله
عزيز) غالب لا يتغنى شئ
من عذابكم (حكيم)
لا يعذب الا بئى وورى ان
قارنا قرأ غفورا رحيم
فسمعه اعترابى لم يقرأ
القرآن فأنتكره وقال
ليس هذا من كلام الله
اذ الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزال والمعصيان لانه
اقرأ عليه (هل ينظرون)
ما ينظرون (الأن يا أيهم
الله) أى أمراته وبأسه
كقوله أو بأنى أمر ربك
بجاءها بأسنا والمأنى به
مخدوف يعنى أن يأتيهم
الله ببأسه للدلالة عليه
بقوله ان الله عزيز (فى
الظلال) جمع ظلة وهى ما يظلك
(من الغمام) السحاب
وهو لثقله ويل اذ الغمام
مظنة الرحة فاذا أنزل منه
العذاب كان الامر أفتظ
وأهول (واللائكة) أى
وتأني الللائكة الذين
وكلا يتبعونهم أو المراد
حضورهم يوم القيامة

عليه نيامه شرف يشتم رفع العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود أسد ناريان يدفعان عن أشباههما فان شتمنا ضحكنا وان شتمنا نازنا ثم كان شتمنا انصر فتم فأنصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة لتبأه يمين من من أصحابك وزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شربا نفسه ما يبال زال خبيب عن خشبة وقال أكثر المفسرين زلت في صهيب ابن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشأ بالروم وانما كان من العرب ابن النمرين فأسقط قال سعيد بن السبب وعطاء أقبل صهيب مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبه نفر من مشركي قريش فقتلوا عن راحلته ومثل ما كان في كنيسته وقال والله لا نصلوا الي وأرى بكل سهم مغمى على فأنضرب بسيفي ما بقي في يدي وان شتمت ذلكت على مال دفنته بمكة وخليفتي سبيلي فقالوا نعم ففعل فلما أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم زلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبأبجي وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أندرن فبأنزلت هذه الآية زلت في المسلم باقي الكافر في قوله لا اله الا الله فيأبى أن يقوطا فيقول المسلم والله لا شربني نفسي لله فقدم قاتلا وحده حتى قتل وقيل نزات هذه الآية في الامر بالعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس رضي الله عنهما أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بقتل الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالانتم قال وأنا أشري نفسي لله فقتله وكان على كرم الله وجهه اذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلوا رب الكعبة ويسمع عمر جلا يقرأ هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر ان الله وانا اليمراجعون قام رجل فأمر بالعروف ونهى عن المنكر فقتل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأما تفسير الآية فقد كرم المفسرون ان المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله وشروهم أي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بأواب الله تعالى في الدار الآخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاح وصيام وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهى عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالساعة فصار كالبايع والله تعالى اشترى والتمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله أي طلب رضائه (والله رؤف بالعباد) أي من رافة الله لعباده ان جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافة أنه يقبل توبة عبده ومن رافة ان نفس العباد وأموالهم له نعم الله تعالى يشري ماله بملكه فضلا عنه مودة واحسانا ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) نزات في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا وأقاموا على تعظيم شرائع موسى فظاموا السبت وكروا الخمر والابل وألبانها وقالوا ان ترك هذه الاشياء مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا أيضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقيم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية وأمرهم ان يدخلوا في السلم أي في شرائع الاسلام ولا يجسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا والله وأطيعوه فبأمر به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث من يهود وتجيحنا فنرى ان نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم ألتهمون كون كنتم يهود اليهود والصاري قد جنتكم كما هي بيضاء نقية ولأن موسى حي باوسع الانبياء فوله أنه تهاق كون أي تحبسون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والصاري وقوله أنه قد جنتكم كما هي بيضاء نقية بالية الحنية في بيضاء نقية أي لاحتاج الى شيء وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالله فنتهم

والله رؤف بالعباد) حيث أتاهم على ذلك (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم) وفتح السين حجازي وعلى وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكلمهم ولنا فبين لانهم آمنوا بالسنتهم (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أي جميعا ومن السلم لانها تؤت كنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها أو في شعب الاسلام وشرائع كلها وكافة من الكف كنهم كفوا أي يخرج منهم أحد باجتماعهم

بالا وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق فلما أعدوا لهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكثوا منهم جئوا وأتوا قسمهم فبطوهم فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول العهد فراقى أن يصحبهم فزروهم عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعواهم بمكة فاشترى خبيب بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فكتبت عندهم أسير حتى إذا اجتمعوا على قتله استأمر موسى بن بعض بنات الحارث ليستحدها فاعارته قالت فقلت من صلي في رجب اليه حتى أماد فوضعه على نخذه فلما رأته فرغت فرجة عرف ذلك مني وفي يده الموصي فقال تخشني مني أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيراً فاطمخاً من خبيب لقد رأيت ما كل من قطب عنب وما بمكة يومئذ عرف أنه لم يوثق في الحديد وما كان إلا زقار زقه خبيباً فلما خرجوا به من الحرم ليقتهلوه قال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين ثم انصرف فقال لولا ترون أن ابني جزع من الموت لذنت فكان أول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عدد اوقال

فلمست أبان حين أقفل مسلماً * على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الله وإن يشأ * يبارك على أوصال شملوع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله بعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده بعد موته وكان قتل عظيماً من عظامهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الطلحة من الدرر فحتمته من رسلهم فلم يقدر وامنه على شئ زاد في روايته وأخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصبحوا خبرهم العهد والموضع الذي فيه غلط وارتفاع وقوله عالجوه أي مارسوه وأراد به أنهم يتحدعون به ليحبهم فأبى وقوله ليس يستجد الاستجداد حاق العانة والقطب الحق ومن العنب قوله على أوصال شملوع أي أوصال الأعضاء من أعضاء الإنسان والمزع الغرق والظلة الشئ الذي يظل من فوق الإنسان والدرج ساعة النحل والزنا بغير وقال أهل التفسير إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالدينة أن أقدم أسلمة فابست البينا نفر من علماء أمهاتك يعلمون أن دينك وكان ذلك مكرامتهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الأنصاري ومروان بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي أفلح الأنصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد عليه فقوله لو انقلب خبيباً حياً فقال اللهم انك تعلم أنه ليس لي أحد حولي يبلغ سلامي رسواك فابلقه سلامي فقام اليه أبو سبرة وعقبة بن الحارث فقتله وقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين يدي خبيب فقال له خبيب انني الله فينا زاده ذلك الاعتوا فطعته فانفذه فذلك قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله اعزته بالآثم يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة فابنته صفوان بن أمية ليقتهل به أبيه أمية بن خلف فبعثه معهم ولحقه يسرى بن بطاس إلى التنعيم ليقتهل به في الحبل واجتمع رطه من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتهل أنشدك الله يا زيدا يحب محمد عندنا الآن مكانك بضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمد الآن في مكانه الذي هو فيه تصديه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحد يحب أحد أكب أصحاب محمد محمد قتله نسطاس فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيباً عن خشبته وله الجنة فقال الزبير بن العبد بن أبي سفيان قال لا والله ما أحب أن زيد بن الدثنة ينزل عن خشبته فآذاه رطب بقتني ولم يتغير منه شئ بعد أربعين يوماً وبده على جراحته وهي تبض دماً لونها لون الدم والرجح رمح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فأنبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فخرؤا فربك معهم سبهون فارساً فلما حوهم قذف الزبير خبيباً فابتلعه الأرض فسمي بلع الأرض وقال الزبير ما أجزأك

(ويشهد الله على ما في قلبه) أى يخلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبة ومن الاسلام (وهو ألد الخصام) شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام الخاصة والاضافة بمعنى لان أفعال يضاف الى ما هو بعضه (١٤٥) تقول زيدا أفضل القوم ولا يكون

الشخص بعض الحديث فتقديره ألدنى الخصومة أو الخصام جمع خصم كره وعباد والتقدير وهو ألد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الالة انقول واحلاء المنطق (سعى في الأرض ليفسد فيها) كما فصل بغير فانه كان بينه وبينهم خصومة فبينهم ايلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم (وهلاك الحرث والنسل) أى الزرع والحيوان أو اذا كان والياء فصل مائة وله لالة سوء من الفساد في الأرض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يعن الله بشوم ظلمه القطر فيها لك الحرث والنسل (والله لا يحب الفساد) إذا قيل (له) لا لخنس (اتق الله) في الافساد والاهلاك (أخذته العزة بالاثم) حلت العزة وحيدة الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه وألزمه ارتكابه أو البلاء للسبب أى أخذته العزة من أجل الاثم الذى في قلبه وهو الكفر (خسبه جهنم) أى كافيه (وليس

الله عليه وسلم وذلك أنه أشار على بنى زهره بالرجوع يوم يد وقال لهم ان محمدا ابن أختكم فان يك كاذبا فكفا كوه الناس وان يك صادقا كتبكم أسعد الناس بقاؤهم ما رأيت قال انى ما خنس بكم فاني عني خنس فمضى الاخنس بذلك وكان الاخنس حالوا الكلام حاولوا النظر وكان أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاسبه ويظهر الاسلام ويقول انى لاحبك ويحاسب بالله على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه وكان الاخنس منافقا فزئل فيه ومن الناس من يجهك قوله أى يروك وتسمعه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعنى أن حلوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا (ويشهد الله على ما في قلبه) يعنى قوله والله انى بك مؤمن ولك محب (وهو ألد الخصام) أى شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القدوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أبغض الرجال الى الله الألد الخصم يعنى الشد يدنى الخصومة (واذا تولى) أى أدبر وأعرض عنك بعد الالة انقول وحلاوة المنطق (سعى في الأرض) أى سار ومضى في الأرض (ليفسد فيها) يعنى يتطاع الارحام وسفك دماء المسلمين (وهلاك الحرث والنسل) وذلك ان الاخنس بن شريق كان يشبه وبين ثقيف خصومة فيتم ايلا فاحرق زروعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا ديننا كان له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له أتاناً وقيل مناه اذا تولى أى صار واليا وملك الامر سعى في الأرض ليفسد فيها يعنى بالظلم والعدوان كما فعله ولالة سوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يعن الله بشوم ظلمه القطر فيها لك الحرث والنسل بسبب من المطر وقيل ان الالة عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يتبع ان تنزل في رجل واحد منهم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات (والله لا يحب الفساد) قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجبت للمعزلة لهذه الآية على ان المحبة عبارة عن الارادة أو أجيب عنه بان الارادة بمعنى غير المحبة فان الانسان قد يبر بشيئا لا يحبه وذلك لانه قد ينال الدواء المر ولا يحبه فيان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل ان المحبة مدح الشيء وتنظيمه والارادة بخلاف ذلك (واذا قيل له اتق الله) أى خف الله في شرك وعلايتك (أخذته العزة بالاثم) أى حلت العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه أوصل العزة المنعة والتكبر (خسبه جهنم) أى كافية له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من أسماء النار التى يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمى وقيل بل هو عربى سميت النار بذلك لبعدها عن الفناء (وليس المهاد) أى الفرائس والمهاد التوطئة أيضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من أكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله تعالى وقوله عز وجل (ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيم وكانت بعد أحد (خ) عن أبى هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية بأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو وجد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكر والحى من هنبل يقال لهم بنو لحيان فبيعهم بقرىب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا مئلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا له اتق الله يترقبوا أثمهم حتى لحقوهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجؤا الى فدود وجاء القوم فحاطوا بهم فقالوا الحكم العهد والميثاق ان نراهم لا نقلل منهم كمر جلا فقال عاصم أما أنافلا نزل في ذمة كفر اللهم أخبر عذرنا سولا ففانواهم فرمواهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر

(١٩) - (خارن) - (أول) المهاد) أى الفرائس جهنم ونزل في صهيبي حين أراد المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نورا كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة وفيمن يامر بالعرف وينهى عن المسكر حتى يقتل (ومن الناس من يشترى بيها) نفسه ابتغاء (لأبتغاء) مرضات الله

(فن يجمل) فن عمل في النفر أو سجدة الجمل والنفر يجمل واستعمل بجثمانه طارعين بمعنى عمل يقال نجعل في الأمر واستعمل ومتعديين يقال
 تهل الذهاب واستعمله والمطوعة (١٤٤) أوفى بقوله ومن تأخر (في يومين) من هذه الأيام الثلاثة فلم يكت حتى يرمى في

اليوم الثالث واكتفى
 برمى الجارفي يومين من
 هذه الأيام الثلاثة (فلا تأخر
 عليه) فلا تأخر بهذا التجهيل
 (ومن تأخر) حتى يرمى في
 اليوم الثالث (فلا تأخر عليه
 لمن اتقى) الصيد أو الوقت
 والغدوق أو هو محجوف في
 التجهيل والتأخر وإن كان
 التأخر أفضل فقد يقع
 التخخير بين الفاضل
 والأفضل كما غير المسافر
 بين الصوم والافطار وإن
 كان الصوم أفضل وقيل
 كان أهل الجاهلية فرعيين
 منهم من جعل التجهيل
 آثماً ومنهم من جعل
 التأخر آثماً فورد القرآن
 بنقي المصنف عنهما (واتقوا
 الله) في جميع الأمور
 (واعلموا انكم اليه
 تحشرون) حين يبعثكم
 من القبور كان الاخس
 ابن بشر في حالو المنطق
 إذا قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لأن له القول
 وادعى أنه يحبه وأنه مسلم
 وقال يعلم الله أني صادق
 فزله فيه (ومن الناس من
 يجهل قوله) يروك
 و يعظم في قلبك ومنه الشيء
 المحبب الذي يعظم في
 النفس (في الحياة الدنيا)
 في يتعاق بالقول أن يجهل

ما يقوله في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة أو يجهل أي يجهل حال كلامه في
 الدنيا في الآخرة لما يروه في الموقف من الحبسة والسكنة

الله صلى الله عليه وسلم عادر جلا من المسلمين قد خف فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشئ أو تسأله أياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت ما قبلني به في الآخرة فجهل في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطعه ولا تستطيعه أو لا قلت اللهم آتني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقم عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه (ق) عن أنس بن مالك قال كان أكره دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة قبا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل إن كثيرين بنا آتاني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أخرجهما أبو داود (أولئك) إشارة إلى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول أن الله ذكر حكم الفريق بكمال فقال وماله في الآخرة من خلاق وقيل يرجع إلى الفريقين (لهم) جيم أي لسلك فريق من هؤلاء (نصب) أي حظ (عما كتبوا) يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من جنس ما كتب ودعا (والله سر يع الحساب) ذكرنا في معنى الحساب أن الله تعالى يعلم العباد ما لهم وما عليهم يعني أن الله تعالى يخفي العلوم الضرورية في قلوبهم بتقدير أعمالهم وكنياتهم وكيفياتهم بتقدير ما لهم من الثواب وعليهم من العذاب وقيل إن الحاسبة عبارة عن الجواز أو يدل عليه قوله تعالى وكأن من قربة عنت عن أمرهم بواجبها حسابه ما يشاء وقيل إن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعذاب وقيل إنه تعالى إذا حسب عباده حسابه سر يع لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يدوروبة فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلاق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا مدد ولا مساعد فلا جرم كان قادرا على أن يحاسب جميع الخلاق في أقل من لحظة البصر وروى أنه تعالى يحاسب الخلاق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع القول والدعاء بعباده أو لاجابة لهم بذلك أنه تعالى يسأل السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطى كل واحد ما يطلبه من غير أن يشغله شيء من ذلك لأنه تعالى عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية أن إتيان القيامة قريب لبل أن كل من هو كائن أو أت قريب لا محالة وفيه إشارة إلى المبادرة بالدعاء والذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة قوله عز وجل (واذكرنا الله) يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أديار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة من حصي الجمار فقد روي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة (في أيام معدودات) يعني أيام التشرىق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقائتهم وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وأولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقادة وهو مذهب الشافعي وقيل إن الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول ثني بن أبي طالب ويروي عن ابن عمر أيضا وهو مذهب أبي حنيفة (م) عن نيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشرىق أيام أكل وشرب وذكر الله ومن الذك في هذه الأيام التكبير (خ) عن ابن عمر أنه كان يكبر في تلك الأيام وعند الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجامع وفي عشاءه في تلك الأيام جيم أي رداية نكان يكبر في قيته فيسب مع أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى تخرج مني أخرجه البخاري بغير إسناد وأجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو أن يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جيم أيام التشرىق وأجروا أيضا على أن التكبير في عيد الأضحي وفي هذه الأيام في أديار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يتدأ به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشرىق فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي في أمه صح أقواله قول الشافعي لأن الناس فيه

(أولئك) أي الذين
الحسنتين (لهم) نصب مما
كتبوا من جنس ما
كتبوا من الاعمال الحسنة
وهو الثواب الذي هو المدفع
الحسنة أو من أجل ما
كتبوا وسمى الدعاء كسبا
لأنه من الاعمال والاعمال
موصوف بالكسب ويجوز
أن يكون أولئك الفر يقين
أو أن لسلك فريق نصيبا
من جنس ما كتبوا
(والله سريع الحساب)
بوشك أن يقم القيامة
ويحاسب العباد فبادروا
الكثار الذكروا طلب
الآخرة أو وصف نفسه
بسرعة حساب الخلاق
على كثرة عددهم وكثرة
أعمالهم ليدل على كمال
قدرته وجوب الخدوم
نقته وروى أنه يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة
وروي في قدر الحلة (واذكروا
الله في أيام معدودات) هي
أيام التشرىق وذكر الله
فيه التكبير في أديار الصلوات
وعند الجمار

(فأذا قضيت مناسككم) فإذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتهم (فأذكروا الله كذكركم آباءكم) أي فاذكروا الله ذكركم مثل ذكركم آباءكم والمعنى (١٤٢) فاذكروا من ذكر الله وبأنفوسكم كما تذكرون في ذكر آباءكم ومفاخرهم

نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على أنه تعالى يغفر للمسيئين ويرحم المذنبين بانه
 ذكرهم ﴿ قوله عز وجل (فإذا قضيت مناسككم) أي فرغتم من حجاجكم وعباداتكم وذكركم بعبادتهم مناسككم أي
 ذبايحكم وذلك بعد رمي جرة العتبة والاستقرار ببني (فأذكروا الله) يعني بالتحميد والتحميد والتواهييل
 والتكبير والثناء عليه (كذكركم آباءكم) قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجاجهم
 وقوافيلهم المسجد ببني وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم وما تركهم وفخائلهم ومجاسنهم
 ومنافقهم فيقول أحدهم كان أبي كبير الجفنة ورحب الفناء يقرى الضيف وكان كذا وكذا بعد مفاخره
 ومناقبه ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالشعر والمناظم من الكلام القصيح وغرضهم الشبهة
 والسمعة والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما بان الله عليهم بالاسلام أمرهم أن يكون ذكركم لله بالآياتهم
 وقال اذكروني فأذا الذي فملت بكم و... وأحسنت اليكم واليهام قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكركم
 الصبيان الصغار آباءهم وذلك ان الصبي أول ما يفصح بالكلام يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن
 يذكروه كذكركم الصبيان الصغار الآباء (أو أشد ذكر) أي بل أشد ذكر أو قيل أو بعد معنى الواو أي وأشد
 ذكر أي رأكثر ذكر الآباء لانه والمهم عليهم وعلى الآباء والمستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن
 عباس عن هذه الآية قيل له قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه فقال ليس كذلك ولكن أن تغضب
 لله عز وجل ادعاصي أشد من غضبك لو اديك اذا شئت (فمن الناس من يقول ربنا آتاني الدنيا) يعني أن
 المشركين كانوا يسألون الله في حجاجهم والدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا بلا وغنا وبقراب عبيد اوماء
 وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم اني أنا في كذا عظيم الثمن كبير الجفنة كثير المال فاطني مثل ما أعطيتهم قال
 قتادة هذا عبد يدينه الدنيا له أنفق ولها عمل ونصب (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 أمس عيد الدينار وعيد الدرهم وعيد الخبصة أن أعطي رضى وان لم يعط سخط نفس واتسكس واذا شئت
 فلا تنشق قوله نفس عيد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العنار والخبصة ثوب من
 خرا أو صوف ممل قوله واتسكس هذا دعاء عليه أيضا لان من اتسكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر
 قوله واذا شئت هذا فعل ما لم يسم فاعله تقول شئت الشوكه اذا دخلت في جسمه والانتفاش اخراج الشوكه
 من الجسم وانما كان سؤال المشركين لادنياهم لطلبوا الثوب والغفره ونعيم الآخرة لانهم كانوا يسكرون
 البعث (وماله في الآخرة من خلاق) أي وماله في الآخرة من حظ ولا نصيب (ومنهم من يقول ربنا آتاني الدنيا
 حسنة وفي الآخرة حسنة وقناعتا بالنار) يعني المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الدارين فر بين فريق
 اقتصر وفى الداء على طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني هم
 المؤمنون الذين جمعوا فى الداء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خاق ضعيفا محتاجا لاطاقتة
 بالأم الدنيا ومتاعها فالاولى له أن يستمتع بذمته من شرها ولا يلهيها لانه لو اضطرب على الانسان عرق من
 عرق قماشوش عليه حياته فى الدنيا وتوطن عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا فى الداء
 من أمر الدين فذلك قال الله تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتاني الدنيا حسنة وفى الآخرة
 حسنة قيل ان الحسنه فى الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى الخير والنصر على الاعداء
 والولد الصالح والزوجة الصالحة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لندنيا
 متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنه فى الدنيا العلم والعمل وفى الآخرة الجنة وقيل الحسنه فى الدنيا
 لرزق الحلال والعمل الصالح وفى الآخرة المغفرة والواب وقيل من أتاه الله الاسلام وأقرآن وأهل ومالا
 فقد أدنى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يعنى فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية (م) عن أنس أن رسول

وأوامهم وكانوا اذا تفاوا
 مناسكهم وقنوا بين المسجد
 ببني وبين الجبل فعددون
 فضائل آباءهم وبذكرون
 محسن آباءهم (أو أشد
 ذكر) أي أكثر وهو في
 موضع حرج عطف على
 ما أضيف إليه الذكر في قوله
 كذكركم كما تقول كذكركم
 قر يش آباءهم أو أشد
 منهم ذكر أو ذكر آباءهم
 (فمن الناس من يقول) فمن
 الذين يشهدون الحج من
 يسأل الله حظوظ الدنيا
 فيقول (ربنا آتاني الدنيا)
 اجل آتينا أنا أي اعطنا
 في الدنيا خاصة يعنى الجاه
 والغنى (وماله في الآخرة
 من خلاق) نصيب لان
 هذه مقصور على الدنيا
 اكفره بالآخرة والمعنى
 أكثر من ذكر الله ودعائه
 لان الناس من بين مقل
 لا يطلب بذكر الله
 الأغراض الدنيا وأكثر
 يطلب خبر الدارين فكونوا
 من الأكثرين أي من الذين
 قيل فيهم (ومنهم) ومن
 الذين يشهدون الحج
 (من يقول ربنا آتاني
 الدنيا حسنة) نعمة وعافية
 أو علما وعبادة (وفى
 الآخرة حسنة) تنفوا
 ومفرد أو مال والجنة حسنة

أو نساء الخلق ورضا الحق أو الإيمان والأمان والأخلاص والخلاص أو السنة والجنة أو القناعة والشفاعة أو المرأة الصالحة الله
 والحر والعين أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة (وقناعتا بالنار) احفظنا من عذاب جهنم أو عذاب النار أمه السوء

بالهداية فهذا كم لدينه ومناسك حجه (وان كنتم من قبله ان الضالين) أى لا تعرفون كيف تذكروه
وتعبدونه والطاء في من قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول أى من قبل ارسال الرسول الى الضالين وهو
كتابة عن غيرهم كور وقيل يرجع الى القرآن والمعنى واذا ذكروه كما هذا كم بكتابه الذى أنزله عليكم وان
كنتم من قبل انزاله الى الضالين قوله عز وجل (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى لكن أفاضتكم
من حيث أفاض الناس وفي مخاطبتين بهذا قولان أحدهما انه خطاب لقريش قال أهل الفداء بركانت
قريش ومن دان بدينها وهم الجس يقفون بازلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا تخلف الحرم
ولا تخرج منه ويتعاطون أن يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون بعرفات فإذا أفاض
الناس من عرفات أفاض الجس من الزلفة فامرهم الله أن يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يقضوا منها
الى جمع وأخبرهم أنه ستة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام (ق) عن عائشة رضی الله عنها قالت كان قريش
ومن دان بدينها يقفون بازلفة وكانوا يسمون الجس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلم يسجدوا لاسلام
أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتى عرفات فيقف بها ثم يقض من الزلفة قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس قولها كانوا يسمون الجس هو جمع أحسن وأصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش
وكنانة حسنة التشدد هم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناهم جميع العرب سوى الجس والقول الثانى
انه خطاب لسائر المسلمين أمرهم الله أن يقضوا من حيث أفاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث
أفاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قرابة عيسى بن جبرئيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
بالباء وقال هو آدم عهد اليه فنسى وجهه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم ومساوياه متبدع
محدث وقيل المراد من هذه الآية ان الافاضة من الزلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرى والنحر
وأراد بالناس ابراهيم واسماعيل وابناهما لانه كانت افاضتهم من الزلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا
القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكره في قوله فاذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من
حيث أفاض الناس فدل على أن هذه الافاضة من الزلفة الى منى اكن القول الاول هو الاصح الذى عليه
جمهور المفسرين فن قلب على القول الاول الذى هو قول جمهور المفسرين ان الاشكال وهو أن ظاهر الكلام
لا يقتضى ذلك لان قوله فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع
فكيف قال ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فكأنه قال فاذ أفضتم من عرفات فافضوا من عرفات وذلك
غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديم وان خيرا وتقديره ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا
الله فعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم أفيضوا بمعنى الواو
أى وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا بالافاضة الدفع (ق) عن هشام بن عروة عن أبيه قال سئل اسامة
ابن زيد وأناجالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العتيق فاذا وجد
لجوة نص قال هشام والنص فوق العتيق ففتح العين ضربه من السير سرع ربه وهو أشد من المشى
والفجوة الفرجة وهى المتسع من الارض والنص السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسهها
(خ) عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا
شديدا وضربا بالابل فاشار بسوطه اليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فان ابراهيم بالإضاع الايضاع
السير السريع الشد بدوقوله تعالى (واستغفروا الله) أى من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم (ان الله
غفور رحيم) يعنى ان الله هو السائر لذنوب عباده برحمة والغفور بفتح الميم الغفر وكذا الرحم وفيه
دليل على أنه تعالى يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم لانه تعالى أمر المذنب بالاستغفار ثم وصف

(وان كنتم من قبله من قبل الهدى (من الضالين)
الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان
مخففة من الثقيلة واللام
فارقة (ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس) ثم استكن
افاضتكم من حيث أفاض
الناس ولا تكن من
الزلفة قالوا هذا أمر
لقريش بالافاضة من
عرفات الى جمع وكانوا
يقفون بجمع وسائر الناس
بعرفات ويقولون نحن
قطان حرمه فلا تخرج منه
وقيل الافاضة من عرفات
مذكورة فهى الافاضة
من جمع الى منى والمراد
بالناس على هذا الجس
ويكون الخطاب للمؤمنين
(واستغفروا الله) من
مخالفتكم في الموقف ونحو
ذلك من جاهليتهم أو من
تقصيركم في أعمال الحج
(ان الله غفور رحيم) بكم

واقتوا الاستطعام وإبرام
الناس والتعجيل عليهم (فان
خير الزاد التقوى) أى الاتقاء
عن الإبرام والتعجيل عليهم أو
تزدوا للعاد بقاء المحظورات
فان خير الزاد اتقاؤها
(واقفون) وخافوا عقابي
وهو مثل دعان (يا أولى
الآلئاب) ياذى العقول
يعنى ان فضيلة اللب تقوى
الله من لم يتقه من الآلئاب
فكانه لالب له ويزل في
قوم زعموا ان لالحج جلال
وتاجر وقالوا هؤلاء الداج
وليسوا بالحاج (ليس عليكم
جناح أن تتغفروا) فى ان
تبتغوا فى مواسم الحج
(فضلا من ربكم) عطاء
ونفضا وهو النفع والريح
بالتجارة والكراء (فاذا
أفضم) دفعتم بكثرة من
إفاضة الماء وهو صبه بكثرة
وأصله أفضم أنفسكم وترك
ذكر المفعول (من عرفات)
فى علم للموقف سمي بمجمع
كأذرعنا وإنما صرفت
لأن التاء فيها ليست التائين
بل هى مع الالف قبلها علامة
جمع المؤنث وسميت بذلك
لأنها وصفت لأبراهيم عليه
السلام فمسا رآها عرفها
وقبل اتقى فيها آدم وحواء
فتعارفوا فيه دليل على
وجوب الوقوف بعرفة لان
الإفاضة لا تكون إلا بعد

(وتزدوا فان خير الزاد التقوى) نزلت فى أناس من أهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون
يخن متوكلون ويقولون نحج بتر بأفلا بجمعنا فافادوا مكة سألوا الناس ور بما أفضى بهم الحال الى
الرب والغلب فانزل الله تزودوا أى متبلغون به وتكفون به ويوجهكم عن الناس واقتوا إبراهيم والتعجيل
عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل فى معنى الآية وتزدوا من التقوى فان الانسان لا بد له من سقوف الدنيا
ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولا بد فيه من زاد
أيضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد أفضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس
وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة وفى هذا المعنى قال الاعشى

إذا نلت لم ترحل بزاد من التقي * ولايت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لانتكون كيتبه * وأنت لم ترصد كما كان أرسدا

(واقفون) أى وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقوى وفيه تنبيه على كل عظيمة الله جل جلاله (يا أولى
الآلئاب) ياذى العقول الذين يعلمون - فائق الامور - قوله عز وجل (ليس عليكم جناح أى حرج أن
تبتغوا فضلا من ربكم) يعنى رزقا ونفعا وهو الرخ فى التجارة (خ) عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة
وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تأنموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت ليس عليكم جناح
أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفى رواية أن تبتغوا فى مواسم الحج فضلا
من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة فتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة أيضا فالأزرى فى
بأسفل مكة على بر يدنها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب فى الجاهلية يتجرون فى هذه الأسواق ولما
مواسم فكانوا يقبضون بعكاظ عشرين يوما من ذى القعدة ثم ينتقلون الى منة فيقبضون بها ثمانية عشر يوما
عشرة أيام من آخر ذى القعدة وثمانية أيام من أول ذى الحجة ثم يخرجون الى عرفة فى يوم التروية وقال
الداودى بمجنة عند عرفة وعن أبى أئمة التيمي قال كنت رجلا كرى فى هذا الوجه وكان الناس يقولون
لى انه ليس لك حج فقلت ابن عمر فقلت لى بأبعد الرجن الى رجل كرى فى هذا الوجه وان أناسا يقولون
انه ليس لك حج فقال ابن عمر ليس تخرم وتلبى وتطوف بالبيت وتقبض من عرفات وترمى الجار فقلت لى
قال فان لك حجاجا هر جلى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى عنه فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج أخرجه أبو داود والترمذى وقال بعض العلماء ان التجارة ان
أوقفت نقصا فى أعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه كانت من المباحات التى الأولى تركها الجريد
العبادة عن غيره لان الحج بدون التجارة أفضل أو كل وقوله تعالى (فاذا أفضم) أى دفعتم والإفاضة دفع
كثرة (من عرفات) جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فسمى
بمجمع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يرى إبراهيم
الناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمى ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما
أهبط وقع بالحد وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفة فى يوم عرفة فتعارفا
فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى ان إبراهيم لم أذن فى الناس بالحج وأجابه بآتلية وأبى
من أى أمره الله تعالى ان يخرج الى عرفات وأنه لم يخرج الشجرة ذات سمته الى الشيطان برده فرماه
بسبع حصيات بكبره من كل صاة فطار فوقع على الجرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجرة الثالثة فرماه
وكبر فطار فلما رأى الشيطان انه لا يطعمه ذهب فانطق إبراهيم حتى أتى ذا الجوز فظفر اليه فلم يعرفه فجازه
فسمى ذا الجوز ثم أطلق إبراهيم حتى وقع بعرفات ففرها بالبيت فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا

يصير حايده وفل يفعله ثم اختلافوا في ذلك فعمل فل الشافعي بعدم عقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى النية ووجهه ان فرض الحج بارة من النية فوجب ان تكون النية كالنية في اداء الحج قال أبو حنيفة لا يصح الشرع في الاحرام بمجرد النية حتى يضم اليه التلبية أو سوق الهدى ووجهه ان الحج عبادة لها تحصيل وتحریم فلا بد من انضمام شيء الى النية كالتكبير للاحرام مع ايقاف الصلاة وفي الآية دليل على ان الاحرام بالحج لا بعقد الا في أشهره وقول ابن عباس اليه ذهب الشافعي وأما ما وجدنا في قول الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو اعتقد في غيره لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يعقد احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام لزام الحج بخلافه فانه على الوقت كالنذر لان الله تعالى جعل الاهلة كما هو اوقاف الحج بقوله هي موقيت للباس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى (فلارث) قال ابن عباس الرث الجماع وفي رواية عنه ان الرث غشيان النساء وانتقل والتمسوا وان يعرض لمن باغش من الكلام فعلى هذا القول التناظر به في غشية النساء لا يكون رثا قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس بذنب بعيره بالو به وهو يحذو ويقول

وهن بمسعين بناهيا * ان يصدق الطير تلك لسا

فقلت أرث وأنت محرم فقال ان الرث لا قبل عند النساء وقوله لسا هو اسم امرأ وقيل الرث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلارث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرث هو الفحش والخنا والو له التبع وقيل الرث للغفون الكلام وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب (ولا فسوق) أصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كما هو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقد ذكره الزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهى عنه الحرام من حال الاحرام من قتل الصيد وتقام الاظفر وأخذ الشعر وما أشبه ذلك وقيل هو السباب والتناثر بالاقلاب (في) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع بكروم وادنه أمه (ولا جدال في الحج) قال ابن عباس الجدال هو المراءى وهو ان يمارى لرجل صاحبه وبخاصة حتى يفضيه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم ويقول آخر الحج غد او قيل هو ان الرجل صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج اجعلوا اهلا لكم بالحج عمره الامن قال الهدى قالوا كيف نجعله عمره وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يفت بمرفقة بعضهم عز ذلقة وكان بعضهم يحج في ذي النعدو بعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فازل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ربه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا خلاف فيه به وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لان الزمان قد استدار كدنته يوم خالق السموات والارض وقيل مناه ذلك في الحج انه في ذي الحجة باطل للنسب وقيل ظاهر الآية خروجه مناديه أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تتجادلوا في الحج وتساوى عن ذلك وأما جنته في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال ولا زنا واجبالا في الرث بالفسوق والجدال في الحج أصح وأبلغ منه في غيره (واقعة لواء من خبره الله) أي لا تخفي عليه شيء من أعمالكم وهو الذي يجازيكم علمه احث الله على فعل الخير عقيب الهوى عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرث الاحرام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجيدة بقوله تعالى (وامنعهوا من خير يعلمه الله) اعلم بان عالمه بهيماز بكم عليه ورد قول من اني علمه بالجزيات كان أهل النين لا يبرز ودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلاء على الناس

فتزل فيه

الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال أبو حنيفة حاضر والمسجد الحرام أهل البيقات والمواقيت وذو الحليفة
والحجة وقرن ويدل ذلك عرق في من كان من أهل هذه المواضع فنادته الى مكة فهو من حاضري المسجد
الحرام وقيل حاضر والمسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الآية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى
أقرب من كور وهو لزوم الهدى أو بدله على التمتع وهو الأفاقي فاما المسكن اذا تمتع أو قرن فلا هدى عليه
ولا بدله لانه لا يجب عليه أن يحرم من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خلاف في حجه فلا يجب عليه الهدى
وبدل على ذلك ما أخرجه البخاري تعليقه من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال أهل
المهاجرون والانصار وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهل مكة فدلوا فدلوا فدلوا فدلوا فدلوا
الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا الهلالكم بالحج عمره الا من قلدا الهدى فلفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأذننا للنساء
ولبسنا الثياب وقال من قلدا الهدى فانه لا يحمل من شيء حتى يبلغ الهدى محله ثم أمرنا عشيبة التروية أن نهل
بالحج فاذا فرغنا من المساك جئنا فلفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجتنا وعلينا الهدى كما قال تعالى فما
استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى الأمصار كما في الشاة تجزئ فيجمعوا
بين النسكين في عام بين الحج والعمرة قال الله أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يأججه للناس من
غير أهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الجدي
قال أبو موسى عود الله شي هذا حديث غريب ولم أجده الا عنده من ابن الحجاج ولم يخرج في صحيحه من
أجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندى ان البخاري انما أخذه من مسلم وقوله تعالى (واتقوا الله)
أى في فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره (واعلموا أن الله شديد العقاب) يعنى لمن خالف أمره
ونهاون بمعدوده وارتكب مناهيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الحج أشهر معلومات) يعنى أشهر الحج أشهر
معلومات وقيل وقت الحج أشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ايام من ذى الحجة الى طالع الفجر
من يوم النحر وقال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن الذين الحسن وابن
سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وأبي نوري وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يقوت بطول الفجر
الثاني من يوم النحر والعبادة لا توفت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من أشهر الحج وأيضا فان
الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه ما بعده ايسر من أشهر الحج وقال ابن عباس أشهر الحج شوال وذو
القعدة وعشر ايام من ذى الحجة آخرها يوم النحر وقال ابن عمر وعروة بن الزبير وطاوس وعطاء والنخعي
وقتادة ومكحول والضحاك والسدي وأبو حنيفة أحمد بن حنبل وهى احدى الروايتين عن مالك وحجة
هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام أركان الحج وقيل ان
أشهر الحج شوال وذو القعدة وعدة ذى الحجة بكامله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهى الزاوية الاخرى
عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر أشهر الحج بلفظ الجمع وأقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر
كان أوله من أشهر الحج كان آخره كذلك فان قلت هذا اشكال وهو ان الله تعالى قال فيل هذه الآية
سألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الأهلة كما هو مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت
للناس والحج عام وهذه الآية وهى قوله تعالى الحج أشهر معلومات خاص والخاص مقدم على العام وقيل ان
الآية الاولى مجملة وهذه الآية مفسرة لها فان قلت انما قال الحج أشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي أشهر الحج
شهران وعشر ايام وعند أبى حنيفة وعشر ايام فواجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك في ما وراء الواحد
بدليل قوله تعالى فقد صفت قلوبكم وكأفيل انه نزل بعض الشهر منزلة كما يقال رأيتك سنة كذا وانما رآه
في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان أشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو
الحجة بكامله (فن فرض فيهن الحج) يعنى فن ألزم نفسه وأوجب عليهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به

(واتقوا الله) فيما أمركم
بهونها كم عنه في الحج
وغيره (واعلموا أن الله
شديد العقاب) لمن لم يتق
(الحج) أى وقت الحج
كقولك البرد شهران
(أشهر معلومات) معروقات
عند الناس لا يشككن
عليهم وهى شوال وذو
القعدة وعشر ذى الحجة
وقاعدة توقيت الحج هذه
الاشهر ان شاء من أفعال
الحج لا يصح الا فيها وكذا
الاحرام عند الشافعي رحمه
الله وعندنا وانما عقد
ليكنه مكروه وجعت أى
الاشهر بعض الثالث أو
لان اسم الجمع يشترك فيه
ما وراء الواحد بدليل قوله
(فن فرض) الزم على
نفسه بالاحرام (فيهن
الحج) في هذه الاشهر

وسعة (فمن تمتع) استمتع
(بالعمرة الى الحج)
واستمتع به بالعمرة الى
وقت الحج انتفاعه
بالتقرب بها الى الله قبل
انتفاعه بالتقرب بالحج
وقيل اذا حل من عمرته
انتفع باستباحة ما كان
محراما عليه الى أن يحرم
بالحج (فما استيسر من
الهدى) هو هدى التمة
وهو نسك يؤكل منه
ويذبح يوم النحر (فمن لم
يجد الهدى) فصيام ثلاثة
أيام فى الحج) فعليه صيام
ثلاثة أيام فى وقت الحج
وهو أشهر ما بين
الاحرامين احرام العمرة
واحرام الحج (وسبعة
اذا رجعت) اذا نفرتم
وفرغتم من أفعال الحج
(تلك عشرة كاملة) فى
وقوعها بد لاعتن الهدى
أوفى الثواب أو المراد دفع
الايهام فلا يتوهم فى الواو
أنها بمعنى الإباحة كما فى
جالس الحسن وابن سيرين
ألا ترى أنه لو جالسها أو
أحد منها كان مثالا
(ذلك) إشارة الى التمتع
اذلا تمتع ولا قران لحاضرى
المسجد الحرام عندنا
وعند الشافى رحمه الله الى
الحكم الذى هو وجوب
الهدى والصيام ولم يوجب

أصوع ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع (أونسك) واحدتها نسكة أى ذبعة أو علاها بدنه وأوسطها
بقرة وأذا ناهى شاة وهذه الفدية على التخير إن شاء أوصام أو تصدق وكل هدى أو طعام يلزم الحرم فانه
لمساكين الحرم الا هدى المحصر فانه يذبحه حيث أحصر أو ما للصوم فله أن يصوم حيث شاء ﴿قوله تعالى
(فاذا أنتم)﴾ يعنى من خوفكم وبرأتهم من مرضكم وقيل اذا أنتم من الاحصار (فمن تمتع بالعمرة الى الحج)
قال ابن الزبير معناه من أحصر حتى فاته الحج ولم يتحل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع
باحلاله ذلك تلك العمرة الى السنة المستقبلية ثم حج فيكون مستمتعاً بذلك الاحلال الى احرامه الثانى فى العام
المقبل وقيل معناه فاذا أنتم وقد أحللتهم من احرامكم بعد الاحصار ولم تقمروا فى تلك السنة ثم اعتمرتم فى
السنة المقبلة فى أشهر الحج ثم أحللتهم فاستمتعتم باحلالكم الى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليك ما استيسر من
الهدى وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمر من أفنى من الأفاق فى أشهر الحج ففضى عمرته وأقام بمكة
حلالا حتى أنشأها الحج فخرج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى
التمتع فى اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتأديما كان محظورا عليه فى حال الاحرام الى احرامه
بالحج (فما استيسر من الهدى) يعنى فعليه ما استيسر من الهدى وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد
ما أحرم بالحج أجزأه عنه الشافى كدم الجربانات ولا يجزئ ذبحة عنه أبى حنيفة قبل يوم النحر كدم
الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط أحدها أن يقدم العمرة على الحج الثانى أن يحرم بالعمرة فى أشهر
الحج الثالث أن يحج بعد الفراغ من العمرة فى هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات
بلده فان رجع الى الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعاً الخامس أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام فهذه
الشروط معتبرة فى وجوب دم التمتع ومتى قد شئى منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع دم جبران عند الشافى فلا
يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله (فمن لم يجد) يعنى الهدى (فصيام
ثلاثة أيام فى الحج) أى فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت اشتغاله بالحج قيل يصوم يوموا قبل يوم التروية ويوم
التروية ويوم عرفه وقيل بل المسحوب يصوم فى أيام الحج بحيث يكون يوم عرفه مفطرا فان لم يصم قبل يوم
النحر فقيل يصوم أيام التشريق به قال مالك وأحمد وهو أحد قولى الشافى وقيل بل يصوم بعد أيام
التشريق وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافى (وسبعة اذا رجعت) يعنى يصوموا سبعة أيام اذا رجعت
الى وطنكم وأهلكم قاله ابن عباس وبه قال الشافى فلو صام قبل الرجوع الى أهله لم يجز هنده وقيل المراد
من الرجوع هو الفراغ من أعمال الحج والاختفى الرجوع فعلى هذا يجزئ أن يصوم السبعة أيام بعد
الفراغ من أعمال الحج وقيل الرجوع الى أهله وبه قال أبو حنيفة (تلك عشرة كاملة) يعنى فى الثواب
والاجر وقيل كاملة فى قيامها مقام الهدى لانه قد يحتمل أن يظن طان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدى فاعلم
الله أن العشرة بكاملها هى القائمة مقام الهدى وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنان فمن خمس * وسادسة تميل الى سهام

ولان القرآن أنزل بلغة العرب والعرب تكرر الشئ بربذه التوكيد وقيل فائدة ذلك الفذلكة فى علم
الحساب وهو أن يعلم العدد فصلا ثم يعامه جملة ليحاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيما ثلاثة أيام
فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا يحتاجون
الى زيادة بيان وإيضاح فأنالك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أى أكلوها ولا تنقصوها
(ذلك) أى هذا الحكم الذى تقدم (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) قيل حاضرى المسجد الحرام
هم أهل مكة وهو قول مالك وقيل هم أهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج هم أهل عرفة والجميع
وضجتان ونحلة وقال الشافى كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضرى المسجد

(الباقة في معانيها اختلص الفقهاء في حكمها فذهب قوم إلى أن كل مانع من عدو أو مرض أو ذهاب نفقة فانه
 يباح له التحلل من إحرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وبطل عليه ما روي عن
 عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه حجة
 أخرى قال عكرمة بن ذكوان ذلك لما روي عن ابن عباس قال صدق أن خرج أبو داود والنسائي والترمذي
 وقال حديث حسن وذهب قوم إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحسب العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وأنس وبه
 قال مالك والليث والشافعي وأحمد وقالوا المحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بأن نزول الآية كان في قصة
 الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لأن كفار مكة منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
 من الطواف بالبيت فزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاهما من قابل
 وبطل عليه أيضا ساق الآية وهو قوله فإذا أنتمم الأمن لا يكون الأمن خوف وثبت عن ابن عباس أنه قال
 لا يحصر الاحصار المذموم بذلك أن المراد من الاحصار هو حصر العدو ودون المرض وغيره وأجيب عن
 حديث الحجاج بن عمر وبأنه يحول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال إحرامه وبطل على جواز الاشتراط
 في الاحرام ما روي عن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني
 أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولي ليك اللهم ليك على من الأرض حيث تحبسنى
 أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت رجعة فقال لها النبي صلى الله
 عليه وسلم حججي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فذهب الشافعي وأحمد واسحق إذا اشترط في الحج
 فمرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج من إحرامه المحصر يتحلل بذبح الهدى وحلق الرأس وهو
 المراد من قوله تعالى (فما استيسر من الهدى) ومعنى الآية فإن أحصرتم دون تمام الحج أو العمرة فلا تلم
 فعليكم ما استيسر من الهدى والهدى ما يهدى إلى البيت وأغلاها بدنة وأوسطه بقرة وأدناها شاة قال ابن عباس
 شاة لانه أقرب إلى اليسر ومحل ذبح هدى المحصر حيث أحصر وإلى ههنا ذهب الشافعي لأن النبي صلى الله عليه
 وسلم ذبح الهدى عام الحديبية ما ذهب أبو حنيفة إلى أنه يقيم على إحرامه ويبعث هديه إلى الحرم ويؤاخذ
 من بذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أي مكانه الذي يجب أن يذبح
 فيه وفيه قول أن أحرمه إلى الحرم فإن كان حاجا فحل يوم النحر وإن كان معقرا فحل يوم يبلغ هديه إلى
 الحرم وهو قول أبي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى محله
 يعني حيث محل ذبحه أو كما هو قول مالك والشافعي وأحمد وبطل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعقرين خال كفار فربش دون البيت فنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وساق رأسه أخرجه البخاري في قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه) معناه ولا تحلقوا
 رؤسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو أذى وهو القمل أو الصداع (فقدية) فيه إحصاء
 تقديره خالق رأسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال أتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأنا أودق تحت قدرتي والقمل يتناثر على وجهي فقال أياؤك هوام رأسك قال قلت نعم
 قال فاحلق وصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين وأونسك نسكة لأدري بأي ذلك بدأ وفي رواية قال في نزلت
 هذه الآية فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نوسك وذكر نحوه وفي
 أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالجديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره في أخرى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما كنت أرى أن الوجع بلغ منك ما أرى أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك
 ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام وأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في
 خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله تعالى فدية (من صيام) أي صوم ثلاثة أيام (أو صدقة) يعني إطعام ثلاثة

(فما استيسر من الهدى)
 فما استيسر منه يقال يسر
 الأمر واستيسر كما يقال
 صعب واستصعب والهدى
 جمع هدية يعني فان منعم
 من المضى إلى البيت وأنتم
 محرمون بحج أو عمرة
 فعليكم إذا أردتم التحلل
 ما استيسر من الهدى من
 بعير أو بقرة أو شاة فأرفع
 بالابتداء أي فعليكم ما
 استيسر وأنصب أي فأهوا
 له ما استيسر (ولا تحلقوا
 رؤسكم حتى يبلغ الهدى
 محله) الخطاب للمحصرين
 أي لا تحلقوا لحلق الرأس
 حتى تعملوا الهدى الذي
 بقتنموه إلى الحرم بلغ محله
 أي مكانه الذي يجب نحره
 فيه وهو الحرم وهو محله
 في أن دم الإحصاء لا يذبح
 إلا في الحرم على الشافعي
 رحمه الله أعذنه بجوزي
 غير الحرم (فمن كان منكم
 مريضا) فمن كان منكم به
 مرض يجوجه إلى الحلق
 (أو به أذى من رأسه)
 وهو القمل أو الجراحة
 (فقدية) فعليه إذا حلق
 فدية (من صيام) ثلاثة
 أيام (أو صدقة) على ستة
 مساكين لكل مسكين
 نصف صاع من بر

عاه رسولاً بمرة إلى الطح وكان من الناس من أهوى ومه من لهم فمما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قبل الناس من كان منكم أهوى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم أهوى في طيب البيت والصفاء المروءة ليقصر وليتجلى ثم اهل بالحج واليهذين لم يحرمه بالصلح ثم لانه أيام في الحج وسبعة اذ رجع إلى أهله يطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن أول شيء ثم خب ثلاثة أطواف من الدبع ومنى أو بعة أطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عبد المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فأتى الصفاط بالصفاء والمروءة سبعة أشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ويحرم هديه يوم النحر وأفاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أهوى فساق الهدى من الناس ما اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفرداً أو متمماً أو قارناً وهى ثلاثة أقوال العلماء بحسب مذاهبهم السابقة وورجت كل طائفة نوعاً وادعت أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة وأخذه في حجة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أولاً مفرداً ثم انه صلى الله عليه وسلم أحرم بالعمرة وذلك وأدخلها على الحج فصار قارناً فمن روى أنه كان مفرداً فهو الأصل ومن روى القرآن انتم تأخر الامر ومن روى التمتع أراد التمتع الا وهى وهو لا تتفاد والارتفاق وقدر ترقى بالقرآن كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصاد على فعمل واحد هو ذاك يمكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعى في كتاب اختلاف الحديث كلاماً موجزاً في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضف السلك اليه على معنى انه أمر به وأذن فيه ويعوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما تجوز اضافته الى فاعله كما قال ابنى فلان داره وأمر به انه أمر بيناها كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ما عزا وانما أمر بوجه واختار الشافعى الافراد وأحج في ترجمه بانه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهو لا ملزم بترقية في حجة الوداع على غيرهما فاجابهم فهو أحسن الصحابة سبابة لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكره من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخره فهو اضططاط من غيره وأما ابن عمر فصح عنه أنه كان أخذاً بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانما سمعه يلى بالحج وأما ابن عباس فحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة يخمن عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعه على باطن أمره وظاهره مع كثرة فقهها واثباتها ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين أفردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه وأركان الحج خدمة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروءة وحاق الرأس أو التقصير في أصح القوانين وأركان العمرة أربعة الاحرام والطواف والسعي والحق أو التقصير وبهذه الأركان تمام الحج والعمرة في قوله تعالى (فان أحصرتم) أصل المحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف أهل اللغة في المحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجهه يده فقد أحصر وإذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت أحصره المرض اذا منعه من السفر وأحاجه يده وأحصره العدو واذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصره والخبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان أحصرتم وأن عرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عذر يقال أحصر فهو محصر فان حبس في دار أو سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انها بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصره كنهان من أحصره وقال ابن جني أصل المحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس أقوى من أحصر وقيل الاحصار لفي المنع الظاهر كما مددو المنع الباطن كالمرض والمحصر لا يقال الا في المنع الباطن وأما قوله فان أحصرتم فمحمول على الامر من ويجب اختلاف أهل

(فان أحصرتم) يقال أحصر فلان اذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز وحصر اذا حبسه عدو عن المضى وعندنا الاحصار ينبت بكل منع من عدو مرض أو غيرهما لظاهر النص وقد جاء في الحديث من كسر أو عرج فقد حل أى به زله أن يحل وعليه الحج من قابل وعند الشافعى رحمه الله الاحصار بالعدو وحده وظاهر النص يدل على ان الاحصار يتحقق في العمرة أيضاً لانه ذكر عقبهما

لما لا التجارة ولا الحاجة وقيل اذا شرع فيه ما وجب عليه الاتمام

وفصل وانفتحت الامعة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا * م عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لو جئتم في وجوب العمرة قولان للشافعي أحدهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ويحاهد واليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثاني أنها سنة ويرى ذلك عن ابن مسعود وجابر وإبراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وأبو حنيفة بخجة من أوجب العمرة ما روى في حديث الصبي بن مبيد أنه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي وأني أهلت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي باطول من هذا الوجه الدليل أنه أخبر عن وجوبه منا عليه وصوبه عمرو بن أبي ميثم بن عمار أنه روى وجوبه منا عليه السنة التي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس أنها كقرينها في كتاب الله وأما الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فرضتان وعن عيسى بن آدم عن خاتم الله الاوالية بخجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينقيان الفقر والذنوب كما ينقي الكبر خبث الجسد والبغضاء والعمرة لله ليس بخجة مبرورة ثواب الا الجنة أخرجه النسائي والترمذي وزاد وما من مؤمن يظلم يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه الدليل أنه أمر بالمطاعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولا نهاد فقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وخجته من قال بأنها سنة ما روى عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي قال لا وأن تعتمر واخبر لكم أخرجه الترمذي وأجيب عنه بان هذا الحديث يروى به بحجج من أوطأ وبه حجج ليس ممن يقبل منه ما تقدم به السوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجتمعت الامعة على جواز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أنواع افراد وتمتع وقران فصوره الافراد أن يحج ثم بعد فرائضه منه يعتمر من أدنى الحبل أو يعتمر قبل أشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويأتي بأعمالها فإذا فرغ من أعمالها أحرم بالحج من مكة في تلك السنة وأما ما يسمى تمتعا لأنه يستمتع مع حظورات الاحرام بعد التصل من العمرة الى أن يحرم بالحج وصورة القران أن يحرم بالحج والعمرة معا في أشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك لو أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الأفضل فذهب مالك والشافعي الى أن الافراد أفضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد بالحج أخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال ألهلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افضلوا بين حجتكم وعمرتكم فان ذلك أتم لحج أحدكم وأتم عمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج أخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وأبو حنيفة الى أن القران أفضل يدل عليه ما روى عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جيعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمره وبجاء أخرجه في الصحيحين وذهب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه الى أن التمتع أفضل يدل عليه ما روى عن ابن عباس قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان فأول من نهى عنهم معاوية أخرجه الترمذي (ق) عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معا هدى من ذي الحليفة وبأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله

وهو عام في الجهاد وغيره (الله) يعني به الجهاد وذلك ان الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الاتفاق فأمر به والاتفاق هو
 صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد ونحوه
 الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق
 هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
 في سبيل الله إيماناً واحساباً بالله تصدق بقابو عده فان شيعه ور به وروثو بوله في ميزانه يوم القيامة يعني
 حسنات عن خر يم بن فالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له
 سبعة اضعاف ضعف أخرجه الترمذي والنسائي (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا
 أيديكم الى التهلكة والمراد بالأيدي الانفس والمعنى لا تلقوا أنفسكم الى التهلكة عبر بالأيدي عن الانفس
 وقيل الباء على أصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم الى التهلكة كما يقال أهلك فلان
 نفسه يده اذ تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز
 عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
 قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الاسهم أو مشقة ولا يقول أحدكم لا جديشاً أسهم هنا
 هو ما يرمي به والمشقة سهم فيه فصل عرض وقيل كان رجال يخرجون في البعث بغير نفقة فاما ان ينقطع
 سهم واما ان يكونوا على فأسهم الله تعالى بالانفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفي عليه
 في الغزو فلا يخرج ثلاثين نفقة في التهلكة وهو ان يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل زلت الآية في
 ترك الجهاد (ث) عن أبي عمران واسمه أسلم قال كان جدينة الروم فأخرجوا لنا صفاء عظامي من الروم فخرج
 اليهم من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله باقي بيده الى التهلكة فقام أبو أيوب
 الانصاري فقال أيها الناس انكم لتؤثرون هذه الآية هذا التأويل وانما زلت هذه الآية فينا معشر الانصار
 لما أعز الله الاسلام وكثرنا صروقه فقال بعضنا لبعض سرادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أموالنا قد
 ضاعت وان الله قد أعز الاسلام وكثرنا صروقه فلو أنقضى أموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على
 نبيه صلى الله عليه وسلم بر دعائنا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فكانت التهلكة
 الإقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فمازال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بارض الروم
 وقال حديث غريب صحيح مات أبو أيوب في آخر غزوه غزاه بارض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم
 يتبركون بقبوره ويستسقون به (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فبرى ان ذلك كان على عهد النبي
 صلى الله عليه وسلم وقيل الاقواء الى التهلكة هو ان يقطع من رحمة الله وهو ان الرجل يعصب الذنوب فيقول
 قد هلكت لبس لي نوبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط فهي الله عن ذلك وقيل
 في معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا انفاقا في الفقر ان أنفقنا فيهلك فهو ان يجعوا وانفسهم هالكين
 بالانفاق (خ) عن حذيفة قال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال زلت في النفقة
 (وأسئلو) أي بالانفاق على من تلزمكم مؤنته ونفقتة وقيل أحسنوا في الاتفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهاوا
 عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه وأحسنوا في اداء فرض الله تعالى (ان الله يحب المحسنين) أي
 يشيدهم على احسانهم ﴿ قوله عز وجل (وأتموا الحج والعمرة لله) قال ابن عباس هو ان يتمها بتناسكها
 وحدودها وسننها وقيل اتماها ما أن تحرم مهمان ديرة أهلك وقيل هو ان تفر لكل واحد منهما
 سفراً وأوان تنفق فيهما حلالاً وأوان لا تتجرع معهما

(ولان قالوهم عند المسجد الحرام حتى يقالوا كونه في) أي ولان بدأوا بقتالهم في الحرم حتى يبدأوا عند المسجد الحرام بقتلهم على الحرم كله (فان قالوا كونه فاقولواهم) في الحرم فعندنا يقولون في الشهر الحرم لان الحرم الآن يبدأ بالانقال معناه حينئذ يقتلهم وان كان ظاهر قوله وقاتلواهم حيث نفقه موهم ببيع القتل في مكة كلها لكن اقول ولا نقا قالوهم عند المسجد الحرام حتى يقالوا كونه (١٣١) فيه خص الحرم الاعند البداء منهم

كذلك في شرح التأويلات
(كذلك جزاء الكافرين)
مبتدا وخبر ولا تقتلواهم
حتى يقتلواهم فان قتالواهم
جزوة وعلى (فان انتهوا)
عن الشرك والقتال (فان
الله غفور) لماسلف من
طغيانهم (رحيم) بقبول
توبتهم واعمالهم (وقا
لواهم حتى لا تكون فتنة)
شرك وكان نامية وحتى
أولى أن (ويكون الدين
لله) خالصا ليس للشيطان
فيه نصيب أي لا يعبدونه
شيئ (فان اتوا فلاحدون
الاعلى الظالمين) فان
امتنعوا عن الكفر فلا
تقاتلواهم فانه لا عدوان
على الظالمين ولم يبقه وظالمين
أو فلا تظلموا الا الظالمين
غير المنتهين سمي جزاء
الظالمين ظلم المشاكة
كقوله فن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه فانهم
المشركون عام الحديبية
في الشهر الحرام وهو
ذو القعدة فقبل لهم عند
خروجهم لعمره القضاء
وكرهتهم القتال وذلك في
ذو القعدة (الشهر الحرام)
مبتدا خبره (بالشهر الحرام) أي

والاحرام وانما سمي الشرك بالفتنة لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان
الشرك بالفتنة ذنب يستحق صاحبه الجحود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة
وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة أشد من القتل (ولا تقاتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقالوا كونه في)
اختلاف العلماء في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يحل أن يقتل في
المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله (فان قالوا كونه فقاتلواهم) أي فقاتلواهم وثبت في الصحيح عن
انبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مكة تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار
ثم عادت حراما لي يوم القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الآن بقاتلوا فقاتلوا ويكون دفعاهم وذهب
قاعدة الى أن هذه الآية منسوخة بقوله اقاتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامسكوا بالهم في الحل والحرم
وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة (كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا) يعني
عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فان الله غفور) يعني لماسلف (رحيم) يعني بعباده حيث
لم يعالجهم بالعقوبة (وقا لواهم) أي وقاتلوا المشركين (حتى لا تكون فتنة) أي شرك والماعنى وقاتلواهم
حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام أو القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان أهل الكتاب معهم
كتب منزلة فيها شرائع وأحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا فأهلهم الله تعالى بحرمة تلك
الكتب من القتل وأمر باصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيفقهوا على الحق منها
فيقبضوا كقوله مؤمن أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا أو أماعبده الاصنام فلم يكن لهم كتاب
يرجعون اليه يرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم
الا بالاسلام أو القتل (ويكون الدين لله) أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شيء (فان
اشهوا) يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر (فلاحدون) أي فلا سبيل (الاعلى الظالمين) قاله ابن
عباس على القول الاول تكون الآية منسوخة بالسير في القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه
فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزاء الظالمين ظلم على سبيل المشاكة وسمى الكافر ظالم لوضعه العباد في
غير موضعه ﴿قوله عز وجل﴾ (الشهر الحرام بالشهر الحرام) نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصد المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل
مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضى عمرته فأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه
مكة وفضيت عمرتكم بالشهر الحرام الذي صدتم فيه عن البيت (والحرما ت) جمع حرمة وانما جعلت لانه
أراد حرمة الشهر وحرمة البلاد وحرمة الاحرام (قصاص) القصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالقتال
مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوا عن العمرة وأضاعوا هذه الحرما ت في سنة ست فقد وقعتم حتى قضيت موا
لي عنهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدوكم باقتال في الشهر الحرام فقاتلواهم فيه فانه
قصاص (فن اعتدى عليكم) أي باقتال (فاعتدوا عليه) أي فقاتلوه (فمئل ما اعتدى عليكم) سمي الجزاء
بالا تداء على سبيل المشاكة (واقولوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) ﴿قوله عز وجل﴾ (واقولوا الله واعلموا ان الله مع المتقين) سبيل

هذا الشهر بذلك الشهر وهكذا هيكمه يعني تمتكون حرمة تهايم كما هيكموا حرمة عليكم (والحرما ت قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص
من هتك حرمة أي حرمة كانت اقصد منه بان تمتك لحرمة فمئل ما اعتدى عليكم فقاتلواهم بمثل ذلك ولا تبا لوا كذلك بقوله (فن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مثلهما وادواهم أو زائدة وقد برده عدوا مامثل
عدوانهم (واقولوا الله) في حال كونكم منتصرين من اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم (واعلموا ان الله مع المتقين) بالنصر (واقولوا سبيل

(ولكن البر) بر (من اتقى) محرماته البيوت وبأية مدنى وبصرى وحفص وهو الأصل مثل كعب ولعوب ومن كسر الباء فله مكان الباء بعده والكن هي توجب الخروج من كسر الى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الألهة وعن الحكمة في نقصانها ونماها - اهل اجم ان كل ما يقوله الله تعالى لا يكون الا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظر وافى خصلة واحدة تفعلوها ما ليس من البر في شئ وانتم تحسبونها ابرافه نوجه اتصاله بما قبله ويحتمل أن يكون على طرق الاستطراد لما أتى ما قبله في الحج لانه كان ذكر ذلك من أمثالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا غيلا لتعذيبهم في سؤالهم وان مثاهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ان البر ما ينبغي أن تكونوا عليه بان تفكروا في مسائلكم ولكن (١٣٠) البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله (وأنوا البيوت من أبوابها) وبأسروا

(ولكن اليرمن انقي وأتوا البيوت من أبوابها) يعني في حال الاحرام وغيره (واقوا الله لعلكم تفلحون) ﴿١﴾ قوله عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله) أي في طاعة الله وطلب رضوانه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعاً ويقال حية ويقاتل رياءياً ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وفي سبيل الله (الذين يقاتلونكم) كان في ابتداء الاسلام أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمر بقتل من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع بن أنس هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمر الله بقتال المشركين كافة فقاتلوا أول مرة فبطلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله أقتلوه ثم حيث تنقمتموه ثم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل إنها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين أعدوا أنفسهم للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والكافيين والجانين فلا تقاتلهم لانهم لم يقاتلوا ﴿٢﴾ وهو قوله تعالى (ولا تعتدوا) وقال ابن عباس ولا تقاتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من أتى إليكم السلام (م) عن يزيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال أغزو بالآية في سبيل الله فأتوا من كفر بالله أغزو ولا تغزوا ولا تعتدوا ولا تغنوا ولا تقتلوا ولا تبدوا ولا تغلولوا ولا تغلولوا وهو ما يخفيه أحد الغزاة من الغنمية وقوله ولا تعتدوا أي لا تنتقضوا العهد وقيل في معنى الآية لا تعتدوا أي لا تبدؤهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخيلوا بمكة ثلاثة أيام يطوف بالبيت فلم يحجز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء فافوا أن لا تأتي قرش بعاقبوا وصدروهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فأتوا في سبيل الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرم والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا ابتداء القتال (ان الله لا يحب المعتدين) ﴿٣﴾ قوله عز وجل (واقتلواهم حيث تنقمتموهم) أي حيث وجدتموهم وأدرستموه في الحل والحرم وتحقيق القول فيه ان الله لم يأمر بالجهاد في الآية الأولى بل بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الآية أمرهم بالجهاد معهم سواء قاتلوا أو يقتلوا واستثنى منه القتالة عند السجد الحرام (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي وأخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم (والفتنة أشد من القتل) يعني ان شرهم بالله أشد وأعظم من قتلهم باليهام في الحرم

الأمور من وجوه، التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله فعلى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يستل عنه ما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يستل عما يفعله وهم يستلون (أنقروا الله) فيما أمركم، وهذا كمنه (لحكم تفلحون) لتغزووا بالنعيم المرمى (وقتلوا في سبيل الله) المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعداء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون مدفوعا بقوله تعالى وقتلوا المشركين كافة وقولهم وأول آية نزلت في القتال فكان رسوله الله

صلى الله عليه وسلم يقاتل، من قاتل ويكف عن كف أو الذين ناصبوا نكح القتال دون من ليس من أهل
المناسبة من الشيوخ والعبيد والرهبان والنساء والكفرة كلهم لانهم قاصدون لقائنا المسلمين فهم في حكم القتالة (ولاعتدوا)
في ابتداء القتال و يقال من نهيتهم عنه من النساء والشيوخ ونحوهم أو بالثأل (ان الله يحب المقتدين واقتلوهم حيث تقفتموهم)
وجددتموهم والثقف الوجود على وجه الاخذ والغلبة (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وعدهم الله تعالى ففتح مكة
بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أى شرهم بالله أعظم من القتل
الذى يعمل بهم منكم وقيل الفتنة عذاب الآخرة وقيل الحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان فيذهب به أشد عليه من القتل وقيل لحكم ما أشد
من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت فقد جعل الاخرا ح من الوطن من الفتن التى يتخنى عندها الموت

(لناكلوا) بالنحاكم (فرقا) طاقة (من أموال الناس بالائم) بشهادة الزور أو بالايمن الكاذبة أو بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وقال عليه السلام لا خصمين انما أنا شرأتم تختصمون والى ذلك بل بعضكم ألحن بحجته (١١٩) من بعض قاضى له على نحو ما

أسمع منه فن قضت له
بشيء من حق أخيه فلا
ياخذن منه شيئا فان ما
أفضى له فقطعه من نار فبكيا
وقال كل واحد منهما حاقى
اصاحي وقيل وتدلوا بها
وتلقوا بعضهما الى حكم
السوء على وجه الرشوة
يقال أدلى دلوه أى ألقاه في
البر لا يستسقاء (وأتم
تعلمون) أنكم على الباطل
وارتكاب المعصية مع العلم
بقبحها أفتبح وصاحبه
بالتوبى أخق قال عاذ
ابن جبل يارسول الله ما بال
الهلل يبدود قيقا مثل
الخطي ثم يزبد حتى يمتلئ
ويستوى ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة كالشمس
فزل (يسئلونك عن الالهة)
جمع هلال سحى به لرفع
الناس أم وانهم عند رؤيته
(قل هي موافيت للناس
والحج) أى معالم بوقت بها
الناس مزارعهم ومتاجرهم
ومحافل ديونهم وصومهم
وفطرم وعدة نسائهم
وأيام حضنت ومدة حملن
وغبر ذلك معالم للحج
يعرف بها وقته كان ناس من
الانصار اذا أحرموا لم يدخل
أحد منهم حائطا ولا دارا

قولها سمع جلية خصم بمعنى أصوات خصم قوله ألحن بحجته يقال فلان ألحن بحجته من فلان أى
أقوم بهامنه وأقدر عليهما من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة (لناكلوا فبقا) أى طائفة وقطعة (من
أموال الناس بالائم) أى بالظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور (وأتم تعلمون)
يعنى أنكم على الباطل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يسئلونك) أى ياجحد (عن الالهة) نزلت في معاذ بن جبل
وثعلبة بن غنم الانصار بين قالا يارسول الله ما بال الهلال يبدود قيقا ثم يزبد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص
حتى يعود قيقا كما بدا ولا يكون على حال واحدة فأنزل الله يسئلونك عن الالهة وكان هذا سؤال الانهم على
وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبين حال الهلال في الزيادة والنقصان والالهة جمع هلال وهو أول حال القمر
حين يراه الناس أول ليلة من الشهر (قل هي موافيت للناس) جمع ميقات والمعنى انافعلنا ذلك لصالح دينية
ودنيوية ليعلم الناس أوقات حجهم وصومهم وافتطرمهم ومحل ديونهم وأجائرهم وعدد النساء وأوقات الخيض
 وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالالهة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة (والحج)
أى وللحج وانما أقر للحج باله كروان كان داخل في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في
الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبديل الشهور فباطل الله ذلك من فعلهم وأخبر ان الحج مقصود وعلى الاشهر
التي عينها للنرض الحج بالالهة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت العرب
تفعل بالنسئ (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ق عن البراء قال نزلت هذه الآية فينا فكانت
الانصار اذا حجوا جاءوا لم يدخلوا من قسب أبواب البيوت فغار رجل من الانصار فدخل من قبل باب فكنه
عبر بذلك فنزلت وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها
وفي رواية كانوا اذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيوت من ظهورها فأنزل الله هذه الآية وقيل كان الناس
في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا أحرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابها فان كان من
أهل المدرن تقبى ظهر بيته منه بدخل ويخرج أو يتخطى سلعيا يصعد منه وان كان من أهل الورد دخل
وخرج من خلف الخباء ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك براو كانت الجس وهم قريش وكثانة
وزخاعة ومن دان بدينهم سمو احسانا فشد بهم في دينهم والحجاسة الشدة كانوا اذا أحرموا لم يدخلوا بيتا
البيتة ولم يستطوا بظلي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل
كانت الجس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتة فدخل على أثره رجل من
الانصار يقال له رفاعه بن التابوت من الباب وهو محرم فأنكره واعليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
دخلت من الباب وأنت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
أحسى فقال الرجل ان كنت أحسبنا فانا أحسى رضىت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا أهوا بالاعمرة لم يجعلوا بينهم وبين السماء شيئا وكان الرجل يخرج بهلا
بالعمرة فتبدله الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف الباب ان
يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه ثم يقوم في سحرته فيأمر بحاجته ثم بلغنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على أثره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لم قلت ذلك قال لا ترى أنك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام انى أحسى فقال
الانصارى وأأحسى يقول أنا على دينك فأنزل الله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

(١٧ - (خارن) - اول) ولا فسطاطا من باب فان كان من أهل المدرن تقبى ظهر بيته منه بدخل ويخرج وان كان من أهل
الورد خرج من خاف الخباء فنزل (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) أى ليس البر بتحرركم من دخول الباب ولا خلاف في رفع
البره لان الآية تمتحتم الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثم وه نه لا تحت الاوجه واحد وهو الرفع اذ الباء لا تدخل الاعلى خبر ليس

كثيرة والمؤمنون بها ناكل ما يضطر الانسان اليه مما يجوز له في المسجد وموضع معتكفه **﴿ قوله تعالى (تلك حدود الله) ﴾** يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله وأصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاطاً أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله التقدير بالي قدرها ومنع من مخالفتها (فلا تفر بوها) أي فلا تأنوها ولا تنفثوها فإن قلت في الآية اشكالان أما الاول فهو أنه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضه فيه اباحة وبعضه فيه حظر فكيف قال في الجمع فلا تفر بوها الاشكال الثاني هو انه تعالى قال في هذه الآية تلك حدود الله فلا تفر بوها وقال في آية أخرى تلك حدود الله فلا تمتردوها وقال في آية أخرى ومن بعض الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت الجواب عن السؤالين من وجهين أما الاشكال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة إلا أن أقربها الى هذه الآية قوله تعالى ولا تبشروهن وأنتم كأفون في المساجد وذلك بوجوب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال فيه ثم أتوا الصيام الى الليل وذلك بوجوب تحريم الاكل والشرب في النهار فمما كان الاقرب الى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تفر بوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرائضه فهو منصرف في حين خلقه فنهى أن يتعدا فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب اخذ الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كل ارضي رمي حول الحى بوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدوده مناعه ومنها به اقوله ولا تبشروهن وأنتم كأفون في المساجد ونحوه فذا من التحريم فهي حدود لا تقرب (كذلك) أي كما بين الحكم ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك (بين الله آياته) أي لم يردنه وأحكام شرعته (لناس) مثل هذا البيان الذي في الوافي (لهمم يتقون) أي احي يتقوا ما حرم عليهم فينبغوا من العذاب **﴿ قوله عز وجل (ولأنك أموالكم ينسكم بالباطل) ﴾** نزلت في امرى القيس ابن عابس السكندى ادعى عليه ربيعة بن عبدان اخضرى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرى ألك ينة قال لا قال فلانك يمينه فاندلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امان حلف على ماله ليأكله طلسا ليقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل كل بعضكم مال بعض بالباطل أى من غير الوجه الذى أباحه الله وأصل الباطل الشيء المذهب **﴿ قوله تعالى (وما حكم الآيات) ﴾** فكل المال بالباطل على وجوه الاول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني أن يأكله بطريق الهوك اقتمار وأجرة المعنى ومن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الودعة والامانة ونحو ذلك وبما عبر عن أخذ المال بالاكل لأنه انفسد الاعظام ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها (وتدلوا بها الى الحكم) أى وتناقوا ورتلك الاموال التي فيها الحكمة الى الحكم قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه دين فيجحد ويخاضم الى الحكم وهو به لم أن الحق عليه وهو أتم بمنه وقيل هو أن يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولأننا كانوا المال بالباطل وتسبوا الى الحكم وقيل لاندل بمال أخيك الى الحاكم كأنك تعلم أنك ظالم فان قضاءه لايحل حراما وكان شرع القاضي يقول انى لا قضى لك وانى لا ظلمك ظالم ولا يخفى لايستعنى الآن أقضى بما يحضر من من البيضة وان قضائى لايحل لك سراما (ق) عن أم سلمة بن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة شعهم بباب سجنه فخرج اليهم فقال انما أنا بشروا انه ياتىنى الخضم فلعل بعضهم أن يكون أبلى من بعض وفي رواية أخرى بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له فن قضيت له بحق مسلم فأنما هي قطعة من النار فيجعلها له وأبذرها

(تلك) الاحكام التي ذكرت (حدود الله) أحكامه المحدودة (فلا تفر بوها) بالمخالفة والتغيير (كذلك) يبين الله آياته (لناس) للناس (لهمم يتقون) انما هم (ولا تفر بوها) أموالكم ينسكم (أى لا يأكل كل بعضكم مال بعض بالباطل) بالوجه الذى لم يباحه الله ولم يشرعه (وتدلوا بها الى الحكم) ولاندلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعنى ولا تلتفوا أمر هذا الحكومة فيه الى الحكم

ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفرط الصائم وكل يلزم الصائم أن يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئاً فيه وجهان أحدهما نعلم يلزم ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء كل أو لم يأكل وتمسكت الحنفية بهذه الآية في أن الصوم النفل يجب إتمامه وقالوا لأن قوله تعالى (ثم اتوا الصيام إلى الليل) أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام أوجب أمحسب الشافعي عنه بأن هذا إنما ورد في بيان أحكام صوم القرض فكان المراد منه صوم القرض وبطل على إباحة الفطر من النفل ما روى عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندي شيء قلنا لا قال فإني إذا صائم ثم أتانا بوماً آخر فقالت يا رسول الله اهدي لنا حبس قال أرينه فلقد أصعبت صائماً فما كل أخرجه مسلم الحليس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق أو فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف **قوله عز وجل (ولا تبشروهن بأنكن عاكفون في المساجد)** الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة له على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المسجد على عبادة الله تعالى وسبب نزول هذه الآية أن نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المسجد فإذا عرض لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها خلاهاً ثم أغفل ورجع إلى المسجد فنهاه عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم أن الله تعالى بين أن الجامع يحرم على الصائم بالنهار ويباح في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف حكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجامع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج من اعتكافه **فصل في حكم الاعتكاف** الاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد بقية عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فيمن عتقل عن على أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والزكّاء السجود فخصه به وقال عطاء لا يجوز إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حنيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجده امام ومؤذن وقال الشافعي ومالك وأحمد يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون في المساجد الآن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة **(ق)** عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه بعده **(ق)** عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان **فروع** الاول يجوز الاعتكاف بغیر صوم والفضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به وبجدة الشافعي ما روى عن عمر قال يا رسول الله أتني نذرت في الجامعة أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فإوف بنذرك أخرجه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل **الفرع الثاني** لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقبله لحظة ولا حداً كثره فلو نذر اعتكاف ساعة نذره ولو نذر أن يعتكف مطلقاً يخرج من نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوماً أو ما أقال ذلك للخروج من الخلاف فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب الشمس **الفرع الثالث** الجامع حرام في حال الاعتكاف وبفسد به وأما ما دون الجامع كالقبة ونحوها فتركوه ولا يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قول الشافعي والثاني بطل به وهو قول مالك وقيل أن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة وأما الملازمة بغیر شؤنة فجاز ولا يفسد به الاعتكاف لما روى عن عائشة أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناوطاً رأسه في رواية وكان لا يدخل البيت الحاجة إذا كان معتكفاً وفي رواية وكان لا يدخل البيت الحاجة إلا أن الإنسان أخرجه في الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقوله الحاجة هو الخلع الإنسان

(ثم اتوا الصيام إلى الليل) أي الكف عن هذه الأشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي الوصال وعلى وجوب الكفارة في الأكل والشرب وعلى أن الجنابة لا تنافي الصوم (ولا تبشروهن بأنكن عاكفون في المساجد) عاكفون فيها بين أن الجامع محل في ليالي رمضان لكن غير المعتكف والجملة في موضع الحال وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث)

أخرج الترمذى قوله الله أكثر من عناه الله أكثر اجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وله عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العباد وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وماسئل الله شيأ أحب اليه من ان يسئل العافية وان الدعاء ينفع مما نزل وعالم ينزل وله عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء الا بالدعاء ولا يرد في العمر الا بالبر وله عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله بغضب عليه (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يطلبه بهجلا بقوله قد دعوت فلم يستجب لي وسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعه رحم ما لم يستهجل قبل يارسول الله ما الاستهجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فستعسر عند ذلك ويدع الدعاء قوله يستعسر أى يستدكف عن السؤال وأصله من حسر الطرف اذا كل وضعف (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعأ أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له زاد البخارى ارزقني ان شئت لي عزم مسئلة فانه يفعل ما يشاء لا مكره له قوله لا يعزم المسئلة أى لا تكن في دعائك رلك متردد ابل اعزم وجد في المسئلة ^{عنه} فصلة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعوى في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يحل هذا دعاء فقال له وألقبه اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يلدع بما شاء أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح ^{قوله عز وجل} (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) سب نزول هذه الآية انه كان في ابتداء الامر بالصوم اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى أن يصلى العشاء الاخير أو يرقى قبلها فاذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلم اغتسل أخذ بيكي وبلم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اغتسل الى العشاء اليك من هذه الخطيئة انى رجعت الى أهلى بعد ما صليت العشاء فوجدت راحة طيبة فسولت لى نفسى فجاءت أهلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت بذلك جدير يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمنزل ذلك فزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أى أبيع لكم ليلة أراد باليلة الى الصيام الرفث الى نسائكم الرفث كلام يستقيم لفظه من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كتابته عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حى كريم يكتفى فاذا ذكر من المباشرة والملازمة وغير ذلك انما هو الجماع (هن لباس لكم) أى سكن لكم (وانتم لباس لمن) أى سكن لمن قبل لا يسكن شيء الى شيء كسكون أحد الزوجين الى الآخر وسعى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في نوب واحد وقيل اللباس اسم لما يورى فيكون كل واحد منهما ستر صاحبه عما لا يحل كجاءه في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه (علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) قال ابن عباس يريد به فيما أتمنئكم عليه وخيانتهم انهم كانوا يباشرون في ليل الصوم والمعنى يظهرونها بالجماعة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدى فيه الامانة ويقال للمعاصى خائن لأنه مؤتمن على دينه (فتاب عليكم) أى فتنتم فتاب عليكم ونجاؤ عنكم (وعفائكم) أى محاذنوبكم (خ) عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقر بون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفائكم الآية قال ابن عباس فسكان ذلك ما منع الله به الناس ورخص لهم وبسر (فالآن يباشروهن) أى جاء هو هن فهو حل لكم في ليل الصوم وسميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب بشرتكم) (وابتغوا ما كتب

أى الجماع (الى نسائكم) عدى بالى لتصحنه معنى الافضاء وانما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الافضاء الى نسائكم استعجابا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم ولما كان الرجل والمرأة يعتفان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقته شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى (هن لباس لكم) وانتم لباس لمن) وقيل لباس أى ستر عن الحرام وهن لباس لكم استئناف كاليان لسبب الاحلال وهواهن اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه الخاطلة والملازمة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن (علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم) نظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالا كتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تنتم ما ارتكبتم من المحظور (وعفائكم) ما فعلتم قبل الرخصة (فالآن يباشروهن) جامعوهن في ليل الصوم وهو أمر اباحة وسميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه (وابتغوا ما كتب بشرتكم) (وابتغوا ما كتب

إذا دعاه (الداعي دعاه في الخالين سهل ويعقوب ووافقه أبو عمرو ونافع غير قالون في الوصل غيرهم بغير ياء في الخالين ثم اجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه غير ان اجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فاجابة الدعوة أن يقول العبد يارب فيقول الله لييك عبيدي وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة اعطاه المراءد واذن يكون ناجزا وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخيرة له في غيره (فليستجيبوا لي) اذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما في أجيبهم اذا دعوتني لخواصهم (وليؤمنوا بي) واللام فيهما للامر (لعلهم يرشدون) ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد وهو ضد النقي كان الرجل اذا أمسى حل له الاكل والشرب والجماع الى أن يصل العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد لم يفتقر حرم عليه الطعام والشرب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاته العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبيكي ويلاطم نفسه فأتى النبي عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جدرا بذلك فزل

الذات وأما السؤال عن صدقته تعالى فهو أن يكون السائل ساله بل يسمع ربنا دعاه وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا اذا دعاه فانه قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فاجبتهم هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فأتى قبر بيه معناه قبر بيه العلم والحفظ لا عني في شيء وفيه اشارة الى سهولة اجابته بل دعاه وانجح حاجته من سألته (ق) عن أبي موسى الاشعري قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وأقال توجه الى خيبر أشرف الناس على وادفروا أو أوتهم بالكبرياء أكبر لاله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهم الناس رب دعاه على أنفسكم فأنكم لا تدعون أصم ولا غيبا إنكم تدعون سميعا بصيرا فربيا وهو معكم قوله رب دعاه على أنفسكم أي ارفقه وإياه أو قيل معناه أمسكوا عن الجهر فانه قرب يسمع دعاه كم ﴿ وقوله تعالى (أجيب دعوة الداع اذا دعان) أي أسمع دعاه عبيدي الداعي اذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا لله الا أنت فقولك يا لله فيه دعاء وقولك لا اله الا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى أن العبد يعلم ان له ربا يمد برأيه مع دعاه اذا دعاه ولا يحب رجاء من رجاءه وذلك ظاهر فان العبد اذا دعاهو يعلم ان له ربا بالخالص وتضرع أجاب الله دعوته فان قلت ان ترى الداعي يبالي في الدعاء والنضرع فلا يجاب له فارجحه قوله لا يجب دعوة الداع وقوله تعالى ادعوني أستجب لكم قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى قيدة وهي قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء والحق يحمل على المقيد وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الزواب وذلك في الآخرة وثالثها أن معنى الآيتين خاص وان كان لفظهما عاما فيكون معناه أجيب دعوة الداعي اذا وافى القضاء أو أجيبه ان كانت الاجابة خيرا له أو أجيبه اذا لم يسأل أمّا ومحال اذ ربهما أن معناه اعام أي أسمع وهو معنى الاجابة المذكورة في الآية وأما اعطاء الامنية فليس عند كور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤلوه وخامسها أن الدعاء أد البورشنا وهي أسباب الاجابة فن استكملها وأتى بها كان من أهل الاجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (فليستجيبوا لي) يعني اذا دعوتهم الى الإيمان والطاعة كما في أجبتهم اذا دعوتني لخواصهم والاجابة في اللغة الطاعة فالاجابة من العبد الطاعة ومن الله الاتابة والاعطاء (وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون) أي لكي يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم

﴿ فصل في فضل الدعاء وآدابه ﴾ (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهب مشهور ان العلماء أحداهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وبأنه حق على ما يليق به ونسكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المعارف في حقا غير مراد ولا تشكك في تأويله مع اعتقادنا نزيه الله تعالى عن صفات الخلق وعن الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجاعة من السلف أنها تقول على ما يليق فعلى هذا أقل عن مالك وغيره أن معناه ينزل رحته وأمره وملأته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وفي الحديث الخف على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يده أن يردّها صفر خائبتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال يت صفر ايس فيه متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو الله بدعوة الا آتاه الله اياها أو صرف عنه من الشر مثلها ما يدع باسم أو قطيعه رحم فقال رجل من القوم اذا نكث قال الله أن أكثر

فنشهد منكم الشهر فأيضه فلو انقصر على هذا الاحتمل أن يشمل النسخ الجميع فأبعد ذكر النسخ
الرخصة للمريض والمسافر ليعلم أن الحكم باق على ما كان عليه

فصل في حكم الآية وفيه مسائل **الاولى** اختلجوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة أقوال
أحدها وهو قول أهل الظاهر أي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم المرض فله أن يفطر تنزيلاً للفظ المطلق
على أقل أحواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الأصم أن هذه الرخصة مختصة
بالمريض الذي لو صام لوقع في شقة عظيمة تنزيلاً للفظ المطلق على أكثر أحواله القول الثالث وهو قول
أكثر الفقهاء أن المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي إلى ضرر في النفس أو زيادة علة غير محتملة كالحموم

إذا خاف أنه لو صام اشتدت حماؤه صاحب رجع العين يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض
ما يؤثر في تقويته قال الشافعي إذا أجهده الصوم أفطر والأهمل كالصحيح **المسئلة الثانية** انظر في السفر
مباح والصوم جائز به قال عامة العلماء وقال ابن عباس وأبو هريرة وبعض أهل الظاهر لا يجوز الصوم في
السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحله عامة
العلماء على من جهده الصوم في السفر فالأولى الفطر وبدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلًا فظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس من البر الصيام في

السفر أخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن أنس قال سافرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على الفطر ولا المفطر على الصائم أخرجه في
الصحيحين **المسئلة الثالثة** اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري أي سفر
كان ولو كان فرسخًا وقال الأوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي وأحمد ومالك أقله
مسيرة ستة عشر فرسخًا ويروى أن قال أبو حنيفة وأصحابه أقله مسيرة ثلاثة أيام **المسئلة الرابعة** إذا استهل

الشهر وهو مقبم أن أنشأ السفر في أثناءه جاز له أن يفطر حاله السفر ويجوز له أن يصوم في بعض السفر وان
يفطر في بعضه أن أحب بدل عليه ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام
الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه وكانوا يأخذون بالحدث فلا حدث من
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية وأربعين ميلاً
من مكة **المسئلة الخامسة** اختلفوا في الأفضل فذهب الشافعي إلى أن الصوم أفضل من الفطر في السفر وبه

قال مالك وأبو حنيفة وقال أحد الفطرا أفضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء ما سواه أو أفضل
الأمريين أيسرهما ما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر **المسئلة السادسة** يبيح الفطر كل
سفر مباح ليس سفر معصية ولا يجوز للعاصي يسره إن ترخص برخص الشرع وقوله تعالى فقدم من أيام
آخر معناه فأفطر فعليه عدة من أيام آخر فظاهر هذا أنه يجوز قضاء الصوم متفرقاً وإن التتابع أولى
وفيه أيضاً وجوب القضاء غير تعيين لزمان القضاء فيسدد على جواز التراخي في القضاء وبدل عليه أيضاً

ما روي عن عائشة قالت كان يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان ذاك من
الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه في الصحيحين **بريد الله بكم اليسر** أي التسهيل في هذه العبادة
وهي إباحة الفطر للمسافر والمريض **ولا يريد بكم العسر** أي وقد نفي عنكم الحرج في أمر الدين قبل
ما أخبر رجل بين أمرين فاختر أيسرهما إلا أن ذلك أحب إلى الله تعالى **ولتكموا الهدية** أي عدد

الأيام التي أفطرت فيها بعد السفر والمرض والخيض تنفذه أو بدده أو قيل أراد عدد أيام الشهر **ق** عن
ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشهر أربع وعشرون ليلة فلتصوموا ما تروا من الحلال ولا
تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقسروا له وفي رواية فأكوا الهدية ثلاثين **ولتكموا الهدية** فيه قولان

بريد الله بكم اليسر
حيث أباح الفطر بالسفر
والمريض **ولا يريد بكم**
العسر ومن فرض الفطر
على المريض والمسافر حتى
لو صام انتجب عليهما إعادة
فقد عدل عن موجب هذا
ولتكموا الهدية عدة ما
أفطرتكم بالقضاء إذا زال
المرض والسفر والفعل
المعلل بخلاف مدلوله عليه
بحسب مقتضى تقديره لتعلموا
ولتكموا الهدية
ولتكموا الهدية

(شهر رمضان) مبتدأ خبره (الذي أنزل فيه القرآن) أي ابتدئ فيه أنزاله وكان ذلك في ليلة القدر أو أنزل في شأته القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أي هو شهر (١٢١) والرمضان مصدر رمض اذا

احترق من الرضاء
فأضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنه صرف
للتحرى والالعب والنون
وسموه بذلك لارتقاؤهم
فيه من حر الجوع
ومقاساة شدته ولا تسم
سموا الشهر بالرمضان التي
وقعت فيها فوافق هذا
الشهر أيام رمض الحرقان
قلت ما وجدته ماباه في
الحديث من صام رمضان
إيماناً واحداً بامر أن
التسمية واقعة مع المضاف
والمضاف اليه جميعاً
قلت هو من باب الحذف
لامن الالباس والقران
حيث كان غير مهموز
مكى واتصّب (هدى
للناس وبنات من الهدى
والفرقان) على الحال
أى أنزل وهو هداية
للناس الى الحق وهو آيات
واضحات مكشوفات
عما يهدى الى الحق ويفرق
بين الحق والباطل ذكر
أولاً أنه هدى ثم ذكر أنه
بنات من جملة ما هدى
به الله وفرق بين الحق
والباطل من حيث وكتبته
السجادة الهادية الفارقة
بين الهدى والضلال
(فن شهد منك الشهر

فوقه عز وجل (شهر رمضان) بمعنى وقت صيامكم شهر رمضان على الشهر شهر الشهر ته بقال للسر اذا أظهره
شهره وسمى الهلال شهر الشهرته ويانه وقبل سمي الشهر شهر ايامه الهلال وأما رمضان فاشتهق منه من الرضاء
وهي الحارة المحمقة في الشمس وقيل لهم لما تلو أسماء الشهر وعن اللغة القديمة سموها بالرمضان التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحرق فهو به وقيل ان رمضان اسم من أسماء الله تعالى فيكون عنده شهر
الله والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشمس شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان (الذي أنزل فيه القرآن)
لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال أعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا
الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن الشافعي أنه كان يقول القرآن اسم وليس مهموز
وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب
الا كثرون الى انه مشتق من القر وهو الجمع فسمى قرآن لأنه يجمع السور والآيات بعضها الى بعض
ويجمع الاحكام والقصاص والامثال والآيات الدالة على وحدانيته تعالى قل ان عباس أنزل القرآن
جمله واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به
جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نحو ما في ثلاث وعشرين سنة وذلك قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وروى
أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزل محمد ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية
في أول ليلة من رمضان وأنزل توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وأنزل انجيل عيسى في ثلاث
عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل بوردا في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد
صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين ليست يقين بهداه في هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى
الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحق وأبي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي
نزل بفرص صيامه القرآن كما تقول نزات هذه الآية في الصلاة والركعة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك
عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسن بن الفضل (هدى للناس) يعني من الضلال (و بنات من الهدى
والفرقان) فان قلت هذا في اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله و بنات من الهدى بمذوقه هدى للناس
قلت انه تعالى ذكر أولاً أنه هدى ثم الهدى على قديم تارة يكون هدى جلباً وتارة لا يكون كذلك فكأنه
قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه
فكأنه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبنات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البنات
هي الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق
والباطل ففوقه عز وجل (فن شهد منكم الشهر فليصمه) أي فن كان حاضر امقاً غير مسافر فذكره
الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي رؤية الهلال ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم وموارثه وأفطروا رزقاً أخرجه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان
من رأى الهلال ومن أخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزى فيه خبر الواحد قاله
أبو ثور ومنهم من أجراه بحجج الشهادة في سائر الحقوق فله مالك ومنهم من أجزى أوله بحجج الاخبار فقبل
فيه خبر الواحد وأجزى آخره بحجج الشهادة فلا يقبل في آخره أقل من اثنين قاله الشافعي وهذا الاحتياط
في أمر العبادة لدخولها آخر وجهها (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) انما ذكره لان
الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير للمريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله

(١٦ - (خانن) - اول) فليصمه) فمن كان شاهداً أي حاضر امقاً غير مسافر في الشهر فليصمه فيه ولا يفطر والشهر منصوب على
الطرف وكذا الهاء في ايصمه ولا يكون مقولاً بلان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام
أخر) فعدة مبتدأ وخبر محذوف أي فعدة عدة أي صوم عدة

وأصله ان المال القليل يقدر بالعدد لا الكبير (فن كان منكم مريضاً) يخاف من الصوم زيادة المرض (أو على سفر) أو راكب سفر (فعدة) فعليه عدة أي فافطر فعليه صيام عدد (١٢٠) أيام فطره والعدة بمعنى العود أي أمر أن يصوم أياماً معدودة ما كانها (من أيام

عليه وسلم يصومه في الجاهلية فهداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سنة صامه وأمر به أيامه فلفرض رمضان ترك عاشوراء فن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل أن الراد من قوله أي بعد ودات أيام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال ولا كتب عليكم اصيام وهذا يحتمل الصوم يوم أو يومين ثم ينه بقوله بعد ودات على أنه أكثر من ذلك لكنها غير منحصرة بعدد من بين حصرها بقوله شهر رمضان فإذا ما كان ذلك فلا وجه لحل الأيام المددودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة يقال أن أربعة رمضان نزات في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وأيام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة (فن كان منكم مريضاً أو على سفر) أي فافطر (فعدة من أيام أخر) يعني غير أيام مرضه وسفره (وعلى الذين يطيقونه أي يطيقون الصوم واختلاف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم إلى أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع وغيرهما وذلك أنهم كانوا في ابتداء الاسلام يخبرون بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويقعدوا وأما غيرهم من الله تعالى للابتناء عليهم لانهم كانوا يتعدوا الصوم ثم نسخ التخير ونزلت الآية على من شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الآية ناسخة للتخير (ق) عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من أراد أن يفطر ويقتدى فعل حتى نزلت هذه الآية لئلي بعده ففسخها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية فن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويقتدى ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المرض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين أن يفطر ويقتدى ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس إلى أن الآية محكمة غير منسوخة ومعناها على الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فإمهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطيقونه بضم الراء وفتح الطاء وبالواو المشددة المفتوحة عوض الياوم ومعناها كفون الصوم (خ) عن عطاء الله سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بنسخة وهو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً (فدية طعام مسكين) لفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الإنسان بقية نفسه من تقصير وقته منه في عبادة وتعبها ويجب على من أفطر في رمضان ولم يقدر على القضاء الكبير أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً من غالب قوت الباد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس أعطى كل مسكين عشاءه وسجوره (فن تطوع خيراً فهو خير له) يعني زاد على مسكين واحد فطاعم عن كل يوم مسكينين فأكثر وقيل فن زاد على قدر الواجب عليه فطاعم صاعاً وعليه مد فهو خير له (وأن تصوموا خير لكم) قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وأن تصوموا أيها المطيعون نعموا المشقة فهو خير لكم من الإفطار والغدبة وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الأصح لان اللفظ عام فرجوعه إلى الكل أولى (ان كنتم تعلمون) يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صحت علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى وأعلم أنه لا رخصة لاحد من المسلمين المكافين في افطار رمضان بغير عذر ولا اعتبار المبيحة فافطر ثلاثة أحدها السفر والمرض والحيض والنفس فهو لا اذا أفطر وأفعلهم القضاء دون الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما أفطرا وتاوعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب أهل الرأي إلى أنه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والجهوز الكبيرة والمرضى الذي لا يرجى برؤه فإعليهم الكفارة دون القضاء

أخر) سوى أيام مرضه وسفره وأخر لا ينصرف للوصف والدل عن الالف واللام لان الأصل في فعلی صفة ان تستعمل في الجمع بالالف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيعين للصيام الذين لا عذر لهم أن أفطروا (فدية طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره فطعام بدل من فدية فدية طعام مسكين مدني وإن ذكوان وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعدوه فاشتد عليهم فرض صمهم في الإفطار والغدبة ثم تم نسخ التخير بقوله فن شهد منكم الشهر فليصمه ولهذا كرر قوله فن كان منكم مريضاً أو على سفر لانه لما كان من كوارع المنوخ ذكر مع التاسخ ليدل على بقاء هذا الحكم وقيل معناه لا يطيقونه فاضطر للقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخاً (فن تطوع خيراً) فزاد على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع حزة

وعلى (وأن تصوموا) أيها المطيعون (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء وقيل وأن تصوموا في السفر والمرض خير لكم لانه أشق عليكم (ان كنتم تعلمون) شرط عند جواب

(بعد ماسمعه) أى الإصاء (فأثابتم على الذين يبدلون) فثابتم التبدل الأعلى مبدلين دون غيرهم من الموصى والموصى له لأنهما برئان من الخيف (إن الله سمع) القول الموصى (عالم) بجهل المبدل (فن خاف) علم هذا (١٦٩) شائع في كلامهم. يقولون أخاف أن

لا ترسل السماء ويريدون
الظن الغالب الجارى مجرى
العلم (من موص) موص كوفى
غير حصص (جنفا) ميلا
عن الحق بالخطأ في الوصية
(أو أئما) تعتمد بالحقيف
(فاصلح بينهم) بين لموصى
لهم وههم والوالدان
والأقربون بأجرائهم على
طريق الشرع (فلانم
عليه) حينئذ لان تبدله
تبدل باطل الى حق ذكر
من يبدل بالباطل ثم من
يبدل بالحق ليعلم ان كل
تبدل لا يؤتم وقيل هذا
في حال حياة الموصى أى
فن حضر وصيته فراه على
خلاف الشرع فهنا عن
ذلك وجهه على الصلاح
فلانم على هذا الموصى
بما قال أولا (ان الله غفور
رحيم) أى الذين آمنوا
كتب) أى فرض (عليكم
الصيام) هو مصدر صا
والمراد صيام شهر رمضان
(كما كتب) أى كتابة
مثل ما كتب فهو صفة
مصدر مخدوف (على الذين
من قبلكم) على الانبياء
والامم من لدن آدم عليه
السلام الى عهدكم فهو
عبادة قديمة والتشبيه
باعتبار ان كل أحده صوم
أيام أى أتم متعبدون

الخلق أو الشهود بان يكفوا الشهادة أو يخبروها وانما ذكر السكنية في بدله مع ان الوصية مؤنة لان
الوصية بمعنى الإصاء كقوله فن جاءه موعظة أى وعظ والتدبر فن بدل قول الميت وأما وصى به (بعد
ماسمعه) أى من الموصى وتحققه (فأثابتم على الذين يبدلون) أى ان اثم ذلك التبدل لا يعود الاعلى
المبدل والموصى والموصى له برئان منه (ان الله سمع) يعنى لما وصى به الموصى (علم) يعنى بتبدل
المبدل (فن خاف) أى علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين (من موص جنفا) يعنى جورا في الوصية وعدولا
عن الحق والجنف الميل (أو أئما) أى ظاهرا (فاصلح بينهم) وقيل الجنف الخطأ في الوصية والامم المعدوقيل
في معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضاهو بوصى فراه تيل في وصيته اما بتقصيرا واسراف أو وضع الوصية
في غير موضعه فإلحاح عليه ان يامر بالعدل في وصيته وينها عن الجنف والميل وقيل انه اراد به اذا أخطأ
الميت في وصيته وأحلف متعمدا فإلحاح على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين ان يصلح بعدمونه بين ورثته
وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق (فلانم عليه) أى فلا حرج عليه في الصلح (ان الله غفور
رحيم) أى لمن أصلح وصيته بعد الجنف والميل عمن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعملان بطة عالة ستة سنين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب
لهم الدار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله ذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود
والترمذي قوله فيضاران المضارة اصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا تعصى أو ينقص
بعضها أو يوصى بغير أهلها أو يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كتب) أى
فرض (عليكم الصيام) والصوم في اللغة الامساك بقل صام النهار اذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى
انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل
والشراب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية (كما كتب على الذين
من قبلكم) يعنى من الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة أى في الزمن الاول
ما أخل الله أمة لم يفرضه عليهم كإفرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة تشافة والشي الشاق اذا علم سهل عمله
وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كإفرضه عليهم اقسامه وارضان زمانا فر بما وقع في الحر
الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشيتهم فاجتمع رأى علمائهم
ورؤسائهم أن يجزئوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة
أيام كفارة لما صنعوا اقساموا أو بعين يومهم بعد زمان اشتكى ملكهم فجعفل لله عليه ان هو برأهم وجعه
ان يزى في صومهم أسبوعا فزادوا فيه أسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان وولهم ملك آخر فقال لما شأنا
هذه الثلاثة أيام أعوه خسين يوما فاقوموا قيل أصابهم موتان فقالوا زيدا وى صيامكم فزادوا عشر اقبله وعشرا
بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما بعد يوم ثم لم يزوا يزيدونه يوما بعد
يوم حتى بلغ خسين فلذلك نهى عن صوم يوم الشك (المحكم تتقون) يعنى ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم
وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه اعلمكم
تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل اعلمكم تتقون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم
(أياما معدودات) أى مقدرات وقيل فليات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجبا
وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفرصة صوم شهر رمضان قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة قاصر
القبلة ثم الصوم (ق) عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصوموه فرىش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله

بالصيام في أيام كاعبد من كان قبلكم (المحكم تتقون) المعاصي بالصيام لان الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من موافقة السوء وأعلمكم تتقون
في زمرة المتقين اذا الصوم شعارهم واتصبا (أياما) بالصيام أى كتب عليكم أن تصومها أياما (معدودات) موقتات بعدد معلوم أى فلا ش

لان العاقل لا يريد ان ياتلف نفسه با تلاف غيره (الهلمكم تقنون) يعنى لىكم تنهون عن القتل خوف
 القصاص ﴿ قوله عز وجل ﴾ (كتب) أى فرض وأوجب (عليكم اذا حضر أحدكم الموت) أى قرب
 ودامنه وظهرت آثاره عليه من العلل والأمراض الخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لانه في ذلك الوقت
 يجوز عن الإصاء (ان ترك خيرا) يعنى ما لا قبل يطاق على القليل والكثير وهو قول الزهرى فتجب
 الوصية في الكل وقيل ان لفظة الخير لا تنطق الا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار
 الكثير الذى تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فاذا علم اوقيل سبع مائة فما فوقه اوقيل ستون دينارا فما
 فوقها اوقيل انه من خمسة مائة الى ألف وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال وروى أن رجلا قال لعائشة
 انى أريد أن أوصى فقلت كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله
 ان ترك خيرا وهذا شئ يسير فان تركه لعيالك (الوصية) أى الإصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل
 به وقيل هى القول للميت لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت (لوالدين والافريقين) كانت الوصية
 في ابتداء الاسلام فرضة لوالدين والافريقين على من مات وله ولهم سبب ذلك ان أهل الجماعة كانوا
 يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الأقارب فقراء فوجب الله تعالى الوصية
 للأقارب ثم نسخت هذه الآية بأية الموارث ومما روى عن عمرو بن خارجة قال كنت أخذت بزمام ناقة
 النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعتة يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه
 النسائي والترمذي نحوه وهذا ذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث رضى وجوبها في
 حق من لا يرث من الوالدين والأقارب وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار ووجه
 هؤلاء ان الآية دالة على وجوب الوصية لوالدين والأقارب ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بأية
 الميراث وبالحديث المذكور فوجب أن ينقى الآية دالة على وجوب الوصية للأقارب الذى لا يرث فعلى قول
 هؤلاء النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الأكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى
 ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهى مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث
 عليها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم شي يوصى فيه وفى رواية
 له شئ يريد ان يوصى به ان بيت ليلتين وفى رواية ثلاث ليل الا الوصية مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد
 الله بن عمر يقول ما مررت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة
 عندي أخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه على الوجوب والدب والحث فعمل هناعلى
 الحث في الوصية لانه لا يدري متى يأتيه الموت فربما أتاه بغتة فيجهنم عن الوصية وقوله تعالى (بالمعروف) أى
 بالعدل الذى لا ولس فيه ولا شطط فلا يزبد على الثلث ولا يوصى للفقير وبدع الفقير (ق) عن سعد بن أبى
 وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني على من حجة الوداع من وجع اشتدني فقلت يا رسول الله
 انى قد بلغني من الوجع ما ترى وأنا ذومال ولا يرثني الا ابنتى فأصدقني بشائى ما لي قال لا قلت فاشطر يا رسول
 الله قال لا قلت فالثالث قال الثلث والثالث كثير أو قال والثالث كبير انك ان تذر ذر برك أغنياء خبير من أن
 تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس ان تكفف المسئلة من الناس كانه من الطب
 بالا كصف (ق) عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس دفنوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه
 وسلم قال لسعدو الثلث كثير وقال علي بن أبى طالب لان أوصى بالجلس أحب الى من أن أوصى بالربع لان
 أوصى بالربع أحب الى من أن أوصى بالثلث فمن أوصى بالثلث فهو يترك وقيل يوصى بالسدس أو بالجلس أو
 الربع (حقا) أى ثابتا بثبوت نذب لا بثبوت فرض ووجوب (على المتقين) أى على المؤمنين الذين يتقون
 الشرك (فن بدله) فن غير الإصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من
 الاوصياء والشهود

(قَاتِبِ بِالْمَعْرِفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) قَالَ الْعَفْوُ وَهُوَ الْعَفْوَةُ يُقَالُ عَفَوْتُ عَنْ فُلَانٍ إِذَا صَفَحْتَ عَنْهُ وَأَعْرَضْتَ عَنْ نِقَابِهِ وَهُوَ شَعْدِي بَعِنَ إِلَى الْجَانِي وَإِلَى الْحَنَابَةِ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَإِذَا اجْتَمَعَا عَدِي إِلَى الْأَوَّلِ بِاللَّامِ فَقَوْلُ عَفَوْتُ لَهُ عَنِ ذَنْبِهِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ وَقَالَ الرَّجَاجُ مَنْ عَفَى لَهُ أَيْ مَنْ تَرَكَ لَهُ الْقَتْلَ بِالْأَيْدِيَةِ وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ الْعَفْوُ فِي اللُّغَةِ الْفَضْلُ وَمِنْهُ يَأْتِيكَ مَاذَا يَنْفَعُونَ مِنَ الْعَفْوِ وَيُقَالُ عَفَوْتُ لِفُلَانٍ إِذَا أَفْضَلْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ وَعَفَوْتُ لَهُ عَنْ مَالِي عَلَيْهِ إِذَا تَرَكَتَهُ وَمَعْنَى الْآيَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مَنْ عَفَى لَهُ مِنْ جِهَةِ أَخِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْعَفْوِ عَلَى أَنْ الْفِعْلُ مُسْتَدِلٌّ إِلَى الْمَصْدَرِ كَمَا فِي سِيرِ بْنِ عَبْدِ بَعْصِ السَّيْرِ وَالْأَخْرَى الْمَقْتُولُ وَكَذَا بِلَفْظِ الْأَخُوَّةِ يَعْنِي عَلَى الْعَقْلِ لِمَا يَنْتَهِي عَنْهُ مِنَ الْجَنَسَةِ وَالْإِسْلَامِ وَمِنْ هُوَ الْقَاتِلُ الْمَعْفُو لَهُ عَمَّا جَانِي وَتَرَكَ الْمَفْعُولَ الْآخَرَ (١٧٦) اسْتِغْنَاءً عَنْهُ وَقِيلَ يُقِيمُ لَهُ مَقَامَ عَنْهُ وَالضَّمِيرُ لَهُ

وَأَخِيهِ لِمَنْ فِي الْإِلَاحِ أَوْ لِمَنْ تَتَّبَعُ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ فَاتَّبَعَ لَانِ الْمَعْنَى فَلْيَتَّبِعِ الطَّالِبُ الْقَاتِلَ بِالْمَعْرِفِ بَابِ طَالِبٍ مَطْلَبَةٌ جَبَلَةٌ وَأَبُو ذَالِيهِ الْمَطْلُوبُ أَيْ الْقَاتِلُ بِدَلِّهِ أَدَّاهُ بِإِحْسَانٍ بَابِ لَا يُطْلَعُ وَلَا يُضْمَرُ وَنَاقِلٌ شَيْءٌ مِنَ الْعَفْوِ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَفَا عَنْ بَعْضِ الدَّمِ أَوْ عَفَا عَنْهُ بَعْضُ الْوَرْتَةِ ثُمَّ الْعَفْوُ وَسَقَطَ الْقَصَاصُ وَمِنْ فَرَعِي بَرَكٌ جَعَلَ شَيْءٌ مَفْعُولًا بِهِ وَكَذَا مَنْ فَسَّرَهُ بِأَطَى يَعْنِي أَنَّ الْوَلِيَّ إِذَا عَفَى لَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِ أَخِيهِ يَعْنِي الْقَاتِلَ بِطَرِيقِ الصَّلَاحِ فَلْيَأْخُذْهُ بِمَعْرِفٍ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ وَأَبُو ذَالِيهِ الْقَاتِلُ بِلَيْسِهِ بِلَا تَسْوِيفٍ وَارْتِقَاعٍ اتَّبَاعٍ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مَبْدَأٌ مَضْرُوبٌ فَلْيُؤَبِّقِ اتَّبَاعَ (ذَلِكَ) الْحُكْمَ الَّذِي كُورَمِنْ الْعَفْوِ وَأَخَذَ الدَّبَّةَ (تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ دَرَجَةً) فَانْهَ كَانَ فِي

وَأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِ وَفِي قَوْلِهِ نَبِيٌّ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَوْيَاءِ إِذَا عَافَسَ قَطْعَ الْقَوْدِ وَبَيَّتَ الدَّبَّةَ لَانِ شَيْءٌ مِنْ الدَّمِ قَدْ بَطَلَ (قَاتِبِ بِالْمَعْرِفِ) أَيْ فَلْيَتَّبِعِ الْوَلِيَّ الْقَاتِلَ بِالْمَعْرِفِ فَلْيَأْخُذْهُ كَثْرَتِمْ مِنْ حَقِّهِ وَلَا يَعْصِفْهُ (وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) أَيْ عَلَى الْقَاتِلِ أَدَاءُ الدَّبَّةِ إِلَى الْوَلِيِّ الدَّمِ مِنْ غَيْرِ عَمَالَةٍ أَوْ مَرَكَلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْإِحْسَانِ فَيُجَالِهُ وَعَلَيْهِ وَقِيلَ فِي تَقْدِيرِ الْآيَةِ وَأَدِّهِ إِلَى الدَّمِ عَنْ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِالْقَاتِلِ وَهُوَ وَجُوبُ الْقَصَاصِ فَلْيَتَّبِعِ الْقَاتِلَ ذَلِكَ الْعَفْوَ بِمَعْرِفٍ وَلْيُؤَدِّهِ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّبَّةِ إِلَى الْوَلِيِّ الدَّمِ بِإِحْسَانٍ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَلَا مَدَافَعَةٍ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَصِيرُ كَافِرًا إِنْ الْفَاسِقُ مُؤْمِنٌ وَوَجْهٌ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِ الْأَوَّلِ أَنَّ اللَّهَ نَعَى خَاطِبَهُ بَعْدَ الْقَتْلِ بِالْإِيمَانِ وَسَمَّاهُ مُؤْمِنًا بِقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فَمِمَّا هُوَ مُنَاحِلٌ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَصَاصِ وَمَا وَجِبَ عَلَيْهِ بَعْدَ صُدُورِ الْقَتْلِ مِنْهُ وَقَتْلُ الْعَدُوِّ وَالْعَدُوِّ مِنَ الْكِبَارِ بِالْإِجْمَاعِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مُؤْمِنٌ الْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّهُ نَعَى أَنْ تَبَيَّنَ الْأَخُوَّةُ بَيْنَ الْقَاتِلِ وَبَيْنَ الدَّمِ بِقَوْلِهِ مَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ وَارْتِقَاعُ الْأَخُوَّةِ أَخُوَّةُ الْإِيمَانِ فَلَوْلَا أَنَّ الْإِيمَانَ بَاقٍ عَلَى الْقَاتِلِ لَمْ تَبَيَّنْ لَهُ الْأَخُوَّةُ الْوَجْهَ الثَّلَاثُ أَنَّهُ نَعَى نَدْبَ إِلَى الْعَفْوِ مِنَ الْقَاتِلِ وَالْعَفْوُ لَا يَتَّبِعُ إِلَّا عَنِ الْمُؤْمِنِ لَانِ الْكَافِرَ ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى﴾ (ذَلِكَ) تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ دَرَجَةً) يَعْنِي الَّذِي ذَكَرَ مِنَ الْحُكْمِ بِشَرَعِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ مِنَ الْقَصَاصِ وَأَخَذَ الدَّبَّةَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ يَعْنِي فِي حَقِّكُمْ وَرَحْمَةً ذَلِكَ لَانِ الْعَفْوُ وَأَخَذَ الدَّبَّةَ كَنْ حَرَامٍ عَلَى الْيَهُودِ وَكَانَ الْقَصَاصُ حَتْمًا فِي التَّوْرَةِ وَكَانَ فِي شَرَعِ النَّصَارَى أَخَذَ الدَّبَّةَ وَلَمْ يَكُتِبْ عَلَيْهِمُ الْقَصَاصُ وَقِيلَ كَانَ عَلَيْهِمُ الْعَفْوُ دُونَ الْقَصَاصِ وَأَخَذَ الدَّبَّةَ غَيْرَ الْخِيَارِ هَذِهِ الْأَمَةُ بَيْنَ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ وَأَخَذَ الدَّبَّةَ تَوْسِيعَةً عَلَيْهِمْ وَتَسْيِيرًا وَتَضْيِيلًا لَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ (فَمَنْ اعْتَدَى بِعَذَابٍ) يَعْنِي بَعْدَ هَذَا التَّخْفِيفِ فَقَتَلَ الْجَانِي بَعْدَ الْعَفْوِ وَأَقْبَلَ الدَّبَّةَ (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وَهُوَ أَنْ يَتَّقَلَ قَصَاصًا لِقَاتِلِهِ مِنْهُ مَدِيدَةً وَلَا يَفِي عَنْهُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْعَذَابِ الْإِيمَانِ عَذَابُ الْآخِرَةِ ﴿قَوْلُهُ﴾ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَكْفَى الْقَصَاصَ حَيَاةً) أَيْ يَبْقَاؤُ ذَلِكَ الْفَاصِدُ لِقَاتِلِهِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ قَتَلَ تَرَكَ الْقَتْلَ وَامْتَنَعَ عَنْهُ فَيَكُونُ فِيهِ بَقَاؤُهُ وَبَقَاءُ مَنْ هُمُ بِقَتْلِهِ وَقِيلَ أَنَّ نَفْسَ الْقَصَاصِ سَبَبٌ لِلْحَيَاةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا اقْتَصَ مِنْهُ ارْتَدَعَ غَيْرُهُ مَنْ كَانَ يَهْمُ بِالْقَتْلِ وَاعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَيْسَ مَخْتَصِبًا بِالْقَصَاصِ الَّذِي هُوَ الْقَتْلُ بَلْ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الْجَرَاحِ وَالشَّجَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَذَلِكَ لَانِ الْجَارِحَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا جَرَحَ جَرَحَ لَمْ يَجْرَحْ فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا لِبَقَاةِ الْجَارِحِ وَالْجَرَحُ وَرَبَّاءُ فَتُتَّجَرَّحُ الْحَالَةُ إِلَى الْمَوْتِ فَيَقْتَصُّ مِنَ الْجَارِحِ وَقِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْحَيَاةَ سَلَامَتَهُ مِنْ قَصَاصِ الْآخِرَةِ فَانْهَ إِذَا اقْتَصَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَقْتَصْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ وَفِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَإِذَا لَمْ يَقْتَصْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَقْتَصْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أَيْ يَأْذِي الْعُقُولَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الصُّوَابَ

التَّوْرَةَ الْقَتْلَ لِغَيْرِهِ وَفِي التَّحْمِيلِ الْعَفْوُ بِغَيْرِ بَدَلٍ لِغَيْرِهِ وَأَجِبَ لَنَا الْقَصَاصُ وَالْعَفْوُ وَأَخَذَ الْمَالَ بِطَرِيقِ الصَّلَاحِ تَوْسِيعَةً وَتَسْيِيرًا وَالْآيَةُ نَدَلَّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مُؤْمِنٌ لَوْ صَفَّ بِالْإِيمَانِ بِمَوْجُودِ الْقَتْلِ وَبِقَبَاةِ الْأَخُوَّةِ النَّاتِيَةِ بِالْإِيمَانِ وَلَسْتَ حَقَّاقُ التَّخْفِيفِ وَالرَّحْمَةِ (فَمَنْ اعْتَدَى بِعَذَابٍ) التَّخْفِيفِ فَتَجَاوَزَ مَا شَرَعُ لَهُ مِنْ قَتْلِ غَيْرِ الْقَاتِلِ أَوْ الْقَتْلَ بَعْدَ أَخَذِ الدَّبَّةِ (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) نَوْعٌ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدٌ لَا يَمُوتُ فِي الْآخِرَةِ (وَلَكِنْ فِي الْقَصَاصِ حَيَاةً) كَلَامٌ فَصَحَّحَ فِيهِ مِنَ الْغَرَابَةِ الْقَصَاصُ قَتْلُ وَتَوْفِيَّتُهَا لِلْحَيَاةِ وَقَدْ جَعَلَ ظَرْفَ الْحَيَاةِ وَفِي تَعْرِيفِ الْقَصَاصِ وَتَنْكِيرِ الْحَيَاةِ بِلَاغَةً لَانِ الْمَعْنَى وَلَكِنْ هَذَا الْجَنْسُ مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي هُوَ الْقَصَاصُ حَيَاةً عَظِيمَةً لَعَنَ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ الْجَاعَةِ بِوَاحِدَةٍ فَقَدَرُوا فَكَانَ الْقَصَاصُ حَيَاةً رَأَى حَيَاةً أَوْ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاةِ وَهِيَ الْحَيَاةُ خَاصَّةٌ بِالْإِرْتِدَاعِ عَنِ الْقَتْلِ لَوْ قَوَّعَ الْعِلْمُ بِالْقَصَاصِ مِنْ الْقَتْلِ لَانَهُ لَا هُمْ بِالْقَتْلِ فَتَنْكُرُ الْاِقْتِصَاصُ ارْتَدَعَ فَلَمْ صَاحِبُهُ مِنَ الْقَتْلِ وَهُوَ مِنَ الْقَوْدِ فَكَانَ شَرَعُ الْقَصَاصِ سَبَبٌ لِحَيَاةِ تَفْسِيرِ (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) يَأْذِي الْعُقُولَ

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) نزلت في حين من أحوال العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتل فسكان بينهم قتل وسر وجر حات كثيرة لم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام وقيل نزلت في الأوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر في السكنة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغيرهم وأقسموا القتل بالعبد منا الحر منهم وبالرأفة الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجهوا بجر احاثهم ضفي جر احاث أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالسواة فرضوا وسأوا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بالعفو والنصارى يوجبون العفو بالقتل بالعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عدداً يأخذون دية الشر يفأضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضاً والى محييه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل لولي لا على الولي وقيل اذا أُرذم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا انبعه فالفعول به يتبع ما فعل في فعل به بمثل ذلك فلو قتل رجل رجلاً بعصاً أو خنجره أو شدة رأسه بمحجر فقاتل فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وأحمد والرواية عن أبي حنيفة (الحر بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني) ومعناه انه اذا نكأ كافاً الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل نصف اذا قتل بماله الذكر بالذكور والاني بالاني والذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا بدولي بذي الدمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد المذهب مالك والشافعي وأحمد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي حنيفة قال سألت علياً عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والى فلقى الحبوة وبرأ النسمة الآن يؤتى الله سبحانه في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي بن حنيفة عن أبي حنيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين به تخلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الولد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث مجتمعة للشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسر قتلهم في قوله النفس بالنفس وان تلك الواردة لحسابة ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي الى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاماً قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلهم به قال البخاري وقال صغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبياً فقال عمر من له وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفراً خمسة وسبعة بجر رجل واحد قتلوه غيلة وقال لوما لأعليه أهل صنعاء لقتلهم جميعاً الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكر من غير أن يعلم ما يورده وقوله لوما لا تأتى تاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى (فمن في من أخيه شيء) أي ترك له وصفيح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية أو المقوعها أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالاخ والى القاتل وأما ما قيل له أخ لانه لا بسمة من قبله فعلى الدم والمطالب به وقيل اعاد ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدكم على صاحبه بما هو ثابت بينه من الجنسية

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) نزلت في حين من أحوال العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتل فسكان بينهم قتل وسر وجر حات كثيرة لم يأخذ بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام وقيل نزلت في الأوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الآخر في السكنة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغيرهم وأقسموا القتل بالعبد منا الحر منهم وبالرأفة الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين وجهوا بجر احاثهم ضفي جر احاث أولئك فرفعوا أمرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأمره بالسواة فرضوا وسأوا وقيل انما نزلت هذه الآية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بالعفو والنصارى يوجبون العفو بالقتل بالعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون أخذ الدية تارة وكانوا يتعدون في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عدداً يأخذون دية الشر يفأضعاف دية الخسيس فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أوجب الله رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم أي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضاً والى محييه بين العفو والقصاص وأخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل لولي لا على الولي وقيل اذا أُرذم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا انبعه فالفعول به يتبع ما فعل في فعل به بمثل ذلك فلو قتل رجل رجلاً بعصاً أو خنجره أو شدة رأسه بمحجر فقاتل فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي وأحمد والرواية عن أبي حنيفة (الحر بالحر والعبد بالعبد والاني بالاني) ومعناه انه اذا نكأ كافاً الدمان من الاحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الاحرار من المعاهدين أو العبيد منهم فيقتل كل نصف اذا قتل بماله الذكر بالذكور والاني بالاني والذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا بدولي بذي الدمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد المذهب مالك والشافعي وأحمد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن أبي حنيفة قال سألت علياً عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والى فلقى الحبوة وبرأ النسمة الآن يؤتى الله سبحانه في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفك الاسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر وقد أخرج مسلم عن علي بن حنيفة عن أبي حنيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من أولياء القاتل الذين به تخلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الولد بالولد أخرجه الترمذي وذهب أصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الآية مع الاحاديث مجتمعة للشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسر قتلهم في قوله النفس بالنفس وان تلك الواردة لحسابة ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الآية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب أصحاب الرأي الى أن هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاماً قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلهم به قال البخاري وقال صغيرة بن حكيم عن أبيه ان أربعة قتلوا صبياً فقال عمر من له وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفراً خمسة وسبعة بجر رجل واحد قتلوه غيلة وقال لوما لأعليه أهل صنعاء لقتلهم جميعاً الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكر من غير أن يعلم ما يورده وقوله لوما لا تأتى تاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى (فمن في من أخيه شيء) أي ترك له وصفيح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضى بالدية أو المقوعها أو قبول الدية في قتل العمد من أخيه أي من دم أخيه وأراد بالاخ والى القاتل وأما ما قيل له أخ لانه لا بسمة من قبله فعلى الدم والمطالب به وقيل اعاد ذكره بلفظ الاخوة ليعطف أحدكم على صاحبه بما هو ثابت بينه من الجنسية

(والتيدين وأتى المال على حبه) أي على حب الله وأحب المال أوجب الإتيان به إذا كان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه (ذوي القربى) أي الأقرباء وقد هم لهم أحمق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة (١١٥) وتلى ذوي رحلك صدقة وصلة

(والبائس) والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى وأغنى أطلق لعدم الإلباس (والمساكين) المسكين الدائم السكنى إلى الناس لأنه لا يثنى له كالمسكين الدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وهو جنس وإن كان مفرداً لفظاً وجعل ابن السبيل لازماً له أو الضيف (والسائلين) المستطعمين (وفي الرقاب) وفي معاونة المكاتبين حتى يكفوا رقبهم أو في فك الأسارى (وأقام الصلاة) المكتوبة (وأتى الزكاة) المفروضة قيل هو تأكيد للأول وقيل المراد بالاول نوافل الصدقات والمبار (والموفون) عطف على من آمن (بعهدهم إذا عاهدوا) أنه أؤانس (والصابرين) نصب على المدح والاختصاص اظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال (في البأساء) الفقر والشدّة (والضراء) المرض والزمانة (وحين البأس) وقت القتال (وأولئك الذين صدقوا) أي أهل هذه الصفه هم

وقيل أراد به القرآن وقيل جميع الكتب المتزلة لسياق ما بعده وهو قوله (والتبيين) يعني أجمع وأما خاص الإيمان بهذه الامور الخمسة لأنه يدخل تحت كل واحد منها أشياء كثيرة مما يلزم المؤمن أن يصدق بها (وأتى المال على حبه) يعني من أعمال البر اتياء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال قالتقدير على هذا وأتى المال (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً قال أن تصدق وأن تصبح صحيح نخشى الفقر ونأمل الغنى ولا نتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت افلان كذا ووافلان كذا وقد كان افلان قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله افلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان افلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى أي وأتى المال على حب الله وطالب مرضاته (ذوي القربى) يعني أهل قرابة المعطى وانما قدمهم لانهم أحق بالاعطاء عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم ثمتان صدقة وصلة أخرجه النسائي (ق) ان معيونة رضى الله عنها أعتقت وابدت ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وابدت في قال وقد فعلت قالت نعم قال أما نك لو أعطيتن أخواتك كان أعظم لأجرك الوليد الجارى (والبائس) لينهم هو الذى لا لب لمع الصقر وقيل يقع على الصغير والبالغ أي وآتى الفقراء من البائس (والمساكين) جمع مسكين سمي بذلك لأنه دائم السكنى إلى الناس لأنه لا يثنى له (وابن السبيل) يعني المسافر المنقطع عن أهله سمي المسافر ابن السبيل لازماً له الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لأنه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول أشبه لان ابن السبيل اسم جامع جعل للمسافر (والسائلين) يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس أخرجه أبو داود عن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ عن أم نجيد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فلم أجده شيئاً أعطيه اباه قال ان لم تجدى الاظفة محرقة فادفعه اليه في يده أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك في الموطأ عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رداً لحرمان وانما أراد به ردّه بشئ تعطونه اباه ولو كان ظلفاً فهو خوف الشاة في كونه محرقة بالغنى فله ما يعطى (وفي الرقاب) يعني المكاتبين وقيل هو فك النسيئة وعنى الرقبة وفداء الاسارى (وأقام الصلاة) يعني المفروضة في أوقاتها (وأتى الزكاة) يعني الواجبة (والموفون بعهدهم) يعني ما أخذ الله من اليهود على عبادته بالقيام بحقوقه والعمل بطاعته وقيل أراد بالهمد ما يجلبه الانسان على نفسه ابتداء من نذره وغرره وقيل العهد الذى كان بينه وبين الناس مثل الوفاء بالوعايد واداء الامانات (اذا عاهدوا) يعني اذا وعدوا أعجز واواذا نذروا أوفوا واذا حلفوا أبروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في أقوالهم واذا اتخمتوا وأدوا (والصابرين في البأساء) أى في الشدة والفقر والفاقة (والضراء) بمعنى المرض والزمانة (وحين البأس) بمعنى القتال والحرب في سبيل الله وسمى الحرب بأسمائها فيه من الشدة (ق) عن البراء قال كذا والله اذا أحر البأس تنق به وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قوله أحر البأس أى اشتد الحرب وتنق به أى يجعله قايمة لنا من العدو (وأولئك الذين صدقوا) أي أهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم (وأولئك هم المتقون) قوله عز وجل

الذين صدقوا في الدين (وأولئك هم المتقون) روى انه كان بين حين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا القتلى الحرم بينك بالعبادة والذكر بالانثى والاشيين فتخاكموا ١١٥ عدالى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزل

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحل لاسمن الدم دمان ومن المبتة مقتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ آخر أحلت لاسمن دمان فاما المبتة فالحمر ادا الحوت وأما الدمان فاطحال والكبد أخرجه ابن ماجه وأحمد بن حنبل قال أحمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضمه وأخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد أخرج الدارقطني هذا الحديث من رواية عبد الله بن زيد عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً ضعف أبو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروي عن عمر بما لا يصح سنداه وقال البيهقي يروي هذا الحديث عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً والصحيح الموقوف واختلاف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لأن الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يفتقر إلى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد له الحديث فهو تخصيص من العموم **المسئلة الثالثة** في الخنزير **✽** أجمعت الامة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم وانما ذكر كراهته تعالى لانه لم معظم الانتفاع متعاقبه ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجذء أنه كالكلب والقدم يمكن في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما أن التغليظ في الكلب لان العرب كانت تألفه بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدى لا يقع منه فلاتعدى الى غيره **✽** **المسئلة الرابعة** في حكم قوله وما أهل به لغير الله **✽** من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبايح عبدة الاوثان التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وأجاز ذبيحة النصارى اذا سمي عليها اسم المسيح وهو مذبح عطاء ومكحول والحسن والشعي وسعيد بن المسيب اعموم قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه أنهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد أهلاؤه لغير الله فوجب أن يحرم وروى عن علي بن أبي طالب أنه قال اذا سميهم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلاتأكلوا واذا لم يسمعوا هم فمكولوا فان الله قد أحل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون **✽** **المسئلة الخامسة** في حكم المضطر **✽** المضطر هو المكاف بالحق الملتجأ اليه المكروه عليه والمراد بالضطر في قوله من اضطر أى خاف التلف حتى قيل من اضطر الى كل الميتة فربأ كل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة أقسام اما كراهه أو يجوع في مخمصة أو بفقر لا يجد شيئاً الميتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا تأثم عليه وتباح له الميتة فالالاكراه فيسبح ذلك الزوال الاكراه أما المخمصة فلا يتحلون كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشيع منها وان كانت نادرة فاختلاف العلماء فيه وللشافعي قولان أحدهما أنه يأكل ما يسهل به الرمي وبه قال أبو حنيفة والثاني يأكل قدر الشيع وبه قال مالك **✽** **المسئلة السادسة** في قوله غير باغ ولا عاد **✽** قال ابن عباس معنى غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد أى معتدي على العاصي بسفاره بان يخرج لقطع الطريق أو أبق من مولاه فلا يجوز للعاصي بسفاره أن يأكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة له اعانته على فساده وذهب قوم الى أن النبي والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال أبو حنيفة وأباح كل الميتة للمضطر وان كان عاصياً وقيل في معنى قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وهو يجذب غير باغ ولا عاد أى غير متعدي ما حله وقيل غير مستحل لما ولا تمتد ومنها **✽** قوله عز وجل (ان الذين يكتون سأل الله من الكتاب) نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم وذلك أنهم كانوا يصيدون من سفلتهم الهدايا والمال وكل وكانوا يروجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلهذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ما كانهم وزوال رياستهم فعدوا الى صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفروا فأنزل الله ان الذين يكتون سأل الله من الكتاب أى في الكتاب من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتهم ووقت نبوته هذا أقول المفسر بن قال الامام غفر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث تعد ذلك فيهما بل كانوا يكتون التأويل لانه قد كان منهم من يعرف الآيات الدالة على نبوة

(ان الذين يكتون ما أنزل الله من الكتاب) في صفة محمد عليه السلام

الحق خبرات (فهم لا يعقلون) الموعظة ثم بين ان راسمه المشركون حلال بقوله (يا أيها الذين آمنوا اكلوا من طيبات ما رزقناكم) من مسئلة انه
أومن حلاله (واشكروا لله) (١٢٢) الذي رزقكموه (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تحضونه به ابدًا وتقرنوا به على النعم

ثم بين المحرم وقال (انما حرم
عليكم الميتة) زهي كل
ما فرقته الروح من غير ذكوة
بما يذبح وانما لا تثبت
الميتة كورثتي زاده أي
ما حرم عليكم الا الميتة
(والدم) يعني السائل نقوله
في موضع آخر أو دما مسفوحا
وقد حلت الميتتان والدمان
بالحدث أحلت لنا ميتتان
ودمان السمك والجراد
والكبد وطحال (ولحم
الخنزير) يعني الخنزير
يشميع اجزائه وخص
المحذ لان المقصود بالاكل
(وما أهل به لغير الله) أي
ذبح لإصنام قد كره له
غير اسم الله وأصل الاهلال
رفع الصوت أي رفع به
الصوت للصنم وذلك قول
أهل الجاهلية باسم الآلات
والعزى (فن اضطر) أي
ألجئ بكسر النون بصرى
وحسرة وعاصم لالتقاء
الساكنين أعنى النون
والضاد وبضمها غيرهم
لضمه الطاء (غير) حال أي
فاكل غير (بأن) للذنة
وشهوة (ولاعاد) متعد
مقدار الحاجة وقول من
قال غير باع على الامام ولا
عادي سفر حرام ضعيف
لان سفر الطاعة لا يبيح بلا
ضرورة والحبس بالحضر

يبيح بلا سفر ولا نية لا يخرج عن الابمان فلا يستحق الحرمان والخطر بباح له قدر ما يقع به القوام وتنبه معه الحمية
دون ما يقع حصول الشيع لان الإباحة لا اضطرار فيقدر بقدر ما تندفع الضرورة (فلا تأثم عليه) في الاكل (ان الله غفور) للذنوب الكبيرة
فاني يؤخذ بتناول الميتة عند الاضطرار (رحيم) حيث رخص ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا

(انه لكم وعومين) ظاهر العداوة لا خفاء به وأبان متعمدا ولا مزاولا يناقض هذه الآية قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي الشيطان لانه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهر فانه يرهم في الظاهر الموالاتة يرزقهم لهم أعمالهم ويربذ بذلك لهم في الباطن (انما يأمركم) بيان لوجوب الاتباع عن اتباعه وظهور عداوته أي لأيا مكرمكم بخير قط (١١١) انما يأمركم بالسوء بالفحشاء

(والفحشاء) وما يتجاوز الحد في الفح من العظام وقيل السوء الملاحديه والفتشاء ما فيه حد (وأن تقولوا) في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبأن تقولوا (على الله مالا تعلمون) هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى وما لا يجوز عليه (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الضمير للاس وعبدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفات قيل لهم المشركون وقيل طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الايمان واتباع القرآن (قالوا بل ننبع ما ألفينا) وجدنا (عليه آباءنا) فانه كانوا خيرا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله (أولوكان آباؤهم) والواو للحال والمهزمة بمعنى الرد والتعجب معناه أي بدعوتهم ولوكان آباؤهم (لا يعقلون شيئا) من الدين (ولا يهتدون) للصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال

لأنتم وإياه ولا تنبوا آثارة وزلاته والمعنى احذروا أن تتعدوا ما أحل الله لكم الى ما يحدوكم اليه الشيطان قيل هي الذنوب في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى (انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وقد أظهر الله تعالى عداوته بآية السجود لآدم ثم بين عداوته باخيه فقال تعالى (انما يأمركم بالسوء) يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويخزيه (والفحشاء) يعني بالمعاصي وما يقبح من قول وأفعّل قال ابن عباس السوء ما لاحديه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء الزنا وقيل هو البخل (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) يعني من تخريم الحرث والالعام ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلم أن أمر الشيطان وسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي يجدها الانسان في قلبه وما هي هذه الخواطر حروف وأصوات منتظمة خفية تشبه الكلام في الخارج ثم إن فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان وانما الشيطان كالعرض والله المقدر له على ذلك وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما أقدر على ذلك لاصال هذه الخواطر الى باطن الانسان ﴿ قوله عز وجل (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) هذه قصة مستأثفة والضمير في لهم يعود الى غيرهم كور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خراجه وبالك بن عوف بل ننبع ما ألفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا وأعلم منافأ أنزل الله هذه الآية وقيل ان الآية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود الى قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركو العرب قالوا بل ننبع ما ألفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود الى قوله يا أيها الناس كما وقع في الارض والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعني في تحليل ما حرّموا على أنفسهم (قالوا بل ننبع ما ألفينا) يعني وجدنا (عليه آباءنا) من التحريم والتحليل قال الله تعالى (أولوكان آباؤهم) يعني الذين يتبعونهم (لا يعقلون شيئا) يعني لا يعملون شيئا من أمر الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ولا يهتدون) أي الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا الراعي بالغنم وحده هارم عن الآية وكذلك ما يسمعون الكفار في دعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوته فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل أن الغنم لا تسمع الصوت ولا تلتفت للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا يتفقهون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقولهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهايم التي لا تفقه من الامر والتهى الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تهقل كمثل الناق بالغنم فهو لا يتفقه من نعيقه بشيء غير أنه عنى من الدعاء والنداء فكذلك الكفار ليس لهم من دعاء الاصنام وعبادتها الاعداء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم (صم بكم عمي) لما شبههم بالبهايم زادي في تسكينهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاه الرسول ولم يتفقهوا به

(ومثل الذين كفروا) المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذي ينعق) يصيح والمراد (بما لا يسمع الا دعاء ونداء) البهايم والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النعمة ودوى الصوت من غير القاء أذان ولا استنباط كمثل الناق بالبهايم التي لا تسمع الا دعاء الناق ونداء الذي هو صوت بهما وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر كنفهم العقلاء والنعيق التصويت قال نفق المؤمن ونفق الراعي بالاضان والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع (صم) خبر مبتدأ معمر أي هم صم (بكم) خبر ثان (عمي) عن

(لو يرى) ترى نافع وشامى على خطاب الرسول وكل مخاطب أى لو ترى ذلك لأيت أمر عظيماً (الذين ظلموا) إشارة إلى متخذى الانداد (اذبرون) يرون شامى (العذاب أن القوة لله جميعاً) حال (وأن الله شديد العذاب) شديد عقابه أى لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم شركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شئ من الثواب والعقاب دون أبادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عابوا العذاب يوم القيامة أسكن منهم ما يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة خفف الجواب لأن لو أذابها فيها شوق إليها ويخوف منه فلهذا يصل بجواب أيذهب القاب فيه كل مذهب (١١٠) ولويلها الماضي وكذا الأوزمة التبدل على الماضي وإعماذ خلتا على المستقبل

هنا لأن أخبار الله تعالى ركبوا في الفلك دعوا لله خصائصه الذين والمؤمنون لا يعدلون عن الله تعالى في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل إن المؤمنين يوجدون بهم والكفار يعبدون أصناماً كثيرة فتقص الحجة أصنام واحد وقيل أنما قالوا الذين آمنوا أشد حبا لله لأن الله أحبهم وألأفهم ومن شهده له المعبود بالحجة كانت محبته أتم وسيأتي بسط الكلام في معنى المحبة عند قوله بحبهم ويحبونه (ولو يرى الذين ظلموا) قرئ بآثاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني أشركوا في شدة العذاب لأيت أمر عظيماً وقى بألياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب حين يقذفهم في النار فمر فامضرة الكفرون ما اتخذوه من الأصنام لا ينفعهم (اذبرون العذاب أن القوة لله جميعاً) معناه لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة فاعلموا حين يرون العذاب أن القوة ثابتة لله جميعاً والمعنى أنهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما يتقنوا معناه أن قوله جميعاً وإن الأمر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود (وأن الله شديد العذاب) قوله عز وجل (اذبروا) أي تنزروا تبعاً بعد (الذين اتبعوا من الذين آمنوا وأوروا) والعذاب أي العقاب من مشركي الأنس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فينبرأ بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن أنفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرون من الأنس والقول هو الأول (وتقطعت بهم الأسباب) يعني الصلوات التي كانت بينهم في الدنيا يتوصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الأعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهد والولاء التي كانت بينهم يتوادون عليها وأصل السب في اللغة الحبل الذي يصبه به النخل وسمى كل ما يوصل به إلى شئ من ذمة أو قرابة أو مودة سبباً تشبيهاً بالحبل الذي يصبه به (وقال الذين أنبروا) يعني الاتباع (لأننا نكره) أي رجعة إلى الدنيا (فتنبأ منهم) أي من المتبرعين (كأنبروا مننا) اليوم كذلك برهم الله أي كأمرهم العذاب برهم الله (أعمالهم حسرات عليهم) لأنهم لا يقنوا بإهلاك والحسرة الغم على ما فاتته وشدة الندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي جعله على ما ارتكبه والمعنى إن الله تعالى برهم السبب أي أعماله وأرتكبوا في الدنيا فيتحسرون لم عملوا وقيل برهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل برهم منازلتهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو طعمتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم (وما هم بخارجين من النار) قوله عز وجل (يأيتها الناس كما أماني الأرض حلالاً طيباً) نزلت في تقيف وخزاعة عامر بن صعصعة وبنى مدح فبحر موعلى أنفسهم من الحرث والأعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحلال المباح الذي أحله الشرع ونحلت عقدة الخطر عنه وأصله من الحل الذي هو تقيف العقد والطيب ما يشهد والمسلم لا يستطيع الإحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لأن النجس تكرهه النفس وتعافه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا سبيله وقيل معناه (حسرات عليهم) ندامات

وهي مفعول ثالث برهم ومعناه إن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون الأحسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين من النار) بل هم فيها دائرون ونزل فيمن حرم موعلى أنفسهم البحار ونحوها (يأيتها الناس كما أماني الأرض) من الاتبعين لأن كل ما في الأرض ليس بما كحل (حلالاً) مفعول كما أماني الأرض (طيباً) طاهر من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرفه التي يدعوك إليها يسكون الطاء أبو عمر ووعبر عباس ونافع وحزرة أبو بكر والخطوة في الأصل ما بين قدمي الخاطئ يقال اتبع خطوانه إذا اقتدى به واستن بسنته

من ركوب السفن وخوض البحر وغـ بذلك الحامل ينفع لانه يرشح والمحمول اليه يتفجع بحاجته اليه
النوع الخامس قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من ماء) يعني المطر قيل أراد بالسماء السحاب سمى
سما لان كل ما علاك فلا ظلك فهو سما خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض قيل أراد السماء بعينها
خلق الله اناء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض (فاحياهه) أى بالماء (الارض بهـ موتها)
أى بسببها وجلبها بها مواتها وانما انزالها لذلك لتنبئ شيئا لم يصحها لظفر في كالماتة والآية في انزال المطر واحياه
الارض به ان الله تعالى جعله سببا لحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة اليه بمقدار
المغنة وعند الاستسقاء والدعاء انزاله بكان دون مكان النوع السادس قوله تعالى (وبث) أى فرق
(فيها) أى في الارض (من كل دابة) قال ابن عباس يريد بكل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من
الناس وغيرهم والآية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى أصل واحد وهو آدم ثم افترسهم من الاختلاف في
الصور والشكال والالوان والالسنه والطبائع والاخلاق والادوار الى غير ذلك ثم يقاس على بني آدم سائر
الحيوان النوع السابع قوله تعالى (ونصريف الرياح) يعنى في مهامها وقولادوروا وشمالا وجنوبا ونكسها
وهي الرياح التى تأتي من غير مهب صحيح فيكل ريح تختار لها مسمى فكسها وقيل نصريفها في أحوال
مهامها لينتفع وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها ترجع الى ابن عباس أعظم جود الله للريح وقيل
ما تريح بالشفاء من أوضده وقيل المشاركة في ثلاث رياح الصبا والسمال والجنب والدوروى الرياح
العقيم التى أهلكت بها عاد فلا مشاركة فيها والآية في الرياح انها جدم لطيف لا يملك ولا يرى وهي مع ذلك في
غاية القوة تقاع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلأما مكنت طرفه عين
لمت كل ذى روح وأنت ماعنى وجه الارض النوع الثامن قوله تعالى (والسحاب المسخري بين السماء
والارض) أى الغيم المنزل مى سحابا بالسرعة سيره كأنه يدحرج والآية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من
المياه العظيمة التى تسيل منها الاودية العظيمة يبق معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثلاثة المذكورة
في هذه الآية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار والواحد فى ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو
المارد من قوله والملك الواحد لا اله الا هو وقوله (آيات) أى فيما ذكر من دلائل صنعاته الدالة على
وحدانيته قيل (تاجع آيات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع آيات كثيرة تدل على ان لها خاتما
مدبر المختار (القول يعنون) أى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشياء
خالقا ومدبر مختارا وواحد قادرا على ما يريد قوله عز وجل (ومن الناس) يعنى المتكبرين (من يتخذون
دون الله أندادا) يعنى أصناما يعبدونها والنداء مثل المنازع فعلى هذا الاصنام أنداد بعضها البعض وليست
أنداد الله تعالى وتعالى الله أن يكون له أنداد له مثل منازع وقيل الانداد لا كفاهم من الرجال وهم رؤسؤهم
وكبرأؤهم الذين يطيعونهم في معصية الله تعالى (يحبونهم) أى يودونهم ويميلون اليهم والحب تقص البغض
وأحببت فلأما ما جعله عرضا بين محبة والمحبة الارادة (كحب الله) أى كحب المؤمنين الله والمعنى يحبون
الاصنام كحب المؤمنين ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيسكون المعنى أنهم يسوون بين
الاصنام وبين الله في المحبة قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة تعالى على ومن قال بالقول الثاني ثبت
للكفار محبة الله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب (والذين آمنوا أشد حبا لله) أى أثبت وأدوم
على محبته لانهم لا يتخارون مع الله سواءوا المشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا آخر أحسن منه طرحوا الاول
اخترار والثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن أصنامهم في الله أشد يقولون الى الله تعالى كما أخبر عنهم فإذا

ثم عطف على انزل (فاحيا)
 به) بالماضي (الارض بعد
 موتها) يسها ثم عطف على
 فاحيا (وبث) و الفرق
 (فيها) في الارض (من
 كل دابة) هي كل ما يدب
 (ونصر بف الرياح) الريح
 جزءة على أى وتقلبهافي
 مهاها اقبولادور اوجنوبا
 وشمالا وفي أحوالها حارة
 وباردة وعاصفة وائمة
 وعقما ولواقح وقيل تارة
 بالرجعة وطورا بالعذاب
 (والسحاب المسخر)
 الدلل المقاد لمشيئة الله
 تعالى فيعطر حيث شاء
 (بين السماء والارض) في
 الهواء (لآيات اقوم بعقون)
 ينظرون بعيون عقولهم
 ويعتبرون فيستدلون بهذه
 الاشياء على قدرة موجد
 وحكمة مبدعها ووحداية
 منشئها وفي الحديث ويل
 لمن قرأ هذا الآية فمجهها
 أى لم يفكر فيها ولم يعتبر
 بها (ومن الناس) أى ومع
 هذا البرهان الثبوتى للناس
 (من يشكّنن دون الله
 ندادا) أمثالا من الاصنام
 (يعبّونهم) يعظمونهم
 يخضعون لهم تعظيم
 المحبوب (كعب الله)
 كتعظيم الله والمضوع له
 يعبّون الاصنام كما
 عبّون الله يعنى يسوون بينهم

وَيَذِيقُهُ فِي مَجْهَدِهِمْ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَفِرُّونَ بِاللَّهِ وَيَقَرُّونَ بِهِ - وَقِيلَ يُحِبُّونَهُمْ حُكْمَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لَهُ) مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَا أَهْلُهُمْ
لَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ بِحَالٍ وَالْمُشْرِكُونَ يَعْلَمُونَ عَنْ أَفْعَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الشَّهَادَةِ فَيَفِرُّونَ بِهِ وَيَخْضَعُونَ لَهُ

عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود وحرت عليهم الشحوم فجاءوا فباعوا وهاوذهبهم
 الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل جواز قتله وأما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم
 على التعيين وأما على الإطلاق فيجوز لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة
 والحبل فتنقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربوا وكاهن من
 غير منازلة الارض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذه في الصحيح **قوله عز وجل (والحكم الواحد) سب نزول**
 هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص
 ومعنى الوحدة الاثر حقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعه ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد
 لا نظيره وليس كذا شيء وقيل واحد في الوهية وهو بويته ليس له شريك لان الشركين أشركوا معه الآلهة
 فكذبهم الله تعالى بقوله **والحكم الله الواحد** يعني لا شريك له في الوهية ولا نظيره في الربوبية والتوحيد هو
 نفي الشريك والتقسيم والشبه فالتة الى واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في معنوياته وواحد في ذاته
 لا قسم له وواحد في صفاته لا شبهة شيء من خلقه **(لا اله الا هو)** تقديره للوحدة باني بني غيره من الألوية
 وأثبتها له سبحانه وتعالى **(الرحمن الرحيم)** يعني انه اولى لجميع النعم أصولها وفروعها فلا شيء سواه بهذه
 الصفة لان كل ما سواه امانة وامانة عليه وهو النعم على خلقه الرحيمهم عن أسماء بنت يزيد قالت
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين **والحكم الله الواحد لا اله الا هو**
الرحمن الرحيم وفاقحة آل عمران المائدة لا اله الا هو والحق القوم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
 صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون ان محمدا يقول الحكم الله واحد فلما تبين ان كان صادقا
 فانزل الله تعالى **(ان في خلق السموات والارض)** وعلمه كيفية الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم الى
 التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعات وافتان أفعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في
 الوجود صانع له هذه الافعال لاستحال اتفاقها على أمر واحد ولا تمتنع في أفعاله التساوي في صفة
 السكالات فثبت بذلك ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجائب مخلوقاته
 ثمانية أنواع **قوله** ولما قولنا في خلق السموات والارض وانما جميع السموات لانها اجناس مختلفة كل سماء
 من جنس غير جنس الاخرى ووحدة الارض لانها اجنس واحد وهو التراب والآية في السماء هي سماءها
 وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الارض مدو وبسطها
 على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والخيوط والانهار والاشجار والثمار والنبات **قوله** النوع
 الثاني قوله تعالى **(واختلاف الليل والنهار)** أي تعاقبهما في المحي والذهب وقيل اختلافهما في الطول
 والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة أقدم والآية في الليل
 والنهار ان انتظام أحوال العباد بسبب طاب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة
 يكون في الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد **قوله** النوع الثالث قوله تعالى **(والفلك)**
 التي تجري في البحر أي السفن واحدة وجمعه سواء وسمى البحر بحر الانساعة وانسباطه والآية في الفلك
 تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا تقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة
 وتسخير البحر لجل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينحى منه الا الله تعالى **قوله** النوع الرابع قوله
 تعالى **(يما ينفع الناس)** يعني ركوبها او حملها في التجارات لطلب الارباح والآية في ذلك ان الله تعالى
 لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجارتهم ومنافعهه وأيضا فان الله تعالى خص كل قطر
 من أقطار العالم بشيء معين وأوج السلك الى السلك فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار

(والحكم الواحد) فرد
 في ألوهيته لا شريك له
 فيها ولا يصح أن يسمى غيره
الحاكم (لا اله الا هو) فترى
 للوحدة باني بني غيره وثبانه
 وموضع هو رفع لانه بدل
 من موضع لا اله الا يجوز
 التصب هنا لان البدل بدل
 على أن الاعتقاد على الثاني
 والمضى في الآية على ذلك
 والتصب يدل على أن الاعتقاد
 على الاول ورفع **(الرحمن**
الرحيم) أي المولى لجميع
 النعم أصولها وفروعها ولا
 شيء سواه بهذه الصفة فما
 سواه امانة وامانة عليه
 على أنه خبر مبتدا أو على
 البديل من هو لا على
 الوصف لان اضطر لا يوصف
 ولما عجب المشركون من
 الواحد وطولوا آية على
 ذلك نزل **(ان في خلق**
السموات والارض
واختلاف الليل والنهار)
 في الآون والطول والنقص
 وتعاقبهما في الذهاب
 والمحي **(والفلك التي**
 تجري في البحر يما ينفع
 الناس) بالذي ينفعهم بما
 يحمل فيها أو ينفع الناس
 ومن في

(ما نزلنا) في التوراة
(من البينات) من الآيات
الشاهدة على أمر محمد عليه
السلام (والهدى) الهداية
إلى الاسلام بوصفه عليه
السلام (من بعد ما بيناه)
أوضحناه (لأناس في الكتاب)
في التوراة لم ندع فيه
موضع اشكال فعمدوا
إلى ذلك المبين فكتموه
(أولئك يلغونهم الله)
الاعنون) الذين يتأقون
لهم وهم الملائكة والمؤمنون
من الثقليين (الذين تابوا)
عن الكتمان وترك الايمان
(وأصلحو) ما أفندوا من
أحوالهم وتداركوا
ما فرط منهم (وبينوا)
وأظهروا ما كتموا
(فأولئك أتوب عليهم)
أقبلتوبتهم (وأنا التواب)
الرحيم ان الذين كفروا
وأنابواهم كفار) يعني
الذين ماتوا من هؤلاء
الكافرين ولم يتوبوا (وأولئك)
عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين) ذكر
لعنتهم أحياء ثم لعنتهم
أمواتا والمراد بالناس
المؤمنون أو المؤمنون
والكافرون اذ بعضهم
يلعن بعضا يوم القيامة
قال الله تعالى كلما خلت أمة
لعنت أختها (خالدين) حال

على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعله فعلا زائدا على ما افترض عليهم من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمره وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بها وهذا على قول من لا يرى الطواف بها فافترضوا قيل معناه من تطوع خيرا فافترضوا في الطواف بعد الواجب والقول الأول أولى للعموم (فان الله شاكر) أي مجاز على الطاعة (عليه) أي بنيت حقيقة الشكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر هو تصور النعمة وإظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لانه لا يباح له المنافع والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به أمر يدعي أنه المجازي على طاعة بالثواب الآن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظهرا في الاحسان اليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم وغيرهما من الاحكام التي كانت في التوراة وقيل ان الآية على العموم فيمن كتم شيئا من أمر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الأول وانها في اليهود قال ان الكتمان لا يصح الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع الحاجة الى بيانه واظهاره من كتم شيئا من أمر الدين فقد عظمت مصيبتة (ق) عن أبي هريرة قال لولا آياتنا لنزلنا الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله واخذ الله ميثاق الذين أنزلنا الكتاب ان يبينه للناس ولا تكتمونه الى آخر الآيتين وهما اظهار علوم الدين فرض كفاية وأما فرض عين فيه خلاف والاصح انه اذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول اليه لم يبق مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء بعلمه من أمر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه من الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة (أولئك) يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى (يلغونهم الله) أي يبعدهم من رحمة وأصل اللغوي في اللفظ الطرد والابعاد (ويلغونهم الاعنون) قال ابن عباس جميع الخلائق الاجن والانس وذلك ان البهائم تقول انما منعنا القطر بما صبي بني آدم وقيل الاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم بوصف من يعقل وقيل ما نال الاعن ثنائ من المسلمين ارجعت الى اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استغنى فقال تعالى (الذين تابوا) أي ندموا على ما فعلوا وفرجوا عن الكفر الى الاسلام (وأصلحو) يعني الاجمال فيما بينهم وبين الله تعالى (وبينوا) يعني ما كتموا من العلم (فأولئك أتوب عليهم) أي اتجاوز عنهم وأقبلتوبتهم (وأنا التواب) أي اتجاوز عن عبادي الرجاء بقولهم المتصرفين الى (الرحيم) يعني بهم بعد اقبالهم على ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قيل هذا الامن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فوقف فيلعنه الله ثم تالعه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه أهل دينه وملته فامعنى قوله والناس أجمعين قلت فيه أوجه أحدها انه أراد بالناس من يعتد بآراءهم المؤمنين الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعن الظالمين والكفار من الظالمين فيكون قد لعن نفسه (خالدين فيها) أي يقيمون في اللعنة وقيل في النار وانه أضمرت اعطاشهم (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي لا يملكون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتدروا وقيل لا ينظرون اليهم نظر رحمة فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم ﴿قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة لا يعلم فاعله يموت على الاسلام وقد شرط في هذه الآية اطلاق اللعنة على من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار من هم في عالمهم﴾ (فيها) في اللعنة أو في النار لانهم أضمرت تفخيخا لاشأانهم وتوبوا (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) من الانظار أي لا يملكون ولا ينظرون ليعتدروا ولا ينظرون اليهم نظر رحمة

(فلا جناح عليه) فلا
 اسم عليه (أن يطوف بهما)
 أي يتطوف فادغم التاء
 في الطاء وأصل الطوف
 المشي حول الشيء والمراد
 ههنا السعي بينهما قيل كان
 على الصفا أساف وعلى
 المروة نائلة وهما من
 يروى أنهما كانا رجلا
 وامراة نيا في السكينة
 فسحا سحرين فوضعا
 عليهما ليعتبر بهما فلما
 طالت مدة عبد من دون
 الله وكان أهل الجاهلية إذا
 سوا مسحوا فلهما جاء
 الاسلام وكسرت الاوتان
 كره المسلمون الطواف
 بينهما لاجل فعل الجاهلية
 فرفع عنهم الجناح بقوله
 فلا جناح وهو دليل على
 أنه ليس بركن كقوله ذلك
 والشافعي رحمه الله تعالى
 وكذا قوله (ومن تطوع
 خيرا) أي الطواف بهما
 مشعر بأنه ليس بركن ومن
 يطوع حسرة وعلى أي
 يتطوع فادغم التاء في الطاء

فصد زيارته (فلا جناح عليه) أي فلا ثم عليه وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم (أن يطوف
 بهما) أي يدور بهما أو يسعى بينهما * وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا المروة صفتان يقال لهما
 أساف ونائلة فكان أساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة
 تظاهرا للصفا من فلما جاء الاسلام وكسرت الاوتان حرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل
 الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر أنه من شعائره (ق) عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت
 لانسأ كذا ثم تكسر هو السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لاسأ كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله
 ان الصفا والمروة من شعائره في حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفي رواية قال كانت
 الاضار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائره (فصل)
 اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول
 ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى أنه تطوع وهو قول ابن
 عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وأبو حنيفة الى أنه ليس بركن وعلى من تركه دم روى عن ابن
 الزبير مجاهد وعطاء أن من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن أحد في ذلك فروى عنه ان من ترك
 السعي بين الصفا والمروة لم يجزئه حجه وروى عنه أنه لا شيء في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبي أن يتركه ونقل
 الجمهور عنه أنه تطوع وسبب هذا الاختلاف أن قوله تعالى فلا جناح عليه يصدق عليه أنه لا ثم عليه في فعله
 فدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب
 أو ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر اشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحدها
 فإذا ابد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب وغير واجب فتجوز الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين
 الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرني بنت
 أبي نجران واسمها حبيبة احدي نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار أبي الحسين
 فنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأته يسعى وان مئزره ليدور من شدة
 السعي حتى لا يقول في لاري ركبته وسدته يقول اسدوا فان الله كتب عليكم السعي ويحبه الدار فطني
 (ق) عن عروة بن الزبير قال قلت لأم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم رأيت قول الله ان الصفا والمروة
 من شعائره في حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما
 فقال عائشة كذا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما انما نزلت هذه الآية في الاضار
 كانوا يملكون لما ذكروا كانت ناقة حذوقه وكانوا يبتعدون عن أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلهما جاء الاسلام
 سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائره الآية (م) عن جابر بن
 حذيفة الطويل في قصة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب الى الصفا فلعادنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة
 من شعائره الآية فبدأ يهدى الله به فبدأ بالصفا الحديث فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا
 السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم ولا مرام للوجوب ومن القيس أن
 السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتي به في احرام كامل فكان ركننا كطواف الزيارة واحتج
 أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذه الآية لا في الواجب ثم انه
 تعالى كذا ذلك بقوله (ومن تطوع خيرا) فمن أنه تطوع وليس بواجب وأجيب عن الاول بأن قوله تعالى
 فلا جناح عليه ليس فيه إلا أنه لا ثم على فعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون
 فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعف لان هذا يقتضي
 أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف الذي كور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئا آخر يدل

الى قوله عند قدريوسف يا أسفا على يوسف وقيل في قول العبد امانة واما اليه راجعون فتقوى منه الى الله
وانه راض بكل ما نزل به من المصائب (أولئك) يعني من هذه صفتهم (عليهم صلوات من ربهم) قال
ابن عباس أى مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أى اغفر لهم وارحمهم
وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة (ورحمة) قال ابن عباس ومنه قوله والرحمة
من الله لانعمه وافضاله وحسانه ومن الآدميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة
من الله الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل
كرهما للتأكيده أى عليهم رحمة بعد رحمة (وأولئك هم المهتدون) يعنى الى الاسترجاع وقيل الى الجنة
الفائزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العبدان ونعمت العلاوة
فالعبدان الصلاة والرحمة والعلوة الهداية

فصل في ذكر أحاديث وردت في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين (خ) عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصيب منه يعنى يتلبه بالمصائب حتى يأجره على ذلك (ق) عن
أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه به أو صابها بالصبر والتعب والاعياء والوصب المرض (ق)
عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فمساواه الا حظ الله به
عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
كمثل الزرع لاتزال الريح نفثه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارزة لاتثمر حتى
تخصد الارزة شجرة هرورف بالشام ويهرق في العراق ويهرق بالصنوبر والصنوبر عرعر الارزة وقيل الارزة
النابتة في الارض عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله بعد خيرا عاجل له العقوبة في
الدنيا وادأراد الله به بدئا أسلك عنه حتى يوفى يوم القيامة وهذا الاسناد من النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط
أخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى
أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا لالمقار يض وله عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنين في نفسه وولده حتى يلقي الله وماعليه خطيئة وقال حديث
حسن صحيح (ح) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الملعون المؤمن
عندى جزاء اذا قبضت صفه من أهل الدنيا ثم احبته الا الجنة عن سعد بن أبي وقاص قال قلت يا رسول الله
أى الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يلقى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد
بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فبايرح البلاء بالبعد حتى يتركه على الارض وماعليه خطيئة
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن قوله عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) الصفا قمصه صفته وهى
الصخرة الصلبة المسماة وقيل هى الحجارة العافية والمروة الحجر الرخو وجمعهما رومروا وهذا من أدلهما فى
الثقة واتماعتى الله بهما الجباين المعروفين بمكة في طرقى المسمى ولذلك أدخل فيهما الاثني واللام وشعائر الله
أعلام دينه وأصلها من الاشجار ووهى الاعلام واحداثها شجرة وكل ما كان معاشرا بان يتقرب به الى الله
تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معاملة الظاهرة للحواس ويقال
شعائر الحج فالمطاف والموقف والمحر كها شعائر والمراد بالشعائر هتاف المساك التي جعلها الله أعلاما لطاقته
فالصفا والمروة منها حيث يسمى بينهما (فن حج البيت) أى قصد البيت هذا أصله في اللغة وفى الشرع عبارة
عن أفعال مخصوصة لاقامة المناسك (وأاتمركم) أى زار البيت والعمره الزياره فى الحج والعمره المشركوعين

أقرا على نفوسنا بالهلك
(أولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة) الصلاة
الحق والتعطف فوضعت
موضع الرأفة وجمع بينها
وبين الرحمة كقوله رأفة
ورحمة رؤف رحيم والمعنى
عليهم رأفة بعد رأفة
ورحمة بعد رحمة (وأولئك
هم المهتدون) لطريق
الصواب حيث استرجعوا
وأذعنوا الامر الله قال عمر
رضي الله عنه نعم العبدان
ونعم العلاوة أى الصلاة
والرحمة والاهتداء (ان
الصفا والمروة) هما علمان
للجباين (من شعائر الله)
من أعلام مناسكه
ومن بدائنه جمع شعيرة
وهى الصلاة (فن حج
البيت) قصد الكعبة
(وأاتمركم) زار الكعبة
فالحج القصد والاعتماد
الزيارة ثم غلبا على قصد
البيت وزيارته بالنسبة
المعروفين وهما فى المعانى
كالنعم والبيت فى الاعيان

(واكن لا تشعرون) لانهم لو علموا ذلك لان حياة الله بدلائل حسان الحسن رضى الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارحامهم ويعمل الله لهم الروح والروح كما مرض البار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجم وعن محمد بن رزقون تمر الجنة وبعثون ربهم والى واقعهم (ولك نوبكم) (١٠٤) ولما صلبكم بذلك اصابه تشبه فعل الخبير لحوالكم هل تصبرون على

و يدل على ذلك قوله تعالى (واكن لا تشعرون) أى لا تروهم احياء فعلموا ذلك حقيقة وانما علموا ذلك باخبارى اياكم به من قبل ايس سائر المطيعين من المسلمين به يصل اليهم من نعم الجنة في قلوبهم فلم يحصل الشهداء بالذكوات انما صدمهم لان الشهداء فاعلوا على غيرهم بذكر النعم وهو انهم رزقون من مطاعم الجنة كما كانوا غيرهم بنعمهم بما دون ذلك وجواب آخر وهو انه رد اقول من قال ان من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعم الدنيا ولما اتاهم اخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم في نعيم دائم ﴿ قوله عز وجل (ولنبلوكم) أى واختبركم بكم يا نعمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلوكم ولا يلاء اظهار النظم من المعاصي لا يعلم شيئا لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء وقيل كونها وحديثها (يشئ) انما قال بشئ ولم يقل باشياء لئلا يوهى ان اشياء تدل على ضرر وب من الخوف وكذا البقى فما قال بشئ كان التقدير بشئ من الخوف وبشئ من الجوع وقيل ما به شئ قليل من هذه الاشياء (من الخوف) قال ابن عباس يعنى خوف العدو والخوف توقع مكره يحصل منه أى في القلب (والجوع) يعنى القحط وتغير حصول القوت (ونقص من الاموال) يعنى بالملك والخسران (والانفس) أى ونقص من الانفس بالموت والقتل (والخمرات) يعنى الجوائح في الخمر وقيل فيكون الجلب أيضا بترك العمل والعمارة في الاشجار وحكى عن الشافعى رضى الله عنه في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعنى الخراج الزكاة والصدقات والانفس يعنى بالامراض والخمرات يعنى موت الاولاد لان الولد نعمة لقلب عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى الملائكة اقبضتم ولد عبدى قالوا نعم قال اقبضتم ثمرة قواده قالوا نعم قال فاذا قال قالوا حسبك واسترجع قال ابناؤه اليه في الجنة وسماه به الحد أخرجه الترمذى وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلوكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشئ وطن نفسه على الصبر فاذا انزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المؤمنين مقربين على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدهم ذلك الى متابعتهم والدخول فيها ومنها ان الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة لله صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما اخبر الله انه مبتلى عياده فعد ذلك تمييزا للمؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال الابتلاء اذا شد اخلاصه لله في حال الخفاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال الى الله تعالى لينجيه بمعاسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى (وبشر الصابرين) يعنى عند نزول البلاء والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بوله تعالى (الذين اذاصابهم مصيبة) أى نائبة وابتلاء (قالوا ان الله) أى عبيد اؤملك (وانا اليه راجعون) يعنى في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مصيبة مصيبة فيقول ان الله وانا اليه راجعون اللهم اجزني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا تجره الله في مصيبتى واخلف خيرا منها قبيل ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الامة يعنى الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطى أحد ما أعطى يعقوب عليه السلام الا تسمع

ما أتم عليه من العافية (لا يشئ) بطيل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه وقل ليؤذن أن كل بلاء مآل الانسان وان جـل دفعه ما يقبل اليهم ويرى من أن رحمة معهم في كل حال وأعلمهم بوقوع البلاء قبل وقوعه ليطمئنون أنفسهم عليهم (من الخوف) خوف الله والامور (والجوع) أى القحط اومر يوم شهر رمضان (ونقص من الاموال) تبوت المواتى أو الزكاة وهو عطف على شئ أو على الخوف أى وشئ من نقص الاموال (والانفس) بالقتل والموت أو بالمرض والشيب (والخمرات) غمرات الحرب أو موت الاولاد لان الولد نعمة القواد (و بشر الصابرين) على هذه البلايا والمسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتة وأحسن عقابه وجعل له خلفا لها برضاة وطنى سراج رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال الله وانا اليه راجعون فقيل مصيبة هي قال نعم كل شئ يؤذى المؤمن فهو مصيبة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة (الذين) نصب صفة للصابرين ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون ومن ابتدأ بالذين وجعل الخبرا وانك يقف على الصابرين لا على راجعون والاول الوجه لان الذين وبعده بيان للصابرين (اذا) أصابهم مصيبة (مكرهه اسم فاعل من أصابته شدة أى لحقته ولا وقف على مصيبة لان (قالوا) جواب اذا واذا وجوابها صلة الذين (ان الله) افرار له بالملك (وانا اليه راجعون)

وهذا مما استدل به المعتزلة ومن وافقهم على تفصيل الملائكة على الانبياء وأجيب عنهم بالذكري غالباً
 يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً الخ وهذا من أحاديث الصفات
 ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التأويل فليكن هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والحرولة
 استعارة ومجاز فيكون المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد
 بقرب الله من العبد قرب نعمه والظافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيضه وواجبه ورحمته عليه والمعنى كلما
 زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان أتيتني في طاعتي أتيتني حرولة أي صبت عليه الرحمة
 صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
 أنامع عبدي ما ذكرني ونحرتني شغفاه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مثل الذي يذكره والذي لا يذكره كمثل الحي والميت (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا المفردون يا رسول الله قال الذين ذكر الله كثيراً
 والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد
 الرجل اذا تفقه واعتزل وقوله تعالى (واشكروا لي) يعني بالطاعة (ولا تكفرون) أي بالصليفة في أطاع
 الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)
 التماسخما بذلك لما فيهما من المنوعة على العبادات أما الصبر فهو حرس النفس على احتلال المسكارة ذات
 الله وتوطئها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس
 من حل الصبر على العوم وفسره به ومنهم من حله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلا تنحجب أن تفعل على
 طريق الخسوع والتدلل للعبد والاختلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض
 وبالصالحات المحسنة في مواقيتها على تجنب الذنوب (ان الله مع الصابرين) أي بالاعون والنصر (ولا تقولوا
 لمن يقتل في سبيل الله أموات) نزلت فيمن قتل بيد من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستمت من
 المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمر بن أبي وقاص بن عهي بن عبد مناف بن زهرة
 الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو النجاشي واسمه عجير بن عبد عمرو بن العاص بن نضلة بن عمرو بن
 خزاعة ثم بني غسان وعاقل بن البكير من بني سعد بن لبث بن كنانة ومعه حمزة بن عبد المطلب
 وصفه وان بن بياض من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد بن المنذر
 ويزيد بن الحارث بن قيس بن فهد وعجير بن الحارث ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ
 ابنا الحارث بن رفاع بن سواد وهما ابنا عفره وهما أهمهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات
 فلان وذهب عنه نعم الدنيا ولذاتها فائز الله تعالى هذه الآية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس
 يقتلون أنفسهم ظاهراً المرضة محمد من غير فائدة فبطلت هذه الآية وأخبار من قتل في سبيل الله فانه يقول
 تعالى (بل أحياء) وانما أحياء الله عز وجل في الوقت لا يصل الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء أحياء
 عند الله تعالى تعرض أرواحهم على أرواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على
 أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على أن المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم
 وهم في قبورهم في البرزخ وكذلك العصاة بعد موتهم فان قتل نحن نراهم موتى فاعنى قوله بل
 أحياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله وأت قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة
 غيرهم من الاموات بل هم أحياء متصل أرواحهم إلى الجنان كما ورد ان أرواح الشهداء في حواصل طير
 خضر تنسرح في الجنة فيهم أحياء من هذه الجهة وان كانوا أموات من جهة خروج الروح من أجسادهم
 وجواب آخر وهو انهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا إلى الآخرة فنحن لانشهدهم كذلك

بالمغفرة أو بالثناء والعطاء
 أو بالسؤال والنوال أو
 بالتوبة وغفر الحوبة أو
 بالاخلاص والخلص
 أو بالنجاة والنجاة
 (واشكروا لي) ما أنعمت
 به عليكم (ولا تكفرون)
 ولا تتجحدوا نعمائي (يا أيها
 الذين آمنوا استعينوا
 بالصبر) فيه مال كل فضيلة
 (والصلاة) فانها انتهى
 عن كل رذيلة (ان الله مع
 الصابرين) بالنصر والمعونة
 (ولا تقولوا لمن يقتل في
 سبيل الله) نزلت في شهداء
 بدر وكانوا أربعة عشر
 رجلاً (أموات) أي هم
 أموات (بل أحياء) أي هم
 أحياء

فيكم واما عرفوا من الحق (فلا تخشوهم) أي ولا تخافوهم في انصراكم الى الكعبة في نظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة فاني واياكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والضرورة (واخشوني) أي احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما اؤتمنتم به وفرضه اياكم (ولانتم نعمتي عليكم) أي وليكي اتم نعمتي عليكم بهدائي اياكم الى قبلة ابراهيم لتسلك الملة الحنيفية وقيل نعم النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم رؤية الله تعالى (واعلمكم تهتدون) أي اسي تهتدون ان السلف الاول وعسى من الله واجب (فلا تخشوا الله عز وجل) كما رسنا فيكم) كاف التشبيه يحتاج الى شيء ترجع اليه فقبل ترجع الى ما قبلها ومعناها ولا تمنعني عليكم كما رسنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعت قومهم رسولنا منهم وقال ربنا واجعلنا مساهمين لك ومن ذر ينقأمة مساهمة لك فبعت الملة فيهم رسولنا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وعدد اجابة الدعوة لثانية بان يجعل في ذر يتهمة مساهمة والمعنى كما اجبت دعوتيه ببعثة الرسول كذلك اجبت دعوتيه بان اهدىكم له دينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل ان الكاف متعاقبة بما بعدا وهو قوله فاذا كروني اذ كركم والمعنى كما رسنا فيكم رسولنا فيكم رسولنا منكم فاذا كروني ووجه انشاءه ان النعمة بالذ كرجاء به مجرى النعمة بما رسال الرسول وان قالنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة وفيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي رساله رسولنا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم لان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما رسنا فيكم يابعد شر العرب (رسولنا منكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليكم آياتنا) يعني القرآن وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر (وبرز كيكم) أي ويظهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل بهمكم ما اذا فعلوه وصرتهم اذ كبرياء مشعل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال (وبعالمكم الكتاب) يعني احكام الكتاب وهو القرآن وقيل ان التناجيم غير الثلاثة فليس يتكرار (والحكمة) يعني السنة والفقه في الدين (وبعالمكم ما لم تكونوا تعلمون) يعني بعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرن الاخالية وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية في عالم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا كروني) قبل الذ كركم يكون باللسان وهو ان يسبحوه ويمجده ويحذو ذلك من الازكار و يكون بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله تعالى وفي الدلائل الدالة على وحدانيته و يكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرق في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل (اذ كركم) أي بالتوابع والرضا عنكم قال ابن عباس اذ كروني بطاعتي اذ كركم بمعنوي وقيل اذ كروني في النعمة والرخاء اذ كركم في السدة والبلاء وقال اهل المعاني اذ كروني بالتوحيد والايان اذ كركم بالجنان والرضوان وقيل اذ كروني بالاخلاص اذ كركم بالاخلاص اذ كروني بالقلوب اذ كركم بغفران الذنوب اذ كروني بالدعاء اذ كركم العطاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا اذ كركم فان ذكركم في نفسه ذكركم في نفسي وان ذكركم في ملاذ كركم في ملاذ برئته وان تقرب الى شربنا تقرب اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعتنا تقرب اليه باعوان انا في عيشي اشتهه هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قبل معناه بالغفران اذا استغفروا بالقول والالاجابة اذا ادعوا بالسكابة اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه اذا اذ كركم يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكركم في نفسه ذكركم في نفسي النفس في اللغة معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكركم خائلا ذكركم بالانابة والجازاة بما اطاع عليه احدث قوله وان ذكركم في ملاذ كركم في ملاذ برئته الملائش اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رأيهم

الانبياء عليهم السلام أو معناه لثلا يكون للعرب عليكم حجة واعراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل في العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدله فرجع الى قبلة آباءه ويوشك ان يرجع الى دينهم ثم استأنف منها بقوله (فلا تخشوهم) فلا تخافوهم اطاعهم في قبلكم فانهم لا يضر ونصكم (واخشوني) فلا تخشوا الله عز وجل (ولانتم نعمتي عليكم) أي عرفكم تلامت يكون عليكم حجة ولا تمنعني عليكم بهدائي اياكم الى الكعبة (واعلمكم تهتدون) واسي تهتدون الى قبلة ابراهيم الكاف في (كأرسنا فيكم) اذ ان يتعلق بما قبله أي ولا تمنعني عليكم في الآخرة بالتوابع كما تمتعنا عليكم في الدين بما رسال الرسول أو بعده أي كذا كركم بما رسال الرسول فاذا كروني بالطاعة اذ كركم بالتوابع فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الاول لا (رسولنا منكم) من العرب (يتلوا عليكم) يقرأ عليكم (آياتنا) القرآن (وبرز كيكم) ويظهركم (وبعالمكم الكتاب) القسرات (والحكمة) السنة والفقه (وبعالمكم ما لم تكونوا تعلمون) لا سبيل الى معرفته الا بالوحى (فاذا كروني) بالنعمة (اذ كركم) وهذا

المعتبرين) الشاكين في انه من ربك (ولكل) من أهل الاديان المختلفة (وجهة) وقيلة وفري هو الضمير في (هو) لكل وفي (موليها) الوجهة أي هو موليوها وجهه خذ فأحد القبولين أو هو الله تعالى أي الله موليا لها هو ولاها شأى أي هو مولى تلك الجهة قد ولها والمعنى ولكل أمة قبله يتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) أتم (الخيرات) فاستبقوا (١٥١) البها غيركم من أمر القيلة وغيره

(أينما تكونوا) أتم
وأعداؤكم (بات بكم الله
جميعه) يوم القامة فيفضل
بين الحق والمبطل أو لكل
منكم يأمة بموجهة جهة
يصلى البها جنوبية أو
شمالية أو شرقية أو غربية
فاستقبلوا الفضلات من
الجهات وهي الجهة المسماة
للكعبة وإن اختلفت أينما
تكونوا من الجهات
المختلفة بات بكم الله جميعا
وبجمعكم ويجمع صلاتكم
كانها الى جهة واحدة
وكانكم تصالون حاضري
المسجد الحرام (إن الله
على كل شئ قدير ومن
حيث خرجت) ومن أي
بلد خرجت للسفر (فول
وجهك شطر المسجد
الحرام) اذا صليت
(وأنه) وإن هذا المأمور به
(للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون) ومن
بالياء أبو عمر (ومن
حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيثما
كنتم فولوا وجوهكم
شطره) وهذا التكرير
تأكيده أمر القيلة وتشديده
لان النسخ من طان
الفطنة والشبهة فيكره

المعتبرين) أي من الشاكين في ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى أمر القيلة والمعنى
أن بعضهم عاندوكم الحق فلا تشك في ذلك فإن فات النبي صلى الله عليه وسلم لم يعترفوا بشك فامعنى هذا
النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكوا أنتم أيها
المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله عز وجل (ولكل وجهة) أي ولكل أهل ملة قبله والوجهة اسم
للمتوجه اليه وقيل الوجهة الهيئة والحالة في التوجه الى القيلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع
المؤمنين أي ولكل أهل جهة من الأفاق وجهة من الكعبة يصالون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع
والمعنى ولكل قوم شرعة وطريقة لان الشرائع صالحة للعباد فهاذا اختلفت الشرائع بسبب اختلاف
الزمان الاشخاص (هو موليا) أي مستقبلا والمعنى ان لكل أهل ملة وجهة هو مولى وجهه البها وقيل
متوليها أي مختارها وقيل ان هو عائد على اسم الله تعالى والمعنى ان الله موليا لها وقيل هو لاها أي مصروف
اليها (فاستبقوا الخيرات) أي بادروا بالطاعة وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى الاولوية والافضلية
فعلى هذا تكون الآية دليلا للذهب الشافعي في ان الصلاة في أول الوقت أفضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان
ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا أول من الندب (أينما تكونوا) يعني أتم وأهل الكتاب
(بات بكم الله جميعا) يعني يوم القامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعد لاهل المعصية بالعقاب (ان الله
على كل شئ قدير) أي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة قوله
عز وجل (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره
فول وجهك بالمجد قبل المسجد الحرام ونحوه (وأنه) يعني التوجه اليه (للحق من ربك) أي الحق الذي
لا شك فيه حافظ عليه (وما الله بغافل عما تعملون) أي ليس هو ساه عن أعمالكم ولكنه محصيه لكم وعليكم
فيجاز بكم يوم القامة (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره) فإن قلت هل في هذا التكرار فائدة قلت فيه فائدة عظيمة جلية وهي أن هذه الواقعة أول الواقع
التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التأكيد واتقير رازلة الشبهة وايضا
البيان فحسن التكرار فيه لقلهم من جهة الى جهة (لئلا يكون للناس عليكم حجة) قيل أراد بالناس أهل
الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش واليهود فادق ريش فقالوا رجع محمد الى الكعبة لانه علم
انما الحق وانما قبله أي ميسر جمع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس
مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم متصلا بصحبيهما والمعنى
لا حجة لاحد عليكم الا مشركو قريش واليهود فانهم يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل
حجة لان اشتقاقهم من حجة اذا غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى
تجتهم داحضة عند ربهم وقيل هذا الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم
يجادلونكم بالباطل كما قال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بين فول من قراع الكتاب
أي لكن سيوفهم بين فول وليس يعيب وقيل في معنى الآية ان اليهود عرفوا ان الكعبة قبله ابراهيم
ووجدوا في التوراة ان محمد اسيح حول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجد في كتابنا سيحول
الى الكعبة ولم تحول أنت فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم (الا الذين ظلموا منهم) أي الا ان ظلموا

عليهم اي يتبوا على انه نبى بكل واحد منهم بالآخر فاختافت فأنه (لئلا يكون للناس عليكم حجة) أي قد عرفكم الله جل جلاله أمر
الاحتجاج في القيلة بما قد بين في قوله ولكل وجهة هو موليا لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القيلة
وأطلق اسم الحجة على قول المعادين لانهم يدعون سياق الحجة (الا الذين ظلموا منهم) استثناء من الناس أي لئلا يكون حجة لاحد من اليهود

وان الذين اتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) أى القبول بل الى العتبة هو الحق لانه كان في إشارة أنبيائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى الى القلتين (من ربه وما تعلمه من علمهم) بالياء على وأبو عمر ونافع وعاصم وبالشاء غيرهم فالاول وعيد للكافر بن العقاب على الخلود والاباء الثاني وعيد للمؤمنين بالثواب على القبول والاداء (ولئن أثبت الذين اتوا الكتاب) أرادوا الذين اتوا الكتاب (بكل آية) برهان قطع ان التوجه الى العتبة هو الحق (ماتبعوا قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيم بل بابرادار الحجة انما هو عن كبرياء وعنادهم عليهم في كتبهم من اعتك (١٥٠) على الحق وحجاب القسم المحذوف منه سد جواب الشرط (وما أنت بتابع قبلتهم)

حسب لاصنامهم اذ كانوا اضطر يوافي ذلك وقولاً لو ثبت على قبالتنا كنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننظره وطء هو في رجوعه الى قبائهم ووجدت القلة وان كان لهم قبائهم فها هو وقيلة والنصارى قبلة لاتحادهم في البطلان (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) بمعنى انهم مع اتفاقهم على مخالفتك محتفون في شأن القبلة لا يرجي اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك فاليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس (ولئن اتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) أى من بعد وضوح البرهان والاحاطة بان القبلة هي الكعبة وان دين الله هو الاسلام (انك اذا لمن الظالمين) لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك اطف للسامعين وتوبيخ للثبات على الحق وتحذير لمن ترك الدلائل بعد انارته ويتبع الهوى

اكثر حواشون تكون صاحبها الذي ننظره فانزل الله تعالى (وان الذين اتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (ليعلمون انه الحق من ربه) يعنى امر القبلة ونحوها الى الكعبة ثم هدهم فقال تعالى (وما تخاف عباد الله) يعنى وما يابأسه عباد الله فعل هؤلاء اليهود فافانما جازهم عليه في الدنيا والآخرة وقري نعمون بشاء قال ابن عباس يريد انكم بلاء مشر المؤمنين تطالبون مرضاني وما نأبأ فعل عن نوابكم وجزائكم فانما أثبتكم على طاعتكم فضل الثواب وأجر نعيم أحسن الجزاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولئن أثبت الذين اتوا الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (بكل آية) أى بكل معجزة وقيل بكل حجة فبرهان وذلك بانهم قالوا التثنية يدعى ما تقول فانزل الله تعالى هذه الآية (ماتبعوا قبلتك) يعنى الكعبة (وما أنت بتابع قبلتهم) يعنى أن اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى الشرق وأنت بمحمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتهم فالزم أنت قبالتك التي أمرت بالصلاة اليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود لان اليهود والنصارى لا يتفقون على قبلة واحدة (ولئن اتبع أهواءهم) يعنى مرادهم ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم (من بعد ما جاءك من العلم) أى في أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل اليك من العلم بان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق (انك اذا لمن الظالمين) يعنى انك ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبداً وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (الذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعرفونه) أى يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم معرفة حلية بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم (كيعرفون أبناءهم) أى لا يشكون فيه ولا يشبه عليهم كما لا تشبه عليهم أبناءهم من أبناء غيرهم روى ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعبد الله بن سلام ان الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كيعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال لعبد الله بن عمر لقد عرفته حين رأته كما عرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمرو كيف ذلك فقال أشهد انه رسول الله حق من الله وقد ندمته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء قبل عمر رأس عبد الله وقال ورفق الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود الى أمر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون ان القبلة التي صرفك اليها هي قبلة ابراهيم وقيلة الانبياء قبلك كيعرفون أبناءهم لانك كون في ذلك (وان فرى بقاءهم) أى من علم أهل الكتاب (ليكنون الحق) يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة (وهم يعلمون) يعنى ان كتابنا الحق مصيبة وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم مع ذلك يكفونه (الحق) أى الذين يكفونه هو الحق (من ربه) ولا تكونون من

وقيل الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه وزم الوقت على الظالمين اذ لو وصل اصار (الذين آتيناهم الكتاب) صفة المترين للظالمين وهو مبتدأ وخبر (يعرفونه) أى محمد عليه السلام أو القرآن ونحوه بل القبلة والاول اظهر لقوله (كيعرفون أبناءهم) قال عبد الله بن سلام أنا أعلم به مني ابني فقال عمرو لم قال لاني لست أشك في محمد انه نبي فاما ولدي فاعل والدته خات فقيل عمر راسه (وان فرى بقاءهم) أى الذين لم يسلموا (ليكنون الحق) حسدا وعنادا (وهم يعلمون) ان الله تعالى يدينه في كتابهم (الحق) مبتدأ خبره (من ربه) واللام للجنس أى الحق من الله لا من غيره يعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل والاهم والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر مبتدأ المحذوف أى هو الحق ومن ربه بك خبر خبره وأحوال (فلا تكونون من

أولاً وقد تم آخر آلان المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصامهم بكون الرسول شهيداً عليهم (وما جعلنا القبلية التي كنت عليها) أي وما جعلنا القبلية الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإني كنت عليها البست بصفة للقبلية بل هي ثاني، فعن قول جبريل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة في صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأييداً لليهود ثم تحول إلى الكعبة (الآن لم من ينبع الرسول من ينقلب على عقبيه) أي وما جعلنا القبلية التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها وأولاً بمكة الامتحننا للناس وابتلاه لنعلم الثابت على الإسلام الصادق (٩٨) فيه من هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقلته يرجع فيرتد عن الإسلام عند

الترمذي وسطاً عدولاً ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وما جعلنا القبلية التي كنت عليها) أي وما جعلنا صرفة عن القبلية التي كنت عليها وهي بيت المقدس وإنما حذف ذكر الصرفة بدلالة اللفظ عليه وقيل: معناه وما جعلنا القبلية التي كنت عليها معناه وما جعلنا القبلية التي كنت عليها وهي الكعبة (الآن لم من ينبع الرسول) فإن قلت ما معنى قوله الآن لم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بها وهو عالم في الغيب بما يتعاقب ما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية أي أن يرى وغيره من ينبع الرسول في القبلية عن ينقلب على عقبيه وقيل: معناه الآن لم من ينبع الرسول من المؤمنين من ينقلب على عقبيه وكان من شأن العرب إضافة ما فعله الانبياء إلى الكبير كقولهم فزع عمر العراق وجي خراجها وإنما فعل ذلك اتباعاً عن أمره وقيل: إنما قال الآن لم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الفرق بعباده ومعناه الآن لموا أنهم إذا كنتم جهالا به قبل كونه قاضياً العلم إلى نفسه رفقا بعباده والمخاطبين وقيل معناه علمه الآن أنه تعالى سبق في علمه أن نحو بل القبلية سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من ينبع الرسول أي يطهره في أمر القبلية ونحوها (من ينقلب على عقبيه) أي يرجع إلى ما كان عليه من الكفر فيرتد في الحديث أنه لما نحوت القبلة إلى الكعبة ارتد قوم إلى اليهودية وقالوا يرجع محمد إلى دين أبيه (وإن كانت) أي وقد كانت (الكبيرة) يعني نواية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس إلى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه إليها قبل التحول وهي بيت المقدس وأنت الكبيرة لتأنيث القبلة وقيل: لأن تأنيث التولية (الاعلى الذين هدى الله) يعني الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس وذلك أن حبي من أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس إن كانت على هدى فقد نحوتكم عنه وإن كانت على ضلالة فقد دنتم الله بهادهم ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون إنما هدى فيما أمر الله به والضلالة فيها نهي الله عنه قالوا فما شاهدتكم على من مات معكم على قبلته أو كان قد مات قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة أسعد بن زرارة بن بني النجار وأبراهيم بن هريرة بن سامة وكان من انقباء ورجال آخرين فأنطقوا عشرهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلوا يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف يا أخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأولئك الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس (إن الله إن الناس لرؤوف رحيم) يعني لا يضيع أجورهم والرافة أخص من الرحمة وأرق وقيل الرافعة الرحمة وازالة الضرر وأما الرحمة فأنها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه أيضاً جميع الفضائل والأعمال فذكر الله الرافعة ولا معنى أنه لا يضيع أعمالهم ثم ذكر الرحمة تأنيلاً لأنها أعم وأشمل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قد نرى تقلب وجهك في السماء)

نحو بل القبلة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى قوله لنعلم أي لنعلم كأننا أو موجود ما فقد علمناه أنه يكون ويوجد فأنه تعالى عالم في الازل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد في الوقت الذي شاف وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم في الازل أنه موجود كذا لأنه ليس بوجود في الازل فكيف يعلمه موجوداً فإذا صار موجوداً يدخل تحت علمه الآن فيصير معلوماً له موجوداً كأننا والتغير على المعلوم لا على العسل أو تغير التابع من الناكص كقوله تعالى لم يزلنا الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز لأن بالعلم به يقع التميز وأيضاً رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون وإنما أسند عنهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على الملاحظة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكسر ذوب الذهب

فأيقفه في النار لنعل أذوب (وإن كانت) أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة وإن هي الخففة واللام في (الكبيرة) أي ثقيلة شاقة سبب وهي خبر كان فارقة (الاعلى الذين هدى الله) أي هدايتهم الله خذف العائد أي الاعلى للتأنيث الصادقين في اتباع الرسول (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم إلى بيت المقدس سمي الصلوة إيماناً لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأدؤها في الجماعة دليل الإيمان ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحول من أخواننا فنزل ثم عمل ذلك فقال (إن الله بالناس لرؤوف) وهو زمشيع حمزى وشامى وحفص ورؤف غيرهم بوزن فعل وهم المبالغة (رحيم) لا يضيع أجورهم والرافة أشد من الرحمة وجمع بينهم ما كافي الرحمن الرحيم (قد نرى تقلب وجهك في السماء) ترد وجهك وتصرف نظرك في جهة في السماء وكان رسول

(ماولا هم) ماصرفهم (عن قبتهم التي كانوا عليها) يعنون بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة لان المصلّي يقابلها (قل) الله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدي من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) طريق مستو أي يرشد من يشاء الى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمر نبال توجه اليها والاما كن كهاثة فيأمر بالتوجه الى حيث شاء فتارة الى الكعبة وطورا الى البيت المقدس لا اعتراض عليه لانه المالكة وحده (وكذلك جعلناكم) ومثل ذلك الجعل الجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه وذاجر الكاف والكاف واللام للفرق بين الاشارة الى القرب والاشارة الى البعيد والكاف للخطاب لا لحملها (٩٧) من الاعراب (أمتوسطا)

خيارا وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والارسطا محجة أي كما جعلت قبلكم خير القبيل جعلتكم خيرا لام أو عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطا بين الغلو والتقصير فانكم لم تغلوا ولا تعصروا حيث وصفوا المسيحيين بالالوهية ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا (لتكونوا شهداء) غير منصرف لمكان أنف الثابت (على الناس) صلة شهداء (ويكون الرسول عليكم شهيدا) عطف على لتكونوا روي ان الامم يوم القيامة يجحدون بنبلي الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينه على انهم قد بانوا وهو أعلم فيؤتي بامة محمد عليه السلام فيشهدون بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من أين عرفتم

والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلّي يقابلها وتقابله ولما قال السفةاء ذلك ردا لله تعالى عليهم بقوله (قل) يا محمد الله المشرق والمغرب يعني ان له قطري المشرق والمغرب وما بينهما لمكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما صير قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله (يهدي من يشاء) يعني من عباده (الى صراط مستقيم) يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام * قوله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة متوسطة) الكاف في قوله وكذلك كاف للتشبيه جاء المشبه به وفيه وجود أحد هاهنا عطف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناك في الدنيا وكذلك جعلناكم أمة متوسطة الثاني انه معطوف على قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم جعلناكم أمة متوسطة الثالث قبل معناه كما جعلنا قبلكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة متوسطة يعني عدولا خيارا وخيرا الامور أوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم * اذ انزلت احدى الايالي بجمعهم وقيل متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهم اذ منوا في أمر الدين لا كفوا للنصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو نحو يفهم وتبدل بهم وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لما عذبوا جبل ماريك محمد قبلتنا الاحد او ان قبلتنا قبلة الانبياء واقد علم محمدا أن أعدل الناس فقال معاذانا على حق وعدل فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وان هذه الامم توفى سبعين أمة هي آخرها وخيرها وأكرمها على الله تعالى * وقوله تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغهم رسالات ربهم وقيل ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين (ويكون الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) يعني عدلا مزيالكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم أي يا أيكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا وقد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم اقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتي بامة محمد عليه السلام فيشهدون لهم بانهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من أين علموا وانما أتوا بعدنا فيسأل هذه الامم فيقولون أرسلت الينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخيرا فاقبه بقبليخ الرسل وأنت صادق فبما أخبرت ثم يؤتي بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمة فيزكهم يشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بامة يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم أي رب فيسأل أمة ههل بامكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمة فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة متوسطة لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اذ

(١٣) - (خازن) - (اول) فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتي بامة محمد عليه السلام فيسأل عن حال أمة فيزكهم يشهد بصدقهم والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسليم في الاشياء المعروفة ولما كان الشهيد كارتقيب جى بكمة الاستعلاء كقوله تعالى كنت أنت الرقيب عليهم وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيالصح الشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهداء بكم ويعد بعد التسليم واستدل الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على ان الاجماع حجة لان الله تعالى وصف هذه الامم بالعدل والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فاذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لازم قبوله وأخر صلة الشهادة

(وهو بناور بكم) تشترك جميعا في اتباعه وهو بنا وهو يصيب برحته وكرامته من يشاء من عباده (ولما أعمالكم أعمالكم) يعني ان العمل هو أساس الامر وكان لكم أعمالا فلا كذلك (ونحن له خاصون) أي نحن له. وحدون نخلصه بالإيمان وأتم به مشركون والمخلص آسرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره (أم تقولون) بالله آمي وكوفي غيرا في كروا م على هذا ماعلة لهم في أنحاجو وتبايغي أي الامر ين تانون الحاجة في حكم الله (٩٦) أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء ومنقطة أي بل يقولون غيرهم بالياء

المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا أقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن أولى بالله منكم فامر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا لهم أنتما جوتنا في الله (وهو بناور بكم) أي ونحن وأتم في الله سواء فانه بناور بكم (ولما أعمالكم أعمالكم) يعني ان لكل أحد جزءا عمله (ونحن له مخلصون) أي مخلصو الطاعة والعبادة وفيه تو بينخ لليهود والنصارى والمعنى وأتم به مشركون والاخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشترك في دينه ولا يراى به ماله قال الفضل بن عياض ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يفايك الله منه ما هذه الآية منسوخة بآية السيف قوله عز وجل (أم تقولون) يعني اليهود والنصارى وهو استفهام ومعناه تو بينخ (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) يعني أتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم ولستم كما وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم بامعشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه (قل) يا محمد (أأنتم أعلم) يعني بدنيهم (أم الله) أي الله أعلم بذلك وقد أخبرنا ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفاء (ومن أظلم ممن كتم) يعني أخفى (شهادة عنده من الله) وهي علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنقته وصفته وجدوا ذلك في كتبهم وكقوله وسبحوه والاعني ومن أظلم ممن كتم شهادة جأته من عند الله فكتموها وأخفاها (وما الله بغافل عما تعملون) يعني من كتمانكم الحق فيما أنزلكم في كتابه من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والاعني والله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم بما فعلكم عليه في الآخرة (تلك أمة قد خلت) يعني ابراهيم وبنيه (لها ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (ولكم ما كسبت) أي جزاء ما كسبت (ولا تستلثون عما كانوا يعملون) يعني أن كل انسان إنما يستل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولن يتكل على فضل الآباء وشرفهم أي لا تستكوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لأنه اذا اختلف مواطن الحجاج والمجادلة حسن نكر يره للتذكير به وتاكيد وقيل إنما كرره تنبيها لليهود لا يفتروا ويشرف بأبائهم • قوله عز وجل (سيقول السفهاء من الناس) أي الجهال من الناس والسفهاء خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدينيوية ولا شاك ان ذلك في باب الدين أعظم لان العادل عن الامر الواضح في أمر ديناه بعد سفسفها فمن كان كذلك في أمر دينه كان أولى بهذا الاسم فلا كافر الا هو وسفيه ولهذا أمكن حل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقبل نزل هذه الآية في اليهود وذلك أنهم طعنوا في نحو بل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمدا مره واشتد في مولده وقد توجه الى نحو بلدكم فانه لم يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل أن لفظ السفهاء ما هو ممد فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذا لقائه في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح فاذا وجدوا مقالا قالا أو محالا جالوا (ما ولاهم) يعني أي شيء صرفهم (عن قبلتهم التي كانوا عليها) يعني بيت المقدس

وعلى هذا لا تكون الهمة المنقطعة (ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى) ثم أسر نبيه عليه السلام ان يقول مستفهما راد اعليهم بقوله (قل) أنتم أعلم أم الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والمعنى ان أهل الكتاب لأحد أظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها أو أنالو كتمانها هذه الشهادة يمكن أحد أظلم منافلا نكتتها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله محمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من الله مثله في قولك هذه شهادة مني فلان اذا شهدت له في أنها صفة لها

(وما الله بغافل عما تعملون) من تكذيب الرسل وكتان الشهادة (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت) والقبلة ولا تستلثون عما كانوا يعملون) كررت للتاكيد ولان المراد بالاول الانبياء عليهم السلام والثاني أسلاف اليهود والنصارى (سيقول السفهاء من الناس) الخفاف الاحلام فاصل السفهاء الخفة هم اليهود والكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ والمنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء والمشركون لافولهم ورغب عن قبله آياته ثم رجع اليها والله ليرجع الى دينهم وقائده الاخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس اذا المفاجأة بالمكره وأشد وعدا الجواب قبل الحاجة اليه أقطع للتعلم فقبل الرمي يراش السهم

(ونحن له مسلمون) لله مخلصون (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) ظاهر الآية مشكل لانه يوجب ان يكون الله تعالى مثل وعالمى عن ذلك فغير الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فان آمنوا ايماناً مثل ايمانكم والهاء يعود الى الله عز وجل وزيادة الباء غير عزز قال الله تعالى والذين كسوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وبetter جزاء سيئة بمثلها وقيل المثل زيادة أى فان آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به وما يعنى الذى بدليل قراءة أى بالذى آمنتم به وقيل الباء للاستعانة كقولك كتبت بالقلم أى فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادةكم التي آمنتم بها (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم يصفوا أو ان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها (فاعلمهم في شقاق) أى فاهمهم الا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء (فسيكفيهم الله) ضمان من الله لظاهر ارسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم واجلاء (٩٥) بعضهم ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة

وان تاخر الى حين (وهو السميع) لما ينطقون به (العليم) بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتكم وما تر يده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك (صفة الله) دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهي فصلة من صبح كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبح والامني تطهير الله للانبياء يظهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يفسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده

وأقرت بعض الانبياء وكبار النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت بعض الانبياء بل يؤمن بكل الانبياء ون جميعهم كانوا على حق وهدى (ونحن له مسلمون) أى ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة منذ عنون له بالعبودية (خ) عن أنى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوا بهم وقولوا آمنا بالله وما نزلنا من الآيات (ف) قوله عز وجل (فان آمنوا) يعنى اليهود والنصارى (بمثل ما آمنتم به) أى بما آمنتم به ومثل صفة فهو كقوله ليس كمثل شيء أى ليس مثله شيء وقيل فان أو انما يعنى انما كما يعنى انما كنتم كنتم وحيدكم (فقد اهتدوا) والمعنى ان حصول ادنا آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والافرار بكل الانبياء وما نزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا بكتابتكم كما آمنتم بكتابتهم فقد اهتدوا (وان تولوا) أى أعرضوا (فاعلمهم في شقاق) أى في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال وأصلهم من الشقاق كما نصارى في شقاق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهم يجرح على ما يشق على صاحبه ويؤذيه (فسيكفيهم الله) أى كفيكم الله يا محمد بشر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لظاهر ارسوله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء أنجز وهو اخبار نقيب فقيه معجزه للذي صلى الله عليه وسلم وقد أنجز الله وعده بقتل من فرطه وسبهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى (وهو السميع) لاقوالهم (العليم) باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجاز بهم ومعاقبهم عليه (ف) قوله عز وجل (صفة الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما صفة الله صفة لان أثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر أثر الصبح على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل أراد به الختان لانه يصبح الختان بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولدوا لحددهم مولوداً واتى عليه سبعة أيام غسوه في ماء لهم أصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليظهر به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانياً حقاً فخير الله أن دينه الاسلام لا يتفعله النصارى (ومن أحسن من الله صفة) أى دنيا وقيل تطهير لانه يظهر من أوساخ الكفر (ونحن له عابدون) أى مطيعون (قل) يعنى يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خبر من دينكم وأمرؤكم باتباعهم (أتحتاجوننا في الله) أى أحتاجوا منونا وتحتاجوا لتنا في دين الله الذي أمرنا ان ندين به وبالحاجة

ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً فامر المسلمون بان يقولوا هم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالانبياء صبغته ولم يصبغ صبغتهم وحي بلفظ الصبغة للمساواة كقولك لمن يفرس الاشجار افرس كايفرس فلان تدرج لا يصبغ الكرام (ومن أحسن من الله صفة) تمييزاً لاصفة أحسن من صبغته بدين الله والتطهير (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على ان قوله صفة الله داخل في مفعول قولوا آمنا أى قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويرد قول من زعم أن صفة الله بدل من ملأ ابراهيم أو صب على الاغراء بمعنى عليكم صفة الله لما فيه من فك النظام واخراج الكلام عن انتباهه وانتصابه على انه مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه القول ما قالت حذام (قل) أحتاجوننا في الله) أى أحتاجوا لتنا في شان الله واصطفاه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحدنا نزل علينا نوتر ونسكن أمحق بالنبوة منا

(قَالُوا عَبْدُ الْمَلِكِ وَالْأَبْنَاءُ) اهتدوا كالألغاز، يفتقد على الضمير المحرور بدون إعادة الجار (إبراهيم واسماعيل واسحق) عطف بيان
لآياتك وجعل اسمعيل من جلة آبائه وهو مع لسان العلم أب قبل عليه السلام في العربية السابقة آتاني (المواحد) بدل من آياتك كقوله
بالنصبة مائة كذبة وأنصب على الاختصاص أي زبداء آياتك الواحد (ونحن له مملون) حاله فاعل بعد أوجه معطوفة على
تعبداً لأوجه اعتراضية، وكذا (تلك) (٩٤) إشارة إلى الأمة المذكورة لئلا هي إبراهيم يعقوب ونوحهما الموحدون

أجلى ما يدور من بعدى (قَالُوا عَبْدُ الْمَلِكِ وَالْأَبْنَاءُ) إبراهيم واسماعيل واسحق) انما قدم اسمعيل لانه
كان أكبر من اسحق وأدخله في جلة الآباء وان كان علمه لان العرب تسمى العم أبواً والخالة أماً قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنواً، ويقال في عمه العباس ردة واعلى آتاني (المواحد) ونحن له
مملون) أي مخلصون العمودية (تلك) إشارة إلى الأمة المذكورة يعني إبراهيم واسماعيل واسحق
يعقوب وولدهم (أمة قد خلت) أي مضت لسبيلها والمعنى يامعشر اليهود والنصارى دعوا ذكراً إبراهيم
واسماعيل واسحق والمسلمين من أولادهم ولا تقولوا عليهم ما ليس فيهم (لها ما كسب) يعني من العمل
(واستمع) يعني يامعشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) أي من العمل (ولا تستلثون عما كانوا يعملون)
يعني كل فريق يستلثن عمله لاعتدالهم في عمله (قوله عز وجل) (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا)
قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وهب بن يهودا وأبى ياسر بن
أخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب وأصحابهم وذلك أنهم خاصمو المؤمنين في الدين فكل فريق
منهم يزعم أنه أحق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وديننا
أفضل الأديان وكفرنا بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من
الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك فأنزل الله عز وجل (قل) يعني يا محمد (بل ملة إبراهيم)
يعني إذا كان لابد من اتباع فنتبع ملة إبراهيم لانه تجمع على فضله (حنيفاً) أصله من الحنفاء وهو ميل
واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الأديان كله إلى دين الإسلام قال الشاعر
ولكننا خلقنا إذ خلقنا * حنيفاً قد نبغنا عن كل دين

(أمة قد خلت) مضت
(لها ما كسبت) ولكم
ما كسبتم) أي إن أحداً
لا ينفعه كسب غيره، متقدماً
كان أو متأخراً، فكأن
أو لشك لا ينفعهم إلا ما
اكتسبوا، وكذلك أنتم
لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم
وذلك لافتخارهم بآبائهم
(ولا تستلثون عما كانوا
يعملون) ولا تأخذون
سبباً بهم (وقالوا كونوا
هوداً أو نصارى) أي
قالت اليهود كونوا هوداً
وقالت النصارى كونوا
نصارى وجزم (تهتدوا)
لانه جواب الأمر (قل بل
ملة إبراهيم) بل تتبع ملة
إبراهيم (حنيفاً) حاله من
الاضاف اليه نحو رأيت
وجه هند قائمة والحنيف
المائل عن كل دين باطل
إلى دين الحق (وما كان
من المشركين) تعريض
بأهل الكتاب وغيرهم
لان كلامهم يدعى اتباع
ملة إبراهيم وهو على
الشرك (قولوا) هذا
خطاب للمؤمنين أو

للكافرين أي قولوا لتسكنوا على الحق والافتتحة على الباطل (أَمَّا بِنَايَ وَمَا نُزِّلَ الْبَيِّنَاتِ) أي القرآن
(وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط) السبط الخافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاسباط حفدة يعقوب ذراري أبناءه الاثني عشر وهدى أنزل بالي وعلى فلأودر هدايا وفي آل عمران بعلى (وما أوتى موسى وعيسى
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفارق بين أحد منهم) أي لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحداً في معنى الجماعة
ولما صح دخول بين عليه

(اذقال) ظرف لاصطفيناه واتصبا بضمها راذ كركانه قبل اذ كرك ذلك الوقت اتم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن له مثله (له ربه
اسلم) ادع اواطع وأخلص دينك لله (قال اسلمت لرب العالمين) أى اخلاصت وأناقدت (ودعى) وأوصى مدنى وشامى (بها) بالالة
أو بالاسماكة وهى اسلمت لرب العالمين (ابراهيم بنيه ويعقوب) هو مطوف (٩٣) على ابراهيم داخل فى حكمه والمعنى ودعى

بها يعقوب بنيه أيضا (باني)
على اضمار القول (ان الله
اصطفى لكم الدين) أى
أعطاكم الدين الذى هو صفة
الاديان وهو دين الاسلام
ورفعكم كالأخذه (فلا
تموتن الا أنتم مسلمون)
فلا يكن موتكم الا على
حال كونكم ثابتين على
الاسلام فالتبى فى الحقيقة
عن كونهم على خلاف
حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت
خاشع فلا تنهه عن الصلاة
واسكن عن ترك الخشوع
فى صلاته (أم كنتم شهداء
اذ حضر يعقوب الموت)
أم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار والشهادة
جمع شهيد بمعنى الحاضر
أى ما كنتم حاضرين
يعقوب عليه السلام اذ
حضر الموت أى حين
احضر والخطاب للمؤمنين
بمعنى ما شهدتم ذلك وانما
حصل لكم العلم به من
طريق الوحي أو اتصاله
وبقدر قبلها محذوف
والخطاب لليهود لانهم
كانوا يقولون ماتت نبي
الاعلى اليهودية كأنه
قبل أن تدعون على الانبياء

(اذقال له به اسلم) أى استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلمانا لان الانبياء انما نشؤا على الاسلام
والتوحيد قال ابن عباس رضى الله عنه ما قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند اسلمة لاله بالكواكب
والشمس والقمر واطلاعه على أمارات الحدوث فيها واقتفارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه
اسلم (قال اسلمت لرب العالمين) أى قال ابراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لملك الخلاق ومدبرها
ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله واجعلها سلمة وقيل الايمان من صفات القلب
والاسلام من صفات الجوارح وان ابراهيم كان مؤمنا قبله عارفا بالله فامر الله أن يعمل بحجوارحه وقيل
معناه اسلم نفسك الى الله تعالى وفوض أمرك اليه قال اسلمت أى فوضت أمرى لرب العالمين قال ابن عباس
رضى الله عنه ما وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين أنلى فى النار ﴿ قوله عز وجل
(ودعى بها ابراهيم بنيه) يعنى بكامة الاخلاص وهى الاله الا الله وقيل هى الملة الخفية وكان لابراهيم ثمانية
أولاد اسمعيل وأمه هاجر القبطية واسحق وأمه سارة ومدين ومدان ويقنان وزمران وشقيق وشوخ
وأهم قطور ابنت يقنان الكنعانية تزوجها ابراهيم حين وفاة سارة فان قلت لم قال ودعى بها ابراهيم بنيه ولم
يقل أمرهم قلت لان لفظ الوصية أو كد من لفظ الأمر لان الوصية إنما تكون عند الخوف من الموت وفى
ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده الأشد وأعظم وكانوا هم الى قبول وصيته أقرب وانما خص بنيه
بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه أكثر من شفقتة على غيرهم وقيل لانهم كانوا أمة يقتدى بهم فكان
صلاحهم صلاحا لغيرهم (ويعقوب) أى ووصى يعقوب بنى ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه هو
واليعص كانوا أمينين فى بطن واحد فتقدم اليعص وقت الولادة فى الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب
على أثره أخذ يعقوب قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولدان اثنا عشر وهم روبيل
وشمعون ولادى ويهوذا وربالون ويشجر ودان ونفثالى وجاد وآشر ويوسف وبنيامين
ثم خاطب يعقوب بنيه فقال (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين) أى اختار لكم دين الاسلام (فلا تموتن الا
أنتم مسلمون) أى مؤمنون مخلصون فالعنى دعوهم الى اسلامكم حتى يأبىكم الموت وأنتم مسلمون لانه
لا يعلم فى أى وقت يأتى الموت على الانسان وقيل فى معنى وأنتم مسلمون أى محسنون الظن بالله عز وجل
يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم
الا وهو يحسن الظن به برأى أخرجه فى الصحيحين ﴿ قوله عز وجل (أم كنتم شهداء) جمع شهيد بمعنى
الحاضر أى ما كنتم حاضرين (اذ حضر يعقوب الموت) أى حين احضر وقرب من الموت نزلت فى
اليهود وذلك لانهم قالوا لنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فانزل الله تعالى
هذه الآية تكذيبا لهم والمعنى أم كنتم يامعشر اليهود شهداء على يعقوب اذ حضر الموت أى انكم لم تحضروا
ذلك فلاندعوا على أنبيائى ورسلى الا باطيل وتسببواهم الى اليهودية فأتى ما تبعت خليلى ابراهيم وولده
وأولادهم الابدين الاسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه هدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى
(اذقال) يعنى يعقوب (لبنيه) يعنى لأولاده الاثنى عشر (ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون (من بعدى)
قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخبره بين الحياة والموت فلما حضر يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون
الاوثان والنيران فقال أنظرن حتى أسأل ولدى وأوصيه فاقبله لجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر

اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (اذقال) يدل من اذا الاولى والعالم فيها مشاهدا وأظرف لحضر (لبنيه ما تعبدون)
ما استفهام فى محل نصب تعبدون أى أى شئ تعبدون وما عا فى كل شئ وهو سؤال عن حقة اليهود كقولك ما بدر بأفقه أم طيب
(من بعدى) من بعد موتى

وأراد بشارته عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومندثر برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (يتلو عليهم) أي يقرأ عليهم (آياتك) يعني ما توحى اليه وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأن الذي كان يتلو عليهم هو القرآن فوجب حله عليه (و بعلمه) (الكتاب) يعني معاني الكتاب وحقائقه لأن المقصود الاعظم لتعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنسبة والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليقب مصوناً عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره (والحكمة) أي و بعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكماً الا اذا اجتمع فيه الامران وقيل الحكمة هي التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بمآذ كراه من الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء وضعه وقيل الحكمة معرفة الاشياء بحقائقها واختلاف المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فرور بن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفق فيهم والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيئاً آخر وليس ذلك الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله تعالى التي لا يدرك علمها الا بالدين الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بمانه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الاحكام والقضاء وقيل هي فهم القرآن والمعنى و يعلمهم ما في القرآن من الاحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظمتك اودعتك الى مكرمة أو تهتك عن فيصح فهي حكمة (و يز كهم) أي و يطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وسائر الارجاس والردائل والنقاص وقيل يز كهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعبادة الشاهد واللا نبيا بالابلاغ ثم ختم ابراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال (انك أنت العزيز) قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز بالقوى والعزة القوة من قولهم أرض عازز أي صلبة قوية (الحكيم) أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشياء واجباذها على غاية الاحكام قوله عز وجل (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سق نفسه) سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه الى الاسلام مهاجرا وسمعه وقال لما قد علمت ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ودا اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سامة وأبى مهاجرا ونسلم فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وسر بعته وفيه نعر بض اليهود والنصارى ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالنسب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم أي يترك دينه وسر بعته يقال رغب في الشيء اذا أراد ورغب عنه اذا تركه الا ان سق نفسه قال ابن عباس خسرت نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتن بها واستخف بها واصل السخفة الخفة وقيل الجهل وضعف الرأي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والجز والضعف والقناء ويعرف ربه بالعزيز والقدر والقوة والبقاء ويدل على هذا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يارب وكيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالجهز والضعف والقناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء (ولقد اصطفىناه) أي اخترناه (في الدنيا وانه في الآخرة قلن الصالحين) يعني الفائزين وقيل مع الانبياء في الجنة

(الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة وفهم القرآن (و يز كهم) و يطهرهم من الشرك وسائر الارجاس (انك) أنت العزيز الغالب الذي لا يغلب (الحكيم) فيما أوليت (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) استهلام بمعنى الحمد وانكار أن يصكون في القلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج (الامن) في محل الرفع على البدل من الضمير في رغب وصرح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا يزيد والمعنى وما يرغب عن ملة ابراهيم الا من (سق نفسه) أي جهل نفسه أي لم يفكر في نفسه فوضع سق نفسه وعدى كما عدى أو معناه سق في نفسه خذف في كما خذف من في قوله واختر موسى قومه أي من قومه وعلى في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح أي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج وقال الفراء ومن صوب على التمييز وهو ضعيف لونه معرفة (ولقد اصطفىناه في الدنيا وانه في الآخرة قلن الصالحين) بيان لخطأ رأي من يرغب عن ملته لان من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه

بسبعة أملاك يعينونهم في بناء البيت فلما فرغوا من بناءه قالوا (ر بنا تقبل منا) وفي الآية ضمار تقديره
و يقولان ر بنا تقبل منا أى ما عملنا لك وتقبل طاعتنا إليك وعبادتنا لك (انك أنت السميع) أى ألعنا
(العليم) يعنى ببناءنا قوله عز وجل (ر بنا واجعلنا مسلمين لك) يعنى موحدين مخلصين معطين خاضعين
لك فان قلت الاسلام إما أن يكون المراد منه الدين والاعتقاد أو الاستسلام والافتقار وقد كانا كذلك حالة
هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما أن الاسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يثبت بقوله
واجعلنا مسلمين لك يعنى في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني بحمل ان يكون المراد منه
طلب الزيادة في الايمان فكأنهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال (ومن
ذر يننا) أى من أولادنا (أمة) أى جماعة (مسلمة) أى خاضعة منفادة (لك) وإنما أدخل من التثنية
للتعريض لأن الله تعالى أعلم بما يقوله لا ينال عهدى الظالمين ان في ذر يننا الظالم فلقد اخص بعض الذرية
بالدعاء فان قلت لم خص ذر يننا بالدعاء قلت لانهم أحق بالشفقة والرحمة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم
نارا ولان أولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالامة محمد صلى الله عليه وسلم دليل قوله تعالى
وابت فيهم رسولا منهم (وأرنا) أى علمنا وبصرنا (مناسكا) أى شرائع ديننا وأعلام مجتاز قيل مناسكا
يعنى مذابحا والنسك الذبيحة وقيل متعبداً واتنا وأصل النسك العبادات والنسك العباد فاجاب الله دعاءهما
وبعث جبريل قاراهما بالنسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرف يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمى ذلك
الوقت عرفة والموضع عرفات (وتب علينا) أى تجاوزنا (انك أنت التواب) أى المتجاوز عن عبادته
(الرحيم) بهم واحتج بقوله وتب علينا من جواز الذنوب على الانبياء ووجهان التوبة لا تطلب من الله
الا بعد تقدم الذنب فلا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة
ربه عز وجل فإنه لا ينفك عن تقصير في بعض الاوقات اما على سبيل السهو وترك الاولى والافضل وكان
هذا الدعاء لاجل ذلك وقيل بحمل ان الله تعالى أعلم ابراهيم ان في ذر يننا من هو طامع فلا جرم سأل ربه
التوبة لا أولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام
الدعاء لانفسهم والمراد به ذر يننا وقيل بحمل انها لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرق
الاما كن بالاجابة دعوا الله بذلك الدعاء ليجعل ذلك سنة ولية تندى من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لان
ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل (ر بنا
وابت فيهم رسولا منهم) يعنى وابعت في الامة المسلمة والذرية وهم العرب من ولد اسمعيل بن ابراهيم
عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعنى ليدعواهم الى الاسلام ويكمل الدين والشرع واذا كان الرسول منهم
يعرفون نسبه ومولده ومثناه كان اقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره وأجمع المفسرون على
ان المراد بقوله رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام اتفاد على ذر يننا وهو بمكة ولم
يبعث من ذر يننا بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي
باسناد عن العراب بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين
وان آدم لم يجدل في طينته وسأخبركم بأول امرى انادعوا ابراهيم وبشارة عيسى ورويا أمي التي رأت حين
وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت طامنه فصور الشام وقوله لم يجدل في طينته معناه انه مطروح
على وجه الارض صورة من طين لم يجرفه الروح وأراد بدعوة ابراهيم قوله ر بنا وابعت فيهم رسولا منهم
فاستجاب الله دعاء ابراهيم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأقذهم به من الكفر والظلم

التواب الرحيم ر بنا وابعت فيهم في الامة المسلمة (رسولا منهم) من أنفسهم فبعث الله فيهم محمد عليه السلام قال عليه السلام انادعوا قاي
ابراهيم وبشرى عيسى ورويا أمي

عن أراد هاسومو يدفع عنها وعن أهلها الآفات والعتوبات فلم يزل ذلك من أمرها حتى بواها الله تعالى
 ابراهيم وأسكن بها أهلها فحينئذ سأل ابراهيم به عز وجل ان يظهر نحره بمكة لعباده على لسانه فاجاب الله
 تعالى بدعوته وألزم عبادته نحره بمكة فصارت مكة حراما بده عود ابراهيم وفرض على الخلق نحرهم بها والامتناع
 من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا الوجه الجليع بين القولين وهو العواب والله أعلم (وارزق
 أهلهم من الثمرات) انما سأل ابراهيم ذلك لان مكته لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل مكة حراما
 آمنا يجي اليه ثمرات كل شيء (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) يعني ارزق المؤمنين من أهلها خاصة وسبب هذا
 التخصيص أن ابراهيم عليه السلام لما سأل به عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله
 لا نبال عهدي الظالمين صار ذلك تأديله في المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم
 أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله (قال ومن كفر فامتنع) أي سأرزق الكافر
 أيضا (قليل) أي في الدنيا إلى. انتهى أجله وذلك قليل لانه ينقطع (ثم اضطره الى عذاب النار) أي ألجئه
 وأكرهه وأدفعه الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يكلفه الامتناع عما اضطراه اليه (وبش المصير)
 أي وبش المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب (وقوله تعالى) (واذ رفع ابراهيم الخواعد من البيت
 واسماعيل) وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء وانحجاب السيران الله تعالى خلق موضع البيت قبل
 أن يخلق الارض بالي عام فكانت زبدية يضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما أهبط الله آدم
 الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من باقوته من بواقية الجنة له بيان
 من صرذ أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم اني أهبط لك بيتا تطوف
 به كما يطاف حول عرشي وتعلي عنده كما يصلي عند عرشي وانزل الله عليه الحجر الاسود كان أيضا فاسود
 من مس الحصى في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وأرسل الله اليه اسكابد له على البيت فخرج
 آدم البيت وأقام المناسك فلم افرغ تلقته الملائكة وقالوا له رحبك يا آدم لقد حججنا هذا البيت فلك بالي
 عام قال ابن عباس حج آدم أربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أيام الطوفان
 فرفعه الله الى السماء الى اربعة وهو البيت المعمور بدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وبث
 الله جبريل حتى خبا الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان وضع البيت خاليا الى زمن
 ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعدما ولده اسمعيل واسحق ببناء بيت بذكره وبعد
 فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لدره على موضع البيت وهي ریح خرج جوارسان تشبه
 الحية واخرجو ح من الرياح هي السد بده المربعة المطوب وقيل هي المتلوة في عيوبه وأمر ابراهيم أن
 يبني حيث تستقر السكينة فبعبها ابراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه ككتوبق الحجة وقال ابن
 عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تدبر و ابراهيم بعث في ظلمها الى أن وقفت
 على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن علي قدر ظلمها لا تزد ولا تنقص وقيل ان الریح كسنت له ماحول
 الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الاول فذلك قوله تعالى (واذ بوا بالابراهيم مكان البيت فبني ابراهيم
 واسماعيل البيت فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل بناؤه الحجارة فذلك قوله تعالى (واذ رفع ابراهيم الخواعد
 من البيت جمع قاعدة وهي أس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت من خسة
 أجبل من طور سيناء وطور زينة ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة و بني قواعده من حواء جبل
 بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال اسمعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس عاملا فأتاه بحجر
 فقال ائتني باحسن منه فبني اسمعيل ليطلب حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي
 ودبعة فخذها فخذف بالحجر الاسود فاخذ ابراهيم موضعه مكانه وقيل ان الله تعالى أمدا ابراهيم واسماعيل

(وارزق أهلهم من الثمرات)
 لانه لم يكن لهم ثمره ثم أبدل
 (من آمن منهم بالله واليوم
 الآخر) من أهلهم بدل البعض
 من الكل أي وارزق
 المؤمنين من أهلها خاصة
 قاس الرزق على الامامة
 فخص المؤمنين به قال الله
 تعالى جوابه (قال ومن
 كفر) أي وارزق من كفر
 (فامتنع قليلا) متمنعا قليلا
 أو زمانا قليلا الى حين
 أجله فامتنع شامى (ثم
 اضطره) ألجئه (الى عذاب
 النار وبش المصير)
 المرجع الذي يصير اليه
 النار فالمخصوص بالتم
 عذوب (واذ رفع)
 حكاية حال ما بنى (ابراهيم
 الخواعد) هي جمع قاعدة
 وهي الأساس والاصل لها
 فوقه وهي صفة تالفة ومعناها
 الثابتة ورفع الأساس
 البناء عليها لانها اذا بنى
 عليها نقلت عن هيئة
 الانخفاض الى هيئة
 الارتفاع وتطاولت بعد
 التقاصر (من البيت)
 بيت الله وهو الكعبة
 (واسماعيل) هو عطف
 على ابراهيم وكان ابراهيم
 يبني واسماعيل بناؤه الحجارة

فلو صاك بشئ قالت نعم فقرأ عليك السلام وبأمرك أن تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أسسك ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعهيل يرى نبلا له تحت دوحه قربا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كجاصع الوالد بالولد والولد بالدم قال يا سمعهيل ان الله أمرني بأمر قال فاسمع ما أمرك بك قال وتعينني قال وأعينك قال فان الله أمرني أن أبني بيثاهنا وأشار إلى كعبة رفعة على ما حو لها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعهيل يأتي بالحجارة وأبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام إبراهيم وهو يبني واسمعهيل يناول له الحجارة وهما يقولان ر بناتقبل منا انك أنت السميع العليم وفي رواية حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام عبي بن حجر المقام فجعل يناول له الحجارة ويقولان ر بناتقبل منا انك أنت السميع العليم وقيل ان امرأه اسمعهيل قالت لا إبراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عن شقه اليمين فوضع قدمه عليه ففلس شق رأسه اليمين ثم حواته إلى شقه اليسرى ففلس شق رأسه اليسرى فبقى أثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام يا قوتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولم يطمس نورهما لاضاء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر وهو قوا واختلفوا في قوله صلى في فسر المقام بتشاهد الحج ومشاعره قال مصلي مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قبله أمر باب الصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة إذا أطلق لا يعقل منه الا الصلاة للمه ودة ذات الركوع والسجود ولا ن مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه (وعهدنا إلى إبراهيم واسمعهيل) أي أمرناهما وأزمنهما وأوجدنا عليهما قبل أن نأمر اسمعهيل لان إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا إيل وإيل لسان السربانية هو الله فنامر زق الولد سماه به (أن طهر ابني) يعني الكعبة أضافه إليه تشرى بقا وتفضيلا وتخصيصا أي بانيه على الطهارة والتوحيد وقيل طهرهم من سائر الأقدار والانجاس وقيل طهرهم من الشرك والاوثان وقول الزور (الطائفتين) يعني الدائر بن حوله (والعا كفين) يعني المقيمين به والجوار بن له (والركم السجود) جمع را كرم وساجد وهم المصلون وقيل الطائفتين يعني القرباء الواردين إلى مكة والعا كفين يعني أهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للقرباء أفضل والصلاة لأهل مكة بمكة أفضل ^١ قوله عز وجل (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا) إشارة إلى مكة وقيل إلى الحرم (بلدا آمنا) أي ذا أمن يأمن فيه أهله وأمنادعا إبراهيم له بالأمن لانه بلائس فيه زرع ولا ثمرا فإذا لم يكن آمنا لم يجلب إليه شيء من التواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلدا آمنا فاقصده جبار الاقصه الله تعالى كما فعل بأصحاب القيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا أخبار الكعبة وإنما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبنهاها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن إلى أهلها واختلفوا أهل كانت مكة محرمة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام أو حرمت بدعوه على قولين أحدهما انها كانت محرمة قبل دعوة الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول إبراهيم عليه السلام اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي أن مكة كانت محرمة قبل دعوة إبراهيم القول الثاني انها انما حرمت بدعوة إبراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان إبراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة إبراهيم ووجه الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خالفها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله وإنما كان تعالى بمنعه

(وعهدنا إلى إبراهيم)
واسمعهيل) أمرناهما
(أن طهر ابني) بفتح الياء
مدني وحفص أي بان
طهرا أو أي طهرا والمعنى
طهرا من مسن الاوثان
والنجاس والانجاس كلها
(الطائفتين) للدائر بن
حوله (والعا كفين)
الجوار بن الذين عكفوا
عنده أي أقاموا لا يرحون
أو المقتكفين وقيل
للاطائفتين للزراع اليه من
البلاد (والعا كفين
والمقيمين من أهل مكة
(والركم السجود) والمصلين
جمع را كرم وساجد (واذ
قال إبراهيم رب اجعل
هذا) أي اجعل هذا البلد
أوهذا المكان (بلدا آمنا)
ذا أمن كعبته راضية أو
آمنة فيه كقولك ليل
نامم فهذا مفعول أول وبلدا
مفعول ثان وآمنة صفة له

ووضعها هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم في ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقات
 يا ابراهيم الى أين تذهب ونتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شئ وقالت له ذلك امراراجعل
 لا يلتفت اليه فقالت له أمه أمرك بهذا قال نعم قالت ادا لا يصبرنا ثم رجعت فاطلق ابراهيم حتى اذا كان عند
 النخلة حيث لا يرونها استقبل بوجه البيت ثم دعاهم ولله الدعوات فرفع يديه وقال رب اني أسألك من
 ذر يقي بوادي غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء
 حتى اذا نفذما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى وأقوال يتابط فاطلقت كراهية ان تنظر
 اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض بلبها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم
 تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي ورفعت طرف درعها وسعت سبي الانسان المجهد حتى جاوزت
 الوادي ثم أتت المروة فقامت تلبها فنظرت هل ترى أحدا فلم تنظر ثم رجعت فافعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس
 قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سمي الناس بينهم فالما أشرفت على المروة سمعته وناقلت صه تر يد
 نفسها ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت يا بن قدأسمعت ان كان عندك غوث فاذا هي بالالك عنده وضع
 زمزم فبحث بعقبه وأقوال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه تقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء
 في سقاها وهو بفور بعد ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت
 زمزم وأقوال لولم تعرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فتمرت وأرضعت ولدها فقال لها الملك
 لاختي في الضيعة فان ههنا بئس الله بيده ههنا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض
 كالرابية أتياه السيول فتأخذ عن عينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم وأهل
 بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فزلوا في أسفل مكة فزادوا في أسفل مكة فزادوا في أسفل مكة فزادوا في أسفل مكة
 ماء لم يدها بهذا الوادي وما فيه ماء فارسا لو اخرج يا وجر بين فاذا هم بالماء فخرجهم واخبرهم فقيهوا الوادي
 اسمعيل عند الماء فقالوا أأناذين لنا أن تنزل عندك قالت نعم ولكن لاحت لك في الماء قالو نعم قال ابن
 عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فارسوا الى أهلهم فزلوا معهم حتى
 اذا كانوا أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنهم وأبهم حين شب فلما أدرك زوجته
 امرأته منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته لم يجد اسمعيل فسأل امرأته
 عنه فقالت خرج ببتني لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا ثم سأله عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في
 ضيق وشدة وشئت اليه فقال اذا جاء زوجك أقرني عليه السلام وقولي له غير عتبة يا به فاجاء اسمعيل كانه
 أنس شيأ فقال هل جاءكم من أحدا فقال نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسادنا عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا
 فاخبرته فأتاني جهود شدة فقال هل أوصاك بشئ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة
 بابك قال ذلك أبي وقد أمرني أن أقارئك الحق بابك فطلقها وتزوج منهم أخرى فابت منهم ابراهيم رشاء
 الله أن يلبث ثم تاه بعد فلم يجد دخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج ببتني لنا فقال كيف أتم وسأله
 عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة رأيت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم فقل وما
 شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم لم ولم يكن بكم يومئذ حب ولو
 كان لهم حب دعاهم فيه قال فما لا يتخلو عليهم ما أحد بغير مكة الا لا يوافقاه وفي رواية فجاء فقال أين اسمعيل
 فقالت امرأته قد ذهب يصيد فقالت امرأته لا تنزل عندنا قطع وتشرب قال وما طعامكم وشربكم قالت
 طهأنا اللحم وشربنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشربهم قال فقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم
 قال فاذا جاء زوجك أقرني عليه السلام ومر به أن يشرب عتبة يا به فاجاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد
 قالت نعم أنا نا شيخ حسن الطينة وأنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا نا شيخ قال

رضي الله عنهم أجمعين ثلاثون سهماً من الشرائع هشر في براءة التائبون الآية وعشر في الأحزاب ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين والمعارج الى قوله يحافظون وقيل هي مناسك الحج (قال اني جاءك للناس اماما) هو اسم من يؤتم به أي يأتون بك في دينهم (قال ومن ذريتي) أي واجعل من ذريتي اماما يقتدي به ذرية الرجل أولاده ذكورهم واناثهم فيهم وواقعة من الزرع أي الخلق فابدت المزمزاة (قال لا يزال عهدي الظالمين) يسكون الياء جزء وعص أي لا تصيب (٨٧) الامامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر أخبر أن امامة المسلمين

لا تثبت لأهل الكفر وان من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظلم لنفسه مبين والمحسن المؤمن والظالم الكافر قالت المعتزلة هذا دليل على ان الفاسق ليس باهل للإمامة قالوا وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استمرى الذئب ظلم واكسنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا اذ هو الظالم الطاق وقيل انه سؤال ان يكون ولده نبيا كما كان هو فاجبر أن الظالم لا يكون نبيا (واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وهو اسم غاب لها كالنجم للثريا (مثابة للناس) مبادة ومرجه اللجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه (وأمننا) وموضع أمن فان الجاني بأوى اليه فلا

الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والاصواب امدان فسر الابتلاء بالك وبالقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة ﴿وقوله تعالى﴾ (قال اني جاءك للناس اماما) أي يقتدي بك في الخير يأتون بسنتك وهديك والامام هو الذي يؤتم به (قال ومن ذريتي) أي قال ابراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أمته يقتدي بهم (قال الله لا يزال) أي لا يصيب (عهدي) أي نبوتي وقيل الامامة (الظالمين) يعني من ذريتك والمعنى لا يزال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما من ذريتك وولدك ﴿وقوله عز وجل﴾ (واذ جعلنا البيت) يعني البيت الحرام وهو الكعبة فيدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه آمنا وهدى صفة جميع الحرم (مثابة للناس) أي مرجعهم ثاب يثوب اذ ارجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجونه (وأمننا) أي موضعا اذا آمن يأتون فيه من أذى الشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة يقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذ لمجد (ق) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام يحرمه الله تعالى الى يوم القيامة وان لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الساعة من نهار فحرموا حرمته الله الى يوم القيامة لا يعرض شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يتخلى خلاه فقال له عباس يا رسول الله الا لا ذخر فانه لا ينهيه ويؤتم بهم فقال الا لا ذخر معي الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما حل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعرض شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذي منه اماما يؤذي منه كما هو سيج فلا بأس بقطعه قوله ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا بهاج قوله ولا يلتقط لقطته الا من عرفها أي ينسدها والنشد رفع الصوت بالترديد واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها ولا فان جاء صاحبها أخذها او لا اتذرع بها الملقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محذور بسنة قوله ولا يتخلى خلاه الخلا معصور الرطب من النبات الذي يرمى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلا قطعه وقوله لقينهم القين الحداد ﴿وقوله تعالى﴾ (واخذوا من مقام ابراهيم معلى) قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل أراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والري وسائر المشاهد الصحيح أن مقام ابراهيم هو الحجر الذي صلى عنده الائمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندست بكترة المسح باليدى وقيل انما أسروا بالمال عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقيله (ق) عن أنس بن مالك قال قال عمر واقتربت ربي في ثلاث فأت رسول الله لوانتخذت من مقام ابراهيم معلى فيزات واخذوا من مقام ابراهيم معلى الحديث وكان بدرقة المقام على مارواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقة في أثرها على سارية ثم جاء بها ابراهيم وابنه اسمعيل وهي ترصعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم من أدنى المسجد وابس بآية يومئذ احد وابس سهاما

يعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في المتعجب الى الحرم (واخذوا من مقام ابراهيم معلى) وقلنا اتخذوا منه موضع صلاته لولون فيه وعنه عليه السلام انه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا تتخذ معلى فقال عليه السلام لم أوامر بذلك فلم تقب الشمس حتى نزلت وقيل معلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه وقيل الحرم كله مقام ابراهيم واخذوا شامى وناقض لفظ الماضى عطف على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهلتهما به واسكان ذرية عنده قبلة يصلون اليها

ينق على الابدان وقيل ايختبر به حال الانسان فاذا قيل انتمي فلان بكذا يتضمن امرين أحدهما تعرف
 حاله والوقوف على ما يحل من أمره والثاني ظهور وجودته وردائه وابتلاء العباد ليس يعلم أحوالهم
 والوقوف على ما يحل منه لانه عالم بجميع المملومات التي لاهيائه لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد
 ولكن يعلم العباد أحوالهم من ظهور وجوده وداءه وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلي ابراهيم ربه بكلمات
 واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلي الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما من
 شرائع الاسلام لم يتل بها أحدا فقامها كمال ابراهيم كتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفي ومعنى
 هذا الكلام أنه لم يتل أحد قبيل ابراهيم فاما بعد فقد رأى الانبياء جميع ما أمر به من الدين خصوصاً نبينا
 محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله لتاتين العابدون
 الآية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد
 أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات وهي مذكورة أيضاً في سورة سأل سائل وعن ابن عباس
 أيضاً قال ابتلاه الله بعشرة أشياء هن الفطرة خمس في الرأس خمس الشارب والمضضة والاستنشاق والسواك
 وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار وتنف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (ق) عن
 أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان
 والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار وتنف الابط (م) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الاظفار وغسل
 البراجم وتنف الابط وحلق العانة واستنقاص الماء يعني الاستنجاء قال مصعب ونسبت العاشرة الا ان تكون
 المضضة قال وكيع استنقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة لسنة وقيل للمدة وقيل الطريقة وهذه
 الاشياء المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم عليه السلام فرضاً وهي لئلا يفسد
 وانفقت العلماء على انها من الملة وأما ما فيها فقد قيل أم قص الشارب واعفاء اللحية فلهذا لا عاجم
 فانهم كانوا يعمون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهم ماؤ ذلك عكس الجمال والظنفة وأما السواك
 والمضضة والاستنشاق فلتنظيف القدم والناف من الطعام والقاح والوسخ وأما قص الاظفار فلجمال
 والزينة فانها اذا طالت فبحم نظرها واحتوى الوسخ فيها وما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهر والاصبع
 فانه يجمع فيها الوسخ ويشين المظر وأما حلق العانة وتنف الابط فالتنظيف عما يجمع من الوسخ في الشعر
 وأما الاستنجاء فتتنظيف ذلك محل عن الاذى وأما الختان فالتنظيف فالتنظيف عما يجمع من الوسخ في البول واختلف
 العلماء في وجوبه فذهب الشافعي الى أن الختان واجب لانه تنكشف له الامورة ولا يباح ذلك الا في
 الواجب وذهب غيره الى أنه سنة وأول من ختن ابراهيم عليه السلام ولم يمتحن أحد قبله (ق) عن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختن ابراهيم بالقدوم بروى القدوم بالتخفيف
 والتشديد فمن خفف ذهب الى أنه اسم لالة التي تقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد
 انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه
 وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يارب زدني وقار أخرجه
 مالك في الموطن وقيل في الكلمات انه امناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب والقمر
 والشمس فاحسن النظر فيهن والنار والمجرة وذبح ولده وختان فمصر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم
 بكلمات أو حاشا اليه وأمره أن يعمل بهن فانه من أي أدامهن حتى التأديبة وقام بموجهن حتى القيام وعمل بهن
 من غير بط وتوان ولم ينقص منهن شيئاً واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعده فاقيل كان
 قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية اني جاءك للناس اماما والسبب بتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا

(يتلونه) حال مقدرة من هم لانهم لم يكونوا تالين له وقت ايتائهم ونصب على المصدر (حق تلاوته) أى يقرؤه حق فراهنه فى الترتيل وآداه الحروف وتندبروا وتفكروا ويعملون به ويؤمنون بما فى مضمونه ولا يشيرون ما فيه من نعت الذى صلى الله عليه وسلم (أولئك) مبتدأ خبره (يؤمنون به) والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبرا والجملة خبر آخر (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أنعمتها عليكم (وأتى) فضلتكم على العالمين (وتفضلى اياكم

(٨٥)

على على زمانكم) واتقوا

بوما لا تجزى نفس عن

نفس شيئا ولا يقبل منها

عدل ولا تنفعها شفاعة

ولا لهم ينصرون) هم رفع

بالابتداء والخبر ينصرون

والجمل الأربع وصف

ليوما أى واتقوا يوما

لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا

تنفعها فيه ولا لهم ينصرون

فيه وتكرر بهاتين

الآيتين لتكرار المعاصي منهم

وختم قصة بني اسرائيل بما

بدأ به (واذ) أى واذكر

اذن ابراهيم ربه بكلمات)

اختبره بأوامر ونواه

والاختبار ما لظاهره مالم

نعلم ومن الله لظاهره ما قد

علم وعاقبة الابتلاء ظهور

الامر الخفى فى الشاهد

والغائب جميعا فلذا تجوز

إضافته الى الله تعالى وقيل

اختبار الله عبده مجاز عن

تمكينه من اختبار أحد

الامر من مابر بدالله تعالى

وما يشتميه العبد كانه

يمتحنه ما يكون منه حتى

يحاز به على حسب ذلك

وقرأ أبو حنيفة رضى الله

جعفر بن أبى طالب وكانوا أربعين رجلا ثلاثان وثلاثون رجلا من الحبشة ثمانية من رهبان الشام منهم
بحر الزاهد وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة (يتلونه حق تلاوته) أى يقرؤه كما أنزل لا يغيرونه ولا يجر فونه
ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يذيعونه حتى اتباعه فيحذون حلاله
ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويقفون عنده ويكون علمه الى الله تعالى وقيل
معناه تدبروه حتى تدبره وتفكروا فى معانيه وحقائقه وأسراره (أولئك) يعنى الذين يتلونه حتى تلاوته
(يؤمنون به) أى يصدقون به فإن قلنا ان الآية فى أهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن بالتوراة الذى
يتلوها حتى تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان فى التوراة نعتا وصفته وان قلنا انها نزلت فى
المؤمنين عامة فظاهر (ومن يكفر به) أى يمجده ما فيه من فرائض الله ونبوته محمد صلى الله عليه وسلم
(فأولئك هم الخاسرون) أى خسروا أنفسهم حيث استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿قوله عز وجل (يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) أى أأيدي لديكم وصى بكم واسطة قاذى اياكم من أيدى
عدوكم فى نعم كثيرة أنعمت بها عليكم (وأتى فضلتكم على العالمين) أى واذكرنا تفضلى اياكم على عالمي
زمانكم وفى هذه الآية عظة للبهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهاتى أول السورة
وهنا للتوكيد ونشد كبر النعم (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) وفى هذه الآية تهريب لهم والمعنى
يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابى المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئا (ولا يقبل
منه عدل ولا تنفعها شفاعة) أى لا يقبل منها قوة ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذى يرد به الخاص
كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب
ولم يستحق سواء وقيل انه رد على اليهود فى قولهم ان آبائنا يشفعون لنا (ولا لهم ينصرون) أى ولا ناصر لهم
ينصرهم من الله اذ انتقم منهم ﴿قوله عز وجل (واذ ابلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن) ابراهيم اسم أعجمي
ومعناه أب رحيم وهو ابراهيم بن نازح وهو آزر بن ناخور بن شاروع بن ارغو بن فاغ بن عابر بن شالح بن
ارغشت بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من أرض الاهاواز وقيل بابل وقيل بكونى
وهى قرية من سواد الكوفة وقيل بمران ولكن أباه نقله الى أرض بابل وهى أرض نمرود الجبار وابراهيم
عليه السلام تعترف ببضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقررون ببضله
ويشرفون بالنسبة اليه وانهم من أولاده وأما العرب فى الجاهلية فانهم أيضا يعترفون ببضله ويشرفون
على غيرهم به لانهم من أولادهم من ساكنى حرمه وخدام يبتغى لما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله
تعالى عن ابراهيم أمورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم
والاعتراف بدينه والالتقاء لشرع لانه لأوجب الله على ابراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى
الله عليه وسلم وفى ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركى العرب وجوب الاقضية لمحمد صلى الله عليه وسلم
والإيمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسعى التكليف ببلاده

عنه ابراهيم ربه رفع ابراهيم وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما أى دعاء بكلمات من الدعاء فهل المختبر هل يحببه اليه أم لا (فاتمهن) أى
قام بهن حق القيام واداهن أحسن التاديب من غير تفریط وتوان ونحوه وابراهيم الذى وفى ومعناه فى قراءة أى حقيقته الله فاعطاه ما طلبه
لم ينقص منه شيئا والى الكلمات على هذا ما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمننا وجهه لنا وسمان لك وابتغى فيهم رسولا منهم بنا
تقبل منا والكلمات على القراءة المشهورة جنس فى الرأس الفرق وقص الشارب والسوك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى الجسد الختان
وتقليم الظفار وتفت الابط وحلق العانة والاستنجاء وعن ابن عباس

(لولا يكمل الله) هلا يكملنا كما يكمل الملائكة ركابهم وسى استكبارا منهم وعوا (أو أنبأنا آية) وجود الان يكون ما أنفاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العى (قد بينا آيات لقوم يوفون) أى لقوم يصفون فيوفون انها آيات يجب (٨٤) الاعتراف بها لا ذعان لها ولا كتمانها عن غيرها (انما أرسلناك بالحق بشيرا)

للأشقيين بالواب (ونذيرا) لا الكافرين بالعقاب (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا به من ان بلغت جهدك فى دعوتهم وهو حال كذا نذيرا وبشيرا وبالحق أى وغير مسؤول أو مستأنف قراءة نافع ولا تسأل على النهى ومعناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائل عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه وقيل نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعرى ما فعل أبواى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) كانتهم قالوا لن ترضى عنك وإن أبأنت فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا فإفنا ملتهم لرسول الله عن دخولهم فى الاسلام فند كراهة عز وجل كلامهم (قل ان هدى الله) الذى رضى لعباده (هو الهدى) أى الاسلام وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذى تدعون الى اتباعه

قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب (لولا) أى هلا (يكمل الله) أى عينا انما يكمل رسوله (أو أنبأنا آية) أى دلالة وعلازمة على صدقك (كذلك قال الذين من قبلهم) أى كفار الامم الخالية (من قولهم) وذلك ان اليهود واليهود واليهود وسى أن يريهم الله جرة وان يسمعهم كلام الله وسأله من الآيات اليس لهم سئلته فاجبر الله عن الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم (تشابهت قلوبهم) يعنى ان المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل تشابهت فى الكفر والقوة والكذب وطلب الحيل (قد بينا الآيات) أى الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (لقوم يوفون) يعنى ان آيات القرآن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات البهراة كافية لمن كان طالبا لليقين وانما خسر أهل الايقان بالذكرا لا هم أهل الثبوت فى الامور ومعرفة الاشياء على يقين ﴿ قوله عز وجل (انما أرسلناك بالحق) أى بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انما نرسلناك عينا بالحق (بشيرا) أى مبشرا لاوليائى وأهل طاعنى بالواب العظيم (ونذيرا) أى منذرا ونحوه فالعداوى وأهل معصية بالعذاب الاليم (ولا تسأل) فرى يفتح التاء على النهى قال ابن عباس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى ما فعل أبواى فترأت هذه الآية والمعنى اننا نرسلناك لتبلغ ما أرسلناك به ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وقرى (ولا تسأل) بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النهى والمعنى اننا نرسلناك بالحق لتبلغ ما أرسلناك به فاعلمك البلاغ واستمسوا لعن كفر (عن أصحاب الجحيم) أى عن أهل النار سميت النار بحج النار تاجها وقيل الجحيم معظم النار ﴿ قوله عز وجل (وان ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وذلك انهم كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعون انه ان أمهلهم تبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعلا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هداى أمر القبله وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله عليه وسلم حين كان صلى الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة أسو امتنا ان يوافقهم على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهودى والنصارى يعنى الانصار ايتيه وهدائى لا يتصور اذ لا يجتمع فى رجل واحد شيان فى وقت واحد وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعنى دينهم وطريقهم (قل) أى يا محمد (ان هدى الله) يعنى دين الله الذى هو الاسلام (هو الهدى) أى صحاح يسمى هدى (واثنى انبعث) يا محمد (أهواءهم) يعنى أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل أهواءهم أقوالهم التى هى أهواء (بعد الذى جاءك من العلم) أى البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هى قبله ابراهيم عليه السلام وهى الكعبة (مالك من الله من ولى) يعنى بلى أمرك ويقوم بك (ولا نصير) أى ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل فى قوله واثنى انبعث أهواءهم انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى اياكم أخطب ولسكنم وأدبوا نهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمتم فلا تتبعوا أتم أهواء الكافرين واثنى انبعث أهواءهم بعد الذى جاءكم من العلم والبيان مالكم من الله من ولى ولا نصير ﴿ قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب) قال ابن عباس نزالت فى أهل السفينة الذين قدموا مع

ما هو هدى اعما هو هدى لا نرى الى قوله (واثنى انبعث أهواءهم) أى أقوالهم التى هى أهواءهم (بعد الذى جاءك من العلم بان دين الله هو الاسلام) ومن الدين العلم وصحة بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة (مالك من الله) من عذاب الله (من ولى ولا نصير) ناصر (الذين) مبتدأ (آتيناهم الكتاب) صلته وهم مؤمنوا أهل الكتاب وهو ان توراة والانجيل أو أصحاب النبى عليه السلام والكتاب القرآن

جعفر

ابن الله وعزير ابن الله قالوا شئ فاثبات الوار باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها وحذف باعتبار أنه استئناف قصة أخرى (سبحانه) تزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) أي هو خالقهم ومالكهم ومن جلت به السبح وعزير الولادة ذاتي الملك (كل له قاتون) متقادون لا يمتنع شئ منهم على تكويبه وتقديره والتوب في كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما في السموات والارض أو كل من جده لولمته ولد له قاتون مطيعون عابدون مقررون بالربوبية منسكرون لما ضافوا اليهم وجاه بما الذي لغيره وأولى لهم مع قوله قاتون كقوله سبحانه ما سرخرن لنا (بديع السموات والارض) (٨٣) أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق

وكل من فصل ما لم يسبق إليه يقال له أبدأت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الاسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم (واذا قضى أمرا) أي حكم أو قدر (فإنما يقول له كن فيكون) هو من كان النامية أي أحدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل لا قول ثم وإنما المعنى ان ما ضاع من الامور وأراد كونه قائما يشكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف ٣ كمان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ولا يكون منه اباه أو كدبه هذا السباعد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الاجسام فاني يتصور التوالد ثم الوجه الرفع في فيكون وهو قراءة

المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) أي تزيه الله فزماه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن قولهم واقتراهم عليه (خ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشعني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فزع أي لا أفتر أن أعيد كما كان وأما شتمه اياي فقول له ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة أو ولدا (بل له ما في السموات والارض) يعني عبيدا وملا كفا كيف ينسب إليه الولد وهو داخل فيهما وقيل ان الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزعه عن النسب والشبه والظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والاتضاع به عند عزير الوالد وكبره والله تعالى منزعه عن ذلك كله فاضافة الولد إليه محال (كل له قاتون) يعني اهل السموات والارض مطيعون لله ومقررون له بالعبودية وأصل القوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت فملى هذا يكون معنى الآية كل له قاتون بالشهادة ومقررون له بالوحدانية وقيل قاتون أي مذلون مسخرون لما خلقوا واختار العلماء في حكم الآية قول بعضهم هو خاص ثم سلخوا في تخصيصه طريقين أحدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى أن حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلخوا في الكفار طريقين أحدهما ان غلاطهم تسجد لله وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص حكم الآية أجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شئ ولم توث ملك سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك ﴿ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) أي خالقه اومبدعه ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الاشياء أي يبدعها عالم يكن (واذا قضى أمرا) أي قدره وأراد خلقه وقيل اذا أحكم أمرا وحتمه وأقننه وأصل القضاء الحكم والفرغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشئ ونجمائه والفرغ منه (فإنما يقول له كن فيكون) أي اذا أحكم أمرا وحتمه فإنما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما أراد الله تعالى وجوده فان قلت المعلوم لا يخاطب فكيف قال فإنما يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكويبه واذ كان كذلك كانت الاشياء التي لم تكن كأنها كائنة بعلمه بها مجاز أن يقول لها كوني يا أمرا بالخروج من حال عدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله لام أجل فيكون المعنى اذا قضى أمرا فإنما يقول لأجل تكويبه وأراد أنه كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب ﴿ قوله عز وجل (وقال الذين لا يعلمون)

العام على الاستئناف أي فهو يكون أو على العطف على يقول وتصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الامر بالفاء نصب وقلنا ان كن ليس بأمر حقيقة اذ لا فرق بين أن يقال واذا قضى أمرا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك فلا معنى للنصب وهذا لأنه لو كان أمرا فإنما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن أو المعلوم والمعلوم لا يخاطب (وقال الذين لا يعلمون) من المشركين أو من أهل الكتاب وفي عنهم العلم لانهم لم يعلموا به

٣ قوله كان المأمور بالاعتراف بالكشاف والخطيب كان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقص ولا يمتنع ولا يكون منه الخ وهي ظاهرة

(ولته المشرق والمغرب)
 أي بلاد المشرق والمغرب كما له
 وهو مالكاها وتوليها (فأجاب)
 شرط (تولوا) يجوز به
 أي في أي مكان فدلهم
 التولية بمعنى تولية
 وجوهكم شطر القبلة
 بدليل قوله تعالى قول
 وجهك شطر المسجد الحرام
 وحيثما كنتم فولوا
 وجوهكم شطره والجواب
 (فتم وجه الله) أي جهته
 التي أمر بها ورضيها
 والمعنى انكم اذا كنتم ان
 تصلوا في المسجد الحرام أو في
 بيت المقدس فقد جعلت
 لكم الارض مسجدا
 فصلوا في أي بقعة شئتم من
 بقاعها وادخلوا التولية
 فيها فان التولية يمكن في
 كل مكان (ان الله واسع
 عليم) أي هو واسع الرحمة
 يريد التوسعة على عباده
 وهو عليم بمصالحهم وعن ابن
 عمر رضي الله عنهما نزلت
 في صلاة المسافر على الراحة
 أي ما توجهت وقيل عيت
 القبلة على قوم فصلوا في
 أنحاء مختلفة فلما أصبحوا
 نبينوا خطأهم وعذروا وهو
 حجة على الشافعي رحمه الله
 فيها إذا استند بروقيل
 فأما قول الأدهاء والذكر
 (وقالوا اتخذ الله ولدا)
 يريد الذين قالوا المسيح

فقتله عليه وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالمسلم لما نزلت سورة براءة لا ليعجن البيت
 بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفه. وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فإن
 قلت كيف قيل مساجد الله وتمازق المنع والتخريب على مسجد واحد وهو أملايت المقدس والمسجد
 الحرام قلت يجوز أن يحكي والحكم عام وان كان السبب خاصا كما تقول لمن أدى صالحا واحدا ومن أظلم من
 أدى الصالحين فإن قلت أي القوانين أرجح قلت رجح الطبري القول الاول وقال ان النصارى هم الذين
 سبوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسهوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد سبوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات من الصلاة فيه وأيضا فان الآية التي قبل هذه والتي
 بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر مشركي مكة ذكر ولا مسجد الحرام فتبين أن يكون المراد بهذين
 المقدس ورجح غيره اقول الثاني بدليل ان النصارى يظهرون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف
 يسعون في خرابه وهو موضع حجه. وذكر ابن العربي في أحكام القرآن قولنا وهو أنه كل مسجد
 قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد أو ببعض الارض محال
 قوله عز وجل (ولته المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج
 نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فأصابهم الضباب
 وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلا فوافوا ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يعبوا فقاموا سائلا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة ظلمة فلم ندر أي القبلة فعلى كل رجل منا على حيلة فلما أصبحنا
 ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث
 غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر على التعاقب حينما توجهت به راحلته (ق) عن ابن عمر قال ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح في ظهر راحلته حيث كان وجهه يرمى وكان ابن عمر يفعله وفي
 رواية اسلم كن النبي صلى الله عليه وسلم على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حينما توجهت وفيه
 نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في نحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان النبي ودعير المؤمنين
 وقالوا ليس لهم قبلة مألوفة فتارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت
 في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليعلموا حيث شاؤوا من النواحي ثم انها نزلت بقوله تعالى قول
 وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية أن الله المشرق والمغرب ورايينهما خلقا وملكوا فأنما يخص المشرق
 والغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان كلهما يرايينهما خلقه وعبيده وان على جميعهم طاعة فيما
 أمرهم به ونهاهم عنه فأمرهم باستقباله والقبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل لان الله تعالى جعلها
 قبلة وأمر بالتوجه اليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي في تلك القبلة التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجهه
 الله تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضاه الله أي يريدون بالتوجه
 اليه رضاه (ان الله واسع) من السعة وهو الغنى أي يسع خلقه كما هم بالكتابة والافاض والجود والتدبير
 وقيل واسع المغفرة (عليم) أي بأعمالكم كذا انكم حينما تصلوا تدعو الابغيب عنه مناشئ **مسئلة**
 تتفق بحكم الآية **مسئلة** وهي أن المسافر اذا كان في مفازة أو بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يحتج في
 طلبها بنوع من الدلائل ويصل الى الجهة التي أدى اليها اجتهاده ولا عاذه عليه وان لم يصادف القبلة فان
 جهته الاجتهاد قبلة وكذا الغريق في البحر اذا بقي على الواح فانه يصل على حسب حاله واتضح صلاته
 وكذلك المشدود على جذع بحث لا يمكنه الاستقبال **مسئلة** قوله عز وجل (وقالوا اتخذ الله ولدا) نزلت في يهود

(وهي تلون الكتاب) للحال والكتاب الجنب أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والادلة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وآمن به أن لا يتغير الباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر (كذلك) مثل ذلك القول الذي سمعته (قال) الذين لا يعلمون مثل قولهم) أي الجملة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والاطاعة لآلهة كل دين يسوا على شيء وهذا توحيخ عظيم لهم حيث نظموا آفته مع علمه في ثلاث من لاهم (فأنته بحكمهم يوم القيامة فبما كانوا فيه مختلفون) أي بين اليهود والنصارى بما قسم لكل فريق منهم من الكتاب الثلاثي به (ومن أظلم عن منم مساجد الله (٨١) أن يذكرهم اسمه) موضع من رفع على

الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى أي أحد أظلم وإن يذكرني مفعولي منع لأنك تقول منفعته كذا ومثله وإمامنا إن ترسل بالآيات وما منع الناس أن يؤمنوا ويحوز أن يحذف حرف الجر مع أن أي من أن يذكرنا أن تصدبه مفعوله لأنه بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وإن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الذي ومنعهم الناس أن يصلوا فيه وأمنع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية وأما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لأن الحكم ورد عاما وإن كان السبب خاصا كقوله

وأما ويل لكل همزة والمترول فيه الاخنس بن ثريق (وسعى في خرابها) بانقطاع

المدينة وصاري نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أنابهم أجازا اليهود وتناظر وا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والتوراة فأنزل الله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (وهي تلون الكتاب) يعني وكلا الفريقين يقرؤن الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فقلت تلاوتهم الكتاب ومخافتهم له فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل أن الانجيل الذي تدن بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وإفراض الله فيه على بني اسرائيل من افرائض وان التوراة التي تدن بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وإجابته به من عند ربه من الأحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين بذلك قاله (كذلك قال الذين لا يعلمون) يعني مشركي العرب قالوا في نبينهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم ليسوا على شيء (مثل قولهم) يعني مثل قول اليهود والنصارى والنصارى لليهود وقيل أم كانت قبيل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم ليسوا على شيء (فأنته بحكمهم) أي يقضى بينهم يوم القيامة يعني بين الحق والباطل (فبما كانوا فيه مختلفون) يعني من أمر الدين قوله عز وجل (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكرهم اسمه) وسعى في خرابها) وقيل أن تخنصر غزاني اسرائيل فقتل مقاتلهم وسبي ذرارهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فزمل خرابها بني المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى ومن أظلم أي ومن أكفر وأبغى عن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاربه أي أن يذكرهم اسمه أي يعبد ويصل له فيها (وسعى في خرابها) وقيل أن تخنصر الجوسى من أهل بابل والذين غزاني اسرائيل وخرب بيت المقدس وأغناه على ذلك النصارى من أجل أن قتلوا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم (أولئك) ما كان لهم أن يدخلوها الاخافين) وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخله ابعدهم عمارتهم روى أن أنصراني الاخافين علم به قتل وقيل أخفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحر وقيل خوفهم هوقع مداتهم الثلاث فسططية ورومية وعروبة (لهم في الدنيا خزي) يعني الصغار والذلل والقتل والذل (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني النار وقيل أن الآية تزيت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المساجد الحرام وذلك أنهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعواهم من حجة والعلافة في عام الحديبية وإذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه فقد سدوا في خرابه وأولئك ما كان لهم أن يدخلوها الاخافين يعني مشركي مكة بقول الله تعالى أفضها عليكم أيها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم

(١١ - خازن) أول الذي كثر المراد به العموم كآر يد العموم بمساجد الله (أولئك) المسانئون (ما كان لهم أن يدخلوها) أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها مساجد الله (الاخافين) حال من الضمير في يدخلوها أي على حال التهرب وإراده أن يفرص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويوهاو بمنع المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق الاذلك لولا ظلم الكفرة وعنتهم روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى الامتنكا خيفة أن يقتل وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا بولغى ضرر باونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجج بعدهما العام مشرك وقيل منه انه النبي عن تمكينهم من الدخول والتخليفة بينهم وبينه كقوله تعالى وما كان لعلكم أن تؤذوا رسول الله (لهم في الدنيا خزي) قتل وسبي الحرمة (لهم في الآخرة عذاب عظيم) أي النار

(من عند أنفسهم) يتعاقبوا ويؤامروا عند أنفسهم ومن قبل شهودهم لامن قبل الدين وللبلي مع الحق لانهم ودوا ذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) أى من بعد علمهم بانكم على الحق أو بحسد أى حسد امتب الغنا من عثمان أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأبى الله بامرهم) بالقتال (ان الله على كل شئ قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واماكم موالا أنفسكم من خير) من حسنة صلاة وأصدقة وأغيرها (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عنده (ان الله بآياته لماون بصير) فلا يضيع عنده عمل عامل والضمير لى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا

(٨٠)

أو نصارى) لاهل الكتاب

بحسب ولا يحرم ذلك لانه لم يحسد على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله (من عند أنفسهم) أى من تلقاء نفوسهم لم يامرهم الله بذلك (من بعد ما تبين لهم الحق) يعنى فى التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا (فاعفوا واصفحوا) أى فنجاوزوا عما كان بينهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بالقتال (حتى يأبى الله بامرهم) أى بعد ما به وهو القتل والسب لى فرقة والاجلاء والنبي لى النصير قال ابن عباس هو أمر الله بقتالهم فى قوله قالوا الذين لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر الآية (ان الله على كل شئ قدير) فيه وعيد وتهديد لهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لما أمر الله المؤمنين بالعفو والصفح عن اليهود وأمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من اقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبين ونبه بذلك على سائر الواجبات ثم قال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى من طاعة وعمل صالح وقيل أراد الخير المال يعنى صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها (تجدوه عند الله) يعنى ثوابه وأجره حتى القرة والنفقة مثل أحد (ان الله بما تعملون بصير) أى لا يخفى عليه شئ من قليل الاعمال وكثيرها فافيه ترغيب فى الطاعات وأعمال البر وزجر عن المعاصي وقوله عز وجل (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا) يعنى يهودا وقيل هو جمع هائد (أو نصارى) وذلك أن اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهودا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصريا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت فى وفد تجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا فى دعواه قال الله (تلك أمانيتهم أى شواتهم الباطلة التى تمنوها على الله بغير حق) (قل) يعنى يا محمد (ها توبوا هانكم) أى تجتنبكم على دعواكم ان الجنة لا بدخلها الا من كان يهوديا ونصرا ينادون غيرهم (ان كنتم صادقين) يعنى فيما تدعون ثم قال تعالى رد عليهم (بلى) أى ليس الامر كما تزعمون ولكن (من أسلم وجهه لله وهو محسن) فانه الذى يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه لله أى خاص فى دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان أصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خاص الوجه بالذلة لانه تشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض فى السجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمر بن نفييل وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرات لا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذابا لا

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذابا لا

يعنى بذلك استسلمت اطاعة من استسلم لطاغته الارض والمزن وهو محسن أى فى عمله لله (فله اجره عند ربه) أى ثواب عمله (ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة (ولا هم يحزنون) أى على ما فاتهم من الدنيا وقوله عز وجل (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) نزلت فى يهود

من اليهود والنصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلبين القولين نقمة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وأمانا من الالباس لما علم من التعادى بين الفرقتين وتضليل كل واحد منهما صاحبه الا ترى الى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهو دمج هائد كهاد وعود ووجد اسم كان للفظ من وجمع الخبر لضعف (تلك أمانيتهم) أشير بها الى الامانى المذكورة وهى أمانيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أى تلك الامانى الباطلة أمانتهم والامنية أفعول من

التمنى مثل الاضحكة (قل هاتوا برهانكم) هاتوا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة وهات بمنزلة هاء بمعنى احضر وهو متصل بولم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك أمانيتهم اعتراض (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (بلى) اثبات لما نفى ومن دخل غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه لا يشرك به غيره (وهو محسن) مصدق بالقرآن (فله اجره) جواب من أسلم وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم (عند ربه) ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ) أى على شئ يصح ويعتد به والواو

فهو ملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتبعكم به من ناسخ أو منسوخ (ومالك من دون الله من ولي) يلي أمركم (ولانصير) ناصر ينعمكم من العذاب (أم تريدون) أم منقطعة وتقديره بل أتريدون (أن تسألوا رسولكم كما سأل موسى من قبل) روى أن قريشاً قالوا يا محمد اجعل لنا الصفاة جاووسع لنا أرض مكة فنهبوا أن يقرحوا عليه الآيات كما افترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا هلالاً (ومن يتبدل الكفر بالإيمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزل وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) قصده ووسطه (وذكر كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) أن يردوكم (من بعد إيمانكم كفاراً) حال من كم أي يردونكم عن دينكم كافرين نزل حين قالت اليهود للسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا إلى ما صابكم ولو كنتم على الحق لما هزمت قال رجعوا إلى ديننا فهو خير لكم (حسداً) مفعول له أي لاجل الحسد وهو الاسف على الخير عند الغير

فناسخ إلى الإسر كان أسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان تخيير لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم ومناسخ إلى الاشد كان أكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة أثقل على الأبدان وأشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكل وأكثراً ما المثل فكأن نسخ التوجه إلى بيت المقدس وصرفه إلى المسجد الحرام واستواء الاجز في ذلك لأن على المصلح التوجه إلى حيث أمره الله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) أي على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يا محمد أي قادر على تعويضك عما نسخت من أحكامي وغيره من فرائضي التي كنت افترضها عليكم ما شاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين وأنتفع لك ولهم عاجلاً وآجلاً (ألم تعلم أن الله ملك السموات والأرض) يعني أنه تعالى هو المتصرف في السموات والأرض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيها بما يشاء من أمر وهوى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ ومجدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام فاخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وإن اخلق كلهم عبدة وتحت تصرفه يحكم فيها بما يشاء وعليهم السمع والطاعة (ومالك) يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب (من دون الله) أي ما سوى الله (من ولي) أي قريب وصديق وقيل من والوهو المقيم بالأمور (ولانصير) أي ناصر ينعمكم من العذاب وقيل في معنى الآية وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من فيم يامركم ولا نصير يؤيدكم ويؤيكم أي أعدائكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا يا محمد اكتب لنا كتاب من السماء جلة كما أتى موسى بالتوراة وقيل أنهم سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً كما سأل قوم موسى فقالوا أرنا الله جهرَةً فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أثر بدون وقيل بل تريدون أن تسألوا رسولكم يعني محمد صلى الله عليه وسلم (كما سأل موسى من قبل) وذلك أن موسى سأله قومه فقالوا أرنا الله جهرَةً ففي الآية منعمهم ونهيم عن السؤال المقتربة بعد ظهور الدلالات والمجربات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ومن يتبدل) أي يستبدل (الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) أي أخطأ قصد الطريق وقيل إن قوله ومن يتبدل الكفر بالإيمان خطاباً للمؤمنين أعلمهم أن اليهود أهل غش وحسد وانهم يخونون للمؤمنين المكاره فنهاهم الله تعالى أن يقبلوا من اليهود شيئاً يرضونهم به في الظاهر وأخبرهم أن من ارتد عن دينه فقد أخطأ قصد السبيل ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وذكر كثير من أهل الكتاب) نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد لو كنتم على الحق ما هربتم فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شددت قال في عاهدت إن لا كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت قالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أن فقدت بضيت بالله رب محمد رسولاً بالسلام ديناً بالقرآن اما ما بالكعبة قبلته بالمؤمنين اخوانهم أنهما أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتا الخبر وفاقبنا فأنزل الله تعالى ودأى تمنى كثير من أهل الكتاب يعني اليهود (لو يردونكم) أي يا معشر المؤمنين (من بعد إيمانكم كفاراً) أي أي ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر (حسداً) أي بحسد ونسبكم حسداً أو أصل الحسد تمنى زوال النعمة ممن يستحقها ويرى بما يكون مع ذلك سعي في إزالة النعمة والحسد مذموم لما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب أخرجه أبو داود فاذا أنتم الله على عبده نعمة ففني آخر زوالها عنه فهذا هو الحسد وهو حرام فإن استعان بملك النعمة على الكفر والمعاصي ففني آخر زوالها عنه فليس

ومنها أنه قد جاء في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ما كولا لك ولذر ينك وأطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات ومنها أن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختل فوايه على وجوه أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من الواح المحفوظ الى سواه الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أُلغيت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا بمسألة **مسألة** قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو أنه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد أنه تعالى هو الآتي والمآتي به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد أنه هو المنفرد بالانتيان بذلك الخبر وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خبرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للأقراب بين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لأوصية لأوارث أوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للأوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت أن آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا بطله معروف في أصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوده أحداهما رفع حكمه ولاوته كإروى عن أبي أمامة بن سهل أن قواما من الصحابة قاموا ليلة ليقرأ سورة فمذكروا منها لا بد من الله الرحمن الرحيم ففدروا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكمها الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمد بالحق وأزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعينناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشي أن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحسن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم والبخاري نحوه الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطؤه ولاوته وهو كثير في القرآن مثل آية الوصية للأقراب بين ونسخت بآية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشرا وآية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الآية نسخت بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية ومثل هذا كثير في القرآن وأما معنى الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها فرى بضم النون وكسر السين ومعناها انتبهنا على فليك وقال ابن عباس تتركها لا تنسخها وقيل معناها نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم وإقامة غيره مقامه والانسان نسخ من غير إقامة غيره مقامه وقرئ نساها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا تنزل أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء ما ننسخ من آية فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر ونساها أى نؤخرها وتركتها في اللوح المحفوظ فلا تنزل (نأت بخير منها) أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم كثر لأجوركم وأيسر معناها أن آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أو مثلها) أى في المنفعة والتواب

الفعل خلافا لمعترلة وانما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقا ومختلفا ويجوز نسخ التلاوة والحكم والحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فانه نسخ عندنا خلافا للشافعي رحمه الله والانساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أو نفساها مكي وأبو عمرو وأى تؤخرها من نأت أى نأت (نأت بخير منها) أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها كثر للشواب (أو مثلها) في ذلك اذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض

وقولوا انظروا) كان المسلمون يقولون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت اليهود وكلمة يسابون بها عبرانية وأسر ياتية وهى راعنا فلما سمعوا يقول المؤمنين راعنا افترضوه واطلبوه راعنا يا رسول الله وهم يعنون به تلك المسبة ففيهم المؤمنون عنها وأمرهم بما هو فى معناها وهو انظروا ثم انظروا ثم انظروا (واسمعوا) وأحسنوا سمعاً بما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى عليكم من المسائل باذان (٧٧) واية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة

وطلب المرأعنا وأسمعوا
اسمع قبولاً واطاعة ولا
يكون سماعكم كسماع
اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا (وللكافرين)
واليهود الذين سبوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
(عذاب اليم) مؤلم (بابود
الذين كفروا من أهل
الكتاب ولا المشركين
أن يغزل عليكم)
وبالتخفيف مكى وأبو
عمرو (من خبر من ربحكم)
من الاول للبيان لان
الذين كفروا جنس تحت
نوعان أهل الكتاب
والمشركون والثانية
مزيدة لاستغراق الخير
والثالثة لابتداء الغاية
والخير الواسع وكذلك الرحمة
(والله يختص برحمته من
يشاء) يعنى أنهم يرون
أنفسهم أحق بان يوصى
اليهم فيحسدوكم وما يحبون
أن ينزل عليكم من الوحي
والله يختص بالنبوة
من يشاء (والله ذو الفضل
العظيم) فيه اشعار بان
ايتاء النبوة من الفضل

تعالى عنه فظن لها وكان يعرف انهم فقال لليهود ان سمعتم من أحد منكم يقولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضربن عنه فقالوا أولست تقولونها فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا أى لا كى لا يجحد اليهود بذلك سبيل الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقولوا انظروا) أى انظروا لينا وقيل معناه انتظروا نأتان بنا وفيهما (واسمعوا) أى ما تؤمرون به وأطيعوا نهى الله عباده المؤمنين أن يقولوا للنبى محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق أحد الى شقه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخبروا الخطابة صلى الله عليه وسلم من الالفاظ أحسنها من المعاني أدها وان سألوه سألوه بآلوه بتجليل وتعظيمه ولين لا يخاطبوه بما يسر اليهود (وللكافرين) يعنى اليهود (عذاب اليم) أى مؤلم (بابود) أى أى ما يجب (الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى اليهود (ولا المشركين) يعنى عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحت نوعان أهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبدة اغير الله (أن ينزل عليكم من خبر من ربحكم) يعنى ما نزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كرهت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغية منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لخصمهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذى ندعونا اليه بخير مما نحن فيه ولودنا لو كان خيراً فانزل الله تعالى هذه الآية تكذيباً لهم (والله يختص برحمته من يشاء) يعنى أنه تعالى يختص بذنوبه ورسالته من يشاء من عباده وبتفضل بالايمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم (والله ذو الفضل العظيم) يعنى أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء وتفضلاً عليهم من غير استحقاق أحدهم منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه (وقوله عز وجل) (مانسوخ من آية ونسأها) الآية وسبب نزولها أن المشركين قالوا ان محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً يقول الامن تلقاه نفسه كذا خبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فانزل مانسوخ من آية فبين هذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وأنت من غنده لامن عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى القل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لا يقتضى إزالة الصورة الاولى بل يقتضى اثبات مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخاً وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جلة واحدة الى السماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو الالفى بشئ يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من حكم هذه الآية وهو الالفى بالحكم بحكم يعقبه (فصل فى حكم النسخ) هو فى اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً عقلاً لا يرد فان منهم من ينسكه عقلاً لكنه منعه سمعاً وشدت طائفة قليلة من المسلمين فادكرت النسخ احتج الجاهل من المسلمين على جواز النسخ ووقعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الامع القلوب بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل فى يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم

العظيم ولما طعنوا فى النسخ فقالوا ألا نرى الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً (مانسوخ من آية أو نساها) فغير النسخ لغة التبدل وبشرية بيان انتهاء الحكم الشرعى المطابق الذى تقر فى أوهامنا استقراره بطريق التاريخ فكان نبدل فى حقنا بياناً بعضاً حتى صاحب الشرع وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منسكه وأعنى اليهود ومحمد حكم بمنحصر الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من نوقيت أو تأيد ثبت نصاً ودلالة وشرطه التحسن من عقد القلب عند نادون التحسن من

(وما يعلمان من أحد) وما يعلم الملاك أحدًا (حتى يقولوا) حتى ينهوا ويصعدوا ويقولوا (انما نحن فتنة) ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) بتعليمه والعمل به على وجه يكون كفرًا (فيتعلمون منهما) الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحرا أى يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر الذين دل عليهم (٧٦) قوله كفروا ويعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير فيأتون فيتعلمون

على الملائكة والانبيا وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان وألأم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيًا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعنى بالسحر الذى افعله عليه الشياطين وانتمهم في ذلك اليهود فاخبر عن افتراءهم وكذبهم وذكروا أيضا في الجواب عن هذه القصة وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة لو ابليتكم بما ابليت به بنو آدم لمصيبة فنى قالوا سبحانه ما كان يفتنى لنا أن نفسيك وفيه مرد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقيم هدامهم الوجه الثاني أنهم اخبروا بن عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد لان الله تعالى لا يخبر من أشرك وإن كان قد صحت توهمه فلا عقوبة عليهم الوجه الثالث ان المرأه لا جرت فكيف يعقل أنها معدت الى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدره ها بحيث أقسم بها في قوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمصنوعه وقوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا) يعنى وما يعلمان أحدًا حتى ينصعدوا أولا ويقولوا (انما نحن فتنة) أى ابتلاء وخطة (فلا تكفر) أى لاتعلم السحر فتعلم به فكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان أبى قول نصحه ما وصم على التعلم يقولان له انت هذا الرماد قبل عليه فاقتل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الايمان والمعرفة نزل شيء أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى (فيتعلمون منهما) يعنى من المالكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا في التفرق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والفتوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر له تأثير في نفسه بدليل قوله (وما هم) يعنى السحرة (بضارين به) أى بالسحر (من أحد) أى أحدًا (الا بآن الله) أى بعلمه وقضائه وتكوينه فالسحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضائه تعالى وقدرته ومشيئته (وبيتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعنى السحر لانهم يقصدون به الشر (ولقد علموا) يعنى اليهود (لمن اشتراه) أى اختار السحر (ماله في الآخرة من خلاق) يعنى ماله نصيب في الجنة (وليس ما شروا به أنفسهم) أى باعوا حياض أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق (لو كانوا يعلمون) فان قلت كيف أثبت العلم لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمة ثم نفاه عنهم آخر فى قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله تعالى وما جاءت به الرسل عناد منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لن فعل ذلك منهم من العقاب فكانهم حين لم يعلموا يعلمهم كانوا منسلخين منه (ولو أنهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر وما يؤثمهم (لثوبه من عند الله) أى لكان نواب الله اياهم (خير) لم يعنى هذا الثواب (لو كانوا يعلمون) يعنى ذلك ﴿ قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا سب نزل هذه الآية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراجعة أى راعنا سمعك وفرغنا سلكنا وانا كانت هذه اللفظة سابقا قبلها اليهود ومعناها عندهم اسمع لاسمعت وقيل من الرعوة اذا أرادوا أن يحكموا اننا نأقوال راعنا يعنى أحن فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيها بينهم كنانسب محمد اسرا فاعلنوا به الآن فكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضى الله

والضمر لماد لعلب من أحد أى فيتعلم الناس من المالكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا في التفرق بين الزوجين بان يحدث الله عنده الفتور والخلاف ابتلاء منه والسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه (وما عسى بضارين به) بالسحر (من أحد الا باذن الله) بعلمه ومشيئته (وبيتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) في الآخرة وفيه دليل على انه واجب الاجتناب كتعلم الفاسقة التى تجر الى الغواية (ولقد علموا) أى اليهود (لمن اشتراه) أى استبدل ماتلوا الشياطين على كتاب الله (ماله في الآخرة من خلاق) من نصيب (وليس ما شروا به أنفسهم) باعوا وانما نى العلم عنهم بقوله (لو كانوا يعلمون) مع اثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمة لان معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم جعلهم حين لم يعلموا به كانوا يعلمون

(ولو أنهم آمنوا) برسول الله والقرآن (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من العمل بالعلم والمعنى لا يتبعوا من عند الله خبروا لو كانوا يعلمون (أن نواب الله خبرهم فيه وقد علموا) لكنه جعلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى لا يتبعوا من عند الله ما هو خبره وأثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لولمافهم من الدلالة على ثبات المنة واستقرارها ولم يقل لثوبه الله خبر لان المعنى اشئ من الثواب خبرهم وقيل لوبمعى التمنى كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتداء لثوبه من عند الله خير (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا

الله تعالى قدتها اناعنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهم امان الميسل بها ما فيها فرودها عن نفسها فرضت عليهم ما قالت بالامس فقالوا الصلاة انخير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشر بالمالما انتسبوا وقع بالمرأة فزنا بها فزناهم انسان فقتلاه خوف النفسيحة وقيل انهما سجد الصائم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما لا آخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك أن تقضي له ما لي زوجه فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقال له صاحبه فقال لا إلا أن تقضي لي على زوجي فقصض يام سالاها نفسها فقال لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها نفسها فقال لا إلا أن لي صنأاً عبده ان أتيا صليتا معي عنده ففعلت فقال أحدهما صاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليما معا عنده ففعلت شهايا وقال على ابن أبي طالب رضي الله عنه قالت لهما نذر كافي حتى تخبرني بالذي تصعدان به الى السماء فقال اسم الله الاكبر قالت فما أتماجد ربي حتى تعلماني اياه فقال أحدهما لا آخر علمه فقال اني أخاف الله فقال الآخر فابن رحمة الله فعله ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء ففسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها فقالوا أقسم بالخمس الجوار الكس والني فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة الجمال وحسنا فلما بغت بسخوها تعالى شهايا قالوا فلما أسمى هاروت وماروت بعد ما قارأ الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أن جنحتهما فلما ماحل بهما فقصدا ادر يس النبي عليه السلام وأخبر اياه امره اوسا لاه أن يشفع لهما الى الله عز وجل وقال له رأيت يا بصعد لك من العبادة مثل ما يصعد جميع أهل الارض فاشفع لئالي ربك ففعل ذلك ادر يس خيره ما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختار عذاب الدنيا ادعما له ينقطع فيه ما يبالي بعد ثمان قيل انهم معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقيل انهما منسكوسان بضر بأن يسباط الحديد وقيل ان رجلا قد هدم البيت علم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما من رقة عيونهم ماسودة جلودهم ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا قدر أربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لاه الا الله فلما سمع كلامه قال لاه الا الله من أنت قال رجل من الناس فقال من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بحث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فقال لا الحمد لله وأظها الاستبثار فقال الرجل سم استبثار كما قال انه نبي الساعة وقد دنا نقضاء عذابنا

فصل في القول بعصمة الملائكة أجمع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلاء وانفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع أمهم ثم اختلفوا في غير المسلمين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طائفة الى ان غير المسلمين من الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وماتله أهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الاخبار والسدي والريعي ومجاهد وأجاب من ذهب الى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت بان نقله المفسرون وأهل الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء وهذه الاخبار انما أخذت من اليهود وقيل علم افتراؤهم

ما تلواى واتمه وأما أنزل
على الملوك (سابل هاروت
وماروت) علمن لهم
وهما عطف بيان للملكين
والذى أنزل عليهم ما علم
السحر ابتلاء من الله للناس
من تعلمه منهم وعلم به
كان كفرا إن كان فيه
رد مالزم في شرط الإيمان
ومن تجنبه أو تعلمه لا يعمل
به ولا يمكن ليتوقا فلا يفتنه
كان مؤمنا قال الشيخ أبو
منصور الماتريدى رحمه الله
القول بان السحر على
الاطلاق كفر خطا بل يجب
البحث عن حقيقة فان
كان في ذلك رد مالزم في
شرط الإيمان فهو كفر
والافلاطم السحر الذى هو
كفر يقتل عليه الذكور
للالنات والمالس بكفر
وفيه اهلاك النفس ففيه حكم
قطاع الطريق ويستوى
فيه الذكور والمؤنث وتقبل
نوبة اذا تاب ومن قال
لا تقبل فقد غلط فان سحرة
فرعون قبلت ثوبتهم وقبل
أنزل أى قذف في قلوبهم ما
النبي عن العمل قبل انهما
ملك كان اختارتهما الملائكة
لتركب فيهما الشوكة حين
عيرت بنى آدم فكانا يحكما
في الارض ويصعدان بالايال
فهو يازهره فخلعتهما على شرب
الخمر فزنا فرأهما انسان
فقتلهما فاختار عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فمما بعد بان منكوسين في جب بابل وسميت بابل لتبليد الامم بها

أحدهما يكفر به صاحبه وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر أو يعتقد ان الكواكب هي
أوثرة الفعل وهذا انتهى به السحر الى هذه الغاية ما ذكرنا كافرا باثباته تعالى ويجب قتله لما روى عن جندب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر بـه بالسيف أخرجه الترمذى والقديم الثاني من السحر
وهو التخيل الذى يشا كل البر نحيات والشبه بذا لا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولأن الكواكب هي
المؤثر لا يعتقد أن القدرة تعالى وأنه هو المؤثر فهذا لا يقدّر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من
الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحرة قتل قصاصا لما روى عن مالك أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قتلت جارية لها سحر توارق كانت دبرتها فامرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ قوله عز وجل (وما
أنزل على الملوك) أى ويعلمون الذى أنزل على الملوك والآنزال هنا بمعنى الإلهام والتعليم أى ما ألهما
وعلموا فرقى في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هاروت جلان ساحران كانا بابل وقيل علجان ووجهه أن
الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز أن يضاف الى الله تعالى أنزال
ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعلم السحر قلت قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده
جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويمنهون عنه ولو كان
الامر على غير ذلك لا كان للامر والنهاى معنى مفهوما والسحر مما نهى عباده من بنى آدم عنه فغير مسكر أن
يكون الله تعالى علمه للملكين الذين سباهما في تنزيله وجعلهما فتنه لعباده من بنى آدم كما أخبر عنهما أنهما
يقولان لمن جاء يعلم ذلك منهما العاغب فتنه فلا تكفر يا خبرهما مع عباده الذين نهاهم عن السحر وعن
التفرق بين المرء وزوجه فتمحض المؤمن بركة التعليم منهما ويحرم للكافر تعلمه الكفر والصبر منهما
ويكون الملكان في تعليمهما ما علمنا من ذلك طيعين الله تعالى إذ كان عن اذن الله تعالى لهما تعليم ذلك وغير
ضارهما سحر من سحر من تعلم ذلك منهما بعد نهى ما ياب عنه بقولهما العاغب فتنه فلا تكفر إذ كانا قد أديا
ما أمر به وقال غيرهما لا يعتمدان ذلك بل بصفان السحر ويذكران بطلانه بأمران باجتنابه فالشقي
من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله
تعالى ليخبر الناس بهم في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على
إيمانه والله تعالى أن يتجنح عباده بما شاء كما امتحن بنى اسرائيل بنهر طالت بقوله في شرب منه فليس منى
ومن لم يطعمه فانه منى (ببابل) قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت بذلك لتبليد الالسنه بها عند
سقوط صرح غرودوقل انها بابل نهروند الاول أصح وأشهر (هاروت وماروت) اسمان من يانين وقصة
الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة
في زمن ادريس عليه السلام عبروهم وقالوا هؤلاء الذين جاءتهم في الارض واختبرتهم وهم يعصونك فقال
تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لكنهم مثل ما ركبو اقا والسبحان ما كان ينبغي لئان
نصيبك قال الله تعالى فاختاروا الملكين من خياركم اعطىهما الى الارض فاختارا هاروت وماروت وكانا
من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عز او ماروت عز ابغى اسمهما لما قارفا للذهب وركب الله فيهما
الشهوة وأعطىهما الى الارض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق
والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا الى السماء
فأمر عليهما ما شرحتي اقتناروقل بل اقتننا في أول يوم وذلك انه اخضع اليهما مرة فيقال لها الزهرة وكانت
من أجل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها أخذت بقولهما فاقل أحدكما صاحبه هل سقط في
نفسك مثل الذى سقط في نفسي قال نعم فراوداه عن نفسها فابت وانصرف ثم عادت في اليوم الثاني ففعل
مثل ذلك فابت وقالت لا الان تعبداهما الصنم وتقتلا النفس وتشر بالخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان

الكتاب) أى التوراة والذين أتوا الكتاب اليهود (كتاب الله) يعنى التوراة لانهم (٧٣) بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم

المصدق لماعهم كافرون
بما ينادون لها وأكثاب الله
القرآن ينذو بعد ما زعمهم
تلقية بالقبول (وراء
ظهورهم) مثل لتكهم
واعراضهم عنه مثل بما
يرمى به وراء الظهر واستفناء
عنه وقلة التفات اليه (كانهم
لا يعلمون) انه كتاب الله
(واتبعوا ماتلو الشياطين)
أى نبد اليهود كتاب الله
واتبعوا كتب السحر
والشعوذة التى كانت
تقرؤها (على ملك سليمان)
أى على عهد ملكه وفى
زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم
يضمون الى ماسموا
أى كاذب يلقونها ويلقونها
الى السكينة وقد نذروها فى
كتب يقرؤها ويعلمونها
الناس وفشا ذلك فى زمن
سليمان عليه السلام حتى قالوا
ان الجن تعلم آتعب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما
ثم سليمان ملكه الا بهذا
العلم وبه سخر الجن
والانس والريح (وما كفر
سليمان) تكذيب للشياطين
ودفع ما جهت به سليمان من
اعتقاد السحر والعمل به
(ولكن الشياطين) هم الذين
(كفروا) باستعمال
السحر ودنونه ولكن
بالتخفيف الشياطين
بالرفع شامى وحزة وعلى

الكتاب كتاب الله وراه ظهورهم) قبل أرباب الكتاب القرآن وقبل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون
الامم التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن ما نبداهم التوراة فانهم ككنا يقرؤها ولا يعملون بها وقيل لانهم
أدروها فى البحر ورحلوا بالذهب ولم يعملوا بها فيها (كانهم لا يعلمون) يعنى انهم نبدوا كتاب الله
ورفضوه عن علم به ومعرفة ما جادلهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود والذين كانوا
فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكنتموا أمرهم وكان أولئك النفر قليلا * قوله عز وجل (واتبعوا ماتلو
الشياطين) يعنى اليهود نبدوا كتاب الله واتبعوا ماتلو الشياطين وهى تناولوا قرأ من التلاوة وقيل معناه
تفترى وتكذب (على ملك سليمان) وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان أى
على عهد زمانه وقصة ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنجيات على اسان آصف هذا ما علم آصف بن
برخاس سليمان الملك وكتبوه ودفعوه تحت كرسىه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بنى
اسرائيل اشتغلوا بآداب السحر فى زمانه فنهى سليمان من ذلك وأخذ كتبهم ودفعها تحت سريره فامات
استخرجها الشياطين وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتملعوه فاماصلحوا بنى اسرائيل وعلمواهم
فانكروا ذلك وقالوا معاذ الله أن يكون هذا العلم من علم سليمان وأما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان
وأقبلوا على تعليمه وتركوا كتب أنبيائهم وفشت الامامة سليمان فلم تنزل هذه حاله الى ان بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه برائة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ماتلو الشياطين على ملك
سليمان (وما كفر سليمان) يعنى بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا
نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس له بسبب السحر وقيل ان السحرة من
اليهود رموهم وأخذوا السحر عن سليمان فبرأه الله من ذلك وقيل ان بعض أخبار اليهود قالوا لانسجرون
من محمد بن زعم أن سليمان كان نبيا وما كان الاسحار فائز لانه تعالى وما كفر سليمان يعنى أن سليمان كونه
نبيا ينافى كونه ساحرا كافر اثم بين الله تعالى ان الذى برأه منة لاحق بغيره فقال (ولكن الشياطين كفروا)
يعنى ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى (يعلمون الناس
السحر) يعنى ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل أن يكون يعلمون يعنى اليهود الذين عنوا
بقوله واتبعوا وسمى السحر سحرا اخفاء سببه فلا يفعل الا فى خفية وقيل معنى السحر الازال لقوة رى الشئ
عن وجهه تقول العرب ماسحرك عن كذا أى ماصرفك عنه فكان الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق
فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه هذا أصله من حيث اللغة وأما حقيقة فقد قيل انه عبارة عن التوبة
والتخييل ومذهب أهل السنة انه وجود حقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان السحرا كواكب هى
المؤثرة فى قلب الاعيان وروى عن الشافعى انه قال السحر تخيل وعرض وقد يقتل حتى أوجب القصاص
على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والجمار على صورة
الكلب وقد يغير الساحر فى الهوا وهذا القول ضعيف عند أهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق
الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لأن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها والاصح ان السحر تخيل
ويؤثر فى الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان الكلام تأثيرا فى الطباع فقد سمع الانسان
ما يكره فيحمر وقد مات قوم بكلام سمعوه فالسحر بمنزلة الاكل فى الابدان بأحكامه فانه من الكبائر التى
نهى عنها ويحرم تعلمه لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال اجتنبوا السبع الموبقات
قيل يا رسول الله وما هن قال الاشر باله والشح وقيل النفس التى حرم الله الا بالحق وكل مال اليتيم والزنا
والزنى يوم الزحف وقد فى المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجاه فى الصحيحين وقد روى رسول الله صلى الله عليه
وسلم السحر من الكبائر ونهاه بالشرك وأمر باجتنابه وقوله ما وبقات يعنى المهلكات والسحر على قسمين

(١٠ - خازن - اول) (يعلمون الناس السحر) فى موضع الحال أى كفروا بعلمين الناس السحر قاصدين به اعوامهم واضلاهم

ببابل غلاما سكتينا فذفع عنه جبريل وقال ان كان ربك امرا مبها لاكم فانه لا يساطحكم عليه وان لم يكن اياه فملى أى ذنب تقتلون (فانه نزل)
 فان جبريل نزل القرآن ونحو هذا الاضمار أعني اضمار ما لم يرد ذكر فيه غفامة حيث يجعل امرط شهرته كانه بدل على نفسه ويكتفى عن
 اسمه الصريح بد كثر من صفاته (على قلبك) أى حفظه بآيك وخص القلب لانه محل الحفظ كقوله نزل به الروح الامين على قلبك وكان
 حق الكلام ان يقال على قاي ولكن جاء على حكاية كلام الله كاي كما به واعا استقام ان يقع فانه نزل جزءا للشرط لان تقديره ان عادى
 جبريل احد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا صدقا لكتب بين يديه فلو انصفوا الاحبوه
 (٧٢)

هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزل على قلبك مشعر
 بذلك وقوله (فانه نزل) يعنى جبريل نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور (على قلبك) بالحمد وانما
 خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ (بآيك الله) أى بامر (صدق) أى واقفا (لما بين يديه) أى
 لما قبله من الكتب (وهدى وبشرى للمؤمنين) أى فى القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التى
 ترتب عليها الثواب وبشرى لهم بنواها اذا أتوا بها (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
 وميكائيل) لما بين فى الآية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل ان نزل بالقرآن على قلب محمد صلى الله عليه
 وسلم وجب ان يكون عدوا لله لان الله تعالى هو الذى نزل على محمد بنى فى هذه الآية ان كل من كان عدوا
 لاحدهم لا فانه عدو للجميع وبين ان الله عدوه بقوله (فان الله عدو للكافرين) فاما عدوتهم لله فانها
 لا تضرهم ولا تؤثر وعدوتهم لهم تؤذيهم الى العذاب الدائم الذى لا ضرر أعظم منه وقيل المراد من عدوتهم لله
 عدواؤهم لأولياءه وأهل طاعته فوكقوله انما جزاه الذين يحاربون الله ورسوله أى يحاربون أولياء الله
 وأهل طاعته وقوله وملائكته ورسوله يعنى ان من عادى واحدا منهم فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد
 منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكائيل انما خصهما بالذكر لانه كانا داخلين فى الملائكة لبيان
 شرفهما وفضلهما واعلموا منزلهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذى هو غذاء
 الارواح وميكائيل ينزل بالمطر الذى هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان أعجميان ومعناها
 عبد الله وعبد الله لان جبريل وميكائيل بالسر بانية هو العبد وابل هو الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) قال
 ابن عباس هذا جواب ابن صور ياحيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنزل عليك من آية بينة فتبعك بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى بينات وضحات مفصلات بالاحلال والحرام
 والحدود والاحكام (وما يكفر بها) أى وما يجحد بها هذه الآيات (الافاسقون) أى الخارجون عن
 طاعتنا واما أمرنا به (أو كما عاهدوا عهدا) قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما أخذ عليهم من العهد وفى محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال مالك بن الصيف والله ما عاهد
 الينا فى محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية أو كما استفهام انكار عاهدوا عهدهم فوفو لهم فعداؤهم زمان
 نبى معوث وان فى كتابنا بوقايل انهم عاهدوا الله عهدها كثيرة ثم تقضوها (نبذه) أى طرح العهد
 ونقضه (فريق منهم) يعنى اليهود (بلأكثرهم لا يؤمنون) يعنى كفر فريق منهم بنقض العهد
 وكفر فريق منهم بالجد الحق (ولما جاءهم رسول من عند الله) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (صدقنا
 معهم) يعنى صدق بصحة التوراة وانبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجردا عنه صدقا للتوراة (نبذ فريق من الذين أتوا
 عداوة الملائكة كفر

وشكر والله صيغته فى انزله
 ما ينفعهم ويصحح المنزول
 عليهم وقيل جواب الشرط
 محذوف تقديره من كان
 عدوا لجبريل فأي مت غيظا
 فانه نزل الوحي على قلبك
 (بآيك الله) بامر (صدق)
 لما بين يديه وهدى وبشرى
 للمؤمنين ردى على اليهود
 حين قالوا ان جبريل ينزل
 بالحرب والشدة فقل فانه
 ينزل بالهدى والبشرى
 أيضا (من كان عدوا لله
 وملائكته ورسوله وجبريل
 وميكائيل) بصري وحذف
 وميكائيل باختلاس الهمزة
 كيكال مدنى وميكائيل
 بالمد وكسر الهمزة مشبعة
 غيرهم وخص الملائكة
 بالذكر لفضلهما كأنهما من
 جنس آخر اذ التغيير فى
 الوصف ينزل منزلة التغيير
 فى الذات (فان الله عدو
 للكافرين) أى لهم جاء
 بالظاهر ليدل على ان الله
 انما عاهد الكفرهم وان
 عداوة الملائكة كفر

كعداوة الانبياء ومن عاهداهم عاده الله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) المقررون
 من الكفرة واللام للجنس والاحسن أن تكون اشارة الى أهل الكتاب وعن ابن عباس رضى الله عنه ما قال ابن صور بالرسول الله صلى
 الله عليه وسلم لم ما جئت نبشئ نرفعه وما أنزل عليك من آية فتبعك بها فانزل الله هذه الآيات (أو كما) لعطف على محذوف تقديره كفر وبالآيات
 البينات وكما (عاهدوا عهدا نبذهم) نقضه ورفضه وقال (فريق منهم) لان منهم من لم ينقض (بلأكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة ولبسوا
 من الدين فى شئ فلا يدعون نقض المواثيق ذنبا ولا يباليون به (ولما جاءهم رسول من عند الله) محمد صلى الله عليه وسلم (صدقنا
 معهم) نبذ فريق من الذين أتوا

أحرص الناس) مفعولاً بجهدهم وأحرص (على حياة) التكبير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وهي الحياة المطاولة وإنما كانت القراءة بها
أوقع من قراءة أبي على الحياة (ومن الذين أشركوا) هو مجرول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس نعم قد دخل الذين
أشركوا تحت الناس واسكتهم أفردوا بالذکر لأن حرصهم شديد فكان جبريل وميكائيل خدماؤه وكان دخلا تحت الملائكة وأورد أحرص
من الذين أشركوا لاختلاف الالة لأحرص الناس عليه ورفقه بويج عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة بولايه فون الاحياء الدنيا فحرص
عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر الجزاء (٧١) كان حقيقة ابا عظم التوبخ وانما زاد

حرصهم على الذين أشركوا
لأنهم علموا أنهم صارتون
الى النار اعلهم بمحاطم
والشركون لا يعلمون ذلك
وقوله (يودأ أحدهم لو
يعمر ألف سنة) بيان
لزبادة حرصهم على طريق
الاستئناف وقيل أراد
بالذين أشركوا المجوس
لأنهم كانوا يقولون للوكم
عش ألف نيزور وعن ابن
عباس رضى الله عنهما هو
قول الاعاجم زهرا رسال
وقيل ومن الذين أشركوا
كلام مبتدأ أى ومنهم
ناس يودأ أحدهم على
حذف الموصوف والذين
أشركوا على هذا ما شاربه
الى اليهود لأنهم قالوا عزير
ابن الله والضمير فى (وما
هو عزخه من العذاب)
لاحدهم وقوله (أن
يعمر) فاعل بزخه
أى وما أحدهم بمن بزخه
من النار تعبيره بجوزان
يكون هوهم ما وان يعمر
موضحة والزخه التبعية
والانحاء قال فى جامع العلوم

لتجد منهم بالمحمد يعنى اليهود (أحرص الناس على حياة) أى حياة مطاولة والحرص أشد الطلب (ومن
الذين أشركوا) قيل هو متصل بما قبله وهو مطوف عليه والمعنى وأحرص من الذين أشركوا فان قلت الذين
أشركوا قد دخلوا تحت الناس فى قوله أحرص الناس فم أفردهم بالذکر قلت أفردهم بالذکر لشدة حرصهم
وفيه توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالما دوا لا يعرفون الاحياء الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها
فاذا زاد اعياهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقة ابا التوبخ عظيم وقيل ان الواو
واو استئناف تقديره ومن الذين أشركوا أناس (يودأ أحدهم) وهم المجوس سمو بذلك لأنهم يقولون
بالنور والظلمة يودأ أى يمتنى أحدهم (لو يعمر ألف سنة) أى تعمير ألف سنة وانما خص الاف لانها
نهاية العقود ولا نهاية للمجوس فيما ينهم يقولون زهرا رسال أى عش ألف سنة وألف نيزور وألف
مهرجان فهذه تحميمهم والمعنى أن اليهود أحرص من المجوس الذين يقولون ذلك (وما هو عزخه) أى
بعباده (من العذاب) أى النار (أن يعمر) أى ليعمر طول عمره لا ينقذه من العذاب (والله بصير
بما يعملون) أى لا يخفى عليه خافية من أحوالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قل من كان عدوا لجبريل) قال
ابن عباس سبب نزول هذه الآية ان عبد الله بن مسعود روى عن ابي جابر عن ابي عبد الله صلى الله عليه وسلم
أى ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان ميكائيل لآمننا بك ان جبريل يفل بالهذاب
والشد والخصف وانه عادانا امرأوا شهد ذلك علمنا ان الله أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على
يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان زمنه بعثنا من بقتله فلقه ببابل غلاما مسكينا فاخذته لبقته فذفع عنه
جبريل وقال ان كان الله أمره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى أى حتى تقتله فلما كبر ذلك
الغلام وقوى غزا نازح بيت المقدس فلما اتخذته عدوا قاتل الله هذه الآية وقيل قالوا ان الله أمره
أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فأتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له أرض باعلى المدينة وكان
عمر اليها على مدرس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما فى أصحاب محمد أحب الينامك
وانما نطمع فيك فقال عمر والله ما أنتمكم لحكم ولا أسألكم لانى شك فى ديني وانما أدخل عليكم لآزداد
بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم فقالوا لمن صاحب محمد الذى ياتيه من الملائكة
قال جبريل قالوا ذلك عدونا بطامع محمد اى من نار هو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يحيى
بالخشب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتسكرون محمد اى الله عليه وسلم قالوا نعم قال فاعبروني عن
منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل
فقال عمر أشهد ان من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع
عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات
وقال لقد وافقك بك يا عمر فقال عمر والله لقد أبتى بعد ذلك فى ديني أصاب من الحجر والاقراب من سب

وغيره لو يعمر يعنى أن يعمر فلوها نانية عن ان وان مع الفعل فى تاول المصدر وهو مفعول يودأ أى يودأ أحدهم تعمير ألف سنة (والله بصير
بما يعملون) أى يعمل هؤلاء الكفار فيعازيهم عليه وبالآية توب (قل من كان عدوا لجبريل) يفتح الجهم وكسر الراء بلا همز مكى و يفتح
الراء والجيم والهمز مشبعا كوفى غير حقيق وكسر الراء والجيم بلا همز غيرهم ومع الصرف للتعريف والجمجمة ومعناه عبد الله لان جبريل هو
العبد بالسر بانية وتاى اسم الله روى ان ابن مسعود روى عن ابي جابر عن ابي عبد الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن من يخط عليه بالوحي فقال جبريل
فقال ذلك عدونا ولو كان نيرة لآمننا بك وقد عاد امرأوا شهد انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب به بخت نصر فتنامن بقتله فلقه

نؤمن بما أنزل علينا) أي التوراة (ويكفرون بماوراه) أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بماوراه التوراة (وهو الحق مصداقاً لهم) غير محذوف وفيه رد لقائلهم لا هم اذا كفروا بماوراهي التوراة فقد كفروا بها ومصدقاً له (فكذبوا) أي فم قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله (من قبل ان كنتم مؤمنين) أي من قبل محمد عليه السلام اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء قبل قتلاوي يوم واحد ثانياً النبي في بيت المقدس (واقصد جاءكم ورسى بالبينات) بالآيات النعم واودعهم في الحبس حيث كان أبو عمرو ووجزه فعلى (ثم اتخذتم الجبل) الهيا (من بعده) من بعد خروج موسى عليه السلام الى الطور (وأنتم ظالمون) هو حال أي بعدتم الجبل وأنتم واضعون العبادة غير وجهه والواضع أي وأنتم قوم عادتمكم الظلم (واذاخذنا من يثاقكم ورفعه فوقكم) لطورخذ وما أنبياءكم بقوة: كرهذ كرفع الطور لما ينط به من زيادة يست مع الاولى (٧٠)

(واسمعوا) ما أمرتم به في التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك وطاقي قوله جوابهم من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وعناية فقلوا سمعنا ولكن لسمعنا طاعة (وأشرنا في قلوبهم الجبل) أي بداخلهم حبه والحرص على عبادته كما بداخل الصغ انوب وقيل ان وصى أمر أن يرد الجبل ويذري في الهر وأمرهم أن يشر بوائمه في بقى في قلبه شئ من حب الجبل ظهر سحابة الذهب على شار به (قل بشمايا أمركم به يا أيها الناس) أي بان تعبدوا الجبل والمهي بشس الايمان إيمان بأمر بعبادة الجبل (ان كنتم مؤمنين) أي بزعيمكم وذلك أنهم قالوا نحن بما أنزل علينا فيفكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) وذلك أن اليهود ادعوا دأوى باطلة منها قولهم ان يدخل الجنة الا من كان هوذا وقولهم نحن أبناء الله وأحباءه فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس (فتمنوا الموت) أي فاطلبوه واسألوه لان من علم أن الجنة مأواه وأنه لحن اليها ولا سبيل الى دخولها لا بعد الموت فاستعجلوا بالموت (ان كنتم صادقين) أي في قواكم ودعواكم كروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لولة والموت افص كل انسان بر يقه وماتني على وجه الارض يهودي الات قال الله تعالى (ولن يتمنوه أبدا) أي لهمهم أنهم في دعواهم كاذبون (بما قدمت أيديهم) يعني من الاعمال السيئة وانما أضاف العمل الى اليد لان أكثر جنبايات الانسان تكون من يده (والله علم بالظالمين) فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم لانه أعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان أعم وكانوا أولى به (ولتجدنهم) الملام للقسم والتون التوكيد قد ديره والله في محبة دعوهم له (قل ان

كانت لكم الدار الآخرة) أي الجنة (عند الله) ظرف ولكم خبر كان (خاصة) حال من الدار الآخرة أي سالمة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان يصح قولكم ان يدخل الجنة لامن كان هوذا (من دون الناس) هو للجنس (فتمنوا الموت) ان كنتم صادقين فيما تقولون لان من أبين أنهم من أهل الجنة اشتاق اليها فخلطوا من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة ان كل واحد منهم يحب الموت ويحزن اليه (ولن يتمنوه أبدا) هو صوب على الظرف أي لن يتمنوه ما عاشوا (بما قدمت أيديهم) بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام ونحرف كتاب الله غير ذلك وهو من المنجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقولهم وان تفعلوا لولة وتمنوا ذلك كما نقل سائر الحوادث (والله علم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم

التجدنهم

(وهو محرم عليهم) للسان أو هو ضير بهم نفسيره (أخرجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب) بفداء الاسرى (وتكفرون ببعض) بالقتل والاجلاء قال السدي أخذناه عليهم أربعة جهود ترك القتل وترك الاجراج وترك المظاهرة وفداء الاسير فاعرضوا عن كل ما مروا به الا الفداء (فأجاز من يفعل ذلك) هو اشارة الى الايمان ببعض والكفر ببعض (منكم الاخرى) فضيحة وهوان (في الحياة الدنيا) ويوم القيامة يردون الى أشد (العذاب) وهو الذي لا روح فيه ولا فرح اولى أشد من عذاب الدنيا (وما

(٦٨)

الله بغافل عما تعملون)
بالياء مكى ونافذ وأبو بكر
(أولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة)
اختاروها على الآخرة
اختيار المشتري (فلا
يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون) ولا
ينصروهم أحد بالدفع
عنهم (وقد آتينا موسى
الكتاب) التوراة آتاه
جمله (وقفينا من بعده
بالرسل) يقال ففاد اذا
اتبعه من القفا نحو ذنبه
من الذنب وقفاه به اذا
أبعه اياه بعنى وأرسلنا
على اثره الكثيرين الرسل
وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان
وشعيا وأرميا وعزير
وخزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم (وآتينا عيسى
ابن مريم البينات) هى
بمعنى الخادم ووزن مريم
عند النحويين مفعول
لان فعلا لم يثبت فى
الابنية البينات المجزئات
الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الا كنه الاربرص

أنفسكم وفى الآخرة تقدمون وتأخرون قد برة وتخرجون فى مقامكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
(وهو محرم عليكم اخرجهم) وان يأتوك اسارى فتدوهم فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة جهود ترك
القتل وترك الاجراج وترك المظاهرة من أعدائهم فلكأراهم فاعرضوا عن السبل الا الفداء قال الله
عز وجل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ممن امان وجدتموهم فى يد غيركم فندوهم وأتم
تقتلونهم بايدكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذهبهم على مناقضة فاعطاهم على الفداء
لانهم أتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض (فأجازهم من يفعل ذلك منكم) يعنى يا مشرك اليهود
(الاخرى فى الحياة الدنيا) أى عذاب وهوان فكان خزي بنى فى بقاء القتل والسبي وخزي بنى النصير
الاجلاء والافى من منازلهم الى أربحاء وأذرعات من أرض الشام (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب)
يعنى عذاب النار (وما الله بغافل عما تعملون) فيه وعيد ونهيد عظيم (أولئك الذين اشتروا
استبدلوا) (الحياة الدنيا بالآخرة) لان الجمع بين لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فن اشتغل بتحصيل لذات
الدنيا فاته لذات الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب) أى فلا يهون عليهم (ولا هم ينصرون) أى ولا ينعون
من عذاب الله تعالى (وقوله عز وجل (ولقد آتينا) أى أعطينا (موسى الكتاب) يعنى رسولا بعد رسول واحدة
(وقفينا) أى وأتبعنا من انتقفيه وهو أن يقفوا اثر الآخر (من بعده بالرسول) يعنى رسولا بعد رسول وكانت
الرسول من بعد موسى الى زمن عيسى عليهم السلام متواترة يظهر بعضهم فى أثر بعض والشريرة واحدة
فيسل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان وأرميا وخزقيل والياس ويونس
وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريرة موسى الى أن بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم
بشريرة جديدة غير بعض أحكام التوراة فذلك قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أى الدلالات
الواضحات وهى المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكهم والاربرص وقيل هى الانجيل واسم عيسى
بالسر يائسة اشوع ومرمى بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم اكرى بدمن الرجال (وأيدناه) أى وقويناه
(روح القدس) قيل أراد بالروح الذى نفخ فيه والقدس هو الله تعالى وأضاف روح عيسى اليه تشريفا
وتكريما وتخصيلا كقول عبد الله وأمة الله وبيت الله ونازة الله وقال ابن عباس هو اسم الله العظيم
الذى كان عيسى يحى به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى اقرآن روحا وقيل
هو جبريل ووصف بالقدس وهو الظاهرة لانه لم يترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل
كقول عبد الله سمى جبريل روحا لظافته لانه روحانى خالق من النور وقيل سمى روحا لكانه من
الوحى الذى هو سبب حياة القلوب وحل روح القدس هناكى جبريل بل أولى لانه تعالى قال وأيدناه أى
قويناه بجبريل وذلك أنه أمر أن يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء
فلم اسمع اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كآثرهم علمت ولا كآثرهم عينان من أخبار الانبياء
فعلت فالتفتنا بما تى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى (أفكلما جاءكم) يعنى يا مشرك اليهود (رسول بما
لاتهوى أنفسكم استكبرتم) أى تعاضتم عن الايمان به (ففرقا كذبت) يعنى مثل عيسى ومحمد صلى

والاخبار بالفييات (وأيدناه روح القدس) أى الظاهرة بالسكونى حيث كان مكيا أى بالروح المقدسة كبرية الله
حاتم الجود ووصفه بالقدس للاختصاص والتفريق أو بجبريل عليه السلام لانه باقى بمافي حياة القلوب وذلك لانه رفعه الى السماء حين
قصد اليهود قتله أو بالانجيل كما قال فى القرآن روحا من أمرنا وباسم الله العظيم الذى كان يحى الموتى بذكره (أفكلما جاءكم رسول بما
لاتهوى) تعجب (أنفسكم استكبرتم) تعظمت عن قبوله (ففرقا كذبت) كعيسى ومحمد عليهما السلام

أن لا يعبدوا ملحا حذفت ان رفع (و بالوالدين احسانا) أى وأحسن واليتيم عطف الامر وهو قوله وقولوا عليه (وذى القرى) القرابه (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى فقد أباه قبل الحلم الى الحلم لقوله عليه السلام لا يتيم بعد البلوغ (والساكنين) جمع مسكين وهو الذى أسكنته الحاجة (وقولوا للناس حسنا) قولوا هو حسن فى نفسه لا فرط حسنه حسنا (٦٧) حزة وعلى (وأقيموا الصلاة وآتوا

الزكاة ثم توليت) عن الميثاق ورفضوه (والاقليل منكم) قيل هم الذين أسلموا منهم (وأنتم معرضون) وأنتم قوم عادتكم الاعراض والتوليعة عن الموانيق (واذ أخذنا ميثاقكم) لأنفسكم كون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا يفلح ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا وقبل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم أقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وأنتم تشهدون) عليها كاتقول فلان مقرر على نفسه بكذا شاهد عليها أو وأنتم تشهدون اليوم يا هشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) استبعدا لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم- وأقرارهم وشهادتهم أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين (تقتلون أنفسكم) هؤلاء وهؤلاء مع صلته

بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان بالوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهم ما السبب فى كون الولد وجوده ثم ان لماعليه حق التربيبة اضافة يجب شكرهما نانيا (وذى القرى) أى القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلان هذا نحن عطف القرابة على الوالدين (واليتامى) جمع يتيم وهو الذى مات أبوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم وتجب رعاية حقوق اليتيم ثلاثة أمور أصغره وبتدوخلوه عن يقوم بعمله لا يذله وانما ما خرجت درجة المسكين عن اليتامى لانه قد يمكن أن ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة (وقولوا للناس حسنا) فيه وجهان أحدهما أنه خطاب للخاصة من اليهود فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلان هذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا أحقا ومصدقانى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى سأسكم عنه فاصدقوه وينصوا صفته ولا تسكوه وقال ابن عباس والوجه الثانى أن المخاطبين بهم هم الذين كانوا فى زمن موسى عليه السلام وأخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقتلناهم فى الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعرف وانهم وهم عن المنكر وقيل هو اللين فى القول والعشرة وحسن الخلق (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولما أمرهم الله تعالى بهذه التكاليف الخمانية لكونهم لم يمتزله عنده بما التزموا به أخبر عنهم أنهم ما فوا بذلك بقوله تعالى (ثم توليت) أى أعرضت عن العهد (الاقليل منكم) يعنى من الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه فانهم وفوا بالعهد (وأنتم معرضون) أى كاعراض أبائكم (ثم قوله عز وجل (واذ أخذنا ميثاقكم) قيل هو خطاب لان كان فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لآبائهم وفيه تفريع لهم (لا تفسكون) أى لا تريقون (دماءكم) أى لا يفسدكم بعضكم بدم بعض وقيل هناه لا تفسد كدماء غيركم فبفسدكم دماءكم فكانكم أنتم سلفكم دماء أنفسكم (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أى لا تخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لانه لو اشيا فتخرجوا بسببه من دياركم (ثم أقررتم) أى بهذا العهد انه حق (وأنتم تشهدون) يعنى أنتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك (ثم أنتم هؤلاء) يعنى ياهؤلاء اليهود (تقتلون أنفسكم) أى يقتل بعضكم بعضا (وتخرجون فر يقامنكم من ديارهم) أى يخرج بعضكم بعضا من ديارهم (تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) أى تتعدونون عليهم بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى) جمع أسير (تقدوهم) أى بالمال وهو استنقاذهم بالشرء وقرئ تقدوهم أى تبادلوهم وهو مفاداة الأسير بالأسير ومعنى الآية ان الله تعالى أخذ على بنى اسرائيل فى التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيا عباد وأمة من بنى اسرائيل وجدته فاشتره وبعاه مقام من غنمه وأعتقه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير يقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة يقاتل مع حلفائهم فاذا غاب أحد الفريقين أخرجوهم من ديارهم وخربوها وكان اذا امر رجل من الفريقين جمعوا له ماله يبدونه به فغيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تقدوهم فقالوا ما أمرنا ان ننديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا اناس حتى أن نزل حلفاؤنا فغيرهم الله تعالى فقال لهم أنتم هؤلاء تقتلون

خبر أنتم (وتخرجون فر يقامنكم من ديارهم) غيرهم اقبين ميثاق الله (تظاهرون عليهم) بالتحذيف كوفى أى تتعدونون وبالتشديد غيرهم فمن خفف فقد حذف احدى التاءين ثم قيل هى الثانية لان الثقل بهاء وقيل الاولى ومن شدد قلب التاء الثانية طاء وأدغم (بالاثم والعدوان) بالمعصية والظلم (وان يأتوكم أسارى تقدوهم) تقدوهم أى عومرو وأسرى تقدوهم مكى وشامى أسرى تقدوهم جزاء أسارى تقدوهم على فدى وفادى بمعنى وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى والضمير فى

وذكر الابدئي للتاكيد وهو من مجاز التاكيد (ثم يقولون هذان عند الله ليشرقوا به ثنائيل) هو ضاير (فويل لهم عما كتب
أيدهم وويل لهم عما يكتبون) من الرشا (وقالوا ان ثمن النار الايام ممدودة) أر بعين بوماعدا أيام عبادة الجبل وعن مجاهد رضي الله
عنه كانوا يقولون ممدودة الدنيا مدة (٦٦) آلاف سنة وانما تعذب مكان كل ألف سنة يوما (قل اتخذتم عند الله عهدا

لانه يحتمل أن يامر غيرهم بان يكتب فقال بأيديهم انفي هذه لشبههم والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود
وذلك ان رؤساء اليهود خافوا ذهاب ما كانوا يزولون رايهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
فاتحوا في تعويث سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفة في التوراة فغيروها وكانت صفة فيها حسن الوجه
حسن الشراء لكل العبيثين به فغيروا ذلك وكتبوا بوماعدا بومال أزرق العينين سبط الشر فكانوا اذا
سألهم سفلتهم عن ذلك فرأوا عليهم ما كتبوا (ثم يقولون هذان عند الله) يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا
نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم الى تلك الصفة وجدوه مخالفا لما في كذبونه ويقولون انه ليس به
(ليشرقوا به) أي بما كتبوا (ثنائيل) أي الما كل والرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم قال الله
تعالى (فويل لهم عما كتبوا بأيديهم وويل لهم عما يكتبون) قوله عز وجل (وقالوا أي اليهود ان ثمننا)
أي لن تصيبنا (النار الايام ممدودة) أي قدامهم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود ممدودة
الدنيا سبعة آلاف سنة وانما تعذب بكل ألف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل انهم عنوا
بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها الجبل وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في أمر فاقسم
ليعذبهم أر بعين بوماعدا القسم فقال الله رد عليهم وتكذيبا لهم (قل) أي يا محمد لليهود (اتخذتم عند الله
عهدا) أي موثقا لانه منكم الالهة المدة (فلن يخلف الله عهدا) أي وعده (أم تقولون على الله ما لا تعلمون
بلى) اثبات لما يدعرون النبي وهو قوله ان ثمننا النار والمعنى بلى نكسكم النار أي (من كسب سيئة) السيئة
اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس (وأحاط به
خطيئته) أي أحاطت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك بموت عليه صاحبه وقيل أحاطت به
أي أهلكته خطيئته وأحبطت ثواب طاعته فعلى مذهب أهل السنة يعنى تفسير السيئة والخطيئة في هذه
آية الكفر والشرك لقوله تعالى (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فان الخلود في النار هو الكفر
والمنكرين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال
والذين آمنوا وعملوا الصالحات فولدوا الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان
تكرارا فأتى بأجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا أن قوله أن لا يزيد
الا انه فعل فله واحد من أفعال الايمان فلهذا احسن أن يقولوا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله
آمنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكأنه تعالى قال آمنوا أولا ثم داوموا عليه آخر
و بدخل فيه جميع الاعمال الصالحات (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وقوله عز وجل (وإذا أخذنا
ميثاق بني اسرائيل) يعنى في التوراة والميثاق العهد الشديد (لا تعبدون الا الله) أي أمر الله تعالى بعبادته
فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين احسانا) أي
براهما ورحمة لهما وزلا عند أمرهما بما لا يخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا
يؤذيهم - الآية وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما من الاحسان اليهما أن يدعوهم الى
الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف
بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب وبنه على عبده أعظم النعم لانه هو الذى خلقه وأوجده

عهد اليكم أنه لا بعد لكم
الاهذا المقدار (فلن
يخلف الله عهدا) متعاق
بمحذوف تقديره ان
اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف الله عهدا (أم
تقولون على الله ما لا
تعلمون) أم امان تكون
معادلة أي أقولون على
الله ما تعلمون أم تقولون
عليه ما لا تعلمون أو متعاطفة
أي بل أقولون على الله
ما لا تعلمون (بلى) ثبات
لما بعد النبي وهو ان
ثمننا النار أى بلى نكسكم
أبدابدليل قوله هم فيها
خالدون (من كسب سيئة)
شركا عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما رضى
الله عنهم (وأحاط به
خطيئته) وسدت عليه
مسالك النجاة بان مات
على شركه فاما اذا مات
مؤمنًا فاعظم الطاعات
وهو الايمان معه فلا يكون
الذنب محيطا به فلا يتناول
النص وبهذا التأويل
يبطل تشديد
المعتزلة والخوارج وقيل
استوت عليه كما يحيط
العدو ولم ينقص عنها

بأنه بخطيئته مدني (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل) الميثاق العهد المؤكد غاية التاكيد (لا تعبدون الا الله) اخبار في معنى النهي كما تقول
تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو باغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامثال والانتها وهو يخبر عنه وتصره
فراءه تأتي لا تعبدوا وهو لوقولوا والقول مضمر لا بعد من مكى وحزة وعلى بن اسرائيل اسم ظاهر والاسماء الظاهرة كلها غيب ومعناه

(من بعد ما علوه) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وسحر فوافلهم سابقة في ذلك (واذا لقوا) أى المنافقون أو اليهود (الذين آمنوا) أى الجاهل من أصحاب محمد عليه السلام (قالوا) أى المنافقون (أمتنا) بانكم على الحق وأن محمد هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الى الذين نافقوا (قالوا) عاتينهم عليهم (أتحدونهم) أتحدون أصحاب محمد عليه السلام (يا فتح الله عليهم) بما بين الله لكم في التوراة (٦٥) من صفة محمد عليه السلام (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحاجوكم

به عند ربكم عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا انزلك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا هو عند الله هكذا بمعنى واحد وقيل هذا على اضاف المضاف أى عند كتاب ربكم وقيل ليحاجدواكم بخصامكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه (أفلا تمقلون) ان هذه حجة عليكم حيث تعرفون به ثم لا تتأبهونه (أو لا يعلمون أن الله به علم) جميع (مايسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم) اليهود (أيون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (أما) الامام عليهم امنابهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يمتسهم النار لأيا ما معدودة وألا كاذب

ليقاتر به وذلك لانهم لم يرجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله الصادقون منهم فاتهم أدوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم أن تغربوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا خبر يفهم ومن فسر الفرق بين الذين كانوا يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان عمر يفهم تبدلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجى في التوراة (من بعد ما علوه) أى علموا وصحة كلام الله ومرا دة فيه ثم مع ذلك خافوه (وهم يعلمون) أى فساد مغالطته ويعلمون أيضا انهم كاذبون قوله عز وجل (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنه ما ان منافق اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا بالذي آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانما تجد نعتهم وصفته في كتابنا (واذا خلا بعضهم الى بعض) يعنى كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وهب بن يهودا ورؤساء اليهود لا منافق اليهود على ذلك (قالوا) أتحدونهم بما فتح الله عليكم) يعنى قصص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق (ليحاجوكم به) أى ليخاصمكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم لقولكم قد قولون لكم قد قرئتم انه نبى حتى في كتابكم لا يتأبهونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به قاله نبى حتى ثم لم يعضهم بعضا وقالوا أتحدونهم بما فتح الله عليكم لكونهم لم يحتجوا عليكم (عند ربكم) أى في الدنيا والآخرة وقيل هو قول يهودى فر يطة بعضهم البعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان الفرده والخنازير قالوا من أخبر محمد امهنا هذا ما خرج الامنكم وقيل ان اليهود أخبروا المؤمنين بما عندهم الله به من الجنائيات فقال بعضهم لبعض أتحدونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ابروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله (أفلا تعلمون) أى ان ذلك لا يلى على ما أنتم عليه (أو لا يعلمون) يعنى اليهود (أن الله يعلم مايسرون) أى ما يخفون (وما يعلنون) أى ما يبديون وما يظهرن قوله عز وجل (ومنهم) أى من اليهود (أيون) أى لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع أى وهو المنسوب الى أمه كأنه باق على ما نافصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة (لا يعلمون الكتاب الا ما تلى) جمع أمانة وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

نمى كتاب الله أول ليلة تمى داود اليزبور على رسل

أى تلا كتاب الله وقال ابن عباس رضى الله عنه ما عندها غير عارفين بمعانى كتاب الله تعالى وقيل الامانى الاحاديث الكاذبة المختلفة وهي الاشياء التى كتبها علماءهم ومن عند أنفسهم وأضافوا الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمنى وهو قولهم ان تمسنا النار الاياما معدودة وغير ذلك مما غنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يمتنون أشياء لا تحصل لهم (وانهم الايظنون) أى ليسوا على يقين (فويل) الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابى سعيد اخذرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل وادى جفنه يهوى فيه الكفار ربهين خير يقابل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذى وقال حديث غريب اخر يفسته (لأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم) تأ كيد للكتابة

(٩ - خازن - اول) مختلفة سمعواهم علماءهم فكتبوا على التقليد ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما كتبت منذ أسلمت وألا ما يقرؤن من قوله تلى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقدار أى لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وانما يقرؤن أشياء أخذوها من أحبارهم والاستثناء منقطع (وانهم) وباهم (الا يظنون) لا يدرون ما فيه فيجدون نبوتك بالظن ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم انهم يعلمون الذين قدسهم (فويل) فى الحديث وادى جفنه (لأنهم يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلا

إشارة إلى أحياء القليل والى جميع ما تقدم من الآيات المدودة (فهى كالخجارة) فهى فى قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد
 معطوف على الكسوف ثم يردده ومثل أشد قسوة غذى الخاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأهوى فى نفسه أشد قسوة بهى أن من عرف
 حالها منهم بالحجارة وبجوهر (٦٤) أسمى منها وهو الحديد مثلاً ومن عرفها منهم بالحجارة أو قلها هى أسمى من الحجارة

من البصرة (فهى) يعنى القلوب فى غلظ والشدة (كالخجارة) أى كالشيء الصلب الذى لا تخاف فيه
 (أو) قيل أو بمعنى بل وقيل بمعنى الواو (أشد قسوة) فإن قلت لم يبق لهم الحجارة ولم يشبه بالحديد
 وهو أشد من الحجارة وأصل قلت لأن الحديد قابل للآلئ بالآلئ والبرود لان لا دود عليه الصلاة والسلام والحجارة
 ليست قابلة للآلئ ولا للآلئ قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال (وان من الحجارة لما يشبهه
 الأنهار) قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجارة التى كان يضرب عليه موسى إصبعه لئلا يبط
 واتة بجبر التفتح بالسمعة والكثرة (وان منها لما يشقى فيخرج منه الماء) يعنى العيون الصغار التى هى
 دون الأنهار (وان منها لما يبط من خشية الله) أى ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله وخشيتها عبارة عن
 انقيادها لأمر الله وانما لا تمتنع عما يربى منها وقولهم يكملها بشر اليهود لا تليق ولا تخشع فإن قلت الحجارة لا
 يعقل ولا يفهم فكيف ينحني قلت ان الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجمادات فتعقل وتخشى بالماء لها
 ومذهب أهل السنة أن الله تعالى أودع فى الجمادات والحيوانات علمه وأحكمه لا يقف علمها بغيره فلها مسألة
 وتسمع وخشية بدل عليه قوله وان من شيء إلا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
 فيجب على المرء الإتيان به ويكمل علمه الله تعالى (م) عن جابر بن سمره قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أتى لآل عرف حجازاً بمكة كان يسلم على قبيلى أن أبعث وائى لآل عرفه الآن عن على قال كنت مع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فاستقبله شجر ولاجل الأدهو يقول السلام عليك
 يا رسول الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (خ) عن جابر بن عبد الله قال كان فى مسجد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جذع فى قبائه يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فلما وضع المنبر سعى
 للجذع حينئذ مثل صوت العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفى رواية ساحت
 النخلة صياح الصبي فنزل صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فاضمه اليه فجعلت تنبأ نين الصبي الذى لا يبست حتى
 استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من أعلى إلى أسفل إلا من
 خشية الله وذلك يشهد لما قلنا (ومال الله بفاسل عما نعلمه) فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمراد طوله
 القاسية قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بما فى الآخرة ﴿قوله عز وجل﴾ (أفطمعون) خطاب للنبى
 صلى الله عليه وسلم لأنه هو الداعى إلى الإتيان وإذ ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يبدءونهم إلى الإتيان أيضاً وهى أفطمعون أى أفطمعون (أن يؤمنوا لكم) أى يصدقكم
 اليهود بما تنبؤونهم وقيل بمعناه أفطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام
 وكان هو السبب فى خلاصهم من الفل وظهور المعجزات على يده (وقد كان فى قى منهم يسمعون كلام الله)
 فيسل المراد بالفرىق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميثاق وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد
 بهم الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم فى أفطمعون أن يؤمنوا
 لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعنى التوراة لأنه لا يصح أن يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله
 (ثم يحرفونه) أى يغيرون كلام الله ويبدلونه فى فسر الفرقى الذين يسمعون كلام الله بالفرىق الذين كانوا
 مع موسى عليه السلام استدلل بقول ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى السبعين الذين اختارهم موسى

وأنهم قيل أسمى لكونه
 أبين وأدلى على وطر
 القسوة وترك ضمير المفضل
 عليه آدم الألباس كقولك
 زيد كريم وعمرو أكرم
 (وان من الحجارة) بيان
 لزيادة قسوة قلوبهم على
 الحجارة (لما يشبهه منه
 الأنهار) ما معنى النبى فى
 موضع النصب وهو اسم
 ان واللام لتوكيد انما تشبه
 التفتح بالسمعة والكثرة
 (وان منها لما يشقى)
 أصله يشقى وبه قرأ
 العجمى فقلت التاء شينا
 وأدغمت (فيخرج منه
 الماء) يعنى ان من الحجارة
 ما فيه خروق وأسمه يتدفق
 منها الماء الكثير ومنها
 ما يشقى انشق قاب الطول أو
 بالعرض فينبع منه الماء
 أيضاً وقولهم لا تندى (وان
 منها لما يبط) يتردى من
 أعلى الجبل (من خشية
 الله) قيل هو حجاز عن
 انقيادها لأمر الله وانها لا
 تمتنع على ما يريد فيها وقلوب
 هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما
 أمرت به وقيل المراد به
 حقيقة الخشية على معنى أنه

يخلق فيها الحياة والتمييز وليس شرط خالق الحياة والتمييز فى الجسم أن يكون على بنية خصومة عند أهل السنة وعلى هذا
 قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية يعنى قلوبهم لا تخشى (ومال الله بفاسل عما نعلمه) وبالياء مكى وهو عيد (أفطمعون) الخطاب
 لرسول الله والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يؤمنوا لآل دعوتكم ويستجب والكم كقوله تعالى فآمن لوط يعنى اليهود وقد كان
 فرىق منهم) طائفة فيمن سافهم (يسمعون كلام الله) أى التوراة (ثم يحرفونه) كاحرفوا صفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم

على احياء جميعه العدم الاختصاص والحكمه في ذبح البقرة وضرب بعضها وان قدر على احيائه بلا واسطة التقرب به والاشعار
بحسن تقديم القرية على الطلب والمعلم اعباده ترك التشديد في الامور والمصارعة الى امتثال أو امر الله من غير تفتيش وتكثير
سؤال وغير ذلك وقيل انما امروا بذبح البقرة دون غيرها من (٦٣) البهائم لانها افضل قرابينهم واهبائهم
المجل فأراد الله تعالى أن

يهون عليهم وجودهم عندهم
وكان ينبغي أن يقدم ذكر
القتيل والضرب ببعض
البقرة على الامر بذبحها
وأن يقال واذا قتلتم نفسا
فانارأتم فيها اقتلنا اذبحوا
بقرة واضربوه ببعضها
واكنه تعالى انما قص
قصص بني اسرائيل تعديدا
لما وجد منهم من الجنائيات
وتقر بعالمهم عليها وهاتان
القصة وان كانتا متصلتين
فقتل كل واحدة منهما
بنوع من التقرير فالاولى
لتقريرهم على الاستهزاء
وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية
للتقرير على قتل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية
العظيمة وانما قدمت قصة
الامر بذبح البقرة على ذكر
القتيل لانه لو عمل على
عكسه كانت قصة واحدة
ولذهب المراد في ثنية
التقرير ولقد دروعيت
نكتته بعد ما استوفيت
الثانية استثناف قصة
برأسها وان وصلت بالاولى

بذكر القتل فان قلت ما فائدة ضرب القتييل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء من
غير ضرب بشيء قلت الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لاحتمال أن يتوجه
متوهم أن موسى عليه السلام انما احياء بصبر من السحر والحيلة فاذا أحى القتييل عند ما ضرب ببعض
البقرة اتفت الشبهة وعلم أن ذلك من عند الله تعالى وبأسره كان ذلك فان قلت ما راد بذكر غير البقرة
قلت الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائدها التقرب بالقرابان على
ما كانت العادة جارئة عندهم ومنها ان هذا القرابان كان عندهم من أعظم اقربائهم ومنها تحمل المشقة
العظيمة في تحصيلها ابتلاك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذته صاحبها من ثمنها ~~فصل في~~
حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت ~~في~~ وذلك أنه اذا وجد قتييل في موضع ولا يعرف قاتله فان
كان ثم لوث على انسان ادعى به والمأوث أن يغلب على الظن صدق المدعى بأن اجتمع جماعة في بيت أو
صهارثم تفرقوا عن قتييل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم أو وجد قتييل في محلة أو قرية وكانهم أعداء القتييل
لا يخاطبهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خسين يميناً على من يدعى
عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان
ادعوا قتل خطأ ون ادعوا قتل عمد فن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن
عبد العزيز الى وجوب القود به قال مالك وأحمد فان لم يكن ثم لوث فاقول قول المدعى عليه لان الاصل
براءة المتهم من القتل وهل يحلف يميناً واحدة أم خسين يميناً فيه قولان أحدهما أنه يحلف يميناً واحدة كما
في سائر الدعاوى والثاني أنه يحلف خسين يميناً تغليظ الامر القتييل وعند أبي حنيفة لا حكم للو لا يبيد
بين المدعى بل اذا وجد قتييل في محلة يختار الامام خسين رجلا من صلحاء أهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا
يعرفون له قاتلا فان حلفوا والاخذ الدية من سكانها والدليل على أن البداءة بين المدعى عند وجود اللوث
ماروى عن سهل بن أبي خنيفة قال انطاع عبد الله بن سهل ومحبة بن مسعود الى خير وهو يومئذ
صلح ففرقافا محبة الى عبد الله بن سهل وهو يشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطاع
عبد الرحمن بن سهل ومحبة وحوصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبروهوا أحدث القوم سنا فسكت فكما يقال انما تحلفون
واستحقون فانكم اؤا وقال صاحبكم قالوا كيف تحلف ولم تشهد ولم تقول قتلهم كبرهوا بيمينان خسين منهم
قالوا كيف نأخذ بيمينان قوم كفار ففقه النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقدم خسون منكم
على رجل منهم فيدفع برمه وذلك نحوهم وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه
فوداه بمائة من ابل الصدقة أخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم بدأ بيمينان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ان بدأ نكسكون ان بقوى جانبه وعند عدم اللوث
نكسكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة المتهم فكان القول قوله لمعني والله أعلم ~~فصل في~~
عز وجل (ثم قست قلوبكم) أي يست وجفت وقساوة القلب انزعاز الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت
(من بعد ذلك) أي من بعد ظهور الدلالات انني جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتييل بعد ضرب به

بضمير البقرة لابسها الصريح في قوله اضربوه ببعضها اليعلم انهم ما قتلوا ان فيا يرجع الى التقرير وقصة واحدة بالضمير الراجع
الى البقرة وقيل هذه القصة تشير الى أن من أراد احياء قلبه بالشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات ومعنى (ثم قست قلوبكم)
استبعاد القوة (من بعد) ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورفقها ووصفة القلوب بالقسوة مثل لنبها عن الاعتبار والانعاط من بعد ذلك

للم يستنوا لما بينت لهم آخر الابدأى لولم يقولوا ان شاء الله (قال انه يقول انها بقرة لاذلول تنبر الارض) لاذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول
يعنى لم تذلل لأكبر وانارة الارض (ولانسق الحرت) ولاهى من النواضح التى يسنى عليها السقى الحروث ولا الاولى نافية والثانية مزيدة
لتوكيد الاولى لان المعنى لاذلول تنبر الارض أى تقبلها للزراعة وتنفى الحرت على ان العليلين صفتان للذلول كانه قيل لاذلول مثيرة وساقية
(مسألة) عن العيوب وآثار العمل (لاشبة فيها) لامة فى نقيتها من لون آخر سوى الصفرة فى صفرها كاهتا حتى قرنها وظلها وهوى فى
الاصل مصدر وشاه وشياوشية اذا خلط بالونه لونا آخر (قالوا الآن جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة وما بنى اشكالها فى أمرها جئت وبابه
بغير همز أبو عمرو (فنبجوها) خصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف افدججوها (وما كادوا يفعلون) اغلاء عنها وأخوف الفضيحة فى
ظهور القاتل روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عملة فأتى بها الغيبة وقال اللهم انى استودعتكها لاني حتى يكبر وكان برأى الله فبشت
البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه (٦٢) فسأوه واليهم وأمه حتى اشتروها بمل مسكها ذهبا وكانت البقرة

اذا ذك بثلاثة نايرو كانوا
طلبوا البقرة الموصوفة أربعة
سنة وهذا البيان من قبيل
تقييد المطلق فكان نسخا
والنسخ قبل الفعل جائز
وكذا قبل التمسك منه
عندنا خلافا لمثله (واذ
قتلتم نفسا) بتقدير اودكرو
خوطبت الجماعة لوجود
القتل فيهم (فادارأتم فيها)
فاختلفتم واختصمتم فى
شأنها لان المتخاصمين
يدرا بعضهم بعضا أى يدفع
أتردافهم بمعنى طرح قتلها
بعضكم على بعض فيدفع
الطروح عليه الطارح أو
لان الطارح فى نفسه دفع
وأصله تدرأتم ثم ارادوا
التخفيف فقلبوها التاء
دالتصير من جنس الدال
التي هي فاء الكلمة ليتمكن

أى الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيم الله لولم يستنوا والمابنت لهم آخر الدهر (قال انه يقول
انها بقرة لاذلول) أى ليست مذلة بالعمل (تنبر الارض) أى تقبلها للزراعة (ولانسق الحرت) أى ليست
بسانية والسانية هى التى تستقى الماء من البئر أى الارض (مسألة) أى يرشتم من العيوب (لاشبة فيها)
أى لالون فيها غير لونها (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالبيان التام الذى لا شك فيه فطلبوها فلم يجدوا
بقرة بكامل وصفها البقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بمل مسكها ذهبا (فنبجوها) كادوا يفعلون (أى وما
قاربوا أن يفعلوا ما أمروا به قيل اغلاء عنها وقيل خوف الفضيحة وقيل لغز وجودها بهذه الاوصاف جميعا
فعله عز وجل (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) قال ابن
عباس أى اختلفتم واختصمتم من الدر وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا (والله يخرج
ما كنتم تكتمون) أى مظهر ما كنتم من أمر القتل لا محالة ولا يتركه مكتوما (فقلنا اضربوه) يعنى
القتيل (ببعضها) أى ببعض البقرة قال ابن عباس ضرب بوه بالعظم الذى يلى العضوف وهو أصل الاذن
وقيل ضرب بوه بلسامها وقيل بحجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا يخبرون فى ذلك البعض
وانهم اذا ضربوه باى جزء منها أجزأ وحصل المقصود والله ليس فى القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو
وذلك يقتضى التخيير وفى الآية اضربوه فضر بوه فخى وقام باذن الله تعالى وأوداجه تشعب دما وقال
قتلى فلان يعنى ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فخرم قاتله الميراث وفى الخبر ما روى قاتل بعد صاحب البقرة
(كذلك) أى كأحبا لله عما يلى صاحب البقرة (يحى الله الموتى) يعنى يوم القيامة (ويربكم آياته) اعلمكم
نقلون) أى نعمون أنفسكم عن المعاصى فان قلت كان حق هذه القصة أن يقدم ذكر القتل أولا ثم ذكر
ذبح البقرة بعد ذلك فواجبه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله لما ذكر من قصص بنى
اسرائيل وما وجد من خياناتهم تقر يعالهم على ذلك وما وجد فيهم من الآيات العظيمة وهاتان قصتان كل
واحدة منهما مستقلة نوع من التقر يع وان كانتا متصلتين متتبعين فى نفس الامر فالاولى لتقر يعهم على
ترك المسارعة الى امثال الامر وما يتبعه والثانية لتقر يعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتل
على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تنبيه التقر يع فلهذا اقدم ذكر الذبح أولا ثم عقبه

الادغام ثم سكتوا الدال اذ شرط الادغام أن يكون الاول سا كناوز بدت همزة الوصل لانه
لا يمكن الابتداء بالسا كن فادارأتم بغير همز أبو عمرو (والله يخرج ما كنتم تكتمون) يظهر لا محالة ما كنتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما
وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلا فى وقت التدارى وهذه الجملة اعتراض بين العطف والمعطوف عليه وهما ادارأتم (فقلنا) والضمير
فى (اضربوه) يرجع الى النفس والتذكير بتأويل الشخص والانسان وأولى القتل لما دل عليه ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض
البقرة وهولسانها وأخفها اليمنى أو عجبها والمعنى فضر بوه فخى خذف ذلك لدلالة (كذلك يحى الله الموتى) عليه روى انهم لما ضربوه قام
باذن الله تعالى وقال قتلى فلان وفلان لاني عمه ثم سقط ميتا فاخذوا قتلهم بورث قاتل بعد ذلك وقوله كذلك يحى الله الموتى اما أن يكون
خطا بالانكسار فى زمن النبي عليه السلام واما أن يكون خطا بالذبحين حضروا حياة القتل بمعنى وقتلناهم كذلك يحى الموتى يوم القيامة
(ويربكم آياته) دلالته على انه قادر على كل شئ (لعلكم تغفلون) فتعلمون على قضية عقولكم وهى أن من قدر على احياء نفس واحدة قدر

بذكر

(قالوا ادع لنار بك بين لنا ماهي) - سؤال عن حالها وصفها لانهم كانوا غلين بما هيتهالان ماوان كانت - سؤال عن الجنس وكيف عن الوصف
ولكن قد تقع ماموقع كيف وذلك انهم تخبوا من بقرة مقيمة يضرب ببعضها ميت فيجربا الواعن صفة تلك البقرة العجيبة الشان وماهي
خبر ومبتدا (قال انه يقول انها بقرة لا فارض) مسنة وسمة في فارض لانها فرضت سنها أي قطعتها و بلغت آخرها وارتفع فارض لانه صفة
لبقرة وقوله (ولا بكر) فتية عطف عليه (عوان) نصف (بين ذلك) بين الفارض (٦١) والبكر ولم يقل بين ذلك مع ان بين يقتضي

شئين فساعد الله ان أراد
بين هذا المذكور وقد
يجري الضم بجري اسم
الاشارة في هذا قالوا وعبدة
قلت لرؤية في قوله فيها
خطوط من سواد وبقي
كانه في الجاد توليع البهي
كان أردت الخطوط فقل
كما هو ان أردت السواد
والبني فقل كأنهما فقال
أردت كان ذلك (فأفعلوا)
تأومرون أي تأومرونه
بمعنى تأومرون به أو صرتم
بمعنى ماؤمكم تسعيه لمعقول
بالمصدر كضرب الأمير
(قالوا ادع لنار بك بين
لنا ما لونها) موضع ما رفع
لان معناه الاستعانة فغيره
ادع لنار بك بين لنا أي
شي لونها (قال انه يقول انها
بقرة صفراء فافعل لونها)
الفقوع أشد ما يكون من
الصفرة وأضعه يقال في
التوكيد أصفر فأفعل وهو
توكيد اصفره وأيس خيرا
عن اللون لانه ارتفع
اللون به ارتفاع الفاعل
ولافرق بين قولك صفراء
فاقمة وصفراء فافعل لونها
وفي ذكر اللون فائدة

صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجلة فاتي بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى
يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان
بارا به وكان يقدم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق
فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعها بمائة فيصدق بثلثها ما يكل ثلثه ويعطي أمه ثلثه فقالت له أمه يوما
يا بني ان أباك ورنك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعي واسمعي أن
بردها عليك وعلمتها أنك اذا نظرت اليها تخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلد هاد وكانت تسمى
المنهبة لحسنها وصفتها فاذني الفتى الغيضة فآثرها ترى فصاح بها وقال أعزم عليك يا ابراهيم واسمعي واسمعي
واسمعي فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقولها فقامت البقرة باذن الله تعالى
وقالت أيها الفتى البار بأمه اركبني فانه أهون عليك فقال الفتى ان أي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله
لوركبتني ما كنت تذر علي أبدا فانطلق فالتك لأمه أن ينقل من أصله لا لتقلع برك بأمك فسار
الفتى بها إلى أمه فقالت له أمه انك رجل فقير ولما لك ويشق عليك الاحتطاب بالهناور وقيام بالليل فانطلق
فبيع البقرة فقال بكما أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ممن البقرة لثلاثة دنانير فانطلق بها
الفتى إلى السوق وبعث الله ملكا يرى خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره بأمه وهو أعلم فقال له الملك بك
هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضائي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له
الفتى لو أعطيتني ومنها ذهب أأخذ اله ابراهيم ورجع الفتى إلى أمه فأخبرها بما فعلت فقالت له ارجع فبيعها
بستة دنانير ولا تبعها اله ابراهيم فخرج بها إلى السوق وأتى الملك فقال له استأمرت أمك فقال الفتى نعم انها
أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على رضاها فقال الملك اني أعطيتك اثني عشر دينار ولا تستأمرها فاقبل الفتى
ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له أمه ان الذي ياتيك ملك في صورة آدمي ليحربك فاذا أنك فقل له
أنا صرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك فقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى
ابن عمران يشترها منك فقبل بقتل في بني اسرائيل فلا تبعها الا بملء مسكها ذهبا والسك الجلد فاستكتها
وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فزالوا بسوء صفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها
مكافاة لتلك الفتى على بره بأمه فضلا من الله تعالى ورجع فلما قاله تعالى (قالوا ادع لنار بك بين لنا ماهي)
أي ما سنها (قال) يعني موسى (انه يقول) يعني الله عز وجل (انها بقرة لا فارض ولا بكر) أي لا كبيرة
ولا صغيرة والفارض المسنة التي تلد البكر الفتية التي تلد (عوان) أي نصف (بين ذلك) أي بين السنين
(فأفعلوا تأومرون) أي ذبح البقر ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنار بك بين لنا ما لونها) قال انه يقول
انها بقرة صفراء فافعل لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول
أصح لانه يقل أصفر فأفعل واسود حالك (تسر الناظرين) أي يحجبهم حسنوا وصفها لونها (قالوا ادع لنار بك
بين لنا ماهي) أي ساعة أو عاملة (ان البقر تنابها علينا) أي التمس واغنيه أمرها علينا (وانا ان شاء الله لمهتدون)

التوكيد لان اللون اسم للشيء وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفراء ومن قولك جديده (تسر الناظرين) لحسنها والسرور لانه
في القلب عند حصول نفع أو توقعه عن على رضى الله عنه من لبس نعل صفراء له فله لقوله تعالى تسر الناظرين (قالوا ادع لنار بك بين
لنا ماهي) تكبر بالسؤال عن حالها وصفها واستكشاف زائد ليزدادوا بها لوصفها وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها
لكفتم ولكن شدوا فشد الله عليهم والاستقصاء شؤم (ان البقر تشابه علينا) ان البقر الموصوف بالنعون والصفرة كثير فاشبه علينا
(وانا ان شاء الله لمهتدون) الى البقرة المراد ذبحها والى ما خفي علينا من أمر القاتل وان شاء الله اعراض بين اسم ان وخبرها وفي الحديث

فما كان بقي حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت خفروا حياض عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخل يوم السبت لانها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الاحد وذلك الحبس في الحياض هو اعتادواهم (فقلنا لهم كونوا) يتكلمون بآياتكم (فرد خاسئين) خبر كان أي كونوا جاهدين بين القرية والحسو وهو الصغار والطراد (جعلناها) يعني المسخة (نكالا) عبرة لكل من (٦٠) اعتبر بها أي تمنع (لما بين يديها) لما قبلها وما بعدها من الامم والقرون

شرعوا يوم لا يستنون لانهم لم امنوا بالشيطان وسوس اليهم وقال انما نبيتم عن اخذهم يوم السبت ولم تنهوا عن اخذهم في غيره فمد رجال منهم خفروا حياض كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها نارا فاذا كان عشية الجمعة قعدوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان في تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج منها معها فاذا كان يوم الاحد ابدأخذوها وقيل انهم كانوا يصيدون النخوص والحيتان يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتعجروا على السبت وقالوا ما ترى السبت الا قد اهل لنا فخذوا ولحقوا اكلوا وابتاعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا نحو سبعين الف صنف أسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف أسك ولم ينه وصنف انهم مكوا في الذنوب وهتكوا الحرمه وكان الصنف الناهون اثني عشر الف فاهل في الحرمه يقولون بعثهم قالوا والله لانسا كنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بحدار ففبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية ففرج الناهون ذات يوم من باهم ولم يخرج من الجرمين أحد ولم يفتحو الباب فلما أبطأوا سوروا عليهم الجدار فاذا هم جميع قد علم أذنبوا وهم يتعابرون وقيل صار الشياطين فرقة والشيوخ خنازير فسكنوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يترك مسخ فوق ثلاث ولم يتوبوا قال الله عز وجل (فقلنا لهم كونوا فرقة خاسئين) أمر يتحولون وتكونون ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير بمعناه كونوا خاسئين فرقة وذلهم يقل خاسئات (جعلناها) يعني عقوبتهم بالمسخ (نكالا) أي عقوبة وعبرة (لما بين يديها وما خلفها) قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبر قلن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية بمحباب السبت عبرة لمن بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدهما من القرى لئلا يظلموا بذلك وهو قوله عز وجل (وموعظة للمتقين) أي المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يقعوا مثل فعلهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذ قال موسى اقوموا ان الله باصركم ان تدعوا بقرعة) البقرة واحدة البقر وهي الانثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تنشق الارض للحرارة

﴿ ذكر الاشارة الى القصة في ذلك ﴾

قال علماء السيرة الاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواء فلما طال عليه موته قتلته ليرثه وحمله الى قرية أخرى واقامه على باهم ثم أصح يطالب ناره وجاء بناس الى موسى يدعى عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليعين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فامرهم بذبح بقرة وأمره أن يضرب به ببعضها فقال لهم ان الله يامركم أن تدبحوا بقرة (قالوا أنتخذنا هزوا) أي نحن نسألك أمر القتل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك ليعلم ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه (قال) يعني موسى (أعوذ بالله) أي أمتنع بالله (أن أكون من الجاهلين) أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين الجواب لاعلى وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوا باهاول وانهم عمدوا الى أي بقرة كانت فتدبحوها لاجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان في ذلك حكمة عظيمة عز وجل وذلك انه كان رجل

لان مسخهم ذكر في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين (وموعظة للمتقين) الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومه أو لكل متى سمعها (واذ قال موسى لقومه) أي واذكروا اذ قال موسى وهو معطوف على نعمتي في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم كانه قال اذكروا ذلك واذكروا اذ قال موسى وكذلك هذان الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي واذكروا وقت انجاتنا ياكم واذكروا وقت فرقتنا واذكروا نعمتي واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه والظروف التي تاتي الى قوله واذا تبلى ابراهيم ربه (ان الله يامركم أن) أي بان (تدبحوا بقرة) قال المفسرون أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وذلك ان رجلا موسرا اسمه عاميل قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا

يطالبون بدته فامرهم الله أن يدبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليخبرهم بقائه (قالوا أنتخذنا هزوا) صا ح أ تجعلنا مكره من أو أهل هزوا والهز نفسه انظر الاستهزاء هزأ يسكون الزاى والهز حزق بضم تين والواو حفص غيرهما بالتثقل والهزئة (قال أعوذ بالله) العياذ واللياذ من واحد (أن أكون من الجاهلين) لان الهز في مثل هذا من باب الجهل والسفه وفيه تعريض بهم أي أنهم جاهلون حيث نسبتهم الى الاستهزاء

(من آمن بالله واليوم الآخر) من هؤلاء الكفرة إما بما خالصا (وعمل صالحا فلم أجرهم) نوابهم (هند ربهم) في الآخرة (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وعمل من آمن الرفع ان جعلته مبتدأ أخبره فإلهم أجرهم والنصب (٥٩) ان جعلته بدلان اسم ان والمطوف

الله تعالى ولما ذكر هذه الوظائف قال (من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلت كيف قال في أول الآية ان الذين آمنوا وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم والام النصيص آخر اقلت اختلاف العلماء في حكم الآية فإلهم فطره بقرآن أحدهما أنه أراد ان الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فإلهم فقليل هم الذين آمنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب التجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ففهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال ان الذين آمنوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبطل من اليهود والنصارى والصائبين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فإلهم أجرهم عند ربهم وقبل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامم والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصائبين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الإيمان تكون بالوفاة وما الطريفة الثانية فقالوا ان المذكورين بالإيمان في أول الآية إنما هو على طريق الجواز دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا بالسننهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصائبون فكأنه تعالى قال هؤلاء البطالون كل من آمن منهم الإيمان الحق في صارم مناعته وقيل ان المراد من قوله ان الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وتنبؤا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر (وعمل صالحا) أي في إيمانه (فإلهم أجرهم عند ربهم) أي جزاء أعمالهم (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذا أخذنا ميثاقكم) أي عهدكم بمعشر اليهود (ورفعنا فوقكم الطور) يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين فاقطع من أصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمرهم أن يعملوا بالحكمة فاقبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار يعني الانقلا والتكاليف الشاقة أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يلق جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم فدرقاه كالظلة وقيل لهم ان مقبلوا ماني التوراة والأرسلت هذا الجبل عليكم (خذوا) أي فلتأملوا خذوا (ما آتيناكم) أي ما أعطيناكم (بقوة) أي بمجدوا اجتهدوا (واذكروا ما فيه) أي ادرسوا ما فيه (لعلكم تتقون) أي لكي تتجروا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى والارضضخ رؤسكم هذا الجبل فلما رأوا ذلك نالهم فقبوا وسجدوا واجعلوا للاحطون الجبل وهم سجدوا فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على اصاب وجوههم ويقولون بهذا السجود دفع عنا العذاب (ثم توليتهم) أي أعرضتهم (من بعد ذلك) أي من بعد ما قبلتم للتوراة (فالوا فضل الله عليكم ورحمته) أي بالامهال (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم) أي جاوزوا الحد (في السبت) يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم وأصل السبت القطع

ذكر الاشارة الى القصة

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه الصلاة والسلام بقرية بارض ايلة وجرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا جمتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتهم فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزم من قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ ناهيتهم حيث انهم يوم سبتهم

العذاب (واقدم اعلمتم) عرفتم فيتمى الى مفعول واحد (الذين اعتدوا منكم في السبت) هو مصدر سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حذرهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغالوا بصيده وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم

(اهبطوا مصر) من الامصار اى انحدروا اليه من التيه و بلاد ما بين يدي القدس الى قنسرين وهى اثنا عشر فرسخا ثمانية فراسخ و اومصر
فرعون و اعاصير فمع وجود السبين و هم الذين اثبتوا و التيه لارادة الباد و اسكون وسطه كنوح و ولوط و فيها العجوة و التيريف (فان
لكم) فيها (ماساتم) اى فان الذى سالتكم يكون فى الامصار لافى التيه (و ضربت عليهم الذلة والمسكنة) اى الهوان و الفقر يعنى جعلت الذلة
محيطه بهم مستحيلة عليهم فهم فيها كما يكون فى القمة من ضربت عليه و اقصت بهم حتى لو تمتم صرة لازب كما يضرب الطين على
الحنطة فيلزيمه قال يهود صاغرون اذلاهم اهل مسكنة و فقر اماعلى الحقيقة و اما لصاغرهم و تنافروهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية عليهم
الذلة جزوة على وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء مسكنة و بكسر الهاء و الميم أبو عمرو و بكسر الهاء و ضم الميم غيرهم (و باؤا بغضب من الله)
من قولك باء فلان بغلان اذا كان

(٥٨)

حفوا (ذلك) اشارة
الى ما تقدم من ضرب الذلة
و المسكنة و الخلافة بالغضب
(بانهم كانوا يكفرون بآيات
الله و يقتلون النبيين)
بالهمزة نافع و كذا بابه اى
ذلك بسبب كفرهم و قتلهم
الانبياء و قد قتل اليهود
شعيا و زكريا و يحيى
صلوات الله عليهم و النبي
من النبالة يخبر عن الله
تعالى ففعل بمعنى مفعول أو
بمعنى مفعول أول من نبأى
ارتفع و النبوة المسكان
المرتفع (بغير الحق) عندهم
أيضا فانهم لو انصوا لم
يدكروا شيئا يستحقون
به القتل عندكم فى التوراة
وهو فى محل النصب على
الحال من الضمير فيقتلون
أى يقتلونهم يطلبين (ذلك)
تكرارا للاشارة (ءاعصوا)
و كانوا يعتدون) بسبب
ارتكابهم أنواع المعاصي

و اعتداتهم حدود الله فى كل شئ مع كفرهم بآيات الله و قتلهم الانبياء و قيل هو اعتداؤهم
فى السبت و يجوز أن يشار بذلك الى الكفر و قتل الانبياء على أن ذلك بسبب عصيانهم و اعتدائهم لانهم انهم كانوا عبادا و لو احببت قتلهم
بغير و اعلى بجود الآيات و قتلهم الانبياء أو ذلك الكفر و القتل مع اعصا (ان الذين آمنوا) يستقيم من غير ماطاة القلوب و هم المنافقون
(والذين هادوا) تهودوا يقال هادوا و تهودوا اذا دخل فى اليهودية و هو هاد و الجمع هود (والتصارى) جمع نصران كندمان و ندى يقال
رجل نصران و امرأته نصرانة و الياء فى نصرائى بالمبالغة كالنبي فى آخرى - و انصارى لانهم نصروا المسيح (و الصابئين) الخارجين من دين
مشهور الى غيره من صبا اذا خرج من الدين ردهم قوم عدوا لعن دين اليهودية و النصرانية و عبدوا الملائكة و قيل هم يعزرون الزبور

الله

سبعون ألفاً) وإذا استسقى موسى لقومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقي فقليل له اضرب بعصاك الحجر واللام للامع والاشارة الى حجره معلوم فقد روى انه حجر طوري حله ٨٠ وكان مر بهاءه اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث عين لكل سبط عين وكانوا سبعة ائمة وسعة المسكر اثناعشر ميلاً والجنس اى اضرب الشيء الذى يقال له الحجر وهذا يظهر في الحجة والبين في القصة (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف اى فاضرب فانفجرت اى سالت بكثرة واو فان ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاهة فصيحة لاقع الا في كلام بايع (منه اثنتا عشرة ٥٧) عينا على عدد الاسباط وقرى

بكسر الشين وفتحها وهما لغتان وعينا تمييز (قد علم كل أناس) كل سبط (مشر ٣٣) عيهم التي يشربون منها وقلنا لهم (كلوا) من المن والسوى (واشربوا) من ماء العيون (من رزق الله) اى السكل (عمار زكك الله) ولا تغنوا في الارض لا تفسدوا فيها والعيث اشد الفساد (مفسدين) حال مؤكدة اى لاتنمدا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متادين فيه (واذ قلتم يا موسى انصبر على طعام واحد) هو ما رزقوا في التيه من المن والسوى وانما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا بالواحد مالا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان الا طعاماً واحداً ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف أو أرادوا

و يخرجون عن أمر الله تعالى ﴿ قوله عز وجل (وإذا استسقى موسى لقومه) أى طلب السقي بالقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسألو موسى أن يستقي لهم ففعل فأوحى الله اليه كما قال مينا (فقلنا اضرب بعصاك) وكانت العصا من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق وقيل نبتة حلما آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شهاب فاعطاها موسى (الحجر) قال وهلم يكن حجر عينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان فيشفر عيوننا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطاً وقيل كان حجرهما عينا بدليل انه عرفة بالالف واللام قال ابن عباس كان حجراً خفيفاً مر بهاءه سر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة عين اسكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من السكندان وهي الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى نوبه ليغسل ففر به فاه جبريل وقال ان الله يبارك أن ترفع هذا الحجر في فيه قدرة كورك فيه معجزة موضعه في مخلاة فلما سألوه السقي قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتفجر منه عيون اسكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا أراد حله ضربه بعصاه فيذهب الماء ويبس الحجر فذلك قوله تعالى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضر به فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبعثت بمعنى واحد وقيل انبعثت اى عرفت وانفجرت اى سالت (قد علم كل أناس مشر ٣٣) اى موضع مشربهم لا يدخل سبط على غيره (كلوا واشربوا) اى وقلنا لهم كلوا واشربوا (من رزق الله) يعني المن والسوى والماء فهذا كله من رزق الله كان بينهم بلا مشقة ولا كلفة (ولا تغنوا في الارض مفسدين) العيث اشد الفساد في هذه الآية معجزة عظيمة لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين أصبعيه فروى منه الجمع الغفير لان انفجار الماء من الدم واللحم اعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) وذلك انهم سئموا من المن والسوى ولم يوافقوا عليه غيره لان المواظبة على الطعام او احد تكون سبباً لنقص الشهوة فان قلت هما طعامان فما بالهم قالوا على طعام واحد قلت أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة ألوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد (فادع لناربك) اى فاسأل ناربك (يخرج لنا من تحت الارض من يقاها وقتاها وفوها) قال ابن عباس القوم الذين قيل هو الحنطة وقيل هو النوى (وعدها) ايها انما طلبوا هذه الانواع لاهاتها من على تقوية الشهوة اولانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لتلك الاطعمة (قال) يعني موسى (انستبدلون الذي هو أدنى) اى الذى هو اخص وأرذل وهو الذى طلبوه (بالتى هو خير) يعني بالتى هو اشرف وأفضل وهو ما فيه

(٨ - (خارن) - اول)

انهم اضربوا احد لانهم امان طعام اهل التلذذ والتترف وكانوا من اهل الزراعات فارادوا ما لقوا من البقول والحب وغير ذلك (فادع لناربك) سلمه وقل له اخرج لنا (يخرج لنا) يظهر لنا وجود (عمائيت الارض من يقاها) هو ما انبتته الارض من الخضراوات والارابه اطياب البقول كالنخاع والكرفس والكرات ونحوها ما يأكل الناس (وقتاها) يعني الحيار (وفوها) هو الحنطة والثوم اقراء من مسعود نومها (وعدها) وبصلها قال استبدلون (الذى هو أدنى) اقرب منزلة وأنون مقدارا والدنو والتقرب بهم به ما عن قلة المقدار (بالتى هو خير) ارفع وأجل

كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحسروا عليهم السلوى وهى السمانى فيذبح الرجل منها ما يكتفيه وقلنا لهم (كلوا من طيبات) لذبذات أو حلالات (مارزقنا كم زاملهمونا) يعنى وظلمونا أن كفرناحده النعم وما ظلمونا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أنفسهم بمفعول يظلمون وهو خبر كان (واذقلنا) لهم مذماخر جوامن التيه (ادخلوا هذه القرية) أى بيت المقدس أو أريحا والقرية المجمع من قريب لانها تجمع الخلق أمرنا بدخولها بدلتين (فكلوا منها) من طعام القرية وغازها (حيث شئتم رغدا) واسعا (وادخلوا الباب) باب القرية أو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهى ليدخلوا بيت المقدس (٥٦) فى حياة موسى عليه السلام وانما ادخلوا الباب فى حياته ودخلوا بيت المقدس بعده (سجدا)

لهم وعن الحديث أن الحكمة نبى أنبته الله من غير سعى أحد ولا مؤنة وهو بمنزلة المني الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للمعين هذه أن تخط مع الادوية فيقتفع به لانه يقطر ماؤها تحتها العين وقيل ان تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص وليس يوافق كل وجع فى العين وكان هذا المني ينزل على أن يجارهم فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج اسكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قلنا هذا المني بخلاوته فادع لنا ربك أن يقطعنا اللحم فأرسل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه بموايلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه اليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شئ (كلوا) أى وقلنا لهم (كلوا من طيبات) أى حلالات (مارزقناكم) أى ولا تدخروا ولا تغفلوا وادخروا فدود وفسد قطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم ينجس الطعام ولم ينجس اللحم ولولا حواء لم نجس أنثى زوجها الدهر قوله لم ينجس اللحم لم ينجس ولم يتغير (وما ظلمونا) أى وما نجسوا حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى يأخذهم أكثر مما حدهم فاستحقوا ذلك عندنا وقطع ما دة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى ﷺ قوله تدوزجل (واذقلنا ادخلوا هذه القرية) سميت قرية بل اجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى أريحا قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بنية عاد يقال لهم العمالة ورأسهم عوج بن علق فعلى هذا يكون القتال يوشع بن نون لانه هو الذى فتح أريحا بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت المقدس وعلى هذا فليس يكون القائل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أى موسعا عليكم (وادخلوا الباب) فمن قال ان القرية أريحا قال ادخلوا من أى باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو باب حطة (سجدا) منحني خضع متواضعين كالراكم ولم يرد به نفس السجود (وقولوا حطة) أى حط عنا خطايانا أمرنا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لاننا تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسئلتنا (تغفر لكم خطاياكم) أى نسترحا عليكم من العفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب (وسنزيد المحسنين) يعنى ثوابا (فبدل) أى غير (الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) أى قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قولا حطة بالخطية وقالوا باسائهم خطانا سقمنا أى حطه جراء وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب أى خضوا رؤسهم فى ذلك ودخلوا زحفا على استاهم بخلافه الفاعل كما خالفوا فى القول وبدلوه (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فادخلوا زحفون على استاهم وقالوا حبة فى شجرة (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى عذابا من السماء قيل أرسل الله عليهم طائفا من ملك منهم فى ساعة واحدة سبعون ألفا (عما كانوا يفسقون) أى يصون

حال وهو جع ساجدا أمرا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكر الله تعالى وتواضعا (وقولوا حطة) فعلة من الخط كالجلسة وهى خبر مبتدأ محذوف أى مسئلة حطة أو أمر كحطه والاصل التنب وقد قرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطى معنى الثبات وقيل أمرنا حطة أى أن نجحط فى هذه القرية ونستقر فيها وعن على رضى الله عنه هو بسم الله الرحمن الرحيم وعن عكرمة هو لا اله الا الله (تغفر لكم خطاياكم) جمع خطيئة وهى الذنب يغفره منى تغفر شامى (وسنزيد المحسنين) أى من كان محسنا منهم كانت تلك الحكمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا

غير الذى قيل لهم فبدل يعنى الى مفعول واحد بنفسه والى آخر البابا فالذى مع البابا متروك والذى بغيره موجود ويخرجون يعنى وضه وامكان حطة قولا غير ما أى أمرنا بقبول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمرنا به ولم يمتثلوا أمر الله وقيل قالوا مكان حطة حطة وقيل قالوا بالخطية حطاسمنا أى حطه جراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدوا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا (فانزلنا على الذين ظلموا رجزا) عذابا فى تكرير الذين ظلموا ريادة فى تقبيح أمرهم وايدان بازال الرجز عليهم لظلمهم (من السماء) صفة لرجز (عما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم روى انه مات منهم فى ساعة بالاطعان أو ربعة وعشرون ألفا وقيل

(فتاب عليكم انه هو التواب) المفضل بقبول التوبة وان كثرت (الرحيم) بعفوا لحوته وان كبرت والقاء الاولى للتسبب لان الظلم سبب التوبة والثانية لتعقيب لان المعنى فاعزمو اعلى التوبة فاقتلوا انفسكم اذ انتم على جعل توبتهم قتل انفسهم والثالثة معلقة بشرط محذوف كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) عيانا وانصاحبها (٥٥) على الصدر كما نصب القرفضاء بفعل

الجالوس أو على الحال من الجالس وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مدطروفي قاله أو اتقاء بيده أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصل القوم الخناجر والسيوف وأقبوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقرى به وصديقه وجاره فيقرقه فما يمكنهم المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نقبل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقولون الى المساء فلما كثرت القتل دعا موسى وهرون الله ويكافونهم فقالوا لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقولون الى المساء فلما كثرت القتل دعا موسى وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين ألفا فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله إليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه ﴿ فذلك قوله عز وجل ﴾ (فتاب عليكم) أي فعاتم ما أمرتم به فتجاوز عنكم (انه هو التواب) أي الرجاء بالمغفرة القابل للتوبة (الرحيم) بخلقه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى نرى الله جهرة) أي عيانا وذلك ان الله عز وجل أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة البجل فاختاره موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا واطهروا واطهروا واثابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لملاقاته به فقالوا لموسى اطلب لنا أن نسبحك كلام ربنا قال افعول فلما دامن الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغنى الجبل كماه فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى تدخلوا تحت الغمام وخر واسجدوا وكان موسى اذا كلمه وبه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه بكم موسى يأمرهم بتهاموس معهم الله تعالى ائني بالله لا اله الا ذو بكة أخرجه من أرض مصر بيد شديدة قاعده وفي ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة لتوكيد للرؤية لثلاثهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم (فأخذتكم الساعة) قيل هي الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون برده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الساعة هي سبب الموت واختلافوا في ذلك السبب فقيل ان نار ازات من السماء فأحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل أرسل جوعا من الملائكة فسمعوا بحسبهم وغروا صاعقين (وانتم تنظرون) أي ينظر بعضهم الى بعض كيف يأخذ الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول الهى ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد هلك خيارهم ولوشئت أهلكتهم من قبل وياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فزل ينشأ به حتى أحياهم القربى جلا بعد رجل بعد ماتوا بواي ماله ينظر بعضهم الى بعض كيف يحبون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم) أي أحييناكم (من بعد موتكم) أي لتستوفوا بقية أعمالكم وأرزاقكم ولو أنهم كانوا قد ماتوا لانقضاء أعمالهم لم يعثوا الى يوم اقيامة (اعلمكم تشكرون) ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وظلنا عليكم الغمام) يعني في التيه فيكم حوال الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شيء يستريحهم ولا يستطيعون به فشكوا الى موسى فأرسل الله غماما أبيض رقيقا يستريحهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذ لم يكن قمر (وأزنا عليكم المن والسلوى) أي في التيه والا كثرون على أن المن هو الترخيب وقيل هو شيء كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشده وقال وهب هو الخبز الزقاق وأصل المن هو ما بين الله به من غير تعب (ق) عن سعيد بن زبد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السككة من المن وماؤها شفاء

(نحم بعثناكم) أحييناكم وأصله الاثارة (من بعد موتكم) اعلمكم تشكرون (ونحن نعلمكم الغمام) جعلنا الغمام يطعمكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير يسيرهم يظلمهم من الشمس وينزل بالليل عمودا من نار يسرون في ضوئها فيبهم لانفسخ ولا تبلى (وأزنا عليكم المن) الترخيبين وكان ينزل عليهم مثل اللعج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لاكل انسان صاع (والسلوى)

من زجرهم وقرب نجواهم صرير الاقدام وقيل انه في اربع ايلة لم يحدث فيها احد ناحي هبط من الطور
وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حلياً كبراً من القبط حين ارادوا الخروج من مصر بيلة عرس لهم فلما
هبط فرعون وقومه في ذلك الحلي في ايديهم فامض فصل موسى قدام السامري ان الحلي الذي استمرتموه
من القبط فاعلموا فاحفروا حفيرة وادفون فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها ربه وقيل ان هرون
امرهم بذلك فامضت الحلي اخذها السامري وصفاته الخلاق الثلاثة أيام ثم أتى فيها القبضة التي اخذها
من زاب فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فصار عجلان ذهب مرصداً بالعوا وهرون خاخر خور وقيل كان
نحور ويثي فقال لهم السامري هذا الحكم واليه موسى ففسى أي فتركه ههنا وخرج بطلبه وكان بنو اسرائيل
قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فامضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقوموا في الفتنة وقيل
كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع
موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسموا قول السامري فمكث عليه ثمانية آلاف رجل لا يجدونه
وقيل عبده كلهم الا هرون مع اثني عشر ألف رجل وهذا أصح فذلك قوله عز وجل (ثم اتخذتم العجل)
يعني الهيا (من بعده) أي من بعد موسى (وأنتم ظالمون) أي وأنتم ضارون لانفسكم بالعبادة حيث
وضعتم العبادة في غير موضعها (ثم عفونا عنكم) أي عوفنا ذنوبكم ونحوها (ثم اتخذتم العجل) أي من
بعد عبادتكم العجل (العلمكم تشكرون) أي لكي تشكروا عفو الله عنكم وحسن صدييكم الذي رآهم
الشكر هو تصور النعمة واطهارها وزيادتها الكفر هو نسيان النعمة وسرقتها والشكر على ثلاثة أضرب
شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الشاء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة
النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر
الجزع عن الشكر وحكي أن موسى عليه الصلاة والسلام قال الهى أنعمت على النعم السوابغ وأمرتني بالشكر
وأنما شكرى إياك نعمة منك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العمل الذي لا فو قة لم حسي من عدى أن
يعلم أن ما به من نعمة فهى منى وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحانه من جعل اعتراف العبد بالجزع من
شكره شكراً كما جعل اعترافه بالجزع من معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة أن لا يعصى الله بعدها
بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى النعم وقيل الشكر لمن
فوقك بالطاعة والشاء ولظنك بالمكافاة لمن دونك بالاحسان والافضل قوله عز وجل (واذ آتينا موسى
الكتاب) يعني التوراة (والفرقان) قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال
والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء والواو أصلية (العلمكم تهتدون) يعني
بالتوراة (واذ قال موسى لقومه) يعني الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل)
يعني الهيا تعبدونه فكأنهم قالوا ما صنع قال (فتوبوا الى بارئكم) أي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا
كيف نتوب قال (فاقتلوا انفسكم) يعني ليقتل البرى ممنكم لمجرم فان قلت التوبة عبارة عن التدم على
فعل الفيج والعزم على أن لا يعود اليه وهذا ما رقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد
تفسير التوبة بالقتل بل بان توبتهم لاتهم بالاقتل وانما كان كذلك لان الله أوحى الى موسى عليه الصلاة
والسلام ان توبة المردة لاتهم بالاقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف يستحقوا القتل وقد تابوا
من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرائع ففعل شرع موسى كان يقتضى أن يقتل التائب من الردة اما
عاماً في حق الكل أو خاصاً في حق الذين عبدوا العجل (ذلكم خير لكم عند بارئكم) يعني القتل وتحمل
هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى جنسوا واحتببوا من

الى الطور (وأنتم ظالمون)
أي بوضعكم العبادة في غير
موضعها والعبادة هي
ع. تموضع لمن (ثم عفونا
عنكم) ع. ونادونكم
عندكم (من بعد ذلك) من
بعد اخذكم العجل (العلمكم
تشكرون) لكي تشكروا
العفو عنكم
النعمة في العفو عنكم
(واذ آتينا موسى الكتاب
والفرقان) معنى الجامع
بين كونه كتاباً بهد وقرآناً
يفرق بين الحق والباطل
وهو التوراة ونظيره رأيت
الغيت والليت تريد الرجل
الجامع بين الجود والجرأة
أو التوراة وبرهان الفارق
بين الكفر والايمان من
العصا واليد وغيرهما من
الآيات أو الشرع والفارق
بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفلاق البحر أو
النصر الذي يفرق بينه وبين
عدوه (العلمكم تهتدون)
لكي تهتدوا (واذ قال
موسى لقومه) للذين
عبدوا العجل (يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باخذكم
العجل) معبوداً (فتوبوا
الى بارئكم) هو الذي خلق
الخلق بريئاً من التفاوت
وفيه مقريع لما كان منهم
من ترك عبادة العالم الحكيم
الذي برأهم ابراهيم
التفاوت الى عبادة البقر

الذي هو مثل في العبادة والعبادة (فاقتلوا انفسكم) قيل هو على الظاهر وهو النسخ وقيل معناه قتل بعضهم بعضاً
وقيل أمر من لم عبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفاً (ذلكم التوبة والقتل) (خير لكم عند بارئكم) من الاصرار على العصية

ألف وسبع مائة ألف وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الثياب وقيل كان معهم مائة ألف حصان
أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره ازر كان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان
بين يديه مائة ألف ماش وب مائة ألف حارب ومائة ألف أدهمهم الامعدة وسار بنو اسرائيل حتى
وصلوا البحر والماء في عابه الزيادة ونظر واخبر ان شرفت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده بقوا متحيرين
وقالوا لموسى أين ما وعدتنا به فكيف صنع هذا فرعون خلفنا ان أدركنا تقتلنا والبحر أمامنا ان دخلناه
غرقتنا فارحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضر به فلم يطعه فارحى الله اليه ان كنهه فضر به وقال
انطلق يا اباخله فانلق فكأن كل فرق كاطلود العظيم وظهر فيه اثناعشر طر يقال لكل سبط منهم طريق
وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الى موسى والشهس على قعر البحر حتى صارت يساوا خاضت
بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالخيال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فوافوا رقال كل
سبط منهم فذلك اخوانا فوالى الله الى جبال الماء ان تشبك فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا ويسمع
بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر (فانحينكم) من فرعون
(واغرقتنا آل فرعون) وذلك أن فرعون لما وصل الى البحر فرأه متغايا قال لقومه انظروا الى البحر كيف
اشلق من هيبتي حتى أدرك عبيدى الذين أقوامنى ادخلوا البحر فهاب قومهم أن يدخلوا وقيل قالوا له ان
كنت ربنا فادخل البحر كادخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنى
لجاء جبريل عليه السلام على فرس أنى وبقى فتدعوها خاض البحر فله انهم أدهم فرعون يحبه اقترح البحر
في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئا واقتضت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو
على فرس ويقول الحقوا يا بكم حتى صاروا كاهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج
فامر الله البحر أن يأخذهم فالتهم عليهم واغرقتهم اجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وبحر القزم
وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف وكان اغراق آل فرعون برأى
من بنى اسرائيل فذلك قوله (وأتم تنظرون) يعنى الى هلاكهم وقيل الى مصارعهم وقيل ان البحر قد فهم
حتى نظروا اليهم ووافى ذلك يوم عاشوراء فقام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكر الله تعالى ﴿ قوله
عز وجل (واذواعنا) من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعده بجىء
الميثاق (موسى) اسم عبرى معرب فوسى بالعبرية الماء والشجر سمى موسى لانه أخذ من بين الماء والشجر
ثم قالت الشين سينافسمى موسى (أربعين ليلة) أى اقتضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشر من
ذى الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لان الأشهر العربية وضعت على سيرة القمر وقيل لان الظلمة أقدم

من الضوء

ذكر القصة في ذلك

قال العلامة لما أنجى الله بنى اسرائيل من البحر واغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يشتهون اليهما
وعدا الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى اقومه الى ذاهب الى ميثاقى لا تيكمنه بكتاب فيه
بيان ماتون وما تدرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الموعد أنه جبريل عليه
الصلاة والسلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيبه شيء الا يحيى ليذهب بموسى الى الميثاق به فرأه
السامرى وكان صانعا اسمه مضاروقا ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل ماجرا وقيل كرمان
وقيل من بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر
فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه ان هذا السامرى
رأى جبريل حين دخل البحر قد ام فرعون فتدفع فضة من تراب فرسه وأتى في روعه انه اذا أتى في شئ حي
فله اذهب موسى الى الميثاق ومك على الطور أربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الاواح وكانت الاواح

(فانحينكم واغرقتنا آل
فرعون وأتم تنظرون)
الى ذلك وتشاهدونه ولا
تشكون فيه وانما قال
(واذواعنا موسى) لان
الله تعالى وعده الوصى
ووعده هو الحق والليقات
الى الطور وعدنا حيث كان
بصرى لما دخل بنو
اسرائيل مصر بعد هلاك
فرعون ولم يكن لهم كتاب
يشتهون اليه وعد الله تعالى
موسى أن ينزل عليه التوراة
وضرب له ميثاقا ذى القعدة
وعشر ذى الحجة وقال
(أربعين ليلة) لان
الشهر ربيع بالليالي
وأربعين مقمولا ثان
لواعدنا لا ظرف لانه ليس
معناه واعدناه في أربعين
ليلة

(يذبحون أبناءكم) بيان
لقوله يسومونكم ولما ترك
العاطف (ويستحيون
نساءكم) يتركون بذبحكم
أحياء للخدمة وإنما
ضلوا بهم ذلك لأن الكهنة
أنذروا فرعون بأنه
يولد مولود يرسل ملكه
بسببه كما أنذر وانمرد فلم
يخن عنهما اجتهادهما في
التحفظ وكان ما شاء الله
(وفي ذلك بلاء) محنة ان
أشير بذلك إلى صنع
فرعون وضمة ان أشير به
إلى الانجاء (من ربكم)
صفة لبلاء (عظيم) صفة
ثانية (واذ فرقا) فصلنا
بين بعضه وبعض حتى
صارت فيمسالك لكم
وقرى فرقنا أي فصلنا يقال
فرق بين الشئين وفرق
بين الأشياء لأن المسالك
كانت اثني عشر على عدد
الأسباط (بكم البحر) كانوا
يسلكونه و يفرق الماء
عند سلوكم فكانا يفرق
بهم أو فرقا ببيكم أو
فرقا بمتباسبكم فيكون
في موضع الحال روى ان
بنى اسرائيل قالوا موسى
عليه السلام أين أمهاتنا
فنحن لا نرضى حتى نراهم
فأوحى الله إليهم أن يحملوا
هكذا فقال بهاء على الحيطان
فصارت فيها كوى
فترأوا وتساوموا كلامهم

فرعون جعل بني اسرائيل خداما ولا وضعهم في الاعمال أصنافا متفانين و برزعون وصفوا
بخدمته وانه لم يكن في عمل وضع عليه الجزية و قال ابن رهب كانوا أضافوا أعمال فرعون فذكر القوة
يسلخون السوارى من الجبال حتى تقرحت أيدهم و أعناقهم و دبرت ظهروهم من قنابله و قنابله وصف
يتقلون الحجارة و الطين بينون له القصور و طائفة حصر بون الدين و يطبخون الأجر و طائفة تجارون
و حدادون و الضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضربة يؤدونها كل يوم من غربت عليه الشمس
قبل أن يؤدي ضريبة غلت بداهة إلى عتقه شهرا أو النساء يزلن الكتان و ينسجونه و قيل تفسير يسومونكم
سوء العذاب ما بعده و هو قوله عز و جل (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أي يتركونهن أحياء و ذلك
ان فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس و أحاطت بمصر و أحرقت كل قبيلة بها
و لم تعرض لبنى اسرائيل فهاهنا ذلك و سأل الكهنة عن رؤياه فقالوا لو ولد غلام يكون على يديه هلاك
و زوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل و كل بالقول فكان يهلك ذلك حتى قتل
في طلب موسى اثني عشر ألفا و قيل سمع بن ألفا و أسرع الموت في مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤساء القبط
على فرعون و قالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل فتدفع صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل
عليها فامر فرعون أن يذبحوا سنة و يتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها أولاد موسى في السنة
التي يذبح فيها (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) أي اختار و امتحان و البلاء طاق على الدعة العظيمة و على
الحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر و على الشدة بالصبر فان حل قوله في ذلك بلاء من ربكم
عظيم على صنع فرعون كان من البلاء و المحنة و ان حل على الانجاء كان من النعمة ﴿ قوله عز و جل
(واذ فرقا بكم البحر) أي فصلنا بعضه من بعض و جعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر و سمى
بحر الاتساع

ذكر سياق القصة

وذلك أنه لما نادى هلاك فرعون أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسرى ببني اسرائيل من مصر
بالليل فامر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج إلى الصباح وأن يستعبروا إلى القبط لتبقي لهم أو
ليقيمهم لاجل المال و أخرج الله كل ولدنا كان في القبط من بني اسرائيل إلى بني اسرائيل و كل ولدنا
كان في بني اسرائيل من القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد إلى أبيه و أتى الله الموت على القبط فأت كل
بكرى لهم فاشتغلوا بدفنهم و قيل بلغ ذلك فرعون فقال لا أخرج في طلبهم حتى يصبح الديك فاصاح ذلك
الليلة الديك و خرج موسى في بني اسرائيل وهم سقاة ألف و عشرون ألفا بعدون ابن عشر بن سنة لصغره
ولا ابن ستين سنة لكبره و كانوا يوم دخلوا مصر يعقوب اثنين و سبعين انسانا ما بين رجل و امرأه أو فلما
أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون ف دعا موسى مشيخة بني اسرائيل و سألم عن ذلك
فقالوا ان يوسف لما حضره الموت أخذ على أخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فذلك
استدعينا الطريق فسلمهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من يعلم أين قبر
يوسف الأخرى في بهومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادى فلا يسمع صوته
حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أراك انك انك انك على قبره أعطيتني كل ما سألك فاني عليه أو قال حتى سألت
في قماره أن يعطيني أسوأها فقالت اني يجوز لا أستطيع المشي فاجلني معك و أخرجني من مصر هذا في الدنيا
و أضاف الآخرة فاسألك أن لا تتزلزلة من غف الجنة لا تزال لها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء
فأدع الله أن يحضره الماء فدعا الله فخرسه الماء و دعا الله أن يؤخر عنه طواع الفجر حتى يفرغ من أمر
يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستترجه و هو في صندوق من مرمر و حمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك
فتح لهم الطريق فصار موسى ببني اسرائيل هو في ساقطهم و هرون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في أم

(وانها) الضمير للصلاة والاستعانة (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر (الاعلى الخاشعين) لانهم يتوقعون ما دخر للصابرين على متاعها يقوتون عليهم ألا ترى الى قوله (الذين يظنون أنهم ملاقور بهم) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفسر يظنون يتسكنون اقراء عبد الله يعلمون أى يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعلمون على حسب ذلك وأما من لم يوفق بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خاصة والخشوع والاحبات والتطامن وأما الخشوع فاللين والانتقاد وفسر اللقاء بالروية وملاقور بهم بمعانيه بلا كيف (وأهم اليه راجعون) لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) اذكروا بركاتنا كيد (وأنى فضلتكم) نصب عطف على نعمتى أى اذكروا نعمتى (٥١) وتفضلى (على العالمين) على الجم الغفير من الناس يقال رأيت علامة من الناس والمراد الكثرة

(وانقوا يوماً) أى يوم القيامة وهو مفقود لبعول به لاطرف (لا تجزى نفس) مؤمنة (عن نفس) كافرة (شيئاً) أى لا تقضى عنها شيئاً من الحقوق التى لزمها وشياً مفقود به أو مصدر رأى قليلاً من الجزاء والجملة منصوبة محل صفة يوماً والعائد منها الى موصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه (ولا يقبل منها شفاعة) ولا تقبل بالتأمة مكى وبصرى والضمير من مهابرجع الى النفس المؤمنة أى لا تقبل منها شفاعة للكافرة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأورسوا فهو كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وتثبت المعتزلة بالآية فى نفي الشفاعة لعصاة مردود لان المنفى شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام

عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على أداء الفرائض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة أى اجعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فهمان تصحيح التوبة واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ماسواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خضع به أمر فرع الى الصلاة أى اذا أهمله أمر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه نهى له أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع ثم نصحنى عن الطريق فى ركعتين أطال فيهما السجود ثم قام الى رحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة (وانها) بمعنى الصلاة وقيل الاستعانة (لكبيرة) أى ثقيلة (الاعلى الخاشعين) يعنى المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله وأصل الخشوع السكون فالخشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة أى كثر ما تستعمل فى الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثواباً ولا يخاف على تركها عقاباً فهي ثقيلة عليه وأما الخاشع الذى يرجو لها ثواباً ويخاف على تركها عقاباً فهي سهلة عليه (الذين يظنون) أى يستيقنون وقيل يعلمون (أنهم ملاقور بهم) يعنى فى الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى فى الآخرة (وأهم اليه راجعون) يعنى بعد الموت فيجزى بهم بأعمالهم قوله عز وجل (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) انما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيد للحجة عليهم وتحذير من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وأنى فضلتكم على العالمين) يعنى على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء (وانقوا يوماً) أى واخشوا عذاب يوم (لا تجزى) أى لا تقضى (نفس عن نفس شيئاً) يعنى حقاظها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئاً مما أصابها بل بقر المرء من أخيه وأمه وأبيه (ولا تقبل منها شفاعة) أى فى ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آبائنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضى عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفع لا يقبل منها (ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية وهو عمالة الشيء بالشيء (ولا هم ينصرون) أى لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل (واذنبناكم) أى واذكروا اذخلصنا أسلافكم وأجدادكم فاعتدها نعمة ومنة عليهم لانهم تخووا إبناً على أسلافهم (من آل فرعون) أى من اتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم كان ملك مصر من القبط والعالماتى وفرعون هذا كان اسمه الوليد ابن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعين سنة (يسومونكم) أى يكلفونكم ويذيقونكم (سوأ العذاب) أى أشد العذاب وأسوأ وقيل يصرفونكم فى العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان

شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى من كذب بهم بنبلها (ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية لانها معادلة للمفدى (ولا هم ينصرون) يعانون وجع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة وقد ذكر لى العباد والانس (واذنبناكم) من آل فرعون) أصل آل أهل ولذلك يصغر باهليل فابدلت هاؤه ألفاً وخص استعماله بالى الخطر كالمالك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحمام وفرعون علم لمن ملك العمالة كقصر الملك الروم وكسرى ملك الفرس (يسومونكم) حال من آل فرعون أى يولونكم من سامه خسفاً اذا أولادها وأصله من سام السامة اذا طلبها كانه بمعنى يبيعونكم (سوأ العذاب) ويزيدونكم عليه ومساومة البيع من ابداء ومطالبة وسوأ مفعول ثان ليسومونكم وهو مصدر سئى يقال أهو بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سئى أشده وأفظعه

عليه السلام أوفيا
 الوعيد على الحياة وترك
 البر والخلافة القول العمل
 (أولاً تلون مقلون) أولاً
 تفتنون ليقبح ما قدمتم
 عليه حتى يصدكم استباحه
 عن ارتكابه وهو توبيخ
 عظيم (واستعينوا) على
 حوائجكم إلى الله (بالصبر
 والصلاة) أي بالجمع بينهما
 وأن تصلوا صابرين على
 تكاليف الصلاة محتملين
 لمشاقها وما يجب فيها من
 اخلاص القلب ودفع
 الوسواس الشيطانية
 والهواجس النفسانية
 ومراعاة الآداب والخشوع
 واستحضار العلم بأنه
 اتصا بربين يدى جبار
 السموات والأرض أو
 استعينوا على البلايا
 والنواب بالبر عاينها
 والاتجاه إلى الصلاة عند
 وقوعها وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم إذا
 حزبه أمر فزع إلى الصلاة
 وعن ابن عباس رضى الله
 عنهما أنه نهي إليه أخوه قثم
 وهو في سفر فاسترجع
 وصلى ركعتين ثم قال
 واستعينوا بالصبر والصلاة
 وقيل الصبر الصوم لأنه
 حبس عن المفطرات ومنه
 قيل لشهر رمضان شهر الصبر
 وقيل الصلاة الدعاء أي

جامع لجميع أعمال الخير والطاعات تركت هذه الآية في أسماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقرينه
 وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنبت على دينه فإن أمره حق وقوله صدق
 وقيل إن جماعة من اليهود قالوا للمشرك العرب أن رسولنا يظهر منكم ويدعوكم إلى الحق وكانوا يرغبونهم
 في اتباعه فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ورحمهم بذلك حيث أنهم
 كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس
 بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوهمهم الله بذلك (وتسبون أنفسهم) أي وتعدلون عما لها
 فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو والحادث بعد حصول العلم والمعنى أن تكون أنفسكم ولاتبعون محمد صلى
 الله عليه وسلم (وأتم تلون الكتاب) يعني تقرأون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم
 وصفته وفيها أيضاً الحث على الأفعال الحسنة والاعراض عن الأفعال القبيحة والأتم (أفلا تعقلون) يعني أنه
 حق فتدعيونه والعقل قوة تهتد به وقيل العلم وبقال للعلم الذي يستغنيه الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول
 على بن أبي طالب وإن العقل عقلان * قطوع ومسموع * ولا ينفع مطبوع

إذا لم يكن مسموع * كالأتمتع الشمس * وضوء العين : موع
 وأصل العقل الامساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقل أي منع من الشرود فكذلك العقل
 يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة * ومعنى الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصیل المصلحة وتجنبه عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى
 من الإحسان إلى الغير وذلك لأن الإنسان إذا وعظ غيره ولم تعظه هو فكانه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل
 فإذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ الناس بمجتهد أن تنفذ موعظته إلى القلوب فإذا خالف قوله فعله كان
 ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته (ق) عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه فيدور بها كابدور الجارف الرجي
 فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى
 كنت آمر بالمعروف ولا أتبه وأنهاى عن المنكر وأتبه (قوله فتندلق) أي تخرج أفتاب بطنه أي أمعاء
 بطنه واحدة فقتب وروى البغوي بسند عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أُسرى
 رجلاً انقضى شفاهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أممك يأمرون الناس
 بالبر ويسبون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج
 يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفدت سهامه وقال بعضهم
 ابتدأ بنفسك فانهم اعن غيها * فإذا انتهت عنه فانت حكيم

فهنالك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم
 قوله عز وجل (واستعينوا بالصبر والصلاة) قيل إن الخطاطين بهذا هم المؤمنون لأن من يشكر الصلاة
 والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من صدق
 محمد صلى الله عليه وسلم وأمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى
 غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم يشكروا أصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة
 المؤمنين فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك
 الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات وانضممتم إلى ذلك الصلاة
 هان عليكم ترك ما أتتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الأول يكون معنى الآية واستعينوا
 على حوائجكم إلى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس

التوراة يعنى في العبادۃ والتواحيىم النبوة وأمر محمد عليه السلام (ولا تكونوا أول كافر به) أى أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به أو أول يكن كل واحد منكم أول كافر به وهذا امر يض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته والضمير فيه يعود الى القرآن (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بأى) بتغييرها وتحويلها (عنما قليلا) قال الحسن هو الدنيا بخدا فبرها وقيل هو الرئاسة التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها القوات لوانتبعوا رسول الله (واباى فائقون) خافون فى فارهيون فائقون بالياء فى الحالىون وكذلك كل ما يحذفه فى الخطأ يعقوب (ولا تلبسوا الحق بالباطل) لبس الحق بالباطل خطئه والباء ان كانت صفة مثلها فى (٩٩) قولك لبست النى بالشئ خطئه. ما كان المعنى

ولا تكتبوا فى التوراة ما

ليس منها فيخطأ الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يعيز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتصا مشبهها بباطلكم الذى تكتبونه (وتكتبوا الحق) هو مجزوم داخل تحت حكم التبعي يعنى ولا تكتبوا أو منصوب باضمار أن والواربمعنى الجمع أى ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتبتان الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وهما أمران مقتربان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم فى التوراة ما ليس منها وكتبتانم الحق أن يقولوا انخد فى التوراة صفة محمد أوحكم كذا (وأتم تعلمون) فى حال علمكم انكم لا بيسون وكأتمون وهو أوقع لهم لان الجهل بالقيبح ر بماعذر من تكتبه (وأقيموا الصلاة) وآتوا الزكاة أى صلاة

نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما فى التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بما (ولا تكونوا أول كافر به) الخطاب لليهود نزلت فى كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى ولا تكونوا بوايعشر اليهود أول من كفر به فان قلت كيف جعلوا أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من أهل مكة وغيرهم قلت هذا امر يض لهم والمعنى كان يجب أن تكونوا أول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما سببت كان أمر اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا أول كافر به من اليهود فينبعكم غيركم على ذلك فتبوا وباطلكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك (ولا تشتروا) أى ولا تستبدلوا (بأى) أى ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة (عنما قليلا) أى عوضا يسير من الدين الان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشئ اليسير الحقير الذى لا قيمة له والذى كانوا يأخذونه من الدنيا كالشئ اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلماذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي عنما قليلا وذلك ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيدون الماء كل من سفلتهم وجهالمهم وكانوا يأخذون منهم فى كل سنة شيا معلوما من زرعهم وغارهم وتقودهم وضروعهم يخافون ان يبتوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك الماء كل تغير واغتته وكتبوا اسمه واخذوا من الدنيا على الآخرة أو صرعو على الكفر (واباى فائقون) أى خافون فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع خزن واضطراب والتقوى جعل النفس فى وقاية مما تخاف ﴿ قوله عز وجل (ولا تلبسوا الحق بالباطل) أى ولا تكتبوا فى التوراة ما ليس فيها فيخطأ الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم وقيل معناه ولا تخططوا الحق الذى أنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة الباطل الذى تكتبونه بايدكم من تغيير صفته وقيل لا تخططوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى الحق بالباطل أى بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو الذى نتظره وإنما هو المسيح بن داود يعنى الدجال وكذبوا فبا قالوا (وتكتبوا الحق) وأتم تعلمون) يعنى ان محمد صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا فى الصورة لكنه عام فى المعنى فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة بأعاضى ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ومحرم عليه كتمانها (وأقيموا الصلاة) يعنى الصلوات الخمس بموافقتها وحدودها وجميع أركانها (آتوا الزكاة) أى أدوا الزكاة المقروضة عليكم فى أموالكم (واركعوا الركعتين) أى صاومع المسلمين يعنى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه من ركعها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صاومع الصلاة ذات ركوع فلماذا المعنى أعاده بعد قوله وأقيموا الصلاة لان الاول خطاب للكافة والثانى خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على إقامة الصلاة فى الجماعة فكانه قال صاومع المسلمين فى الجماعة ﴿ قوله عز وجل (أتأمرون الناس بالبر) الاستهتام فيه للترقيم مع الترهيب والتعجب من حالهم والبراسم

(٧ - خازن) - اول المسلمين وزكاتهم (واركعوا الركعتين) منهم لان اليهود لا ركوع فى صلاتهم أى أسلموا واهملوا عمل أهل الاسلام وجازان براد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون أمر بالصلاة مع المسلمين يعنى فى الجماعة أى صاومعهم المسلمين لانهم فى الهمة وفى (أتأمرون الناس) للترقيم مع التوبيخ والتعجب من حالهم (بالبر) أى سمة الخير والمعروف ومنه البر لسعته وبتناول شكل خبر ومنه قوله صدق وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه فى السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بالصدقات ليقربوها خافوا فيها

المستقبل (ولاهم يحزنون) على ما خلفوا والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول كقولك ان جنتي فان قدرت احسنت اليك فلا خوف بالفتح في كل القرآن يعقوب (والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب النار) أي أهلها ومستحقها وهو الجحيم في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين (هم فيها خالدون) أي بني اسرائيل هو يعقوب عليه السلام وهو قلبه ومعناه في لسانهم صفوة الله أو عبدة الله فاسمراه والبدأ والصفة (٤٨) وأبل هو الله بالعبرية وهو غير منصرف لوجوده والعلوية والجمعة (اذكروا نعمتي

التي أنعمت عليكم) يعني فيما يستقبلهم (ولاهم يحزنون) أي على ما خافه وأوقل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة (والذين كفروا) أي جحدوا (وكذبوا باياتنا) أي بالقرآن (اولئك أصحاب النار) أي يوم القيامة (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا بني اسرائيل) اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم - أجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي اشكروا وانعمتم وانما عر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدوها فقد كفرها أو قيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووجد النعمة لانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغروء منه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان نفعه وقصد نفسه بها لاسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة نفعها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمته وصلت الى الانسان بواسطة الفيلكن الله يمكنه من ذلك فالتنم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمته حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالتنم هو التتم المطابق في الحقيقة لان اصول التتم كتمامها ومن التتم المتختمه بيني اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن التتم ان الله تعالى أنقذهم من فرعون وفاقي البحر لهم وأغرق فرعون وتظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة وغير هذه كثيرة فان قلت اذا فسرت النعمة بهذا كانت على الخطاطبين بها لان غرا الآباء غرا الابناء ولان الابناء اذا تيقنوا ان الله قد أنعم على آباؤهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك الخطاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به (وأوفوا بهدي) أي امتثلوا أمرى (أوف بهديكم) أي بالقبول والثواب وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حاله بعد حال ومنه سمى الموثق الذي تزم مراعاته عهدا وقيل أراد بالهدهد جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف دون بعض وقيل أراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثناهم اثني عشر نقيباً الى قوله لا كفرن عنكم سبئكم فهذا قوله أوف بهديكم وقيل هو قوله واخذنا منكم ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واخذنا منكم ميثاقاً يعني بني اسرائيل لان عبدون الله وقيل أراد بهذا العهد ما ابتدئ به كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام اني باعث من بني اسماعيل نبياً آمياً فمن تبعه وصدق التوراة الذي يأتي به غفر له ذنبه وأدخلته الجنة وجعل له أجرين اثنين وهو قوله واخذ الله ميثاق الذين آمنوا الكتاب التيفينه للناس يعني أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته (واياي فارهبون) أي خافون في تصديقكم العهد (وآمنوا بما أنزلت) يعني بالقرآن (مصدقاً لما معكم) يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ايمان به محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه

في دار نعمتي على بساط كرامتي بسرور رزيتي (واياي فارهبون) فلانة من اوعدهى به ومن قولك زبدار هتبه وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبدا وياي منصوب بفعل مضردل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا اياي فارهبون وحذف الاول لان الثاني يدل عليه وانما ينتسب بقوله فارهبون لانه أخذ مغضوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زبداني زبدافضربه بالخبر الذي هو ظاهر (وآمنوا بما أنزلت) يعني القرآن (مصدقاً) حاله وكذا من الهاء المحذوفة كانه قيل انزلت مصدقاً (لما معكم) من

الواقى اهبطوا أى اهبطوا متعدين (وليكفى في الارض مستقر) . موضع استقرار واستقرار (ومتاع) وتنعيم بالعيش (الى حين) الى يوم
القيامة وأولى الموت قال ابراهيم أنهم أوردنا تلك الاكله من ناطو يلا (فتلقى آدم (٤٧) من ربه كلمات) أى استقبلها

بالاخذ والقول والعمل
بهوا بنصب آدم ورفع كلات
مكى على انها استقبلته بان
بلغته وانصت بهوهن قوله
تعلمى ربنا ظلمنا أنفسنا
وان لم نغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين
وفيه غوة لذر يتهما
حيث عرفوا كيفية اسبيل
الى التنصل من الذنوب
وعن ابن مسعود رضى الله
عنه ان أحب الكلام الى
العتة الى ما قاله بونا آدم حين
اقترب الخطيئة سبحانك
اللهم وبمحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولاله
الاأنت ظلمت نفسى فاغفر
لى انه لا يغفر الذنوب
الاأنت وعن ابن عباس
رضى الله عنهما قال يارب
الم تخلفنى بيدك قال نى قال
يارب ألم تنفخ فى رى روحك
ألم تسبق رحمتك فضبك
ألم تسكنى جنتك وهو تعالى
يقول بلى بلى قال فلم أخرجتنى
من الجنة قال بشؤم معصيتك
قال فلو لبثت اراجى أنت
ايها قال نعم (فتاب عليه)
فرجع عليه بالرحمة والقول
واكتفى بذكروبه آدم
لان حواء كانت تبغله وقد
طوى ذكر النساء فى
أكثر القرآن والسنة لذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طبلين فليس مناماسا لما هن مناجار بنهان أخرجه
أبو داود وله عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كائن فى خاف من ثارهن
فليس منى وفى رواية قتلاوا الصكبار كاه الاالجنان الذى كانه قصب فطعم عن أنى سعيدا لحدري
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلاة من جفافد أسماوا فاذا رأيتهم منهم شيأ فأتوه ثلاثة أيام فان
بدلكم به ذلك فاقبلوه فانهم شيطان وفى رواية ان هذه البيوت عوام فاذا رأيتهم منها شيأ فخرجوا
عليه ثلاثا فان ذهب والا فأتوه فانه كافر (واسكنى في الارض مستقر) أى موضع قرار (ومتاع) أى بلغة
ومستمتع (الى حين) أى الى وقت انتضاء أجلكم ﴿ قوله عز وجل (فتلقى آدم) أى تلتقن والتقى هو
قبول عن فطنته وفهم وقيل هو التعل (من ربه كلمات) أى كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هى
قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل هى لاله الاأنت سبحانك وبمحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسى
فأنت على انك أنت التواب الرحيم لاله الاأنت سبحانك وبمحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسى فاغفر لى
انك أنت الغفور الرحيم لاله الاأنت سبحانك وبمحمدك رب علمت سوء وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت
أرحم الراحمين وقيل قال آدم يارب أرى ما أتيت أشئى ابتدعته من تلقاء نفسى أى شئى قدرته على قبل أن
تخلفنى قال بلى شئى قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكيف قدرته على فاغفر لى وقيل ان الله تعالى أمر
آدم بالحج وعلمه ان كانه فطاف بالبيت سبعاهو يومئذ بوة جراه ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال
اللهم انك تعلم سرى وعلايتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى
فأرسل الله تعالى اليها آدم فقدرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما هبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة
لا يرفع رأسه الى السماء حيا من الله تعالى وقيل هى ثلاثة اشياء الحياء والدعاء والذكاء قال ابن عباس بكى
آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ولمأ كلا ولم يشر بأربعين يوما وقيل لو أن دموع أهل
الارض جمعت لكانت دموع داود أكثر من نهائيت أصاب الخطيئة قتلوا دموع داود ودموع أهل
الارض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة (فتاب عليه) أى فنجاوز عنه ونفله
وأصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذى كان عليه ولا يتحقق التوبة
منه الا بثلاثة أمور وعلم وحال وعمل أما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه محجوب عن الله تعالى فاذا حصل
هذا العلم تألم القلب فعند ذلك يحصل الندم وهو الحال فيترك العبد الذنب ويحزم فى المستقبل ان لا يعود
اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة الأمور حصلت التوبة وبسأى بسط هذا عند قوله تعالى توبوا
الى الله توبة نصوحا فى سورة التحريم ان شاء الله تعالى (انه هو التواب) أى الرجاء على عبادته بقوله
التوبة والتواب فى وصف الله سبحانه وتعالى المبالغ فى قبول توبة عبادته (الرحيم) أى يخلفه وصف
سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توبابا لرحيم (فانا اهبطوا منها جميعا) يعنى هؤلاء الاربعة وقيل ان اهبوط
الاول من الجنة الى السماء الدنيا واهبط الثاني من السماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال فى الهبوط
الاول ولسكنى في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه لآلتا كيد (فاما ياتينكم
منى هدى) فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كانه قال وان أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت
عليكم بهدائى التى تؤدىكم الى الجنة مرة أخرى على الدوام الذى لا ينقطع وقيل الخطاب بهم ذرة بآدم يعنى
يا ذرية آدم اما ياتينكم منى رشد وبيان وشريعته وقيل كتاب ورسول (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم)

(انه هو التواب) الكثير القبول للتوبة (الرحيم) على عبادته (فانا اهبطوا منها جميعا) حال أى مجتمعين وكررا الامر باهبوط لآلتا كيد ولأن
الهبوط الاول من الجنة الى السماء والثانى من السماء الى الارض وأما ياتينكم منى هدى أى رسول أبغى اليكم أو
كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى والذين كفروا وكنوا بآياتنا فى مقابلة قوله (فمن تبع هداى) أى القبول والايمان به (فلا خوف عليهم) فى

الجنة شتوما (ولانقر باهذه الشجرة) أى الجنة ولذا قيل كيف لا يعصى الانسان وفوته من شجرة الصبان والسكرمة لانها اصل كل فنة
أو التينة (فتكونا) جزم عطف على نقر بأو نصب جواب للنهي (من الظالمين) من الذين ظالموا أنفسهم وأمن الضاربين أنفسهم (فأزلهما
الشیطان عنها) أى عن الشجرة أى

عنهما وأقارعهما عن الجنة معنى
أزلهما أي أبعدهما
فأزلهما حزة وزلة آدم
بالخافى أو التوبل ما يعمل
اللهى على التزويه دون
التحريم أو جعل اللام
على تعريف لهود كن الله
تعالى أراد الجنس والازل
الوجه وهذا دليل على انه
يجوز اطلاق اسم الزلة على
الانبياء عليهم السلام كما قال
مشايخ بخارى فانه اسم
لعل يقع على خلاف الامر
من غير قصد الى الخلاف
كرلة الماشى فى الطين وقل
مشايخ سمرقند لا يطلق اسم
الزلة على أفعالهم كما لا يطلق
العصية وإنما يقال فعلوا
الفاضل وتركوا الافضل
فعوتوا عليه (فأخرجهما
عما كانافيه) من النعم
والسكرمة أو من الجنة
كان الضمير للشجرة فى
عنها وقد توصل الى انزالهما
بعد ما قيل له اخرج منها
فانك رجيم لانه منع عن
دخولها على جهة التكرمة
كدخول الملائكة لاعتن
دخولها على جهة الوسوسة
ابتلاء آدم وحواء وروى
انه أراد الدخول فنعمة
الجنة تدخل فى فهم الحية
حتى دخلت به وقيل قام عند الباب فنادى (ولقنا هبطوا) الهبوط النزول الى الارض والخطاب لآدم وحواء وابلis رسول
وقيل والحيه واصحح لآدم وحواء والمراد هما وذر بينهما لانهما لما كانا أصل الانس ومنشعبهم جعلنا كأنهما الانس كلهم ويدل عليه قوله
تعالى (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض

تعالى (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض (ولقنا هبطوا) أى هبطوا من الجنة الى الارض

(وما كنتم تكتمون) تسرون (واذ قلنا لا اله الا الله اسجدوا لآدم) أى اخذوا له وأقر بالفضل له عن أى نبى كعب رعى ابن عباس رضى الله عنهما كان ذلك انحناء لم يكن خروا على الذنوب والجور على أن الماء ور به وضع الوجه على الارض وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح اذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه ابليس وكان سجود التوبة جائزة فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لاسما حين أراد أن يسجد له لينفى لما لوق أن يسجد لاحد الا لله تعالى (فسجدوا والا ابليس) الاستثناء متصل لانه كان من الملائكة كذا قال على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم ولان الاصل ان الاستثناء يكون من جنس المستثنى (٤٥) منه ولهذا قال ما منعكم أن لا تسجد

اذ أمرتكم وقوله كان من الجن معنى صار من الجن كقوله فكان من المرفقين وقيل الاستثناء منقطع لانه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ولانه خلق من نار والملائكة خلقوا من الزور ولانه أى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولانه قال أفنتخذونه وذرية أولياء من دوني ولا تسلم للملائكة وعن الجاحظ ان الجن والملائكة جنس واحد فمن طهر منهم فهو ملك ومن خبت فهو شيطان ومن كان بين بين فهو جن (أبى) ائتمن بما أمر به (واستكبر) تكبر عنه (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين ببلائه واستكباره ورده الامر لابتراك العمل بالامر لان ترك السجود لا يخرج من الايمان ولا يكون كفرا عنه اهل السنة خلافا للمعتزلة

قولكم لن يخلق الله تعالى خلقا كرم عليه منا وقال ابن عباس أعلم ما تبذلون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعنى ابليس من المعصية ﴿ قوله عز وجل (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا ساكن الارض والاصح أنه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس (فسجدوا) يعنى الملائكة وفى هذا السجود قولان أحدهما أنه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وأما هو الانحناء وكان سجود تحية وتنظيم لاسجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام أبطل ذلك بالسلام وفى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال لامر والاقول الثانى ان آدم كان كالفيلة وكان السجود لله تعالى كاجلعت الكعبة قبله لالصلاة والصلاة لله تعالى وفى هذه الآية دليل لذهب أهل السنة فى فضيل الانبياء على الملائكة (الا ابليس) سمي به لانه ابليس من رحمة الله أى شيس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمى ابليس وغيث صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل أنه استثناء منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه أصل الجن كأن آدم أصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناء منهم (أبى) أى امتنع من السجود فلم يسجد (واستكبر) أى تكبر وتعظم عن السجود لآدم (وكان من الكافرين) أى فى علم الله تعالى فانه وجبت له النار السابق علم الله تعالى بشقاوته (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فرأى ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بسبى يقول يا رب له وفى رواية يا بلثاء أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فى النار ﴿ قوله عز وجل (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) أى اتخذها مأوى ومثلا وابليس معذرا لاستقرار لانه لم يقل أسكنتك الجنة لانه خلق له مارة الارض ولما أسكن الله آدم فى الجنة بقى وحده ليس معه من يستأنس به وبجالس له فأتى الله عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاع جنبه الايسر وهو الاقصى خلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحا من غير أن يحس بذلك آدم ولم يجد أملا ولو وجد أملا لماعطف رجل على امرأة فقط وسمعت حواء لانهما خلقت من نحي فلما استيقظ آدم من نومه ورأى أهاج البسة كاحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت قالت أنا زوجتك حواء قال ولماذا خافت قالت لفسكن الى وأسكن اليك واختلقوا فى الجنة التى أمر آدم بسكنها فقيل انها جنة كانت فى الارض بدليل انه لو كانت الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لما أخرج منها وأجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصر والاقول الصحيح انها الجنة التى هى دار الجزاء والثواب لان الاف واللام للمهد والجنة بين المسلمين وفى عرفهم التى هى دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين يمكن فلا وجه للقطع (وكلا منها رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما والقصود منه الاطلاق

والخوارج وأركان من الكافرين فى علم الله أى وكان فى علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لانه كان كافرا أبدي فى علم الله وهى مسئلة الموافقة وقلنا يا آدم (اسكن) أمر من سكن الدار يسكنها سكى اذا أقام فيها يقال سكن المنحرك سكونا (أنت) تا كيد للمساكين فى اسكن ليصبح عطف (وزوجك) عايه (الجنة) هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور وللأم التعريف وقالت المعتزلة كانت بستانا بالجن لان الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها قال تعالى لا يخرج من هاهنا من شاء الله فله ما يشاء وقد دخل النبي عليه السلام ليلة الميراج ثم خرج منها وأهل الجنة يكفون المعرفة والتوحيد (وكلا منها) من ثمارها خذ نصف النصف (رغدا) وصف للمصدر رأى أكلار رغدا واسعا (حيث شئتما) شئتما بابه بغير همز أبو عمرو وحيث للمكان المبهوم أى أى مكان من

(وعلم آدم) هو اسم أعظم وأقرب أمره أن يكون على فاعل كما زروا شتقاق آدم من آدم الأرض آدم من الأدمه كاشتقاقهم بقول من العقب وادر بس من الدرس والباس من الابل اس (الاسماء كلها) أى اسماء المسميات خذف المضاف اليه لكونه معلوما ولو لا على به ذكر الاسماء اذا الاسم يدل على السمي وعوض منه اللام كقوله تعالى واشتمل الرأس شباوا لا يصح أن يقدروا على آدم مسميات الاسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه (٤٤) لان التعليم على بالاسماء لا بالاسميات لقوله تعالى أنبؤني باسماء هؤلاء وأنبتهم باسمائهم ولم

يقول أنبؤني هؤلاء وأنبتهم بهم ومعنى تعليمه أسماء المسميات انه تعالى أراه الاجناس التي خلقها واعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه دبير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عليه اسم كل شئ حتى القصعة والغرفة ثم عرضهم على الملائكة أى عرض المسميات وأما ذكر كران في المسميات العقلاء فغيرهم وأما اسماهم فقد علمهم عن الانبياء على سبيل التبكيت (فقال أنبؤني) أخبروني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في زعمكم انى استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء وفيهم عليهم وبيان أن فيهم يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله أن يستخلفوا (قالوا سبحانك) تنزهالك أن تخفى عليك شئ أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك وأفادتنا الآية أن علم الاسماء فوق التخلي

للعادة فكيف يعلم الشريرة وانتصابه على المصدر تقديره سبحانه الله تسميها (لا علم لنا الاماعلمتنا) قولكم وليس فيه علم الاسماء وما معنى الذى والى العلم معنى العلم أى لا معلوم لنا الا الذى علمتنا (انك أنت العليم) غير الملم (الحكيم) فيما قضيت وقدرت والكاف اسم ان وأنت مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر ان وأنت فصل والخبر العليم والحكيم خبر ان (قال يا آدم أنبتهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم سمي كل شئ باسمه) (قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) أى أعلم ما غاب فيهما عنكم كما كان وما يكون (وَأَعْلَمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) (وَأَعْلَمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) (وَأَعْلَمُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ)

الله يحمدوه وهي صلاة الخلق وعلمهم برزقون (م) عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
 أي السلام أفضل قال يا عطفي الله ملائكتك أو أعباده سبحانه الله وبحمده قال ابن عباس رضي الله عنهما
 كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالله منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل أصل التسبيح
 تزييه الله عما لا يليق بحلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقصد معني بحمدك حامدين لك
 أو متساينين بحمدك قاله لولا أنعم الله علينا بالتوفيق لم نتكلم من ذلك (وقدس لك) أصل التقديس
 التطهير أي نظورك عن النقائص وكل سوء وناصفك بما يليق بعزك وجلالك من الملوأ والعظمة والالام صلة
 وقيل معناه أنه أنفست طاعتك وعبادتك (قال أني أعلم ما لا تعلمون) قول أنه جواب لقول الملائكة أن يعمل
 فيها فقال تعالى أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل أعلم أن فهم من يعبدني ويطيعني وهم
 الأنبياء والأولياء والصالحون من بعدي منكم وهو إبليس وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم
 فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام ﴿ قيل إن الملائكة أجسام لطيفة هوائية خلقت
 من النور تقدرون أن تتشكل بأشكال مختلفة مستكنين السموات ﴾ عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تعلمون أظت السماء حتى لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع
 الأول ملك واضح جبهة لله ساجدا أخرج الترمذي زيادة وقال حديث حسن غريب وهو وأما قصة خلق آدم
 عليه السلام فقال وهب بن منبه لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وحى إلى الأرض أني خالق منك خلقة منهم
 من يطيعني ومنهم يعصيني فن أطاقني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار قالت الأرض أنت خلقني خلقا
 يكون للنار قال نعم فبكت الأرض فأنفجرت منها العيون إلى يوم القيامة فبعث الله إليهم جبريل ليأتيه
 بقبضة منهن من أحرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاهن ألبسهن من ألبسهن فلما ألبسهن ألبسهن
 إلى أن لا تأخذن مني شيئا فرجع جبريل إلى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال
 الله تعالى ليس كذلك فأتاني بقبضة منها فلما أتاهن ألبسهن من ألبسهن فلما ألبسهن ألبسهن
 فقال ما قالت له فقال لمزرائيل أطلق فأتني بقبضة من الأرض فلما أتاهن ألبسهن من ألبسهن
 الذي أرسلك أن لا تأخذن مني شيئا فقال وأنا أعوذ بغيره أن أعصى له أمر أو قبض منها قبضة من جميع بقاعها
 من غيبها وما لحها وحاولها وهي طويها وخبيثها وصعد بها إلى السماء فسألهم عز وجل وهو أعلم بما صنع
 فأخبره بما قال له الأرض وباردتها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت به خلقا أو لأسلطنك
 على قبض أو أرواحهم أقله تركتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شاء الله
 ثم أخرجها فجمعها طين لا ز بامدة ثم حاسنوا نامة ثم صالوا ثم جعلها أجسادا وألقاه على باب الجنة فكانت
 الملائكة يجعون من صفة صورته لا لهم ليكنوا وأوامله وكان إبليس بر عليه ويقول لا أمر ما خلق هذا
 ونظر إليه فإذا هو أجوف فقال هذا خالق لا تما لك وقال بومالاملائكة أن فضل هذا عليكم ما تصنعون فقالوا
 تطعمر بنا ولا نعصيه فقال إبليس في نفسه أني فضل على لأعصيه ولئن فضلت عليه لاهلكه فلما أراد الله
 تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فظرت فرأت مد خلاصة فافقت يارب كيف
 أدخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها واستخر جين منه كرها فدخلت في باؤفه فوصلت إلى
 عيقه فجعل ينظر إلى سائر جسده طينافسارت إلى أن وصلت منخر به فغطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله
 رب العالمين وهي أول كلمة قالها فتاداه الله تعالى رحلك بك يا أباحمد ولما خلقتك ولما بلغت الروح إلى
 الركبتين هم ليقيم فلم يقدر قال الله تعالى خالق الإنسان من عجل فلما بلغت إلى الساقين والقدمين استوى قائما
 بشراسو الجلود ما عظاما وعروفا وعصاوا وحشاء وكسى لباسا من ظفر زداد جسدها لا وحسنا كل يوم
 وجعل في جسده تسعة أبواب سمع في رأسه وهي الأذان لسمع بهما والعينان يبصر بهما والمخخران يشم

تعالى وقد دخلوا بالكفر
 أي دخلوا ككافر
 (وقدس لك) ونظير
 أنفسنا لك وقيل التسبيح
 والتقديس تبيد الله من
 السموع من سج في الأرض
 وقدس فيها إذا ذهب فيها
 وأبعد (قال أني أعلم ما لا
 تعلمون) أي أعلم من
 الخسك في ذلك ما هو خفي
 عليكم يعني يكون فيهم
 الأنبياء والأولياء والعلماء
 وما يعني الذي وهو مقول
 أعلم والعائد محذوف أي
 ما لا تعلمونه أني عجزا
 وأبو عمرو

آخر والمراد بالسماحة العلو كما أنه قبل ثم استوى الى فوق والضمير في (فسواهن) مبهم بغيره (سبع سموات) كقولهم رب رجا
وقيل الضمير راجع الى السماء ولفظها واحد ومعناه الجمع لانه في معنى الجنس ومعنى تسويتين تعديلت خلقهن وتقوى بهما خلاصتهما من العرج
والقصور وأتمام خلقهن وتم هاليان فضل خلق السموات على خلق الارض ولا يافض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاه لان جرم الارض
تقدم خلقه خلق السماء وأما دحاه فافتخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع ريث اندس كبريته الفهر عليها حان ملتزم ثم أتت به
الدخان وخلق منها السموات وأسكن الفهر في موضعها ووسط منها الارض وذلك قوله تعالى كما تارتقا وهو الانزق (وهو بكل شيء عليم)
فمن خلقهن خلقا مستويا عاكسا (٤٢) غير ثلثه مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها وما فهمهم وهو

(فسواهن سبع سموات) خلقهن سبع سموات متويات لاصدع فيها ولا فلو وسبأ في ذلك خلق
الارض عند قوله تعالى قل أمكم لثكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة عم السجدة ان شاء الله
تعالى (وهو بكل شيء عليم) يعني يعلم الجزئيات كما يعلم السكيات ﴿قوله لي (واذا قل ربك) أي
واذا ذكر يا محمد ذكركم بك وكل ما ورد في القرآن من هذا الشحوف فنادى به وقال اذن نداء والاول اوجه
(الملائكة) جمع ملك وأصله ملك من الملائكة والاولى كوهي لفظ الغوى وهي الرسل راد باللائكة
الذين كانوا في الارض وذلك أن الله تعالى خلق الارض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة
السماء وأسكن الجن الارض فعبدوا وادهر اهل الارض طر بهم الحسد والبغى فأفسدوا واقتربوا فبعث الله
اليهم جن من الملائكة فاقامهم الجن زراة ابايس وهم خزائن الجن في بطون الارض وطرودوا الجن الى
جزائر البحور وشعوب الجبال وسكنواهم الارض وخفف الله عنهم العبادات وأعطى الله ابايس ملك الارض
ولذلك السماء الدنيا خزنة الجنة وكان رئيسهم ومشردهم وأكرمهم علفا فكان يعبد الله مارة في الارض
ونارة في السماء ونارة في الجنة فدخله الحب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك الا لأني أكرم الملائكة عليه
فقال له ولجنه (اني جاعل في الارض خليفة) أي اني خالتي خليفة يعني بدلائكم ورافعكم لي فيكم وهو اذلك
لانهم كانوا هون الملائكة عبادته والمراد بالخليفة هنا آدم عليه الصلاة والسلام لانه خلف الجن وجاء بعده
وقيل لانه خلفه غيره والصحيح انه ما سمى خليفة لانه خليفة الله في أرضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه
(قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها) أي بالمعاصي (وبفسك الدماء) أي بغير حق كقوله الجن فان قلت
من أن عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك باخبار الله اياهم أو قاسوا الشاهد
على الغائب وقيل انهم لما رأوا ان آدم خلق من أخطا صر كبريتا لله وان يكون فيه الحق والغضب ومنهم
يتولد الفساد وفسك لدماء فلما قالوا ذلك وقيل لما خلق الله في النار خاف الملائكة وقالوا ان خلقت
هذه النار قال ابن عباسي فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك فان قلت الملائكة معصومون
فكيف وقع منهم هذا لاعتراض قلت ذهب بعضهم الى أنهم غير معصومين واستدل على ذلك بوجوه
منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى معصمتهم أجاب عنه بأن هذا السؤال انما وقع على
سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى وحاطة علمه بما خفي
عليهم ولهذا أجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون رقيب ان العبد المخلص في حب سيد مكره ان يكون له عبد آخر
بمعينه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل (ونحن نسبح بحمده) أي نقول سبحان

وأخوانه مدني وغير ورش
وأبو عمر روى على جهل الواو
كانها من نفس السمكة
فصار منزلة عندهم يقولون
في عذبة عند بالسكون ولما
خلق الله تعالى الارض
أسكن فيها الجن وأسكن
في السماء الملائكة فأفادت
الجن في الارض فبعث
اليهم طائفة من الملائكة
فطردتهم الى جزائر البحار
ورؤس الجبال وأقاموا
مكاتبهم فأمر نبيه عليه
السلام أن يذكر قصتهم
فقال (واذا قل ربك
للملائكة) انذهب باضاير
اذ كروا للملائكة جمع
ملأك كاشمائل جمع
شمال والحق التاء ثابث
الجمع (اني جاعل) أي
مصيب من جعل الذي له
مفعولان وهما في الارض
خليفة) وهو من خلف
غيره فعلة بمعنى فاعلة
وزيدت الهاء للمبالغة

والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا ساكن الارض خلفهم فيها آدم وذريته ولم يقل خلقت وخلفاء لانه أراد بالخليفة آدم
واستغنى بذلك عن ذكر كبريته كما تستغنى بذلك عن ذكر كبريتهم ومضروهم وأراد بدن بخلفكم وخلفاء ذلك وأخلفه مني
لان آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي قاله تعالى ياد اوتانا جعلناك خليفة في الارض وانه أخبرهم بذلك ليد الوالدك السؤال
ويجوابه - أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم وأولع عبادته المشاورة في أمورهم - قبل أن يقدموا عليها وان كان هو بعباده
وحكمته البالغة غنياعن المشاورة (قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وقوه الحكيم الذي
لا يجعل وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر (وبفسك الدماء) أي يصب والواو في (ونحن
نسبح) للعالم كما تقول اتجسنا الى فلان وأما حق منه لا حسان (بحمده) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك أو تلبسين بحمده كقوله

أرسلهم وقيل مهداة إلى خاتمه ثلاثة عهد العهد الاول الذي أخذ به جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقرأ برؤيته وهو قوله تعالى
 واذا أخذ ربك من بني آدم لابلهم عهد خصل به النبيين أن يبلغوا الرسالة وقيموا الدين وهو قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
 وعهد خصل به العلماء وهو قوله تعالى واذا أخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه (من بعد ميثاق) أصله من الودة
 وهي أحكام الشيء والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهداً من قبله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توقيفه كان المبدأ بمعنى الوعد وأما
 تعالى أي من بعد توقيفه عليهم ومن لا بداء الغاية (و يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) هو قطعهم الارحام وسوالة المؤمنين أو قطعهم ما بين
 الايتام من الوصلة والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر بطلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء وما تنكرة
 موصوفاً بمعنى الذي وأن يوصل في موضع جريد من الماء يوصله أو في موضع رفع أي هو أن يوصل (و يفسدون في الارض) بقطع
 السبل والتعويق عن الايمان (أولئك) مبتدأ (هم) فصل والخبر (الخاسرون) (٤١) أي المغبونون حيث استبدلوا النقص

بالوفاء والقطع بالوصل والفساد
 بالصلاح والعقاب بالشواب
 (كيف تكفرون بالله)
 معنى الهمة التي في كيف
 مثله في قولك أن تكفرون بالله
 ومعكم ما يصرف عن الكفر
 ويدعو إلى الإيمان وهو
 الانكار والتجبر ونظيره
 قولك أن تطير بغير جناح
 وكيف تطير بغير جناح
 والواو في (وكنتم أمواتاً)
 نطفاً أصلاً بأنكم للاحلال
 وقدمه مضمرة والاموات
 جمع ميت كالأقوال جمع
 قول ويقال لآدم الحياة
 أصلا ميت أيضاً كقوله
 تعالى بآدم ميتاً (فاحياكم)
 في الارحام (ثم يحييكم)
 عند انقضاء آجالكم (ثم
 يحييكم) للبعث (ثم إليه
 ترجعون) تصيرون إلى

أخذهم عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى ألتبر بكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي أخذ به على أعبار اليهود في
 التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويدينوا بفضله وصفته الثالث المراد به الكفار والمناقضون الذين
 نقضوا عهداً أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزل في كتابه من الآيات الدالة على توحيد (و يقطعون ما أمر الله به
 أن يوصل) يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود
 وقيل أراد به قطع الارحام التي أمر الله بوصلها (و يفسدون في الارض) يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن
 الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون وأصل الخسار النقص ثم قال
 تعالى لمشركي العرب على وجه التحجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم (كيف تكفرون بالله) يعني بعد نصب
 الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدلائل فقال تعالى (وكنتم أمواتاً) يعني لطف في
 أصلاً بأنكم (فاحياكم) يعني في الارحام والذين (ثم يحييكم) أي عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يعني
 بعد الموت للبعث (ثم إليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزى بكم أعمالكم ﴿ قوله عز وجل (هو
 الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) يعني من المعادن والنبات والحيوان والحبال والبهائم والمعنى كيف
 تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعاً لتتفعلوا به (صالح الدين والدنيا ما صالح الدين فهو
 الاعتبار والتفكير في عجايبه لو قال الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما صالح الدنيا فهو الانتفاع بما
 خلق فيها (ثم استوى إلى السماء) أي تصعد وأقبل على خلقه وأقبل عبد وقال ابن عباس ارفع وفي رواية عنه
 صعد قال الزهري مناه صعد أمره وكنذاً كره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض أولاً ثم
 عمد إلى خلق السماء فان قلت كيف الجمع بين هذا وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو
 البسط فيصم ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الارض بعد ذلك فان
 قلت هذا مشكل أيضاً لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعاً يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو
 قلت يحتمل انه ليس هن ترتيب وانما هو على سبيل تعداد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما أنعم به
 عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم

(٦ - خازن) - اول
 الاول بالفاء والباء فيهم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بالترخا وما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تراخى عن الموت
 ان أر يد النشور وان أر يد احياء القبر فنه يكتب العلم بترخا وبالرجوع إلى الجزاء أيضاً تراخى عن النشور وانما أنكر اجتماع الكفر مع
 القصة التي ذكرها لانها مشتقة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولا نهتسبل على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (هو الذي خلق
 لكم ما في الارض) أي لا جاكم ولا تتفاعكم به في الدنيا كم ودينكم كما الاول فظاهر وأما الثاني فالنظر فيه وما من العجايب الدالة على صانع
 قادر حكيم عليم وما فيه من التدبير لا آخره لان ملاذها تدكر نوابها ومكارها تهاند كرفعها موقداً استدلل الكرخي وبوبكر الرازي والمعتزلة
 بقوله خلق لكم على أن الاشياء التي يصح أن يفتن بها خلقت مباحة في الأصل (جميعاً) نصب على الحال من ما (ثم استوى إلى السماء) الاستواء
 الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أي قام واعتدل ثم قيل استوى الكالسهم المرسل أي قصده فصار مستوياً من غير أن يلوى على شيء
 ومنه قوله تعالى ثم استوى إلى السماء أي أقبل وحمد إلى خلق السموات بعد ما خلق ما في الارض من غير أن يرد فيها بين ذلك خلق شيء

مثلا لادنيا (فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق) الضمير للمثل اولان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت
 ووجب (من ربه) في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه (واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
 الله بهذا مثلا) ويوقف عليه اذ لو وصل لصار ما به موصفة له وليس كذلك وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استحقار كما قالت عائشة رضي الله
 عنها في عبد الله بن عمرو وبجبال بن عمرو وهذا محقرة له ومثلا لنصب على التخيير وعلى الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وما حرف فيه معنى
 الشرط ولذا يجاب بالقاء وقائده في الكلام ان يعطيه فضل توكيده ولز يداهب فاذا قصدت توكيده وانه لا محالة ذاهب قلت اماز يد
 فذهاب ولذا قال سيدي في تفسيره مهذا يمكن من شئ فزيد ذاهب وهذا التفسير يفيد كونه تاء كيد او انه في معنى الشرط وفي ايراد الجلتين
 مصدرين به وان لم يقل قال الذين آمنوا ويعلمون والذين كفروا فيقولون احاد عظيم لاسر المؤمنين واعتد ابلغ بعلمهم انه الحق ونهى على
 الكافرين اغفالهم حظههم ومهمهم بالكلمة الحقاه وما ذافه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي وما استفهاما فيكون كمتين وان
 تكون ذا مركبة مع مجعولتين اسما واحدا للاستفهام فيكون كلمة واحدة فاعلى الاول رفع بالابتداء وخبره ذامع صلته أى ارادوا العائد
 محذوف وعلى الثاني منصوب المحل باراد والتقدير برأى شئ اراد الله والارادة مصدر اردت الشئ اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وهي عند المتكلمين
 معنى يقتضى تخصيص المفعولات بوجه دون وجه والله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة عند أهل السنة وقال معتزلة بغداد انه تعالى لا يوصف
 بالارادة على الحقيقة فاذا قيل اراد الله كذا فان كان فعله فعنائه فعل وهو غير ساه ولا مكروه عليه وان كان فعل غير فعنائه امر به (يضل
 به كثير او يهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجمعتين المصدرتين بامان فربق العالين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به
 كلامهم موصوف بالكثره وان العلم بكونه (٤٠) حقا من باب الهدى وان الجهل بحسن مواده من باب الضلالة وأهل الهدى كثيرى

أنفسهم وانما يوصفون بالفاء
 بالقياس الى أهل الضلال
 ولان القليل من المتهدين
 كثير في الحقيقة وان قلوبا
 في الصورة * ان الكرام
 كثير في البلاد وان قلوبا
 كما غيرهم قل وان كثروا
 والاضلال خافى فعل الضلال
 في العبد والهداية خافى فعل

الاخذاء هذا هو الحقيقة عند أهل السنة وسياق الآية لبيان أن ما سقنكمه الجاهلة من الكفار واستغفروهم من ان
 تكون المحقرات من الاشياء مضر وباه المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار اليه ما فيه من كنف المعنى وادناه
 التوهيم من المشاهد فان كان التمثيل له عظما كان الممثل به كذلك وان كان حقيرا كان الممثل به كذلك لان الحق لما كان واضحا جازيا
 تمثل له بالاضياء والنور وان الباطل لما كان بصدفته تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الاكلة التي جعلها الكفار ناددا لله لاحل احقر منها واقل
 ولتلك جعل بيت العنكبوت مثالا في الضعف والوهن وجعلت قل من الثياب وضربت لها البعوضة الفأى دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبعد
 ولم يقل لتمثل استعجى من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله حتى في قوله سائى لئلا على قضية مضر به وليبان ان المؤمنين الذين عادتهم
 الانصاف والنظر في الامور بنظر العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق وان الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كانوا وعادوا وقضوا
 عليه بالظلال وقابله بالانكار وان ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون
 الامثال بالهائم والطير وخشاش الارض فقالوا اجمع من ذرة وأجر من الذباب وأضعف من فراد وأضعف من فراشة وكل من السوس وأضعف
 من البعوضة وأضعف من مخ البعوض ولكن ديدن المعجوج والمبهوت أن يرضى لقرط الحيرة بدفع الواضح وانكاره اللائح (وما يضل به الا
 الفاسقين) هو مفعول يضل وايس بمصوب على الاستثناء لان يضل لم يستوف مفعوله والفسق الخروج عن القصد وفي الشريعة الخروج عن
 الامر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المرتلين أى بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله ان شاء الله (الذين
 ينقضون عهده الله) النقض الفسخ وفك التركيب والعهد الموثق والمراد بهؤلاء النافقين لعهد الله احبار اليهود المعتنقين ومنتاقوهم و
 الكفار جبرها وعهده الله مار كفي عقولهم من الجحفة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووقع عليهم أو أخذ الشياق عليهم باتهم اذابت اليهم رسول
 يصدق الله بمجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يفسكوا ادماهم ولا يبنين بعضهم على بعض ولا يقطعوا

فيجب تحقيق وصف الآخر به بالتأخر عن سائر الخلق وهذا مما يتحقق بعد إلقاء الكل فوجب القول به ضرورة لأنه تعالى باق وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخلق والخلق وهذا محال قلنا الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده والآخر هو الذي لا انتهاء له في حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق وأما فهم البيان صفة الكمال ونفي النقص والزوال وذائق تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فناء له وإن يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باق لذاته وبقاء واجب الوجود بقاء الخلق وهو جازم الوجود لما ذكره الله تعالى القباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلا ضعكت

(٣٩)

الله فقل (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مبعوضة) أي لا يترك ضرب المثل بالمبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها وأصل الحياء تغيير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به يذم ولا يجوز على القديم التغيير وخوف القدم واسكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكسفرة فقالوا أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المبالغة وأما الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وفيه لغتان التعدي بنفسه وبالجار يقال استحيته واستحيته منه وهما محتملان هذا وضرب المثل صناعته من ضرب المثل وضرب الخاتم وما هذه إسماعيلية التي إذا اقترنت

الله خلق الله الخلق قال من الماء قلت الجنة مبنواها قال الجنة من فضة ولبنة من ذهب ولا طاه المسك إلا ذفر وحسبهاؤها اللؤلؤ والياقوت وترتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تنبى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس أسنده بذلك القوى عن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربع من فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوف وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجالا فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسنا وجالا فيقولون وأنتم والله أفاد زدتم بعدنا حسنا وجالا عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لمحة من الجنة لمحة من الحور العين يرفعن بصوات لم تسمع الخلاق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيدون نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخطو لم يكن كان لنا وكناله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مبعوضة فما فوقها) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والمثل قالت اليهود ما أراد الله بذلك هذه الأشياء الخبيثة وقيل قال المشركون إننا نعبد الهامنة كرهه الأشياء وذلك لأن الكفار واليهود كانوا متعدين على إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى أن الله لا يستحي الحياء تغيير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبح فما هذا أصله في وصف الإنسان والله تعالى منزّه عن ذلك كله فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لأن الكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغيير الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغيير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا أي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود وقيل ما قيل مبالغة فيكون المعنى أن يضرب مثلا بمبعوضة وقيل ليس هي بصلية بل هي للإبهام والتمسك والبعض صغار الرقيق وهومن يجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خطوط مجوف وهو مع صفه يفوق خطومه في جاد القليل والجاموس والجل فيباغ منه الغاية حتى إن الجمل يموت من قرصه فما فوقها يعني القباب والعنكبوت وما هو أعظم منها في الجنة وقيل معناه فسادها أو صغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الفرض بيان أن الله تعالى لا يتعجب من القليل بالنسبة للصغير الحقيق وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للذين يجتاح البعوضة وهما أصغر منها وقد ضرب العرب المثل بالحقير فقيل هو أحقر من ذرة وأجمع

باسم نكرة أهميته إيهاموا زادتة عموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلبة لئلا كيد كائني في قوله تعالى فيها نعيم ميثاقهم كأنه قال لا يستحي أن يضرب مثلا البتة وبهوضة عطف بيان للمثلا ومفعول يضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليه وأنتصبا مفعولين على أن ضرب يعني جعل واشتقاقا من البعض وهو القطع كالضعف والعصب يقال بعض البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فاعول كالقطع فغلبت (فما فوقها) فاستجازها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة وأفاد عليها في الخلق كأنه أراد بذلك رد ما استكبروا ومن ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوض ولا يقال كيف يضرب المثل بمعدون البعوضة وهو النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فموضع التمر يف باللام من تمر يف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيباً و يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار
من ماء غير آسن الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الانهار الجارية وقدمه على سائر
نعمتها (كلامارزقوا) صفة ثانية للجنات اوجلة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات بلخل خلد السامع ان يقع فيه آثار تلك الجنات أشباه غمار
جنات الدنيا أم أجناس آخر لا يشابه هذه الاجناس ف قيل ان غمارها أشباه غمار جنات الدنيا أي أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا
الله (منها من ثمرة رزقا فالواحدة الذي) أي كلامارزقوا من الجنات أي من ثمرتها كانت من تفاحها ورماتها وغير ذلك رزقا فالواحدة من
الاولى والثانية كانتا هما لبدء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرتها وظاهره أن تقول رزقي فلان
فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمره رزقك من بستانه فتقول من الزمان وايس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة والرمانة
الغذوة والنما المراد نوع من انواع الثمار (رزقنا) أي رزقناه خذف العائد (من قبل) أي من قبل هذا فاما قطع عن الاضافة في المعنى هذا مثل الذي
رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله (٣٨) (واتوبه مناسبا) وهذا كقولك أبو يوسف ابو حنيفة تريد أنه لا يستحكام الشبه كان ذاته ذاته والضمير في

به يرجع الى الرزق في
الدنيا والآخرة جميعا لان
قوله هذا الذي رزقنا من
قبل انطوى تحت ذكر ما
رزقوه في الدارين وانما
كان غمار الجنة مثل غمار
الدنيا ولم تكن أجناسا
آخر لان الانسان بالآلوف
آس والى المعهود أميل
واذا رأى ما لم يلقه فترعنه
طبعه وعاقته نفسه ولانه
اذا شاهد مساقلة به عهد
ورأى فيه منية ظاهرة
وتفاوتا بينا كان استعجابه
به أكثر واستغرابه وأوفر
وتكريرهم هذا القول
عند كل ثمرة رزقونها
دليل على تناعي الامر
ومعادي الحال في ظهور
المنية وعلى أن ذلك
التفاوت العظيم هو الذي

الجنة تجري في غير أخذوا في غير شقي والحد الشقي (كلامارزقوا) أي أطعموا (منها) أي من الجنة (من
ثمره رزقا) أي طعمها (قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي في الدنيا و قيل ان غمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة
في الطعم فاذا رزقوا ثمره بعد أخرى ظنوا أنها الاولى (واتوبه) أي بالرزق (متشابهة) قال ابن عباس مختلفا
في الطعم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة فلا رداءة فيها وقيل يشبه غمار الدنيا في الاسم لا في الطعم (م) عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يتخطون ولا يبرقون بل همون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرش
المسك وفي رواية ورشهم المسك قوله بلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم كما يجري
النفس فلا يشغلهم عن شيء كأن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني أن فضول طعامهم يخرج
في المشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى (وطم فيها) أي في الجنات (أزواج) أي من الحور
العين (مطهرة) يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الاقدار وقيل هي عجائب ترك القصص العمش
طهرن من قدرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الاخلاق قيل في الجنة جلع مامشت ولاد (وهم فيها
خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول مرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلهمون على
أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يصفقون ولا يتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب
ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم
ستون ذراعا في السماء وفي رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى نحو سوقهما من وراء اللحم من الحسن
لا اختلاف بينهم ولا تباغض فلو بهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا (ق) عن أبي موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن في الجنة ملجأ من لؤلؤة واحدة بحجوة وطولها في السماء
ستون ميلا للمؤمن فيها أهولون بطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن أبي هريرة قال قلت يا رسول

يسقى تجبهم في كل أو أن أوالى الرزق كأن هذا اشارة الى والمعنى أن ما برزقوه من ثمرات الجنة بأنهم متجانس في الله
نفسه كجسدي عن الحسن بؤى أحدهم بالاصحفة في كل منها ثم بؤى بالآخر فيقول هذا الذي أنشأه من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول التمرة ليا كاهها في بؤى حتى يبدلها الله
مكانها مثلها فاذا أبعروها والهيئة هيثة الاولى فالواحد وقوله واتوبه متشابهة لمتعرضة للقرير كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل
ورأى من الرأى كذا وكان صوابا ومنه وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (وطم فيها أزواج) أزواج مبتدأ وطم الخبر وفيها ظرف
للاستقرار (مطهرة) من مساوي الاخلاق لاطمحات ولا ممرحات أو عما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من
البول والغائط وسائر الاقدار والادناس ولم يجمع الصفة كلو صوف لانهم المقتان فصيحان ولم يقل طاهرة لان مطهرة بألف لانها تكون
للتكثير وفيها اشعار بان مطهر اطهرهن وما ذلك الا لانه عز وجل (وهم فيها خالدون) الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع وفيه
بطلان قول الجهمية فانهم يقولون بقاء الجنة وأهلها لانه تعالى وصف بانه الاول والاخر وتحقيق وصف الاوليه بسبقه على الخلق أجمع

ثم لزمو العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقبل لهم ان استنبتم الجز فأتوا العناد فوضع فانقوا النار وسب ترك العناد
وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة وقائده ان الإيجاز الذي هو من حلية القرآن والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب وأما المصدر فضعف
وقد جاء فيه الفتح وصلة الذي والتي تجب أن تكون معلوما للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله أو
سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نار او قد هال الناس والحجارة وانما جاءت النار منكسرة ثم وهرة فقال تلك الآية نزات بمكة ثم نزلت هذه الآية
بالمدينة مشارها الى ما عرفه أولا ومعنى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها تتقد بالناس والحجارة
وهي حجارة الكبريت فهي أشد توقدا وأبطأ دخوانا ونن رائحة وألصق بالبدن وألاصنام المعبودة فهي أشد تحسرا وانما قرن الناس
بالحجارة لانهم قرونوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوا هوجها وهاله أنه أذنا ونحوه قوله تعالى انكم كما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي
حطبها افقرتهم بالحجارة نار جهنم ابلاغاً يلاهم (أعدت للكافرين) حيث لهم وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافا لما يقول جهنم سنة
الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع التهيب تنشيطا لا كتناسب ما يزنف وتثبطا عن اقتراف ما يتناف فلماذا ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم
بالعقاب فقه بذلك المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والمأمور بقوله وبشر الرسول عليه السلام
أولك أحد وهذا أحسن لانه يؤذن بان الامر اعظمه وخافه شأنه محقق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به وهو معطوف على فانقوا
كما تقول يا بني تم احذر واعقوبه ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم وأحمله وصف ثواب المؤمنين معطوف على جلة وصف عقاب
الكافرين كقولك زيد يعاقب بالقييد والارهاق وبشر عمر يا لعفوى (٣٧) والاطلاق والبشارة الاخبار بما يظهر

سرور المخبر به ومن ثم قال
العلماء اذا قال لعبيده أياكم
بشري بقدم فلان فهو
سرفشروه رادى عتق
أولم لانه هو الذى أظهر
سروره بخبره دون الباقيين
ولو قال أخبرني مكان
بشري عتقوا جميعا لانهم
أخبروه ومنه البشارة اظاهر
الجلد وتبشير الصبيح
ماظهر من أوائل ضووه

عباس يعني حجارة الكبريت لانها أكثرها نارا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها
وقيل أرادها الاصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها
معتقدين فيها انها تنفعهم وتسفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم (أعدت) أي هيئت (للكافرين) قوله
عز وجل (وبشر الذين آمنوا) أي أخبر المؤمنين وهذا الأمر النبي صلى الله عليه وسلم والبشارة بآذار الخبر السار
على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لان الانسان اذا فرح بشئ وسر به ظهر ذلك على بشرة
وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله وبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور واخيرا أغلب
(وعملوا الصالحات) أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات قبل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم
والنية والصبر والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء (أن
لهم جنات) جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتماعها وتسترها بالاشجار
والأوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم (تجري من تحته) أي من تحت أشجارها وما كنهها
(الانهار) أي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل معناها تجري بأمرهم وفي الحديث انهم

وأما فيشرهم بعذاب أليم فمن العكس في السلام التي يصبه الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذر بئك
ونهب مالك والصالحات نحو الحسنات في جرمها تجري الاسم والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس
والآية محجة على من جعل الأعمال إيماناً لانه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يقال انكم تقولون يجوز أن
يدخل المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحا لان البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة
بالإيمان ولا نعمل صاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل ثبت بشارة ممتدة بمشية الله ان شاء غفر له وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم بدخله الجنة
(أن لهم جنات) أي بان لهم جنات وموضع أن وما عملت فيه النصب يبشر عند سبويه خلافا لخليل وهو كثير في التزيل والجنة البستان من
النخل والشجر المتكاثف والتركيب دأر على معنى السرور منه الجن والجنون والجنين والجنة والجنان والجنات وسميت دار الثواب الجنة لما فيها من
الجنان والجنة مخلوقة وله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها ان الجنة اسم لدار الثواب كلها
وهي مشقة على جنات كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات (تجري من تحته الانهار) الجلة في
موضع النصب صفة جنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى لأشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير محدود
وأنز البساتين ما كانت أشجارها مظلة والانهار في خلاها مطردة والجري الاطراد والنهر الجري الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال
للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة واحدة الجري الى الانهار مجازي وانما عرفت الانهار لانه يحتمل ان يراد بها أنهارها

(من مثله) متعلق بسورة صفة لها والضمير لما نزلنا في سورة كاشته من مثله يعني فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلاو الطبقة في حسن النظم وأبعد نأى فاتوا بمن هو على حاله من كونه أسيا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظيره هناك ورد الضمير الى المنزل أولى لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على أن يأتوا بعنل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان الكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لافي المنزل عليه وهو مسوق اليه فان المعنى وان ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم بندا بما عليه وفضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم في ان يحمدوا نزل عليه فهاتوا قرأنا من مثله ولان هذا التقدير بلا مثله قوله (وادعوا شهداءكم) جمع شهود يعني اخاضروا والقائم بالشهادة (من دون الله) أى غير الله وهو متعلق بشهداءكم أى ادعوا الذين اتخذتموه (٣٦) آلهة من دون الله وغمضتم عنهم شهادتهم

معلومة الاول والاخر وقيل السورة اسم للترلة الرفيعة ومنه سور البلد لا ارتفاعه سميت سورة لان القارى ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن (من مثله) أى مثل القرآن وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا معنى من مثل محمد صلى الله عليه وسلم أى لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد ورد الضمير الى القرآن أوجه وأولى وبدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدى وانما وقع الكلام في المنزل لآ ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فاتوا أنتم بسورة مما عليه وبجانبه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان يحمدوا منزل عليه فهاتوا قرأنا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وبدل على ان القرآن مجزأ مشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الامجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة في اللفظ الطويل ثم يهدى باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقود الاول وأنه فارقا سألبيه أساليب الكلام وأوزانه وأوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدث العرب به فحيز وعنه وتحير وافية واعترفوا بقضه وهم معدن البلاغة وقرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أمه لغدق وان أعلاه ثمر (وادعوا شهداءكم من دون الله) أى استعينوا بأهلكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كالتفولون انها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم والافاعلهوا انكم مبطولون في دعواكم انها آلهة وقيل عناءه وادعوا اناسا شهدون لكم (ان كنتم صادقين) ان محمد صلى الله عليه وسلم بقوله من تلقاء نفسه (فان لم تفعلوا) أى فيما مضى (ولن تفعلوا) فيما بقي وهذه الآية دالة على عجزهم وانهم لم يأتوا بعنل ولا بمثل شئ منه وذلك ان النفوس الالية اذا فرغت بمثل هذا التقرير استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القرآن أو بعنل سورة منه ولو قدر واعى ذلك لاتوا به غيث لم يأتوا بشئ ظهرت المجزة التي صلى الله عليه وسلم ولم يجزهم وهم أهل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا سوا صاعلى إطفاء نوره وابطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحدهم ورضوا بسبي القرارى وأخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صرح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى (فاتقوا النار) أى فاتقوا النار ابا ليعان النار (التي وقودها) أى حطبها (الناس والحجارة) قال ابن

من يشهد لكم بأنه مثل القرآن (ان كنتم صادقين) ان ذلك محتق وأنه من كلام محمد عليه السلام وجواب الشرط محذوف بدل عليه ما قبله أى ان كنتم صادقين في دعواكم فاتوا أنتم بعنله واستعينوا بأهلكم على ذلك (فان لم تفعلوا) ان تفعلوا فافادوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام قال لهم فاذا لم تفعلوه وبان عجزكم ووجب تصديقهم فآمنوا وخافوا العذاب المعدل كذب وعاند وفيه دليان على اثبات النبوة بحجة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا

وهو غيب لا يعلمه الا الله ولما كان الجزع عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لهدمهم لانكالم على فصاحتهم واعتقادهم على بلاغتهم سبق الكلام معهم على حسب حساباتهم حتى بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب وعبر عن الاتيان بالفعل لانه فعل من الافعال والفائدة فيه ان جاز مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا اذ لم يعدل من لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فان لم يأتوا بسورة من مثله وان يأتوا بسورة من مثله ولا يحل لقوله ولن تفعلوا لانها جملة اعتراضية وحسن هذا الاعتراض ان لفظ الشرط للتردد قطع التردد بقوله ولن تفعلوا ولان أختان في نفي المستقبل الآن في لن تأكيد او عن الخليل أصلها الآن وعند القراءة لا بدلت أفعالها وان عند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفي المستقبل وانما علم انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجز لانهم لو عارضوه بشئ لاشتهر فكيف والطاعون فيما كثر عدد ادمن الذابين عنه وشرط في انقائه النار انتفاء آياتهم بسورة من مثله لانهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صرح صدق الرسول واذا صرح عندهم صدقه

(وأُتزل من السماء ماء) مطرا (فأخرج به) بالماء ثم خرج الثمرات بقدره ومشيته وإيجاده ولكن جعل الماء سببا في خروجه كما يفعل في خلق الولد وهو قادر على إنشاء السكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدد وأجلا من حال الحال ونافلا من مرتبة إلى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار ومن في (من الثمرات) للتبعض وأولييان (رزقا) مفعول له أن كانت للتبعض ومفعول به لا يخرج أن كانت للبيان وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وإن كان الثمر الخارج بناء السماء كثيرا لأن المراد جماعة الثمرة ولأن الجوع يتعاور بعضهما موقع بعض لالتقائهما في الجمعية (لكم) صفة جارية على الرزق أن أريد به العين وإن جعل اسمها المعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا يا كم (فلا تجعلوا لله أندادا) وهو متعلق بالامرأى اعبداو ربحكم فلاتجعلوا لله أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل له ندولا شريك ويجوز أن يكون الذي رفعه إلى الابتداء وخبره فلاتجعلوا ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزء أى الذى حفركم هذه الآيات العظيمة والدلائل الثيرة الشاهدة بالوحدانية فلاتتخذوا له شركاء والله المثل ولا يقال اللاتل الخائف المناوى ومعنى قوله ليس لله ند ولا ضدنى ما يمدد مسدوني ما ينافيه (وأتم تعملون) أنهم لا تخلق شيئا ولا ترزق والله الخالق الرازق ومفعول تعملون متروك أى وأتم من أهل العلم وجعل الاصنام لله أنداد اغاية للجهل والجملة حال من الضمير فى فلاتجعلوا وإنما احتج عليهم بما ثبت الوحدانية وببطل الاشرار خلقهم أحياء قادرين وخاصق الارض التى هى مؤواهم ومستقرهم وخلق السماء التى هى كالقبة المضروبة واخيمه المظنة على هذا القرار وما سواه عز وجل من شبه عقد الشكاح بين المظلة بالزائل الماء منها عليها والخراج به من بطنه الشهاب النسل من الثمار ورزقالبى آدم فهذا كله دليل موصل الى التوحيد مبطل للاشراك لان شيأ من المحاولات لا يقدر على إيجاد شئ منها

عطف على ذلك ما هو الخفة على اثبات

(٣٥)

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما قرأ بحجاز القرآن فقال
(وان كنتم في ريب مما نزلنا)
مانكرة موفقة وأمعنى
الذى (عبدنا على) محمد
عليه السلام والعبد اسم
للملوك من جنس العقلاء
والمملوك موجود فهر
بالاستيلاء وقيل زلن ادون

الله تعالى عليها (وأزول من السماء) يعني السحاب (ماء) يعني المطر (فاخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من ألوان الثمرات وأصناف النبات (رزقاكم) أي وعلفكم والوايك (فلا تجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا تعبدونهم كعبادة نوالند المثل (وأنت تعلمون) يعني أنكم ببقولكم تعلمون أن هذه الأشياء والامثال لا يصح جعلها أنداد لله وإنه واحد خالق جميع الاشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له ﴿قوله تعالى (وان كنتم في ريب) أي ان كنتم في شك لان الله تعالى عالم أنهم شاكون (عما نزلنا على عبدنا) أي محمد صلى الله عليه وسلم لما نزل راثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وأنه الواحد الخالق وأنه لا شدة ولا ند أتبعه بإقامة الحججة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن مجعزة وأنه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله على عبدنا إضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القرآن منزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى (فأتوا) أمر تهيئ (سورة) والسورة قطعة من القرآن

أُتْرِلَ لَانِ الْمَرَادِبَةِ الْتَرْوُلَ عَلَى سَبِيلِ التَّدرِجِ وَالتَّجْمِيعِ وَهُوَ مِنْ مَجَازِ لِمَكَانِ الْعَدَى وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَمْ يَنْزَلْ هَكَذَا نَجْوَ مَسْجُودَةً بَعْدَ سُورَةٍ آيَاتُهَا عَلَى حَسَبِ النِّزَالِ وَعَلَى سَبِيلِ مَا رَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرُ مِنْ وَجُودِ مَا يَوْجِدُهُمْ مِنْ مَقَرٍّ قَاحِنًا خَافِيًا شَيْئًا أَفْئِدًا لَا يَلْبِغُ النَّظَامُ دِيَوَانَ شِعْرِهِ دَفْعَةً وَلَوْ بِرَاحِي النَّاسِ بِخَطْبِهِ مَضْرِبَةً فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْزَلْهُ جَلَّةَ قَالَهُ تَعَالَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جَلَّةً وَاحِدَةً فَقِيلَ إِنَّ رَبَّنَا فِي هَذَا الَّذِي وَقَعَ أَنْزَلَهُ هَكَذَا عَلَى تَدْرِجٍ (فَاتُوا بِسُورَةٍ) أَيْ فَيَأْتُوا أُنْثَى نُوبَةً وَوَاحِدَةً مِنْ نُوبَةٍ وَهَلْوَ انْجَمًا فَرَدَامِنْ نَجْمَةٍ سُورَةٍ مِنْ أَصْفَرِ السُّورِ وَالسُّورَةُ الطَّائِفَةُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُرْتَبِجَةِ الَّتِي أَقْلَهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ وَوَاوَاهَا كَانَتْ أَصْلًا فَأَمَّا أَنْ تَسْمَى بِسُورِ الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَافِلَةُ الْأَنْهَاءِ طَائِفَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَحْدُودَةٌ مَحْزُومَةٌ عَلَى حَيَاطِهَا كَالْبَلَدِ الْمَسُورِ وَلَا نَهَا مَحْشُومَةٌ عَلَى فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ وَأَحْجَاسٍ مِنَ الْقَوَائِدِ كَأَحْوَاءِ سُورِ الْمَدِينَةِ عَلَى مَا فَهَمُوا وَأَمَّا أَنْ تَسْمَى بِالسُّورَةِ الَّتِي هِيَ الرِّبَّةُ لِأَنَّ السُّورَةَ يَمْثِلُهَا الْمَنْزِلُ وَالْمَرَاتِبُ يَتَرَقَّى فِيهَا الْقَارِئُ وَهِيَ أَيْضًا فِي نَفْسِهَا مَرْتَبَةٌ طَوَالُ الْأَوَسَاطِ وَقَصَارُ الْأَرْقَعَةِ شَأْنُهُمْ أَوْ جَلَالَةُ مَحَلِّهَا فِي الدِّينِ وَإِنْ كَانَتْ مُنْقَلِبَةً عَنْ هِمَّةٍ فَلَا تَمُوتُ أَفْعَالُهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالسُّورَةِ الَّتِي هِيَ الْبَقِيَّةُ مِنَ الشَّيْءِ وَأَمَّا الْفَائِدَةُ فِي تَفْصِيلِ الْقُرْآنِ وَتَفْطِيحِ سُورَاتِهِ كَثِيرَةٌ وَلِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَسَاءَ مَا أُوحِيَ إِلَى أَنْبِيَائِهِمْ سُورَةُ مُرْتَجَةِ السُّورِ وَبِالْمَصْنُوفِينَ فِي كُلِّ فَنٍ كَتَبَهُمْ أَبُو بَالُو شِجْعَةُ الصَّدُورِ بِالْأَتْرَاجِمِ مِنْهَا الْجِنْسُ إِذَا انْطَوَتْ تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ وَاشْتَمَلَتْ عَلَى أَصْنَافٍ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا وَوَاحِدًا وَمَنْ أَنْ الْقَارِئُ إِذَا خَتَمَ سُورَةً وَأَبْلَاهَا مِنَ الْكُتُبِ ثُمَّ أَخَذَ فِي آخِرِهَا كَانَتْ أَنْشُطَةً وَأَبْثَتْ عَلَى الدَّرْسِ وَالْحَصُولِ مِنْهُ لَوْ اسْتَمَرَ عَلَى الْكِتَابِ بِطَوْلِهِ مِنْ ثُمَّ جَزَأَ الْقَرَاءَةُ الْقُرْآنَ أَشْبَاهًا وَأَجْزَاءً وَعُشُورًا وَأَخْصَاءً وَمِنْهَا إِنْ الْحَافِظُ إِذَا حَذَقَ السُّورَةَ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنَ كِتَابِ اللَّهِ طَائِفَةً مُسْتَقْلَةً بِنَفْسِهَا فَاتَّخَذَهَا فَاتِحَةً وَخَاتِمَةً فَيُعْظِمُ عَنْدهَا حِفْظَهُ وَيَجِلُّ فِي نَفْسِهِ وَمِنْهُ حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ

الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا ومن ثم كانت القراءة: الصلاة بسورة نامة افضل

(قاموا) وقفوا وبثوا في مكانهم ومنه قام الماء اذا جد (ولو شاء الله لذهب بسمهم) بقصيف الرعد (وأبصارهم) يوم يبيض البصر ويغفل
 شاء عن حذف دلالة الجواب على أي ولو شاء الله أن يذهب بسمهم، وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثرت هذا الحذف في شأه وأراد لا يكادون
 يبرزون الغموم إلا في الشيء المستغرب كمن حو قوله فلو شئت أن أبكى دما ليكنيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع وقوله تعالى
 لو أردنا أن نتخذ لهم آيات ففعلناها (إن الله على كل شيء قدير) أي أن الله قادر على كل شيء لما عدا الله فرق السكافين من
 المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدوا ويسقها وتخطبها عند الله وربه الأقبل عليهم
 بالخطأ وهو من الاتفات المذكور فقال (يا أيها الناس) قال علقمة مافي القرآن يا أيها الناس فهو خطاب لاهل مكة وما فيه يا أيها الذين
 آمنوا فهو خطاب لاهل المدينة وهذا خطاب للمشركي مكة ويا حرف وضع انداء البعيد وأي والهمزة للقرىب ثم استعمل في مناداة من غفل
 وسهوا وان قرب ودنا تزيلا له منزلة من بعدنا في ذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي بناؤه عني به جدا وقول
 الداعي يارب وهو أقرب اليه من (٣٤) حبل الوريد استعصار منه لنفسه واستبعادها عن مظان الزاني هضم لنفسه وأقراعها بالنفريط

في القرآن على هذه الطريقة لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعدته وأمر عظام وخلوب الله حسام يجب عليهم أن ينفذوا وأمرهم بما يوافقون فاقضت الحال أن ينادوا بالآ كيد البليغ (عبدوار بك) وحده قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة في القرآن فهو توحيد (الذي خلقكم) صفته وصحة عيزه لانهم كانوا يسمون الآلهة بأبواب الخلق إيجاد المعدم على تقدير واثباته وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واثباته على أن المعدم شيء عندهم لأن الشيء ما صح أن يعدم ويخبر عنه عنده وعندنا هو المسمى بالعدم أبو عمرو (والذين من قبلكم) احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك فيقول لهم ان كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الا صنم (لعلكم تتقون) أي اعبدوا على رجاء ان تتقوا: تجوابا بسببهم العذاب ولعل لا ترجى الاطعام ولكنه اطعام من كريم فيجزي مجرى وعده المحتوم وقاؤه به قال سيبويه قال قطرب هو بمعنى كى لى تقوا (الذى جعل اسم الارض) أى صير وحل الذى نصب على المدح أو رفع باخباره (فرأى) بساطا تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثان لجعل وليس فيه دليل على ان الارض مسطحة أو كى باذا الافتراض يمكن على التقديرين (والسما بناء) سقفا كقوله تعالى وسما السماء سقفا يحفظ ظاهره مصدر سقم به المنح.

داجية ورعد قاصف وبرق خاطف (يجعلون أصابعهم في آذانهم) الضمير لا محاب الصب وان كان محذوفا كما في قوله وهم قائلون لان المحذوف باق معنا وان سقط لفظة ولا محل ليجعلون لكونه مستأثرا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهلول فكان قائلوا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم وانما ذكر الاصابع ولم يذكر الانامل ورؤس الاصابع هي التي تجعل في الآذان اناسعا كقوله فاقطعوا أيديهم والمراد الى الرسغ ولان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل وانما لم يذكر الاصابع الخاص الذي تسد به الاذن لان السبابة فعالة من السبب فكان اجتنابها أولى باداب القرآن ولم يذكر المسبحة لانها مستحدثة غير مشهورة (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم والصاعقة قصفة رعد تنفض معها شقة من نار قالوا تنفذ من السحاب اذا اصطكت أجسامه وهي نار لطيفة حديدية لا تمر بشئ الا أنت عليه الأنعام حذتها سريرة الخلود يحكي أنها سقطت على نخلة (٣٣) فأحرق نخوصها ثم طفت ويقال صاعقة الصاعقة اذا أهلكتها فصحق أي مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق (حذر الموت) مفعول له والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يحجمهم ويعذبهم (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد بفعل ولم يفعل (بخطفأ بصارهم) أي يختلسها واخطف استلاب الشيء بسرعة (كلما) أي متى ما جاء ٢ (أضاء لهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي في أضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا واستحيروا وهذا مثل آخر ضرر به الله تعالى للمنافقين ووجه القتل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هول وهول برق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميهم من شدته فهذا مثل ضرر به الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمراد هو القرآن لانه حياة القلوب كان المطر حياة الارض والظلمات مافي القصر أن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعود ذكر الجنة والكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تمل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضرر به الله تعالى للاسلام فالمراد هو الاسلام والظلمات مافي من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعيد يجعلون أصابعهم

الصاعقة اذا أهلكتها
فصحق أي مات اما
بشدة الصوت أو بالاحراق
(حذر الموت) مفعول له
والموت فساد بنية الحيوان
أو عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحياة
(والله محيط بالكافرين)
يعنى أنهم لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به المحط
فهو محجوز وهذه الجملة
اعتراض لا محل لها (يكاد
البرق يخطف أبصارهم)
الخطف الاخذ بسرعة
وكاد يستعمل لتقريب
الفعل جاد موضع يخطف
نصب لانه خبر كاد (كلما
أضاء لهم) كل ظرف وما
نسكرة موصوفة عنها
الوقت والعائد محذوف أي

ملك يسوق السحاب والبرق لمان سوط من نور يزج به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جبهها وضماها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل اسمه (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي المصيبة التي يموت كل من يسمعها أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بضيك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (حذر الموت) أي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يحجمهم ويعذبهم (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد بفعل ولم يفعل (بخطفأ بصارهم) أي يختلسها واخطف استلاب الشيء بسرعة (كلما) أي متى ما جاء ٢ (أضاء لهم) يعني البرق (مشوا فيه) أي في أضاءته ونوره (واذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا واستحيروا وهذا مثل آخر ضرر به الله تعالى للمنافقين ووجه القتل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم سامعوه أصابعهم الى آذانهم من هول وهول برق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميهم من شدته فهذا مثل ضرر به الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمراد هو القرآن لانه حياة القلوب كان المطر حياة الارض والظلمات مافي القصر أن من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعود ذكر الجنة والكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تمل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضرر به الله تعالى للاسلام فالمراد هو الاسلام والظلمات مافي من البلاء والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعيد يجعلون أصابعهم

(٥ - (خازن) - اول)
كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فيه جوابها وهو (مشوا فيه) أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في نارتي خفوق البرق وخفيته وهذا انجيل لشدة الامر على المنافقين كشدة على أصحاب الصب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يبدرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم اتمت واتك الخفقة فرصة غفوا وخطوات يسيرة فاذا اخذوا وفرلهم ان بقوا واقفين وأضاء متد أي كما نور لهم عشي ومسل كما أخذوه والمفعول محذوف أو غير متعد أي كما لمع لهم مشوا في مطر ح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سي فاذا ازداد فهو عدو (واذا أظلم عليهم) أظلم غير متعد وذكرا مع أضاء كما مع أظلم اذا لانهم حراس على وجود ما هم به معقود من امكان المشي فكما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف

٢ قوله أي متى ما جاء هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا ولم تظهر لنا فائدة جاء فلها زائدة وكذا قوله فيها بعده من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها ليس بظاهر من التعبير بيكاد في الآية ٥٥ صححه

(فهم لا يرجعون) لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوا وعن الضلالة بعد ان اشتروها لنوع الرجوع الى الشيء وعنه وأراد انهم متصرفون بقوا خامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أين يتقدمون أم يتأخرون (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق) ثبى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والايضاح وشبه المنافق في التمثيل الاول بالمتوقفة نار اوطارها الايمان بالاضاءة وانقطع انبعاثه بانطفاء النار وهما شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحياه حياة الارض بالبر والميتة اق به من شبه الكفار بالطامات ومرفيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافراع والبلایا من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذرى صيب خذف مثل دلالة الطغف على وذرى لدلالة بجعلون عليه والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فألقوا منها ما لقوا فيها هذا تشبيه أشياء بشياء لأنه لم يذكر الشبهات كما صرح في قوله وما يستوى الاعشى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات والى المسمى وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطباً وباساً لهدى وكرها الغراب والحشف البالى بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة والصحيح أن التمثيل من جهة التمثيل بالركبة دون المارقة لا يتكامل لواحدهما وحدهما بل يقرر شبهه به بيان أن العرب تأخذ أشياء فردى ومنزلاً بعضها من بعض لياخذ هذا بحجة ذلك فتشبهها بنظرها كما فعل امرؤ القيس ونسبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد قامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً يخبري مثلاً كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فالمراد تشبيه حال اليهود في جعلها عامه ما من التوراة بحال الجارف في جعله بما يعمل من أسفار الحكمة وتساوى الحاتين عنده من حل أسفار الحكمة وحل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الامجاير بدقيقه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السماء فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفية فالمراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بهما، بيض ومصيره شيئاً واحداً فلا فكذلك (٣٢) لما وصف وقوع المنافقين في ضلالهم وبأخطاؤهم فيهم الحيرة والدخشة

شبهت حيرتهم وشدة
الامر عليهم بما يكابد من
ظلمت ناره بعد انقادها في
ظلمة الليل وكذلك من
أخذته السماء في الليلة
الظلمة مع رعد وبرق
وخوف من الصواعق
والتمثيل الثاني أبلغ لانه
أدل على فرط الحيرة وشدة
الامر ولذا أخر وهم

والباطل ومن لا بصيرة له كن لا بصيرة فهو أعمى كانت حواسه سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق ذأثم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كن تعظمت حواسه وذهب ادراكه كقول الشاعر
صم اذا سمعوا غير اذ كرت به * وان ذكرت بسوء كاهه * اذن
(فهم لا يرجعون) أى عن ضلالهم ونفاقهم * قوله تعالى (أو كصيب من السماء) أى من السحاب لان كل ما عاك فاطلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر يتعد من البحرة الارض فباطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم أن المطر ليس من بحرة الارض كما زعم الحكماء (فيه) أى الصيب (ظلمات) جمع ظامة (ورعد) هو الصوت الذى يسمع من السحاب (ورق) يعنى النار التى تخرج منه قال ابن عباس (رعد اسم

يتدرجون في مثل هذا من الاهون الى الاغلظ وعطف أحد التمثيلين على الآخر بالانها في أصله التساوى شئبين فصاعدا في الشك عند البعض ثم استعيرت لجرم التساوى كقوله جالس الحسن وأبن سبرين تريد أنهم ساسيان في استصواب أن يجالسوا قوله تعالى واظطلع منهم أسماء وكفورا أى الآثم والكفور سبريان وجوب العصبان فيكذبا عنهما معناه ان كيفية قصة للنفاقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان السكيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فيأبتهما امتثامات مصيب وان مثلتهما جميعاً فكذلك والصيب المطر الذى يصبوب أى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضاً وتكسر صيب لانه نوع من المطر شديد هائل كما تكررت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكشوف والفائدة في ذكر السماء والصيب لا يكون الا من السماء انه جاء بالسماء معرفة فافاد انه غمام أخذ باق السماء ونفى أن يكون من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاق اسماء في التعريف ما بلغه كجاء تكسر صيب وتركيبه وبنائه وفيه دل على أن السحاب من السماء يتعد ومنه ما أخذنا من وقيل انه يأخذ من البحر ويرفع ظلماته من فروع البحار والبحر لانه قد قوى لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو كانت ابتداء فيه ظلمات فيه خلاف بين الاخفش وسيدويه والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه أو ملك يسوق السحاب والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشيء برقا اذ لمع والضمير في فيه يعود الى الصيب فقد جعل الصيب مكاناً للظلمات فان أراد به السحاب فظلمانه اذا كان معهم مطبقاً لما سمعته وتطبيقه مضمومة اليهما مالملة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكافئه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل وجعل الصيب مكاناً للرعد والبرق على ارادة السحاب به ظاهر وكذا ان أراد به المطر لانهما لتبسان به في الجملة ولم يجمع الرعد والبرق لانهما صدران في الاصل يقال رعدت السماء ورعد او برقت برقا فرجى حكم الاصل بان ترك جمعها وانكرت هذه الاشياء لان المراد أنواعها كما أنه قيل فيه ظلمات

ورضع الذي موضع الذين كقولهم وخضتم كالذي خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد وقد جنس المستوفدين وأورد الفوج الذي استوفد ناراعى أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوفد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوفد ومعنى استوفدوا وقد ووقد النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضى عمار محرق واشتقاقها نار من بنور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا (فلما أضأت ماحولة) الاضائة فطر الانارة ومصادقة قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعديا ويحتمل أن تكون غير متعديا مسندة الى ماحولة والتأنيث لاجل على المعنى لان ماحول المستوفد ما كن وأشياء وجواب فلما (ذهب الله بنورهم) وهو ظرف زمان والفاعل فيه جوابه مثل اذا ما موصولة وحوله نصب على الظرف وانكره موصوفة والتقدير فلما أضأت شيئا تابنا حوله وجع الضمير وتوحيد به للحمل على اللفظ نارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نهر ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استعجبه ومضى به والمعنى اخذ الله بنورهم وأمسكه وما يسرك فلا مرسل فكان بأبلغ من الازهاب (٣١) ولم يقل ذهب الله بنورهم لنوله فلما

أضأت لان ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد ازالة النور عنهم رأسا ولوقيل ذهب الله بنورهم لاوهم الذهاب بازياة وبقاء ما يسمى نورا لا ترى كيف ذكر عقيبهم (وتركهم في ظلمات) والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف انبهها ما يدل على انها ظلمة لا يترأى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) وترك بمعنى طرح وخلي اذا غلبت بوأحد فاذا غلبت بشيء كان مضاعفا معنى صير فيجربى مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصلهم في ظلمات ثم دخل ترك فصب الجزأين والمفعول

الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله الامثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن السبعة ولما ذكر ان الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابية من بعض الوجوه كمثلي الذي استوفدنا را ليتغم بها (فلما أضأت) يعني النار (ما حوله) يعني حول المستوفد (ذهب الله بنورهم) فان قلت كيف وحدها لا ثم جمع ثانيا قلت بجوز وضع الذي موضع الذين كقولهم وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوفد وقيل معناه مثل الواحد منهم كمثل الذي استوفدنا را (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزات في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقدنا را في البهية مظلمة في مغارة فاستدفا ورأى ماحوله فاتى عما يخاف فينا هو كذلك اذ طفت ناره فبقي في ظلمة حائرة متخوفا كذلك حال المنافقين أظهرها كلمة الايمان فامروا بها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونكحوا المساكين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما متواعدوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهب نورهم ظهور عقيدتهم المؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهب نورهم في البرأ وعلى الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنوران النور بأبغ الاشياء في الهداية الى المحجة القصوى والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة فكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنانته وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلك في الظلمة لا يزداد الاحيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة الاحيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها أن المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمته فكانهم لما أقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم كان ايمانهم كالاستعار الثانية ان النار تحتاج في دواءها الى المادة الحطب لتندوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الانسان من ظلمة لم يجد فيها ضياء فشبها حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أى عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذ لم يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه (بكم) أى خرس عن النطق بالحق فهم لا يقبلونه (عمى) أى لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق

الساخط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لامن قبيل المقدّر المذموم كان الفعل غير متعد أصلا وانما شبهت حالهم بحال المستوفد لانهم غب الاضائة وقعوا في ظلمة وحدهم فزعم المنافق غايط في ظلمات الكفر أبدا وكن المراد ما احتضاه به قليلا من الانتفاع بالكلمة الجارة على ألسنتهم ووراء استعاضتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المضية بهم الى ظلمة العقاب السردى ولا ية تغدير آخر هو أنهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هدايتهم الذي باعوه بالنار المضية ماحول المستوفد والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتكثير النار لتعظيم (صم بكم عمى) أى هم صم كانت حواسهم ساهية ولكن المساد واعن الاضائة الى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا به وبصروا به ونهم جعلوا كاعما أفت مشاعرهم وطريقته عند علماء البيان بركة فلوهم هم ليوث للشجكان ويجوز لا لا سبحانه الآن هذا في الصفات وذلك في الاسماء وما في الآية تشبيه بليغ في الاصح للاستعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطابق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه الحال لانه مراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال وأغوى الكلام

(الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى وجزاء سبعة سبعة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فسمى جزاء السبعة سبعة وجزاء الاعتداء اعتدوا وإن لم يكن الجزاء سبعة واعتدوا وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه قال الزجاج هو الوجه المختار واستثناف قوله الله يستهزئ بهم من غير عطف في غاية الجزالة والفعامة وفيه أن الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء بالإبلاغ الذي ليس استهزاءهم إليه باستهزاء لما يزيل بهم من النكال والذل والهوان ولما كانت نكبات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قبل الله يستهزئ بهم ولم يقل الله يستهزئ بهم أي يكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (ويعدهم) أي يعاملهم عن الزجاج (في طغيانهم) في غلوهم في كفرهم (يعمهمون) حال أي يتحبرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصل (أولئك) مبتدأ خبره (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوه بآهوا واختاروه وأعماله وانما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لانها في قوم آمنوا ثم كفروا وفي اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم كفروا به وأجمعوا لئلا يمتنع منهم كان الهدى فتم فهم فتركوه بالضلالة فرفه دلائل على جواز البيع تعاطيا لانهم لم يتلفوا باقضا الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وصحى (٣٠) ذلك شراء فصار دليلا على أن من أخذ شيئا من غيره وترك عليه عوضه برضا فقد

اشتراه وإن لم يتكسبه به في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يديهم فقال مرحبا سيدي بنى عدى بن كعب الفاروق العنزي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ يديهم فقال مرحبا باني بن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخننه وسيد بني هاشم ماخلار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي أتاني الله بأبي عبد الله ولاتناق في المنافقين ثم خليفه الله تعالى فقال مهلا يا أبا الحسن اني لا أقول هذا اتفاقا والله ان ايماننا كما بانكم وتصدقنا كصديقكم ثم نفروا فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فقلت فأتوا عليه خيرا (الله يستهزئ بهم) أي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لأنه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سعد عنهم وردوا الى النار (ويعدهم) أي يتركهم ويعلمهم المد والامداد واحد وأصله الزيادة أو كثر ما ياتي في المدد والامداد في الخير (في طغيانهم) أي في صلاتهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد (يعمهمون) أي يترددون في الضلالة متعبرين (أولئك) يعني المنافقين (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي استبدلوا الكفر بالإيمان وأما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لئلا يمتنع منهم كانه في أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطاوه واستبدلوه بها والضلالة الجور عن القصد وفقد الهدى (فأربحت تجارتهم) أي ماربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون (وما كانوا مهتدين) أي مصيبين في تجارتهم لان رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم ﴿ قوله عز وجل (مثالهم كمثل الذي استوفد نارا) المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قول آخر بينهما مشابهة يبين أحدهما ولما رأيت السر عز ابن

دأية وعشش وفي كرهه جاش لصدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر القاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والورك (وما كانوا مهتدين) اطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العاملين بما يربح فيه ويخسر المعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهو لاء قد أضاعوه ما فرأى ما لهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة وإذا لم يبق لهم الا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالاغراض الدنيوية لان الضال خاسر ولانه لا يقابل لمن لم يسلم له رأس ماله قدر ربح وقيل الذين صفقة أولئك وفأربحت تجارتهم الى آخر الآية في محل الرفع خبر أولئك (مثلهم كمثل الذي استوفد نارا) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبا بضرب المثل زيادة في الكشف وتقييم البيان ولضرب الامثال في ابراز خفيات المعاني ورفع الاستعار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سورة الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشيء وشبهه وشبيه ثم قيل للقول السائر المثل مضر به مودعه مثل ولم يضرب بامثال الا قوله لافيه غرابه ولذا حافظ عليه لافيه وقد استعبر المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابية كانه قيل حاله الحبيبة الشأن كحال الذي استوفد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعدا النفاق أي فيها قصصنا عليكم من الجباب قصة الجنة الحبيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها وتوالت على أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجسالة

الآخر

(واذ اقبل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) فاجوبهم من وجهين أحدهما تنقيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب ووجه
 الى الفساد وثانيهما تصديرهم الطريق الى السد من اتباع ذوى الاحلام فكان من جوابهم أن سفهواهم لعمادى جهلهم وفيه تسلية للعالم بما بقى من
 الجهلة وانما صرح اسنادا قيل الى لا تفسدوا وآمنوا مع أن اسناد الفعل الى الفعل لا يصح لانه اسناد الى لفظ الفعل والمتنع اسناد الفعل الى معنى
 الفعل فكانه قيل واذا قيل لهم هذا القول ومنعوا عما طمعه الكذب وما فى كما كفا في رياء ومصدرية كما فى بما رحبت واللام فى الناس
 لانه دأى كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس مهودون أو يدع الله بن سلام وأشياعه أى كما أن أصحابكم وراحمكم أو لا جنس أى كما آمن
 السكاملون فى الانسانية أو جعل المؤمنين كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبنائهم والكافى فى كفى موضع نصب لانه صفة مصدر
 مخوف أى ايمان مثل ايمان الناس ومثله كما آمن السفهاء والاستفهام فى أنؤمن لاننا نكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس وانما سفهواهم
 وهم العقلاء المراد جميع لانهم لجهلهم اعتقد وانما هم فيه عو الخى وان ما عدا باطل ومن ركب من الباطل كان سفيا والسفهاء سفخا العقل
 وخفة الخلق (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أنهم هم السفهاء وانما ذكر هنا ليعلمون وفيما تقدم لا يشهدون لانه قد ذكر السفه وهو
 جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا ولان الأيمان يحتاج فيه الى نظر واستدلال (٢٩) حتى يكتب الناظر المعرفة أما

الفساد فى الارض فامر
 مبسطة على العادات فهو
 كالحسوس والسفهاء خبران
 وهم فصل أو مبتدأ
 والسفهاء خبرهم والجملة
 خبران (واذ القوا الذين
 آمنوا قالوا آمنا) وقرأ أبو
 حنيفة رحمه الله واذا القوا
 يقال لقبته ولا قبته اذا
 استقبلته قريبا منه الآية
 الاولى فى بيان مذهب
 المنافقين والترجمة عن
 نفاقهم وهذه فى بيان
 ما كانوا يعملون مع المؤمنين
 من الاستزاء بهم واقتسامهم
 بوجوه الصادقين وابهامهم

وقيل لا يشعرون ما أعد الله لهم من العذاب (واذا قيل لهم) يعنى انما قيل وقيل اليهود (آمنوا كما آمن الناس)
 يعنى المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمنى أهل الكتاب والمعنى اخلصوا فى ايمانكم
 كما اخلص هؤلاء فى ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) أى الجهال فان
 قلت كيف يصح النفاق مع الجاهة بقولهم انؤمن كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعداء
 المؤمنين فاختر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله (ألا انهم هم السفهاء)
 يعنى الجهال وأصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمي الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند أنفسهم عقلاء
 رؤساء قلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء (ولكن لا يعلمون) يعنى انهم كذلك كقولهم تعالى (واذ القوا
 الذين آمنوا) يعنى هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار (قالوا آمنا) كما بانكم (واذا خالوا) أى رجعوا
 وقيل هو من الخلو (الى) قيل يعنى الباء أى (شياطينهم) وقيل يعنى مع أى مع شياطينهم والمراد بشياطينهم
 رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خسة فركب بن الاشرف من اليهود بدلية وأبو بردى بن أبي سلم وعبد
 الدارى جهينة وعوف بن عاصم بن بنى أسد وعبد الله بن السواد بالشام ولا يكون كاهن الا دومة شيطان تابع
 له وقيل هم رؤسائهم الذين شابوا الشياطين فى ترددهم (قالوا امعكم) أى على دينكم (انما نحن مستهزون) أى
 بمحمد وأصحابه بانما ظهروا لهم من الاسلام لتأمين من شرهم ونفع على سرهم وتأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال
 ابن عباس نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبى لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب
 فاخذ سيد أبى بكر الصديق فقال مرحبا بى سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنهم معهم (واذا خالوا الى شياطينهم) خالوت بفلان واليه اذا انفردت معه والى أبلغ لان فيه دلالة الابتداء والانهاء أى اذا خالوا من
 المؤمنين الى شياطينهم ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى ترددهم وهم اليهود وعن سيبويه أن نون
 الشياطين أصلية بدليل قولهم تشيطان وعنه أنما زائد واشتقاق من شطن اذا بعدل بعد من الصلاح والخير وأمن شاط اذا بطل ومن أسمائه
 الباطل (قالوا انامعكم) انما صاحبوكم وموافقوكم على دينكم وانما خاطبوا المؤمنين بالجملة العامة وشياطينهم بالاسمية محققة بان لانهم فى
 خطاهم مع المؤمنين فى ادعاء حدوث الايمان منهم لافى ادعاء أنهم واحدون فى الايمان امالان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من
 عقائدهم باعث وحرك وامالانه لا يروج عنهم لوقوعه الى لفظ التأكيده والمبالغة وكيف يطعمون فى رواجه وهم بين ظهري المهاجرين
 والانصار واما مخاطبتهم مع اخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلا منهم وراحمهم فكان مظنة للتحقيق ومثله التأكيد وقوله
 (انما نحن مستهزون) تاكيد لقوله انامعكم لان مناهه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزون رد للاسلام ودفع له منهم لان
 المستهزى بالشئ المستخف به منكركه ودافع لكونه معتد به ودفع نقيض الشئ تاكيد لثباته واستئناف كانهم اعترضوا عليهم بقولهم
 حين قالوا لهم انامعكم ان كنتم معنا فلم توافقوا المؤمنين فقالوا انما نحن مستهزون والاستخفاف وأصل الباب الخفة
 من الهز وهو القتل السرعى وهزأ بهزأ مات على المكان

والمؤمنين باظهار الايمان واضمار الكفر (وياخذون الانفسهم) أى وما يبايعون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الانفسهم لان ضرر هالكة لهم وحاصل خداعهم وهو العذاب فى الآخرة يرجع اليهم فكأنهم خدعوا انفسهم وبما يخادعون يومعرون ونافع ومكى المطابقة وعذر الاولين ان خدع وخادع هتأبى واحد والنفس ذات الشئ وحقيقة ثم قيل القلب والروح النفس لان النفس بهما والدم نفس لان قواها بالدم والماة نفس لفرط حاجتها اليه والمراد بالنفس ههنا ذواتهم والمعنى بخادعهم ذواتهم أن الخداع لاحق بهم لا يعدوهم الى غيرهم (وياشعرون) ان حاصل خداعهم يرجع اليهم والشعور علم الشئ علم حسن من الشعور وهو توبى الى الجسد ومشاعر الانسان حواسها لانها آلات الشعور والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالحسوس وهم لتأدى غفلتهم كالذى لاحس له (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق لان الشك ترددين الامر بين والمنافى متردد فى الحديث مثل المنافق كذل الشاة الهرة بين الغنمين والمرضى متردد بين الحياة والموت ولان المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسما لكل فساد والشك والنفاق فساد فى القلب (فزادهم الله مرضا) أى ضفا عن الاتهام وعجزا عن الاقتدار وقيل المراد به

(٢٨)

المفاعلة فتردد على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارت النعل وعاقبت الماص فالخداعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى نزهة أن يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم الضمائر والامرار فيخداعة الله بمنفعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيخ لامره وتعظيم لشانه وقيل أراد به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكأنهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يؤمنون به ولاحطهم ولتجرى عليهم أحكام الاسلام فى الظاهر وهم على خلافه فى الباطن (وياخذون الانفسهم) أى ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون فى الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان الله تعالى يطاع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون فى الدينار يستوجبون العقاب فى العقوبة وانفس ذات الشئ وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن (وياشعرون) أى لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم (فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمى الشك فى الدين والنفاق مرضا لانه يضر الدين كالمرض يضعف البدن (فزادهم الله مرضا) يعنى أن الآيات كانت تزل تترى أى آية بعد آية فكما كفو رابطة ازيدوا بعد ذلك كفر وانفاقا (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم يخلص وجمعه الى قلوبهم (عما كانوا يكذبون) أى يكذبهم الله ورسوله فى السرور وفى التخفيف أى يكذبهم اذ قالوا آمنوا وهم ذريون (واذا قيل لهم) يعنى المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذ قال لهم المؤمنون (لا تفسدوا فى الارض) أى بالكفر وتروى الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقراآن (قالوا اتما نحن مصلحون) يعنى يقولونه كذابا (ألا) كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب (انهم هم المفسدون) يعنى فى الارض بالكفر وهواشد الفساد (ولكن لا يشعرون) وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق واطمان الكفر صلاح وهو عين الفساد

عذاب أليم) ففعل بمعنى فعل أى مؤلم (عما كانوا يكذبون) كوفى أى يكذبهم فى قولهم آمن بالله وباليوم الآخر فسمع الفعل بمعنى المصدر والكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أى يكذبهم الله عليه السلام فيجاهده وقيل هو مبالغة فى كذب كما يبالغ فى صدق ففعل صدق ونظيرها بان الشئ وبين (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون وبجوزان يعطى على يقول آمننا لك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم (لا تفسدوا فى الارض) لكان صحيحا والفساد خروج الشئ عن حال

استقامته وكونه منتهما به وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن لان فى ذلك فسادا فى الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزورع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين فى الارض انهم كانوا يبايعون الكفار وماؤنهم على المساهمة بافشاء أسرهم اليهم واغراهم عليهم وذلك مما يؤدى الى هيج الفتن بينهم (قالوا اتما نحن مصلحون) بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعنى أن صفة المصلحين خالصت لاناوة عضدت من غير شائبة قاذح فيها من وجهه من وجوه الفساد لان اتما صرا الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك اتما ينطق زيدا واما زيدا كاتب وما كافة لانها تنكفها عن العمل (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) أنهم مفسدون بخلاف المفعول للعلم به الامر كمن همرة الاستفهام وحرف التثنية اعطاه معنى التنبيه على تحقق ما بعدهم والافسادهم اذا دخل على التثنية فأدحضها كقوله تعالى ليس ذلك بقادر ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لاتقع الجلبة بعدها المصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وقدر الله ما دعوه من الانظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدلى على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما فى الاوان من التاكيد وتعرض الخبر وتوسط الفصل وقوله لا يشعرون

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلوا دينهم لله واطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ثم ثنى بالكافرين قلوبا وألسنة ثم ثلث بالمناققين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأخذت الكفرة لآلهم خطاوا بالكفر استهزاء وخداعا ولذا نزل فيهم ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وقال مجاهد أربع آيات من أول السورة في نعت المؤمنين وآياتان في ذكر الكافرين وثلاث عشرة آية في المنافقين نعى عليهم فيها أنكرهم وخبثهم وسفههم واستجملهم واستهزأهم ونهكهم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعملهم ودعاهم صابحا كعاجميا وضرب لهم الامثال السنية وقصة المنافقين عن آخرها مبطونة على قصة الذين كفروا كناية طاف الجلالة على الجلالة وأصل ناس أناس حديثهم من تخفيفا وحذفه كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي واناسي وسموا به لظهورهم وانهم يؤمنون أي يصيرون كما سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فوالان الزنة على الاصول فانك تقول وزن قه أفل وليس معك الا الهن وهون أسماء الجمع ولام التعريف فيه الالحسن ومن موه وقوه يقول صفة لها كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا وانما خصوا الايمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لاحد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وانما سمي بالآخر لانتزاعه عن الاوقات المتقضية أو الوقت المعهود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانهم أوهوا في هذا المقال انهم أحاطوا بجماني الايمان وأوله وآخره وهذا لان حاصل المسائل الاعتقادية يرجع الى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من المقبور والصرط والميزان وسائر أحوال الآخرة وفي (٢٧)

واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام وانما طابق قوله (وما هم بمؤمنين) وهو في ذكر شان الفاعل لا الفعل قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهو في ذكر شان الفعل لا الفاعل لان المراد انكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجهه وأكده وهو اخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين

والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الانسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الإجماع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الخفيف قوله عز وجل (ومن الناس من يقول آمنا بالله) نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومعتب ابن قيس ووجد بن قيس وأصحابهم وذلك انهم أظهروا كامة الاسلام ليسلوا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود وصفة المنافق أن يعرف بلسانه بالايمان ويقربه وينسكه بقلبه ويصبح على حال ويمسى على غيرهما والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسى قال الشاعر * وسميت انسانا لاني ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله (وباليوم الآخر) أي وآمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه يأتي بعد النبوة وآخر الايام المحدودة والمعدودة وما بعده فلا حله ولا آخر قال الله تعالى رداء على المنافقين (وما هم بمؤمنين) نفي عنهم الايمان بالكسبية (بخادعون الله والذين آمنوا) أي بخالفون الله والخدعة الخيلة والمكر وأصله في اللغة الاخفاء والخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خادعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا ويخجلهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت الخدعة مقابلة وانما تنجي في الفعل المشترك والله تعالى منزعه عن المشاركة قلت

ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فهو أبلغ من قولك وما يخرجون منها وأطلق الايمان في الثاني بعد تقييده في الاول لانه يحتمل أن يراد التقييد ويرك للدلالة المذكورة عليه ويحتمل أن يراد في أصل الايمان وفي ضمنه نفي المذكور أو الدالة نفي قول الكرامية ان الايمان هو الاقرار باللسان لا غير لانه نفي عنهم اسم الايمان مع وجود الاقرار عنهم وتو بقوله أهل السنة انه اقرار باللسان وتصديق بالجنان ودخلت الباء في خبر ماؤم كدلة للنفي لانه يستدل به السامع على الجحد اذا غفل عن أول الكلام بمن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظر الى معناه (بخادعون الله) أي رسول الله خذف المضاف كقوله واسأل القرية كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره أي يظهر ون غير ما في أنفسهم فخذع اظهار غير ما في النفس وقدر رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل خداعه مدعاه وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم وقيل معناه بخادعون الله في زعمهم لانهم يظنون ان الله نفي يصح خداعه وهذا المثال يقع كثير الفيراثين تخوف قولك عاقبت اللص وقد قرئ بخدعون الله وهو بيان ايقولوا ومستأنف كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما نفعهم في ذلك فقيل بخادعون الله ومنفتم في ذلك متاركتمهم عن المحاربة التي كانت مع سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الفنا غير ذلك قال صاحب الوقوف الوقف لازم على المؤمنين لانه لو وصل اصرار التقدير وما هم بمؤمنين بخادعين فينتي الوصف كقولك ما هو برجل كاذب والمراد اني الايمان عنهم واثبات الخداع لهم من جعل بخادعون حالا من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله بخادعين وأحلامن الضمير المؤمنين والعامل اسم الفاعل فيها والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يفت والوجه الاول (والذين آمنوا) أي بخادعون رسول الله

(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم) هم جزئين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصدر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء أى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأنذرتهم أم لم تنذرتهم مرتفع به على الفاعليه كانه قيل ان الذين كفروا واستوعبهم انذارك وعدمه أو يكون سواء خبرا مقدما وأنذرتهم أم لم تنذرتهم في موضع الابتداء أى سواء عليهم اذارك وعدمه والجملة خبر لان وانما جاز الاخبار عن الفعل مع انه خبر ابتداء لانه من جنس الكلام المجزوء فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كجرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أنبأ العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام والاستفهام والاستفهام كجرى ذلك على صورة النداء ولا نداء والنداء التحذير من عقاب العاقبة لا يرجع عن المعاصى (لا يؤمنون) جملة مؤكدة للجملة قبلها وخبر لان والجملة قبلها اعتراض وأخير بعد خبر الحكم في الانذار مع العلم بالاصرار اقامه الحجة وليكون الارسل عاما وليثاب الرسول (ختم الله على قلوبهم) قال الزجاج الختم التغطية لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الختم عليه تغطية له للتأبيل عليه وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعنى ان الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها فهمان الكفر ولا يدخلها مالمس فيها من الايمان وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عند نفاذ يؤمن مادامت تلك الظلمة في قلبه وعند المعتزلة اعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة انهم كفار فيلعنهم ولا يدعون لهم بخير وقال بعضهم ان اسناد الختم الى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة (٢٦) الكافر لانه تعالى لما كان هو الذى أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى السبب

فيقال بنى الامير المدينة لان
 للفعل ملاسب شتى يلابس
 الفاعل والمفعول به والمصدر
 والزمان والمكان والسبب
 له فاسناده الى الفاعل حقيقة
 وقد يسند الى هذه الاشياء
 مجازا لاضاهاتها الفاعل في
 ملاسبة الفعل كما يضاهاى
 الرجل الاسد في جرأته
 فيستعار له اسمه وهذا فرع
 مسئلة خلق الافعال (وعلى
 سمعهم) وحد السمع كما
 وحدا البطن في قوله

أنكر وحدانيته أو أنه أنكر شيئا مما أنزله على رسله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أخذ من الرسل
 فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يفرق الله نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود
 (سواء عليهم) أى متساوون لهم (أنذرتهم) أى خوفتهم وحذرتهم والانداز اعلام مع تحذير فكل منذر
 معلم وليس كل معلم منذرا (أم لم تنذرتهم لا يؤمنون) أى لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كرامة
 العذاب في سابق علم الله الا ترى أنهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى (ختم الله على قلوبهم)
 أى طبع الله عليها فلا تبنى خبرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج
 منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق
 في علمه الا ترى فيهم وانما يخص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم (وعلى سمعهم) أى وختم على موضع سمعهم
 فلا يسمعون الحق ولا يتفقهون به لانها سمع وتنبوع الاصغاء اليه كانهما متوقفي منها بالختم أيضا وذكر
 السمع بلفظ التوحيد ومنه انه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع (وعلى ابصارهم
 غشاوة) هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج أى وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون
 الحق وهي غطاء التعامى عن آيات الله ودلائل توحيده (ولهم عذاب عظيم) يعنى في الآخرة وقيل الاسر

• كما وفى بعض بطونكم تعفوا لامن اللبس ولان السمع مصدر فى أصله يقال سمعت الشيء والقول
 سمعوا سواء والمصدر لا يجمع لانه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه الى التنقية والجمع فصح الاصل وقيل المضاف محذوف أى
 وعلى مواضع سمعهم وقرئ على اسماعهم (وعلى ابصارهم غشاوة) بالرفع خبر ومبته أو البصر نور العين وهو ما يبصر به الرأى كان البصرة
 نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكانها جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آيتين للابصار والاستبصار والغشاوة الغطاء
 ففان من غشاها اذ غطاء وهذا البناء لا يستعمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة والاسباع داخله في حكم الختم لاني حكم النقشة لقوله
 وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفه على سمعهم دون قلوبهم ونصب الفضل وحده غشاوة باضمار جعل وتكرير
 الجارى قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضوعين قال الشيخ الامام ابو منصور بن علي رحمه الله الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر
 في نفسه وغيره من الخلق فابرى آثارا لحدوث فيعلم أن لا بد له من صانع جعل كان على بصره وسمعته غشاوة وان لم يكن ذلك حقيقة وهذا
 دليل على ان الاسباع عنده داخل في حكم النقشة والآية حجة ناعلى المعتزلة في الاصلح فانه أخبر انه ختم على قلوبهم ولا شك ان ترك الختم
 أصلح لهم (ولهم عذاب عظيم) العذاب مثل النكال بناء ومعنى لاني ذلك تقول اذا عذب عن الشيء اذا أسسك عنه كقولك نكل عنه والفرق
 بين العظام والكبيران العظيم يقابل الخير والكبير يقابل الصغير فكان العظيم فوق الكبير وكان الحقير دون الصغير يستعملان في الجنة
 والاحداث جية ما تقول رجل عظيم وكبير يرتدي جديته أو خطه ومعنى التشكير ان على ابصارهم نوعان التغطية غير ما تعارف الناس وهو غطاء
 التعامى عن آيات الله ولهم من بين الامم العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه الا الله

(وَمَا تَزَلْ مِنْ قِبَلِكُمْ) يعني سائر الكتب المنزلة على النبيين (وَبِالْآخِرَةِ) وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الاول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا عن نافع أنه خففها بان حذف الهمزة وألغى حركتها على اللام (هَمْ يَوْفُونَ) الايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى) الجلالة في موضع الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ ولا فاعل لها ويجوز أن يجري الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لا يؤمنون بربهم صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم يغالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل نعمتهم من الهدى واستقرارهم عليه ونسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وربك ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا ومتطلي الجهل واقع قد غارب الهوى ومعنى هدى (من ربهم) أي أوتوه من عنده ونسركه لهدى ليقدر بامه ما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أي هدى ونحوه لقد وقفت على لحيم أي على لحيم عظيم (وأولئك هم المفلحون) أي الظافرون باطباء الناجون عما هم بوافلح (٢٥) درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه

الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشئ والفتح وكذا اخوانه في الفاء والعين نحو فلق وفلق وفي جاء بالعطف هنا بخلاف قوله وأولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون لا خلاف الخبرين المقضيين للعطف هنا واتحاد الصفة والتشبيه بالهائم ثم فكانت الثانية مقرر لا دلي على ان الوارد بعده خبر لا صفة وهم فصل وقائده الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد ويوجب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره وهو مبتدأ والمفلحون خبره والجمله خبر أولئك فانظر كيف كرر الله عز وجل

وَمَا تَزَلْ مِنْ قِبَلِكُمْ) أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كما تورا والانجيل والزبور وصحف الانبياء كلها فيجب الايمان بذلك كله (وَبِالْآخِرَةِ) يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها (هَمْ يَوْفُونَ) من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كائنة (أُولَئِكَ) أي الذين عندهم صفتهم (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة (وأولئك هم المفلحون) أي الناجون الفائزون بنجوم النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر
لو كان حي مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرياح
يريد البقاء فيكون المعنى وأولئك هم الباقيون في النعيم المقيم الفلاح الظفر وادراك البغية من السعادة والعز والبقاء والمعنى وأصل الفلاح الشئ كما قيل * ان الخلد بالحد بفتح * أي يقطع فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة * واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة بآيات أنزلها في المؤمنين وآيات أنزلها في الكافرين وبنات عشرة آية أنزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى (ان الذين كفروا) أي جحدوا وأكفروا وأصل الكفر في اللغة الاسترار التغطية ومنه سمي الليل كافر لانبه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر * في ليلة كفر النجوم غمامها * أي سترها والكفر على أربعة أضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله أصلا كفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من الغيرى وكفر بجود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه كفر ابليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ولا يدبر به كفر أمية بن أبي الصلت وأبى طالب حيث يقول في شعره
واقدم علمت بان دين محمد * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملائمة أوحدا رومية * لوجدتني مع هذاك مينا
وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الأنواع كفر وحاصله أن من جحد الله أو

(٤ - خازن) - اول التنبيه على اختصاص المتقين ببذل مالا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشياء وتكريره فيه تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاثره بالهدى ففي ثابتة لهم بالفلاح وتعريف المفلحون ففيه دلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغنا انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغنا ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بوقته وتوسط الفصل بينه وبين أولئك ليبصر مرآتهم ويرغب في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا اللهم زين لباس التقوى واحشر نافي زمرة من صدرت بكركهم سورة البقرة لما قدم ذكر أولياته بصفاتهم المقررة اليه وبين ان الكتاب هدى لهم فقي على اثره بذكر اصدادهم وهم العدة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله (ان الذين كفروا) الكفر ستر الحق بالجود والتركيب دال على الاسترار واسم الزراع كافرا وكذا الليل ولم يأت بالمعاطف هنا كفي قوله ان الاربار في نعيم وان الفجار في عذاب لان الجلة الاولى هنا مسوقة بيان تلك الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسبق الثانية للاخبار عن الكفار بكذا في الجنتين تفاوت في المراتب وهما على حد لجال للعطف في وان كان مبتدأ على تقدير فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا اناس باعيتهم علم الله انهم لا يؤمنون كما في جهل وأبى طلب وأضرابها

(و يقبضون الصلاة) أي يؤدونهم افعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتمسح لوجوده فيها وأورد ايداع الصلاة تعديل اركانها من أقام العود اذا قومه والدوام عليها والحفاظة من قامت السوق اذا انفتحت لانه اذا حفظ عليها كانت كاشي النافق الذي توجه اليه الرغبات واذا انضمت كانت كاشي السكاسة الذي لا يرغب فيه والصلاة قفلة من صلى كانه كافر من ركن ركبتها الواو على لفظ المتفهم وحقيقة صلى حرك السالوين أي الالبيين لان الصلي بفعل ذلك فركع وسجد وقيل للداعي مصداق شبهه في (٢٤) تحفه بالراكع والساجد (وعارضة فاهم) أعطينا هم وما يعني الذي (ينفقه ن) يتصدقون

ادخل من التبعيض صيانة لهم عن التبذير انتهى عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقرانه بالصلاة التي هي أخفها وأهي وغيرها من النفقات في سبل الخير لحيثه مطلقاً وأفق الشيء وأنفذه اخوان كنفق الشيء ونفذ وكل ما جاء مأفوزون وعينه فاه فدال على معنى الخروج والذهاب ودلت الآية على ان الاعمال ليست من الايمان حيث تعاقب الصلاة والزكاة على الايمان والعطف يقتضي المغايرة (والذين يؤمنون) هم مؤمنوا أهل الكتاب كعبدة الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا بكل وصي أنزل من عنده الله وأيقنوا بالآخرة ايقنوا زال معهما كانوا عليه من انه لا بدخل الجنة الا من كان هوذا وأنصاري وأن النار لن تحسم الايام معدودات ثم ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالتبذير

وسلم ردوا على هذا لرجل فآخذ بالرد وفلم رداً سيأفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر بل جاء ايعلم الناس دتهم في أفرام مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمنه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بارز أي ظاهر اوقوله ان تؤمن بالله وتؤمن بالآخرة وهو بكسر الخاء وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بالله والله وباليقضاء يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخرة آخره وان خرجوا الى الدنيا بعث من الارحام وخروجهم من القبر الى الآخرة بعث آخر قوله ما الاحسان وهو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان من أتى بلفظ الشهادة رأى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسباً وقيل أراد بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم تكن تراه فانه ترك وأشرط الساعة علامتها التي تظهر قبيلها قوله اذا ولدت الامم ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الاممة فتعلمه ولدا فيكون ذلك اولد ابنها وسيدها ورعا لهم بكسر الراء ففتح الباء واسكان الهاء من الهم وهي الصغار من أولاد الضأن والمعنى أنه يسطر المل على أهل البادية وأشباهم حتى يتباهوا في البناء ويسودون الناس فذلك من أشرط الساعة رابعة أعلمه قوله تعالى بالغيب الغيب هنا مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما أمرت بالايمان به مغاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والعصا والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل بالآخرة وقيل بالوصي وقيل بالقدوس قال عبد الرحمن بن يزيد بن كنعان عبد الله بن مسعود قد كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان أمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بنالين رآه والذي لا اله الا هو ما آمن أحد حفظ أفضل من ايمان بغيره ثم قرأ في ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله وأولئك هم المفلحون (و يقبضون الصلاة) أي يداءون وعلمها في مواقيتها بمجدودها وأقام أركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فراضها وسننها وأدائها قبل قام بالامر وأقام الامر اذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعاء والرجعة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود اذا ألبنته فكان المصلي يلبس ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود دعاء مع الفينة (وعارضة فاهم) أي أعطينا هم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد وأصله الحفظ والتصيب (ينفقهون) أي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب ك الزكاة والنفقة والانفاق على النفس وعلى من تحب نفقتهم عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه والانفاق في المنسوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها بما يدح بها وأدخل من التي هي للتبعيض صيانة لهم ونها عن السرف والتبذير انتهى عنهم في الانفاق (والذين يؤمنون بما أنزل اليك

في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك أول المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كايوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الحمام وايت الكتبية في الزدحم والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القرأ الذي سبق انزله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان به ترفيعاً لاجل وجوده على ما هو بجدولانه اذا كان بعضه نزل ولا بعضه منظر النزول جعل كل واحد منكم قد نزل

وبا
في جملة المتقين وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك أول المراد به وصف الاولين ووسط العاطف كايوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الحمام وايت الكتبية في الزدحم والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (بما أنزل اليك) يعني القرآن والمراد جميع القرآن لا القرأ الذي سبق انزله وقت ايمانهم لان الايمان بالجميع واجب وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان به ترفيعاً لاجل وجوده على ما هو بجدولانه اذا كان بعضه نزل ولا بعضه منظر النزول جعل كل واحد منكم قد نزل

المتقين كأم (الذين) في موضع رفع أو نصب على المدح أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون أو هو مبتدأ وخبره وأولئك على هدى أو جري أنه صفة للمتقين وهي صفة واردة ببيان وكشفه للمتقين كقولك زيدا الفقيه (٢٣) الحقق لاشتغالها على

حال المتقين من الإيمان الذي هو أساس الحسنات والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألا ترى أن النبي عليه السلام سمي الصلاة هماً بالدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قطرة الإسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ولذلك اختصراً الكلام بان استغنى عن عباد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لتمام ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك زيدا الفقيه المتكلم الطبيب ويكون المراد بالمتقين الذين يحبون السيئات (يؤمنون) صدقون وهو أفعال من الإذن وقولهم آمناء صفة وحقيقة أنه التكذيب والخالفة وتعديته بالباء التضمنه معنى أو عارفت (الغيب) بما غاب عنهم مما باهم به النبي عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك فهو بمعنى الغائب تسمية بالصدر من قولك غاب الشيء غيباً هذا ان

بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا بأس به حذراً عما به بأس وخص المتقين بالذكر تشر يفاهم لأن مقام التقوى مقام شريف عجز زلاتهم هم المنتفعون بالمداية ولو لم يكن للمتقين فضل إلا قوله تعالى هدى للمتقين لكفاهم فإن قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهندون قلت هو كقولك للعرزال كبري أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى هدىنا الصراط المستقيم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بالغيب وأصل الإيمان في اللغة التصديق قال تعالى وما أنت بمؤمن لنأى يصدق فإذا فسر الإيمان بهذا فإنه لا يزبد ولا ينقص لأن التصديق لا يتجزأ حتى تصور كماله مرة ونقصانه أخرى والإيمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والقرار باللسان والعمل بالاركان وإذا فسر بهذا فإنه يزبد ينقص وهو مذهب أهل السنة من أهل الحديث وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من أركان الدين هل يسمى مؤمناً لا فيه خلاف والاختار عند أهل السنة أنه لا يسمى مؤمناً لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني لا زنى حين زنى وهو مؤمن فنفى عنه اسم الإيمان أو كماله الإيمان وأتكرر أكثره كما بين في زيادة الإيمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكاً وكفراً وقال الحقون من متكلمي أهل السنة أن نفس التصديق لا يزبد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزبد وينقص بزياة الأعمال ونقصانها وهذا ممكن الجمل بين ظواهرصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزياة الإيمان ونقصانه وبين أصله من اللغة وقال بعض المحققين أن نفس التصديق قد يزبد وينقص بكثرة النظر في الأدلة والبراهين وقلة إيمان النظر في ذلك ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى وأثبت من إيمان غيرهم لأنهم لا تعتبر بهم شبهة في إيمانهم ولا تنزلز وأما غيرهم من أحاد الناس فليس كذلك إلا يشك عاقل أن نفس تصديق أنى يكبر رضى الله عنه لا يساويه تصديق غيره من أحاد الأمة وقيل إنما سمي الأقرار والعمل إيماناً لوجه المناسب لأنهم من شراعتهم والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان يضع وسبعون شعباً أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعرة من الإيمان أخرجاه في الصحيحين الضع بكسر الباء مابين الثلاثة إلى العشرة وثلاثة النطق من الشيء وإماطة الأذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحياء بالمدح هو انقباض النفس عن فعل القبيح وإما جعل من الإيمان وهو اكتساب الانسحق ينجز بإسعيائه عن المعاصي فصار من الإيمان وقيل الإيمان مأخوذ من الأمن فسمى المؤمن مؤمناً لأنه ومن نفسه من عذاب الله والإسلام هو الانقياد والخضوع فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً أن لم يكن معه تصديق وذلك أن الرجل قد يكون مسلماً في الظاهر غير مصدق في الباطن (ق) عن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بارز للناس فأنه رجل فقل يارسول الله ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وأتباعه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يارسول الله ما الإسلام قال أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتؤوم رمضان قال يارسول الله ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يارسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت الأميرة فذاك من أشراطها وإذا كانت الحفافة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها وإذا تناول رعاء الهم في البنيان فذاك من أشراطها وخمس لابعالهم أن الله ثم تبارسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام إلى قوله عليم خير قال ثم أدير الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه

جعله صفة للإيمان وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل الإيمان

مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل والكتاب الكامل (لارب) لاشك وهو معد رائي إذا حصل فيك الربة حقيقة الربة قلتي النفس واضرارها ومنه قوله عليه السلام دع باريك الى الاربك فان الشكر ربة وان الصدق طمأنينة أي فان كون الامر مشكوكا فيه معانق له النفس ولا تستقر وكونه معصا صاعدا طمأنين له وتستن به الزمان وهو ما قلتي النفس ويشخص بالغالب من نوائبه وانما نفي الرب على سبيل الاستعراق وقد ارباب فيه كثير لان المنفى كونه متعلقا بالرب ومظنة له لان من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا يذني لرب أن يقع فيه لان أحد الارباب وانما يقل لا في رب كما قال لافها غول لان المراد في ايلاء الرب حرف النفي في الرب عنه وانبات انه حق لا باطل كما نزع الكفار ولو اولى الظرف لبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه رب لا في كما قال في قوله تعالى لا فيها غول ففيه تفصيل خراج الجنة على غور الدنيا بانها لا تنال العقول كما يقتضيه الحال والوقف على فيه وهو المشهور ودع نافع وعاصم انها موافقة لرب ولا بد لا واقف من أن يروي خبرا والتدبير لا رب فيه (فيه هدى) فيه شيا به كل هاء مكى ووافقه فخص في فيه مهنا وهو الاصل كقولك مرتبه ومن عنده في داره وما قال في داره ومن عنده وجب ان لا يقال فيه وقال سيبويه ما قاله مؤدالي الجع بين ثلاثة أحرف سوا كنياء قبل الهاء والهاء اذ الهاء المنصرفة في كلامهم بمنزلة الساكنة لان الهاء خفية والنفي قرب من الساكن والياء به هاء هدى مصدر على فعل كالبحار والدلالة الموصلة الى البقية بدليل وقوع الضلالة في مقابلة في قوله اولئك الذين اشرنا الضلالة بالهدى وانما قيل هدى (للمتقين) والمتقون مهتدون لانه كقولك للفرز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدراكه كقوله (٢٢) اهدنا الصراط المستقيم ولأنه سماهم عند مشارفهم لا ككتاب لباس التقوى متقين

الكتاب اسم من أسماء القرآن (لارب فيه) أي لاشك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خير بمعنى النفي أي لا يرباوا فيه فان قلت قد ارباب فيه فهو فهاهني لارب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فن حقق الظرف حقيقة ذلك (هدى المتقين) الهدى علة عن لدلالة رقيق دلالة بلفظ وقيل الهداية الارشاد والنهي وهو هدى للمتقين وقيل هو هاد لارب فيه هدايته والنتي اسم فاعل ونواه فاتي والتقوى جمع النفس في وقاية عما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من تنقى الشرك والكبائر والقواض وهو مأخوذ من الانتقاء وأصله الخبز بين الشبثين يقللني يتسه اذا جعله حازا بينه وبين ما يهده في الحديث كاذبا اشتد البأس اقتنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حازا بيننا وبين ما يهده حازا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من أحد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما فرض وقيل التقوى ترك الاصرار على المصيبة وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفي الحديث جاع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعبادة المفضحة عن ذلك

لقليل هدى الصالحين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجاءه على الطريقة التي ذكرنا فاقيل هدى للمتقين بالعدل مع ان فيه تصدر السورة التي هي اولي الزهراوين وسنام القرآن يذكر أولياء الله والنتي في اللغة اسم فاعل من قولهم رقاء فاتي فقاء هادوا ولا مهاباة واذا بنيت من ذلك اقل قلت الواو اتاءه وأدغمها في التاء الاخرى فقات اتني والوقاية فرط الصيانة وفي الشريعة من يقي نفسه تعالى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك وعمل هدى الرفع لانه خبر بمشدد محذوف أو خبر مع لارب فيه لذلك أو انصب على الحال من الهاء وفيه والذي هو أرسخ عرفا في البلاغة أن يقال ان قوله الم جلة برأسها وأطافه من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جلة ثانية لارب فيه نالت هدى للمتقين رابعة وقد أصيب بقرينتها مفصل البلاغة حيث جى بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لجيها متماثلةة أخذ بعضها بنعتي بعض فالثانية متحدة بالاولى معتقدها وهل جز الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه في أول اعلى انه الكلام المتعدي به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقرر الجاهة المتعدي ثم نفي عنه أن ينشأ به طرف من الرب فكان شهادة وتجبلا بكماله لانه لا كمال كمال على المحقق واليقين ولا نقص أنقص على المبالل والشبهة وقيل لعالمهم لذلك قال في حجة تنبئنا خيرا أصاحا وفي شبه تضاعف اقتضاها ثم أخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد أن ربيت هذا الترتيب الاتي ونظمت هذا العظم الرشيق من نكتة ذات جزل في الاولى الحذف والرمز الى المطالب بالطلب وجه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الرب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد كان نفسه هداية وإبراده مستكراف فيه اشعارا بانه هدى لا يكتنه كنهه ولا يجازي في ذكر

هذه الاجناس مكتورة بالمد كورة منها وقد علمت ان معظم الشيء ينزل كلمة فكان الله تعالى مدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما مر من التبيك طم والزام الحجة باهم وانما جاءت مرفقة على السور لان اعاد التنبه على المتحدي به . ولقد نهانا غير اوص الى القرض وكذا كل نكر روردي القرآن فاطلوا به منكم في المكس في النفوس وقر رولم يحج على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل ص وق ون وطه وطس ويس وحم والهم والو وطسم والمص والمو وكيعص وحم عسق فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كما قد افناهم في السكلام وكان ابناءة كل كلمة على حرف وحرفين الى خمسة حرف فسلك في الفواخج هذا المسلك والام آية حيث وقعت وكذا المص آية وللمزاد آية وكذا الهم آية في سورة (٢١) الحس وطسم آية في سورة وطه

ويس آيتان وطس ليست بآية وحام آية في سورة كماها وحام عسق آيتان وكيعص آية وص ون وق ثلاثهم المند آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيأ منها آية وهذا لم يوقفي لاجمال لقياس فيه كعرفة السور ويوقف على جميعها ووقف التمام اذا جلت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا تجمع عمل أسماء للسور ونق بها كما ينبغي بالأصوات أو جعلت وحدها أحبار ابتداء محذوف كقوله الم الله أي هذه الم ابتداء فقال الله لاله الا هو الحي القيوم وطه الفوتخ محمل من الاعراب فمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كدائر الاسماء الاعلام وهو الرفع على الابتداء أو انصب أو الجراصة لقسم بها وكونها

قال المد مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الا ان آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا ان العرب نذ كحرفا من كلمة تر يدكها قال لارجز قلت لها في فالت قاف لا تحسبى اناسنا الا يحيف قولها قاف أي وقتت فاكتفت بجزء الكلمة عن كمالها والابحاف الاسراع في السير قال ابن عباس الم الله أعلم وقيل هي أسماء الله المقطعة لوعلم الناس تأليفها لعلوا اسم الله الاعظم الا ترى أنك تقول الروح ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سارهاوا لكن لم ينهنا تأليفها جها وقيل أسماء لسور . به قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام فاقبل أقسم الله بهذه الحروف لشرها وفضاها لاسماها باني كنهه للزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العلياء انما قصر على بعضها وان كان المراد كما هو وكقول قرأت الحمد لله وتر يدك قرأت السورة بكاملها فكانه تعالى أقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثلث في لالوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لم يمتداه بقوله فاتر واسورة من مثله وفي آية عشر سور مثله فيجزوا عنه أنزل هذه الاحرف وهداه ان القرآن ليس هو الامن هذه الاحرف وأتم قادرون علمها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجز عن ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما عرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كلتجهين اسمه وما الى مايجي به محمد فاذا أصغوا اليه وسمعوه سرخ في قلوبهم فكان ذلك سببا ليمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه لعلوا أن لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعتبار فهم بالجزء عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الاحرف المزلزة في أو ثل السور أربعة عشر حرفا تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم والصاد والزاء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حرف الميم وسيأتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شاء الله تعالى وقوله تعالى (ذلك الكتاب) أي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه ما ضار ولمعنى هذا الكتاب الذي وعدت لك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يحوه الماء ولا ينحرق على كثرة الردفها أنزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدت لك به وقيل ان الله وعد نبي اسرائيل أن ينزل كتابا ويرسل رسولا من ولد اسمعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهاجروا من اليهود خافى كسيرا أنزل الله تعالى هذه الآية الم ذلك الكتاب أي هذا الكتاب الذي وعدت به على ابن موسى ان أنزله على النبي الذي هو من ولد اسمعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع ومنه ية للجد كتيبة لاجتماعها فسمى الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها الى بعض

بمثلة الله والله على المتقين ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كالأحمل لاجل الملة البتة أو لفقر رات المدودة (ذلك الكتاب) أي ذلك الكتاب الذي وعده على لسان موسى وعيسى عليهما السلام وأذلك اشارة الى الوفاء بما ذكره كرم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لان الكتاب ان كان خبيره كان ذلك في معناه هو سماء سماه في زحراء حكمه عليه بالبتة كبير والتأنيث وان كل صفة فالأشارة به الى الكتاب صريح لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفته لقول هذا ذلك الانسان وأذلك الشخص فعل كذا ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت اسمها السور وأن يكون المبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والخلة خبره المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ناعداً من الكتب في مقابلة ناقص كما تقول هو الرجل أي الكامل في الزحويا الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وان يكون الخبر مبتدأ محذوف أي هذه الجملة وذلك الكتاب جملة أخرى وان جعلت الم بمثلة الصوت كان ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) ونظائرهما مسمياتهم بالحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلام كالفاء نذل على أول حرف قال والالف نذل على أوسط حرف قال ولا نذل على الحرف الأخير منه وكذلك ما أشبهها والدليل على أنها أسماءان كلاهما بدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالامالة والتعجب وباتمر وبف والتذكير والجمع والنصب فبهي معرفة وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يده العراب لفقد مقصد وقيل أنها مبنية كالأصوات نحو غان في حكاية صوت العراب ثم المجرور على أنها أسماء السور قال ابن عباس رضي الله عنهما قسم الله هذه الحروف وقال ابن ماسويه رضي الله عنه أنه سمى الله الأعظم وقيل إنهم الممتزجة الذي لا يعقل تأويله إلا الله وما سميت بمجبة إلا لاجتماعها وقيل وردت هذه الأسماء على خط اليد كالألفاظ التي تحدى بالترآن وكانت تحرك بالناظر في هذا لتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن (٢٠) آخرهم كلام منطوق من عين ما يظنون منه كلامهم ليؤدبهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تنساقطة رتم

وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسة عشر حرف

(فصل في فضله) (م) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه أفرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فاتهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجبان عن أصحابهما أفرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تسطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة للسريرة (قوله أفرأوا الزهراوين) سميت بذلك لورهما يقال لكل مستنير زاهر (قوله كأنهما غمامتان أو غيايتان) قال أهل اللغة الغمامة والقياية كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره والمانع أن يواهما يأتيان كغمامتين (قوله فرقان من طير صواف) الفرقان الجماعة من الطيور والصواف جمع صاف وهو التي تصف أجسامها عند الطيران يحاجبان الحاجاة المجادلة والمخاضة وظاهرا والخفية السحرة كجاء في الحديث مينا يقال أبطأ لاجزاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور وأنه لا كرامة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين قالوا عايقا سورة التي يذكر فيها البقرة وكذلك باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور ولورد النص به (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتجملوا بآياتكم مقابران الشيطان يغفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة • وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء سنم وإن سنم القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آيات القرآن آية الكرسي أرحه الترمذي وقال حديث غريب (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله زوحل (الم) قيل إن حرف الهاء في أوائل السور من الممتزجة الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بنظائرهما ونسلك العلم فيها إلى الله تعالى وفائدته كرهاطلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن لكل كتاب صفة وصفة وهذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله بعبادته عما لا يعقلون وأوجب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل عنه كجاء في الجار فانه لا يعقل عنه والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فيكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث تنها قال آخرون من أهل العلم هي معرفة الماني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى

ودونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتيوا بآياته بعد المراجعات المتطاولة وهم أسراء الكلام إلا أنه ليس من كلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من الخلافة باقول ينزل وقيل إنما وردت السور معدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماء مستغلا بوجه من الاعراب وتقديم من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسماء الحروف فإنه مختص بمن خط وقرأ وخالف أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستبعدا من الامي السكهم ما استبعاد الخلفاء والاولاد فكان حكم

النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن يقتبس شيئا من آله حكم لا قاصص المذكور في القرآن التي لم تكن قلائف فريش ومن بضاهيم في شيء من الاطاحة بها في ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته واعلم ان المذكور في القوافي نصف أسامي حروف المعجم وهي الالف والتلام والباء والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسبب والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهي مشتتة على أنصاف أجناس الحروف فمن الميم موصفة نصفها الصاد والكاف والهاء والسبب والحاء ومن الجيم موصفة الالف والتلام والميم والراء والعين والطاء والحاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والحاء والعين والياء والسبب والحاء والياء والنون ومن الناطقة نصفها الصاد والطاء ومن المفخمة نصفها الالف والتلام والميم والراء والكاف والهاء والياء والسبب والحاء والقاف والياء والنون ومن السلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف والتلام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والياء والسبب والحاء والنون ومن حروف الغلظة نصفها القاف والطاء وغير المذكور من

ولا الضالين) يدل من الذين أُنعمت عليهم يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلal أو صدقوا للذين يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلal وانما ساء (١٩) وقوعه صفة للذين وهو معرفة وغير

لا يتعرف بالاضافة لانه اذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالاضافة نحو عجت من الحركة غير السكون والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ولان الذين قريب من النكرة لانه لم يرد به قوم اعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الخالص له باضافته فشكل واحد منهما فيه ابهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا وعليهم الاولى محلها نصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية وغضب الله زيادة الانتقام من المكذبين وانزال العقوبة بهم وان يفهم ما يفعله الملك اذا غضب على ماتحت يده وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من اعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل ولا زامة عند البصريين للتوكيد وعند الكوفيين هي بمعنى غير آمين صوت سمى به الفعل الذي هو استعجب كان روي اسم لامهل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله

المؤمنين وانما يلحق الكافرين (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى وأصل الضلال الغيوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلal فقال ولا تتبعوا أهواءهم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله أعلم

فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مستثنان ﴿الاولى﴾ السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفعول لا عنها اسكتة وهو مخفف وفيه اثنان المراد القصير قال في المـ و يرحم الله عبدا قال آمين

وقال في القصير آمين فزاد الله ما بيننا وبينه و بمعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عبادته يدفع به عنهم الآثام (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أمن الامام فأمنوا فان من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري ان الامام اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) معناه وافقهم في وقت الامين فان من تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص والقول الاول هو الصحيح اختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم المخطئة وقيل غيرهم من الملائكة (قوله غفر له ما تقدم من ذنبه) يعني تغفر له الذنوب الصغار دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه ان هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم

المسئلة الثانية في حكم الفاتحة ائتلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحد وجهو العلماء الى وجوب الفاتحة وانما متعينة في الصلاة ولا تجزئ الا بها واحتجوا بما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة الا قل لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجاه في الصحيحين ومحدث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة الى ان الفاتحة لاتتمين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن مائة أو ثلاث آيات قصارا واحتج بقوله تعالى فاقرا ما ينسره ندو بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسمى صلواته ثم أقرأ ما تنسره عك من القرآن أخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث وما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة من لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فازاد أخرجه أبو داود وأجيب عن حديث الاعرابي انه يحتمل على الفاتحة فاهما متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم

﴿تفسير سورة البقرة﴾

قال ابن عباس هي أول منازل الجنة قيل سوى آية وهي قوله تعالى واقفوا يوم ترجعون فيه الى الله فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع ومائتان آية وستة آلاف مائة واحد

صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال فعل وهو مبتنى وفيه لغتان مد ألفه وقصرها وهو الاصل المدبشباع الهزجة قال يارب لا تسلبني حيا أبدا و يرحم الله عبدا قال آمين اوقال آمين فزاد الله ما بيننا وبينه قال عليه السلام لغتنى جبر لم آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كاتم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف سورة القرع مائة وهي مائتان وست وأوسع ومائتان آية

واياك نستعين) ايا عند الخلل وسببه به اسم مضر والكاف حرف خطاب عند سدو به ولا محل له من الاعراب وعند الخليل هو اسم مضر
 أصيب الياله لانه يشبه اطاره قدمه على الفعل وانما. وقال الكوفون اياك تكالما وقد تقدم لمفعول القصد الاحتصاص ولعل تحمك
 بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل وتحذ بك طاب المنة وعدل عن الغيبة الى الخطاب. لثلاث هوة. يكون من الغيبة الى الخطاب ومن
 الغيبة الى التسليم كقوله تعالى حتى اذا كرم في لقلك وجري بن. يرج طيبة وقوله والله الذي ارسل الريح فتثير سحبا فاسقناه وقول امرئ
 اقبس تطاول ليالك بالآخرة ونام الخلى ولم ترقد. بات وبات لهيلة كاياله ذي العرا لارمد وذلك من تبا جأتني وخبرته عن ابي الاسود
 فالتفت في الايات الثلاثة حيث لم يقل ايلي وبت وجاءك والعرب يستكثر من ورون الكلام اذا انتقل من أسلوب الى أسلوب اُدخل في
 القبول عند السامع واحسن نظرية لتشاطع واما الاستلذاذ اصغاه وقد تحضض. واقعه بنوا وادوا طم فلهما ستضع اللالحداق المهرة
 والعلم والتمجيد روقايل مامه (١٨) وما يخص بهذا الموضوع أنه لما ذكر الحقيق بالحد والثناء وأجرى عليه

تلك الصفات العظام تعاق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فغوطب ذلك المعلوم المميز بتلك الصفات فقيل ياك يامن هذه صفاته تعبد وتستعين لغيرك وقد تمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب الى الإجابة أولنظم الآي قد تم الرحمن وان كان الابلغ لا يقدم وأطلقت الاستعانة لتناول كل مستعان فيه ويجوز أن يراد الاستعانة به بربوبه على أداء العبادات ويكون قوله اهنا بيان المطلوب من المنة كانه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهنا الصراط المستقيم) أي ثبنا على المنهج الواضح

أعداسواك والعبادة غاية التذلل من لعبه ونهاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة ولانتم عمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم السم وهي إيجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هدا الى دينه فكان العبد حقيق بالخضوع والتذلل (واياك نستعين) أي منك نطلب المنة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فان قلت الاستعانة على العمل اعانتكون قبل الشروع فيه فلم أحر الاستعانة على العبادة والحكمة فيه قلت ذكرنا فيه وجوها أحدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بمحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتأخير الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكاه ذكر حلة العبادة وألزم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث كأن العبد يقول شرفت في العادة فانا نستعين بك على اتتمامها فلا يعنى من اتتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال ياك تعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك الجب فاردف ذلك بقوله وياك نستعين ليزول ذلك الجب الحاصل بسبب تلك العبادة (اهنا الصراط المستقيم) أي أرشدنا وبقوله اهنا هو كما يقول للأنعام قم حتى أعود اليك ومعاندهم على ما ألت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية به حتى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الانطاف والهدايات من الله لانتهاى وهذا مذهب أهل السنن والصراط الطرى قال جبر

أمير المؤمنين على صراط هذ اعوج الموارد مستقيم أى على طريق طرنة حسنة قال ابن عباس هودين الاسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه هدا صراط المستقيم للجنة (صراط الذين أنعمت عليهم) هذا بدل من الاول أى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته (غير المغضوب عليهم) يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب فى الاصل هو نوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جرة فتوقد في قلب ابن آدم ثم ترو الى انتفاخ وداجم وجره عيذه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة كقولك للأنعام قم حتى أعود اليك أى اثبت على ما ألت عليه واهدنا فى الاستقبال كما هديتنا فى الحال وهدى يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فانه تد به الى مفعول آخر فقد جاء متعديا به بنفسه كنهه الآية وقد جاء متعديا باللام وبالى كقوله تعالى هدا هذا لهدا قوله هدا فى رى الى صراط مستقيم والصراط الحادة من سراط الشيء اذا ابتلع كانه يسرط البالة اذا سلكوه والصراط من قلب السبن صاد التجانس الطاء فى الاطباق لان الصاد والفاء والهاء والظاء من حروف الاطباق وقد تشتم الصاد صوت الزاى لان الزاى الى الطاء أقرب لانها معجوزتان وهى فراء عجزه والسين قراءة ابن كثير فى كل القرآن وهى الاصل فى السكنة والباقيون باصادا لخاصة وهى لغة قریش وهى الثابتة فى المصحف الامام وبذلك يؤت كاطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الصراط وهو فى حكم نكر بالعاملة فائدة التاكيد والاشارة بان الصراط المستقيم فيه صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجوه

(رب العالمين) الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لأن بر بنى رجل من قريش أحب الي من أن ير بنى رجل من هوازن تقول ربه بر بهر بفاهو رب وبجوز أن يكون وصفاً بالجد والبالغة كما وصفه الجدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في العبد مع التقيد انه ربه في أحسن مثواي قال ارجع الى ربك وقال الواسطي هو الخالق ابتداء والمراد في غداة (١٧) والخافر انتهاء وهو اسم الله الأعظم

والعالم كل ما عله الخالق من الاجسام والجواهر والاعراض أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لانه علم على وجوده وانما جمع بالواو والون مع انه مختص بصفات العقلاء وأما في حكمها من الاعلام لمافية من معنى الوصفية وهي دلالة على معنى العلم (الرحمن الرحيم) ذكرهما قدس وهو دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة اذ لو كانت منها لما أعادها لخلو إعادة عن الافة (مالك) عاصم وعلى ملك غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة واقلوه لمن الملك اليوم لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك لان أمر الملك ينفذ على الملك دون عكسه وقيل المالك أكثرها لانه أكثرها وقفاً وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك (يوم الدين) أي يوم الجزاء ويقال كاتدين تدين أي كاتفعل تجازي وهذه اضافة اسم الفاعل الى المفعول على طريق الانواع كقولهم

علمه وكرم والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد أهم من الشكر فلا تقول شكرت ولا تاتي عليه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامد وقيل الحمد للسان وقولنا الشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الدم والملا في الله لا المستحق كقولك لدارك بدني انه المستحق للحمد لانه الحسن لمفضل على كاف الخلق على الاطلاق (رب العالمين) الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء أي ماله ويكون بمعنى الرتبة والاصلاح يقال رب فلان الضيعه برها اذا أصلحها فالتعالى مالك العالمين وربيهم ووجه الجمع ولا يقال الرب لانه مخلوق معرقل يقال الرب الكثر مضافاً والعالمين جمع عالم لا واحده من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانسان لانهم المكفوفون بالخطاب وقيل العالم اسم لدوى العلم من الملائكة والجن والانسان ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تفعل واختلاف في مباح عددهم فقبل الله أفعالهم ستان عالم في البحر وأر بعائنه في البر وقيل ثمانون ألف عالم أر بعون ألفا في البر وثمانون في البحر وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفضاط في صحراء الفضاء الطيبة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخلق سبحانه وتعالى (الرحمن الرحيم) فالرحمن هو الملم بما لا يتصور صدوره تلك النعمة من العباد والرحيم هو الملم بما يتصور صدوره تلك النعمة من العباد فلا يقال انه ير الله الرحمن ويقال غيره من العباد الرحيم فأن قلت قد سمي مسيلاً الكذاب برحمن الحيمة وهو قول شاعرهم فيه هـ وأنت غيث الوري لا زلت رحماناً قلت هو من باب تهم في كفرهم ومما انفهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فافادته تذكر بره هامة ثمانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة أكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها أكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرار الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه ﴿ قوله تعالى (مالك يوم الدين) يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من ادم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك أوسع من ملك لانه يقال مالك العبد الدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولا به لا يكون ملكاً شيء الا هو يملكه وقد يكون مالكاً شيء ولا يملكه وقيل ملك أولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملك كما قيل هما بمعنى واحد مثل فريهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كاتدين تدين وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دته فان أي قهر نه فدل ان قلت لم خص يوم الدين بالذكر كونه مالكاً لا يام كما هاهنا قلت لان ملك الاملاك يومئذ زائل فلا ملك ولا مريومئذ الله تعالى كما قاله في الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا آساد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة ﴿ قوله تعالى (اياك نعبد) رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك من أول السورة الى هنا انه والتناء في الغيبة أولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء أولى وقيل فيه اضمماراً في قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخضع بالعبادة ونوحدهك ونطيعك خاضعين لك والعبادة قمى غارة الخضوع والتذلل وسعى العبد عبد الله والتقادة وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى وقول العبد اياك نعبد معناه لا نعبد

(٣ - خازن - اول) هـ سارق المالة أهل الدار هـ أي مالك الامر كما في يوم الدين والاختصاص بيوم الدين لان الامر فيه لله وحده وانما ساغ وقوعه وصفه لرفع أن اضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقة لانه أر بعده الاستمرار فكانت الإضافة حقيقة فيسأغ أن يكون صفة للمعروف وهذه الاوصاف التي ارجى على الله سبحانه وتعالى من كونه بأى ماله كالعالمين ومنعهم بالكم كما هو ماله كالاملاك يوم التواب والعبادة لانه لا على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والتناء عليه (اياك نعبد

من القرآن في أوائل السور لما كتبه وهو اركان حكمها حكم أمين

المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والاسرار **١** اذابت بما تقدم من الادلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وعن قال الجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمرو بن الزبير ومن التابعين فن بعدهم سعيد بن جبيرة وأبو قتادة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع، وعلي بن عمرو بن يزيد بن أسلم ومكحول وهر بن عبد العزيز وعمر بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي وهو أحد قولين وإن ذهب صاحب مالك ويحيى أيعان ابن المبارك وأبي ثور وعن ذهب إلى الاسرار بهما من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فن بعدهم الحسن والشعبي وإبراهيم النخعي وقادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم أما حجة من قال بالجهر فقد روي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمر بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فنههم من صرح بذلك منهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار بهما من النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والاخرى عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله الجهم قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ باسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ الم القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذ سلم إلى أن يشهدكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر فيسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ وهو يومئذ الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كله ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته مجروح وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة في رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بذلك قال الشيخ أبو شامة أي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم الى ما تقدم من الادلة ترجح على ما في الصحيح وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة يسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وفيه عن محمد بن أبي السري السقلاقي قال صليت خلف العترة بن سليمان مالا أعصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها سمعت العترة يقول ما ألقى أن أفتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس بن مالك ما ألقى أن أفتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كله ثقات وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال رواه هذا الحديث عن آخرهم كله ثقات قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وإبرادات وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها في هذا القدر كفاية والله التوفيق في قوله عز وجل (الجدلة) لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدهونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الاحسان وبعده والجد لا يكون إلا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منها بعه وأما الحمد فأوربه والجد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون معنى الثناء بحميلة الاذلة قال قول حدث الرجل على

المصادر المنسوبة بأفعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرنا وكفرا والجدول عن التنبؤ على الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر (لله) واللام متعلق بمحذوف أي واجب أوثبات وقيل الجد والمدح اخوان وهو الثناء والمدح على الجبل من نعمة وغيرها تقول حدث الرجل على انعامه وجدته على شجاعته وحسبه وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال • أفادتكم النعمة مئ ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا أي القلب والجد باللسان وحده وهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وجعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان أشبع لها من الاعتقاد بالقلب آداب الجوارح فعمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ونقيض الحمد الثم وقبض الشكر الكفران وقيل المدح ثناء على ما هو له من أوصاف السكالك ككونه باقيا قادرا غالبا أبديا أزليا والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف

الافعال والجد يشمل ما والامت واللام فيه للاستغراق عندنا خلافا للعترة ولذا قرن باسم الله لانه

اسم ذات فيستجمع صفات السكالك وهو بناء على مسئلة خلق الافعال وقد حققته في مواضع

ثم غلب على الثرى لاؤا ما ألفه بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير مصفة لانك تصفه ولا تصف به لا تقول شئ الله كما لا تقول شئ رجل وتقول الله واحد ممدولان صفاته تعالى لا يدلمان من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كما هي صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها وذا المجوز لا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد (١٥) بن الحسن والحسين بن الفضل وقيل

معنى الاشتقاق ان يقتظم الصفتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قوطم له اذا تعبر بقتظمه معنى العبر والدعشة وذلك ان الواهم تعبر في معرفة المعبود وتدش الفطن ولذا كثرا الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح وقيل هو من قوطم له باله اله اذا عبد فهو معدر بمعنى ما لو أى معبود كقوله هذا خلق الله أى مخلوقه وتغصم لاه اذا كان قبلها فتعذأ وضمة وترقق اذا كان قبلها كسرة ومنهم من يرقها بكل حال ومنهم من يفخم بكل حال والجهور على الاول والرجن فعلان من رحم وهو الذى وسعت رحمتك كل شئ كغضبان من غضب وهو المعتلى غضبا وكذا الارجن فعيل منه مكر يض من مرض وفي الارجن من المبالغة مالىس في الارجن لان في الارجن زيادة واحدة وفي الارجن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء في الدعاء بارجن الدنيا لانه ييم المؤمن والكافر ورجم الآخرة

الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا لان أول ما نزل به جبريل اقرأ بسم ربك الذى خلق ولرب ذكر البسملة في أولها فدل على انها ليست منها قالوا لان عمل القرآن لا يثبت بالالتواتر والاستفاضة لان الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الاخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خسا * وأما حجة من ذهب الى اثباتها في أوائل السور من جهة النقل فقد صرح عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فإن السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما ابن خزيمة وغيره وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مسنده تركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها قال الدارقطني في رجال اسناده كما هم ثقات وروى موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها قطعها آية آية وعدها عند الاعراب وعده بسم الله الرحمن الرحيم آية لم يهد عليهم وعليهم وأخرج مسلم في أفرادها عن أنس قال ينار رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ذغافخوة ثم رفع رأسه متبهما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على أنفس سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك العكبر والحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وانها من فوائخ السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيه بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر آية ليست من القرآن قال وقد علمنا الروايات الصحيحة عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه أنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول اتزع الشيطان منهم خيابة في القرآن وفي أفراد البخارى من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فاجع الصحابة على اثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا بكتاية المصاحف تجر بد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرأوا وتودب به مخافة من أن يزيد رافيه أو ينقصوا منه ولهذا يكتبوا فيه لفظة آمين وان كان قد ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلم تكن البسملة

لانه يخص المؤمن وقالوا الرحمن خاص نسبة لانه لا يوصف به غيره عام معنى لما بنا والرحيم بعكسه لانه يوصف به غيره ويخص المؤمن ولذا قدم الرحمن وان كان أبلغ والقياس الترتي من الأدنى الى الأعلى يقال فلان عالم وفنون نحر برانه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ورحمة الله انعامه على عباده وأسلمها العطف وأما قول الشاعر في سبيله * وأنت غيث الورى لازل رحانا * فباب من تمنعهم في كفرهم ورجن غير منصرف عند من زعم ان الشرط اتقاء فعلاية ذلبس له فعلاية ون زعم ان الشرط وجود فعل صرفه اذ ليس له فعل والاول الوجه

الاهم من الفعل والمتعلق به والمتعلق به وكانوا يدعون باسماء انهم يقولون باسم اللاتي وهن العزى فوجب أن يقصد الموصى به
اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذات بقية وتأخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرب اسم بك لانه اول سورة نزلت في قول وكان
الامر بالقرائة لهم فكان تقدم (١٤) الفعل اوقع ويجوز أن يحمل اقراء على معنى افضل القراءة وحققها كقولهم

ظاهرا واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو الوجود فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به
وعلا عليه فكان له علا على معناه وصار علما وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكان له علامة
لسماء وحجة البصر بين لو كان الاسم اشتقاقا من السمة لكان تصغيره وسيم وجهه وأوسام وأجوعا وهي
أن تصغيره سمي وجهه أسماء وأسام (الله) هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى
ليس يشتق ولا يشركه فيه أحد وهو المحيى المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله
وقيل هو مشتق من أله باله الالهة مثل عبد الرجل بعد عبادة دليله وبدره وأهلك أي عبادتك ومعناه
المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله وهو الفزع لان الخلق يولون اليه أي يفزعون اليه في
حوادثهم قال بعضهم

وله اليكم في بلايتنوني * فالقيتم فيها كرائم محمد

وقيل أصله أله يقال ألهت الى فلان أي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويعطونون بذكروه وقيل
أصله لاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه ما بالتحجيرا وبالارادة ومن هذا قيل
الله محبب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا
حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام وأثبت الالف بقي اله
وان حذفت ما بقي له وان حذفت الالف واللامين معا بقي هو الواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى
ان هذا الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات (الرحمن الرحيم)
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناها
ذو الرحمة وانما جع بينهما التام كيد وقيل ذكر أحدهما بعد الآخر تطمينا للقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن
فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق
المؤمن والكافر والرحيم بمعنى الغفور الكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا
ورحيم الآخرة ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب
واسداء الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن

فلان يعطى ويمنع غير متعد
الى مقروبه وان يكون باسم
ر بك فحول اقرأ الذي
بعده واسم الله يتعلق
بالقراءة تعالى الدهن
بالانبات في قوله تنبت بالدهن
على معنى متبركا باسم الله
اقرأ فيه تعليم عباده كيف
يتبركون باسمه وكيف
يعظمونه وبنيت الباء على
الكسر لانها تلازم الحرفه
والجر فكسرت لتشابه
سكونها عملها والاسم من
الاسماء التي بنواؤها على
السكون كالابن والابنة
وغيرهما فاذا نطقوا بها
مبتدئين زادوا همزة
تعاذبا عن الابتداء بالسكن
تعدرا واذا وقعت في
الدرج لم يفتقر الى زيادة
شيء ومنهم من لم يزد
واستغنى عنها بتعريك
السكن فقال سم وسم
وهو من الاسماء المخدوفة
الانحاز كيد ودم وأصله
سمو بدليل تصريفه
كسما وسمي وسميت
واشتقاقه من السمو وهو
الرفعة لان التسمية تنويه
بالسمي وإشارة بذكروه
وحذفت الالف في الخط هنا

يكشف الكرب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بشيئين الطريق والرحيم بالعممة والتوفيق
فصل في حكم السمة وفيه مسئلتان (الاولى) في كون السمة من الفاتحة وغيرها من السور سوى
سورة براءة اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجاعة من العلماء الى أنها آية من الفاتحة ومن كل
سورة كرت في أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبيرة وعطاء
وابن المبارك وأحمد في إحدى الروايتين عنه واستحق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب
والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وأبو حنيفة الى أن السمة ليست بآية من
الفاتحة زادوا ودولان غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت الفصل والتبرك
قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من أوائل السور مع القطع بانها
من الفاتحة فاما حجة من منع كون السمة آية من الفاتحة ومن غيرها حديث أنس المشهور الخرج في

وأثبت في قوله اقرأ باسم بك لانه اجتمع فيها أي في التسمية مع أنها تنطق اللفظ كثرة الاستعمال وطول الباء عوضا
عن حذفها وقال عمر بن عبد العزيز الكاتب طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أعلم له ونظيره الناس أصله الاناس حذفت الهمزة
وعوض منها حرف التثنية واللام من أسماء الاجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق وكان الغم اسم لكل كوكب

وقال التوري والاوزاعي الاول ان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وبالجملة
فلاستعانة نظهر القلب عن كل شئ يشغله عن الله تعالى ومن لطائف الاستعانة ان قوله أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالجزع والضعف واعتراف من العبد بقدره الباري عز وجل وانه هو الغني
القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين في الاستعانة
الجماع الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاسد وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله
تعالى والله تعالى أعلم

﴿تفسير سورة الفاتحة﴾

وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة وأربعون حرفا واختاف العلماء في نزولها فتعيل نزلت
بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة
وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها وطاعة اسماء وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله (قوله)
ذلك فاتحة الكتاب سميت بذلك لانها افتتح القرآن وبها افتتح كتابة المصاحف وبها افتتح الصلاة
(الثاني) سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله (الثالث) أم القرآن وأم الكتاب سميت بذلك لانها
أصل القرآن وأم كل شئ أصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور (الرابع) السبع المثاني سميت بذلك
لانهن اثنتي في الصلاة يقرأ بها في كل ركعة وقيل لان الله تعالى استثناهن هذه الامة وادخرها لهم لم ينزلها على
غيرهم وقيل لانها أنزلت مرتين (الخامس) الواقعة سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم
غيرها من السور (السادس) الكافية سميت بذلك لانهن تكتفي عن غيرها في الصلاة ولا يكتفي عنها غيرها
﴿فصل في ذكر فضلها﴾ (خ) عن أبي سعيد بن الملق قال كنت أصلي في المسجد فعادني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقالت يا رسول الله اني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا
دعاكم قال لي لا علمك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن يخرج من المسجد ثم أخذ يدي فلما أراد
أن يخرج قلت له يا رسول الله ألم يقل لا علمك سورة هي أعظم السور في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي
السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ورأه مالك في الموطن وعنه قال يمان النبي صلى الله عليه وسلم
نادى أبي بن كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور
مثلا ورأه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو يصلي وذكر نحوه
رواية الموطن وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله
في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي

عليه السلام ما كان عن الله تعالى فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى وسورة الشفاء والنافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب مخفاه من كل داء الا السام وسورة المثاني لانهن اثنتي في كل صلاة وسورة الصلاة لما يروى ولانها تكون واجبة أو فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القرآن قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا اعتلت أو اشتكت فليكن بالاساس وأبها سبع بالاتفاق

ما سأل أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين
أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن ابن
عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب
من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فلم
وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها الا
أعطيت (قوله سمع نقيضا) هو بالقاف والضاد المججمة أى صوتا كصوت فتح الباب (م) عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج
غير تمام قال قلت يا أبا هريرة أنا أحياناً نكون وراء الامام فقمض ذراعي وقال اقرأ بهم في نفسك يا فارسي فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين

تفسير وقيل هو من التفسر وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المرض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاق من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أوله قال أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء إلى الغاية والمراد منه بيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم ﴿القول في الاستعاذة﴾ ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ بالله التحجى إليه وامتنع به عما أخشاه من عاذ به ووذ الشيطان أصله من شطن أي تباعد من الرحمة وقيل من شاطب يسبب إذا هلك واحترق والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فذلك فيه القوة الضمنية أشد الرجيم فعيل بمعنى فاعل أي يرحم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالهيب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالهذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملائكة الأعلى وأما حكم الاستعاذة ففيه مسائل (المسئلة الأولى) اتفق الجمهور على أن الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا أو سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة أو غيرها وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفي في إسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وإن النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم إلا عراني الاستعاذة في جملة أعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز (وأجيب) عن قوله تعالى فاستعذبان معناه عند جواهر العلماء إذا أوردت القراءة فاستعذ كقوله إذا تم إلى الصلاة فاعسوا معناه إذا أوردتم القيام إلى الصلاة وأجيب عن ما واظبه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صلى الله عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة من أفعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الاقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها (المسئلة الثانية) وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء كان في الصلاة أو خارجا وحكي عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وأحمد والرواية عن ابن سيرين بحجة الجمهور ما روى عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يقول الله أكبر كبراً ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث أشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال أحمد لا يصح ولا يروى داود والنسائي عن أبي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال أهما كبركبرا والحمد لله كثير اثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقيل الموتة الجنون لأن من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوس في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشب في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وأجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لئلا يقدم من الأدلة ﴿المسئلة الثالثة﴾ المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال أبو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال أحمد لا يقرأ أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم ولحديث أبي سعيد

لكل عبير وهو على ما يشاء
قدير وبالأجابة جدير
﴿فاتحة الكتاب﴾
مكية وقيل مدنية والاصح
أنها مكية ومدنية نزلت بمكة
حين فرضت الصلاة ثم نزلت
بالمدينة حين حولت القبلة
إلى الكعبة وتسمى أم
القرآن للحديث قال عليه
السلام لا صلاة لمن لم يقرأ
بأم القرآن ولا شتمها على
المعاني التي في القرآن
وسورة الواقعة والكافية
لذلك وسورة الكنز لقوله

وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا
 وإن هذه الحروف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد
 بالحرف سبعة معان مختلفة كالحكام والأمثال والنقص خطأ محض لان النبي صلى الله عليه وسلم أشار الى
 جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين على انه يحرم ابدال آية
 أمثال آية أحكام وقول من قال ان المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم ففاسد أيضا
 وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعت فزادني فلم أزل أستزيد به ويزدني حتى انتهى
 الى سبعة أحرف معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الحروف
 للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزدني حتى انتهى الى السبعة (م) عن أبي بن كعب
 رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ آية أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ آية تسوي
 قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا ان هذا قرأ آية
 أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ آية تسوي قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ أحسن
 النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولاذت كنت في الجاهلية فلما رأى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيتني ضرب في صدري ففقت عرفا وكأنا أنظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي
 يا أبي أرسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على أمي فردالي الثانية ان اقرأ على حرفين
 فرددت اليه ان هون على أمي فردالي الثالثة ان اقرأ على سبعة أحرف ولك بكل ردة ردتها مسئلة تسألنيها
 فقلت اللهم اغفر لامي اللهم اغفر لامني وأخوت الثالثة ليوم ترغب الى الناس كلهم حتى ابراهيم (قوله)
 فسقط في نفسي من التكذيب ولاذت كنت في الجاهلية (معناه وسوس لي الشيطان تكديبا للنبوّة أشد
 مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب
 وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزع الشيطان في قلبه تكديبا لم يتقده وهذه الخواطر اذا لم يسفر عنها
 الانسان لا يؤاخذ بها (قوله ضرب في صدري ففقت عرفا) قال الفاضل عياض ضرب به صلى الله عليه وسلم
 في صدره تشبها له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم (قوله وكأنا أنظر الى الله تعالى فرقا) الفرق
 بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضرب به ما زال عنه ذلك
 الخاطر (قوله تعالى ولك بكل ردة ردتها مسئلة تسألنيها) معناه مسئلة مجابة قطعاً وأما في الدعوات
 فرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله أعلم * روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال ان القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منه وروي لكل حرف منه ظهوره وبعث ولكل
 حده مطلع قيل في معناه الظاهر لفظ القرآن والبعث نأويله وقيل في معناه الظاهر ما حدث عن أقوام أنهم
 عصاف وقبوا فوهو في الظاهر خبر روى الباطن عظة وقيل الظاهر التسلاوة بالسان كما أنزل والبعث التدبير
 والتفهم والنفس كما بالغاب فالتسلاوة بالسان كما تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم تكون بصديق
 النبي وتعليم الحزمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض (قوله ولكل حده مطلع) معناه
 مصد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطالع الفهم وقد يفتح الله تعالى على التدبر والتفكير في القرآن
 العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفهمه غيره وفوق كل ذي علم عليم والله أعلم

عن أباطيل أهل البدع
 والضلالة ليس بالطويل
 المسلول ولا بالقصير المحل
 وكنت أقدم فيه رجلا
 وأخر أخرى استقصارا
 لقوة البشر عن درك هذا
 الوطر وأخذ السبيل الحذر
 عن ركوب معنى الخطر حتى
 شرعت فيه بتوفيق الله
 والعوائق كثيرة وأتممته
 في مدة يسيرة * وسميته
 بمدارك التنزيل وحقائق
 التأويل * وهو المسير

المؤمنون وقال مجاهدو بل للمطففين * فهذا ترتيب منازل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثلاثون سورة على ما استقرت عليه روايات النقات وأما ما نزل بالمدينة ٣ فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بها سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الاحزاب ثم المتعنة ثم النساء ثم اذا نزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم اذا جاءك المنافقون ثم المجادلة ثم الطهرات ثم التحريم ثم الصافات ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب منازل من القرآن بالمدينة واختلفوا في شوري ف قيل نزل بمكة وقيل نزل بالمدينة وسند ك ذلك في مواضع ان شاء الله تعالى

فصل في كون القرآن نزل على سبعة أحرف وما قيل في ذلك ﴿ق﴾ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبت أساوره في الصلاة فتر بصت حتى سلم فليبت برأيه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله أقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أقرأ يا عمر فقرأت بقرآني التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه (قوله فكذبت أساوره في الصلاة) أي أوائبه وأقائله وهو في الصلاة والترص التثبت (قوله فليبت برأيه) هو يشد يد الباء الاولى وعنه أخذت بمجامع ردايه في عنقه وجذبت به ما خوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والحفاظه على لفظه كما سمعوه من غيره ود الى ما تجوز به العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقضي تعزيره ولان عمر ايمانسه الى مخالفته في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملاب لا يمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق (قوله ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه) قال العلماء سبب ازالة على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال اكثرهم هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والحكم والتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتخييم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه ففسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما يوافق لفته ويسهل على لسانه وقال أبو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب ينميها ومعدّها وهي أقصع لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها منسوبة وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت وترتع وتلعب وابعدين أسفارنا وبذاب ببئس وقيل هي سبع قراآت وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم

٣ قوله فاحد وثلاثون
ان المصدود ثلاثون لا غير
نم سيد كرآن شوري
نزل بالمدينة على قول
وعليه فهي أحد وثلاثون
اه مصححه

قال حديث حسن صحيح ونقدم حديث زيد بن ثابت وفيه أنه استهر القتل بقراء القرآن فثبت بجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التاليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على منعه ويرفع الشئ بعد الشئ من التلاوة كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف لانه واحد لورفع بعض تلاوته أدى ذلك الى الاختلاف واختلاط أمر الدين لحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما نزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئا والذي حلهم على جمعه مجابهة مبيته في الحديث وهو أنه كان مقرقا في العصب والخفاف وسددور الرجال نخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظه ففزعوا الى خليفة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم أبي بكر فدعوه الى جمعه فرأى في ذلك رأيهم فلم يجمعهم في موضع واحد بتفاق من جمهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا أو أخرؤا شيئا أو وضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي أنصحابه ويعلمهم ما ينزل عليهم من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ثم وقف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سبب الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لاني ترتيبه فان القرآن مكتوب في الواح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن وقد صح في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في مثل علم مرة في رمضان وأنه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها ما نسخ وبق فيها ما بقي ولهذا أقام أبو بكر يركز زيد بن ثابت في كتابة المصحف وأزمعهم الأنه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القرآن سببا لبقائه في الامم رجة من الله تعالى اعباده وتحققا لوعده في حفظه على ما قلنا تعالى ان نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون واعلم ان الله تعالى أنزل القرآن المجيد من الواح المحفوظ جلة واحدة الى السماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مقرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوا عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما شاء الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في التلاوة والمصحف فامترتب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول ما نزل من القرآن بمكة أقرأ بأمره بك الذي خلق في ممنون والقم ثم يأياها المزل ثم المذر ثم ثبت يدا أبي طه ثم اذا الشمس كورت ثم سمع اسم ربك الاعلى ثم والليل اذا عشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعدايات ثم ابأعطيناك الكوثر ثم ألم هلأكم التكاثر ثم رأيت الذي ثم قل يا أيها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله أحد ثم والجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم التين ثم لا يلاف قر يش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهزعة ثم المزلات ثم في ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم صر ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم سورة بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم سبأ ثم الزمر ثم المؤمن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم قد افلح المؤمنون ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم المالك ثم الحاقة ثم سأل سائل ثم عبه يسألون ثم النازعات ثم اذا السماء انقضت ثم اذا السماء انشقت ثم الزوم ثم العنكبوت واختلفوا في آخره نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال حذالك وعطاء

لقائه قد سألني من تمنين
اجابته كتابا وسطا في
التأويلات جاءه الوجوه
الاعراب والقراآت
متضمنا لدقائق علمي البديع
والاشارات حاليا بالقول
أهل السنة والجماعة خاليا

فسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بالسنتهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة وأرسل الى كل ائمة من المصحف فانسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق قال ابن شهاب وأحبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت آية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف فذكرت اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها فالتفتها فوجدناها مع خزعة ابن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن الجمان مع خزعة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوت وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفعوا اختلافهم الى عثمان فقال كتبوه التابوت فانه بلسان قريش شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتفق بهما (قوله بعث الى أبو بكر اقتل أهل الجحامة) أي لأوان قتلهم وأراد به الوقعة التي كانت بالجحامة في زمن أبي بكر الصديق وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة قتل فيها خاق كثير من قراء القرآن والجمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة وطاعها وهي في عداد أرض نجد (قوله استعز القتل) أي كثروا بنسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سمته وقبوله الخبير (قوله فتبعني القرآن أجمع) من الرقاء جمع رقعة وهي ما يكتب فيها الوعد والسبب بضم العين والسين المهملة جمع عسيب وهو حجر يدل النخل وسعة واللخاف شجيرة يضي رقاق واحدة خلفه (قوله يغازي أهل الشام) أي مع أهل الشام (في فتح ارمينية) بكسر الهمزة وتخفيف الياء لا غير سميت بارمين ابن لمطي بن لوم بن يافث بن نوح وهو أول من نزل بها سميت باسمه (وأذربيجان) بفتح الهمزة وسكون الدال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمسة اوانع من الصرف التعريف والتأنيث والجمعة والتركيب والالاف والنون وهو موضع من بلاد الجهم يشتمل على بلاد كثيرة (قوله حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزعة ائمة في خزعة الانصاري) وفي الحديث الآخر فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزعة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الا ائمة فاعلم أن المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو أبو خزعة بن اوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرًا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عند آخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عماره خزعة بن ثابت بن الفاك بن نميلة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرًا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (قوله فقدت آية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزعة) معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب باسم النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الآية الا مع خزعة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدًا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعهما من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها وتبعه الرجال كان للاستظهار لا لسجدة علم لان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلام من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زبدوز يعني ابن ثابت قلت لانس من أبوزبد قال أحد عمومي آخر جاني الصحيحين اسم أبي زيد سعد بن عبيد وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة

وارث علوم الانبياء
والمرسلين أكمل خول
المجاهدين قدوة قروم
المحققين ذوالسعادات
والكرامات أبوالبركات
عبدالله بن أحمد بن محمود
النسفي نفع الله الاسلام
بطول بقائه والمسلمين بيمين

وهو الذي أنساه إياه وقيل أصل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن أو قصدت إلى نسيانه وقوله بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسلوه تعهده القرآن وقوله أنه تصيب أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلت من الابل في عقلها أي تخلط من العقل وهو الجبل الذي تربط به * عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا أتى الله يوم القيامة أجذم أخرجه أبو داود الإجماع قبل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحنجر وقيل هو الذي به جذام * عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على أجورأتي حتى القذا فخرج الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتي فلم أروها ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تبارجل ثم نسبها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو ومحافة أن ينال بسوء أو أربا بالقرآن المصحف فلا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار لا تنبي الوارد فيقولون كتب كتاب الله فيهم آية من القرآن فلا بأس من ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم قبل ما هزل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم * عن عمران بن حصين أنه مر على رجل يقرأ ثم سأل فاسترجع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسال الله به فإنه سيحياه أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس أخرجه الترمذي * عن مهيّب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محاربه أخرجه الترمذي وقال ليس استناده بالقوي * عن عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالعدو والمسرب بالقرآن كالسر بالعدو أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الفصل الثاني في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعين حرف (خ) عن زيد بن ثابت قال بعثت إلى أبو بكر لمقتل أهل البغامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استبحر يوم البغامة بقرء القرآن وإني أخشى أن يستحرق القتل بالقرء في كل الموطن فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن نأمر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف فعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأي عمر قال زيد فقال لي أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا تهملك قد كنت نكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني ثقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعله لأن شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ورأيت في ذلك الذي رأي قال فتبع القرآن أجمع من الرقاق والعصب واللخاف وصعد رجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزينة أومع أبي خزينة الأنصاري فلم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر براءة فالحقها في سورته قال فكانت المحذف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف (خ) عن أنس بن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغاري أهل الشام في فتح أرمينية وأذر بيحان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان بأمر المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم

أسرار التنزيل مفتاح
أسرار حقائق التأويل
ترجمان كلام الرحمن
صاحب علم المعاني والبيان
الجامع بين الأصول والفروع
المرجوع إليه في العقول
والمسموع حافظ الملة والدين
شيخ الاسلام والمسلمين

الفصل الثاني في وعيد من قال في القرآن رأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فسيه ولم يتعده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن رأيه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (قوله فليتبوأ) معناه فليتخذ له مقعداً أي منزلاً من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل رأيه فاصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفا كفة وأبفاقل أي سماء وظلي وأرى أرض تغطي إذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأى إنما ورد في حق من يتناول القرآن على مراد نفسه وما هو تابع له وهذا لا يتخلو ما أن يكون عن علم ولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية واخراج وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليفروا بذلك الناس وإن كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك بان تكون الآية محتملة لوجوه فيفسر بعضها بغير ما تحتمل من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعده وهو غير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فإن الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكاموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر ما نقل عنه التفسير (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي محمد بيده هو أشد ثقتاً من الأبل في عقلها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الأبل المقعدة إن تعاهد عليها أسكها وإن أطلقها ذهبت الأبل المقعدة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضرب له صاحب القرآن ففيه الحث على تعاهده بكثره التلاوة والتكرار ثلاثين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشمالاً أحدم أي بقول نسبته كيت وكيت بل هو نسي استذكروا القرآن فإنه أشد نصفاً من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل أحدكم نسبته كيت وكيت ولا يذكرها نسي (قوله بشمالاً أحدم) أي بشت الحالة حاله من حفظ القرآن ثم تنقل عنه حتى نسيه (قوله لا يقل أحدكم نسبته كيت وكيت) معناه إنما ذكره نسبة السيمان الى النفس لاجل أن الله تعالى هو المقدر للأشياء كلها

في بحوحة النصاحة
والفصاحة محمد المبعوث
الى خليقته الداعي الى
الحق وطريقته صلى الله
وسلم عليه وعلى آله
وشيعته (قال) مولانا
الشيخ الامام العظيم والحبر
الهمام المقدم أستاذ
أهل الارض محي السنة
والقرض كشاف حقائق

قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المؤمنين الانرى
الناس قد غاصوا في الاحاديث قال او قد غلبوها قلت نعم قال اما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا انهم استكون فتنة فقلت ما الخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبله وكما هو
ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابنتى الهدى في غيره أضله الله
وهو حبل الله المتين وهو الذى كرا الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا يغبى به الاهواء ولا تلتبس به
الالسة ولا تشيع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقض بحاشته هو الذى لم ينته الجن ان ذسمته حتى
قاروا ناسمه تناقروا عجايبهم ردى الى الرشدا فمنابه من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن
دعا اليه هدى الى صراط مستقيم خذها اليك يا عرو وأخرجه الترمذى وقال حديث غريب واصله مجهول
وفى الخبر مقال (قوله هو الفصل) أى الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أى هو جده كله ليس فيه
شئ من الهزل والجبارى صفة الآدمى هو المفسط العاقى المتكبر على الناس قصمه الله أى أهلكه (قوله هو
حبل الله المتين) الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الأمان فاذا اعتصم به الانسان آواه الله تعالى الى
جواره والذى كرا الشرف والحكيم المحكم العارى من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق
الواضح ومعنى لا يغبى به الاهواء أى لا يعيل عن الحق * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذى ليس في جوفه شئ من القرآن كاليابس الخرب أخرجه الترمذى وقال
حديث حسن صحيح (خ) عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه
(ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى
بقرأ القرآن وابتغى فيه وهو عليه شاق له أجران (قوله الماهر بالقرآن) يعنى الحاذق الكامل الحفظ
الجيد اتلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه ينفى برسالات الله
الى أنبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة الطيعون لله تعالى فيما أمر به ومعنى كونه مع الملائكة
أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيق لهم وقوله يبتغى أى يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعنى
يحصل له أجر بسبب القراءة وأجر بسبب تعبه فيها والمثقة التى تحصل له فيها وليس معناه ان له أجران أكثر
من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر أجرا (ق) عن أبى موسى الأشعرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الانترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل
التمر طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الریحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل
الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دلائل على فضيلة حفظ القرآن واستحباب
ضرب الامثال لإيضاح المفاهيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من
كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقف بعضهم عليه
ليعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الخصال المرتحل قال وما الخصال
المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى * عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا فان منزلت عند الله آخر آية تقرؤها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن أبى
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبى القرآن يوم القيامة فيقول يارب حل فيك فليس تاج الكرامة ثم
يقول يارب زد فيك فليس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارتق ويزاد بكل آية
حسنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن سهل بن معاذ الجهلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله

اليه بالتكليف القاهر
الذى لا يستل عن
التحميل والتكليف
العليم الذى خلق الانسان
وعلمه البيان الحكيم
الذى نزل القرآن شفاء
للارواح والابدان والصلاة
والسلام على المستل من
أرومة البلاغة والبراعة المحتل

من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلامها وأنبلها وأسنانها جامعاً للصحيح من الأقاويل عارياً عن
 الشبه والتصحيف والتبديل محلي بالاحاديث النبوية مطرزاً بالاحكام الشرعية موثي بالقصص
 الغريبة وأخبار الماضين المهيبة مرصعاً بحسن الاشارات مخرجاً بواضح العبارات مفرغاً في قالب
 الجلال بأفصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة مقبله وما به ولما كان هذا
 الكتاب كما وصفت أحييت أن اتخبط من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه وجواهر
 فصوصه مختصراً جامعاً للمعاني التفسير ولباب التأويل والتعريف حاوياً خلاصة من قوله متضمناً لنتكته
 وأصوله مع فوائد نقلها وفرائد اختصتها من كتب التفسير المعنفة في سائر علومه المؤلفة ولم أجعل
 لنفسى تصرفاً سوى النقل والاختخاب بمجتزأ من التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه
 أقرب الى تحصيل المراد فأوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على تفسير آية
 أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهم امداد الشارع وأحكام الدين عزوته الى مخزجه
 وينت اسم نافله وجعلت عوض كل اسم حرفاً يعرف به ايهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي
 عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري فعلمته قبل ذلك كرام اسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من
 صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلمته (م) وما كان مما انفق عليه فعلمته (ق) وما
 كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فاني اذ كرامته بغير علامة ولم أجده في هذه
 الكتب ووجدت البغوي في آخره بسنده انفرده قلت روى البغوي بسنده ومار واه البغوي باسناد
 العلوي قلت روى البغوي باسناد التعليق وما كان فيه من أحاديث زائدة أو ألفاظ متغيرة فاعتمدته فاني
 اجتهدت في تصحيح ما أخرجه من الكتب المعتمدة عند العلماء كالجع بين الصحيحين للحميدى وكتاب
 جامع الاصول لابن الانبار الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعاقب به
 ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب وأسهل على الطلاب وسدته باباً ما قدرت عليه من الإيجاز
 وحسن الترتيب مع التسهيل والتقرير وينبغي لكل مؤلف كتاباً في فن قد سبق اليه ان لا يتجول كتابه
 من خمس فوائد استنباط شيء كان معضلاً أو جمعه ان كان متفرقاً وشرحه ان كان غامضاً وحسن نظم وتأليف
 أو اسقاط حشو وتطويل وأرجو أن لا يتجول هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت وسدته لباب
 التأويل * في معاني التنزيل * والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت واليه أرغب في تيسير
 ما أردت وإن يجعله خالص الوجه الكريم وإن يتقبله مني أنه هو السميع العليم وهو حسي ونعم الوكيل عليه
 توكلت واليه أتنبأ وقبل أن أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول
 الفصل الاول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه * (م) عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بومافينا خطيباً بما يهدي خبايا مكة والمدينة حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال ما بعد ذلك إلا بها
 الناس أنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب واني تارك فيكم تغليب أولهم ما كتب الله فيه
 الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واسمعوا حياثه على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم
 الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي زادني رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به
 كان على الهدى ومن أخطأه ضل وفي رواية كتاب الله هو جبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه
 كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم
 به لن تضلوا يعدي أحد هماً أعظم من الآخر وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل
 بيتي لن يفترقا حتى يرداعي الخوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (م) عن عمر بن الخطاب قال أمان
 نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين وعن الحرث الاعور

بعد كل محدود الملك الذي
 طمست سبحات جلاله
 الابصار التكبر الذي أزاخت
 سطوات كبرياته الافكار
 القديم الذي تعالى عن
 مماثلة الحدثان العظيم
 الذي تنزه عن مماسة
 المكان المتعالي عن
 مضاهاة الاجسام ومشابهة
 الانام القادر الذي لا يشار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

E.P

130

4

K45

1910

VI

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الجليلة المنزه بذاته عن
اشارة الاوهام المقدس
بصفته عن ادراك
العقول والافهام المنصف
بالاوهية قبل كل موجود
الباقي بالتعوت السرمدية

الجليلة الذي خلق الاشياء فقدرها تقديرا وصوّر شكل الانسان فاحسنه تنويرا ومنحه بالعقل وجعله
سميعا بصيرا وشرقه بما عرفه به من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه الى معرفته فبالها النعمة وفضلا كبيرا
وأخلق لسانه فاذن بشكره تحميدا ونهائلا وتكبيرا وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق
بشيرا ونذيرا وأنزل عليه كتابا نبيا وأودعه حكمة وحكما وزعيا ونجديرا وأطم حفاظه تلاوته
ونجيبا وعلم عبادته علومه تفهها وتبصيرا وضرب فيه الامثال للزبل جهلة ونجيبا وجعله بهانا واضحا
وصوابا لا تحاووفه فضله توفيرا في الصدور محفوظا وبالاستمتع تلاوا في المصحف مسطورا يهدي للتي هي
أقرب ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وجعل كل مبلغ عن الاتيان بسورة
منه حسبا فوالن اجتمعت الانس والجن على أن يأثوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا (أجده) على نواتر انعامه جدا كثيرا وتوكل عليه مفعواً أمرى اليه ومستجيرا وأشهد
أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قلب قائما لها مطمئنا مستديرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذي كساه من فضله عز واهابه وتوفيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا (وبعد) فإن الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله رجة للعالمين وبشيرا للمؤمنين ونذير للمخالفين أكل به بيان النبوة وختم به
ديوان الرسالة وأتم به مكارم الاخلاق وأشرف فضله في الآفاق وأنزل عليه نور الهدى به من الضلالة
وأقتضيه من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ما سمعه عجز
الخالق عن معارضته حين تحداهم على أن يأثوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عبادته المؤمنين
مع اعجازة تلاوته ويسر على اللسان قراءته أمر فيه وزجرو بشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر ثم لم يرض
فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض
مناسر دحرفه دون حفظ حدوده ولا بقامة كماله دون العمل بمحكماه ولا بتلاوته دون
تدبر آياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه ولا حصول هذه المقاصد منه
الابدارية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه
ومسنوخه في خاصه وعامه فإنه أرسخ العلوم أصلا وأسبغها فاعرفا وفضلا وأكرمها تاجا ونورها سراجا
فلا شرف الاوهو السبيل اليه ولا خيرا الاوهو الدال عليه وقد قبض الله تعالى له رجا لا وفقين وبالحق
ناطقين حتى صنفوا في سائر علومه الصناعات وجعوا سائر فنونه التفرقات كل على قدر فهمه ومبلغ
علمه نظر الخلف واقتداء بالسلف فشكر الله سبحانه ورحم كفتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل
الذي صنعه الشيخ الجليل والخبير البليل الامام العالم الكامل محي السنة قدوة الامة وامام الامة مفتي
الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه

الجزء الأول

من تقدير القرآن الجليل المسمى باب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الامة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تقدمه الله برحمته
آمين

وقد حلّ هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الامام
الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسي عليه سبحانه الرحمة والرضوان
قال في كشف الظنون

لباب التأويل • في معاني التنزيل • في ثلاث مجلدات للشيخ علاء الدين علي بن محمد بن
ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه يوم الاربعاء العاشر من رمضان
(سنة ٧٢٥) أوله الحمد لله الذي خالق الاشياء فقد رها الخذل كرفيه ان معالم التنزيل لا بغوى
موصوف بالاوصاف المحدودة لكنه طويل فاختص به وضم اليه فوائد لخصها من كتب التفاسير
بحدف الاسانيد وجعل علامة للصحيحين وذكر اسامي غيرهم ما عرض فيه بشرح غريب
الحديث وما يتعلق به

وقال في حرف الميم

مدارك التنزيل • وحقائق التأويل • للامام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسي المتوفى
(سنة ٧٠١) وقيل عشرة وسبع مائة أوله الحمد لله المنفرد بذاته عن اشارة لاوهام الخ وهو كتاب
وسط في التأويلات جامع لوجوه الاعراب واقرأ آت متضمن لدقائق علم البديع والاشارات
موشح باقاويل أهل السنة والجماعة خال عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل المل
والاب قصير الخ • اه فأت الذي وقع بايدينا من نسخ المدارك المنزه بدل قوله المنفرد فاعل
ذلك من اختلاف النسخ اه مصححه

طبع بمطبعة

دار الكتب العلمية

على نفقة اصحابها

مصطفى الباني الحلي وأخوه بكرى وعيسى بمصر

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

BP	al-Khazin al-Baghdadi, 'Ali ibn
130	Muhammad
.4	Tafsir al-Qur'an al-jalil
K45	
1910	
v.1	

تَفْسِيرُ الْخَزَائِنِ

المَسْمُومِ

لبَابِ التَّأْوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنْزِيلِ

تأليف

الإمام عطاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم

البغدادي الصوفي

المعروف

بالخِصَانِ

وبها مَشْهُدٌ

تفسير النسي

المَسْمُومِ

بِمَدَارِكِ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ

لإمام

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد

النسي

أعاد طبعه بالأوقست مكتبة المشق ببغداد

لصاحبها

فارس محمد الرجب